مركز البحوث الإسلامية
إستانبول

# تتمة الكشاف

## (حاشية الجاربردي على الكشاف)

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي
(ت ٧٤٦هـ/١٣٤٦م)

تحقيق
أ.د. ضياء الدين القالش
محمد عماد النابلسي

إشراف
أ.د. محمد طه بويالق

المجلد الثاني

نشريات وقف الديانة التركي

بسم الله الرحمن الرحيم

# تتمة الكشاف

## حاشية الجاربردي على الكشاف

مركز البحوث الإسلامية
إستانبول
سِلْسِلَةُ عيونِ التُّراثِ الإسْلاميِّ

# تتمة الكشاف

## (حاشية الجاربردي على الكشاف)

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي
(ت. ٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م)

تحقيق
أ.م. ضياء الدين القالش
محمد عماد النابلسي

إشراف
أ.م. محمد طه بويالق

المجلد الثاني

نشريات وقف الديانة التركي

نشريات وقف الديانة التركي
رقم النشر ١٤٣٧
نشريات إسام ٢٦٧
سلسلة عيون التراث الإسلامي ٦٢


**تتمة الكشاف (حاشية الجاربردي على الكشاف)**
فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي

المجلد الثاني

**تحقيق** أ.م. ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي

تم إعداد تتمة الكشاف (حاشية الجاربردي على الكشاف)
بإشراف اللجنة العلمية للتحقيق
بمركز البحوث الإسلامية (İSAM) التابع لوقف الديانة التركي.
İcadiye - Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
الهاتف: 50 08 474 216 90+ www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

**التحرير** أوقان قدير بلماز
**المراجعة العلمية** محمد طه بوبالق، عبد الرحمن رضوان خرش
**التدقيق النهائي لقسم الدراسة** سعيد قاياجي (العربي)، مصطفى دميرآي (التركي)
**التصحيح** (العربي) عبد الناصر حكيمي (الإملاء والفهارس والمصادر)، نور الحيلة (الإملاء)،
علي حيدر أولوصوي (الإملاء والفهارس)، آزاد سارسانتبايوف (الإملاء)،
(التركي) عيسى قايا ألب (الإملاء)، إسماعيل أرتلكين (المصادر)
**التصميم** علي حيدر أولوصوي، إبراهيم درويش مؤذن (تطبيق)،
حسن حسين جان (غلاف)، رمزي حاج مصطفى (خط الغلاف)

تم إعداد هذا الكتاب
من قبل مركز البحوث الإسلامية (إسام / İSAM)
في إطار مشروع العصور المتأخرة من الحضارة الإسلامية.

تم طبع هذا الكتاب بقرار مجلس إدارة إسام
بتاريخ ٢٧ / ١٢ / ٢٠٢٤ ورقم ١١ / ٢٠٢٤.

الطبعة الأولى: إستانبول، ديسمبر ٢٠٢٤م / ١٤٤٦هـ
(مجموعة) ISBN 978-625-428-633-9
(المجلد الثاني) 978-625-428-635-3

**الطباعة والنشر والتوزيع**
**TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.**
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No: 11 Yeni Mahalle / Ankara
الهاتف: 9131 354 312 90+ الفاكس: 9132 354 312 90+ bilgi@tdv.com.tr

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي
تتمة الكشاف (حاشية الجاربردي على الكشاف) / فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي؛ تحقيق: ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي. إستانبول؛ أنقرة: مركز البحوث الإسلامية (إسام)؛ وقف الديانة التركي، ٢٠٢٤.
المجلد الثاني (٧٥٦ صفحة)؛ ٢٤ سم. – (نشريات وقف الديانة التركي؛ ١٤٣٧. نشريات إسام؛ ٢٦٧. سلسلة عيون التراث الإسلامي؛ ٦٢)
يحتوي على الفهارس والمصادر
(المجلد الثاني) 978-625-428-635-3 (مجموعة) ISBN 978-625-428-633-9

# فهرس المحتويات

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَإِذْ﴾ نصبٌ بإضمار: اذْكُرْ، ويجوز أن ينتصِب بـ﴿قَالُوٓا۟﴾.

---

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قال الإمام: «هذه الآية دالّة على كيفيّة خلقه آدم عليه السلام، وعلى كيفيّة تعظيم الله تعالى إيّاه، فيكون ذلك إنعامًا عامًّا على جميع بني آدم، فيكون هذا هو النعمة **الثالثة** من تلك النِّعم العامّة التي أوردها في هذا الموضع».[1]

قوله: (**﴿إِذْ﴾ نصب**) «قال أبو عُبيدة: إذ[2] ههنا زائدة، معناه: وقال ربّك للملائكة.[3] وأنكر الزَّجّاج،[4] وغيره هذا القول. وقالوا: الحرف[5] إذا أفاد معنى صحيحًا لم يجُز إلغاؤه».[6] ثُمّ لهم قولان: القول **الأوّل**: أنّ في الآية حذفًا،

---

١ **تفسير الرازي**، ٢/١٧٤ (البقرة، ٢/٣٠).

٢ ن - قوله: (﴿إِذْ﴾ نصب) قال أبو عُبيدة: إذ.

٣ انظر: **مجاز القرآن لأبي عُبيدة**، ١/٣٦-٣٧.

٤ انظر: **معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج**، ١/١٠٨.

٥ ن: الحرب.

٦ **الوسيط للواحدي**، ١/١١٢ (البقرة، ٢/٣٠)؛ **البسيط للواحدي**، ٢/٣٠٧-٣٠٨ (البقرة، ٢/٣٠). وانظر قول أبي عبيدة في **مجاز القرآن**، ١/٣٦-٣٧؛ وذهب مذهبه الثعلبيُّ في تفسيره، ٣/١٩٤ (البقرة، ٢/٣٠). وانظر إنكار الزّجّاج في **معاني القرآن وإعرابه**، ١/١٠٨. وممّن أنكر على أبي عُبيدة ما ذهب إليه الإمامُ الطبري، وذلك في قوله: «زعم بعض المنسوبين إلى العِلم بلغات العَرب من أهل البصرة أنّ تأويل قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾: وقال ربّك؛ وأنّ ﴿إِذْ﴾ من الحروف الزوائد، وأنّ معناها الحذف». **جامع البيان للطبري**، ١/٤٦٦ (البقرة، ٢/٣٠).

و"الملائكُ": جمعُ مَلْأَكٍ على الأصْلِ؛ كالشمائل في جمع شَمْأَلٍ، وإلحاقُ التاء لتأنيث الجمع.

و﴿جَاعِلٌ﴾ مِن جَعَلَ الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر، وهما قولُه: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فكانا مفعولَيْه، ومعناه: مُصَيِّرٌ في الأرض خليفةً.

---

والمعنى: واذكر لهم يا محمّد إذ قال ربك،[١] فأضمر هذا لأمرين: أحدهما: أنّ المعنى معروف، والثاني: أنّ الله تعالى قد كشف ذلك في كثير من المواضع كقوله: ﴿وَٱذْكُرْ / أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف ٢١/٤٦]، [١٤١ظ]
و﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۞ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ [يس ١٣/٣٦-١٤]. والقرآن كلُّه كالكلام الواحد، ولا يبعُد أن تكون هذه المواضع المُصرَّحة نزلت قبل هذه السورة،[٢] فلا جرم ترَك هذا ههنا اكتفاء بذِكر ذلك المُصرَّح. «وأكثر المُفسِّرين على أنّ ما ورد في القرآن من هذا النحو[٣] فالذِّكر فيه مُضمَر».[٤] والقول الثاني: أنّ ﴿إِذْ﴾ منصوب بـ﴿قَالُوٓاْ﴾، وعلى هذا ظرف، وعلى الأوّل مفعول به.

قوله: (والملائك) جمع مَلْأَك. أنشد أبو عُبيدة[٥] لرجل من عبد قيس، جاهليّ، يمدح بعض الملوك:

فلستَ لإنسيٍّ ولكن لمَلْأَكٍ تنزَّلَ من جَوِّ السماء يَصوبُ[٦]

---

١ انظر: الوسيط للواحدي، ١١٢/١ (البقرة، ٣٠/٢)؛ والبسيط للواحدي، ٣٠٨/٢ (البقرة، ٣٠/٢). وورد هذا القول في الكشف والبيان للثعلبي، ١٩٤/٣ (البقرة، ٣٠/٢)، بصيغة التضعيف.

٢ ن: المشورة.

٣ ن: البحر.

٤ الوسيط للواحدي، ١١٢/١ (البقرة، ٣٠/٢)؛ البسيط للواحدي، ٣٠٨/٢ (البقرة، ٣٠/٢).

٥ د ش ن: أبو عبيد. | والكلام بحروفه في مجاز القرآن.

٦ ينسب البيت لعلقمة بن عبَدة الملقَّب بالفحل، ولم يَرد البيت في أصل ديوانه، وأُورِد في زيادات الديوان، ص ١١٨؛ وهو له في المفضّليّات للضبّي، ص ٣٩٤، من زيادات بعض النُّسخ والشروح، كما أورد المُحقِّقان في الهوامش. وهو بلا نسبة في كتاب سيبويه، ٣٨٠/٤؛ وهو لـ«رجل من عبد قيس، جاهليّ، يمدح بعض الملوك» في مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٣٣/١، ٣٥؛ وبلا نسبة في الوسيط للواحدي، ١١٢/١ (البقرة، ٣٠/٢)؛ والبسيط للواحدي، ٣٠٨/٢ (البقرة، ٣٠/٢).

**والخليفةُ: مَن يَخْلُفُ غيرَه، والمعنى: خليفةً منكم؛ لأنهم كانوا سُكَّانَ الأرض فخلفَهم فيها آدمُ وذريَّتُه.**

---

وأصل ملك: مألك، وهو من الألوك والألُوكة، وهي: الرِّسالة، فقدَّم اللام على الهمزة تخفيفًا؛ لكثرة الاستعمال،[1] وحين جمعوه ردّوا الهمزة المحذوفة فقالوا: ملائك.

قوله: (**والخليفة: مَن يخلُف غيرَه**)، أي: الخليفة الذي يخلُف الذاهب، أي: يجيء بعده، يقال: خلف فلان مكانَ فلان إذا كان في مكانه خلافة، وأصل الخليفة: خليف بغير هاء، فدخلت الهاء للمبالغة بهذا الوصف، كما قالوا: راوية وعلّامة، ألا ترى[2] جمعوه "خلفاء"، كما يُجمَع "فعيل"، ومَن أنّث لتأنيث اللفظ قال في الجمع خلائف. وقد ورَد التنزيل بهما كما قال تعالى: ﴿خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾ [الأعراف ٧/٦٩]، وقال: ﴿خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس ١٠/١٤].[3]

قوله: (**والمعنى: خليفة منكم**) والخطاب للملائكة. اعلم أنّ العلماء اختلفوا في أنّ المراد مَن هو: فقيل: آدم عليه السلام، وقوله: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ المراد: ذُريَّته لا هو؛ وقيل: المراد آدم وولده، وهو الذي اختاره المُصنِّف. ثمّ اختلفوا في أنّه لِمَ[4] سمّاهم خليفة؟ وذكروا لذلك وجهين:

**الوجه الأوّل**: أنه تعالى جعله خليفة عن الملائكة الذين كانوا سُكّان الأرض بعد الجنّ، وذلك أن الله تعالى خلَق السماء والأرض، وخلَق الملائكة والجنّ، فأَسكَن الملائكة السماء، وأسكَن الجنَّ الأرض، فبقُوا دهرًا طويلًا في الأرض، ثُمّ ظهر فيهم الحسد البغيُ فاقتتلوا وأفسدوا؛ فبعث الله تعالى[5] إليهم جُندًا من الملائكة يقال لهم: الجنّ، رأسُهم إبليس، وهم خُزّان الجِنان،

---

[1] انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٩٥/٣ (البقرة، ٣٠/٢)؛ **والبسيط** للواحدي، ٣٠٨/٢ (البقرة، ٣٠/٢).

[2] د: يُرى

[3] من قوله: "الخليفة الذي يخلف" إلى هنا بلفظ قريب في **الوسيط** للواحدي، ١١٣/١ (البقرة، ٣٠/٢)؛ **والبسيط** للواحدي، ٣٢٠/٢-٣٢١ (البقرة، ٣٠/٢). وبعضه في **الصحاح** للجوهري، «خلف».

[4] ن: لو؛ هامش ن: ظ [اختصارًا من الظاهر]: لم.

[5] د ش - تعالى.

**فإن قلتَ: فهلّا قيل: خلائف، أو: خُلفاء؟**

**قلتُ: أريدَ بالخليفة آدمُ عليه السلام، واستُغْنِي بذكره عن ذكرِ بَنِيه كما يُستغنَى بذكرِ أبي القبيلة في قولك: مُضرُ وهاشمٌ، أو أريد: مَن يَخْلُفكم، أو: خَلَفًا يَخْلُفُكم، فوُحِّد لذلك.**

**وقُرئ: "خليقةٌ" بالقاف.**

**ويجوز أن يريد: خليفة منّي؛ لأن آدم كان خليفةَ الله في أرضه، وكذلك كلُّ نبيّ ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [ص ٣٨/٢٦].**

---

اشتُقّ لهم اسم من الجنَّة، فهبطوا إلى الأرض، وطردوا الجنّ عن وجوهها إلى شُعوب الجبال وجزائر البحار.[١]

والوجه **الثاني**: «إنّما سمّاه الله تعالى خليفة؛ لأنّه يخلف الله تعالى في الحُكم بين خلقه، وهو المرويّ عن ابن عبّاس وابن مسعود والسُّدّي. وهذا الرأي مُتأكِّد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ص ٣٨/٢٦]».[٢] وإلى هذا الوجه أشار المُصنِّف بقوله: (**ويجوز أن يريد: خليفة منّي**) وهو عطف على قوله: "والمعنى: خليفة منكم".

قوله: (**فهلّا قيل: خلائف أو خُلفاء؟**) قال الإمام: «الخليفة: اسم يصلح للواحد والجمع، كما يصلُح للذَّكر والأنثى».[٣]

قوله: (**"خليقة" بالقاف**) وهي شاذّة.[٤] والخليقة: الخلائق، يقال: هم خليقة الله، وهم خلق الله أيضًا، وهو في الأصل مصدر.

---

١ من قوله: "أنّه تعالى جعله خليفة" إلى هنا بلفظ قريب في **الكشف والبيان** للثعلبي، ٣/١٩٧ (البقرة، ٢/٣٠)؛ و**الوسيط** للواحدي، ١/١١٣ (البقرة، ٢/٣٠)؛ و**البسيط** للواحدي، ٢/٣٢٢-٣٢٣ (البقرة، ٢/٣٠)؛ و**تفسير الرازي**، ٢/١٨٠ (البقرة، ٢/٣٠).

٢ **تفسير الرازي**، ٢/١٨١ (البقرة، ٢/٣٠). وانظر: **الوسيط** للواحدي، ١/١١٥ (البقرة، ٢/٣٠)؛ و**البسيط** للواحدي، ٢/٣٢١ (البقرة، ٢/٣٠).

٣ **تفسير الرازي**، ٢/١٨١ (البقرة، ٢/٣٠).

٤ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٥٦؛ **المغني في القراءات** للدّهّان النَّوْزوازي، ص ٣٩٨.

**فإن قلتَ: لأيِّ غرضٍ أخْبَرهم بذلك؟**

**قلتُ:** ليَسألوا ذلك السؤالَ ويجابوا بما أُجيبوا به، فيَعْرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم؛ صِيَانةً لهم عن اعتراضِ الشبهة في وقتِ استخلافهم.

وقيل: ليُعلِّمَ عبادَه المشاوَرةَ في أمورهم قبل أن يُقْدِموا عليها، وعَرْضَها على ثقاتِهم ونُصحائهم، وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغةِ غنيًّا عن المشاورة.

﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا﴾ تعجُّبٌ من أن يَستخلف مكانَ أهلِ الطاعة أهلَ المعصية، وهو الحكيمُ الذي لا يفعل إلَّا الخير ولا يُريد إلا الخيرَ.

---

قوله: **(لأيِّ غرَض؟)**، أي: لِمَ أخبر الله تعالى الملائكة بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً﴾؟

قوله: **(ذلك السؤال)** وهو ﴿أَتَجۡعَلُ﴾؟

قوله: **(بما أُجيبوا)** وهو ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ﴾.

قوله: **(قبل كونهم)**، أي: قبل وجود آدم وبنيه.

قوله: **(قبل أن / يُقدِّموا)** ظرف **(المُشاورة)**.[1] [١٤٢و]

قوله: **(عليها)** أي: على الأمور.

قوله: **(وعرضَها)** أي: عرضَ الأمور، وهو عطف على "المشاورة".

قوله: **(وإن كان)** مُتعلِّق بقوله: **(وقيل: ليُعلِّم)** أي: قيل: أَخبَرهم على صورة المُشاورة؛ ليُعلِّم المُشاورة، وإن كان الله تعالى غنيًّا.

قوله تعالى: ﴿وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ أي: يُريقها. والقراءة بفتح الياء وكسر الفاء قراءة السبعة،[2] وأمَّا القراءات الثلاثة التي ذكَرها، وهي: بفتح الياء وضمّ الفاء، وبضمّ الياء وكسر الفاء: مِن الإسفاك، والتسفيك شاذَّة.[3]

---

[1] ن: والمشاورة.

[2] **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٣٩٨-٣٩٩.

[3] القراءات الثلاث شاذّة: الأولى مرويّة عن أبي حَيْوَة وابن أبي عبلة ويزيد بن قُطيب، والثانية مرويّة عن ابن أبي عبلة، والثالثة بتشديد الفاء مرويّة عن ابن مَقسَم وطلحة والهَمَداني والأنطاكي عن أبي جعفر. **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٣٩٨.

**فإن قلتَ**: من أين عرفوا ذلك حتّى تعجَّبوا منه وإنما هو غَيْبٌ؟

**قلتُ**: عرَفوه بإخبارٍ من الله تعالى، أو من جهةِ اللَّوح، أو ثبَتَ في علمهم أن الملائكة وحدَهم هم الخَلقُ المعصومون وكلُّ خلقٍ سواهم ليسوا على صفتهم، أو قاسُوا أحدَ الثَّقَلين على الآخر، حيث أُسكنُوا الأرضَ فأَفسدوا فيها قبل سُكنَى الملائكة.

وقُرئ: "يَسْفُك" بضم الفاء، و: "يُسْفِكُ" و: "يُسَفِّكُ" من أَسْفَكَ وسَفَّكَ.

والواوُ في ﴿وَنَحْنُ﴾ للحال؛ كما تقول: أتُحسِنُ إلى فلانٍ وأنا أحقُّ منه بالإحسان.

والتسبيحُ: تَبْعيدُ الله من السُّوء، وكذلك تقديسُه، مِن سَبَحَ في الأرض والماء، وقَدَسَ في الأرض: إذا ذَهَبَ فيها وأَبْعَدَ.

و﴿بِحَمْدِكَ﴾ في موضع الحال؛ أي: نُسَبّحُ حامدينَ لك وملتَبِسينَ بحمدكَ؛ لأنه لولا إنْعامُك علينا بالتوفيق واللُّطف لم نتمكّن من عبادتك.

---

قوله: **(ومُلتبسين بحمدك)** هو في معنى قولك: حامدين، فيكون المعنى: لولا إنعامك علينا بالتوفيق للتسبيح[١] لم نتمكَّن من ذلك، فنحمدك على ذلك التوفيق. كما قال داود عليه السلام: يا ربِّ كيف أقدر أن أشكرك، وأنا لا أصل إلى شُكر نعمتك إلّا بنعمتك؟ فأوحى الله تعالى إليه:[٢] الآن قد شكرتَني حيث عرفتَ أنّ كلّ ذلك منّي.[٣]

قوله تعالى: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ التقديس: التطهير، ومنه الأرض المُقدَّسة، والبيت المُقدَّس: المُطهَّر.[٤]

ثمّ اختلفوا على وجوه: **الأوّل**: نُطهِّرك، أي: نصفُك بما يليق بك مِن العُلوّ والعزَّة، فاللام زائدة كما في قوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل ٢٧/٧٢]؛

---

١ ن: التسبيح.

٢ ن – إليه.

٣ من قوله: "هو في معنى" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ١٨٨/٢-١٨٩ (البقرة، ٣٠/٢).

٤ انظر: الوسيط للواحدي، ١١٦/١ (البقرة، ٣٠/٢)؛ والبسيط للواحدي، ٣٣١/٢ (البقرة، ٣٠/٢).

﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: أعلمُ من المصالح في ذلك ما هو خفيٌّ عليكم.

**فإن قلتَ**: فهلَّا بيَّن لهم تلك المصالح؟

**قلتُ**: كفَى العبادَ أن يعلموا أن أفعالَ الله كلَّها حسنةٌ وحكمةٌ وإنْ خَفِي عليهم وجهُ الحُسن والحكمة، على أنَّه قد بيَّن لهم بعضَ ذلك فيما أتْبَعَه من قوله:

---

**والثاني** قول مجاهد: أي: نُطهِّر أنفسنا من ذنوبنا وخطايانا ابتغاء لمرضاتك؛[1] **الثالث**: نُطهِّر قلوبنا عن الالتفات إلى غيرك، حتَّى تصير مُستغرِقة في أنوار معرفتك.[2]

قوله: **(ما هو خفيٌّ)** مفعول **(أعلمُ)**. و**(مِن)** بيان. و**(ذلك)** إشارة إلى الاستخلاف.

إن قيل: قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ كيف يصلح جوابًا عن السؤال الذي ذكروه؟ قلنا: قد ذكرنا أنَّ السؤال يحتمل وجوهًا: **الأوَّل**: التعجُّب فيكون قوله: ﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ جوابًا له مِن حيث إنَّه تعالى قال: لا تتعجَّبوا مِن أن يكون فيهم مَن يُفسِد، فإنِّي أعلم بأنَّ فيهم جمعًا مِن الصالحين؛ **الثاني**:[3] أنَّه طَلَب الحِكمة، فجوابه أنَّ مصلحتكم أن تعرفوا وجه الحِكمة على الإجمال دون التفصيل، بل ربَّما كان التفصيل مَفسَدة لكم. وقال المُصنِّف: "على أنَّه تعالى بيَّن بعض ذلك التفصيل بقوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾"؛ **الثالث**: أنَّه للغمِّ،[4] فالجواب لا تغتمُّوا بسبب وجود المُفسِدين، فإنِّي أعلم أيضًا جمعًا مِن المُتَّقين، ومَن[5] لو أقسم على الله لأبرَّه. وهنا وجه آخر وهو أنَّهم لمَّا قالوا: ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وهو أنَّ معكم إبليس، وأنَّ في قلبه حسَدًا وكِبرًا ونفاقًا.[6]

---

١ ن: مرضاتك.
٢ من قوله: "ثمّ اختلفوا" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ١٨٩/٢ (البقرة، ٣٠/٢).
٣ ن: والثاني.
٤ ن: للعلم.
٥ ن: مَن.
٦ من قوله: "إن قيل: قوله تعالى" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ١٩٠/٢ (البقرة، ٣٠/٢).

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۞ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾

واشتقاقُهم ﴿ءَادَمَ﴾ من الأُدْمةِ ومن أدِيم الأرض ..............................

---

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۞ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

قال الإمام:

لمّا سأل الملائكة وجهَ الحكمة في خَلْق آدم وذُريّته وإسكانه تعالى[١] إيّاهم الأرض، وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة[٢] في ذلك على سبيل الإجمال بقوله: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أراد تعالى أن يزيدهم بيانًا، وأن يُفصِّل لهم ذلك المُجمَل، فبيَّن لهم مِن فضل آدم عليه السلام ما لم يكن ذلك معلومًا لهم، وذلك بأن علّم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم عليهم؛ ليَظهر بذلك كمال فضله وقصورهم عنه في العلم، / فيتأكّد ذلك [١٤٢ظ] الجواب الإجماليُّ بهذا الجواب التفصيليّ.[٣]

قوله: (**واشتقاقهم[٤] "آدم" مِن الأُدْمة ومن أديم الأرض**) اختلف العلماء في[٥] أنّ "آدم" اسم عربيّ أو أعجميّ:[٦] فمنهم مَن قال: إنّه عربيّ، وهؤلاء اختلفوا:

---

١ ن – تعالى.
٢ ن: الحكم.
٣ تفسير الرازي، ٢/١٩٠-١٩١ (البقرة، ٢/٣١).
٤ ن: واشتقاق.
٥ ن – في.
٦ ن: عجمي.

نحوُ اشتقاقِهم يعقوبَ من العَقِب، وإدْريسَ من الدَّرْس، وإبليسَ من الإبْلاس، وما آدمُ إلَّا اسمٌ أعجميٌّ، وأقْربُ أمْره أن يكون على فاعَلَ كآزَرَ وعازَرَ وعابَرَ وشالَخَ وفالَغَ وأشباهِ ذلك.

﴿ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾؛ أي: أسماءَ المسمَّيات، فحُذف المضاف إليه لكونه معلومًا مدلولًا عليه بذكر الأسماء؛ لأن الاسم لا بدَّ له من مُسمًّى، وعُوِّض منه اللامُ كقوله: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم ٤/١٩].

**فإن قلتَ**: هلَّا زعمتَ أنه حُذف المضافُ وأُقيمَ المضافُ إليه مقامَه، وأن الأصل وعَلَّمَ آدمَ مسمَّيات الأسماء؟

---

فقال بعضهم: هو مشتقٌّ من الأُدْمة: وهي السُّمْرة،[١] وقال بعضهم: إنّه مشتقّ مِن أديم الأرض: وهو وجهها، فسُمّي بما خُلِق منه. ومِن الناس مَن يقول: إنّه اسم أعجميٌّ.[٢] وهو الذي اختاره المُصنِّف، وأشار إلى تزييف[٣] المذهب الأوّل، بأنّ حُكمهم بذلك الاشتقاق مثل اشتقاقهم **(يعقوب)** من العَقِب؛ لأنّه جاء على عَقِب إسحاق، و**(إدريس)** من الدَّرْس، أي: دراسة العلم. و**(إبليس)** من الإبلاس: وهو[٤] اليأس. ثمّ صرَّح بأنّه ليس مشتقًّا ممّا ذكروا فقال: وما آدم، أي: ليس آدم إلّا اسمًا أعجميًّا، ومَنْع صَرْفه للعُجمة والعلَميّة.

قوله: **(أي: أسماء المُسمَّيات)** قال العلماء: قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾ لا بدَّ فيه من إضمار: فيَحتمِل أن يكون المراد: وعلَّم آدم أسماء المُسمَّيات، ويَحتمِل أن يكون وعلَّم آدم مُسمَّيات الأسماء. قالوا: لكن الأوّل أوْلى؛ لقوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، ﴿أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾، ولم يقل: أنبئوني هؤلاء بأسمائهم.[٥]

قوله: **(وعُوِّض)** عطف على قوله: **(فحُذِف)**.

---

١ ن – وهي السُّمرة.

٢ انظر لتفصيل المذاهب فيه **المُعرَّب** للجواليقي، ص ١٠٣؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «أدم».

٣ ن: ترتيب.

٤ ن + وهو.

٥ من قوله: "قال العلماء" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ١٩٢/٢ (البقرة، ٣١/٢). وفيه «قال أهل المعاني» مكان «قال العلماء».

**قلتُ:** لأنّ التعليم وجَبَ تعليقُه بالأسماء لا بالمسمَّيات؛ لقوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ﴿أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ فكما علَّقَ الإنباءَ بالأسماء لا بالمسمَّيات -ولم يَقُل: أنبِئُوني بهؤلاء، و: أنبِئْهم بهم- وجَب تعليق التعليم بها.

**فإن قلتَ:** فما معنى تعليمِه أسماءَ المسمَّيات؟

---

قوله: **(لأنّ التعليم)**، يعني أنّ قوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ دلّ على أنّ التعليم للأسماء.

قوله: **(فما معنى تعليمه؟)**، أي: ما معنى تعليم الله تعالى آدم؟ فهذا المصدر يجوز أن يكون مضافًا إلى المفعول، أو إلى الفاعل.

اعلم أنّ بعض الناس قالوا: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ﴾، أي: علّمه صفاتِ الأشياء ونعوتَها وخواصَّها، والدليل عليه أنّ "الاسم" اشتقاقه:[١] إمّا مِن السِّمة أو من السُّموّ.[٢] فإن كان مِن السِّمة كان الاسم هو العلامة، وصفات الأشياء وخواصّها دالّة على ماهيّاتها، فصحّ أن يكون المراد من الأسماء الصفات؛ وإن كان من السموّ فكذلك؛ لأنّ دليل الشيء كالمُرتفع على ذلك الشيء، فإنّ العلم بالدليل حاصل قبل العلم بالمدلول، فكان الدليل اسمًا في الحقيقة، فثبت أنّه لا امتناع في اللغة أن يكون المراد من الأسماء الصفات والخواصّ.

بقي أنّ أهل النحو خصّصوا لفظ "الاسم" بالألفاظ المخصوصة، ولكن ذلك عُرْف حادث لا اعتبار به، وإذا ثبت أنّ هذا التفسير مُمكِن بحسب اللغة وجب أن يكون هو المراد لا غير؛ لأنّ الفضيلة في معرفة حقائق الأشياء أكثر من الفضيلة في معرفة أسمائها، وحَمْل الكلام المذكور لإظهار الفضيلة على ما يُوجِب مزيد الفضيلة أَوْلى من حَمْله على ما ليس كذلك.

---

١ د ش: اشتقاقها.

٢ من مشهور مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين. انظر لتفصيلها: **الإنصاف في مسائل الخلاف** لأبي البركات الأنباري، ١/٦-١٦.

**قلتُ:** أراه الأجناسَ التي خَلقَها، وعَلَّمه أن هذا اسمُه فرسٌ، وهذا اسمُه بعيرٌ، وهذا اسمُه كذا وهذا اسمُه كذا، وعَلَّمه أحْوالَها وما يتعلَّق بها من المنافع الدينيَّة والدُّنيويَّة.

---

وقال الأكثرون،[1] وهو المشهور: إنّ المراد أسماءُ كلّ مَن خَلَق من أجناس المُحدَثات من جميع اللغات المُختلفة التي يتكلَّم بها ولده اليوم: من العربيّة والفارسيّة والروميّة وغيرها، وكان ولد آدم يتكلَّمون بهذه اللغات، فلمّا مات آدم عليه السلام وتفرَّق ولده في نواحي العالم تكلَّم كلُّ واحد بلغة مُعيَّنة من تلك اللغات، فغلب عليه ذلك اللسان، فلمّا طالت المُدَّة ومات منهم قرن بعد قرن نسُوا سائر اللغات، فهذا هو السبب في تغيير الألسنة في ولد آدم.[2]

واللغات كلُّها أُخِذت من آدم عليه السلام؛ «قال ابن عبّاس رضي الله عنه[3] ومجاهد وقتادة: 'علَّمه اسم كلّ شيء حتّى القَصعة والمِغرَفة'»[4] والسُّكرُّجة.[5]

إذا عرفتَ ذلك فنقول: اختار المُصنِّف أنّ المراد بالأسماء في الآية كِلا المعنيين، أي: الأسماء المُصطلَحة / والخواصّ والصفات؛ لأنّ أسماء الأشياء [١٤٣و]
وصفاتها من سِماتها وعلاماتها، فأشار بقوله: (**وعَلَّمه أنّ هذا اسمه "فرَس"**) إلى قوله: (**كذا**) إلى الأسماء الاصطلاحيّة؛ وبقوله: (**وعَلَّمه أحوالها**)، أي: أحوال الأجناس إلى الخواصّ والصفات.

وهنا مسألة أخرى وهي بيانُ وجه التعليم، فقيل: خَلَق في قلبه عِلمًا بأسماء الأشياء على سبيل الابتداء والإلهام من غير توسُّط المَلَك، وبه يُشعِر قول المصنِّف:

---

١ انظر لهذا القول: **الوسيط** للواحدي، ١/١١٦ (البقرة، ٢/٣١)؛ و**البسيط** للواحدي، ٢/٣٤٤-٣٤٥ (البقرة، ٢/٣١).

٢ من قوله: "اعلم أنّ بعض الناس" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٢/١٩٢ (البقرة، ٢/٣١).

٣ د - رضي الله عنه.

٤ **الوسيط** للواحدي، ١/١١٦ (البقرة، ٢/٣١)؛ **البسيط** للواحدي، ٢/٣٤٤-٣٤٥ (البقرة، ٢/٣١). وفي الأخير أنّ هذا القول مرويٌّ عنهم وعن الضَّحّاك أيضًا. ومثل الأخير في **الكشف والبيان** للثعلبي، ٣/٢١٢ (البقرة، ٢/٣١)، وفيه «القصعة والقُصيعة» مكان «القصعة والمِغرَفة». وقريب منه في **جامع البيان** للطبري، ١/٥١٥-٥١٦.

٥ السُّكرُّجة: إناء صغير، يُؤكَل فيه القليل من الأُدْم، فارسيٌّ مُعرَّب. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «سكرج».

**﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾؛ أي: عرَضَ المسمَّيات، وإنَّما ذكّر لأن في المسمَّيات العقلاءَ فغَلَّبهم، وإنَّما استَنْبأهم وقد عَلم عجزَهم عن الإنْباء على سبيل التبكيت.**

---

**(أراه الأجناس)**... إلخ.[١] وقيل: كان ذلك بإرسال مَلَك من الملائكة المُمتحَنين. فقول[٢] المُصنِّف في السؤال: "ما[٣] معنى تعليمه؟" يَحتمِل أن يكون سؤالًا عن أنَّ المراد بالأسماء أهو الأسماء المُصطلَحة أم الصفات والخواصّ؟ ويَحتمِل أن يكون سؤالًا عن وَجْه التعليم وكيفيته، أهو بطريق الإلهام أم بواسطة المَلَك؟ وقوله في الجواب: "أراه الأجناس" مُنطبِق على الجوابين كما عرفتَ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾، يقال: عرضتُ الجند عَرْض العين، إذا أمررتَهم عليك ونظرتَ ما حالُهم، وفي المَثَل "عرضتُهم عَرْضَ سابريّ"؛[٤] لأنّ السَّابريّ: «ثوب جيّد يُشترى بأوّل عَرْض ولا يُبالَغ فيه».[٥] قال تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الكهف ١٨/١٠٠]، أي: أبرزناها وجعلناها بمكان يَرونها.

قوله: **(وإنّما ذكّر)** إشارة إلى جواب سؤال، وهو أن يقال: كان في المُسمَّيات ما لا يكون عاقلًا، فلِمَ قال: ﴿عَرَضَهُمْ﴾ بلفظ التذكير، ولم يقُل: "عرَضها"؟ أجاب بأنّه: لمّا كان في جُملتها الملائكة والجنّ والإنس وهم العقلاء فغُلِّب الأكمل، وجَرَت العادة بتغليب الكامل على الناقص.[٦]

قوله: **(وإنّما استنبأهم)** الاستنباء: طلب الإنباء، والإنباء: الإخبار، والنبأ: الخَبَر.

قوله: **(وقد علِم)** حال.

قوله: **(على سبيل التبكيت)** صفة مصدر لقوله: "استنبأهم"، أي: استنباء على سبيل التبكيت. و«التبكيت: كالتقريع والتعنيف، وبكّته بالحُجّة، أي:

---

١ ش + إلى آخره.

٢ ن: فيقول.

٣ ن: أما.

٤ لم أجده بهذا اللفظ. وهو بلفظ «عَرْض سابريٍّ» في **كتاب الأمثال** لأبي عُبيد، ص ٢٤٧، وقال في تفسيره: «قال الأصمعي: أصله في الإبل قد نهلت من الشرب ثم علّت الثانية، فهي عالّة، فتلك لا يُعرَض عليها عرضًا يُبالغ فيه»؛ و**جمهرة الأمثال** للعسكري، ٢/٤٨، وقال في تفسيره: «السابري: جنس من الثياب رقيق، يُنسب إلى سابور، يُراد أنّه يعرض عرضًا ضعيفًا؛ لأنّ الرقيق من الثياب ليس كصفيقها في القوّة»؛ **والصحاح** للجوهري، «عرض».

٥ **الصحاح** للجوهري، «عرض».

٦ انظر: **تفسير الرازي**، ٢/١٩٢ (البقرة، ٢/٣١).

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يعني: في زَعمِكم أنّي أستَخْلفُ في الأرض مُفْسدِينَ سفّاكينَ للدِّماء؛ إرادةً للردِّ عليهم، وأنّ فيمَن يستخلفُه ..........

---

غلَبه».[1] وإنّما كان ذلك على سبيل التبكيت؛ لأنّه كان معلومًا بقرينة الحال أنّ المطلوب مِن هذا الفعل ليس وجود الإنباء، لعِلمه[2] تعالى بأنّهم لا يَعلمون، بل أراد أن يُبيِّن عَجْزهم عندهم عن عِلم ما يَرون ويُشاهِدون، فلا يظنُّوا أنّهم أعلَم من الخليفة الذي يجعله الله تعالى في الأرض، وهذا كما إذا قلتَ لمَن يدّعي أمرًا ليس ذلك الأمر في وُسعه: "افعل هذا الأمر"، فإنّه يَمتنِع أن يكون المطلوب بالأمر حصوله في الخارج؛ لعِلمك بأنّه ليس في وُسعه، فيَتوجَّه الأمر إلى إظهار عَجْزه.

قوله: **(أنّي)** مفعول **(زَعْمكم)**. وقوله: **(إرادةً)** مفعول له مِن الاستنباء على سبيل التبكيت. واعترُض قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في لفظ **الكشّاف** لتقدير كون الاستنباء على سبيل التبكيت، هذا على هذا الوجه مذكور في بعض **حواشي الكشّاف**. والأَوْلى أن نقول: ليس قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ اعتراضًا في لفظ **الكشّاف**، بل هو ابتداء شروع في تفسير ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. وقوله:[3] "إرادةً" للردّ مُتعلّق بقول صاحب **الكشّاف**: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، يعني: في زعمكم... إلخ، من حيث المعنى، فكأنّه قال صاحب **الكشّاف**: قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إرادةً للردّ عليهم... إلخ، وإنّما اخترنا هذا الوجه؛ لأنّ الاستنباء وارد على سبيل التبكيت. وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ واردٌ للردّ.

قوله: **(وأنّ)** عطف على "الردّ" على طريقة:

علفتُه تبنًا وماءً باردًا[4]

أي: إرادةً (للردّ)، وبيانًا لـ**(أنّ فيمَن يَستخلفه)**.

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «بكت».

[2] ن: علمه.

[3] ن: وقالوا.

[4] مضى بتخريجه في تفسير سورة البقرة، ٢/٧، بلفظ: «علفتها...»؛ وورد بلفظ «علفته...» عند الكلام على الآية الحادية والعشرين من سورة البقرة.

**من الفوائد العلميّة التي هي أصولُ الفوائد كلِّها ما يَستأهِلون لأَجْله أنْ يُستَخلَفوا.**

**فأراهم بذلك وبيَّنَ لهم بعضَ ما أَجْملَ مِن ذكر المصالح في استخلافهم في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾، ..........................**

---

قوله: **(ما يَستأهِلونَ)** اسم "أنّ". وقوله: **(أن يَستخلِفوا)** مفعول "يَستأهِلون". وقوله: "فيمَن يَستخلفه" خبر "أنّ" و**(مِن الفوائد)** بيان[1] "ما". وقوله: **(فأراهم)** عطفٌ على "استنبأهم" على **الوجه الأوّل**، أي: استنبأهم على سبيل التبكيت / إرادةً للردّ، فأراهم بذلك الاستنباءِ وبيَّن به؛ وأمّا على **الوجه الثاني** الذي ذكرناه فهو عطف على ما قدّرناه، أي: قال ذلك إرادةً للردّ، فأراهم بذلك، أي: فأرى الله تعالى الملائكة بأنّ فيمَن يَستخلِفه الفوائدَ العلميّة بعضَ ما أَجمَل. فقوله: **(بعضَ)** تنازع فيه "أرى" و(بيَّن). و(مِن) بيان **(ما)**. و**(في استخلافهم)** حالٌ مِن **(المصالح)**. وقوله: **(في قوله)** ظرفُ "أجمل". [١٤٣ظ]

قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾: «قال ابن عبّاس رضي الله عنهما:[2] 'تنزيهًا لك وتعظيمًا عن أن يعلَم الغيب أحد سواك'، وقيل: تنزيهًا لك عن الاعتراض عليك في حُكمك».[3] وهو نَصْبٌ على المصدر، جعل "سبحانَ"[4] اسمًا عَلَمًا للتسبيح قائمًا مَقامه، كما قالوا: قرَّب تقريبًا وقُربانًا، وكفَّر تكفيرًا وكفرانًا.[5]

قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، أي: ما غاب عن أهلها، فيكون غيبًا بالإضافة إليها.

---

١ ن - بيان.

٢ د - رضي الله عنهما.

٣ **الوسيط** للواحدي، ١١٧/١ (البقرة، ٣٢/٢)؛ **البسيط** للواحدي، ٣٥١/٢ (البقرة، ٣٢/٢). وبعضه في **جامع البيان** للطبري، (البقرة، ٣٢/٢)؛ و**الكشف والبيان** للثعلبي، ٢١٦/٣ (البقرة، ٣٢/٢).

٤ ن: سبحانك.

٥ انظر لتفصيل هذه المسألة: **كتاب سيبويه**، ٣٢٤/١؛ و**معاني القرآن** للأخفش، ٦٤/١؛ و**جامع البيان** للطبري، ٥٢٨/١ (البقرة، ٣٢/٢)؛ و**معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ١١٠/١؛ و**الكشف والبيان** للثعلبي، ٢١٢/٣ (البقرة، ٣٢/٢)؛ و**الوسيط** للواحدي، ١١٧/١ (البقرة، ٣٢/٢)؛ و**البسيط** للواحدي، ٣٤٤/٢-٣٤٥ (البقرة، ٣٢/٢).

وقولُه: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ استحضارٌ لقوله لهم: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إلّا أنه جاء به على وَجْهٍ أبْسطَ من ذلك وأَشْرَحَ.

وقُرئ: "وعُلِّم آدمُ" على البناء على المفعول.

وقرأ عَبْدُ اللهِ: "عَرَضَهنَّ"، وقرأ أُبَيٌّ: "عَرَضَها"، والمعنى: عَرَضَ مسمَّيَاتهنَّ أو مسمَّياتها؛ لأن العَرْضَ لا يصحُّ في الأسماء.

---

قوله[1] تعالى: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾، أي: ما تُظهرون من قولكم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾؛ و﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، أي: ما أضمر إبليس مِن المعصية.[2] وهذا، أي: الكتمان وإن اختُصّ به إبليس، أضافه إلى الملائكة كلّهم على طريقة العَرب في إضافة فِعل بعض القبيلة إليها.

قوله: **(وقوله)** مبتدأ، وقوله: **(استحضارٌ)** خبره، و**(لقوله)** مُتعلِّق بـ"الاستحضار".[3]

قوله: **(إلّا أنّه)** استثناء مُنقطِع، أي: لكنّه. وقراءةُ "عُلِّمَ" مجهولًا شاذَّة؛[4] وكذا قراءة عبد الله وأُبَيّ.[5] وفيه لفٌّ ونشر، أي: معنى عَرَضهنّ: عرض مُسمَّياتهنّ، أي: مُسمَّيات الأسماء؛ ومعنى عَرَضها: عَرَض مُسمَّياتها، أي: مُسمَّيات الأسماء، بحذف المضاف فيهما؛ لأنّ الضمير في القراءتين عائد إلى الأسماء، فلو لم يُقدِّر المُضاف لصار: عَرَض الأسماء، وعَرْض الأسماء[6] لا يصحّ. والقراءة بقَلْب الهمزة ياءً، وبحذف الياء شاذّة.[7] وإنّما كَسَر الهاء فيهما كما في "بِهِم" و"فِيهِم".

---

١ ش: وقوله.

٢ انظر: **الوسيط** للواحدي، ١/١١٨-١١٩ (البقرة، ٣٣/٢)؛ وبعضه في **جامع البيان** للطبري، ١/٥٣١ (البقرة، ٣٣/٢).

٣ ن: الإحضار.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ والحسن ويزيد البربري. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٢؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٥٧؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٠٠.

٥ **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٢؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٥٧؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٠٠.

٦ ن - وعَرْض الأسماء.

٧ قراءتان شاذّتان: الأولى مرويّة عن ابن أبي عبلة، وأبي يعقوب الأفطس عن ابن كثير؛ والثانية مرويّة عن الحسن وسليمان بن الحسن. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٢؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٠٣-٤٠٤.

﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

وقرئ: "أَنْبِيهِم" بقلب الهمزة ياءً، و"أَنْبِهِم" بحذفها، والهاءُ مكسورةٌ فيهما.

السجودُ لله تعالى على سبيل العبادة، ..............

---

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

قال الإمام: «هذا هو النعمة الرابعة مِن النِّعم العامَّة على جميع البشر، وهو أنّه تعالى جَعَل أبانا مَسجُود الملائكة».[١] وقال:

> الأمر بالسُّجود حصَل قبل أن يُسوِّي الله تعالى خِلْقة آدم عليه السلام؛[٢] بدليل قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ۞ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص ٣٨/٧١-٧٢]. وظاهره يدلُّ على أنّه عليه السلام كما صار حيًّا صار مَسجودًا للملائكة؛ لأنّ الفاء في قوله: ﴿فَقَعُواْ﴾ للتعقيب، وعلى هذا التقدير يكون تعليم الأسماء ومُناظرته مع الملائكة في ذلك حصَل بعد أن صار مَسجودَ[٣] الملائكة.[٤]

قال الواحديُّ: «اختلفوا في الملائكة الذين أُمِروا بالسجود لآدم، مَن هم؟ فقال بعضهم: هم الذين كانوا مع إبليس في الأرض. وقال آخرون: هم جميع الملائكة حتّى جبرئيل وميكائيل؛ لأنّه قال: ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ﴾ [ص ٣٨/٧٣]، وفي هذا تأكيد للعموم».[٥]

قوله: **(السُّجود لله)** مبتدأ، وقوله: **(على سبيل العبادة)** خبره. «السُّجود في اللغة: الخضوع والتذلُّل، فكل مَن ذلَّ وخضع لِمَا أُمِر به فقد سجد،

---

١ **تفسير الرازي**، ٢/٢٣٠ (البقرة، ٢/٣٤).
٢ د ش - عليه السلام.
٣ ن: مسجودًا.
٤ ن: للملائكة. | انظر: **تفسير الرازي**، ٢/٢٣٠ (البقرة، ٢/٣٤).
٥ **الوسيط** للواحدي، ١/١١٩ (البقرة، ٢/٣٤)؛ **البسيط** للواحدي، ٢/٣٦١-٣٦٢ (البقرة، ٢/٣٤).

ولغيره على وجه التَّكرمة كما سجدتِ الملائكةُ لآدمَ وأبَوَا يوسُفَ وإخوتُه له، ويجوز أن تختلفَ الأحوال والأوقات فيه.

وقرأ أبو جعفر: ﴿للملائكةُ اسجُدوا﴾ بضم التاء للإتباع، ولا يجوز استهلاكُ الحركة الإعرابيَّةِ بحركة الإتباعِ إلا في لغةٍ ضعيفة؛ كقولهم: الحمدِ لله.

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ استثناءٌ متصلٌ؛ لأنَّه كان جنِّيًا واحدًا بين أظهُرِ الألوفِ من الملائكة مغمورًا بهم، فغُلِّبوا عليه في قوله: ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾، ثم استُثْنِيَ منهم استثناءَ واحدٍ منهم، ويجوز أن يُجعل منقطعًا.

---

وسجود كلّ موات في القرآن طاعته لِمَا سُخِّر له».[١] وفي الشرع: عبارة عن وضع الجبهة على الأرض.

قوله: (وقرأ أبو جعفر) بضمّ تاء "الملائكة"، وهي شاذَّة.[٢] وردّه المُصنِّف بأنّه لا يجوز إبطال الحركة الإعرابيّة، وهي حركة التاء فيما نحن فيه بالإتباع.

قوله: (﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾) اختلفوا في أنّ إبليس هل كان مِن الملائكة؟ قال أكثر المُتكلِّمين ولا سيّما المعتزلة: إنّه لم يكن منهم، وقال أكثر الفقهاء: إنّه كان منهم.[٣] واختار المُصنِّف الأوّل، وقال: يجوز أن يكون الاستثناء مُتَّصلًا؛ لأنّه كان مغمورًا فيهم،[٤] فغلَّبهم الله تعالى[٥] عليه فسمَّى الجميع ملائكة، لذلك فاستثناؤه منهم يكون مُتَّصلًا.[٦]

/ «وقال مجاهد وطاوس عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما:[٧] "كان إبليس قبل أن يرتكب[٨] المعصية ملَكًا من الملائكة اسمه عزازيل، وكان مِن سكّان [١٤٤و]
الأرض، وكان سكّان الأرض مِن الملائكة يُسمَّون الجنّ، ولم يكن مِن الملائكة

---

١ **الوسيط** للواحدي، ١/١١٩ (البقرة، ٢/٣٤).

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي جعفر والأعمش ويزيد. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٥٨؛ **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٤٠٤.

٣ انظر: **تفسير الرازي**، ٢/٢٣٢ (البقرة، ٢/٣٤).

٤ ن - واختار المُصنِّف الأوّل، وقال: يجوز أن يكون الاستثناء مُتَّصلًا؛ لأنّه كان مغمورًا فيهم.

٥ ش - تعالى.

٦ ن: منفصلًا.

٧ د ش - رضي الله تعالى عنهما.

٨ ن: يركب.

﴿أَبَىٰ﴾: امتنع ممّا أُمِرُوا به ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ عنه ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: من جنس كفرةِ الجنّ وشياطينهم، فلذلك أبى واستكبر؛ كقوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف ١٨/٥٠].

---

أشدُّ اجتهادًا ولا أكثر[1] عِلْمًا منه، فلمّا تكبّر على الله تعالى وأبى السُّجود لآدم وعصاه لعنه وجعله شيطانًا وسمّاه إبليس[4]. وهذا قول ابن مسعود وابن جُريج وقَتادة وأكثر المُفسّرين».[2]

فعلى هذا الاستثناء مُتّصل. قال الواحديُّ:

> أكثر أهل اللغة والتفسير قالوا: سُمّي إبليس بهذا الاسم؛ لأنّه أَبْلَس[3] من رحمة الله تعالى، أي: يئِس، والمُبلِس: الآيس الحزين؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام ٦/٤٤]. وقال ابن الأنباريّ: لا يجوز أن يكون مُشتقًّا مِن أَبلَس؛[4] لأنّه لو كان كذلك لانصرف ونُوّن، كما يُنوَّن "إكليل" وهو: التاج، و"إحليل" وهو ثَقْب: الذَّكَر، و"إجفيل"[5] وهو: الجبان، وتَرْك تنوينه في القرآن يدلُّ على أنّه أعجميٌّ مُعرَّب معرفة، والأعجميّ لا يُعرَف له اشتقاق.[6]

قوله: (أبى) أي: امتنع، والإباء بالكسر والمَدّ مصدره، أي: امتنع من السُّجود لآدم عليه السلام. و«"الاستكبار": الأنفة ممّا لا ينبغي أن يُؤنَف منه، وحقيقته أن يَطلُب الكِبْر من نفسه».[7] قال الإمام:

> لمّا استثنى إبليس مِن الساجدين كان يجوز أن يُظنّ أنّه كان معذورًا في تَرْك السُّجود، فبيّن تعالى أنّه لم يسجُد مع القدرة وزوال العُذر بقوله تعالى:[8] ﴿أَبَىٰ﴾؛ لأنّ الإباء هو: الامتناع مع الاختيار، أمّا مَن لم يكن قادرًا على الفعل فلا يقال له: إنّه أبى. ثمّ قد كان يجوز أن يكون كذلك،

---

[1] د: وأكثر.

[2] الوسيط للواحدي، ١/١٢٠ (البقرة، ٢/٣٤). وانظر: جامع البيان للطبري، ١/٥٣٦-٥٣٨ (البقرة، ٢/٣٤)؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ١/٨٦ (البقرة، ٢/٣٤)؛ والبسيط للواحدي، ٢/٣٧١ (البقرة، ٢/٣٤).

[3] ن: لبس.

[4] ن: إبليس.

[5] ن: إخفيل.

[6] انظر: الوسيط للواحدي، ١/١٢٠ (البقرة، ٢/٣٤)؛ والبسيط للواحدي، ٢/٣٦٨-٣٧٠ (البقرة، ٢/٣٤).

[7] الوسيط للواحدي، ١/١٢٠ (البقرة، ٢/٣٤)؛ البسيط للواحدي، ٢/٣٧٥ (البقرة، ٢/٣٤).

[8] ن - تعالى.

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾

السُّكنَى من السكون؛ لأنها نوعٌ من اللُّبْث والاستقرار.

و﴿أَنتَ﴾ تأكيدٌ للمستكنِ في ﴿ٱسْكُنْ﴾ ليصحَّ العطفُ عليه، ............

---

ولم ينضمّ إليه الكِبْر، فبيَّن تعالى أنّ ذلك الإباء كان على وَجْه الكِبر بقوله تعالى:[١] ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾، ثمّ كان يجوز أن يُوجَد الإباء والاستكبار مع عدم الكفر، فبيّن تعالى أنّه كفَر بقوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.[٢]

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

قوله تعالى:[٣] ﴿ٱسْكُنْ﴾، أي: «اتَّخِذها مأوًى ومَسكنًا، وليس معناه استقِرَّ في مكانك ولا تتحرَّك».[٤] يقال: سكنتُ داري وأسكنتُها غيري، والاسم السُّكنى كما أنّ العُتبى اسم من الإعتاب والبُقيا من الإبقاء. وإلى هذا المعنى أشار المُصنِّف بقوله: (**والسُّكنى**[٥] **مِن السكون؛ لأنها**)، أي: لأنّ السُّكنى نوع من اللُّبث والاستقرار. قال المُطرِّزي في **المُغرِب**: السُّكنى: مصدر سكَن الدارَ وفيها إذا أقام، أو اسم بمعنى الإسكان، كالرُّقبى بمعنى[٦] الإرقاب،[٧] وهي في قولهم: "داري لك سُكنى" في محلّ النصب على الحال على معنى: مُسْكَنة أو مَسكُونة.[٨]

قوله: (**ليَصحَّ العطف عليه**)، أي: ليَصحَّ عطف ﴿زَوْجُكَ﴾ على الضمير المُستكِنّ. فإن قيل: لا يصحُّ هذا العطف؛ إذ يصير التقدير: اسكن زوجُك،

---

١ د ش – تعالى.

٢ **تفسير الرازي**، ٢٥٥/٢ (البقرة، ٣٤/٢).

٣ ن – قوله تعالى.

٤ **الوسيط** للواحدي، ١٢١/١ (البقرة، ٣٤/٢)؛ **البسيط** للواحدي، ٣٧٦/٢-٣٧٧ (البقرة، ٣٥/٢).

٥ ن – كما أنّ العُتبى اسم من الإعتاب والبُقيا من الإبقاء. وإلى هذا المعنى أشار المُصنّف بقوله: **السُّكنى**.

٦ ن – السُّكنى: مصدر سكَن الدارَ وفيها إذا أقام، أو اسم بمعنى الإسكان، كالرُّقبى بمعنى.

٧ ن: الإرتاب.

٨ انظر: **المُغرِب** للمُطرِّزي، «سكن».

و﴿رَغَدًا﴾ وصفٌ للمصدر؛ أي: أكلًا رغدًا واسِعًا رافِهًا.

و﴿حَيْثُ﴾ للمكان المبهَم؛ أي: أيَّ مكانٍ من الجنَّة ﴿فَسَجَدُوا﴾ أطلق لهما الأكلَ من الجنَّة على وجه التَّوسعة البالغة المُزيحةِ للعلَّة حينَ لم يُحظر عليهما بعضُ الأكلِ ولا بعضُ المواضع الجامعةِ للمأكولات من الجنَّة، حتَّى لا يبقى لهما عذرٌ في التناول من شجرةٍ واحدةٍ من بينِ أشجارها الفائتة للحصر، وكانت الشجرةُ -فيما قيل-: الحنطةَ أو الكَرْمَةَ أو التِّينةَ.

---

وهو غير جائز؛ إذ لا يُؤمَر الغائب بلفظ الحاضر؛ قلنا: قد اندرج الغائب في حُكم الحاضر قضيةً للعطف فينسحِب عليه حُكمه، ألا تَراك لا تقول: "جاءت زيد" كما تقول: "جاءت هند وزيد"، وما ذاك[1] إلّا لاندراج الثاني في حُكم التأنيث لمُقتضى العطف.[2]

قوله: (وَصْف للمصدر) أي: لمصدر ﴿كُلَا﴾، والموصوف محذوف. و"الرَّغَد": سَعة العيش.[3] «قال اللَّيث: الرَّغد أن يأكل ما شاء إذا شاء حيثُ شاء».[4] وقال ابن عبّاس رضي الله عنه:[5] «هنيئًا».[6] وقال مُجاهِد: «حلالًا لا حِساب فيه».[7] وقال الزَّجّاج: هو الكثير الذي لا يُعنِّيك طلبه.[8] / والضمير[9] مِن ﴿مِنْهَا﴾ يعود إلى الجنَّة. وفي "حيثُ" أربع لغات: حَيثُ وحَوْث، بالفتح والضمّ فيهما.[10] [١٤٤ظ]

قوله: (المُزيحة) أي: المُبعِدة.

قوله: (حينَ) ظرفٌ لقوله: (أُطلِقَ). (لم يُحظَر) أي: لم يُحرَّم.

قوله: (حتّى لا يبقى) مُتعلِّق بقوله: "لم يُحظَر".

---

[1] ن: ذلك.

[2] ش: للعطف.

[3] انظر: **الوسيط** للواحدي، ١٢١/١ (البقرة، ٣٥/٢)؛ و**البسيط** للواحدي، ٣٧٨/٢-٣٧٩ (البقرة، ٣٥/٢).

[4] **الوسيط** للواحدي، ١٢١/١ (البقرة، ٣٥/٢)؛ **البسيط** للواحدي، ٣٧٩/٢ (البقرة، ٣٥/٢).

[5] د ش - رضي الله عنه.

[6] **جامع البيان** للطبري، ٥٥٠/١ (البقرة، ٣٥/٢).

[7] **جامع البيان** للطبري، ٥٥٠/١ (البقرة، ٣٥/٢)؛ تفسير ابن أبي حاتم، ٨٦/١ (البقرة، ٣٥/٢). وفيهما بلفظ «لا حساب عليهم».

[8] انظر: **معاني القرآن وإعرابه** للزّجّاج، ١١٤/١.

[9] ن + والضمير.

[10] انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٥٨؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «حيث».

وقرئ: "ولا تِقْرَبَا" بكسر التاء، و: "هذي"، و: "الشِّجَرَة" بكسر الشين.

و: "الشِّيَرَة" بكسر الشين والياء، وعن أبي عمرو أنه كَرِهَهَا وقال: يَقرأ بها بَرَابِرُ مكّة وسُودانُها.

﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله.

﴿فَتَكُونَا﴾ جزمٌ عطفٌ على ﴿تَقْرَبَا﴾ أو نصبٌ جوابٌ للنهي.

---

قوله: (بكسر التاء) هذه القراءة شاذّة.[1] وبَرابِر مكّة: قوم مِن المَغاربة يَعدُون[2] مكّة للتجارة. يريد أبو عمرو بهذا القول:[3] أنّها غير[4] لغة فصيحة، فلا يكون القرآن مُنزَّلًا[5] بها؛ لأنّ القرآن نزل بلغة فصيحة.

قوله: (مِن الذين ظلموا)، أي: مِن الذين ضرُّوا أنفسهم؛[6] قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [البقرة ٥٧/٢]، أي: وما ضرُّونا[7] ولكن كانوا أنفسهم يضرُّون. وقيل: مِن «الذين وضعوا أَمْر الله في غير موضعه. وأصل الظُّلْم: وَضْع الشيء في غير موضعه».[8] ومن أمثالهم "مَن أَشبَه أباه فما ظلَم"،[9] أي: ما وَضَع الشَّبَه في غير موضعه. وقيل: من[10] الناقصين[11] حُظوظهم من الخير،[12] بالخروج من دار البقاء والهبوط إلى دار البلاء. والظلم: النقص؛ قال تعالى: ﴿ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [الكهف ٣٣/١٨]، أي: لم تنقُص.

فإن قيل: قال تعالى ههنا: ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا﴾، وقال في "الأعراف": ﴿فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ [الأعراف ١٩/٧]، فما الحكمة في أن عطف قوله: ﴿كُلَا﴾ على قوله:

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن إبراهيم النخَعي ويحيى بن وثّاب. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٢؛ **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٤٠٤.

٢ في هامش ش د: ظ [اختصارًا من الظاهر]: يقصِدون.

٣ انظر قول أبي عمرو في **المُحتسَب** لابن جنّي، ٧٣/١.

٤ ن – غير.

٥ ن: منزلها.

٦ انظر: **تأويلات القرآن** للماتريدي، ٩١/١ (البقرة، ٣٥/٢)؛ و**تفسير الكواشي**، ص ٢٢٧ (البقرة، ٣٥/٢).

٧ ن: ضروا.

٨ **الوسيط** للواحدي، ١٢٢/١ (البقرة، ٣٥/٢). وانظر: **البسيط** للواحدي، ٣٨٨/٢ (البقرة، ٣٥/٢).

٩ **جمهرة الأمثال** للعسكري، ٢٤٤/٢؛ **البسيط** للواحدي، ٣٨٥/٢ (البقرة، ٣٥/٢)؛ **المُستقصى** للزمخشري، ٣٥٢/٢؛ **مَجمَع الأمثال** للميداني، ٣٠٠/٢.

١٠ ن – من.

١١ ن: الناقص.

١٢ انظر: **البسيط** للواحدي، ٣٨٩/٢ (البقرة، ٣٥/٢).

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦﴾

الضميرُ في ﴿عَنْهَا﴾ للشجرة؛ أي: فحملهما الشيطانُ على الزلّة بسببها، وتحقيقُه: فأصْدَرَ الشيطانُ زلّتهما عنها، و"عن" هذه مثلُها في قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف ١٨/٨٢] وقولِه:

---

﴿ٱسْكُنْ﴾ ههنا بالواو، وفي "الأعراف" بالفاء؟ قلنا: إذا وُجد السببيّة[١] يُعطَف بالفاء، وإلّا فبالواو، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة ٢/٥٨]، عطف بالفاء لكون الأكل منها[٢] مُتعلِّقًا بدخولها، فكأنّه قال: إن دخلتُموها أكلتُم منها. وقال في "الأعراف" في مثل هذه الآية ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ [الأعراف ٧/١٦١]، فعطف بالواو؛ لأنّ ﴿ٱسْكُنُوا۟﴾ مِن السُّكنى وهي: المقام مع طُول اللَّبث، والأكل لا يختصُّ وجوده بوجوده؛ لأنّ مَن دخل بستانًا فقد يأكل منه وإن كان مُجتازًا. إذا ثبت هذا فنقول: يقال: "اسكُنْ" لمَن دخل مكانًا، فيُراد إلزام المكان الذي دخله وإلّا ينتقِل عنه، ويقال أيضًا لمَن لم يدخُله: اسكن هذا المكان، يعني: ادخُله واسكُن فيه. ففي "سورة البقرة" هذا الأمر إنّما ورد بعد أن كان آدم عليه السلام في الجنّة، فكان المراد منه اللّبث والاستقرار، وقد بيّنا أنّ الأكل لا يتعلّق به، فورد بلفظ الواو؛ وفي "الأعراف" ورد الأمر قبل دخول الجنّة، وكان[٣] المراد منه دخول الجنّة، والأكل مُتعلِّق به فورد بلفظ الفاء، والله أعلم.[٤]

قوله: (**الضمير في ﴿عَنْهَا﴾ للشجرة**)، وعلى هذا معنى "أزلّهما": حَمَلهما على (**الزَّلّة**)، أي: الخطأ.

قوله: (**بسببها**)، أي: بسبب الشجرة. قال الشاعر:

---

[١] ن: الشبيه.

[٢] ن: هنا.

[٣] ن: فكان.

[٤] من قوله: "فإن قيل: قال تعالى" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٣/٤-٥ (البقرة، ٢/٣٥).

يَـنْـتَـهَـونَ عـن أكـلٍ وعـن شـربِ

وقيل: فأزلَّهما عن الجنة، بمعنى: أذهبَهما عنها وأبعدهما؛ كما تقول: زلَّ عن مرتبته، وزلَّ عني ذاك: إذا ذَهَبَ عنك، وزلَّ عن الشهر كذا.

وقُرئ: ﴿فأَزالَهما﴾.

﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم والكرامة، أو: من الجنَّة إن كان الضميرُ للشجرة في ﴿عَنْهَا﴾.

---

يَـمـشـون دُسْـمًـا حـول قُـبَّـتـهِ (يَنهَـون عـن أَكْل وعـن شُـرْبِ)[١]

أي: يبلغون نهاية السِّمَن بسبب الأكل والشرب.[٢] وقال المُصنِّف في "سورة الذاريات": «حقيقتُه: يصدُر تناهيهم في السِّمَن عنهما».[٣]

قوله: (وقيل) عطف من حيث المعنى على قوله: "الضمير في ﴿عَنْهَا﴾"... إلخ، فكأنّه قال: أو الضمير للجنَّة. و"أزلَّ"، بمعنى: أذهَب.

قوله: (وقُرئ "فأَزالَهُما")[٤] يعني: مكان ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾. قرأ حمزة بألف مُخفَّفًا،[٥] والباقون بغير ألف مُشدَّدًا.[٦] وما وقع في بعض **الحواشي** أنّه قرأ: "فأزالَهما" مكان ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ خبطٌ نشأ مِن خَبْط آخر، وهو أنّه ظنَّ أنّ قول المُصنِّف: (ممّا كانا[٧] تتمّة) لقوله:[٨] "فأزالهما".[٩] وليس كذلك؛ بل هو ابتداء شُروع في تفسير قوله تعالى: ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾.

قوله: (إن كان الضمير) مُتعلِّق بقوله: (أو من الجنَّة).

---

١ ما عرفت قائله. وهو بلا نسبة في **المعاني الكبير** لابن قتيبة، ٣٨٢/٢؛ **والزاهر** لابن الأنباري، ١٧/٢؛ **ولسان العرب** لابن منظور، «نهي».

٢ قال ابن قتيبة في معنى البيت: «يبلغون غاية الشِّبَع؛ فيَعجِزون عن الحركة، فهم ينهَون غيرهم عن مِثل ما نزل بهم». **المعاني الكبير**، ٣٨٢/٢.

٣ **الكشّاف** للزمخشري، (الذاريات، ٩/٥١).

٤ ن: فأزلهما.

٥ ن: محققًا.

٦ السبعة لابن مجاهد، ص ١٥٣؛ **التيسير** للداني، ص ٢٧٨؛ النشر لابن الجزري، ٢١١/٢. واللفظ لصاحب **التيسير** باختلاف يسير جدًّا.

٧ ن + مِن.

٨ ن: قوله.

٩ ن: فأزلَّهما.

وقرأ عبدُ الله: "فوَسْوَسَ لهما الشيطانُ عنها"، وهذا دليلٌ على أن الضميرَ للشجرة؛ لأن المعنى: صدَرَتْ وسوستُه عنها.

فإن قلتَ: كيف توصَّل إلى إزْلالهما ووسوستُه لهما بعد ما قيل له: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر ١٥/٣٤]؟

قلتُ: يجوز أن يُمنعَ دخولَها على جهةِ التقريبِ والتَّكرمة كدخول الملائكة، ولا يُمنعَ أن يدخل على جهةِ الوسوسةِ ابتلاءً لآدمَ وحوَّاءَ.

وقيل: كان يدنو من السَّماء فيكلِّمُهما.

وقيل: قَامَ عند الباب فنادَى.

ورُوي: أنه أراد الدخول فمنعَتْه الخزنَةُ، فدخَل في فم الحيَّة حتّى دخلَتْ به وهم لا يَشعرون.

قيل: ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ خطابٌ لآدم وحوَّاء وإبليس، وقيل: والحيَّة، والصحيحُ أنه لآدم وحوَّاء والمرادُ هما وذريَّتُهما؛ لأنهما لمَّا كانا أصْلَي الإنْس ومُتَشعَّبَهم جُعِلا كأنهما الإنسُ كلُّهم، والدليلُ عليه قوله: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه ٢٠/١٢٣] ويدلُّ على ذلك قولُه: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝﴾

---

قوله: (وقرأ عبد الله: "فوَسَوس") هذه قراءة شاذّة.[١]

قوله: (وهذا دليل على أنّ الضمير للشجرة) إذ لا يصحّ أن يقال: صدرتَ وسوستُه عن الجنّة.

[١٤٥و] / قوله:[٢] (كان يدنو من السماء) إلى قوله: (فنادى). قيل: هذا بعيد؛ لأنّ الوسوسة: كلامٌ خفيٌّ، فلا يكون بهذا الوجه.[٣]

قوله: (حتّى دخلَت) أي: الحيَّة[٤] (به)، أي: بإبليس، و(هم) أي: الخَزَنة.

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش وابن مسعود. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٢؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٥٧؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٠٥-٤٠٦.

[٢] ن: قيل.

[٣] نقل الرازي هذا الردّ عن بعضهم. انظر: **تفسير الرازي**، ١٦/٣ (البقرة، ٣٦/٢).

[٤] ن: الجنّة.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة ٢/٣٨-٣٩] وما هو إلّا حكم يعمُّ الناسَ كلَّهم.

ومعنى ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾: ما عليه الناس من التَّعادِي والتَّباغي وتضليلِ بعضِهم لبعضٍ.

والهبوطُ: النزول إلى الأرض.

﴿مُسۡتَقَرّٞ﴾: موضعُ استقرارٍ، أو: استقرارٌ.

﴿وَمَتَٰعٌ﴾: وتمَتُّعٌ بالعيش ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ يريد: إلى يوم القيامة، وقيل: إلى الموت.

---

قوله: (**ومعنى ﴿بَعۡضُكُمۡ﴾**)... إلخ، يعني على هذا الوجه الأخير.

قوله: (**﴿مُسۡتَقَرّٞ﴾**)[١] قد يكون بمعنى: الاستقرار، كقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ﴾ [القيامة ٧٥/١٢]، وقد يكون بمعنى: المكان الذي يُستقَرُّ فيه، كقوله: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا﴾ [الفرقان ٢٥/٢٤]. «إذا عرفتَ هذا فنقول: الأكثرون حمَلوا قوله: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ﴾ على المكان، والمعنى: أنّها مُستقرُّكم حالتَي الحياة والموت».[٢]

قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۞ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

قال القَفّال: أصل التلقّي: التعرُّض للقاء، ثُمَّ يُوضَع موضع الاستقبال للشيء الجائي، يقال: تلقّينا الحاجَّ، أي: استقبلناهم.[٣] ومنه "نَهْيُ تلقّي الرُّكبان".[٤]

---

[١] ن + المستقرّ.

[٢] **تفسير الرازي**، ١٨/٣ (البقرة، ٣٦/٢). وانظر لهذا المعنى: **جامع البيان للطبري**، ٥٧٦/١ (البقرة، ٣٦/٢)؛ **والكشف والبيان للثعلبي**، ٢٤٢/٣ (البقرة، ٣٦/٢)؛ **والوسيط للواحدي**، ١٢٤/١ (البقرة، ٣٦/٢)؛ **والبسيط للواحدي**، ٣٩٨/٢ (البقرة، ٣٦/٢).

[٣] انظر: **البسيط للواحدي**، ٤٠١/٢ (البقرة، ٣٧/٢).

[٤] **صحيح البخاري**، ٧٢/٣ (٢١٥٨)؛ **صحيح مسلم**، ٧٠٨/٢ (١٥١٥). وانظر الحديث وشرح معناه في **تهذيب اللغة للأزهري**، «لقي»، ٢٩٩/٩؛ **والبسيط للواحدي**، ٤٠١/٢ (البقرة، ٣٧/٢).

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾

معنى تلقِّي الكلمات: استقبالُها بالأخذ والقبول، والعملُ بها حين عُلِّمَها. وقرئ بنصبِ ﴿آدمَ﴾ ورفعِ الكلمات على أنها استقبلَتْه بأنْ بلَغَتْه واتَّصلَتْ به. فإن قلتَ: ما هنَّ؟

قلتُ: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ الآية، وعن ابن مسعود رضي الله عنه:

---

ثمّ يُوضَع موضع القَبول والأخذ، يقال: تلقَّيت هذه الكلمة من فلان، أي: أخذتُها منه، ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل ٦/٢٧]، أي: تُلقَّنُه.[١]

«ومنه الحديث: 'أنّ رسول الله عليه السلام كان يتلقّى الوحي من جبرئيل[٢] عليه السلام'،[٣] أي: يتقبّله[٤] ويأخذه. قال الأصمعيّ: تلقَّت الرَّحِم ماء الفحل إذا قبِلته».[٥] فقوله: (استقبالُها)، أي: استقبال الكلمات، و(حين) ظرف استقبالها، أي: معنى تلقّى آدم الكلمات: استقبال آدم تلك الكلمات بأَخْذها وقَبولها حين علَّم الله تعالى آدم تلك الكلمات. قال الواحديّ: معنى تلقّى آدم الكلمات: هو أنّ الله تعالى ألهَم آدم حتّى اعترف بذنبه، وقال تلك الكلمات.[٦]

قوله: (قُرئ بنصب "آدم" ورفع "الكلمات") هذه قراءة ابن كثير، وقرأ الباقون برفع ﴿ءَادَمُ﴾ ونصب "الكلمات".[٧]

قوله: (ما هنَّ؟)، أي:[٨] تلك الكلمات قولُه:[٩] (﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَا﴾)... إلخ. «سُئِل بعض سلف المسلمين عمّا يقول المُذنِب؟ فقال: يقول ما قاله أبوه:

---

١ من قوله: "قال القفّال" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ١٨/٣ (البقرة، ٣٧/٢).

٢ ن: جبريل.

٣ ش - عليه السلام. | مسند أحمد، ٤١/٣٥-٤٢ (٢١١١٢)، بلفظ: «أنّ أبيًّا قال لعمر: يا أمير المؤمنين، إنّي تلقيتُ القرآن ممّن تلقاه -وقال عفّان- ممّن يتلقّاه، من جبريل وهو رَطْبٌ»؛ المُستدرَك للحاكم، ١٢/٤-١٣ (٢٩٣٠).

٤ ن: يتقلّبه.

٥ الوسيط للواحدي، ١٢٤/١ (البقرة، ٣٧/٢)؛ البسيط للواحدي، ٤٠٢/٢-٤٠٣ (البقرة، ٣٧/٢). وقول الأصمعيّ في تهذيب اللغة للأزهري، «لقي»، ٣٠١/٩.

٦ انظر: الوسيط للواحدي، ١٢٤/١ (البقرة، ٣٧/٢)؛ والبسيط للواحدي، ٤٠٧/٢ (البقرة، ٣٧/٢).

٧ السبعة لابن مجاهد، ص ١٥٣؛ التيسير للداني، ص ٢٧٨؛ النشر لابن الجزري، ٢١١/٢.

٨ ن + ما.

٩ ن - قوله.

إنَّ أحبَّ الكلامِ إلى الله تعالى ما قاله أبونا حينَ اقترف الخطيئة: سبحانك اللّٰهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدُّك، لا إله إلا أنت ظلَمتُ نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوبَ إلّا أنت.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يا ربِّ ألم تَخلُقْني بيدك؟ قال: بلى، قال: يا ربِّ ألم تَنْفُخْ فيَّ الروح من روحك؟ قال: بلى، قال: يا ربِّ ألم تَسْبِقْ رحمتُك غَضبَك؟ قال: بلى، قال: يا ربِّ ألم تُسْكِنِّي جنَّتك؟ قال: بلى، قال: يا ربِّ إن تبتُ وأصْلحتُ أراجِعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم.

---

﴿ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف ٢٣/٧]، وما قاله موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ [القصص ١٦/٢٨]، وما قاله يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء ٨٧/٢١]، وما قالته المَلِكة: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل ٤٤/٢٧]».[١]

والتنوين في ﴿كَلِمَٰتٍ﴾ للتعظيم، كأنّه قيل: كلمات وأيَّة كلمات.

قوله: («**أَراجعي**») بتخفيف الياء،[٢] وهو اسم فاعل مُضاف إلى المفعول، فاعله مستتر فيه. وفي بعض النُّسخ بتشديد الياء،[٣] وهو مُشكِل إلّا أنْ يُجعَل[٤] مضافًا، وهو مُستبعَد؛ لأنّ («**أنت**») مبتدأ، و"أراجعي" خبره، و(«**إلى**») مُتعلِّق بـ"أراجعي"،[٥] ولا بأس بتخلُّل المبتدأ بين العامل ومعموله، فإنّ قولك: "زيدًا عمرٌو ضاربٌ" جائز، فقد عَمِل الخبر فيما قبل المبتدأ، فهذا أجدر، ومثله قوله تعالى:[٦] ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى﴾ [مريم ٤٦/١٩]، ومَن ظنَّ خلاف هذا فقد سها.[٧]

---

١ **البسيط** للواحدي، ٤٠٩/٢ (البقرة، ٣٧/٢).

٢ قال الطِّيبي: «صحَّ من نسخة المصنِّف بالتخفيف». **فتوح الغيب** للطِّيبي، ٤٤٧/٢.

٣ قال الطِّيبي: «ومن نسخة زين المشايخ بالتشديد، وهو السماع». **فتوح الغيب** للطِّيبي، ٤٤٧/٢.

٤ ن + جمعًا.

٥ **الحديث في جامع البيان** للطبري، ٥٨٠/١ (البقرة، ٣٧/٢)؛ **وتفسير ابن أبي حاتم**، ٩٠/١-٩١ (البقرة، ٣٧/٢)؛ **والمُستدرَك** للحاكم، ٩/٥ (٤٠٥٠)؛ **والكشف والبيان** للثعلبي، ٢٤٤/٣-٢٤٥ (البقرة، ٣٧/٢). وانظر لتخريجه: **تخريج أحاديث الكشّاف** للزَّيلَعي، ٦٠/١.

٦ د ن - تعالى

٧ قال الطِّيبي في رواية التشديد: «وتوجيهه مُشكل، إلّا أن يُجعل جمعًا، وهو مستبعد أيضًا». **فتوح الغيب** للطِّيبي، ٤٤٧/٢.

واكتفى بذكرِ توبةِ آدم عليه السلام دون توبةِ حوَّاء لأنَّها كانت تبَعًا له؛ كما طُوِيَ ذكرُ النساء في أكثر القرآن والسُّنَّةِ لذلك، وقد ذكرها في قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف ٧/٢٣].

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: فرجع عليه بالرحمة والقبول.

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾

**فإن قلتَ**: لم كرّر ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾؟

**قلتُ**: للتأكيد، ولِما نِيط به مِن زيادة قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾.

---

قوله: (**واكتفى**)، أي: اكتفى الله تعالى، يعني: ذكَر الله تعالى[1] توبة آدم في هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾، ولم يذكر توبة حوّاء.

قوله: (**لذلك**)[2] لكون النساء تابعة.

قوله تعالى: (﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾) عطف على قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ﴾، فكأنّه قيل: فتاب آدم فتاب الله تعالى[3] عليه. التوبة في اللغة: الرجوع، وفي الشريعة: رجوعُ العبد مِن المعصية إلى الطاعة. وإنّما لم يُعطَف قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ لأنّه جواب سائل سأل فقال: لِمَ قَبِل توبته؟ فقيل: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ فلذا قَبِل توبته. والمراد بقَبول التوبة أنّه تعالى يغفِر ذنوبه[4] بسبب التوبة.

قوله: (**للتأكيد**)، أي: كرَّر ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ للتأكيد. / وإنّما عُلّق بقوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ ثانيًا، فالضمير المستتر في (نيط) عائد إلى (ما)، والضمير المجرور إلى ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾، و(من) بيان "ما". [١٤٥ظ]

---

١ ن – يعني: ذكَر الله تعالى.

٢ ن: كذلك.

٣ ن ش – تعالى.

٤ ن: ذنبه.

**فإن قلتَ:** ما جوابُ الشرط الأول؟

**قلتُ:** الشرطُ الثاني مع جوابه؛ كقولك: إنْ جئتَني فإنْ قدرْتُ أحسنتُ إليك، والمعنى: فإمَّا يأتينَّكم منِّي هدًى برسولٍ أبْعَثُه إليكم وكتابٍ أُنزله عليكم، بدليلِ قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ في مقابَلةِ قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾.

**فإن قلتَ:** فلمَ جيءَ بكلمةِ الشَّك، وإتيانُ الهُدى كائن لا محالةَ؛ لوجوبه؟

---

قوله: **(الشرط الثاني)**، أي: الشرط الثاني، وهو قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ **(مع جوابه)** وهو قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾... إلخ **(جواب الشرط الأوّل)**، وهو قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾.

قوله: **(والمعنى)** اعلم[١] أنّهم اختلفوا في "الهُدى" على وجهين: رُوِيَ عن أبي العالية أنّ المراد من «الهُدى: الأنبياء والكتب».[٢] واختاره المُصنِّف، وقال: يدلُّ عليه قوله تعالى في مُقابلته: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾، فإنّ الكفر والتكذيب إنّما يكون بالكتب والرُّسل. وفيه تنبيه على نعمته تعالى على آدم وحوّاء، فكأنّه قال: وإن أهبطتُكم مِن الجنَّة إلى الأرض فقد أنعمتُ عليكم بما يُؤدِّيكم مرَّة أخرى إلى الجنَّة مع الدوام الذي لا ينقطع. وقيل: المراد منه: كلّ دلالة وبيان، فيدخل فيه دليل العقل، وكلّ كلام ينزِل على نبيّ.[٣]

قوله: **(فلِمَ جيء بكلمة الشكّ؟)** يعني: إذا كان المراد بالهُدى: الكتاب والرسول -وإتيان الهُدى بالمعنى المذكور واجب في حِكمة الله تعالى- كان إتيان[٤] الهدى، أي: الكتاب والرسول كالأمر المقطوع به، فكان القياس أن يقول: "وإذا يأتينّكم" مكان ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾؛ لِمَا مرَّ[٥] أنّ أصل "إنْ" أن تُستعمَل في مواضع[٦]

---

[١] ن - اعلم.

[٢] **جامع البيان للطبري**، ٥٨٩/١ (البقرة، ٣٨/٢)؛ **تفسير ابن أبي حاتم**، ٩٣/١ (البقرة، ٣٨/٢)، ولفظه فيهما «الهُدى: الأنبياء والرُّسُل والبيان»؛ **تفسير الرازي**، ٢٨/٣ (البقرة، ٣٨/٢)، ولفظه فيه «الهُدى: الأنبياء».

[٣] من قوله: "وفيه تنبيه" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ٢٨/٣ (البقرة، ٣٨/٢)، بتصرُّف يسير في ترتيبه.

[٤] ن - إتيان.

[٥] د ش + لما مرّ. | مضى في تفسير سورة البقرة، ٢٤/٢.

[٦] ن: موضع.

**قلتُ: للإيذان بأنَّ الإيمانَ بالله والتوحيدَ لا يُشترط فيه بِعثَةُ الرسل وإنزالُ الكتب، وأنه إن لم يَبعثْ رسولًا ولم يُنزلْ كتابًا كان الإيمانُ به وتوحيدُه واجبًا؛ لِمَا ركَّبَ فيهم من العقول، ونَصَبَ لهم من الأدلَّة، ومكَّنهم من النَّظر والاستدلال.**

**فإن قلتَ: الخطيئة التي أُهْبِط بها آدمُ عليه السلام إن كانت كبيرةً فالكبيرةُ لا تجوزُ على الأنبياء،** ...............................

---

الخُلوّ عن القَطْع بوقوع الشرط، وأصل "إذا" أن تُستعمَل في موضع القطع بوقوع الشرط[١] فلِمَ جيء بـ"إنْ" دون "إذا"؟

قوله: **(للإيذان)**[٢] حاصل هذا الجواب أنّه لو جيء بـ"إذا" لَأوهَم أنّ بَعْث الرُّسل وإنزال الكتب واجبٌ لتوقُّف الإيمان بالله والتوحيد عليه، لكن ليس الإيمان بالله تعالى[٣] والتوحيد مَوقوفَين على البعث والإنزال، فإنّه لو لم يبعث الرسل ولم يُنزِل الكتب لَكان الإيمان بالله تعالى[٤] واجبًا. وهذا الذي ذكَره بناء على مذهبه، وأمّا عند أهل السُّنّة فالوجوب موقوف على البعثة. وأنا أقول: يُمكن أن يُجاب ههنا بجواب آخر بناء على مذهب أهل السُّنَّة، وهو أنّه لمّا لم يجِب على الله تعالى شيء البتّة لم تكن بعثة الرسل ولا إنزال الكتب مما يُقطَع به، فالمُناسب الإتيان بـ"إنْ" دون "إذا".

وقال ابن زيد: لا خوف عليهم فيما أمامهم، وليس شيء أعظمَ في صدر الشخص الذي يموت ممّا بعد الموت، فآمنهم الله تعالى،[٥] ثمّ سلّاهم عن الدنيا فقال: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلّفوه بعد وفاتهم في الدنيا.[٦] وعلى هذا الخوف: غمٌّ يَلحَق الشخص بسبب ما يتوقّعه من الآفة، والحُزْن: غمٌّ يَلحَقه بسبب ما فاته من المطلوب. وهذا هو التفسير الصحيح للخوف والحزن.

---

١ ن – وأصل "إذا" أن تُستعمَل في موضع القطع بوقوع الشرط.
٢ ن: الإيذان.
٣ د ش – تعالى.
٤ د – تعالى.
٥ ن + منه.
٦ انظر قول ابن زيد بتصرُّف يسير في **جامع البيان** للطبري، ٥٩١/١ (البقرة، ٣٨/٢)

وإن كانت صغيرةً فلمَ جَرى عليه ما جرى بسببها مِن نَزْع اللِّباس، والإخراجِ من الجنَّة والإهباطِ من السَّماء كما فُعل بإبليسَ، ونِسْبتِه إلى الغَيِّ والعصيان ونسيانِ العهد وعدمِ العزيمة والحاجةِ إلى التوبة؟

**قلتُ**: ما كانت إلَّا صغيرةً مغمورةً بأعمالِ قلبه من الإخلاص والأفكار الصالحة التي هي أجلُّ الأعمال وأعظمُ الطاعات، وإنَّما جرى عليه ما جرى تعظيمًا للخطيئة وتفظيعًا لشأنها وتهويلًا؛ ليكون ذلك لُطْفًا له ولذريَّته في اجتناب الخطايا واتِّقاء المآثم، والتنبُّهِ على أنَّه أُخرج من الجنَّة بخطيئةٍ واحدةٍ فكيف يدخلها ذو خطايا جمَّةٍ؟

---

قوله: (**مِن نَزْع**) إلى آخره، بيان (**ما**).

قوله: (**كما فُعِل بإبليس**) مُتعلِّق بـ(**الإهباط**).

قوله: (**ونسبتُه**) عطف على قوله:[1] "نَزْع".

قوله: (**والعصيانِ، ونسيانِ العهد، وعدمِ العزيمة**) كلّها عطفٌ[2] على (**الغيّ**)، فإنّه تعالى نسب آدم إلى هذه الأشياء، قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه ١٢١/٢٠]، وقال تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ [طه ١١٥/٢٠].

قوله: (**والحاجةِ**) عطف على قوله: "نَزْعِ"، أي: مِن نَزْع[3] اللباس ونسبتِه إلى المذكورات، ومِن الحاجة إلى التوبة في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ﴾... إلخ.

قوله: (**مغمورةً بأعمال قلبه**)، يعني: لم يقصد بتلك الخطيئة العصيان، وكان في قلبه الإيمان والإخلاص.

قوله: (**والتنبُّه**) بوزن التفعُّل عطف على (**اجتناب**)، أي: ليكون لُطفًا في التنبُّه. وفي بعض النُّسخ "والتنبيه"، وهو عطف على قوله: (**ليكون**) أي: وللتنبيه.

---

١ ن - قوله.

٢ ن - عطف.

٣ ن - أي: من نزع.

وقُرئ: "فمن تَبع هُدَيَّ" على لغة هُذَيْلٍ، ﴿فلا خوفَ﴾ بالفتح.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١﴾

﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ هو يعقوبُ عليه السلام، لقبٌ له ومعناه في لسانهم: صفْوَةُ اللهِ، وقيل: عبد الله، وهو بزنةِ إبراهيمَ وإسماعيلَ، ..............................

---

[١٤٦و] قوله: (وقُرئ: "فَمَنْ تَبِع هُدَيَّ") / وهي شاذَّة.[1] إذا أُضيف الاسم الذي في آخره ألف إلى ياء المُتكلِّم تثبُت الألف على حالها في اللغة الفصيحة، كقولك: عصايَ ورحايَ وضاربايَ. وهُذَيل[2] تُوافِق في "ضاربايَ" لما كان ألف التثنية، وتُخالِف في غيره، فتَقلِبها وتقول: عصيَّ ورحيَّ.[3] ووجهه أنّ أصله عَصَوَيَ ورَحَيَيَ، فاستُثقلت الحركة على الواو والياء فحُذِفت، فسكَن حرف العِلّة قبل ياء المُتكلِّم؛ فأُدغم. ولم يفعلوا في التثنية؛ لأنّه لا أصلَ لألفها[4] فتُردَّ إليه.

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾.

قوله:[5] (﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ هو يعقوب) اتَّفق المُفسِّرون على أنّ[6] "إسرائيل" هو:

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن الجَحدري وابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي، والزُّبيري عن يعقوب. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٢؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٥٩؛ **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٤٠٧.

٢ ونقل الواحديُّ عن ابن الأنباري أنّها لغة طيّئ. انظر: **البسيط**، ٤١٧/٢ (البقرة، ٣٨/٢). ولا تَعارُض في هذا فهي لغة جملة من القبائل منها هُذيل وطيّئ. انظر لتفصيله: **من لغات العرب لغة هُذيل** لعبد الجواد الطيب، ص ٨٠.

٣ انظر لتفصيل هذه الظاهرة اللغوية: **المُحتسَب** لابن جنّي، ٧٦/١-٧٩؛ **والبسيط** للواحدي، ٤١٧/٢-٤١٩ (البقرة، ٣٨/٢)؛ **والمُفصَّل** للزمخشري، ص ١٣٩-١٤٠؛ **وشرح الرضي على الكافية**، ٢٦٢/٢-٢٦٤؛ **ومن لغات العرب لغة هُذيل** لعبد الجواد الطيب، ص ٧٦-٨٠.

٤ ن: لها.

٥ ن - قوله.

٦ ن + بني.

**غيرُ منصرِفٍ مثلهما لوجودِ العلميَّة والعُجمة.**

**وقرئ "إسرائِل"، و"إسرئلَّ" و"إسرال".**

**وذِكْرهم النِّعمةَ أنْ لا يُخِلُّو بشكرها، ويعتدُّوا بها ويستَعْظِموها ويُطيعوا مانِحها،**

---

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.[١] ويقولون: إنّ معنى إسرائيل: عبد الله؛ لأنّ "إسرا" في لغتهم العبد، و"إيل" هو الله؛ وكذا جبرئيل وميكائيل: عبد الله.[٢] قال القفّال:[٣] قيل: إنّ "إسرا" بالعبرانيّة: إنسان، فكأنّه قيل: رجلُ الله. فقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب في أيّام نبيّنا محمّد عليه السلام.[٤]

قوله: (**مِثلَهما**) أي: مثل إسماعيل وإبراهيم، وهو بفتح اللّام؛ لأنّه حال من الضمير في (**مُنصرِف**).

قوله: (**وقُرئ "إسرائِل"**) أي:[٥] بحذف الياء،[٦] و(**إسرائلّ**) بحذف الياء وتشديد اللّام.[٧]

قوله: (**وذِكْرهم**) مبتدأ مصدرٌ مضاف إلى الفاعل، و(**النِّعمة**) مفعوله، و(**ألّا يُخِلُّوا**) خبره.

---

[١] انظر: **جامع البيان** للطبري، ٥٩٣/١ (البقرة، ٤٠/٢)؛ و**الكشف والبيان** للثعلبي، ٢٥٦/٣ (البقرة، ٤٠/٢)؛ و**النُّكَت والعيون** للماوردي، ١١٠/١ (البقرة، ٤٠/٢)؛ و**الوسيط** للواحدي، ١٢٧/١ (البقرة، ٤٠/٢)؛ و**البسيط** للواحدي، ٤٢٥/٢ (البقرة، ٤٠/٢).

[٢] انظر: **جامع البيان** للطبري، ٥٩٣/١ (البقرة، ٤٠/٢)؛ و**الكشف والبيان** للثعلبي، ٢٥٦/٣ (البقرة، ٤٠/٢)؛ و**النُّكَت والعيون** للماوردي، ١١٠/١ (البقرة، ٤٠/٢). ونسَبه الماوردي لابن عبّاس رضي الله عنه، ونسَب الطبريُّ بعضه له. وقال الواحديُّ: «وذُكِر في التفسير وجوه في اشتقاق هذا الاسم، والأصحّ عند أهل اللغة أنّه أعجميٌّ لا اشتقاق له». **البسيط** للواحدي، ٤٢٥-٤٢٦ (البقرة، ٤٠/٢). وانظر لتفصيل الكلام على عُجمته ولغاته وتعريبه: **المُحتسَب** لابن جنّي، ٧٩/١-٨٠؛ و**المُعرَّب** للجواليقي، ص ١٠٦-١٠٧، والتعاليق النفيسة لمُحقِّقه؛ و**البحر المحيط** لأبي حيّان الأندلسي، ٢٧٧/١ (البقرة، ٤٠/٢).

[٣] ن: القفائل.

[٤] من قوله: "اتّفق المفسِّرون" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٣١/٣ (البقرة، ٤٠/٢).

[٥] ن - أي.

[٦] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن شَنبوذٍ عن ورش. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٢؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٦٠؛ **المغني في القراءات** للنُّوْزاوازي، ص ٤٠٨.

[٧] لم أقِف على هذه القراءة في غير **الكشّاف**.

**وأراد بها: ما أَنعَم به على آبائهم مما عدَّد عليهم؛ من الإنجاء من فرعون وعَذابه، ومنَ الغَرق، ومن العَفْو عن اتِّخاذ العِجْل والتَّوبةِ عليهم، وغيرِ ذلك، وما أنعم به عليهم من إدراك زمنِ محمد صلى الله عليه وسلم المبشَّرِ به في التوراة والإنجيل.**

**والعهدُ يضاف إلى المُعاهِد والمعاهَد جميعًا، يقال: أَوْفيتُ بعَهْدِي؛ أي: بما عاهدتُ عليه؛ كقوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٩/١١١]، ..............**

---

قوله: **(ممّا عدّد)** بيان **(ما أنعَم)**.

قوله: **(من الإنجاء)** بيان "ما عدّد".

قوله: **(مِن فرعون)** مُتعلِّق بـ"الإنجاء"، و**(مِن الغَرق)** عطف على "مِن فرعون".

قوله: **(مِن العفو)** عطفٌ على "مِن الإنجاء". وقوله: **(والتوبة)** عطف على "العفو". والمراد بـ"التوبة" عليهم قَبول توبتهم.

قوله: **(وما أنعم عليهم)** عطفٌ على "ما أنعم"، و**(مِن)** بيان "ما". وهذا الكلام إشارة إلى جواب سؤال وهو أن يقال: اليهود أبدًا يذكرون هذه النِّعم، فلِمَ ذُكِّروا ما لم ينسَوه؟[1] فأجاب بأن المراد بقوله: ﴿ٱذْكُرُواْ﴾: اشكروا، وذِكْر النِّعمة: شُكرها، وإذا لم يشكروها فكأنّهم نسُوها وإن أكثروا ذِكْرها.

قال الإمام:

> اعلم أنّه تعالى لمّا أقام دلائل التوحيد والنبوّة والمَعاد أوّلًا، ثمّ عقَّبها بذكر الإنعامات العامّة لكلّ البشر، ثمّ عقَّبها بذِكْر الإنعامات الخاصّة على أسلاف اليهود؛ كسرًا لعنادهم ولجاجهم بتذكير النِّعم السابقة واستمالةً لقلوبهم بسببها، وتنبيهًا على ما يدلُّ على نبوّة محمّد عليه السلام مِن حيث كونها إخبارًا عن الغيب.[2]

قوله: **(والعَهْد يضاف إلى المُعاهِد)**،[3] أي: فيكون مُضافًا إلى الفاعل. ثمّ ذكر مِثاله بقوله: **(أوفيتُ بعهدي)**، وفسَّر المثال بقوله: **(أي: ما عاهدتُ عليه)**،

---

[1] ن: ينسبوه.

[2] تفسير الرازي، ٣/٣٠ (البقرة، ٢/٤٠).

[3] ن: العهد.

و: أوْفيتُ بعهدك؛ أي: بما عاهدتُك عليه.

ومعنَى ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي﴾: وأوفوا بما عاهَدْتُموني عليه من الإيمان بي والطاعةِ لي؛ كقوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ [الفتح ١٠/٤٨] ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة ٧٥/٩] ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب ٢٣/٣٣].

﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: بما عاهدتُكم عليه من حُسْن الثواب على حسَناتكم.

﴿وَإِيَّـٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ فلا تنقضوا عهدي، وهو من قولك: زيدًا رَهِبْتُه، ..........

---

وشبَّهه بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ١١١/٩] في أنّه مُضاف إلى الفاعل.

قوله: **(والمُعاهِد)** فيكون مضافًا إلى المفعول، ويريد بقوله: **(جميعًا)** أنّ كليهما جائز، لا أنّهما[١] يجتمعان، وهو ظاهر. ثمّ ذكر لمثال الإضافة إلى المفعول قوله: **(وأوفيتُ بعهدكَ)** وهو عطف على قوله: "أوفيتُ بعهدي"، وفسَّر المثال بقوله: **(أي: بما عاهدتُك)**، ففي هذا الكلام لفّ ونشر. ثمّ شرَع في تفسير الآية بقوله: **(ومعنًى)** وهو مبتدأ مضاف إلى ما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي﴾.

قوله: **(وأَوْفوا ما عاهدتموني)** خبرُ المبتدأ، فسَّر به الآية.

قوله: **(مِن الإيمان)** بيانُ "ما عاهدتُموني".[٢] ثـمّ شبَّهها بثلاث آيات في أنّ المراد بالعهد فيها الإيمان / والطاعة: **الآية[٣] الأولى:** ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ [الفتح ١٠/٤٨]، **الآية الثانية:** ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة ٧٥/٩]، **الآية الثالثة:** ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب ٢٣/٣٣]. [١٤٦ظ]

قوله: **(وهو)** يعني قوله: ﴿وَإِيَّـٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾. **(مِن قولك)** **أي:**[٤] من الإضمار على شريطة[٥] التفسير، فيتضمَّن تكرير المفعول.

---

١ ن: لأنّهما.
٢ ن – خبرُ المبتدأ، فسَّر به الآية. قوله: (مِن الإيمان) بيانُ "ما عاهدتُموني".
٣ ن – الآية.
٤ ش + أي.
٥ ن: شرط.

وهو أَوْكَدُ في إفادة الاختصاص من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وقرئ: "أُوَفِّ" بالتشديد؛ أي: أُبالِغُ في الوفاء بعهدكم؛ كقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل ٨٩/٢٧].

ويجوز أن يريد بقوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِى﴾: ما عاهَدوا عليه ووعَدوه من الإيمان بنَبيّ الرَّحمة والكتابِ المعجز، ويَدلُّ عليه قولُه: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾.

---

قوله: **(وهو أَوْكَد)**؛ لأنّ فيه تقديم الضمير المُنفصل وتأخير المُتّصل والفاء المُوجَبة معطوفًا عليه، تقديره: إيّاي ارهبوا[١] فارهبون، ومعنى الشرط كأنّه قيل:[٢] إن كنتم راهبين شيئًا فارهبوني.[٣] والقراءة بتشديد الفاء "أُوَفِّ"[٤] شاذّة.[٥]

قوله: **(ويجوز أن يريد)** عطف من حيث المعنى على قوله: **(ومعنى ﴿وَأَوْفُواْ﴾)**... إلخ، لأنّه ذكر أوّلًا أنّ المراد بالعهد الإيمان بي والطاعة لي، واستشهد بثلاث آيات، وذكر ثانيًا أنّ المراد الإيمان بالنبيّ، واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾، أي: بالنبيّ **والقرآن**.

قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾. **المُخاطبون** بقوله: ﴿ءَامِنُواْ﴾ هم بنو إسرائيل؛ لأنّه عطف على ﴿ٱذْكُرُواْ﴾ كأنّه قال: اذكروا[٦] نعمتي وأوفوا بعهدي وآمنوا بما أنزلت. وقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ حالٌ مِن المفعول المحذوف لـ﴿أَنزَلْتُ﴾، أي: أنزلتُه مُصدِّقًا.

وله تفسيران: **أحدهما**: أنّ القرآن مُوافق **للتوراة والإنجيل** في التوحيد والنُّبوّة، وفي **القرآن** أنّ موسى وعيسى حقّ وأنّ **التوراة أُنزلت** على موسى، **والإنجيل** على عيسى عليهما السلام، فكان الإيمان **بالقرآن** مُؤكِّدًا للإيمان **بالتوراة والإنجيل**.

---

١ ن: أراهبوا.
٢ ن + لهم.
٣ ن: فارهبون.
٤ ش – أُوفِّ.
٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن النخَعي والزُّهري. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٢؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٦٠؛ **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٤٠٨.
٦ ن – كأنّه قال: اذكروا.

﴿أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾: أوَّلَ مَن يكفر به، أو: أوَّلَ فريقٍ أو فوجٍ كافرٍ به، أو: ولا يكن كلُّ واحد منكم أوَّلَ كافر به؛ كقولك: كَسَانا حُلَّةً؛ أي: كلَّ واحدٍ منّا.

---

هذا الوجه هو المذكور في أكثر التفاسير. **والثاني**: أنّه حصلَت البشارة بمُحمَّد عليه السلام و**بالقرآن في التوراة والإنجيل**، فكان الإيمان بمحمَّد عليه السلام و**بالقرآن** تصديقًا **للتوراة والإنجيل**، وتكذيب محمَّد عليه السلام و**القرآن** تكذيبًا **للتوراة والإنجيل**.[١]

قال الإمام:

وهذا التفسير أولى؛ لأنّه على التفسير **الأوّل** لا يلزم الإيمان بمحمَّد عليه السلام، إذ بمُجرَّد كونه مُخبِرًا عن كون **التوراة والإنجيل** حقًّا لا يجب الإيمان بنبوّته، وأمّا على التفسير **الثاني** فيلزم الإيمان به؛ لأنّ **التوراة والإنجيل** إذا اشتملا على كون محمَّد عليه السلام صادقًا فالإيمان **بالتوراة والإنجيل** يُوجِب الإيمان بكون محمَّد عليه السلام صادقًا لا مَحالة، ومعلوم أنّ الله تعالى إنّما ذكر هذا الكلام ليكون حجّة عليهم في وجوب الإيمان بمحمَّد عليه السلام، فهذا التفسير أَوْلى.

واعلم أنّ هذا التفسير يدلُّ على نبوَّة نبيّنا محمَّد صلى الله عليه وسلم من وجهين: **الأوّل**: أنّ شهادة كُتب الأنبياء عليهم السلام لا تكون إلّا حقًّا، **والثاني**: أنّه عليه السلام أخبر[٢] عن كُتبهم ولم يكن له معرفة بذلك إلّا من قِبَل الوحي.[٣]

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾. قال الفرّاء: معناه: ولا تكونوا أوَّل مَن كفَر به.[٤] يريد أنّ "مَن" يصلُح للحَمْل على الجمع فيكون خبر "كان" مُطابِقًا[٥] لاسمه في الجمع من حيث المعنى.[٦] وقال البَصريُّون: أوَّلَ فريق كافر،

---

١ من قوله: "قوله تعالى" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٣/٤٢-٤٣ (البقرة، ٢/٤١).

٢ ن: أخبرهم.

٣ **تفسير الرازي**، ٣/٤٣ (البقرة، ٢/٤١).

٤ انظر: **معاني القرآن للفرّاء**، ١/٣٢. ونقله عن الفرّاء الواحديُّ في **الوسيط**، ١/١٢٨ (البقرة، ٢/٤١)؛ **والبسيط**، ٢/٤٣٥ (البقرة، ٢/٤١).

٥ ن: مُطلقًا.

٦ انظر: **معاني القرآن للفرّاء**، ١/٣٢-٣٣؛ **والبسيط** للواحدي، ٢/٤٣٥-٤٣٦ (البقرة، ٢/٤١).

**وهذا تعريضٌ بأنّه كان يجب أن يكونوا أَوَّلَ مَن يؤمِنُ به؛ لمعرفتهم به وبصفته، ولأنَّهم كانوا المبشِّرين بزمانِ مَن أُوحيَ إليه، والمُستَفْتِحين على الذين كفروا به، وكانوا يَعِدون اتِّباعَه أولَ النَّاس كلِّهم، فلمَّا بُعث كان أمرُهم على العكس؛ كقوله:** ..............................

---

أو فوج[1] كافر.[2] و"الفريق" لفظه مُفرد ومعناه جمع، وكذا "الفوج".[3] وقال بعضهم: هذا باعتبار كلّ واحد واحد، كما إذا قلتَ: كسانا حُلَّة، ولم تقل: حُللًا، للنظر إلى أنّ كلّ واحد اكتسى حُلَّة واحدة.

قوله: (**وهذا تعريض**)... إلخ، جواب عن سؤال، وهو أن يقال: كيف يكونون أوَّل مَن كفر[4] به، وقد سبقهم إلى الكفر مشركو العرب؟ فأجاب من

[١٤٧و] وجوه: **الأوّل**: أنّ[5] هذا تعريض، و«التعريض: تضمين الكلام / دلالة ليس لها ذِكْر فيه، كقولك: ما أقبح البخل![6] تُعرِّض بأنّه بخيل».[7] فالمراد هنا بقوله: ﴿لَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ أنّه[8] يجب أن يكونوا أوَّل مَن يؤمن به لمعرفتهم بنبيّ الرحمة وبصفته في كتبهم.

قوله: (**المُبشِّرين**) بفتح الشين، وفي بعض النسخ بكسرها.

قوله: (**والمُستفتِحين**)[9] أي: المُستنصِرين به، أي: بمحمَّد عليه السلام، أي: كانوا يطلبون النصر مِن الله تعالى على الكافرين[10] ببرَكة النبيّ عليه السلام.

قوله: (**كقوله**) أي: وَعْدهم باتّباع النبيّ عليه السلام قبل جميع الناس، ثمّ كَفْرهم به عند بعثه عليه السلام، مِثل ما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾... إلخ [البينة ٩٨/١]. قال في تفسيره:

---

١ ن: فرح.

٢ انظر: **معاني القرآن وإعرابه** للزّجّاج، ١/١٢٣؛ **وإعراب القرآن** للنّحّاس، ١/٢١٨؛ **والوسيط** للواحدي، ١/١٢٨ (البقرة، ٢/٤١)؛ **والبسيط** للواحدي، ٢/٤٣٦ (البقرة، ٢/٤١).

٣ ن: فرح.

٤ ن: يكفر.

٥ ن - أنّ.

٦ ن: الرجل.

٧ **المُغرِب** للمُطرِّزي، «عرض». وفي مطبوعه «فيه ذكر» مكان «ذكر فيه».

٨ ن: أنّه.

٩ ن: والمستقبحين.

١٠ ن: الكافر.

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة ١/٩٨] إلى قوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة ٤/٩٨] ﴿لَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة ٨٩/٢].

ويجوز أن يراد: ولا تكونوا مِثْلَ أولِ كافرٍ به، يعني: مَن أشرك به من أهل مكّةَ؛ أي: ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكورًا في التوراة موصوفًا مثلَ مَن لم يَعْرفه، وهو مشركٌ لا كتابَ له.

وقيل: الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ لـ"ما معكم"؛ لأنهم إذا كفروا بما يُصدِّقه فقد كفروا به.

---

كان الكُفّار من الفريقين أهل الكتاب وعَبَدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبيّ عليه السلام: لا ننفكّ ممّا نحن عليه مِن ديننا ولا نترُكه[1] حتّى يُبعَث النبيّ الموعود الذي هو مكتوب في **التوراة والإنجيل**، وهو محمَّد عليه السلام، فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه،[2] ثمّ قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [البينة ٤/٩٨]، يعني: أنّهم كانوا يعِدُون اجتماع الكلمة والاتّفاق على الحقّ إذا جاءهم الرسول، ثمّ ما فرَّقهم عن الحقّ ولا أقرَّهم على الكفر إلّا مجيء الرسول.[3]

قوله: **(ويجوز أن يُراد)** هذا هو[4] الجواب **الثاني**.

قوله: **(مِثْل مَن لم يعرفه)** خبر **(لا تكونوا)**.

قوله: **(وأنتم تعرفونه)** إلى **(موصوفًا)** جملة مُعترِضة، أي: لا تكونوا مِثْل مَن لم يعرفه وأنتم تعرفونه.

قوله: **(وقيل: الضمير)** هذا هو الجواب **الثالث**. وفاعل **(يُصدِّقه)** ضمير مستتر عائد إلى **(ما معكم)**، والضمير المنصوب عائد إلى ما يُصدِّقه، فإنّهم إذا كفروا بما يُصدِّقه[5] ما معهم، أي: **التوراة**، فقد كفروا **بالتوراة**، فكأنّه يقول لعلمائهم:

---

١ ن: ولا ينزله.
٢ ن: يقولون.
٣ **الكشّاف** للزمخشري، (البينة، ١/٩٨-٤).
٤ ن - هو.
٥ ن: يصدِّقونه.

**والاشتراءُ استعارةٌ للاستبدال؛ كقوله تعالى: ﴿أَشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة ١٦/٢]، وقولِه:**

**كَمَا اشْتَرَى المُسْلِمُ إذْ تَنَصَّرا**

---

لا تكونوا أوَّل أحد مِن أمّتكم كذَّب كتابكم؛ لأنّ تكذيبكم لمحمَّد يُوجِب تكذيبكم لكتابكم.[١]

وهنا وجوه أُخَر لم يذكرها المُصنِّف:

**الأوّل**: لا تكونوا أوّل كافر به من أهل الكتاب؛ **الثاني**: المراد منه بيان تغليظ كفرهم؛ وذلك لأنّهم شاهدوا المعجزات الدالّة على صِدْقه، وعرفوا البشارات الواردة في **التوراة والإنجيل** بمَقدَمه، فكان كفرهم أشدّ مِن كُفْر مَن لم يَعرِف إلّا نوعًا واحدًا مِن الدليل. ثمّ إنّ السابق إلى الكفر يكون أعظم ذنبًا ممّن بعده؛ لقوله عليه السلام: «مَن سنَّ سُنَّة سيئة فله وِزرها ووِزر من عَمِل بها إلى يوم القيامة».[٢] فلمّا كان كُفْرهم عظيمًا، وكُفْر مَن كان سابقًا في الكُفْر عظيمًا اشتركا من هذا الوجه، فصحَّ إطلاق اسم أحدهما على الآخر مِن هذا الوجه على سبيل الاستعارة. **الثالث**: لا تكونوا أوّل مَن جحَد مع المعرفة؛ لأنّ كُفْر قريش كان مع الجهل لا مع المعرفة.[٣]

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾. استُعير الاشتراء للاستبدال في الأصل، ثمّ وقع الاستعارة في الفعل، أعني: ﴿لَا تَشْتَرُواْ﴾، فهو من الاستعارة التبَعيّة، ولمّا وُضِع الاشتراء موضعَ الاستبدال -كما عرفتَ- وُضِع الثمنُ موضعَ البدل عن الشيء والعِوَض[٤] منه، فإنّ الثمن هو المُشترى به لا المُشترى،

---

١ انظر: تفسير الرازي، ٤٣/٣ (البقرة، ٤١/٢).

٢ **صحيح مسلم**، ٤٥١/١ (١٠١٧)؛ **المعجم الكبير** للطبراني، ٣٢٨/٢-٣٢٩ (٢٣٧٢)؛ **شعب الإيمان** للبيهقي، ٢٦/٥ (٣٠٤٨). وهو فيها جميعًا بلفظ «... ومَن سنّ في الإسلام سُنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر مَن عمِل بها بعده، من غير أن ينقُص من أوزارهم شيء».

٣ انظر: **تفسير الرازي**، ٤٣/٣ (البقرة، ٤١/٢). وكان الرازي ساق هذه الوجوه مع ما ذكره الزمخشري، فزادها الجاربرديُّ ههنا، وأفردها بالترقيم.

٤ ن: والعرض.

وقولهِ:

فـإنِّـي شـرَيْـتُ الـحِـلْـمَ بَـعْـدَكِ بالجهـلِ

يعني: ولا تستبدلوا بآياتي ثمنًا قليلًا، وإلّا فالثَّمنُ هو المُشترَى به.

والثمنُ القليلُ: هو الرِّيَاسةُ التي كانت لهم في قومهم؛ خافوا عليها الفَواتَ لو أصبحوا تُبّاعًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستبدلوها -وهي بدلٌ قليلٌ ومَتاعٌ يسيرٌ- بآيات الله وبالحقِّ الذي كلُّ كثيرٍ إليه قليلٌ، وكلُّ كبيرٍ إليه حقيرٌ، فما بالُ القليل الحقير؟

وقيل: كانت عامَّتُهم يُعْطونَ أحْبارَهم من زرُوعهم وثمارِهم، ويُهدون إليهم الهدايا، ويَرْشونهُم الرُّشَا على تحريفهم الكَلِم وتسهيلِهم لهم ما صعُب عليهم من الشرائع، ..............................................

والمُشترَى هو المَبيع لا الثمن، فإذا اختير على ثواب الله شيء من الدنيا فقد جُعِل ذلك الشيء ثمنًا عند فاعله.[1]

قال الشاعر:

فإن تزعُمِيني كنتُ أجهَل فيكمُ[2] (فإنّي شَريْتُ الحِلْمَ[3] بعدكِ بالجهلِ)[4]

أي: إن تظُنّيني كنتُ أجهَل الناس فيكم. وقيل: معناه: إن تقولي كنتُ أجهَل الناس فيكم،[5] فإنّي بدّلتُ حالي بعدكَ واستبدلتُ الحلمَ[6] بالجهل.

قوله: (**فاستبدلوها**)، أي: الرئاسة، وهو عطف على (**خافوا**).

قوله: (**بآياتِ**) مُتعلِّق بـ(**استبدلوا**).

قوله: (**عامَّتُهم**) هي ضدُّ الخاصَّة.

[1] من قوله: "الأوّل: لا تكونوا" إلى هنا بلفظ قريب مع زيادة وتصرُّف في تفسير الرازي، ٤٤/٣ (البقرة، ٢/٤١).

[2] ن - فيكم.

[3] ن: الحكم.

[4] ن: الجهل. | البيت لأبي ذؤيب الهُذلي في شرح ديوان الهذليين للسُّكَّري، ٩٠/١؛ وكتاب سيبويه، ١٢١/١؛ وتفسير القرطبي، ٢١٠/١ (البقرة، ١٦/٢).

[5] ن - وقيل: معناه: إن تقولي كنتُ أجهَل الناس فيكم.

[6] ن: الحكم.

وكان ملوكُهم يُدِرُّون عليهم الأموالَ ليكتموا أو يُحرِّفوا.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤٢﴾

الباء التي في ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ إن كانت صلةً مِثْلَها في قولك: لبَسْتُ الشيءَ بالشيء: خلَطتُه به، كان المعنى: ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلطَ الحقُّ المُنزلُ بالباطل الذي كتَبْتُم ..............................

---

قولـه: (يُـدِرّون) يقـال: أدرَّت الريـحُ السـحابَ، أي: اسـتحلبَته، وأدرَّت / الناقة اللَّبن.[1] [١٤٧ظ]

قوله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾. قال الإمام: يقرُب[2] معناه من معنى ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾، والفرق أنّ الرَّهْبة: عبارة عن الخوف، وأمّا الاتِّقاء فإنّما يُحتاج إليه عند الجزم بحصول ما يُتّقى منه، فكأنّه تعالى أمرهم بالرَّهْبة؛ لأنّ جواز[3] العقاب قائم، ثمّ أمرهم بالتقوى؛ لأنّ يقين العقاب قائم.[4]

قوله تعالى:[5] ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾. يقال: لبَستُ الأمر عليه ألبِسُه لَبسًا إذا خلَطتَه وعمَّيته.[6] قال الإمام:

> واعلـم أنّ قولـه تعالـى: ﴿وَءَامِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ﴾ أمْرٌ بترك الكُفر والضلال، وقولَه تعالى:[7] ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ أمْرٌ بترك الإغواء والإضلال. واعلم أنّ إضلال الغير لا يحصُل إلّا بطريقين؛ لأنّ ذلك الغير إن كان سمِع دلائل الحقّ فإضلاله إنّما يُمكِن بتشويش[8] تلك[9] الدلائل عليه وخلطها بغيرها والمُجادَلة فيها بالباطل، وإن لم يكن قد سمِع الغيرُ تلك الدلائل فإضلاله إنّما يمكن بإخفاء تلك الدلائل عنه ومنعه من الوصول إليها. فقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ إشارة إلى القسم **الأوّل**:

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «درر».
٢ ن: يقوي.
٣ ن: خوف.
٤ انظر: **تفسير الرازي**، ٣/٤٤-٤٥ (البقرة، ٢/٤١).
٥ ن – قوله تعالى.
٦ ن – وعمَّيتُه.
٧ ن – ﴿وَءَامِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ﴾ أمْرٌ بترك الكُفر والضلال، وقولَه تعالى.
٨ ش: بتلبيس.
٩ ن – تلك.

حتَّى لا يميَّزُ بين حقِّها وباطلكم، وإن كانت باءَ الاستعانة كالتي في قولك: "كتبتُ بالقلم" كان المعنى: ولا تجعلوا الحقَّ مُلْتبِسًا مشتَبِهًا بباطلكم الذي تكتبونه.

﴿وَتَكۡتُمُواْ﴾ جَزْمٌ داخلٌ تحت حكم النَّهي بمعنى: ولا تكتموا، أو منصوبٌ بإضمار "أنْ" والواوُ بمعنى الجمع؛ أي: ولا تجمعوا لبْسَ الحقِ بالباطل وكتمانَ الحقِّ؛ كقولك: لا تأكلِ السمكَ وتشْربَ اللبنَ.

**فإن قلتَ**: لَبْسُهم وكتمانُهم ليسا بفعلَين مُتميِّزَيْنِ حتَّى يُنْهَوْا عن الجمع بينهما؛ لأنَّهم إذا لَبَسوا الحقَّ بالباطل فقد كتموا الحقَّ؟

**قلتُ**: بل هما متميّزان؛ لأن لَبْسَ الحقِّ بالباطل ما ذكرنا من كتبتِهم في التوراةِ ما ليس منها، وكتمانَهم الحقَّ أنْ يقولوا: لا نجد في التوراة صفةَ محمد صلى الله عليه وسلم أو حكمَ كذا، أو يمحوا ذلك، أو يكتُبوه على خلافِ ما هو عليه.

---

وهو تشويش[1] الدلائل عليه؛ وقوله: ﴿وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ﴾ إشارة إلى القسم **الثاني**: وهو منعه من الوصول إلى الدلائل.[2]

قوله: **(حقِّها)**، أي: حقَّ **التوراة**، أي: الحقَّ المذكور في التوراة.

قوله: **(أو يمحوا)** عطفٌ على قوله: **(يقولوا)**.

قوله: **(ذلك)**، أي: الحقّ، وهو **(صفة محمَّد عليه السلام، أو حُكم كذا)**. والضمير في **(يكتبوه)** عائد إليه أيضًا.

قوله: **(على خلاف ما هو عليه)** الضمير مِن "عليه"[3] عائد إلى "ما"، ومِن "هو" عائد إلى "الحقّ"، وهو "صفة محمَّد عليه السلام"،[4] أو "حُكم"، أي: يكتبوا صفة محمَّد صلّى الله عليه وسلّم[5] على خلاف الوجه الذي ثبت صفة محمَّد عليه السلام على ذلك الوجه.[6]

---

١ ش: تلبيس.
٢ انظر: **تفسير الرازي**، ٣/٤٥ (البقرة، ٢/٤٢).
٣ ن – الضمير من "عليه".
٤ ش – عليه السلام.
٥ ن – صلّى الله عليه وسلّم.
٦ ن – على ذلك الوجه.

وفي مصحف عبد الله: "وتكتمون" بمعنى: كاتمين.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: في حالِ عِلْمِكم أنكم لابِسون كاتمون، وهو أقبحُ لهم؛ لأنّ الجهل بالقبيح ربّما عُذر راكبُه.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يعني: صلاةَ المسلمين وزكاتهم.

---

قوله: (في مصحف عبد الله) وهو قراءة شاذّة،[1] والتقدير: وأنتم تكتمون؛ لتكون جملة اسميّة، وإلّا لم يصحّ دخول الواو. وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حالٌ.[2] قال الإمام:

> معناه: وأنتم تعلمون ما في إضلال الخَلْق مِن الضرر العظيم العائد عليهم يوم القيامة؛ وذلك لأنّ التلبيس[3] صار صارفًا للخَلْق عن الحقّ إلى يوم القيامة، وداعيًا[4] إلى الاستمرار على الباطل إلى يوم القيامة، ولا شكّ في أنّ موقعه عظيم. وهذا الخطاب وإن ورد فيهم فهو عامّ من حيث المعنى، تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مِثله.[5]

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾. قال الإمام: لمّا أمَرهم الله تعالى بالإيمان أوّلًا، ثمّ نهاهم عن لَبْس الحقّ بالباطل وكتمان دلائل النبوّة ثانيًا، ذكَر بعد ذلك بيانَ ما لزِمهم من الشرائع، وذكَر من جملة الشرائع ما كان كالمُقدَّم والأصل فيها: وهو الصلاة التي هي أعظمُ العبادات البدنيّة، والزكاة التي هي أعظم العبادات الماليّة.[6]

قوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود رضي الله عنه. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٦١؛ المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٤٠٩.

٢ ن – حال.

٣ ن: إبليس.

٤ ن + لهم.

٥ انظر: تفسير الرازي، ٣/٤٥ (البقرة، ٢/٤٢).

٦ انظر: تفسير الرازي، ٣/٤٦ (البقرة، ٢/٤٣).

﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ منهم؛ لأن اليهود لا ركوعَ في صلاتهم.

وقيل: الركوعُ: الخضوعُ والانقيادُ لِمَا يَلزمُهم في دين الله.

ويجوز أن يراد بالركوع: الصلاةُ؛ كما يعبَّر عنها بالسجود، وأن يكون أمرًا بأن تُصلَّى مع المصلِّينَ، يعني: في الجماعة؛ كأنه قيل: وأقيموا الصَّلاة وصلُّوها مع المصلِّين لا منفرِدِينَ.

﴿أَتَأۡمُرُونَ﴾ الهمزةُ للتقريرِ مع التوبيخِ والتعجيبِ مِن حالهم.

و"البِرُّ": سعةُ الخير والمعروفِ، ومنه: "البَرُّ" لسَعَته، ويتناول كلَّ خير، ومنه قولُهم: صدَقْتَ وبَرِرْتَ.

وكان الأحْبار ..................................................

---

قوله: (منهم)، أي: مِن المسلمين.

قوله: (لِمَا) مُتعلِّق بـ(الانقياد).

قوله: (كما يُعبَّر عنها بالسُّجود) أي:[١] إذا كان رُكنًا منها.

قوله: (وأن يكون أمرًا) مِن تتمَّة هذا الوجه، يعني: لا يلزم التكرار، إذ في الأوّل أَمْرٌ بإقامتها، وفي الثاني بفعلها بالجماعة.

قوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

قوله: (الهمزة للتقرير) أي: تقرُّر أنّهم يأمرون، فكأنّه قال: تأمرون الناس بالبرّ ولم تفعلوا؟[٢] ويُوقِع الناس في التعجُّب من حالهم. (ومنه البَرّ) وهو:[٣] خلاف البحر.

قوله: (برِرْتَ)، أي: فعلتَ خيرًا في هذا الصدق، وهذا[٤] كما يقال: كذبتَ وفجرتَ، أي: فجرتَ في كذِبك.

---

١ ن - أي.
٢ ش: تفعلون.
٣ ن - وهو.
٤ ن: ويقال.

يأمرونَ مَن نَصحُوه في السرِّ مِن أقاربهم وغيرِهم باتِّباع محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ولا يتَّبعونه.

وقيل: كانوا يأمرون بالصَّدقة ولا يتصدَّقون، وإذا أُوتوا بصدقاتٍ ليُفرِّقوها خانوا فيها.

وعن محمَّد بن واسع: بلَغَني أنَّ ناسًا من أهل الجنَّة اطَّلعوا على ناسٍ من أهل النار فقالوا لهم: قد كنتُم تأمروننا بأشياءَ عمِلْناها فدخلنا الجنَّة، قالوا: كنَّا نأمرُكم بها ونُخالفُ إلى غيرها.

﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾: وتتركونها من البِرّ كالمنسيَّات.

﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ تبكيتٌ مثلُ قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعني: تتلون التوراةَ وفيها نعتُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، أو فيها الوعيدُ على الخيانةِ وتركِ البِرّ ومخالفةِ القولِ العملَ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبيخٌ عظيم بمعنى: ..................................

---

قوله: (في السرّ)[١] ظرفُ (يأمرون).

اعلم أنّ النِّسيان: عبارة عن الجهل الحادث بعد حصول العلم. والناسي غير مُؤاخَذ، / ومَن لا يكون مؤاخَذًا لا يذُمّه الله تعالى على ما صدر منه. [١٤٨و]
فالمراد بالنسيان هنا التَّرْك.[٢] ومنه قوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة ٩/٦٧]، أي: تتركون أنفسكم كالمَنسيَّات، أو تتركون بِرّ أنفسكم، أو تتركون أنفسكم غيرَ بارَّة، أو ولا تُطالبون أنفسكم بالبِرّ، وما أشبه ذلك.

قوله: (وفيها نعت[٣] محمَّد عليه السلام) هذا على تفسيره[٤] الأوّل: وهو أن يكون المراد بالبِرّ اتّباع محمَّد عليه السلام.

قوله: (أو فيها) هذا على تفسيره الثاني: وهو أن يكون البِرّ الصدقة.

---

١ ن: الشرّ.
٢ انظر: تفسير الرازي، ٣/٤٩ (البقرة، ٢/٤٤).
٣ ن: بعث.
٤ ن: تفسير.

أفلا تَفْطنُون لقُبح ما أقدَمْتُم عليه حتّى يَصُدَّكم استقباحُه عن ارتكابه وكأنّكم في ذلك مَسلوبُو العُقولِ؛ لأنّ العقولَ تأباهُ وتدفعُه، ونحوُه: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء ٢١/٦٧].

﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَٱسْتَعِينُواْ﴾ على حَوائجكم إلى الله ﴿بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: بالجمع بينهما، وأن تُصَلُّوا صابرينَ على تكاليفِ الصَّلاة محتمِلِين لمشاقِّها، وما يجبُ فيها من إخلاصِ القلب، وحفظِ النِّيَّاتِ، ودفعِ الوساوس، ومراعاةِ الآداب،

---

والضمير مِن (استقباحه) و(تأباه) و(تدفعه) يعود إلى (ما أقدمتم).[١] والواو في ﴿وَأَنتُمْ﴾ للحال، أي: تفعلون ذلك قارئين التوراة. قال الإمام:

> قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ تعجيب للعقلاء مِن أفعالهم، وسبب التعجُّب أنّ مَن وَعَظ الناس وأظهَر عِلْمه للخَلْق ثمّ لم يتّعِظ صار ذلك الوعظ سببًا لرغبة الناس في المعصية؛ لأنّ الناس يقولون: إنّه مع هذا العِلم لولا أنّه مُطَّلع على أنّه لا أصل لهذه التخويفات لَمَا أقدَم على المعصية، فيصير هذا داعيًا إلى التهاون بالدِّين والجرأة على المعصية، وإذا كان[٢] غَرَض الواعظ الزجر ثمّ أتى بفعل يُوجِب الجُرأة فكأنّه جمع بين المُتناقضَين، وذلك لا يليق بأفعال العقلاء؛ ولهذا قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.[٣]

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

قوله: (وأن تُصَلُّوا صابرين) عطفٌ على قوله: (بالجمع بينهما). وهو من العطف الذي للبيان؛ إذ معنى قوله: "وأن تُصَلُّوا صابرين" هو الجمع بينهما. ومِثلُ هذا التركيب كثير في كلامه؛ لتقرير المعنى الأوّل. والصَّبْر: حَبْس النفس عمّا تنزِع إليه.

---

١ ن: أقدمهم.
٢ ن – كان.
٣ انظر: تفسير الرازي، ٣/٤٩ (البقرة، ٢/٤٤).

والاحتراسِ من المكاره، مع الخشيةِ والخشوعِ واستحضارِ العلم بأنّه انتصابٌ بين يدي جبّارِ السّماوات؛ ليُسأل فَكَّ الرقابِ عن سَخَطِهِ وعَذابِه، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه ١٣٢/٢٠].

أو: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ﴾ على البلايا والنوائب ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ عليها ﴿وَ﴾ الالتجاءِ إلى ﴿الصَّلاةِ﴾ عند وقوعها، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبَه أمرٌ فزِعَ إلى الصَّلاة.

وعن ابن عباس: أنه نُعِي إليه أخوه قُثَمُ وهو في سفر، فاسترجع وتنحّى عن الطريق فصلّى ركعتين أطال فيهما الجلوسَ، ..........................

---

قوله: (بأنّه انتصابٌ) الضمير للصلاة، والتذكير باعتبار الخَبَر. وقيل: الضمير عائد إلى قوله: "أن تُصَلُّوا صابرين".[١]

قوله: (ليُسأَل) مبنيٌّ للمفعول، أي: ليُسأَل الجبّار. واللّام مُتعلّق بقوله: "انتصاب".

قوله: (أو "واستعينوا") عطف على قوله: (﴿وَٱسْتَعِينُواْ﴾).

قوله في الحديث: («حَزَبه»)،[٢] أي: أصابه. ويقال: فزِعتُ إليه فأَفزَعني، أي: لجأتُ إليه مِن الفَزَع[٣] فأغاثني. وتمام الحديث: «وكان عليه السلام يقول: إذا رأيتُم مِن هذه الأهوال فافزَعوا إلى الصلاة».[٤]

قوله: (نُعِيَ) النَّعْيُ: خبرُ الموت. و(قُثَم) عطفُ بيان لقوله: (أخوه).[٥] (فاسترجع) أي: قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. سُئل عليٌّ رضي الله عنه[٦] عن معنى الآية، فقال: «الأوّل: إقرار بالمُلْك، والثاني: إقرار بالهُلْك».[٧]

---

١ وردّ الطّيبي ظنّ بعضهم أنّه راجع إلى "الجمع". انظر: فتوح الغيب، ٤٦٤/٢.

٢ الحديث في جامع البيان للطبري، ٦١٨/١ (البقرة، ٤٥/٢). وانظر لتفصيل تخريجه: تخريج أحاديث الكشّاف للزّيلَعي، ٦٠/١.

٣ ن – من الفزع.

٤ لم أجده بهذا اللفظ. وقريب منه في مسند أحمد، ٧٤/٣٠-٧٥ (١٨١٤٢)، بلفظ «... إنّ الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد، وإنّما هما من آيات الله عزّ وجلّ، فإذا انكسف واحد منهما فافزعوا إلى الصلاة»؛ وهو بنحوه في صحيح البخاري، ٣٥/٢ (١٠٤٦)؛ وهو ببعض ألفاظه في المعجم الكبير للطبراني، ١٣/١٠-١٤ (٩٧٨٢).

٥ ن: أخره.

٦ د ن – رضي الله عنه.

٧ لم أجده فيما وقفت عليه من المصادر.

ثم قامَ يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾.

وقيل: الصَّبرُ: الصومُ؛ لأنَّه حَبْسٌ عن المفطِّرات، ومنه قيل لشهر رمضان: شهر الصَّبر.

ويجوز أن يراد بالصَّلاة الدعاءُ، وأن يستعان على البلايا بالصَّبر، والالتجاءِ إلى الدعاء، والابتهالِ إلى الله تعالى في دفعه.

﴿وَإِنَّهَا﴾ الضميرُ للصَّلاة أو للاستعانة، ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أُمر بها بنو إسرائيلَ ونُهوا عنها من قوله: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ﴾ إلى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ﴾.

﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: لشاقَّةٌ ثقيلة، من قولك: كبُر عليَّ هذا الأمرُ: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى ٤٢/١٣].

**فإن قلتَ**: ما لها لم تَثْقُلْ على الخاشعين والخشوعُ في نَفْسه مما يَثْقُلُ؟

---

قوله: **(وهو يقول)**، أي: ابن عبّاس يقرأ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾،[1] إشارةٌ إلى أنّي امتثلتُ هذا الأمر. في بعض الروايات: «فعلنا ما أَمَر الله تعالى به».[2]

قوله: **(وقيل)** عطف على قوله: "واستعينوا".

قوله: **(ويجوز)** عطف عليه أيضًا.

قوله: **(ما لها لم تَثْقُل؟)** تقرير السؤال أن يقال: كيف كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين سَهْلة على الخاشعين؟ والحال أنّ الذي يلحَق الخاشعين من التعب أكثرُ؛ لأنّ الخاشع يستعمل عند صلاته جوارحه وقلبه وسمعه وبصره، ولا يَغفُل عن تدبُّر ما يأتي به من الذِّكر، وعن التذلُّل والخضوع، وإذا تذكَّر الوعيد لم يَخلُ مِن حسرة وغَمّ، وإذا ذكَر الوعد فكذا، وإذا كان هذا فعلَ الخاشع فالثِّقل عليه بفِعل الصلاة أعظم. هذا مع أنّا نقول: لو كانت ثقيلة على غير الخاشعين

---

[1] الحديث في **جامع البيان** للطبري، ٦٢٠/١ (البقرة، ٤٥/٢)؛ و**شُعَب الإيمان** للبيهقي، ١٧٣/١٢-١٧٤ (٩٢٣٣). وانظر لتفصيل تخريجه: **تخريج أحاديث الكشّاف** للزَّيلَعي، ٦١/١.

[2] **شُعَب الإيمان** للبيهقي، ١٧٣/١٢ (٩٢٣٢). ولفظه فيه: «... فعلنا ما أمَرنا الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾».

**قلتُ: لأنّهم يتوقّعون ما ادُّخِرَ للصابرين على متاعِبها فتهونُ عليهم، ألَا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾؛ أي: يتوقّعون لقاءَ ثوابِه ونَيْلَ ما عندَه ويطمَعون فيه.**

**وفي مصحف عبد الله: "يعلمون"،** .........................

---

سَهْلة على الخاشعين لَوَجب أن يكون ثواب غير الخاشعين أكثر من ثواب الخاشعين، وبُطلانه ظاهر.

[١٤٨ظ] قوله: (**لأنّهم يتوقّعون**) تقريره[١] أن نقول: ليس المراد أنّ / الذي يلحَق غير الخاشع مِن التعب أكثر ممّا يلحَق الخاشع، بل المراد أنّها ثقيلة على مَن لم يخشع مِن حيث لا يعتقِد في فعلها ثوابًا، ولا في تَرْكها عقابًا، فيصعُب عليه فعلها. فالحاصل أنّ المُلحِد إذا لم يعتقِد في فِعْل الصلاة منفعة ثقُل عليه؛[٢] لأنّ الاشتغال بما لا فائدة فيه يثقُل على الطَّبْع، وأمّا المُوحِّد فلمّا اعتقَد في فعله أعظمَ المنافع وفي تَرْكه أعظمَ المضارّ لم يثقُل ذلك عليه؛ لِمَا يعتقِد في فعله مِن الفوز بالنعيم المُقيم والخلاص من العذاب الأليم. مثاله: إذا قيل للمريض: كُلْ[٣] هذا المُرَّ، فإنّ اعتقَد أنّ له فيه شفاءً سَهُل ذلك عليه، وإن لم يعتقِد ذلك فيه صَعُب الأمر عليه.[٤]

والمِثال الذي ذَكَره المُصنِّف في غاية الحُسْن.

قوله: "لأنّهم"، أي: إنّما لم يثقُل؛ لأنّهم يتوقّعون. قيل: مَن أيقن بالخَلَف هانت عليه الكَلَف، وقيل: مَن عرَف ما يَطلُبه هان عليه ما يبذُله.

قوله: (**وفي مصحف عبد الله "يَعلَمُون"**) وهي قراءة شاذّة.[٥]

---

١ د ش: تقرير؛ ش: ظ [اختصارًا من "الظاهر"]: الجواب.

٢ ن + فعلُها.

٣ ن: لك.

٤ من قوله: "ليس المراد أنّ" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٥٣/٣ (البقرة، ٤٥/٢).

٥ **البحر المحيط** لأبي حيّان، ٣٠٠/١ (البقرة، ٤٦/٢). وانظر: **معجم القراءات** للخطيب، ٩٣/١.

ومعناه: يعلمون أنْ لا بدَّ من لقاءِ الجزاءِ فيعملون على حَسَبِ ذلك، ولذلك فُسِّر ﴿يَظُنُّونَ﴾ بـ: «يتيقَّنون»، وأمَّا مَن لـم يُوقِنْ بالجزاء ولـم يَرْجُ الثَّوابَ كانت عليه مشقَّةً خالصةً فثَقُلت عليه؛ كالمنافقين والمُرائينَ بأعمالهم.

ومثالُه: مَن وُعِدَ على بعضِ الأعمالِ والصنائع أُجرَةً زائدةً على مقدارِ عمله، فتَراه يزاولُه برغبةٍ ونشاطٍ وانشراحِ صدرٍ ومُضَاحَكةٍ لحاضريه كأنَّه يَستلِذُّ مزاولتَه، بخلافِ حالِ عاملٍ يَتَسخَّرُه بعضُ الظَّلَمة.

ومِن ثَمَّ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصَّلاة».

وكان يقول: «يا بلالُ روِّحنا».

والخشوع: الإخْباتُ والتَّطامنُ، ومنه: الخُشْعةُ: الرَّمْلة المتَطامنَة، وأمَّا الخضوعُ فاللِّين والانقياد، ومنه: خَضَعتْ بقولها: إذا ليَّنَتْه.

---

قوله: (ولذلك)[1] أي: لأنَّهم يَعلَمون، أو لأجل أنَّه وقع في[2] مصحف عبد الله بن مسعود "يَعلَمون".

قوله: (وأمَّا مَن لم يُوقِن) عطفٌ على قوله: "لأنَّهم يتوقَّعون"... إلخ. ويقال: تَسخَّره، أي: كلَّفه عملًا بلا أُجرة. قوله عليه السلام: («وجُعِلَت قُرَّة عيني في الصلاة»).[3] قال الهَرويُّ في الغريبين: «قال عليه السلام لبلال مُؤذِّنه: 'أَرِحْنا بها'،[4] أي: أَذِّن للصلاة نسترحْ بأدائها مِن شُغْل القلب بها».[5] وقال غيره: أي: أَقِم الصلاة؛[6] ولهذا سُمِّيَت الصلاة راحة.

قوله: (التطامُن): هو[7] السكون، ومعنى ﴿ٱلْخَٰشِعِينَ﴾: المُطيعون الساكنون إلى الطاعة. والخشوع معناه في اللغة: السكون؛ قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه ٢٠/١٠٨].

---

١ ن: وكذلك.

٢ د ش - في.

٣ بلفظ قريب في مسند أحمد، ١٩/٣٠٥، ٣٠٧ (١٢٢٩٣، ١٢٢٩٤)؛ وسنن النسائي، ٨/١٤٩ (٨٨٣٦، ٨٨٣٧).

٤ بلفظ قريب في مسند أحمد، ٣٨/٢٢٥ (٢٣١٥٤)؛ وسنن أبي داود، ٥/٣٤٧ (٤٩٤٦)؛ والمعجم الكبير للطبراني، ٦/٢٧٦-٢٧٧ (٦٢١٤).

٥ كتاب الغريبين للهروي، ٣/٧٨٨.

٦ ش: للصلاة.

٧ ن - هو.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝٤٨﴾

﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ﴾ نصبٌ عطفٌ على ﴿نِعۡمَتِيَ﴾؛ أي: اذكروا نعمتي وتفضيلي.

---

قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ﴾ للمُفسِّرين فيه قولان: **الأوّل**: أنّ الظنّ بمعنى العِلم،[١] قالوا: لأنّ الظنَّ هو الاعتقاد الذي يُقارِنه تجويز النقيض، وذلك يقتضي أن يكون صاحبه غير جازم بيوم القيامة، وذلك كُفْر، والله تعالى مدَح على هذا الظنّ، فيكون المراد مِن الظنّ هنا: العِلم. ووَجْه هذا المجاز أنّ العِلم والظنّ يشتركان في كون كلّ واحد[٢] منهما اعتقادًا راجحًا، إلّا أنّ العِلم راجح مانعٌ من النقيض، فلمّا تشابها مِن هذا الوجه صحَّ إطلاق اسم أحدهما على الآخر. قال تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ [الحاقة ٦٩/٢٠]، وقال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾ [المطففين ٨٣/٤]. وذكر الله تعالى ذلك؛ إنكارًا عليهم وبعثًا على الظنّ، ولا يجوز أن يحَثّهم على الاعتقاد المُجوِّز للنقيض، فيكون المراد العِلم.[٣]

وإلى هذا الوجه أشار المُصنِّف بقوله: (**معناه: يَعلَمون**). والقول **الثاني**: أنّ المراد الظنّ الحقيقي،[٤] وإليه أشار المُصنِّف بقوله: (**يتوقَّعون**) و(**يطمعون**). ثمّ ههنا[٥] وجوه:

**الأوّل**: أن يجعل مُلاقاة الربّ مجازًا عن الموت؛ وذلك لأنّ مُلاقاة الربّ مُسبَّب عن الموت، فأُطلِق المُسبَّب على السبب، وهذا مجاز مشهور، فإنّه يقال لمَن مات: إنّه لَقِيَ ربّه. إذا ثبت هذا فنقول: المراد ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾:

---

١ انظر لهذا القول: جامع البيان للطبري، ٦٢٥/١ (البقرة، ٤٦/٢)؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزّجّاج، ١٢٦/١؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٢٧٨/٣ (البقرة، ٤٦/٢)؛ والبسيط للواحدي، ٤٥٩/٢ (البقرة، ٤٦/٢).

٢ ن – واحد.

٣ من قوله: "قوله تعالى" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٥٣/٣ (البقرة، ٤٦/٢).

٤ انظر لهذا القول: مجاز القرآن لأبي عُبيدة، ٣٩/١؛ والبسيط للواحدي، ٤٥٩/٢ (البقرة، ٤٦/٢)؛ وتفسير الرازي، ٥٣/٣ (البقرة، ٤٦/٢).

٥ ن: هنا.

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: على الجمّ الغفير من الناس؛ كقوله تعالى: ﴿بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء ٧١/٢١]، يقال: رأيتُ عالَمًا من الناسِ، يرادُ الكثرة.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا﴾ يريد: يومَ القيامة.

---

الذين يَظنُّون الموت في كلّ لحظة؛ وذلك لأنّ مَن كان مُتوقِّعًا للموت في كلّ لحظة فإنّه لا يُفارق قلبه الخُشوع، فهم يتبادرون إلى العبادة؛ لأنّ خَوْف الموت يُقوِّي دواعيها.

**الثاني**: أن تُفسَّر مُلاقاة الربّ بمُلاقاة ثواب الربّ، وذلك مظنون لا[1] معلوم؛ فإنّ الزاهد العابد لا يقطَع بكونه مُلاقيًا لثواب الله تعالى، بل يظنّ ذلك، إلّا أنّ ذلك الظنّ ممّا يَحمِله على كمال الخشوع.

**الثالث**: أنّ المعنى: الذين يَظنُّون أنّهم مُلاقو ربِّهم بذنوبهم، فإنّ الإنسان الخاشع قد يُسيء ظنّه بنفسه وبأعماله، فيغلب على ظنّه أنّه يلقى الله تعالى بذنوبه، فيتسارع إلى الأعمال الصالحة على الوجه المَرضيّ، ويَهُون عليه / الإتيان بها بالمعنى المذكور.[2] [١٤٩و]

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

قال الإمام: أعاد الله تعالى هذا الكلام توكيدًا للحُجّة عليهم، وتحذيرًا مِن تَرْك اتباع نبيّنا عليه السلام، ثمّ قرَّبه[3] بالوعيد وهو ﴿وَٱتَّقُواْ﴾، فكأنّه قال: إن لم تطيعوني لأجل سوالف نعمتي عليكم فأطيعوني للخوف عن عقابي في المستقبل.[4] و«التفضيل: نقيض التسوية، يقال: فضَّله إذا أعطاه الزيادة، وفضَّله إذا حكم له[5] بالزيادة في الفَضْل. وهذا التفضيل هو ما ذكر في

---

١ ن: لأنه.

٢ من قوله: "ثمّ ههنا وجوه" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٥٣/٣-٥٤ (البقرة، ٤٦/٢).

٣ ن: قرَنه.

٤ انظر: تفسير الرازي، ٥٥/٣ (البقرة، ٤٧/٢).

٥ د - له.

﴿لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾: لا تقضي عنها شيئًا من الحقوق، ومنه الحديثُ في جَذَعَةِ بنِ نيارٍ: «تَجزي عنك ولا تَجْزِي عن أحدٍ بَعْدَكَ».

---

قولـه: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة ٢٠/٥]».[١]

وهنا سؤال. وهو أنّه يلزم منه أن يكونوا أفضل من جميع الخلائق، حتّى مِن نبيّنا سيّد البشر أفضل الخلائق أجمعين، وذلك باطل باتّفاق المسلمين.[٢] والجواب عنه من وجهين: **الأوّل**: وأشار إليه المُصنّف أنّ "العالَم" عبارة عن الجمّ الغفير، أي: الجمع الكثير، كأنّهم مِن كثرتهم يغفِر، أي: يستُر بعضهم بعضًا، كقولك: رأيتُ عالَمًا من الناس، والمراد منه الكثرة لا الكلّ، وكقوله تعالى: ﴿بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء ٧١/٢١]، أي: للخلق الكثير.[٣]

وأقول: إطلاق لفظ "العالَم" على الجمع الكثير يكون مجازًا: إمّا باعتبار إطلاق لفظ الكلّ على الجزء، أو لاشتراكهما في معنى الكثرة مع وجود قرينة دالّة على امتناع إرادة الكلّ.

الجواب **الثاني**: أنّ المراد فضّلتكم على عالَمِي زمانكم.[٤]

قوله: (**ومنه الحديث**) قال عليه السلام:

«إنّ أوّل ما نبدأ في يومنا أن نصليَ، ثمّ نرجعُ فننحَر، فمَن فعل ذلك فقد أصاب سُنّتنا، ومَن نحَر قبل الصلاة فإنّما هو لحم قدّمه لأهله ليس من النُسك في شيء، فقال رجل من الأنصار يقال له أبو بُردة بن نِيار: ذبحتُ[٥] وعندي جَذَعة خير من ثنيّة، فقال عليه السلام: تُجزئ عنك ولا تجزئ عن أحد بعدك».[٦]

---

١ د ش + قوله. | وهي زيادة؛ لأنّ ما بعدها لم يرد في لفظ الكشّاف. | **الوسيط** للواحدي، ١٣٣/١ (البقرة، ٤٧/٢).

٢ انظر: **تفسير الرازي**، ٥٥/٣ (البقرة، ٤٧/٢).

٣ انظر لهذا الجواب: **تفسير الرازي**، ٥٥/٣-٥٦ (البقرة، ٤٧/٢).

٤ انظر: **تفسير الرازي**، ٥٥/٣ (البقرة، ٤٧/٢).

٥ ن: بحت.

٦ بلفظ قريب في **صحيح البخاري**، ١٧/٢ (٩٥٥)؛ **صحيح مسلم**، ٩٤٣/٢ (١٩٦١).

و﴿شَيْـًٔا﴾ مفعولٌ به، ويجوز أن يكون في موضعِ مَصدَرٍ؛ أي: قليلًا من الجزاء؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم ٦٠/١٩]، ومَن قرأ: "لا تُجْزِئُ" مِن أَجْزأ عنه: إذا أغنى عنه، فلا يكون في قراءته إلا بمعنى: شيئًا من الإجزاء.

وقرأ أبو السَّرَّارِ الغَنَوِيُّ: "لا تَجْزِي نَسَمَةٌ عن نسمةٍ شيئًا".

وهذه الجملةُ منصوبةُ المحلِّ صفةٌ لـ﴿يَوْمًا﴾.

---

واعلم أنّ فِقه هذا الحديث أنّها كانت جَذَعة من المَعْز، وهي لا تُجزئ في الأُضحيّة، بل ينبغي أن تكون جَذَعًا مِن الضأن، وهو الطاعن في السنة الثانية،[١] أو ثنيًّا من المعز وهو الطاعن في السنة الثالثة، يستوي فيهما الذكر والأنثى، فخصَّه النبيّ عليه السلام،[٢] فقال:[٣] «تجزئ عنك»، أي: الجَذَعة مِن المَعْز، أي: أنت مخصوص بهذا الحكم.

قوله: (فلا يكون)، أي: فلا يكون ما[٤] في قراءة مَن قرأ "لا تُجزئ".[٥] مِن أجزأ عنه، أي: كفى عنه، إلّا في موضع المصدر، إلّا أنّه يتعدى إلى المفعول به بـ"عن"، وجزأ وأجزأ مهموزين لغتان، يعني: كفى. والنسمة: النفس. وهاتان القراءتان شاذّتان.[٦]

قوله: (وهذه الجملة)، يعني قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾،

---

١ د ش: الثالثة. | وما اخترتُه يصلح لمعنى الإجذاع في الضأن؛ ففي معناه أقوال، ليس منها أن يطعن في الثالثة. انظر: **المُغرِب** للمُطرِّزي، «جذع»؛ **والمصباح المنير** للفيومي، «جذع»؛ **ولسان العرب** لابن منظور، «جذع».

٢ ن + بهذا الحكم.

٣ ش – فقال.

٤ ن: شيئًا.

٥ في هذا الموضع من د بياض بمقدار أربعة أسطر، كُتِب فيه: «بياض صحيح». وعُلِّق في أسفل اللوح بخطٍّ واضح: «وجدتُ هذا الموضع بياضًا مقدار خمسة أسطر في أصل النُّسخ التي أُلِّف وجُمِع من الحواشي التي كانت مكتوبة على **الكشّاف** بخطّ فخر الدين الجاربردي، وفتّشتُ عن هذا الموضع في نُسخ أُخَر ما وجدتُ إلّا هكذا بياضًا». وعُلِّق عن يمين الكلام بخطّ دقيق: «وجدتُ هذا الموضع في النُّسخة المُصحَّحة المُقابلة المنقولة عن نُسخة المؤلف ممّا جمع تلميذ المؤلف هكذا بياضًا». وفي ش من الموضع نفسه بياض بمقدار تسعة أسطر، لم يعلّق عليه فيها بشيء. وأثبتُّه من ن ر.

٦ قراءتان شاذّتان: الأولى مرويّة عن أبي السمّال، والثانية مرويّة عن أبي السرّار الغنوي. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٢-١٣؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٦١؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٠٩-٤١٠.

**فإن قلتَ**: فأينَ العائدُ منها إلى الموصوف؟

**قلتُ**: هو مَحْذوفٌ تقديره: لا تجزي فيه، ونحوُه ما أنشده أبو عليٍّ:

تَرَوَّحِــــي أَجْــــدَرَ أَنْ تَقِيلِــــي

أي: ما أَجْدرَ بأنْ تقيلي فيه، ومنهم مَن يُنزِّلُ فيقول: اتُّسعَ فيه فأُجْريَ مجرى المفعول به فحُذف الجارُّ، ثم حُذفَ الضميرُ كما حُذف من قوله:

---

صفة لـ﴿يَوْمًا﴾، والعائد محذوف. قوله: **في الحُجّة**:

المعنى في قوله: ﴿لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾: لا يُقبل فيه منها شفاعة، فمَن زعم أنّ "فيه" محذوفة من قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ جعَل "فيه" محذوفة بعد قوله: ﴿يُقْبَلُ﴾. ومن ذهب إلى أنّه حذَف الجارّ وأَوْصَل إلى المحذوف كان الفعل متعدّيًا[1] بنفسه، ثُمّ حذف الراجع مِن الصفة كما يُحذَف مِن الصِّلة كان مذهبه في قوله: ﴿لَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾ مِثله.[2]

قوله:[3] **(يُنزِّل)**، أي: يَحُطّ الكلام درجة درجة. **(فيقول)**:[4] أصله: تَجزي فيه، ثمّ "تَجزيه"[5] على الاتّساع، ثم "تَجزي" على الحذف. أنشد أبو عليّ في **الحُجّة**:

**(تروَّحــــي أَجــــدرَ أن تَقيلــــي)** غــــدًا بـجـنـبَـي بــــاردٍ ظـليـلِ[6]

وقال: «المعنى: تأتي مكانًا أجدرَ أن تقيلي فيه. فحذف الجارّ، وأَوْصَل الفعل، ثمّ حذف الضمير».[7] وقول المُصنِّف **(ماءً)**[8] قريب[9] ممّا ذكَر أبو عليّ؛

---

[1] ن: متعدٍّ.

[2] ن ر: مثله. | وأثبتُّ ما في مطبوع الحُجّة. | **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٤٤/٢.

[3] د ش - مِن أجزأ عنه... مِثل قوله. | وهو المحذوف من د ش في موضع البياض منهما. وهو مُثبت في ن ر.

[4] د ش - درجة فنقول. | وبعدها بياض يسير بمقدار كلمتين.

[5] ن: تجزي به.

[6] هما لأُحَيحة بن الجُلاح في ديوانه، ص ٨١؛ وبلا نسبة في **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٤٥/٢؛ ونُسِبا إلى أبي النجم العِجلي في **إيضاح شواهد الإيضاح** للقيسي، ٢٢٥/١.

[7] **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٤٥/٢. وزاد في تفصيله ابن جنّي فعدّد لهذا الموضع خمسة أعمال. انظر: **المُحتسَب**، ٢١٢/١؛ وله تفصيل في **إيضاح شواهد الإيضاح** للقيسي، ٢٢٥/١-٢٢٦.

[8] في مطبوع **الكشّاف**: ما أجدرَ. | وأثبتُّ ما في د ش ن، وهو موافق لِما راجعته من أصول **الكشّاف**.

[9] ن: قربت.

أم مـــــــــــالٌ أصَابُـــــــــوا

ومعنى التنكير: أن نفسًا من الأنفسِ لا تجزِي عن نفسٍ منها شيئًا من الأشياء، وهو الإقْناطُ الكلّيُ القَطّاعُ للمطامع، وكذلك قولُه: ......................

---

إذ المراد: مكانًا فيه ماءٌ. و"أجدرَ" منصوب؛ لأنّه صفة موصوف محذوف، هو مفعول "تأتِ" المجزوم الذي هو جواب الأمر، كما أشار إليه أبو عليّ، / وكما سيتحقّق هنا أيضًا. و"تروّح" بمعنى: راح، مِن الرَّواح.[1] والباء مُتعلِّق بـ"أجدرَ" حذَفها الشاعر؛ لأنّ حَذْف الجارّ مع "أنّ" قياس مُستمِرٌّ. وفاعل "أجدرَ" ضمير عائد إلى الموصوف المحذوف. و"تَقيلي" مِن القَيلولة. وبجنبَي باردٍ، أي:[2] غديرٍ بارد، أو نَهر، أو وادٍ.[3] ظليل: ذي ظِلّ. يُخاطِب ناقته،[4] ويقول: سِيري بالرَّواح وجِدِّي في السير تأتي غدًا المكانَ الذي أجدرَ بأن تقيلي فيه مِن هذا المكان. [١٤٩ظ]

قال الشاعر:

كـتـبـتُ إلـيـهـم كُـتـبًـا[5] مِــرارًا ... فـلـم يَـرجِـع إلـيَّ لـهُـمْ جـوابُ
فمـــا أدري أَغيَّرهــــم تنـــاءٍ ... وطُـول الـعَـهْد (أم مـالٌ أصابوا)[6]

أي: أراهم قد تغيَّروا عمّا كانوا عليه مِن الوفاء، فما أدري أغيَّرهم البُعد وطُول العهد -كما قيل: طُول العَهْد مُنسٍ- أم غيَّرهم المال والغِنى الذي أصابوه؟ فإن الغِنى يُطغي؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق ٩٦/٦-٧].

قوله: (وكذلك)، يعني أنّ تنكير ﴿شَفَٰعَةٌ﴾ أفاد العموم مِثل تنكير ﴿نَفۡسٌ﴾.

---

[1] ن - من الرواح.

[2] ن: ظلّ.

[3] ن: فاد.

[4] إلى هذا المعنى ذهب القيسيُّ في إيضاح شواهد الإيضاح، ١/٢٢٨. والظاهر أنّ الخطاب للنخل لا للناقة؛ فسياق الأبيات في الديوان يدلُّ على أنّه يُخاطب فُسيلة. قال العينيُّ في ذلك: «وقد جعل كثير ممّن يتعانى بتفسير الأبيات -حتّى الأفاضل منهم- الخطابَ في قوله: "تروّحي" للناقة... والذي حمَلهم على ذلك عدم الوقوف على ما قبل البيت، وغرّهم لفظ "تروّحي" حتّى جعلوا الخطاب للناقة». المقاصد النحويّة للعيني، ٤/١٥٣٤.

[5] ن: كتابًا.

[6] هما للحارث بن كلدة الثقفي في أمالي ابن الشجري، ١/١٠؛ وهما له ولغَيلان بن سلمة في الحماسة البصريّة للبصري، ٢/٩٢٨، وفيهما «لها جواب» مكان «لهم جواب»؛ وثانيهما للحارث في كتاب سيبويه، ١/٨٨.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾؛ أي: فِدْيةٌ؛ لأنها مُعادَلةٌ للمَفْدِيّ، ومنه الحديث: «ولا يُقبَلُ منه صرفٌ ولا عدلٌ»؛ أي: توبةٌ ولا فِدْيةٌ.

وقرأ قتادةُ: "ولا يَقبل منها شفاعةً" على بناء الفعل للفاعل -وهو الله عزَّ وجلَّ- ونصبِ الشفاعةِ.

وقيل: كانت اليهودُ تَزعُمُ أنَّ آباءَهم الأنبياءَ يَشفعون لهم فأُويِسُوا.

فإن قلتَ: هل فيه دليلٌ على أنَّ الشفاعةَ لا تُقبل للعُصاة؟

قلتُ: نعم؛ لأنه نفَى أن تقضيَ نفسٌ عن نفسٍ ............................

---

قوله: (أي: توبة) تفسير («صَرْف»). و(فدية) تفسير («عَدْل»)،[1] ففيه لفّ ونَشْر. سمَّى الفِداء عَدْلًا؛ لأنّه يُعادِل المَفدِيّ، أي: يُماثله. وعَدْل الشيء وعِدْله: مِثْله؛ قال تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة ٩٥/٥]، أي: ما[2] يُماثله مِن الصيام، ومِثْل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [الأنعام ٧٠/٦].

قوله: (ونَصْبِ) جرٌّ عطفًا على (بناءِ)، وهي قراءة شاذَّة.[3] وقراءة السبعة بضمّ حرف المُضارَعة، وفتح الباء: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتاء، والباقون بالياء.[4]

قوله: (الأنبياء) صفة (آباءهم). و(يشفعون) خبر (أنّ).[5]

قوله: (وقيل: كانت اليهود) عطف على قوله: (ومعنى التنكير)... إلخ، فكأنّه قال: هذا عامّ لجميع المُكلَّفين، أو خاصّ ببني إسرائيل. ويجوز ألّا يكون عطفًا عليه، بل يكون ابتداء كلام شروعًا في سبب النزول.

---

[1] لفظ من حديث في صحيح البخاري، ١٠٠/٤ (٣١٧٢)؛ وصحيح مسلم، ٦١٩/١ (١٣٧٠).

[2] ن - ما.

[3] قراءة شاذّة، مروية عن زيد بن عليّ وإبراهيم النخَعي وقتادة، وكِرداب عن رُويس عن يعقوب. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٤١٣؛ المغني في القراءات للنَّوزاوازي، ص ٤١٠.

[4] السبعة لابن مجاهد، ص ١٥٤؛ التيسير للداني، ص ٢٧٧؛ النشر لابن الجزري، ٢١٢/٢.

[5] ش - قوله: (الأنبياء) صفة (أباهم). و(يشفعون) خبر (أنّ).

حقًّا أخلَّتْ به مِن فعلٍ أو تركٍ، ثم نفَى أن تُقبل منها شفاعةُ شفيعٍ، فعُلِمَ أنها لا تُقبل للعُصاة.

**فإن قلتَ:** الضمير في ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾ إلى أيِّ النَّفسين يرجع؟

**قلتُ:** إلى الثانية العاصيةِ غيرِ المجزيِّ عنها، وهي التي لا يؤخذ منها عدلٌ، ومعنى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾: إن جاءت بشفاعةِ شفيعٍ لم يُقبل منها.

ويجوزُ أن يرجع إلى النفسِ الأولى على أنَّها لو شَفَعتْ لها لم تُقبل شفاعتُها كما لا تُجزئ عنها شيئًا، ولو أعطَتْ عَدْلًا عنها لم يؤخَذْ منها.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يعني: ما دلَّتْ عليه النفسُ المنكَّرةُ من النُّفوس الكثيرة، والتذكيرُ بمعنى العِبَادِ والأَناسيِّ؛ كما تقول: ثلاثةُ أنفُسٍ.

---

قوله: **(أخلَّت)** يقال: أخلَّ الرجل بمَركزه، أي: تَرَكه، والضمير المستتر في "أخلَّت" عائد إلى "النفس". والضمير مِن **(به)** عائد[1] إلى **(حقًّا)**. وقوله: **(مِن فعل)** بيانُ "حقًّا".

قوله: **(ومعنى ﴿لَا يُقْبَلُ﴾)** في محلّ المبتدأ.[2] وقوله: **(إن جاءت)** خبره، يعني: والمعنى على تقدير عود الضمير إلى "النفس" الثانية العاصية: أنّه إنْ جاءت النفس الثانية العاصية بشفاعة شفيع لم تُقبَل منها.

قوله:[3] **(على أنّها)** أي: على معنى أنّها، أي: النفس الأولى، وهي الشفيع، لو شفَعت للنفس الثانية لم تُقبَل، ولو أعطت النفس[4] الأولى فداءً مِن النفس الثانية لم تُؤخَذ[5] من النفس الأولى.

قوله: **(يعني: ما دلَّت)**[6] يريد: أنّه إنّما أتى بلفظ الجمع في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ نظرًا إلى الكثرة التي دلَّت عليه "النفس"[7] النكرة في سياق النفي

---

١ ن – عائد.

٢ ن: الابتداء.

٣ ن – قوله.

٤ ن – النفس.

٥ ن: يوجد.

٦ ن: ما دامت.

٧ ن – عليه "النفس".

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

أصلُ "آلِ": أهْلٌ، ولذلك يُصغرُ بأُهَيْلٍ، فأُبدلَتْ هاؤُه ألفًا، وخُصَّ استعمالُه بأُولي الخَطَرِ والشأن كالملوك وأشباههم، ولا يقال: آلُ الإسْكافِ والحجَّام.

و"فرعون" عَلَمٌ لمن مَلَكَ العَمالقةَ كَقَيْصرَ لملكِ الروم، وكِسْرى لملك الفُرْسِ، ولِعُتُوِّ الفَراعنةِ اشتَقُّوا: تَفَرْعَنَ فلانٌ، إذا عتَا وتجبَّرَ، ....................

---

في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ﴾، وإنَّما أتى بلفظ المُذكَّر وإن كان "النفس" مُؤنَّثًا؛ لأنَّها بمعنى العباد والأناسيِّ، كما تقول: "ثلاثة أنفس" إذا كان المراد: الرجال.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

قال الإمام:

> لمَّا قدَّم الله تعالى ذِكْر نعمة[١] بني إسرائيل إجمالًا، بيَّن بعد ذلك أقسام تلك النِّعم[٢] تفصيلًا؛ ليكون أبلَغ في التذكير وأعظمَ في الحُجَّة، فكأنَّه قال: اذكروا نعمتي، واذكروا إذ أنجيناكم، واذكروا إذ فَرَقنا، وهي إنعامات، والمذكور في هذه الآية هو الإنعام الأوّل. وأصل الإنجاء والتنجية: التخليص.[٣]

[١٥٠و] قوله: (و﴿فِرْعَوْنَ﴾ عَلَم لمَن مَلَك العَمالقة) قال في الصحاح: / «العَماليق والعَمالقة:[٤] قوم من ولد عِمْليق بن لاوَذ بن إرَم بن سام بن نوح، وهم أُمَم تفرَّقوا في البلاد».[٥]

قوله: (اشتقُّوا "تفرعَن") يُسمّي بعضهم مثل هذا[٦] الاشتقاق بالاشتقاق[٧] الجَعْليّ.[٨]

---

١ ن: نعم.

٢ ن: النعمة.

٣ انظر: تفسير الرازي، ٧١/٣ (البقرة، ٤٩/٢). ونقل قوله: "وأصل الإنجاء..." عن القفّال.

٤ ن: العمالق.

٥ الصحاح للجوهري، «عملق».

٦ ن – هذا.

٧ ن: فالاشتقاق.

٨ مضى للمُصنِّف حديث عنه في المُقدِّمة، ولم أقف عليه فيما عُدت إليه من المصادر.

وفي مُلَح بعضِهم:

قد جاءهُ الموسَى الكَلُومُ فزادَ في أقْصَى تَفَرْعُنِهِ وفَرْطِ عُرَامِه

---

قوله: (وفي مُلَح بعضِهم) يقال: ملَّح الشاعر إذا أتى بشيء مليح، واسم ذلك الشيء المُلْحة. قال المُطرِّزيّ في شرح المقامة:[1] التمليح: أن يُشير في فحوى كلامه إلى مَثَل سائر أو شِعر نادر أو قصَّة مشهورة من غير أن يذكرها، كقوله:

المُستغيث بعمرو عند كُربتهِ كالمُستغيث مِن الرَّمضاء بالنارِ[2]

يُشير[3] إلى حديث كُلَيب واستغاثته[4] عمرو بن الحارث.[5]

قيل: أراد المُصنِّف بقوله:[6] "بعضِهم" نفسه. قال:

(قد جاءه المُوسى الكَلوم فزاد في أقصى تفرعُنِه وفَرْط عُرامهِ)[7]

"المُوسى": الحديد الذي يُحلَق به. قال:

حُلِقَت لِحية مُوسى باسمه وبهارون إذا ما قُلِبا[8]

وقال آخر:

لحية[9] الشيخ[10] فِرْعونيَّة سلَّط الله عليها موسى[11]

---

[1] طُبع باسم الإيضاح في شرح مقامات الحريري للمُطرِّزي، ولم أجد فيه الكلام المذكور هنا.

[2] البيت لأبي نَجْدة لُجيم بن سعد في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ٣٤/٢٤؛ وهو للتِّكلام الضُّبَعي في فصل المقال للبكري، ٣٧٧/١. وبلا نسبة في جمهرة الأمثال للعسكري، ١٦٠/٢. وسار عجُزه مثلًا. انظره في كتب الأمثال السالفة؛ ومجمع الأمثال للميداني، ١٤٩/٢.

[3] ن: مُشيرًا.

[4] ن: استعانته.

[5] انظر تفصيل القصّة في فصل المقال للبكري، ٣٧٧/١.

[6] د: بقولهم.

[7] ن: عوامه. | وما عرفت قائل البيت. وهو بلا نسبة في الدُّرّ المصون للسمين الحلبي، ٣٤٤/١ (البقرة، ٤٩/٢).

[8] البيت لأبي العتاهية في ملحق ديوانه، ص ٤٨٥. وهو بلا نسبة في الصناعتين للعسكري، ص ٤٣٠؛ ونهاية الإيجاز للرازي، ٦١. والظاهر أنّه يقصد بمقلوب "هارون" النُّورة، والأقرب إلى السياق في معناها أن يُراد بها: الحجر الذي يُحرَق ويُسوّى منه الكلس ويُحلق به الشَّعر. انظر: لسان العرب لابن منظور، «نور».

[9] ن: تحية.

[10] في هامش د: لحية للشيخ. "نسخة".

[11] ما عرفتُ قائله، ولا أصبتُه فيما وقفتُ عليه من المصادر.

وقرئ: "أنجيناكم" و"نجّيتُكم".

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ من سامَهُ خَسْفًا: إذا أَوْلاه ظُلْمًا، قال عمرو بنُ كلثوم:

إذا ما المَلْكُ سامَ الناسَ خَسْفًا أَبَيْنا أنْ نُقِرَّ الخَسْفَ فينا

وأصلُه مِن «سامَ السلعةَ»: إذا طَلَبها؛ كأنّه بمعنى: يَبْغونكُم سُوءَ العذاب ويريدونكم عليه، والسوء: مصدر السَّيِّئ، يقال: أعوذُ بالله من سُوء الخُلق وسُوء الفِعْل، يُراد: قُبْحُهما.

ومعنى ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ والعذابُ كلُّه سَيِّئٌ: أَشَدُّه وأَفْظعُه؛ كأنّه قُبْحُه بالإضافة إلى سائره.

---

و"الكَلُوم" مِن الكَلْم: وهو الجَرْح. والعُرام: سُوء الخلق. والضمير في "جاءه" راجع إلى الذَّكَر. قيل: يصف مَحتونًا. وقيل: يريد أنّ حَلْق العانة زاد في قوّة الذَّكَر وشِدَّته.

قوله: (قُرئ "أَنجيناكم" و"نجَّيتُكم") هما شاذَّتان.[١]

(قال عمرو بن كُلثوم:[٢]

إذا ما المَلْك سام الناس خَسْفًا أبينا أن يُقِرَّ[٣] الخَسْفَ فينا)[٤]

يقال: سامه[٥] خَسْفًا،[٦] أي: حَمَّله وكلَّفه ظُلْمًا وذُلًّا. أي: إذا أكرَه المَلِك الناس على ما فيه ذُلُّهم أبينا الانقياد له والامتثال لأمره.[٧]

قوله: (ومعنى: ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾) مبتدأ، (أشدُّه) خبره.

قوله: (والعذاب كلُّه سيّئ) جملة مُعترِضة، أي: معنى ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: أشدُّ العذاب، كأنّ الأشدّ قُبْح العذابِ بالنسبة إلى باقي العذاب.

---

[١] قراءتان شاذّتان: الأولى مرويّة عن أبي عبلة، والثانية مرويّة عن إبراهيم النخَعي. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٣؛ المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٤١١.

[٢] ن ش - بن كلثوم.

[٣] في هامش د: نُقِرّ. "نسخة".

[٤] البيت من معلّقته المشهورة، وهو في شرح القصائد السبع لابن الأنباري، ص ٤٢٥.

[٥] ن: شامه.

[٦] ن: خشفًا.

[٧] انظر قريبًا من هذا الشرح في شرح القصائد السبع لابن الأنباري، ص ٤٢٥.

﴿يُذَبِّحُونَ﴾: بيانٌ لقوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ ولذلك تُرِك العاطفُ؛ ..............

قوله: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بيانٌ. اعلم أنّه ذكَر في هذه السورة ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بلا واو، وفي "سورة إبراهيم" مع الواو، والوجه فيه أنّه: إذا جُعِل قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ مُفسَّرًا بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ لم يحتَج إلى الواو؛ لكونه بيانًا، وأمّا إذا جُعِل قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ مُفسَّرًا بسائر التكاليف الشاقَّة سوى الذَّبْح، وجُعِل الذَّبْح نوعًا آخر سوى ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ احتيج فيه إلى الواو.

والمُفسِّرون اختلفوا فيه: فقال محمَّد بن إسحاق: 'إنّه جعلهم خَوَلًا وخَدَمًا له، وجَعَلهم في أعماله أصنافًا: فصِنْف كانوا يَحرُثون له، وصِنْف كانوا يَزرَعون له، وصِنْف كانوا يحمِلون إليه الطعام من البلاد، ومَن لم يكن في نوع من أعماله كان يأمر بأن يُوضَع عليه جزية'.[١] وقال السُّدّيُّ: كان قد 'جعَلهم في الأعمال القذِرة'[٢] الصعبة، مثل كَنْس المَبرَز، وعَمَل الطين، ونَحْت الجبال. ولا شكّ في أنّ كون الإنسان تحت يد الغير بحيث يتصرَّف فيه كما يشاء -لا سيَّما إذا استعمله في الأعمال الشاقَّة الصعبة القذرة- يكون مِن أشدّ أنواع العذاب، حتّى إنّ مَن هذه حاله ربّما تمنَّى الموت.[٣]

إذا عرفتَ هذا فنقول: الموضعان يحتمل الوجهين، إلّا أنّ الفائدة التي يجوز أن تكون هي المقصودة مِن ذِكْر حرف العطف في "سورة إبراهيم" وتَرْكه ههنا أن: يقال: إنّه تعالى قال في "سورة إبراهيم" قبل هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم ١٤/٥]، والتذكير بأيّام الله[٤] لا يحصُل إلّا بتعديد نِعَم الله تعالى؛ فوجَب[٥] أن يكون المراد من قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [إبراهيم ١٤/٦]: نوعًا مِن / العذاب، ومِن قوله: ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ [إبراهيم ١٤/٦] نوعًا آخر، فلهذا وجب ذِكْر العاطف هنا. وأمّا في هذه الآية فلم يُذكَر الأمر إلّا بتذكير جنس النِّعمة، وهي قوله: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، [١٥٠ظ]

١ جامع البيان للطبري، ١/٦٤٥ (البقرة، ٢/٤٩).
٢ جامع البيان للطبري، ١/٦٤٥ (البقرة، ٢/٤٩).
٣ انظر: تفسير الرازي، ٣/٧١-٧٢ (البقرة، ٢/٤٩).
٤ ن - بأيّام الله.
٥ ن: يوجب.

كقوله تعالى: ﴿يُضَاهُونَ قول الذين كفروا من قبل﴾ [التوبة ٣٠/٩].

وقرأ الزُهْريُّ: "يَذْبَحون" بالتخفيف؛ كقولك: قطَّعْتُ الثيابَ وقطَعْتُها.

وقرأ عبدُ الله: "يقَتِّلُونَ".

وإنّما فعلوا بهم ذلك لأن الكهَنَةَ أَنذروا فرعون بأنّه يُولد مولودٌ يكون على يده هلاكُه كما أُنذر نُمْروذُ، فلم يُغْنِ عنهما اجتهادُهما في التحفُّظ وكان ما شاء الله.

و"البلاءُ": المحنةُ إنْ أُشير بـ﴿ذَٰلِكُم﴾ إلى صنيع فرعون، والنِّعمةُ إن أُشير به إلى الإنجاء.

---

فسواء كان المراد مِن سوء العذاب هو الذَّبْح أو غيره كان تذكير[١] جنس النِّعمة حاصلًا، فظهر الفرق.[٢]

وهنا[٣] تقرير آخر ذكَره المُصنِّف في "سورة إبراهيم"،[٤] وسيجيء بيانه إن شاء الله تعالى.

قوله: (كقوله: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾) شبّه المُصنِّف تَرْك العطف هنا بتَرْك العطف في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [التوبة ٣٠/٩]، أي: ترك الواو هنا؛ لأنّ قوله: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾، أي: يُشابِهون بيانٌ لقوله: ﴿قَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾... إلخ.

قوله: (وقرأ الزُّهريُّ) هذه القراءة،[٥] وقراءة عبد الله شاذّة.[٦] والتفعيل للتكثير. و﴿يَسْتَحْيُونَ﴾ يستفعلون مِن الحياة، والمعنى: يَستبقونهنّ أحياءً ولا يقتلونهنّ.

قوله: (وإنّما فعلوا) أي: إنّما فعل آل فرعون ببني إسرائيل ذلك الذَّبْح.

قوله: (عنهما) أي: عن فرعون ونَمروذ.

---

[١] ن: ليذكر.

[٢] من قوله: "والمفسِّرون اختلفوا فيه" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٧٢/٣-٧٣ (البقرة، ٤٩/٢).

[٣] ن: وههنا.

[٤] ن: النعمة. | انظر: الكشّاف للزمخشري، (إبراهيم، ٦/١٤).

[٥] قراءة شاذّة، مرويّة عن الزُّهري وابن محيصن وزيد بن عليّ. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٣؛ المُحتسَب لابن جنّي، ٧٦/١؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٦١؛ المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٤١٢.

[٦] المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٤١٢.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾

﴿فَرَقْنَا﴾: فصَلنا بين بعضِه وبعضٍ حتَّى صارَتْ فيه مسالكُ لكم.

وقرئ: "فَرَّقْنا" بمعنى: فصَّلنا، يقال: فَرَق بين الشيئين وفَرَّق بينَ الأشياء؛ لأنّ المسالك كانت اثني عَشَرَ على عدَدِ الأسْبَاط.

**فإن قلتَ**: ما معنى ﴿بِكُمُ﴾؟

**قلتُ**: فيه أوجُهٌ:

أن يراد أنهم كانوا يَسْلكونه ويَنْفَرِق الماءُ عند سلوكهم؛ فكأنَّما فُرق بهم كما يُفرق بين الشيئين بما يُوسَّط بينهما.

وأن يراد: فرَقناه بسببكم وبسبب إنجائكم.

وأن يكون في موضع الحال بمعنى: فَرَقْناه مُلْتَبِسًا بكم؛ كقوله:

---

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

هذا هو **النِّعمة الثانية**.

قوله: (**قُرِئ "فرَّقنا"**) هي قراءة شاذّة.[1]

قوله: (**لأنّ المَسالك كانت**[2] **اثني عشَر**) إشارة إلى أنّه للتكثير، ويجوز أن يكون للمبالغة.

قوله: (**فكأنّما فُرِق بهم**) فالباء للآلة، أي: الاستعانة نحو "كتبتُ بالقلم" و"ضربتُ بالسَّوط"، فيكون الضمير مفعولًا به بواسطة حرف الجرّ.

قوله: (**بسببكم**) كما يقال: قتلت هذا بهذا. وقوله: (**وبسبب إنجائكم**) كالبيان لقوله: "بسببكم".

قوله: (**وأن يكون في موضع الحال**) أي: من البحر. قال أبو الطيِّب:

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن الزُّهري. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٣؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٦٢؛ المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٤١٣.

٢ ن - كانت.

تَــدوسُ بنا الجماجِمَ والتَّريبَا

أي: تَدوسُها ونحن راكبوها.

ورُوِي: أن بني إسرائيل قالوا لموسى: أين أصحابُنا لا نراهم؟ قال: سِيروا فإنَّهم على طريقٍ مثلِ طريقكم، قالوا: لا نَرضَى حتَّى نراهم، فقال: اللّٰهم أعنِّي على أخلاقهم السيِّئة، فأُوحي إليه: أنْ قُل بعصاك هكذا، فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوًى، فَتَراءَوْا وتسامعُوا كلامَهُم ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ إلى ذلك وتُشاهدونَه لا تَشكُّونَ فيه.

---

كأنّ خيولنا كانت قديمًا تُسقَّى في قُحوفهم[1] الحليبا
فمرَّت غيرَ نافرة عليهم (تدوس بنا الجماجم والتَّريبا)[2]

القحوف جمع القِحْف: وهو «العظم الذي[3] فوق الدِّماغ».[4] «والعَرب[5] تسقي اللبنَ كرامَ خيولهم. يقول: خيلنا كأنّها تُسقَّى اللبن في قِحاف رءوس أعدائنا[6] لإلفها بها».[7] وهو قوله: فمرَّت، «أي: وطئت رءوسهم وصدورهم ونحن عليها ولم تنفِر عنهم».[8] وقوله: "بنا" حالٌ، ونحوه قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ﴾ [مريم ٢٢/١٩]، أي: اعتزلت وهو[9] في بطنها. وقوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون ٢٠/٢٣]، أي: تنبُت[10] ودُهنها فيها.

قوله: (قُل بعصاك) أي: أَشِر.

قوله تعالى: ﴿وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ ولم يذكر غَرَق فرعون؛ إذ عُلِم في موضع آخر: قال تعالى: ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾ [الإسراء ١٠٣/١٧]، وقال: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾ [القصص ٤٠/٢٨]. ويجوز أن يريد بـ﴿ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ نفسَه، كقوله تعالى: ﴿مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ [البقرة ٢٤٨/٢]، أي: موسى وهارون.[11]

---

[1] ن: قلوبهم.

[2] شرح الواحدي لديوان المتنبّي، ٨٤٦/٢. والتريب: التراب. انظر: لسان العرب لابن منظور، «ترب».

[3] ن – الذي.

[4] الصحاح للجوهري، «ترب».

[5] ن: الغرب.

[6] ن: أعرابنا.

[7] ن: ها. | شرح الواحدي لديوان المتنبّي، ٨٤٦/٢.

[8] شرح الواحدي لديوان المتنبّي، ٨٤٦/٢.

[9] ن: وهي.

[10] ن – أي: تنبت.

[11] من قوله: "قوله تعالى" إلى هنا بلفظ قريب في الوسيط للواحدي ١٣٦/١ (البقرة، ٥١/٢)؛ والبسيط للواحدي، ٥٠٩/٢ (البقرة، ٥١/٢).

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۝٥١ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٢﴾

لما دخل بنو إسرائيلَ مصرَ بعدَ هلاك فرعونَ ولم يكن لهم كتابٌ ينتهُون إليه وعَد الله موسى عليه السلام أنْ يُنزِلَ عليه التوراةَ، وضرب له ميقاتًا ذا القعدة وعشرَ ذي الحجة، وقيل: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ لأن الشهور غُرَرُها بالليالي.

وقرئ: ﴿وَعَدْنَا﴾ لأنَّ الله تعالى وعَده الوحيَ وموسى وعَد المجيءَ للميقات إلى الطُّور.

---

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾، أي: إلى ذلك الإغراق والتِطام أمواج البحر بفرعون وقومه.[١]

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۞ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

هذا هو النعمة **الثالثة**. إنّما قال تعالى: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ولم يقل:[٢] يومًا؛ لأنّ التاريخ عند العرب يعتبر بالشهور، وغُرّة الشهر بالليل. قال الإمام: «معنى قوله: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ واعدناه انقضاءَ أربعين ليلة، لقولهم: اليوم أربعين يومًا منذ خرج[٣] فلان، أي: تمام الأربعين. والحاصل أنّه حُذِف المضاف وأقيم المضاف إليه مُقامه، / كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف ١٢/٨٢]».[٤] [١٥١و]

قوله: **(ذا القَعدة وعشر ذي الحجّة)** يُشير به إلى أنّه ليس المراد انقضاءَ[٥] أيّ أربعين كان، بل أربعين مُعيَّنًا، وهو الثلاثون مِن ذي القَعدة والعشر الأوّل من ذي الحجّة، وكان موسى عليه السلام عالمًا بأنّ المراد هو هذا الأربعون.[٦]

قوله: **(قُرئ ﴿وَعَدْنَا﴾)** «قرأ أبو عمرو: "وإذ وَعَدنا"،[٧] و"وعدناكم" بغير ألف[٨]

---

١ انظر: **الوسيط للواحدي** ١/١٣٦ (البقرة، ٢/٥١)؛ **والبسيط للواحدي**، ٢/٥١٠ (البقرة، ٢/٥١).
٢ ن + أربعين.
٣ ن: خروج.
٤ انظر: **تفسير الرازي**، ٣/٧٩ (البقرة، ٢/٥١).
٥ ن - انقضاء.
٦ د: **الأربعين**؛ هامش د: الأربعون. | كأنّه كُتِب بعدها "**أصحّ**".
٧ ن: واعدنا.
٨ ن: واو.

﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: من بعد مُضيّه إلى الطُّور ﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ بإشراككم.

﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم﴾ حينَ تُبتم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾: من بعد ارتكابكم الأمرَ العظيمَ، وهو اتّخاذُكم العجل ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: إرادةَ أن تَشكروا النِّعمةَ في العفو عنكم.

---

حيث وقع، وقرأ الباقون بالألف».[١] «أمّا القراءة بغير ألف فوجهه ظاهر؛ لأنّ الوعد كان مِن الله تعالى. والمُواعَدة مُفاعَلة فلا بدَّ له من اثنين، وأمّا بالألف فله وجوه: **الأوّل**: أنّ الوعد وإن كان من الله تعالى فقَبوله كان مِن موسى عليه السلام، وقَبول الوعد يُشبِه الوعد؛ لأنّ القابل للوعد[٢] لا بدّ أن يقول: أفعلُ ذلك».[٣] قال أبو عليّ في **الحُجّة**: «قَبول الوعد والتحرّي لإنجازه والوفاء به يقوم مَقام الوعد ويجري مَجراه».[٤] **الثاني**: أنّ "فاعَل" قد يجيء للواحد نحو "عافاك الله تعالى"،[٥] و"عاقبتُ[٦] اللّص". **الثالث**: وقال الإمام: «وهو الأقوى أنّ الله تعالى وَعَده الوحيَ، وهو وَعَد الله المجيءَ للميقات إلى الطور».[٧] «قال القفّال: ولا يبعُد أن يكون الآدمي يَعِد الله تعالى،[٨] ويكون معناه: يُعاهِد الله تعالى».[٩]

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: اتخذتم العجل إلهًا مِن بعد مُضي موسى إلى الطور. والاتّخاذ افتعال من الأخذ يقتضي مفعولين، حُذِف الثاني للعلم به.[١٠] قال في **الحُجّة**:

> أمّا "اتّخذتُ" فإنّه في[١١] التعدّي على ضربين: **أحدهما**: أن يتعدّى إلى مفعول واحد، **والآخر**: أن يتعدّى إلى مفعولين. فأمّا[١٢] تعديه إلى مفعول واحد فقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان ٢٥/٢٧]، ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ﴾ [الزخرف ٤٣/١٦]، ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ﴾ [مريم ١٩/٨١]؛ وأمّا إذا تعدّى إلى مفعولين فالثاني منهما الأوّل في المعنى،

---

١ **التيسير** للداني، ص ٢٧٨. وانظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٥٤؛ **والنشر** للجزري، ٢/٢١٢.

٢ ن - وإن كان من الله تعالى فقَبوله كان مِن موسى عليه السلام، وقَبول الوعد يُشبِه الوعد؛ لأنّ القابل للوعد.

٣ **تفسير الرازي**، ٣/٧٨ (البقرة، ٢/٥١).

٤ **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢/٦٦.

٥ ش ن - تعالى.

٦ ن: عافيت.

٧ **تفسير الرازي**، ٣/٧٨ (البقرة، ٢/٥١).

٨ ن - تعالى.

٩ **تفسير الرازي**، ٣/٧٨ (البقرة، ٢/٥١).

١٠ انظر: **الوسيط** للواحدي ١/١٣٧ (البقرة، ٢/٥١).

١١ ن: إلى.

١٢ ن: فإنّه.

..............................................................

قال: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ [المجادلة ١٦/٥٨]، ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة ١/٦٠]. وأمّا قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾ [البقرة ١٢٥/٢] فمَن أجاز زيادة "مِن" في الإيجاب[١] جاز على قوله أن[٢] يكون قد تعدَّى إلى مفعولين، ومَن لم يُجِز كان عنده مُتعدِّيًا إلى واحد. ونظير "اتّخذ" في التعدّي إلى واحد مرّة، وأخرى إلى مفعولين، الثاني الأوّلُ منهما في المعنى: "جعل". قال الله[٣] تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام ١/٦]، أي: خلقهما ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾ [يونس ٨٧/١٠]، و﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص ٤١/٢٨]، و﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف ١٩/٤٣]. وأمّا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ﴾ [السجدة ٢٤/٣٢] فعلى الخلاف المذكور. وأمّا قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ وقوله تعالى: ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [البقرة ٥٤/٢]، ﴿ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف ١٤٨/٧]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [الأعراف ١٥٢/٧]. التقدير في هذا كله: اتّخذوه إلهًا، فحذف المفعول الثاني.[٤]

«قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم﴾. قال ابن الأنباريّ: عفا الله عنك، معناه: محا الله عنك، مأخوذ من قولهم: عفَت الرياح الآثارَ إذا درَسَتها، وعَفْو الله تعالى:[٥] مَحْوه الذنوب عن العبيد، والمراد بالعفو هنا: قَبول التوبة مِن عَبَدة العِجل، وأمْره برَفْع السيف عنهم».[٦]

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾.

هذا هو النعمة الرابعة. و«﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾»:[٧] مصدر فَرَقتُ بين الشيئين أفرُق فَرْقًا وفُرْقانًا، كالرُّجحان والنُّقْصان، ويُسمَّى كلُّ فارق فُرقانًا؛ لفَصْله بين المُحق

---

١ هم الكوفيّون والأخفش من البصريّين. ومضى تفصيل المسألة وتخريجها في تفسير سورة البقرة، ٢٣/٢.

٢ ن – أن.

٣ د ش – الله.

٤ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٦٨/٢-٧٠.

٥ د ش – تعالى.

٦ **الوسيط** للواحدي ١٣٨/١ (البقرة، ٥٢/٢). وفي مطبوعه «الذنب» مكان «الذنوب»، و«قبوله» مكان «قبول».

٧ ن – ﴿لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ هذا هو النعمة الرابعة. و﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾.

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣﴾

﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ يعني: الجامعَ بينَ كونه كتابًا مُنْزَلًا وفرقانًا يَفرُقُ بين الحقِّ والباطل، يعني: التوراة؛ كقولك: رأيتُ الغَيْثَ والليث، تريد: الرجلَ الجامعَ بين الجُود والجرأة، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا﴾ [الأنبياء ٤٨/٢١] يعني: الكتابَ الجامعَ بين كونه فرقانًا وضياءً وذكرًا.

أو: التوراةَ والبرهانَ الفارقَ بينَ الكفرِ والإيمان؛ من العصا واليد وغيرِهما من الآيات.

أو: الشرعَ الفارق بين الحلال والحرام.

وقيل: الفرقانُ: انفراقُ البحر.

وقيل: النصرُ الذي فرق بينه وبين عدوِّه؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال ٤١/٨] يريد: يومَ بدرٍ.

---

والمُبطِل».[١] إذا عرفتَ هذا فنقول: اتَّفقوا على أنّ المراد بالكتاب هنا **التوراة**،[٢] واختلفوا في الفُرقان: فقال بعضهم: المراد به **التوراة أيضًا**،[٣] وهو الذي أشار إليه المُصنِّف بقوله: (**يعني: الجامع بين / كونه كتابًا**)... إلخ، وقال بعضهم: المراد بالفرقان غيرُ **التوراة**، وهؤلاء اختلفوا على وجوه. فقوله: (**أو التوراة، والبرهان**) عطف على قوله: (**الجامع**)... إلخ، فكأنّه قال: أو يعني: **التوراة** والبرهان، أي: أراد بالكتاب: **التوراة**، وبالفرقان: البُرهان. [١٥١ظ]

قوله: (**أو الشرع**) عطف على قوله: "البرهان". وكذا قوله: (**وقيل الفُرقان: انفراق البحر**). وكذا قوله: (**وقيل: النصر**). فكأنّه قال: المراد بالفرقان: إمّا البُرهان،

---

١ **الوسيط** للواحدي ١٣٨/١ (البقرة، ٥٣/٢).

٢ انظر: **جامع البيان** للطبري، ٦٧٦/١ (البقرة، ٥٣/٢)؛ **والكشف والبيان** للثعلبي، ٣٠٤/٣ (البقرة، ٥٣/٢)؛ **والوسيط** للواحدي ١٣٨/١ (البقرة، ٥٣/٢).

٣ وهو قول ابن عبّاس رضي الله عنه وأبي العالية ومجاهد، واختاره الفرّاء والزَّجّاج. انظر لتفصيل ذلك: **معاني القرآن** للفرّاء، ٣٧/١؛ **وجامع البيان** للطبري، ٦٧٦/١-٦٧٨ (البقرة، ٥٣/٢)؛ **ومعاني القرآن وإعرابه** للزَّجّاج، ١٣٤/١؛ **والكشف والبيان** للثعلبي، ٣٠٤/٣ (البقرة، ٥٣/٢)؛ **والبسيط** للواحدي، ٥٢٥/٢-٥٢٦ (البقرة، ٥٣/٢).

.....................................

أو الشرع، أو انفراق البحر، أو النصر.[١] وتمام تقريره أن نقول: المراد مِن الفرقان يحتمل أن يكون **التوراة**، وأن يكون شيئًا داخلًا في **التوراة**، وأن يكون شيئًا خارجًا مِن **التوراة**، فهذه أقسام ثلاثة لا مَزيد[٢] عليها.

«وتقرير **الاحتمال الأوّل**: أنّ **التوراة** لها صفتان: كونها كتابًا مُنزَلًا، وكونها فارقًا بين الحقّ والباطل».[٣] وهذا أبلغ مِن تَرْك العاطف؛ لأنّ العاطف[٤] يجعل كلّ واحد كالمقصود في الذِّكْر، وهذا القول اختيار الفرّاء، قال: العَرب تُكرِّر الشيء إذا اختلفَت ألفاظه، كقول عَديّ:

وألـفـى قـولـها كَـذِبًـا ومَـيْـنـا[٥]

وقول عنترة:

أقـوى وأقـفـر بـعـد أمّ الـهَـيْـثـمِ[٦]

والإقواء والإقفار بمعنى: الخُلوّ.

وتقرير[٧] **الاحتمال الثاني**: أن يكون المراد من الفرقان ما في **التوراة** من بيان الدِّين؛[٨] لأنّه إذا أبان[٩] ظهر الحقّ مُتميّزًا من الباطل، فالمراد مِن الفرقان بعض ما في **التوراة**، وهو بيان أصول الدين وفروعه.

وأمّا تقرير **الاحتمال الثالث**[١٠] فمن وجوه: **الأوّل**: المراد سائر آيات موسى

---

١ انظر لهذه الأقوال: **جامع البيان** للطبري، ١/٦٧٨ (البقرة، ٢/٥٣)؛ و**الكشف والبيان** للثعلبي، ٣/٣٠٤-٣٠٧ (البقرة، ٢/٥٣)؛ و**الوسيط** للواحدي ١/١٣٨-١٣٩ (البقرة، ٢/٥٣).

٢ ن: لا بدّ.

٣ **تفسير الرازي**، ٣/٨٢ (البقرة، ٢/٥٣).

٤ ن - لأنّ العاطف.

٥ عجز بيت لعَديّ بن زيد العبادي، وصدره:

وقـدّمـتِ الأديـمَ لـراهـشَـيـهِ

وهو في **ديوانه**، ص ١٨٣؛ وله في **معاني القرآن** للفرّاء، ١/٣٧.

٦ من قوله: "وهذا القول اختيار" إلى هنا بلفظ قريب في **الوسيط** للواحدي، ١/١٣٨ (البقرة، ٢/٥٣)؛ وتصرّف الواحديّ في كلام الفرّاء تصرّفًا يسيرًا. انظر: **معاني القرآن** للفرّاء، ١/٣٧. | والشعر المذكور عجز بيت من معلّقة عنترة في **ديوانه**، ص ١٨٥. وصدره:

حُـيـيـتَ مِـن طَـلَـل تـقـادَم عـهـدُه

٧ ن: تقدير.

٨ ن: الذين.

٩ ن: كان.

١٠ ن: الثاني.

..........................................................

عليه السلام،[١] كاليد والعصا. **الثاني**: المراد النصر والفرج الذي آتاه الله تعالى بني إسرائيل على قوم فرعون. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال ٤١/٨]، والمراد: النصر الذي آتاه الله تعالى يوم بدر؛ وذلك لأنّه قبل ظهور النصر يتوقّع كلّ واحد مِن الخصمين في أن يكون هو المستوليَ، وصاحبه هو المقهور، فإذا ظهر النصر تميَّز الراجح من المرجوح، وانفرق الطمع الحقُّ من الطمع الكاذب. **الثالث**: قال قُطْرُب: الفُرقان: هو انفراق البحر لموسى عليه السلام.[٢]

فإن قلتَ: فهذا قد صار مذكورًا في قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [البقرة ٥٠/٢]، وأيضًا[٣] فقوله تعالى بعد ذلك: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لا يليق إلّا بالكتاب؛ لأنّ ذلك لا يُذكر إلّا عقيب الهدى.

قلتُ: الجواب عن **الأوّل**: أنّه تعالى لم يُبيِّن في قوله تعالى:[٤] ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ أنّه كان ذلك لأجل موسى عليه السلام،[٥] وفي هذه الآية بيَّن ذلك التخصيص على سبيل التنصيص، وعن **الثاني**: أنّ فَرْقَ البحر كان من الدلائل، فلعلّ المراد أنّا آتينا موسى فَرْق البحر. استدلُّوا[٦] بذلك على وجود الصانع، وصِدْق موسى عليه السلام،[٧] وذلك هو الهداية. وقال آخرون: المعنى: وإذ آتينا موسى الكتاب، يعني: **التوراة**، وآتينا محمَّدًا صلّى الله عليه وسلّم[٨] الفرقان؛

---

١ ن - عليه السلام.

٢ لم أقف على هذا القول منسوبًا إلى قُطرب. ونسبه الفرّاء لبعض المُفسِّرين. انظر: **معاني القرآن** للفرّاء، ٣٧/١؛ ونسَبه الثعلبي إلى يمان بن رِئاب. انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ٣٠٧/٣ (البقرة، ٥٣/٢)؛ ونسَبه الواحدي إلى الزّجّاج. انظر: **الوسيط** للواحدي ١٣٩/١ (البقرة، ٥٣/٢). ولم أجده في موضع الكلام على الآية من **معاني القرآن وإعرابه**. ولقطرب قول غيرُه سيأتي.

٣ ن: أيضًا.

٤ ن - تعالى.

٥ ش - عليه السلام.

٦ ش: ليستدلوا.

٧ ش - عليه السلام.

٨ ن - صلّى الله عليه وسلّم.

..................................................

لكي تهتدوا به يا[1] أهل الكتاب. وقد مال إلى هذا القول من علماء النحو الفرّاء وثعلب[2] وقُطْرُب.[3]

قال الإمام: «وهذا تعسُّف شديد، من غير حاجة البتَّة إليه».[4]

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

هذا هو الإنعام الخامس. و«قال بعض المُفسِّرين هذه الآية وما بعدها مُنقطعة عمّا تقدَّم من التذكير بالنعم؛ وذلك لأنّها أَمْر بالقتل، والقتل لا يكون نعمة».[5] قال الإمام:

> وهذا ضعيف من وجوه: **الأوّل**: أنّ الله تعالى نبّههم على عِظَم ذنبهم، ثمّ نبّههم[6] على ما به يتخلّصون عن ذلك الذنب العظيم، وذلك من النِّعم في الدِّين، وإذا كان الله تعالى قد عدَّد عليهم النِّعم الدُّنيويّة فأن يعدّ عليهم هذا النِّعمة الدينيّة أولى، ثمّ إنّ هذه النعمة -وهي كيفية هذه التوبة- لمّا لم يكمُل وصفها إلّا بمُقدِّمة ذِكْر المعصية كان / ذِكْرها أيضًا من تمام النِّعمة، فصار كلُّ ما تضمَّنته هذه الآية معدودًا في نِعَم الله تعالى. **الثاني**: أنّ الله تعالى لمّا أمرهم بالقتل رفع ذلك الأمر عنهم قبل فنائهم[7] بالكلِّيّة، فكان ذلك نعمة في حقّ الباقين وفي حقّ الموجودين في زمان محمّد عليه السلام؛[8] لأنّه تعالى لولا أنّه رفع القتل عن آبائهم لَمَا وُجِد الأبناء، [١٥٢و]

١ ن - يا.
٢ د: تغلب.
٣ من قوله: "وتقرير الاحتمال الثاني" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٣/٨٢-٨٣ (البقرة، ٢/٥٣). ذُكِر لقطرب قولٌ بأنّ الفرقان هنا هو القرآن، وهو في **معاني القرآن وإعرابه** للزّجاج، ١/١٣٤؛ و**الكشف والبيان** للثعلبي، ٣/٣٠٧ (البقرة، ٢/٥٣).
٤ **تفسير الرازي**، ٣/٨٣ (البقرة، ٢/٥٣).
٥ **تفسير الرازي**، ٣/٨٤ (البقرة، ٢/٥٤).
٦ ن: ونبّههم.
٧ ن: قتلهم.
٨ د - عليه السلام.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

حُمل قولُه: ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ على الظّاهر وهو البَخْعُ.

وقيل: معناه: قَتْلُ بعضِهم بعضًا.

وقيل: أُمِر مَن لم يعبدِ العجلَ أن يقتلوا العَبَدةَ.

---

فحَسُن إيراده في مَعرِض الامتنان على الحاضرين في زمان نبيّنا محمّد عليه السلام. **الثالث**: أنّه تعالى لمّا بيّن أنّ توبة أولئك ما تمّت إلّا بالقتل -مع أنّ نبيّنا محمّدًا عليه السلام أُمِر أن يقول لهم: لا حاجة بكم الآن في التوبة[١] إلى القتل، بل إن رجعتُم عن كفركم وآمنتم قَبِل الله تعالى إيمانكم منكم- كان بيان التشديد في تلك[٢] التوبة تنبيهًا على الإنعام العظيم لقَبول مِثل هذه التوبة السهلة الهيّنة. **الرابع**: أنّ فيه ترغيبًا شديدًا لأمّة محمّد عليه السلام في التوبة،[٣] فإنّ أمّة موسى لمّا رغبوا في تلك التوبة مع نهاية مشقّتها على النفس فلأن يرغب الواحد منّا في التوبة التي هي مجرّد الندم كان أَوْلى، ومعلوم أنّ ترغيب الإنسان فيما[٤] هو مصلحته المُهِمّة له مِن أعظم النِّعم.

وفي قوله تعالى: ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ حذفٌ؛ لأنّهم لم يظلِموا أنفسهم بهذا القدر، لأنّهم لو اتّخذوه ولم يجعلوه إلهًا لم يكن فِعْلهم ظلمًا، فالمعنى: باتّخاذكم العِجل[٥] إلهًا، ولكن لمّا دلّت مُقدِّمة الآية على هذا المحذوف حَسُن هذا الحذف.[٦]

قوله: (**البَخْع**): هو أن يقتل الشخص نفسه غمًّا.[٧]

---

١ ن: التوراة.

٢ ن: ذلك.

٣ ن: التوراة.

٤ ن: فيها.

٥ ن - حذفٌ؛ لأنّهم لم يظلِموا أنفسهم بهذا القدر، لأنّهم لو اتّخذوه ولم يجعلوه إلهًا لم يكن فِعْلهم ظلمًا، فالمعنى: باتّخاذكم العِجل.

٦ انظر: تفسير الرازي، ٣/٨٤-٨٥ (البقرة، ٢/٥٤).

٧ انظر: الصحاح للجوهري، «بخع».

وروي: أن الرَّجل كان يُبْصِرُ وَلَدَه ووالدَهُ وجاره وقرينَه فلم يُمْكِنْهم المضيُّ لأمر الله، فأرْسَل الله ضَبَابةً وسحابةً سوداءَ لا يتباصرون تحتها، وأُمِروا أن يحتَبُوا بأفْنِيَةِ بيوتهم ويأخُذَ الذين لم يَعْبدوا العجلَ سيوفَهم، وقيل لهم: اصْبِروا فلعَنَ اللهُ مَن مَدَّ طَرْفَه أو حَلَّ حُبْوَتَه أو اتَّقى بيدٍ أو رجلٍ، فيقولون: آمين، فقتَّلوهم إلى المساء حتَّى دَعا موسى وهارونُ عليهما السلامُ وقالا: يا ربِّ، هلكتْ بنو إسرائيل البقيَّةَ البقيَّةَ، فكُشفت السحابةُ ونزلت التوبةُ، فسقطت الشِّفَارُ من أيديهم وكانتِ القَتلَى سبعين ألفًا.

**فإنْ قلتَ**: ما الفرقُ بين الفاءات؟

**قلتُ**: الأُولى للتسبيب لا غيرُ؛ لأن الظلم سببُ التَّوبة، والثانيةُ للتعقيب؛ لأنَّ المعنى: فاعزِموا على التَّوبة فاقتُلوا أنفسَكم، مِن قِبَل أنَّ الله تعالى جَعَل توبتَهم قَتْلَ أنفسهم.

ويجوزُ أن يكون القتلُ تمامَ توبتِهم، ..........................................

---

قوله: (**فلم يُمكنهم المُضِيُ لأمر الله تعالى**)[1] أي: لم يمكنهم القتل للشفقة أو الحياء، "فأرسل الله تعالى سحابة سوداء وضبابة"، وهي: سحابة رقيقة تغشى الأرض كالدخان بحيث لا يُبصِر بعضهم بعضًا. يقال: «احتبى[2] الرجل إذا جمع[3] ظهره وساقيه بعِمامته، وقد يحتبي[4] بيديه، والاسم الحِبوة».[5] و"فِناء الدار": ما امتدّ من جوانبها، والجمع أَفنية. و"الشَّفرة" بالفتح: السكين العظيم.

قوله: (**ما الفرق بين الفاءات؟**) أي: بين الفاء في قوله: ﴿فَتُوبُوٓاْ﴾، والفاء في قوله: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ﴾، والفاء في قوله: ﴿فَتَابَ﴾.

قوله: (**ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم**) عطفٌ على قوله: (**لأنّ المعنى فاعزِموا**)... إلخ، والحاصل أنّ الفاء الثانية للتعقيب، ويحتمل المعنيين.

---

١ ش - تعالى.
٢ ن: اجتنى.
٣ ن: طمع.
٤ ن: يحتني.
٥ **الصحاح** للجوهري، «حبو». وضُبطت لفظة "الحبوة" في د بكسر الحاء وضمّها، وذكر ذلك الجوهري.

فيكون المعنى: فتُوبوا فأَتْبِعوا التوبةَ القتلَ تتمَّةً لتوبتِكم.

والثالثة متعلِّقَة بمحذوفٍ، ولا يخلو: إمَّا أنْ يَنتظِمَ في قولِ موسى لهم فتعلَّقَ بشرطٍ محذوفٍ؛ كأنَّه قال: فإنْ فعَلْتُم فقد تابَ عليكم، وإمَّا أن يكونَ خطابًا من الله لهم على طريقةِ الالتفات، فيكون التقديرُ: ففعلتُم ما أَمَركم به موسى فتابَ عليكم بارئكم.

---

قوله: (فأتْبِعوا التوبةَ القتلَ) فالفاء للتعقيب أيضًا.

قوله: (ولا تَخلوا) أي: الفاء الثالثة.

قوله:[١] (فإن فعلتُم فقد تاب) فالفاء لجزاء الشرط المحذوف.

قوله: (على طريقة الالتفات) أي: من التكلُّم إلى الغائب في ﴿فَتَابَ﴾؛ لأنَّ الأصل: فتُبنا.

قوله: "ففعلتُم فتاب" فتكون فاء فصيحة.[٢]

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: توبتكم بقَتْل أنفسكم خير لكم مِن تَرْك ذلك.[٣]

وهذا تنبيه على ما لأجله يُمكِن ويَسهُل تحمُّل هذه المشقَّة؛ وذلك لأنَّ حالتكم كانت دائرة بين ضرر الدنيا وضرر الآخرة، والأوّل[٤] أولى[٥] بالتحمُّل؛ لأنَّه مُتناهٍ، وضرر الآخرة غيرُ مُتناه، فإذا قتلتُم أنفسكم كما أُمرتُم انقضت شدَّة القتل عنكم بسرعة، ثمّ تحصُلون بعد ذلك على نعيم دائم لا ينقطع، وإذا آثرتُم الحياة الدنيا حصلتُم بعدها على عقاب دائم لا يزول، كيف؟ وإنَّ الموت لا بدَّ واقع، فليس في تحمُّل الموت إلّا التقديم والتأخير، وأمّا الخلاص من العقاب والفوز بالثواب فذلك[٦] هو الغرض الأعظم.[٧]

---

١ ن - قوله.
٢ ن + على الوجهين.
٣ انظر: **الوسيط** للواحدي ١/١٤٠ (البقرة، ٢/٥٤).
٤ ن: والأولى.
٥ ن - أولى.
٦ ن: فكذلك.
٧ من قوله: "وهذا تنبيه" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٣/٨٨ (البقرة، ٢/٥٤).

**فإن قلتَ**: من أين اختصَّ هذا الموضعُ بذكر البارئ؟

**قلتُ**: البارئُ هو الذي خلقَ الخلقَ بريئًا من التفاوت: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك ٣/٦٧] ومتميِّزًا بعضُه من بعضٍ بالأشكال المختلفَة والصُوَر المتباينة، فكان فيه تَقْريعٌ بما كان منهم مِن تركِ عبادةِ العالِم الحكيمِ الذي بَرَأَهم بلُطْفِ حكمته على الأشكال المختلفَة أبرِياءَ من التَّفاوُت والتنافُر إلى عبادة البقرة التي هي مَثَلٌ في الغَبَاوة والبلادة في أمثال العربِ: أَبْلَدُ من ثَوْر،

---

قوله: **(مِن أين اختُصّ هذا الموضع بذكر البارئ)** أي: لِمَ قال: ﴿عِندَ بَارِئِكُمْ﴾، ولم يقُل: عند آلهتكم أو ربّكم أو خالقكم،[1] إلى غير ذلك؟ فأجاب: بأن البارئ معناه: الذي خَلَق الخَلْق بريئًا من التفاوت، وعلى تلك الأشكال والصور، بل على الوجوه التي لا يُمكن أن تُبيَّن بالعبارات وتُقرَّر، فعبادته أولى من عبادة البقر، وما أعظم كيد الشيطان للجَهَلة المُقلِّدين؛ رضُوا بالإله أن يكون / بقرًا، وما رضُوا بالنبيّ أن يكون بشرًا! [١٥٢ظ]

قوله: **(مُتميّزًا)** عطف على **(بريئًا)**.

قوله: **(فكان)** عطف على قوله: **(البارئ: هو الذي)**... إلخ. **(فيه)** أي: في ذكر البارئ دون غيره من الأسماء.

قوله: **(بما كان)** أي: بما وُجِد وثبَت فـ"كان" تامَّة. و**(منهم)** مُتعلِّق به. **(مِن)** بيان "ما".

قوله: **(أبرياء)**[2] جمع بريء.

قوله: **(والتنافُر)** يجوز أن يكون عطفًا على **(التفاوت)**. والمراد بالبراءة من التنافر على هذا: أن يُؤنَس بعضهم ببعض، وفيه حكمة بليغة. ويكون قوله: **(إلى عبادة)** مُتعلّقًا بقوله: **(تَرْك)** من حيث المعنى، فكأنّه قال: يتركون عبادة العالِم،[3] ويميلون إلى عبادة البقر. ويجوز أن يكون قوله: "التنافُر" عطفًا على قوله: "تَرْك"،

---

[1] ن: وخالقكم.
[2] ن: برآء.
[3] ن: العام.

**حتّى عرَّضوا أنفسَهم لسخَطِ الله ونزولِ أمْره، بأنْ يُفكِّكَ ما ركَّبه مِن خَلْقهم، ويَبْتر ما نَظَمَ من صُوَرهم وأشكالهم، حين لم يَشكروا النِّعمةَ في ذلك، وغَمَطُوها بعبادةِ مَن لا يَقْدر على شيء منها.**

---

أي: يتركون عبادة العالِم وينفرون إلى عبادة البقر.[١] وفي ذكر "التنافُر" هنا لطيفة؛ فإنّ في البقر نَفْرةً أكثر ممّا في سائر البهائم.

قوله: **(حتّى)** مُتعلِّق بقوله: "تَرْك"، أو بقوله: "التنافُر".

قوله: **(عرَّضوا)** التعريض للشيء النصب له.

قوله: **(بأن يُفكِّكَ)** أي: بأن يُقتلوا، فإنّ القتل هو نَقْض البِنية الذي[٢] يخرُج بسببه منقوض البِنية من أن يكون حيًّا.

قوله: **(حينَ لم يشكروا)** ظرف لقوله: **(نزول أمره)**.[٣]

قوله: **(في ذلك)** أي: في أن بَرَأهم بلُطف حِكمّته.

قوله: **(غَمَطوها)** أي حقَّروها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

هذا هو الإنعام السادس. فكأنّه قال: اذكروا نعمتي حين قلتُم لموسى: لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة، فأخذَتكم الصاعقة، ثمّ[٤] أحييتُكم؛ لتتوبوا عن بغيكم وتتخلّصوا عن العقاب وتفوزوا بالثواب. ويتضمَّن التوبيخ لهم على مخالفة الرسول عليه السلام مع قيام مُعجِزته، كما خالف أسلافُهم موسى مع ما أتى به من الآيات.[٥]

---

١ ش ن – البقر.

٢ ن – الذي.

٣ ن + من.

٤ ن – ثمّ.

٥ من قوله: "هذا هو الإنعام السادس" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٣/٨٨-٨٩ (البقرة، ٢/٥٥).

قيل: القائلون: السَبْعونَ الذي صُعِقُوا، وقيلَ: قاله عشرةُ آلافٍ منهم.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿جَهْرَةً﴾: عِيَانًا، وهي مصدرٌ من قولكَ: جَهَر بالقراءة وبالدُّعاء، كأنَّ الذي يَرَى بالعَيْن جَاهِرٌ بالرؤيَةِ والذي يَرى بالقلب مُخَافِتٌ بها.

وانتصابُها على المَصْدرِ؛ لأنها نوعٌ من الرُّؤية فنُصِبَتْ بفعلها؛ كما تُنْصَبُ القُرْفصاءُ بفعلِ الجلوس، أو على الحال بمعنى: ذوي جَهرةٍ.

وقرئَ: "جَهَرَةً" بفتح الهاء، وهي: إمَّا مصدرٌ كالغَلَبَة، وإمَّا جمعُ جَاهِرٍ.

وفي هذا الكلام دليلٌ على أنَّ موسى عليه السلام رادَّهم القولَ، وعرَّفَهم أن رؤية الله تعالى مُحالةٌ؛ لأن رؤيةَ ما لا يجوز عليه أن يكون في جهةٍ محالٌ،

---

قوله: (**قيل:**[١] **القائلون السبعون**) اعلم أنّ للمُفسِّرين في هذه الواقعة قولين: **الأوّل**: أنّ هذه الواقعة كانت قبل أن كلَّف الله تعالى[٢] عَبَدة العجل بالقتل، والقول **الثاني**: أنّ هذه الواقعة كانت بعد القتل.[٣]

قوله تعالى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ أي: لا نصدِّقك بالرِّسالة، ولا نقرُّ بربوبيَّة ربِّك. وقيل: أي: لا نُؤمن لأجل قولك. وإنّما قالوا: "جَهْرة" مُؤكِّدة؛ لئلّا يتوهَّم مُتوهِّم أنّ المراد بالرؤية: العِلم أو التخييل على ما يراه النائم.[٤]

قوله: (**وفي هذا الكلام**) يعني قوله تعالى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾، فإنّ هذا الكلام دلَّ على أنّ موسى عليه السلام ردَّ عليهم سؤال الرؤية، وأعلمهم أنّ رؤية الله تعالى مُحال؛ لأنّه تعالى ليس في جهة وما ليس في جهة فرؤيته مُحال؛ لأنّ المرئي لا بدَّ أن يكون مُقابلًا للرائي.

---

١ ن: فقال.

٢ ن: عبد.

٣ هذا الكلام إيجازٌ شديد لِما فصَّله الرازي في هذين القولين. انظر: **تفسير الرازي**، ٣/٨٩-٩٠ (البقرة، ٢/٥٥).

٤ انظر: **تفسير الرازي**، ٣/٩٠ (البقرة، ٢/٥٥).

**وأنَّ مَن استجاز على الله الرؤيةَ فقد جَعَله من جملة الأجْسام أو الأعْراض، فرادُّوه بعد بيانِ الحجَّة ووضوحِ البُرهان، ولَجُّوا فكانوا في الكُفْر كعبَدة العِجْل، فسلَّط اللهُ عليهم الصَّعقةَ كما سَلَّط على أولئك القَتْلَ؛ تسويةً بين الكُفْرين، ودلالةً على عِظَمهما بعظَم المِحْنة.**

---

ثمّ إنّ هؤلاء السبعين ردّوا القول على موسى بعد أن بيَّن لهم موسى عليه السلام عدم جواز الرؤية على الله تعالى بالدليل الذي ذكروا، وهم لجُّوا في ذلك وعاندوا؛ لأنّهم ما التفتوا إلى الدليل، وبالغوا في طلب الرؤية. وإنّما قلنا: إنّ هذا الكلام يدلُّ عليه؛ لأنّه لولا ذلك لما سلَّط عليهم الصَّعْقة[1] ضرورة كونهم غير عالمين بأن الرؤية على الله تعالى مُحال، فثبت أنّ موسى عليه السلام أعلمَهم، وهم ردّوا القول وأنكروا ولجُّوا فعُوقِبوا بما عُوقبوا.

واعلم أنّ هذا القول مِن المُصنِّف بناء على مذهبه.[2] وقوله: "رؤية ما ليس في جهة مُحال"، وقوله: (**فقد جعله من جملة الأجسام والأعراض**)[3] دعوى من غير دليل؛ وهم يقولون ذلك بناءً على أنّ المرئي يجب أن يكون مُقابِلًا للرائي، ويدَّعون فيه الضرورة. وهو باطل؛ لأنّ دعوى الضرورة في / محلّ النزاع غيرُ مسموع، مع [١٥٣و]
أنّه منقوض بأن الله تعالى يرانا من غير المُقابلة.[4] وأمّا أَخْذهم الصاعقة فلا نُسلِّم أنّه لأجل المُراوَدة في طلب الرؤية، وإنّما أَخَذتهم الصاعقة؛ لأنّهم امتنعوا من الإيمان بموسى عليه السلام بعد ظهور مُعجِزته الباهرة التي رأوها[5] مرارًا،[6] وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، والإيمان بالأنبياء واجبٌ بعد ظهور مُعجِزتهم، ولا يجوز اقتراح المُعجزات بعد ثبوت نبوَّته بما أظهر الله تعالى من المُعجِزة. على أنّ ذلك ارتداد منهم؛ لأنّهم بعد أن كانوا مُؤمنين قالوا ذلك القول، فعُوقِبوا لذلك.

---

[1] ن: الضعفة.

[2] انظر لتفصيل هذه المسألة عند المعتزلة: **شرح الأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبّار، ص ٢٣٢-٢٧٧.

[3] في مطبوع **الكشّاف** وما راجعته من أصوله: أو الأعراض.

[4] انظر لتفصيل هذه الأجوبة عن شُبَه المعتزلة: **التمهيد** للباقلاني، ص ٣١٤-٣١٥؛ و**الإرشاد** للجويني، ص ١٨٠-١٨١.

[5] ن: أوردها.

[6] ن - مرارًا.

و﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: ما صعَقَهم؛ أي: أماتَهم.

---

قوله: (و﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: ما صعقَهم)[١] للمُفسِّرين في "الصاعقة" قولان: **الأوّل:** أنّها هي "الموت"، وهو قول الحَسَن وقتادة.[٢] واحتجُّوا عليه بقوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الزمر ٦٨/٣٩]. وهذا ضعيف؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾، ولو كانت الصاعقة هي الموت لامتنع كونهم ناظرين إليها؛ وأيضًا الصاعقة: هي التي تَصعَق، أي: تُهلِك، فتكون سبب الموت.[٣]

قال الهرويُّ في **الغريبين**: صَعَقتهم الصاعقة بالفتح فصَعِقوا بالكسر.[٤] وأقول: هذا قريب من قولهم: أَمَر بالفتح، أي: أكثر؛ وأَمِر[٥] بالكسر، أي: كثُر.[٦] قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ [الإسراء ١٦/١٧]، أي: كثَّرنا أغنياءهم الطاغين.[٧] وقال الشاعر:

كلُّ مـــا حَـــيّ وإن أَمِـــروا ... ورَدوا الحـــوضَ الـــذي ورَدوا[٨]

أي: كلُّ حيٍّ وإن كانوا كثيرًا وردوا حوض الموت.

**والقول الثاني**، وعليه[٩] الأكثرون: أنّ الصاعقة هي سبب الموت؛ ولذلك قال في سورة الأعراف: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ [الأعراف ١٥٥/٧].[١٠] وهو الذي أشار إليه المصنِّف بقوله: "و﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: ما صعقَهم".

---

١ ن: ضعفهم.

٢ انظر لهذا القول: **جامع البيان** للطبري، ٦٩٠/١ (البقرة، ٥٥/٢)؛ و**تفسير ابن أبي حاتم**، ١١٢/١ (البقرة، ٥٥/٢). ونسبه إلى مقاتل الواحدي في **البسيط**، ٥٤٠/٢ (البقرة، ٥٥/٢).

٣ من قوله: "للمفسّرين في الصاعقة" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٩١/٣-٩٢ (البقرة، ٥٥/٢).

٤ انظر: **كتاب الغريبين** للهروي، ١٠٧٩/٤.

٥ ن: وأمن.

٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «أمر».

٧ انظر هذا القول في **الوسيط** للواحدي، ١٠١/٣ (الإسراء، ١٦/١٧).

٨ مضى بتخريجه مع ما قبله من قوله: "وأقول" في تفسير سورة البقرة، ١٩/٢.

٩ ن: علته.

١٠ الكلام بتصرُّف يسير في **تفسير الرازي**، ٩٢/٣ (البقرة، ٥٥/٢)، وفيه «وهو قول المُحقِّقين» مكان «وعليه الأكثرون». ولعلّ عبارة الرازي أمثَل؛ لأنّ الأكثرين على الوجه الأوّل، بحسب ما وقفتُ عليه. وانظر الوجه الثاني في **جامع البيان** للطبري، ٦٩٠/١ (البقرة، ٥٥/٢)؛ و**تفسير ابن أبي حاتم**، ١١٢/١ (البقرة، ٥٥/٢).

قيل: نارٌ وقعت من السماء فأحْرقَتْهم.

وقيل: صيْحةٌ جاءت من السَّماء.

وقيل: أرسل الله جنودًا سَمِعوا بحِسِّها فخَرُّوا صَعِقين مَيّتين يومًا وليلة، وموسى عليه السلام لم تكن صَعْقَتُه موتًا ولكن غَشْيَةً بدليل قوله: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ [الأعراف ١٤٣/٧]، والظَّاهرُ أنه أصابَهم ما ينظرون إليه لقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

وقرأ عليٌّ رضي الله عنه: "فأخذَتْكم الصَّعْقَة".

---

واختلفوا في أنّ ذلك السبب أيْش كان على ثلاثة أوجه، أشار إليها المصنّف بقوله: (قيل: نار)... إلخ.

قوله: (بحِسّها) الحِسُّ: الصوت الخفيّ.

قوله: (والظاهر) يُشير إلى اختيار الوجه الأوّل: وهو أنّ الصاعقة نار. ولا شكَّ في أنّ ورود الصاعقة وهم مُشاهِدون لها أعظمُ في باب العقوبة مِن ورودها بغتة وهم لا يعلمون. ولذلك قال: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ مُنبهًا على عِظَم العقوبة. وأمّا على الوجهين الأخيرين فالمراد بالنظر نظرُ بعضهم إلى موت الباقين. قوله: (قرأ عليّ رضي الله عنه) هي شاذّة.[١]

قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

هذا هو الإنعام السابع الذي ذكره الله تعالى، وذكر تعالى هذه الآية بهذه الألفاظ في "الأعراف". وظاهر الآية يدلّ على أنّ هذا الإظلال كان بعد أن بعَثهم؛ لأنّه تعالى قال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَظَلَّلْنَا﴾، فبعضه معطوف على بعض، وإن كان لا يمتنع خلاف ذلك؛ لأنّ الغرض تعديد النِّعم التي خصَّهم الله تعالى بها.[٢]

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن محيصن ويحيى بن وثّاب والمغيرة وعمر بن الخطّاب وأبي عبد الرحمن السُّلمي. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٣؛ المغني في القراءات للنُّوْزاوازي، ص ٤١٥.

[٢] من قوله: "هذا هو الإنعام السابع" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٩٣/٣ (البقرة، ٥٧/٢).

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعْمةَ البَعْث بعدَ الموت، أو نعمةَ اللهِ بعد ما كفرتُموها، إذا رأيتم بأسَ الله في رَمْيكم بالصَّاعِقَةِ وإذاقَتِكم الموتَ.

﴿وَظَلَّلْنَا﴾: وجَعلْنا الغمامَ يُظِلُّكم، وذلك في التِّيهِ سَخَّر اللهُ لهم السَّحابَ تسيرُ بسَيْرِهم تُظِلُّهُم من الشمس، ويَنْزِلُ بالليلِ عمودٌ من نارٍ يسيرون في ضَوْئه، وثيابُهم لا تتَّسِخُ ولا تَبْلَى، وينزل عليهم ﴿ٱلْمَنَّ﴾ -وهو التَّرَنْجَبِينُ- مثلُ الثلج من طلوعِ الفجر إلى طلوعِ الشمس، لكلِّ إنسانٍ صاعٌ، ويبعثُ اللهُ الجَنُوبَ فتَحشُر عليهم ﴿ٱلسَّلْوَىٰ﴾ وهي السُّمَانَى، فيَذبحُ الرَّجلُ منه ما يَكفيه.

---

و﴿ٱلْغَمَامَ﴾: «السحاب، سُمِّيَ غمامًا؛ لأنَّه يغمُّ السماء، أي: يستُرها، وكلُّ ما ستَر شيئًا فقد غمَّه».[1] قال المُفسِّرون: وهذا كان حين أَبَوا على موسى دخول بَلْقاءَ[2] مدينة الجبّارين، فتاهوا في الأرض ثمّ ندموا على ذلك، وكان العزيمة مِن الله أن يحبِسهم في التِّيه، فلمّا ندموا ألطَف الله تعالى لهم بالغمام والمنّ والسلوى؛ كرامةً لهم ومُعجزة لنبيِّهم.[3]

قوله: **(التَّرنجَبين)** صحَّ بفتح الجيم.

قوله: **(مِثلَ الثلج)** / صحَّ بالفتح، وهو: إمّا صفة مصدر محذوف، أي: ينزل نزولًا مِثلَ نزول الثلج؛ وإمّا حال مِن المَنّ، أي: ينزل عليهم حالَ كونه مثل الثلج،[4] أي: في البياض. [١٥٣ظ]

قوله: **(الجَنوب)** اعلم أنّ ريح الصَّبا مِن جانب المَشرِق تهبُّ على وجه الكعبة، ويقال لها: القَبول؛ وريح الدَّبور من جانب المَغرِب تهبُّ على ظهر الكعبة؛

---

١ **الوسيط** للواحدي ١٤٢/١ (البقرة، ٥٧/٢).

٢ من الأقوال في تفسير القرية أنّها بلقاء. انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ٣٢٣/٣ (البقرة، ٥٨/٢). وسيأتي ذِكر قولين آخرين فيها.

٣ الكلام بتصرُّف يسير في **الوسيط** للواحدي ١٤٢/١ (البقرة، ٥٧/٢)، وفي مطبوعه «تلقاء» مكان «بلقا».

٤ ن - وإمّا حال مِن المَنّ، أي: ينزل عليهم حالَ كونه مثل الثلج.

﴿كُلُواْ﴾: على إرادةِ القول.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ يعني: فظَلَموا بأنْ كفَروا هذه النِّعَمَ وما ظلَمونا، فاختُصِر الكلامُ بحذفِه لدلالةِ ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ عليه.

---

وريح الشَّمال مِن جانب القُطب مِن يسار مَن يكون مُتوجِّه المَشرِق، ويُسمَّى هذا الجانب الشَّمال؛ وريح الجَنوب مِن مقابِل القُطب مِن يمين[١] مَن هو مُتوجِّه المَشرِق، ويُسمَّى هذا الجانب الجَنوب؛ والريح التي تجيء مِن جانب مَن بين هذه الجوانب تُسمَّى النَّكباء.

قوله: (على إرادة القول) تقديره: قلنا أو قائلين ﴿كُلُواْ﴾.

قوله تعالى: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾، أي: حلالات، «والطيِّب: الحلال؛ لأنّه طاب، والحرام يكون خبيثًا. وأصل الطيِّب: الطاهر، وسُمِّي الحلال طيِّبًا؛ لأنّه طاهر لم يتدنَّس بكونه حرامًا ممنوعًا عنه مُعاقَبًا على فعله».[٢]

قوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾، يعني: فظلموا بأن كفروا هذه النِّعم، أو بأن أخذوا أَزيَد ممّا أُطلِق لهم في أَخْذه، أو بأن سألوا غير ذلك الجنس ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾، فاختُصر الكلام بحذف ما ذكرنا؛ لأنّ قوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ يدلُّ على أنّهم قد ظلموا. وقول المُصنِّف لدلالة ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾، يعني: تقييده بأنّهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ يدلُّ على ظُلمهم[٣] أنفسَهم. أو نقول: أراد المُصنِّف أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾... إلخ، يدلُّ على المحذوف فاختصر المُصنِّف. وقيل: نُهوا أن يدَّخروا للغد فخبَّئوا للغد فدوَّد وفَسَد ما ادَّخروا، فقطع الله عنهم ذلك، فقال: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾، أي: ما ضرونا بالمعصية ومخالفة الأمر ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾، أي: يَضرون باجترائهم على[٤] عذابي وقطع مادّة الرزق الذي كان ينزِل عليهم بلا مئونة ومشقّة في الدنيا ولا حساب في الآخرة.[٥]

---

١ ن: فيها.

٢ **الوسيط** للواحدي ١٤٢/١ (البقرة، ٥٧/٢)، وفيه «وأصل الحرام» مكان «والحرام»؛ **البسيط** للواحدي، ٥٥٠/٢ (البقرة، ٥٧/٢).

٣ ن – ظلمهم.

٤ ش + على.

٥ انظر كلامًا قريبًا من الوجه الأخير في **البسيط** للواحدي، ٥٥١/٢ (البقرة، ٥٧/٢)؛ و**الوسيط** للواحدي ١٤٢/١ (البقرة، ٥٧/٢).

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨﴾

﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾: بيتُ المقدِسِ، وقيل: أَرِيحَا من قُرَى الشَّامِ، ..............

---

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾.

وهذا هو الإنعام الثامن، وهذه الآية معطوفة على النِّعم المُتقدِّمة؛ لأنّه تعالى كما بيّن نِعمه عليهم بأن ظلَّل عليهم الغمام وأنزل لهم المَنّ والسلوى، وهو مِن النِّعم العاجلة أتبعه الله تعالى بنِعَمه[1] عليهم في باب الدِّين، حيث أمرهم بما يمحو الذنوب، وبيَّن لهم طريق المَخلَص ممّا استوجبوه مِن العقوبة.[2]

قوله: (﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾: بيت المقدس) اختلفوا في المراد بهذه القرية:

قال قتادة والرَّبيع وأبو مسلم الأصفهاني: "إنّها بيت المقدس"،[3] واستدلوا عليه بقوله تعالى في "المائدة": ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة ٢١/٥]، ولا شكَّ أنّ المراد بالقرية في الآيتين واحد.

وقال ابن عبّاس وابن زيد: "إنّها أريحا"،[4] وهي بالحاء غير المعجمة قرية قريبة من البيت المُقدَّس، واحتجّ هؤلاء على أنها لا يجوز أن تكون تلك القرية بيت المَقدِس؛[5] لأنّ الفاء في قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ تقتضي التعقيب،

---

[1] ن: بنعمة.

[2] ن + على. | من قوله: "هذا هو الإنعام الثامن" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٩٣/٣ (البقرة، ٥٨/٢).

[3] القول لقتادة وللربيع في جامع البيان للطبري، ٧١٢/١-٧١٣ (البقرة، ٥٨/٢)؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ١١٦/١ (البقرة، ٥٨/٢). وهو لهما وللسُّدي في الوسيط للواحدي ١٤٣/١ (البقرة، ٥٨/٢)؛ والبسيط للواحدي، ٥٥٣/٢ (البقرة، ٥٨/٢).

[4] القول لابن زيد في جامع البيان للطبري، ٧١٣/١ (البقرة، ٥٨/٢). وهو لابن عبّاس في الكشف والبيان للثعلبي، ٣٢٣/٣ (البقرة، ٥٨/٢)؛ والوسيط للواحدي ١٤٣/١ (البقرة، ٥٨/٢)؛ والبسيط للواحدي، ٥٥٣/٢ (البقرة، ٥٨/٢).

[5] ن – واحتجّ هؤلاء على أنها لا يجوز أن تكون تلك القرية بيت المَقدِس.

**أُمِروا بدخولها بعد التِّيه.**

فوجب أن يكون ذلك[١] التبديل وقع[٢] منهم[٣] عقيب هذا الأمر في حياة موسى عليه السلام، لكن موسى[٤] مات في أرض التِّيه ولم يدخل بيت المَقدِس، فثبت أنّه[٥] ليس[٦] المراد من هذه القرية بيت المَقدِس.

[١٥٤و] / وأجاب الأوّلون: بأنه ليس في هذه الآية أنّا قلنا لهم: ادخلوا هذه القرية على لسان موسى عليه السلام[٧] أو على لسان يُوشَع، وإذا حملناه على لسان يُوشَع زال الإشكال.[٨]

قال في **المَطلَع**: «قال المُفسِّرون: إنّ بني إسرائيل لمّا خرجوا مِن التِّيه قال الله تعالى لهم: ﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾».[٩] ويقال: قال لهم ذلك على لسان يُوشَع بن نون بعد موت موسى وهارون في التِّيه،[١٠] ومُضيّ أربعين سنة.

وكأنّ المُصنِّف أشار إلى هذا الجواب بقوله: (**أُمِروا بدخولها**)، أي: بدخول القرية بعد التِّيه، وهُم لم يدخلوا بيت المَقدِس في حياة موسى عليه السلام، أي: كان الأمر بالدخول والدخولُ[١١] كلاهما بعد التِّيه بعد موت موسى عليه السلام. واعلم أنّ أَمْرهم بدخول القرية أَمْرُ تكليف لا أَمْرُ إباحة؛ لقوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ [المائدة ٥/٢١].

---

١ ن: دليل.

٢ ن: رفع.

٣ ن: عنهم.

٤ ن - لكن موسى.

٥ ن: أنّ.

٦ ن - ليس.

٧ د ش - عليه السلام.

٨ من قوله: "قال قتادة والربيع" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٣/٩٤ (البقرة، ٢/٥٨).

٩ **الوسيط** للواحدي ١/١٤٢-١٤٣ (البقرة، ٢/٥٨)؛ **البسيط** للواحدي، ٢/٥٥٢ (البقرة، ٢/٥٨). ومضى الحديث عن **المَطلَع** عند الكلام على البسملة في صدر هذا الكتاب. ولعلّ صاحب المَطلَع نقل الكلام عن الواحدي، ثمّ أخذه عنه الجاربردي ههنا، مع كثرة نقله عن الواحدي وتصريحه بذلك في غير هذا الموضع.

١٠ ن - قال الله تعالى لهم: ﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾. ويقال: قال لهم ذلك على لسان يُوشَع بن نون بعد موت موسى وهارون في التِّيه.

١١ ن - والدخول.

و﴿ٱلْبَابَ﴾: بابُ القرية، وقيل: هو بابُ القبَّة التي كانوا يُصلُّون إليها. وهم لـم يدخلوا بيتَ المقدِسِ في حياة موسى عليه السلام.

أُمِروا بالسجود عند الانتهاءِ إلى الباب شكرًا للهِ تعالى وتواضُعًا.

وقيل: السجودُ: أن يَنْحَنُوا ويتطامَنُوا داخِلينَ ليكونَ دخولُهم بخشوعٍ وإخْباتٍ.

---

قولـه: (و﴿ٱلْبَابَ﴾: باب القرية) يعني: المراد بـ﴿ٱلْبَابَ﴾: باب من أبوابها، أي: أيّ جهة من جهات القرية كانت. وهذا الوجه حكاه الأصمّ[١] عن بعضهم.[٢]

قوله: (أُمِروا بالسجود) هذا[٣] قول الحَسَن. قال: أراد به نفس السجود الذي هو إلصاق الوجه بالأرض.[٤] ثمّ قال الإمام: «ومنهم من حمَله[٥] على غير السجود، وهؤلاء ذكروا وجهين: **الأوّل**: رواية سعيد[٦] بن جبير عن ابن عبّاس أنّ المراد هو الركوع؛ لأنّ الباب كان صغيرًا ضيقًا يحتاج الداخل فيه إلى الانحناء».[٧] ثمّ قال: «وهذا بعيد؛ لأنّه لو كان ضيّقًا لكانوا مُضطرّين إلى دخوله رُكّعًا،[٨] فما كان يُحتاج فيه إلى الأمر».[٩]

أقول: هذا الذي ذكره الإمام لا يَرِد على الوجه الذي ذكره صاحب **الكشّاف**؛ لأنّ صاحب **الكشّاف** نقل أنّهم[١٠] أُمِروا بالانحناء فكانوا يمتنعون مِن ذلك، فطؤطئ لهم الباب، أي: جُعِل صغيرًا قصيرًا، فلم ينحنوا أيضًا على صورة الراكعين، بل جلسوا ودخلوا على هيئة مَن يتزحّف على الأرض كالصبيّ. وكذا لا يَرِد ما ذكره الإمام على النقل الذي ذكره هو؛ لأنّه لا يلزم مِن كون[١١] الباب[١٢] ضيّقًا صغيرًا أن ينحنوا؛ لِمَا عرفتَ أنّهم عاندوا وتزحّفوا.

---

١ د: الأصمعي.

٢ انظر: **تفسير الرازي**، ٩٤/٣ (البقرة، ٥٨/٢). وفي مطبوعه «الأصم»، كما أثبتُّ.

٣ ن: وهذه.

٤ انظر: **تفسير الرازي**، ٩٤/٣ (البقرة، ٥٨/٢).

٥ د ش ن: حمل. | وأثبتُّ ما في مطبوع الرازي.

٦ د: سعد.

٧ **تفسير الرازي**، ٩٤/٣ (البقرة، ٥٨/٢). وانظر رواية سعيد بن جبير عن ابن عبّاس رضي الله عنهما في **جامع البيان** للطبري، ٧١٤/١ (البقرة، ٥٨/٢).

٨ د ش: راكعًا.

٩ **تفسير الرازي**، ٩٤/٣-٩٥ (البقرة، ٥٨/٢).

١٠ ن: عنهم.

١١ ن: كونه.

١٢ ن - الباب.

وقيل: طُوطِئ لهم البابُ ليخفِضُوا رؤوسَهم، فلم يَخفِضوها ودخَلوا مُتَزحِّفِينَ على أوراكِهم.

﴿حِطَّةٌ﴾: فِعْلَةٌ من الحَطِّ كالجِلْسةِ والرِّكبةِ، وهي خبرُ مبتدأ محذوفٍ؛ أي: مسألتُنا حِطَّةٌ، أو: أمرُك حطَّةٌ، والأصلُ النصبُ بمعنى: حُطَّ عنا ذنوبَنا حطَّةً، وإنَّما رُفعت لتعطيَ معنى الثباتِ؛ كقوله:

صبرٌ جميلٌ فكِلَانا مُبتلَى

---

قال الإمام: «الثاني: أراد به الخضوع، وهو الأقرب؛ لأنَّه لمّا تعذَّر حَمْله على حقيقة السجود وجب حَمْله على التواضع؛ لأنَّهم إذا أخذوا في التوبة فالتائب من الذنب يجب أن يكون خاشعًا مستكينًا».[1]

وأنا أقول: قد عرفتَ أنَّه لم يتعذَّر حَمْله على حقيقة السجود، وعلى تقدير تعذُّره لم يتعيَّن الحَمْل على التواضع، لاحتمال إرادة الركوع، كما عرفتَ.

يقال: طَامَن الرجل ظهره وطمأن[2] بمعنًى، على القلب.[3] والإخبات: الخشوع. وطأطأ رأسه: طامنه، وتطأطأ: تطامن. والتزحُّف:[4] مِن زحف الصبيّ على الأرض قبل أن يمشي.[5]

قوله: (فِعْلة) غير مُنصرِف؛ للعلمية والتأنيث.

قوله: (مِن الحطّ): «وهو وضع الشيء من أعلى إلى أسفل».[6] يقال: حطّ الحِمْل عن الدابّة. وأشار المُصنِّف إلى أنّ أصل "حِطَّة" النصب على المصدر، عُدِل إلى الرفع للدلالة على الثبات، كقول الشاعر:

شكا إليّ جمَلي طُول السُّرى ... يا جملي ليس إليَّ المُشتكى

(صَبْرٌ جميلٌ فكِلانا مُبتلى)[7]

---

١ تفسير الرازي، ٩٥/٣ (البقرة، ٥٨/٢).

٢ ن: وطار.

٣ انظر: الصحاح للجوهري، «طمن».

٤ ن: والترجيف.

٥ انظر: الصحاح للجوهري، «زحف».

٦ الوسيط للواحدي، ١٤٣/١ (البقرة، ٥٨/٢)؛ البسيط للواحدي، ٥٥٣/٢ (البقرة، ٥٨/٢).

٧ الأوّل والثالث منها بلا نسبة في كتاب سيبويه، ٣٢١/١؛ ومعاني القرآن للفرّاء، ٥٤/٢، ١٥٦؛ ومجاز القرآن لأبي عُبيدة، ٣٠٣/١، وفيها جميعًا >

والأصل: صبرًا، على: اصبر صبرًا.

وقرأ ابن أبي عبلة بالنصب على الأصل.

وقيل: معناه: أَمْرُنا حطَّةٌ؛ أي: أن نَحُطَّ في هذه القرية ونستقرَّ فيها.

**فإن قلتَ:** هل يجوز أن تنصبَ "حطَّةً" في قراءةِ مَن نصبَها بـ﴿قولوا﴾ على معنى: قولوا هذه الكلمةَ؟

**قلت:** لا يَبْعُدُ، والأجودُ أن تُنصَب بإضمارِ فعلها، وينتصبَ محلُّ ذلك المضمَرِ بـ﴿قُولُواْ﴾.

وقرئ: "يُغْفَرْ لكم" على البناء للمَفْعول بالياء والتاء.

﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: مَن كان مُحسِنًا منكم كانت تلك الكلمةُ سببًا في زيادةِ ثوابه، ومَن كان مُسِيئًا كانت له توبةً ومغفرة.

---

أي: شكا إليَّ الجمل فقلت له: صبرٌ جميلٌ أَمْثلُ مِن غيره، فإنّي أيضًا مُبتلًى بالسهر والتعب كما أنّك بالسُّرى والتأويب.[1]

قوله: **(قرأ ابن أبي[2] عبلة)** هي شاذَّة.[3]

قوله: **(وقيل: معناه)** عطف على قوله: **(أي: مسألتنا حِطَّة)**.

قوله: **(والأجود)**؛ لأنّ مقول القول يكون جملة.[4]

قوله: / **(وينتصب محلُّ ذلك المُضمَر)** الأَوْلى أن نقول: محلُّ المجموع، وهو قوله: "حُطَّ عنّا حِطَّة". [١٥٤ظ]

---

< «يشكو» مكان «شكا». وهما للمُلبِد بن حَرْملة الشيباني في **شرح أبيات سيبويه** لابن السيرافي، ٣١٧/١. وقال الأسود الغُندجاني مُتتبِّعًا ابن السيرافي: «ليس بيت **الكتاب** للمُلبِد بن حرملة الشيباني، إنّما سئل أبو عبيدة عن قائله فقال: هو لبعض السوّاقين»، ثمّ أنشد الأبيات الثلاثة وزاد عليها رابعًا. **فُرحة الأديب** للغُندجاني، ص ١٧٩-١٨٠.

١ ن - والتأويب.

٢ د - أبي.

٣ **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٣؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٦٢؛ **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٤١٥.

٤ ن - يكون.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ٥٩﴾

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾؛ أي: وضعوا مكانَ ﴿حِطَّةٌ﴾ ﴿قَوْلًا﴾ غيرها، يعني أنهم أُمروا بقَوْلٍ معناه التوبةُ والاستغفارُ، فخالَفوه إلى قولٍ ليس معناه معنَى ما أُمِروا به، ولم يمتثِلوا أمرَ الله، وليس الغرضُ أنهم أُمِروا بلفظٍ بعينِه -وهو لفظُ الحطَّة- فجاؤوا بلفظ آخر؛ لأنَّهم لو جاؤوا بلفظٍ آخر مستقلٍّ بمعنى ما أُمروا به لم يُؤاخذُوا به؛ كما لو قالوا مكان ﴿حِطَّةٌ﴾: نستغفرُكَ ونتوبُ إليك، أو: اللّٰهمَّ اعْفُ عنَّا، وما أشبه ذلك.

وقيل: قالوا مكان ﴿حِطَّةٌ﴾: حنطة.

وقيل: قالوا بالنَبطيَّةِ: حِطًّا سُمْقَاثَا؛ أي: حنطةٌ حمراءُ؛ استهزاءً منهم بما قيل لهم، وعدُولًا عن طلبِ ما عند الله إلى طلبِ ما يَشْتَهون من أغراض الدنيا.

---

قوله: (أي: وَضعوا)... إلخ، تفسير لقوله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ﴾... إلخ.

قوله: (فخالفوه) عطفٌ على قوله: (أُمِروا).

قوله: (ليس معناه) صفة (قول).[1]

قوله: (ولم يمتثلوا)[2] عطفٌ على "فخالفوه".

قوله: (وليس الغرَض) عطف على قوله: (يعني أنّهم أُمِروا).

قوله: (وقيل: قالوا مكان "حِطّة") شروع في بيانِ أنّهم خالفوه إلى لفظٍ ليس معناه التوبة. والنبط والنبيط: قوم ينزلون بالبطائح، يقال:[3] "نَبطيٌّ" ونباطيٌّ[4] ونَباط، مِثل يمنيٌّ ويمانيٌّ[5] ويَمان.[6]

---

[1] ن - قول.

[2] ن: يشكوا.

[3] ن + لهم.

[4] ن - ونباطي.

[5] ن - ويماني.

[6] انظر: الصحاح للجوهري، «نبط».

وفي تكريرِ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ زيادةٌ في تقبيحِ أمْرِهم، وإيذانٌ بأنَّ إنزالَ الرِّجْزِ عليهم لظُلْمِهم، وقد جاء في سورة الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف ١٣٣/٧] على الإضمار.

و"الرِّجْزُ": العذابُ، وقرئ بضمِّ الراء.

وروي: أنه ماتَ منهم في ساعةٍ بالطَّاعُون أربعةٌ وعشرون ألفًا، وقيل: سبعون ألفًا.

---

قوله: (وفي تكرير ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾) أي: في وَضْع المُظهَر مكان المُضمَر في[1] قوله: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ مكان "فأنزلنا عليهم" زيادةُ تقبيحِ شأنهم.

قوله: (والرِّجز: العذاب) قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ [الأعراف ١٣٤/٧]، أي: العقوبة «﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ [الأعراف ١٣٤/٧]، أي: العذاب.[2] ثمّ يُسمَّى كيد الشيطان رِجزًا؛ لأنّه سبب العذاب؛ قال تعالى: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأنفال ١١/٨]، وقال تعالى:[3] ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر ٥/٧٤]، أي: عبادة الأوثان؛ لأنّها سبب العذاب».[4]

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

هذا هو الإنعام التاسع، وهو جامع لِنِعم الدنيا والدِّين: أمّا في الدنيا فلأنّه تعالى أزال عنهم الحاجة الشديدة إلى الماء، ولولاه لهلكوا في التِّيه، كما لولا إنزال المَنّ والسلوى لهلكوا؛ وأمّا في الدِّين فلأنّه مِن أظهَر الدلائل على وجود الصانع وقدرته وعلمه، ومن أقوى ما يدلُّ على صِدْق موسى عليه السلام؛[5] لأنّه إذا ضرب الحجر بالعصا فانشقّ وانفجر منه الماء كان ذلك دليلًا واضحًا على نبوّته.[6]

---

١ ن: مثل.
٢ انظر: الوسيط للواحدي، ٤٠٢/٢ (الأعراف، ١٣٤/٧).
٣ ن – تعالى.
٤ ش – العذاب. | انظر: الوسيط للواحدي، ١٤٥/١ (البقرة، ٥٩/٢).
٥ د ش – عليه السلام.
٦ ن: ثبوته. | من قوله: "هذا هو الإنعام التاسع" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ١٠١/٣ (البقرة، ٦٠/٢).

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

عَطِشُوا في التِّيه فدعا لَهُم موسى بالسُّقْيا، فقِيلَ له: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ واللامُ في ﴿ٱلْحَجَرَ﴾: إمَّا للعهد والإشارَةُ إلى حجرٍ معلوم، فقد رُوي أنه حجرٌ طوريٌّ حمله معه، وكان حجرًا مُربَّعًا له أربعَةُ أوجُهٍ كانت تَنبعُ من كلِّ وجهٍ ثلاثُ أعيُنٍ، لكلِّ سبطٍ عَينٌ تَسيل في جَدْولٍ إلى السِّبط الذي أُمِر أن يَسقيَهم، وكانوا سِتَّ مئةِ ألفٍ، وسعَةُ المعسكر اثنا عشر مِيلًا.

وقيل: أهبطَهُ آدمُ عليه السلام من الجنَّة، فتوارَثوه حتَّى وقعَ إلى شُعيْبٍ عليه السلام، فدفعه إليه مع العصا.

وقيل: هو الحجر الذي وَضع عليه ثوبَه حين اغتسل إذْ رَمَوه بالأُدْرَة، ففرَّ به، فقال له جبريل عليه السلام: يقول الله تعالى: ارفعْ هذا الحجرَ، فإنَّ لي فيه قدرةً ولك فيه معجزةً، فحمَلَه في مِخْلاتِه.

---

قوله: (إذ رمَوه)، أي: رمى بنو إسرائيل موسى عليه السلام، وذلك أنّه كان حيِيًّا يتستّر[١] ويغتسِل في الخَلوة. و(الأُدْرَة): نفخة في الخِصية. (ففرّ) أي: «ففرّ الحجر بثوب موسى على ملأ من بني إسرائيل، حتّى علموا أنّه ليس بآدر، وكان موسى عليه السلام يعدو[٢] في إثر الحجر، ويقول: ثوبي يا حجر، ثوبي يا حجر، فلمّا وقَف الحجر أخذه موسى عليه السلام، وضربه باليد». قال النبيّ عليه السلام: «إنّ في الحجَر لنَدْبًا، أي: أثرًا مِن ضَرْب موسى عليه السلام».[٣]

قوله: (فقال له) أي: فقال جبرئيل لموسى عليه السلام.[٤] و"المِخلاة": ما يُجعَل فيه التِّبن والشعير، ويُجعَل على رأس الحيوان ليأكل منه، وهي في الأصل اسم آلة مِن الخلا، وهو: الحشيش الرَّطْب.

---

١ د: يستتر.

٢ ن: يغدو.

٣ د - عليه السلام. | الحديث بألفاظ قريبة في صحيح البخاري، ٦٤/١ (٢٧٨)؛ وصحيح مسلم، ١٦٤/١ (٣٤٠).

٤ د ش - عليه السلام.

وإمّا للجنس؛ أي: اضرِبِ الشيءَ الذي يقال له: الحجر، وعن الحسن: لم يَأمُره أن يضرب حجرًا بعَيْنِه، قال: وهذا أظهرُ في الحجَّة وأَبْيَنُ في القدرة.

ورُوي أنّهم قالوا: كيف بنا لو أَفْضَيْنا إلى أرضٍ ليست فيها حجارَةٌ، فحمَل حجرًا في مِخْلاتِه فحيث ما نزلوا ألقاه.

وقيل: كان يضربُه بعصاه فينفجر، ويضربه بها فييبَسُ، فقالوا: إنْ فَقَدَ موسى عصاه مِتْنا عطشًا، فأوحى إليه: لا تَقْرَع الحجارة وكلِّمْها تُطِعْك لعلهم يعتبرون.

وقيل: كان من رُخَامٍ، وكان ذِراعًا في ذراعٍ.

وقيل: مثلَ رأس الإنسان.

وقيل: كان من أُسِّ الجنَّة، طولُه عشرةُ أَذْرُعٍ على طولِ موسى عليه السلام، وله شُعْبتان تَتَّقِدَانِ في الظُّلمة، وكان يُحمَل على حمار.

---

قوله: **(قال)** أي: الحَسَن. **(هذا)** أي: ألّا يكون المضروب حجرًا بعينه.

قوله: **(ورُوِي أنّهم)** يصلح أن يكون جواب سؤال يَرِد على قول الحَسَن، وهو أنّه لو لم يُؤمَر بضَرْب حجر بعينه فلِمَ رفَع الحجَر في المِخلاة؟ «و"الرُّخام": حجَر أبيضُ رِخْو».[1]

قوله: **(من أُسّ[2] الجنَّة)** الأُسّ[3] بهمزة مضمومة وسين[4] مُشدّدة: أصل البناء. قيل: فيما ذكره المُصنِّف إشكال؛ إذ عامة التفاسير[5] تدلُّ على أنّ ما ذكره صفة العصا، حتّى قيل: لا أدري مِن أيِّ موضع نقَله؟[6] ولا أدري ظنّ[7] الآس[8] أُسًّا؟ وأنا أقول: يمكن أن يكون قد شرع في صفة العصا، وسقط شيء[9] من قلَمه في البين.

---

[1] الصحاح للجوهري، «رخم».
[2] ن: رأس.
[3] ن: الأَشّ.
[4] ن: شين.
[5] ن: التفسير.
[6] من قوله: "قيل" إلى هنا بلفظ قريب في فتوح الغيب للطِّيبي، ٢/٥٠٢.
[7] ن: أظنّ.
[8] ن: الآش.
[9] ن – شيء.

﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾ الفاءُ متعلِّقة بمحذوفٍ؛ أي: فضرب فانفجرت، أو: فإن ضربتَ فقد انفجرت؛ كما ذكرنا في قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة ٥٤/٢]، وهي على هذا فاءٌ فصيحةٌ لا تقع إلا في كلامٍ بليغٍ.

وقرئ: "عشرةً" بكسرِ الشين وبفتحها، وهما لغتان.

﴿كُلُّ أُنَاسٍ﴾؛ أي: كلُّ سبطٍ ﴿مَّشۡرَبَهُمۡ﴾؛ أي: عينَهم التي يشربون منها.

﴿كُلُواْ﴾ على إرادةِ القول ﴿مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ممّا رَزَقَكم الله من الطعام وهو المنُّ والسلوَى، ومن ماء العيون.

وقيل: الماءُ يَنبُتُ منه الزُّروعُ والثمار، فهو رزقٌ يؤكَلُ منه ويُشرب.

---

قوله: (أي: فضرب فانفجرت) فعلى هذا تكون الفاء للعطف على المحذوف، وتكون إخبارًا مِن الله تعالى لنبيّنا عليه السلام بكيفيّة / الحال. [١٥٥و]

قوله: (أو فإنْ ضرَبتَ فقد انفجرَت) وعلى هذا يكون جزاءً لشرط محذوف، ويكون خطابًا لموسى عليه السلام[1] بطريق الامتنان عليه.

قوله: (كما ذكرنا في قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾) فإنّه ذكَر هناك أنّه يجوز أن يكون عطفًا على محذوف، وأن يكون جزاءَ شرط محذوف.

قوله: (فاءٌ فصيحة) سُمِّيت بذلك؛ لأنّه يدلّ على ما حُذِف من الكلام، كقولك: أمرتُ فلانًا بالتجارة فاكتسب مالًا، أي: فاتّجر فاكتسب مالًا.

قوله: (وقُرِئ[2] بكسر الشين[3] وفتحها) وهما شاذّتان.[4] وقراءة السبعة بإسكان الشين.[5]

قوله: (﴿كُلُواْ﴾ على إرادة القول) تقديره: قلنا أو قائلًا أنت يا موسى: كُلوا.

قوله: (وقيل)... إلخ، عطفٌ على قوله: (ممّا رزقكم)... إلخ، يريد أنه إنّما قيل:

---

١ د - عليه السلام.
٢ ن - وقرئ.
٣ د: السين.
٤ قراءتان شاذّتان: الأولى مرويّة عن حميد وعمرو بن ميمون ومجاهد وعيسى بن عمر والأعمش وابن أبي إسحاق، والثانية مرويّة عن الأعمش. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١١٣؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤١٨.
٥ ن: السين. | **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤١٨.

والعَثْيُ: أشدُّ الفساد، فقيل لهم: لا تتمادَوا في الفساد في حالِ فسادكم؛ لأنّهم كانوا مُتمادِينَ فيه.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

كانوا فَلَّاحةً فنَزَعُوا إلى عِكْرهم، .........................

---

"كُلوا" لوجهين: **أحدهما**: لِمَا تقدَّم من ذِكْر المَنّ والسلوى، **والثاني**: أنّ المأكول ينبُت مِن الماء، فالماء رِزق يُؤكَل منه ويُشرَب.[1]

قوله: **(لأنّهم كانوا مُتمادين فيه)** أي: في الفساد. يصلُح أن يكون جوابَ سؤال، وهو أن يقال: الفساد[2] على الإطلاق مَنهيٌّ عنه، فلِمَ نهاهم عن التمادي في الفساد؟ فقال: هم كانوا مُتمادِين في الفساد فنهاهم عمّا كانوا مُشتغِلين. وأنا أقول: هذا قريب من قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران ١٣٠/٣]. وذكَر في **المَطلَع** أنّه: إنّما قيَّد العَثْو بقوله: ﴿مُفْسِدِينَ﴾؛ لأنّ بعض العَثْي[3] فساد في الظاهر صلاح في الحقيقة، كخَرْق الخَضِر السفينة وقَتْله الغلام.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾.

قوله: **(كانوا فلّاحة)** يقال: «فلحتُ الأرض شققتُها للحَرْث،[4] ومنه سُمِّيَ الأكّار[5]

---

١ انظر: تفسير الرازي، ١٠٤/٣ (البقرة، ٦٠/٢).
٢ ن – يصلُح أن يكون جوابَ سؤال، وهو أن يقال: الفساد.
٣ ن: العثو.
٤ ن: الحرب.
٥ ن: الأكان.

ونبذوا ما كانوا فيه من النعمة، وطلبت أنفسهم الشقاء.

﴿عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ أرادوا ما رزقوا في التيه من المنّ والسلوى.

فإن قلت: هما طعامان، فما لهم قالوا: ﴿عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾؟

قلت: أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدّل. ولو كان على مائدة الرجل ألوانٌ عِدّةٌ يداوم عليها كلَّ يوم لا يبدّلها قيل: لا يأكلُ فلانٌ إلّا طعامًا واحدًا، يراد بالوحدة نفي التبدُّل والاختلاف.

ويجوز أن يريدوا أنهما ضربٌ واحدٌ؛ لأنهما معًا من طعام أهل التلذُّذ والتترُّف، ونحن قومٌ فَلّاحةٌ أهلُ زراعاتٍ، فما نريدُ إلّا ما ألِفناهُ وضَرِينا به من الأشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك.

---

فَلّاحة: بتشديد اللام وإلحاق التاء -كما جعل المُصنِّف- لمعنى الجماعة. والفِلاحة بتخفيف اللام: الحِراثة. وقولهم: "إنّ الحديد بالحديد يُفلَح"،[3] أي: يُشَقّ ويُقطَع.[4] والعَكَر: الأصل، يقال: رجع فلان إلى عِكْره، وباع فلان عِكْره، أي: أصل أرضه.[5]

قوله: (فأجِموا) أي: كرهوا، يقال: أجِم الطعام، أي: امتنع منه كراهية.[6]

قوله: (طلبت أنفسهم الشقاء)، أي: طلبت التعب وما رضيت بالراحة.

قوله: (التترُّف) التوسعة بالصنع في النعمة، والمُترَف الذي أبطرته النِّعمة.[7] يقال: ضَرِيَ بكذا، أي: تعوّده. قال الواحديُّ: «الطعام: اسم جامع لِمَا يُؤكَل، وقالوا[8] ﴿طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾؛ لأنّهم كانوا يأكلون المنّ والسلوى، فكان طعامًا واحدًا كالخبيص، فإنّه لون واحد، وإن اتُّخِذ من أطعمة شتّى».[9]

---

[1] الصحاح للجوهري: «فلح».
[2] [illegible]
[3] كتاب الأمثال لأبي عبيد، ص ٩٦، وفيه من دون [illegible]، مجمع الأمثال للميداني [illegible] المستقصى للزمخشري [illegible]/٤٠٣، وهو موزون جاء في [illegible] المستقصى [illegible]/٤٠٣، وشعر [illegible] الجوارح لشاكر [illegible] ص ٢٢٠.
[4] انظر الصحاح للجوهري: «فلح».
[5] انظر الصحاح للجوهري: «عكر».
[6] انظر الصحاح للجوهري: «أجم».
[7] انظر المُعرِب للمطرزي: «ترف».
[8] في [illegible]: وإنّما قالوا.
[9] الوسيط للواحدي ١/١٤٦ (البقرة ٢/٦١)؛ البسيط للواحدي ٢/٥٨٠ (البقرة ٢/٦١).

ومعنى ﴿يُخْرِجْ لَنَا﴾: يظهر لنا ويوجد، والبقلُ: ما أنبته الأرض من الخضر، والمراد به أطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها.

وقُرئ: "وقُثّائها" بالضم.

"الفُوم": الحنطة، ومنه: فَوِّموا لنا، أي: اختبزوا.

وقيل: الثُّوم، ويدلُّ عليه قراءةُ ابن مسعود: "وثُومها"، وهو للعدس والبصل أوفق.

﴿الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ﴾: الذي هو أقربُ منزلةً وأدونُ مقدارًا، والدُّنُوُّ والقُرب يعبَّر بهما

---

قوله: (بالضم) هي قراءة شاذّة[1] وقراءة السبعة بكسر القاف.[2]

قوله: (الفُوم: "الحنطة") رُوِيَ هذا عن ابن عباس،[3] وعنه أيضًا: "الخبز".[4]

قوله: (وقيل: "الثوم")، أي: الفُوم هو الثوم[5] واحتجُّوا عليه من وجوه: **الأول**: أنّه في قراءة عبد الله بن مسعود "وثومها".[6] **الثاني**: أنّ الثوم[7] أوفق للعدس والبصل من الحنطة، **الثالث**: أنّ المراد لو كان هو[8] الحنطة لَما جاز أن يقال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، لأنّ الحنطة أشرف الأطعمة. وهذا / الوجه لم يذكُره المصنِّف. [١٥٥ظ]

قوله: (أقربُ منزلةً) يعني: يكون معنى الدنوّ في قُرب القيمة، أي: أتأخذون

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش والأشهب العقيلي والثقفي وابن مصرف وطلحة ويحيى بن وثاب. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٣؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٦٣؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤١٩.

[2] المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤١٩.

[3] جامع البيان للطبري، ٢/١٧ (البقرة، ٢/٦١)؛ تفسير ابن أبي حاتم، ١/١٢٣ (البقرة، ٢/٦١).

[4] جامع البيان للطبري، ٢/١٧ (البقرة، ٢/٦١)؛ تفسير ابن أبي حاتم، ١/١٢٣ (البقرة، ٢/٦١).

[5] جامع البيان للطبري، ٢/١٨ (البقرة، ٢/٦١)، وأورده عن مجاهد والربيع؛ تفسير ابن أبي حاتم، ١/١٢٣ (البقرة، ٢/٦١)، وأورده عن ابن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهما، وعن الربيع والضحاك.

[6] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٤؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٦٣؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤١٩. قال الطبري في هذا الاستدلال: «وذُكِر أنّ ذلك في قراءة ابن مسعود: "وثومها". بالثاء. فإن كان ذلك صحيحًا فإنّه من الحروف المُبدلة...». جامع البيان للطبري، ٢/١٨-١٩ (البقرة، ٢/٦١).

[7] ن - واحتجُّوا عليه من وجوه: الأوّل: أنّه في قراءة عبد الله بن مسعود "وثومها". الثاني: أنّ الثوم.

[8] ن: هذا من.

عن قلة المقدار فيقال: هو داني المحلّ وقريب المنزلة، كما يعبّر بالبُعد عن عكس ذلك فيقال: هو بعيدُ المحلّ وبعيدُ الهمّة، يريدون الرفعةَ والعلوّ.

وقرأ زُهَيْر الفُرْقُبِيّ: "أدنأ" -بالهمز- من الدّناءة.

﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ وقرئ: "اهبُطوا" بالضمّ، أي انحدِروا إليه من التِّيه، يقال: هبط الوادي: إذا نزَل به، وهبط منه: إذا خرج.

وبلاد التِّيه: ما بين بيت المقدس إلى قِنّسرين، وهي اثنا عشر فرسخًا في ثمانية فراسخ.

ويحتمل أن يريد العَلَم، وإنّما صرفَه مع اجتماع السّببين فيه -وهما التعريفُ والتأنيث- لسكون وسطه كقوله: ﴿وَنُوحًا﴾ ﴿وَلُوطًا﴾ وفيهما العجمةُ والتعريفُ، وإنْ أُريد به البلدُ فما فيه إلا سببٌ واحدٌ.

---

ما هو أقلّ قيمةً وقدرًا واعتبارًا بدلًا[١] بالذي هو خير؟ ويجوز أن يكون ﴿أَدْنَىٰ﴾ من الدَّناءة التي هي: الخسّة، وتُرك همزها. والمعنى: أتستبدلون ما هو أَوْضَع وأخسّ بالذي هو خير؟

قوله: (قرأ زهير) وهي شاذّة.[٢]

قوله: (بالضمّ) هي شاذّة.[٣]

قوله: (يحتمل أن يريد العَلَم) أي: بقوله: ﴿مِصْرًا﴾.

قوله: (وإن أُريد به البلد) هذا عطفٌ على قوله: (وإنّما صرفه)... إلخ، يعني إذ أُريد بـ"المِصر" العلم على ما مرّ، فإنْ اعتُبر فيه البقعة أو البلدة، فيكون فيه التعريفَ والتأنيث، وصُرِف لسكون الوسَط، وإن اعتُبر فيه البلد يكون فيه التعريفَ فقط، أي: دون التأنيث، وصَرْفه حينئذٍ ظاهر.[٤]

---

١ ـ ـ بدلًا.

٢ قراءة شاذّة، مروية عن زهير الفُرقبي. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٤؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٢٠.

٣ قراءة شاذّة، مروية عن الأعمش وأبي حَيْوَة وشُريح والحسن. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٤؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٢٠.

٤ لأنّ التعريف وحده لا ينهض عِلّة للمنع من الصرف.

وأن يريد مصرًا من الأمصار.

وفي مصحف عبد الله وقرأ به الأعمش: "اهبطوا مصرَ" بغير تنوين؛ كقوله: ﴿ٱدْخُلُواْ مِصْرَ﴾ [يوسف ٩٩/١٢].

وقيل: هو مِصْرائيم فعُرِّب.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾؛ أي: جُعلت الذلّةُ محيطةً بهم مشتمِلةً عليهم،

---

قوله: (وأن يُريد مِصرًا مِن الأمصار) عطف على قوله: "أن يريد العَلَم"، فليس فيه شيء من أسباب مَنْع الصرف. وقراءة الأعمش بغير تنوين شاذّة.[1]

قوله: (هو مصرايم فعُرّب)، يعني: أصل مِصْر[2] مصرايم، فغُيّر لمّا عُرِّب.

قوله: (جُعِلت الذِّلّة مُحيطة بهم)[3] اعلم أنّ هذا من قَبِيل الكناية، وقد تقدّم فيما مرّ:[4] أنّ الكناية -وهي: الانتقال من اللازم إلى الملزوم-[5] على ثلاثة أقسام: أحدها: أن يكون المطلوب بها نَفْس الموصوف، كقولك: "جاء المِضياف" وتُريد زيدًا، لعارض اختصاص للمضياف بزيد. والثاني: أن يكون المطلوب بها نَفْس الصفة، كقولك: "زيد طويل النجاد" مُتوصِّلًا بذلك إلى أنّه طويل القامة، وكقولك: "زيد كثير الرماد" مُتوصِّلًا بذلك إلى أنّه مِضياف. والثالث: أن يكون المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف، والمراد بالتخصيص: التقييد لا الحصر، وبالكناية: الكناية في نَفْس الإثبات[6] لا في طرفَيه، كما في القسم الأوّل والثاني. وذلك أنّهم يتركون التصريح بإثبات الوصف للموصوف، ويذكرون لازم ثبوته له، كما قال زياد الأعجم:

إنّ السماحة والمروءة والندى    في قُبّة ضُرِبت على ابن الحَشْرَج[7]

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش وطلحة والحسن. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٤؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٦٤؛ المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٤٢٠.

[2] ن - مصر.

[3] ن: ثمّ.

[4] مضى الحديث مُفصّلًا عن الكناية وأقسامها في تفسير سورة البقرة، ٤/٢.

[5] ن + وهي.

[6] ن: الإتيان.

[7] مضى بتخريجه في تفسير سورة البقرة، ٤/٢.

**فهم فيها كما يكون في القُبَّة مَن ضُرِبت عليه أو أُلْصِقتْ بهم، حتى لزِمَتْهم ضَرْبةَ لازِبٍ؛ كما يُضرب الطينُ على الحائط فيَلْزَمه، فاليهودُ صاغرون أذلَّاءُ أهلُ مسكَنَةٍ ومَدْقَعةٍ: إمّا على الحقيقة، وإما لتصاغُرِهم وتفاقُرِهم خيفَةَ أنْ تُضاعَفَ عليهم الجزية.**

**﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من قولك: بَاءَ فلانٌ بفلانٍ: إذا كان حَقِيقًا بأنْ يُقْتَلَ به لمساوَاتِهِ له ومكافأته؛ أي: صاروا أحقَّاءَ بغضَبِه.**

**﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّم من ضربِ الذلَّة والمسكَنة والخَلاقَةِ بالغضب؛**

---

فإنّه حين أراد ألّا يُصرِّح بتخصيص السماحة والمروءة والندى بابن الحشرج جمَعها في قُبَة، ثم جعل القُبَة مضروبة على ابن الحَشْرج.[١]

والآية من هذا القسم الأخير؛ لأنّ ضَرْب الذِّلّة عليهم على مِثال ضَرْب الخيمة مِن لوازم ثبوت الذِّلّة لهم، فإنّه فإذا ثبت الذِّلّة لهم كانت الذِّلّة مُشتمِلة عليهم، فأُطلِق اللازم وأُرِيد الملزوم، فتكون كناية.

قوله: **(أو أُلصِقت)** عطفٌ على "جُعِلت" وعلى هذا يكون من قبيل المجاز؛ لأنّ ضَرْب الشيء على الشيء على مِثال ضرب الطين على الحائط مُستلزِم لإلصاق ذلك الشيء به، وإطلاق الملزوم وإرادة اللازم مجاز.[٢] قال الواحديُّ: «أصله مِن ضَرْب الشيء على الشيء، كما يُضرَب المِسمار على الشيء فيَلزَمه، يقال: ضرَب فلان على عبده ضريبة، وضرَب السلطان على التجّار ضريبة، أي: ألزَمهم شيئًا مُعلومًا يؤدُّونه إليه».[٣]

قوله: **(ضربةَ[٤] لازب)** اللُّزوب: اللزوق. واللازم: الثابت. يقول: صار الشيء ضربةَ لازب، وهو أفصح مِن "لازم". و"المَدقَعة": الفقر. و"التفاقر": إظهار الفقر.

قوله: **(والخَلاقة)** مصدر قولك: خلُق بالضمّ فهو خليق، أي: جدير.

---

١ من قوله: "أنّ الكناية" إلى هنا بتصرُّف من الجاربردي وإيجاز وزيادة ترتيب في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٥١٣-٥١٧.

٢ انظر لهذه القاعدة في المجاز: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٥٢٣.

٣ الوسيط للواحدي، ١٤٧/١ (البقرة، ٦١/٢)؛ البسيط للواحدي، ٥٨٩/٢ (البقرة، ٦١/٢).

٤ ن: ضرب.

أي: ذلك بسبب كفرهم وقتلِهم الأنبياءَ، وقد قتلت اليهود -لُعِنُوا- شَعْيَا وزكريَّا ويَحْيَى وغيرَهم.

**فإن قلتَ:** قتلُ الأنبياء لا يكون إلَّا بغيرِ الحقِّ، فما فائدةُ ذكره؟

**قلتُ:** معناه: أنَّهم قتلوهم بغيرِ الحقِّ عندهم؛ لأنَّهم لم يَقتلوا ولا أَفسدوا في الأرض فيُقْتَلوا، وإنما نصحُوهم ودعَوهم إلى ما ينفعُهم فقتلوهم، فلو سُئلوا وأَنصفوا مِن أنفسهم لم يَذْكُروا وَجْهًا يستحِقُّونَ به القتلَ عندهم.

وقرأ عليٌّ رضي الله عنه: "ويُقتِّلون" بالتشديد.

﴿ذَٰلِكَ﴾ تكرارٌ للإشارة ﴿بِمَا عَصَواْ﴾: بسبب ارتكابهم أنواعَ المعاصي، واعتدائهم حدودَ الله في كلِّ شيءٍ، مع كفرِهم بآيات الله وقتلِهم الأنبياء.

وقيل: هو اعتداؤهم في السَّبْتِ.

---

قوله: (**قرأ عليٌّ رضي الله عنه**)[١] وهي شاذَّة.[٢]

قوله: (**﴿ذَٰلِكَ﴾ تكرار للإشارة**)[٣] يريد أنَّ ذلك ثانيًا إشارة إلى ما تقدَّم مِن ضَرْب الذِّلَّة والمَسكنَة، والخَلاقة بالغضَب، كما كان قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أوَّلًا[٤] / إشارةً إليه. [١٥٦و]

قوله: (**﴿بِمَا عَصَواْ﴾**) فسَّر هذا (**بسبب ارتكابهم**) إشارةً إلى أنَّ الباء للسببيَّة وما مصدريَّة.

قوله: (**وقيل: هو اعتداؤهم**) عطفٌ من حيث المعنى على قوله: (**واعتدائهم**). فكأنَّه قال: المراد بقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾: اعتداؤهم، أي: تجاوزهم حدود الله تعالى[٥] مُطلقًا، وارتكابهم المَحارم، والاعتداء: تجاوز الحدِّ. أو المراد:[٦] اعتداؤهم في السبت.

---

١ د - رضي الله عنه.

٢ قراءة شاذَّة، مرويَّة عن عليّ رضي الله عنه والحَسَن وأبي عبد الرحمن السُّلمي وابن مِقْسَم. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٤؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٦٤؛ **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٤٢١.

٣ ن: الإنسان.

٤ كُرِّرت هذه اللفظة في أوّل الوجه التالي.

٥ د ش - تعالى.

٦ ن: والمراد.

ويجوزَ أن يُشارَ بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الكفرِ وقتلِ الأنبياء، على معنى: أنّ ذلك بسببِ عصيانهم واعتدائهم؛ لأنهم انهمَكوا فيهما وغَلَوْا حتّى قَسَتْ قلوبهم، فجَسَرُوا على جحودِ الآيات وقتلِ الأنبياء.

أو: ذلك الكفرُ والقتلُ مع ما عصَوْا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بألسنتهم من غيرِ مواطأةِ القلوب، وهم المنافقون.

﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: والذين تهوَّدوا، يقال: هَادَ يَهُودُ وتهوَّدَ: إذا دخل في اليهوديَّة، وهو هائدٌ، والجمع: هُودٌ.

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ وهو جمع نَصْرانٍ، يقال: رجلٌ نَصْرانٌ وامرأةٌ نَصْرانةٌ؛ قال:

---

قوله: (ويجوز أن يُشار) عطف على قوله: "﴿ذَٰلِكَ﴾ تكرار"، يعني: يجوز ألّا يكون قوله: ذلك ثانيًا تكرارًا للإشارة إلى ما تقدَّم مِن ضَرْب الذِّلّة، بل يكون الثاني إشارة إلى الكفر والقتل، فكأنّه قال: ضَرْب الذِّلّة كان بسبب الكُفر والقتل، وأمّا الكُفر والقتل فبسبب شُؤم رُكوبهم المعاصي واعتدائهم؛ وذلك لأنّهم لمّا لجُّوا وبالغوا في العصيان والاعتداء صارت قلوبهم قاسية، فأورثهم الجَسارة على الكُفر والقتل.

قوله: (أو ذلك الكُفر) عطف على قوله: (أنّ ذلك بسبب عصيانهم). والحاصل أنّه إذا كان قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ ثانيًا إشارةٌ إلى الكُفر والقتل. يجوز أن تكون الباء في ﴿بِمَا عَصَواْ﴾ للسببيّة على ما ذكرنا، ويجوز أن تكون بمعنى "مع"، أي: للمُصاحبة، أي: ذلك الكفر والقتل كان مع عصيانهم واعتدائهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

قوله: "﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ جمع نَصران"، كسَكارى وسَكران.[١]

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «نصر».

نَـــضْـــرانَـــةٌ لَـــم تَـــحَـــنَّـــفِ

والياء في نصرانيّ للمبالغةِ كالتي في أحمريّ، سُمُّوا لأنّهم نَصروا المسيح.

﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ وهو من صَبَأَ: إذا خرَجَ من الدِّين، وهم قومٌ عَدَلوا عن دينِ اليهوديّة والنَّصرانيَّةِ وعَبَدوا الملائكةَ.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ من هؤلاء الكَفَرة إيمانًا خالصًا، ودخَلَ في مِلَّةِ الإسلام دخولًا أصِيلًا.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ الذي يستوجبونه بإيمانهم وعملهم.

**فإن قلتَ**: ما محلُّ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾؟

**قلتُ**: الرفعُ إنْ جعَلْتَه مبتدأً خبَرُه ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، والنصبُ إنْ جعَلْتَه بدَلًا من اسم ﴿إِنَّ﴾ والمعطوفِ عليه، فخبرُ ﴿إِنَّ﴾ في الوجه الأول الجملةُ كما هي، وفي الثاني ﴿فَلَهُمْ﴾، والفاءُ لتَضمُّن ﴿مَنْ﴾ معنى الشرط.

**﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾**

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ بالعمل على ما في التوراة ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ حتّى قَبِلْتُم وأعطَيْتُمُ الميثاق، وذلك أنَّ موسى عليه السلام جاءَهم بالألواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشَّاقَّةِ، فكبُرت عليهم وأبَوْا قبولَها، فأمرَ جبريلَ عليه السلام فَقَلع الطُّور من أصله، ورَفَعه فظلَّلَه فوقَهم، وقال لهم موسى: إنْ قبلتُم وإلَّا أُلقيَ عليكم، حتَّى قَبِلوا.

---

قوله: **(أصيلًا)** يقال: «رجل أصيلُ الرأي، أي: مُحكَم الرأي».[١]

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾... إلخ.

قوله: **(مِن الآصار)** أي: الأمور الشاقَّة، والإصر: الثِّقل. فقوله: **(حتّى قبِلوا)** غايةٌ لقوله: **(فظلَّله)**. قال الإمام:

---

١ **الصحاح للجوهري**، «أصل».

﴿خُذُوا﴾ على إرادة القول ﴿مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ من الكتاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجدٍّ وعزيمةٍ. ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾: واحفظوا ما في الكتابِ وادرُسُوه ولا تَنْسَوْه ولا تَغْفُلوا عنه. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: رجاءَ منكم أنْ تكونوا متَّقين، أو: قلنا: خذوا واذكروا إرادةَ أن تتَّقوا.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٤ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ۝٦٥﴾

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾: ثم أعرضتُم عن الميثاقِ والوفاءِ به.

﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بتوفيقكم للتوبةِ لخسِرْتُم.

وقرئ: "خذوا ما آتيتُكم وتَذَكَّروا"، "واذَّكِروا".

---

هذا هو الإنعام العاشر؛ وذلك لأنّه تعالى إنّما أخذ ميثاقهم لمَصلحتهم، فصار ذلك من إنعامه عليهم. قال ابن عبّاس رضي الله عنه:[1] "أمر الله تعالى جبلًا من جبال فلسطين فانقلع مِن أصله حتّى قام فوقهم كالظُّلَّة"،[2] وكان المُعسكَر[3] فرسخًا في فرسخ بمقدار الجبل، وقيل: خمسة فراسخ في مثلها بمقداره، فقيل لهم:[4] اقبلوا التوراة وإلّا رميتُ الجبل عليكم، فلمّا رأوا ألّا حرَب قبلوا التوراة بما فيها، وسجدوا للفزع سجودًا يُلاحِظون الجبل، فلذلك سجدت اليهود على أنصاف وجوههم.[5]

قوله: (أو قلنا)... إلخ، يُريد أنّ قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: يجوز أن يكون[6] مُتعلِّقًا[7] بقوله: ﴿خُذُوا﴾، أي: خذوا رجاء أن تتّقوا؛ ويجوز أن يكون مُتعلِّقًا بـ"قلنا" مُقدَّرة، أي: قلنا ذلك إرادةً منّا أن تتّقوا.

---

[1] د ش - رضي الله عنه.

[2] الكشف والبيان للثعلبي، ٣٦٢/٣ (البقرة، ٦٣/٢)؛ الوسيط للواحدي، ١٥١/١ (البقرة، ٦٣/٢)؛ البسيط للواحدي، ٦٣٠/٢ (البقرة، ٦٣/٢). ورد القول فيها جميعًا، لكنّه جاء منسوبًا لابن عبّاس رضي الله عنه عند الثعلبي وحده.

[3] ن: العسكر.

[4] ن - لهم.

[5] انظر: تفسير الرازي، ١١٤/٣-١١٥ (البقرة، ٦٣/٢). وقريب منه في الوسيط للواحدي، ١٥١/١ (البقرة، ٦٣/٢)؛ والبسيط للواحدي، ٦٣٠/٢ (البقرة، ٦٣/٢).

[6] ن - يجوز أن يكون.

[7] ن: متعلّق.

﴿ٱلسَّبۡتِ﴾: مصدرُ سَبَتَتِ اليهودُ: إذا عظَّمتْ يومَ السَّبْت، وإنَّ ناسًا منهم اعتدَوا فيه؛ أي: جاوَزوا ما حُدَّ لهم فيه من التَّجرُّد للعبادة وتعظيمِه واشتغلوا بالصيد، وذلك أنَّ الله ابْتلاهم فما كان يَبْقى حوتٌ في البحر إلا أخرجَ خرطومَه يومَ السَّبت، فإذا مضى تفرَّقت؛ كما قال: ﴿إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم﴾ [الأعراف ١٦٣/٧] فحَفَروا حِياضًا عند البحر وشرَعوا إليها الجداولَ، فكانت الحيتانُ تَدخُلها فيصطادونها يومَ الأحد، فذلك الحبسُ في الحياض هو اعتداؤهم.

﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾: خبران؛ أي: كونوا جامعين بين القِرْديَّة والخُسُوءِ، وهو الصَّغار والطَّرْد.

﴿فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٦٦﴾

---

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾... إلخ.

العِلم هنا بمعنى: المعرفة، أي: عرفتُم الذين جاوزوا منكم الحدَّ في يوم السبت، كقوله تعالى: ﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾ [الأنفال ٦٠/٨].[1]

قوله: (﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾) في محلّ المبتدأ، وقوله: (خبران) خبره. قيل: لأنَّ ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ لو لم يكن خبرًا ثانيًا لكان صفةَ ﴿قِرَدَةً﴾، فكان حقُّه "خاسئة". والقِردة[2] والقُرود جمعُ كثرة للقِرْد، وجمع القِلَّة أَقرِدة.[3]

قوله: (وهو الصَّغار) أي: الخُسوء: الصَّغار. «قال الفرّاء والكسائيّ: يقال: خسأْتُه خَسْئًا فخَسَأ خُسوءًا، مثل: رجعتُه رَجْعًا فرجع رجوعًا».[4] والخَسْأ: الطَّرْد والإبعاد.

---

[1] انظر: **الوسيط** للواحدي، ١٥١/١-١٥٢ (البقرة، ٦٥/٢)؛ و**البسيط** للواحدي، ٦٣٣/٢ (البقرة، ٦٥/٢).

[2] ن – والقردة.

[3] انظر لجمعه: **الوسيط** للواحدي، ١٥٢/١ (البقرة، ٦٥/٢)؛ و**البسيط** للواحدي، ٦٣٨/٢ (البقرة، ٦٥/٢).

[4] **الوسيط** للواحدي، ١٥٢/١ (البقرة، ٦٥/٢)؛ **البسيط** للواحدي، ٦٣٨/٢ (البقرة، ٦٥/٢).

**﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ يعني: المَسْخَةَ ﴿نَكَالًا﴾: عِبرةً تُنْكِل مَن اعتَبَر بها؛ أي: تمنعُه، ومنه النِّكْلُ: وهو القَيْد.**

**﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: لِمَا قَبْلَها ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: وما بعدها من الأممِ والقُرون؛ لأنّ مَسْخَتَهم ذُكرت في كتب الأوّلين فاعتبَروا بها، واعتبَر بها مَن بلغَتْهم من الآخِرين.**

**أو أريد بـ"ما بين يديها": ما بحَضْرَتها من القُرى والأُمم.**

**وقيل: ﴿نَكَالًا﴾: عقوبةً مُنَكِّلةً ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: لأجْلِ ما تَقدَّمها من ذنوبهم وما تأخَّر منها.**

---

[١٥٦ظ] ثمّ فسّر المُصنِّف قوله: (﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾) بقوله: / (**لِمَا قبلها**). وفسّر قوله: (﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾) بقوله: (**وما بعدها**). وقوله: (**مِن الأُمَم**) بيانٌ لِـ"مَا" في "ما قبلها"، و"ما بعدها".

قوله:[١] (**لأنّ مَسْخَتهم**) إلى قوله: (**من الآخِرين**) بيانٌ لكونها عِبرةً لِمَا قبلها وما بعدها، وفيه لَفٌّ ونشر.

قوله: (**أو أُريد**) إلى قوله: (**والأُمَم**) تفسير آخر لقوله: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾. واعلم أنّ "ما" في قوله: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ على التفسير الذي مرَّ إلى هنا يكون بمعنى "مَن".

قوله: (**وقيل: ﴿نَكَالًا﴾: عقوبة**) عطفٌ على قوله: (**﴿نَكَالًا﴾: عِبرة**) وإذا كان النَّكال بمعنى العقوبة يكون المراد بـ"ما بين يديها": الذنوب، يعني: جعلناها عقوبة لِمَا مضى مِن ذنوبهم.

قوله: (**وما تأخَّر منها**) تفسير لقوله: ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾. وتقريره على الوجه الذي نحن فيه -وهو أنّ المراد بـ"ما خلفها": الذنوبُ- مُشكِلٌ؛ إذ لم يتأخَّر لهم عن العقوبة ذَنْب، إذ لم يُذنبوا بعد العقوبة. قال الإمام: «المراد أنّه تعالى

---

١ ن - قوله.

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: للَّذين نَهَوْهم عن الاعتداء من صالحي قومِهم، أو لكلِّ مُتَّقٍ سَمِعَها.

كان في بني إسرائيل ..............................................

---

'جعلها عقوبة لجميع ما ارتكبوه مِن قَبل هذا الفعل وما بعده'، وهو قول الحَسَن».[1] قال الواحديُّ روايةً عن الكلبيّ: «يقول: جعلناها عقوبةً لِمَا بين يديها لِمَا مضى مِن ذنوبهم، وما خلفها لمَن بعدهم من بني إسرائيل؛ أن يستنُّوا بسنَّتهم ويعملوا بعملهم. و"ما" الثانية تكون بمعنى "مَن"».[2] وعلى واحد من الوجهين اللذَين نقلنا عن الإمام وعن الواحديّ ينبغي أن يُحمَل ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ على معنى: وما تأخَّر منها، إذا فُسِّر "ما بين يديها" بالذُّنوب.

قال القفَّال: النَّكال: العقوبة الغليظة الرادعة للناس عن الإقدام على مِثل تلك المعصية. وأصله مِن المَنْع والحَبْس،[3] ومنه النُّكول عن اليمين، وهو: الامتناع منها. ويقال: للقَيْد النِّكل؛ لمَنْعه عن المَشي، والمعنى: أنَّا جعلنا ما جرى على هؤلاء القوم عقوبة رادعة لغيرهم، أي: لم نقصِد بذلك ما يقصِد الآدميّون مِن التشهِّي؛ لأنّ ذلك إنّما يكون ممّن يضُرُّه المعاصي، وتنقُص مِن[4] مُلْكه وتُؤثِّر فيه، وأمّا نحن فإنّما نُعاقِب لمَصالح العباد، فعقابنا زجرٌ ومَوعظة.[5]

قوله: (مِن صالحِي قومهم) بيانُ (للذين نَهوهم).

قوله: (أو لكلّ مُتَّقٍ) عطفٌ على قوله: "للذين نَهوهم".

---

[1] **تفسير الرازي**، ١٢١/٣ (البقرة، ٦٦/٢)، وسقط من مطبوعه لفظ «قبل». وهو عن أبي العالية في **تفسير ابن أبي حاتم**، ١٣٤/١، وذكر أنّه رُويَ عن الربيع، وعن مجاهد والسُّدّي وقتادة في رواية معمر والحسن وعكرمة؛ وهو عن أبي العالية والربيع في **الكشف والبيان للثعلبي**، ٣٦٨/٣ (البقرة، ٦٦/٢).

[2] **الوسيط** للواحدي، ١٥٣/١ (البقرة، ٦٦/٢).

[3] ن: والحياة.

[4] ن - من.

[5] من قوله: "قال القفّال" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ١٢٠/٣ (البقرة، ٦٦/٢).

شيخٌ مُوسِرٌ، فقتَل بنو أخيه ابنَه ليرِثُوه، وطرَحوه على باب مدينةٍ ثم جاءوا يطالبون بدِيَتِه، فأمَرهم الله أن يذبحوا بقرةً ويَضْرِبوه ببعضِها ليَحْيَا فيُخبِرَهم بقاتِله.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ٦٧﴾

﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾: أتجعلُنا مكانَ هُزْءٍ، أو: أهلَ هُزْءٍ، أو: مَهزُوءًا بنا، أو الهُزْءَ نفسَه لفَرْطِ الاستهزاء.

---

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾... إلخ.

قوله: (ليَرِثوه)، أي: ليرِثوا الشيخ؛ فكأنّهم قصدوا بقَتْل ابن الشيخ أن يرثوا من الشيخ إذا مات الشيخ، وكانوا يتوقَّعون موت الشيخ عن قريب؛ لكونه شيخًا كبيرًا ضعيفًا.

قوله: (وطرحوه) عطف على قوله: (فقتل).[١] قال بعض الفضلاء:[٢] الصواب في هذا المقام أن يكون اللفظ هكذا: "فقتله بنو عمِّه ليرثوه"؛ ليكون قَتْلهم بقصد الإرث مِن المقتول، والدليل عليه قول المُصنِّف في آخر القصة: «ولم يُورَث قاتل بعد ذلك».[٣] وأنا أقول: يمكن تصحيح ما في الكتاب بأن يقال: الضمير من قوله: "ليرثوه" يعود إلى (ابنه) لا إلى (شيخ)، وذلك بأن يقال: مات ذلك الشيخ وترك ابنًا، فقتل بنو أخي الشيخ[٤] ابن الشيخ؛ ليَرِثوا من هذا الابن المال الذي ورِثه مِن الشيخ.

قوله: (أتجعلُنا مكانَ هُزء؟) قال أبو عليّ:

---

١ ن: فقيل.

٢ كُتِب تحتها في د ش: المُعزّي. | ونقل الطيبيُّ هذا الكلام وعزاه أيضًا إلى المعزّي. انظر: **فتوح الغيب**، ٥١٦/٢. هذا وسبق ذِكر المُصنِّف للإمام شمس الدين المُعزّي عند الكلام على الآية الأولى من سورة البقرة، وعلّقتُ هناك بما يكشف صلته **بالكشّاف**.

٣ في تفسير البقرة، ٧٣/٢.

٤ ن - وذلك بأن يقال: مات ذلك الشيخ وترك ابنًا، فقتل بنو أخي الشيخ.

﴿مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾: لأنَّ الهزءَ في مِثلِ هذا من بابِ الجهلِ والسَّفَه.

قرئ: ﴿هُزُؤًا﴾ بضمتين، و﴿هُزْءًا﴾ بسكون الزاي؛ نحو: كُفُؤًا وكُفْءًا، وقرأ حَفْصٌ: ﴿هُزُوًا﴾ بالضمتين والواو، وكذلك: ﴿كُفُوًا﴾.

---

"أتتَّخِذنا هُزءًا"[1] لا يخلو[2] من أحد أمرين: أحدهما: أن يكون المضاف محذوفًا؛ لأنّ الهُزء حَدَث، والمفعول الثاني في هذا الفعل يكون الأوّل؛ قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة ٦٠/١]. / والثاني: [١٥٧و] جعل الهُزء المهزوء به، مثل الخَلْق، والصَّيْد في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ﴾ [المائدة ٥/٩٦]، ونحوه. وأمّا قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا﴾ [المائدة ٥/٥٧]، فلا يُحتاج فيه إلى تقدير مضاف محذوف؛ لأنّ الدِّين ليس بعين.[3]

وقوله: "أتتَّخِذنا هُزءًا" هذا[4] استفهام إنكار.[5] وإنّما قالوا ذلك؛ لأنّهم لمّا طلبوا مِن موسى عليه السلام تعيين القاتل، فقال موسى عليه السلام:[6] "اذبحوا بقرة"، لم يعرفوا بين هذا الجواب وذلك السؤال مناسبةً، فظنّوا أنّه عليه السلام يُداعِبهم، أي: يُمازِحهم، إذ مِن المُحتمَل أنّ موسى عليه السلام أمرهم بذَبْح البقرة، وما أعلَمهم أنّهم إذا ذبحوا البقرة[7] ضربوا القتيل ببعضها فيصير حيًّا، فلا جَرَم وقع هذا القول منهم مَوقِع الهُزء. ويحتمل أنّه عليه السلام، وإن كان قد بيّن لهم كيفية الحال، إلّا أنّهم تعجَّبوا مِن أنّ[8] القتيل كيف يصير حيًّا بأن يضربوه ببعض أجزاء البقرة؟ فظنّوا أنّ ذلك يجري مَجرى الاستهزاء.[9]

قوله: (لأنّ الهُزء) اللام مُتعلِّق بمحذوف، كأنّه قال: إنّما قال:[10] ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ بعد قولهم: "أتتَّخِذنا هُزءًا"؛ لأنّ الهُزء... إلخ.

---

١ وقعت في د مهموزة، وذلك قراءة أبي عمرو وابن كثير وابن عامر والكسائي. انظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٥٧؛ و**التيسير** للداني، ص ٢٨١.
٢ د: لا يخ [اختصارًا من "لا يخلو"].
٣ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١٠٤/٢.
٤ ش – هذا.
٥ صرّح الرازي بنقل هذا المعنى عن القفّال.
٦ د ش – عليه السلام.
٧ ن – البقرة.
٨ ن – أنّ.
٩ انظر: **تفسير الرازي**، ١٢٥/٣ (البقرة، ٦٧/٢).
١٠ ن – إنّما قال.

والعِيَاذُ واللِّيَاذُ من وادٍ واحدٍ.

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ٦٨﴾

في قراءةِ عبد الله: "سَلْ لنا ربَّكَ".

﴿مَا هِيَ﴾ سؤالٌ عن حالها وصِفَتِها، وذلك أنَّهم تعجَّبوا من بقرةٍ ميّتةٍ

---

اعلم أنَّ في هذا وُجوهًا: **الأوّل**: أنَّ الجهل ضدّ الحلم، فسُمِّي نَفْس الهُزء جَهلًا وجَهالة. عن بعض أهل اللغة أن الجهل: ضدّ الحلم، كما يكون: ضد العلم، وهو الذي اختاره المُصنِّف. فقوله: (**في مِثل هذا**)، أي: في أمر الدِّين. وقوله: (**والسَّفَه**) مِن العطف الذي يكون للبيان. الوجه **الثاني**: أنّ الاشتغال بالاستهزاء لا يكون إلّا بسبب الجهل ومَنصِب النبوّة لا يحتمل الإقدام على الاستهزاء، فلم يَستعِذْ[1] موسى عليه السلام مِن نَفْس[2] الشيء الذي نسبوه إليه، ولكن استعاذ[3] مِن السبب المُوجِب له، كما[4] يقول الرجل عند مِثل ذلك: أعوذ بالله مِن عدم العقل وغلبة الهوى. والحاصل أنّ إطلاق السبب على المُسبَّب مجاز.[5]

قال الإمام: وهذا هو الوجه[6] الأقوى. **الثالث**: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ بما يَستحقّ المُستهزئون في أمر الدِّين مِن العقاب الشديد والوعيد العظيم، فإنّي متى علمتُ ذلك امتنع إقدامي على الاستهزاء.[7]

قوله: (**في قراءة عبد الله "سَلْ لنا رَبَّكَ"**)[8] أي:[9] مكان ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾.

قوله: (**وذلك أنّهم**) أي: ذلك السؤال إنّما وقع وحصل؛ لأنّهم... إلخ.

---

[1] ن: يستبعد.

[2] ن: نفسه.

[3] ن: استبعد.

[4] ن: مثل ما.

[5] من قوله: "اعلم أنّ في هذا وجوهًا" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ١٢٦/٣ (البقرة، ٦٧/٢).

[6] ن + الثالث.

[7] انظر: **تفسير الرازي**، ١٢٦/٣ (البقرة، ٦٧/٢).

[8] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. **المغني في القراءات للنّوزاوازي**، ص ٤٢٥.

[9] ن + في.

يُضرب ببعضِها ميّتٌ فيحيَا، فسألوا عن صفةِ تلك البقرةِ العجيبةِ الشأنِ الخارجَةِ عمَّا عليه البقَرُ.

و"الفارِضُ": المسِنَّةُ، وقد فَرَضَتْ فُروضًا، قال خُفَافُ بنُ نُدبَةَ:

لَعَمْري لقد أعطيتَ ضَيفَك فارِضًا    تُساقُ إليه ما تقومُ على رجلِ

وكأنَّها سُمِّيت فارضًا لأنها فَرَضَتْ سِنَّها؛ أي: قطعَتْها وبلَغَتْ آخِرَها.

و"البِكْرُ": الفَتِيَّةُ، و"العَوانُ": النَصَفُ؛ قال:

نواعمُ بينَ أبكارٍ وعُونِ

وقد عَوَّنَتْ.

فإنْ قلتَ: ﴿بَيْنَ﴾ يقتضي شيئينِ فصاعدًا، فمِن أين جاز دخولُه على ﴿ذَٰلِكَ﴾؟

قلتُ: لأنه في معنَى شيئَين، حيث وَقَع مُشارًا به إلى ما ذُكر من الفارِض والبِكْر.

فإن قلتَ: كيف جاز أن يُشار به إلى مؤنَّثينِ وإنما هو للإشارةِ إلى واحدٍ مذكَّرٍ؟

قلتُ: جاز ذلك على تأويلِ ما ذُكر وما تقدَّم؛ للاختصار في الكلام؛ كما جَعَلوا "فَعَل" نائبًا عن أفعال جمَّة تُذْكَرُ قبلَه: تقول للرَّجل: نِعْمَ ما فعلْتَ، وقد ذَكر لك أفعالًا كثيرةً وقصَّةً طويلةً؛ كما تقولُ له: ما أحْسنَ ذلك!

---

قوله: (خُفَاف بن[1] نَدْبة) "خُفاف"[2] بضمّ[3] الخاء وتخفيف الفاء، و"نَدبة" بفتح النون،[4] اسم أمّه:

(لَعَمري لقد أعطيتَ ضيفكَ فارضًا    تُساق إليه ما تقُوم على رِجْلِ)[5]

يصف شخصًا بالبخل. وقوله: "تُساق"، أي: تُساق إلى الضيف بالهَراوة، ولا تقدر أن تقوم على الرِّجْل مِن الهُزال.

---

[1] ن - بن.

[2] د ش ن: الخُفاف.

[3] ن - بضمّ.

[4] نصّ على ذلك ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه، ٤٨/٩.

[5] البيت في ديوان خُفاف بن ندبة، ص ٩٦.

وقد يجري الضمير مجرى اسم الإشارة في هذا، قال أبو عبيدة: قلتُ لرؤبة في قوله:

فيها خطوطٌ من سوادٍ وبلقْ ... كأنّه في الجلدِ توليعُ البَهَقْ

إن أردتَ الخطوط فقل: كأنها، وإن أردتَ السوادَ والبلقَ فقل: كأنهما، فقال: أردتُ كأنّ ذاكَ، ويلكَ!

والذي حسّنَ منه: أنّ أسماء الإشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة، وكذلك الموصولاتُ، ولذلك جاء "الذي" بمعنى الجمع.

﴿مَا تُؤْمَرُونَ﴾ أي: ما تُؤمَرونه، بمعنى: تؤمَرُون به، من قوله:

---

قال رؤبة:

(فيها خطوطٌ من سوادٍ وبَلَقْ ... كأنّه في الجِلد توليع البَهَقْ)[1]

التوليع: اختلاف الألوان، ويقال: ولّع الله وجهه،[2] أي: برّصه، ويقال: بِرْذونٌ[3] مُولَّع. والمولَّع: المُلمَّع. إلا أنّ التوليع: استطالة البَلَق.[4] و«البَهَق: بياضٌ أو سوادٌ يظهر في الجِلد».[5]

قوله: (ويلكَ!)[6] أي: ويلك! كيف اشتبه عليك هذا؟

قوله: (ليست[7] على الحقيقة) وذلك لأنّ[8] كلًّا منها صيغة مُستأنَفة؛ ولهذا لم يقل في تثنية "الذي": اللذيان.

قوله: (ما تأمرونه)[9] يريد: أنّ "ما" موصولة، والعائد محذوف، وأصله:

---

[1] الرجز في ديوان رؤبة، ص ١٠٤، وله في مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٤٣، ٢/٢٢٣؛ والصحاح للجوهري، «بهق»؛ وأسرار البلاغة للجرجاني، ص ٩٤.

[2] ن: وجهك.

[3] البرذون من الخيل: ما كان من غير نتاج الخيل العراب. لسان العرب لابن منظور، «برذن».

[4] انظر: الصحاح للجوهري، «ولع».

[5] جمهرة اللغة لابن دريد، «بهق»، ١/٣٧٦.

[6] وأورد أبو عبيدة خبره هذا مع رؤبة في مجاز القرآن، ١/٤٤؛ وهو في الصحاح للجوهري، «ولع».

[7] ن: وليست.

[8] ن: أنّ.

[9] ن: يأمروا به.

أمرتُك الخيرَ فافعلْ ما أُمِرتَ به فقد تركتُك ذا مالٍ وذا نَشَبِ

أو: أمْرَكم، بمعنى: مأمورَكم؛ تسميةً للمفعول بالمصدر؛ كـ: ضَرْبُ الأمير.

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ۝﴾

"الفقوعُ": أشدُّ ما يكون من الصُّفرة وأنْصَعُه، .........................

---

ما تؤمرون به؛ لأنّ الأمر يتعدّى إلى الشخص الذي أُمِر بنفسه،[1] وإلى الفعل المطلوب بالباء، يقال: أمرته بكذا ثمّ حُذِف الجارّ وأُوصِل / بنفسه، فصار: ما تأمرونه، ثمّ حَذَف المفعول به، ثمّ استشهد بحذف الجارّ وإيصال الفعل في مثله بقول الشاعر: [١٥٧ظ]

(أمرتُكَ الخيرَ)[2] فافعل ما أُمِرتَ به فقد تركتُكَ ذا مالٍ وذا نَشَبِ[3]

ذا مال، أي: ذا إبل وماشية. والنشب: المال الأصيل، وهو اسم يَجمَع الصامت والناطق، وقد جمَع الشاعر بين الحذف والإثبات.

قوله: (أو أَمْرُكم) عطف على قوله: "ما تؤمرونه"، يعني: يجوز أن تكون "ما" مصدريّة.

قوله: (كـ"ضَرْب الأمير")، أي: مضروبه.

قوله: (أَنصَعه) «الناصع الخالص يقال: أبيض ناصع وأصفر ناصع. قال الأصمعيُّ: كلُّ ثوب خالص البياض أو الصفرة أو الحمرة فهو ناصع».[4]

قوله: (ووارِس)[5] هو توكيد (أصفر). و«الوَرس: نبت أصفر يكون باليمن،

---

١ ن: نفسه.

٢ أُتِمّ البيت في متن مطبوع الكشّاف، ولم يرد في المتن فيما راجعت من أصول الكشّاف سوى عبارة "أمرتك الخير".

٣ البيت لعمرو بن مَعدي كَرِب الزُّبيدي، في ديوانه، ص ٦٣. وهو له في كتاب سيبويه، ٣٧/١. ويُنسب لغير عمرو. انظر لتفصيل ذلك: شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي، ٢٤٩/١-٢٥١؛ وفرحة الأديب للغُندجاني، ص ٦١-٦٢؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ٣٤٢/١-٣٤٤.

٤ انظر: الصحاح للجوهري، «نصع».

٥ ن: وارس.

**يقال في التوكيد: أصفرُ فاقِعٌ ووَارِسٌ؛ كما يقال: أَسْودُ حالكٌ وحانكٌ، وأبيض يَقَقٌ ولَهَقٌ، وأحمرُ قَانِئٌ وذَرِيحِيٌّ، وأخضرُ ناضرٌ ومُدْهامٌّ، وأورقُ خُطْبَانِيٌّ، وأَرْمَكُ رُدَانِيٌّ.**

**فإن قلتَ: ﴿فَاقِعٌ﴾ هاهنا واقعٌ خبرًا عن اللون، فلمَ يَقعْ توكيدًا لـ﴿صَفْرَآءُ﴾؟**

---

تُتَّخذ منه الغُمرة[1] للوجه. تقول منه: أورَس المكان. وأورَس الرِّمْث، أي: اصفرَّ ورَقه بعد الإدراك، فصار عليه مثل الإزار الأصفر، فهو وارس، ولا يقال: مُورِس، وهو من النوادر».[2] والرِّمْث بكسر الراء وسكون الميم: مَرعًى مِن مراعي الإبل.[3] وحَلُك الشيء يَحلُك حُلوكة: اشتدَّ سواده، و(**أسودُ حالك وحانك**) بمعنى.[4] ولهَق الشيء ابيضَّ، فهو (**لَهَقٌ**) إذا كان شديد البياض،[5] مثل (**يقَق**). و«قنَّأ الرجل لحيته بالخِضاب: تقنِئة، وقد قنأتْ هي مِن الخضاب تقنأ قُنُوءًا: اشتدَّت حمرتُها».[6] وذرَّحتُ الزعفران في الماء[7] إذا جعلتَ فيه شيئًا يسيرًا، و"أحمر ذَريحيٌّ": شديد الحُمرة.[8] وادهامّ الشيء، أي: اسوادّ.[9] و"الأورَق" من الحَمام والإبل الذي له لون الرَّماد.[10] و(**خُطبانيٌّ**) منسوب إلى الخُطبان، وهو: الحنظل إذا صار فيه خطوط خُضْر.[11] والرُّمْكة:[12] مِن ألوان الإبل، يقال: جَمَل (**أرمَك**): وهو الذي اشتدّت كُمتُه حتّى يدخلها سواد.[13] والرُّدان:[14] الزَّعفران.

قوله: (**﴿فَاقِعٌ﴾ هنا واقع خبرًا عن اللون**) هذا سؤال على قوله: (**يقال في التوكيد: أصفرُ فاقع**)؛ لأنّه في معنى قولك: فاقع توكيد لـ﴿صَفْرَآءُ﴾. ووجه السؤال

---

[1] الغُمرة: ما تُطلى به العروس يُتَّخذ من الورس، أو من غيره. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «غمر».

[2] **الصحاح** للجوهري، «ورس». وفيه «المُلاء» مكان «الإزار».

[3] انظر: **الصحاح** للجوهري، «رمث».

[4] د - بمعنى. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «حلك».

[5] انظر: **الصحاح** للجوهري، «لهق». وفيه: لَهِقٌ ولَهَقٌ، بكسر الهاء وفتحها.

[6] **الصحاح** للجوهري، «قنأ».

[7] ش + وغيره.

[8] انظر: **الصحاح** للجوهري، «ذرح».

[9] ن: اسودّ.

[10] انظر: **الصحاح** للجوهري، «ورق».

[11] انظر: **الصحاح** للجوهري، «خطب».

[12] ن: والرملة.

[13] انظر: **الصحاح** للجوهري، «رمك».

[14] ن: الرمدان.

**قلتُ**: لم يقع خبرًا عن اللون، وإنما وقع توكيدًا لـ﴿صَفْرَآءُ﴾، إلّا أنه ارتَفع اللونُ به ارتفاعَ الفاعل، واللونُ من سبَبها ومُلتبِسٌ بها، فلم يكن فرقٌ بينَ قولك: صفراءُ فاقعةٌ، و: ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾.

**فإن قلتَ**: فهلّا قيل: صفراءُ فاقعةٌ، وأيُّ فائدة في ذكرِ اللون؟

**قلتُ**: الفائدةُ فيه التوكيدُ؛ لأن اللون اسمٌ للهيئة وهي الصُّفرةُ؛ فكأنّه قيل: شديدةُ الصُّفرة صفرتُها، فهو من قولك: جَدَّ جِدُّه، و: جنونُك مجنونٌ.

وعن وَهْبٍ: إذا نظرتَ إليها خُيِّلَ إليك أنَّ شُعاعَ الشمس يخرجُ من جلدها.

و"السرورُ": لذةٌ في القلب عند حصولِ نفعٍ أو توقُّعِه.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: مَن لبس نعلًا صفراءَ قلَّ همُّه؛ لقوله تعالى: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ﴾.

وعن الحسن البصري رضي الله عنها ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾: سوداءُ شديدةُ السواد.

---

أنّه ليس توكيدًا؛ لأنّ ﴿لَوْنُهَا﴾ مبتدأ، ﴿فَاقِعٌ﴾[1] خبره. فأجاب بأنّه: ليس كذلك، بل هو تأكيد كما ذكرنا، و﴿لَوْنُهَا﴾ مُرتفِعٌ به؛ لأنّه فاعله. ثمّ أشار إلى أنّ إسناد ﴿فَاقِعٌ﴾ إلى ﴿لَوْنُهَا﴾ لا يمنع كونه تأكيدًا؛[2] لأنّ ﴿لَوْنُهَا﴾ مُتعلّق بقوله: ﴿صَفْرَآءُ﴾، بسبب عَود الضمير من ﴿لَوْنُهَا﴾ إلى ﴿صَفْرَآءُ﴾. وهذا كقوله في **المُفصَّل**: «وقد نزّلوا[3] نعت الشيء بحال ما هو من سببه منزلةَ نعته[4] بحاله».[5] والمراد بالسبب التعلُّق بعود الضمير، فهو في حُكم "صفراء فاقعة"، وإنّما أسنده إلى ﴿لَوْنُهَا﴾؛ ليفيد زيادة المبالغة؛ لأنّ المراد باللون هنا الصُّفرة، فكأنّه قيل: "فاقع صفرتها"، فهو كقول الشاعر:

جُنونك مَجنون ولستَ[6] بواجدٍ     طبيبًا يداوي مِن جُنون جُنونِ[7]

---

[1] ن - قولك: فاقع توكيد لـ﴿صَفْرَآءُ﴾. ووجه السؤال أنّه ليس توكيدًا؛ لأنّ ﴿لَوْنُهَا﴾ مبتدأ، ﴿فَاقِعٌ﴾.
[2] ن + نحو.
[3] ن: تركوا.
[4] ن: نفيه.
[5] **المُفصَّل** للزمخشري، ص ١٥١.
[6] ن: وليس.
[7] لإبراهيم بن هانئ أو لعبد الرحمن بن منصور قبل أن يُجَنّ، في **الحيوان** للجاحظ، ٣/١٠٩، ٦/٢٤٣؛ وبلا نسبة في **عيون الأخبار** لابن قتيبة، ٢/٥٦.

ولعلَّه مستعارٌ من صفة الإبل لأنَّ سوادَها تَعْلُوه صُفرةٌ، وبه فُسِّر قولُه تعالى: ﴿جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات ٧٧/٣٣]، وقال الأعْشى:

تـلـك خَـيـلِـي مـنـه وتـلـك رِكـابـي هُـنَّ صُـفْـرٌ أولادُهـا كـالـزَّبـيـبِ

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ٧٠﴾

﴿مَا هِيَ﴾ مرةً ثانيةً تكريرٌ للسؤال عن حالها وصفَتِها، واستكشافٌ زائدٌ ليُزدَادوا بيانًا لِوصفها، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «لو اعتَرَضوا أدْنى بقرةٍ فذبحوها لكفَتْهم، ولكن شدَّدُوا فشدَّد الله عليهم»، والاستقصاءُ شُؤمٌ.

وعن بعضِ الخلفاء: أنه كتَبَ إلى عامله بأنْ يذهبَ إلى قومٍ فيقطعَ أشجارَهم ويَهْدِمَ دورهم، فكتب إليه: بأيِّهما أبْدأ؟ فقال: إنْ قلتُ لك: بقطعِ الشجر، سألتني: بأيِّ نوعٍ منها أبْدأُ؟

وعن عمر بن عبد العزيز: إذا أمرتُكَ أنْ تُعطيَ فلانًا شاةً سألتني: أضائنٌ أم ماعزٌ؟ فإنْ بيَّنتُ لك قلتَ: أذكرٌ أم أنثى؟ فإن أخبرتكَ قلتَ: أسوداءُ أم بيضاء؟ فإذا أمرتُك بشيءٍ فلا تُراجعْني.

---

واعلم أنَّ المراد بالتأكيد هنا: الوصف الذي يكون للتأكيد، لا الذي يُقرِّر أمر المتبوع في النسبة أو الشُّمول.[١] قال الشاعر:

(تلـك خيلـي منـه وتلـك ركابـي هُـنَّ صُفْـرٌ أولادهـا كالزَّبيـبِ)[٢]

أي: خيلي وإبلي السُّود مع أولادها[٣] منه، أي: مِن الممدوح، وأراد بـ"الزبيب"[٤] الطائفيّ.[٥] أي: هذه خيلي حاصلة منه. فقوله: "منه" حالٌ عاملُه اسم الإشارة. والرِّكاب: الإبل التي يُسار عليها، الواحدة راحلة،[٦] ولا واحد لها من لفظها، وجمع الرِّكاب[٧] الرُّكُب مثل الكُتُب.

---

١ ن: والشمول.
٢ البيت للأعشى في ديوانه، ص ٣٣٥. وهو له في الصحاح للجوهري، «صفر».
٣ ن – مع أولادها.
٤ ش + الزبيب.
٥ قال الثعالبي: «القشمش من خصائص هَراة، وكذا الزبيب المعروف بالطائفيّ، يُحملان منها إلى الأقاصي والأداني». ثمار القلوب، ص ٥٤١.
٦ ن: رحلة.
٧ ن: الراكب.

وفي الحديث: «أعظمُ النَّاس جُرمًا مَن سألَ عن شيءٍ لم يُحرَّمْ فحُرِّمَ لأَجْلِ مسألتهِ».

﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾؛ أي: إن البقر الموصوفَ بالتَّعوينِ والصُّفرة كثيرٌ فاشْتَبَه علينا أيُّها تُذبحُ؟

وقُرِئ: "تَشَّابَهُ" بمعنى: تتشابَهُ، بطرح التاءِ وإدغامِها في الشين، و: "تَشَابَهَتْ"، و: "مُتشابهةٌ"، و: "مُتشابِهٌ".

وقرأ محمدٌ ذو الشَّامةِ: "إنَّ الباقِرَ يَشَّابَهُ" بالياء والتشديد.

وجاء في الحديث: «لو لم يَسْتَثْنوا لَمَا بُيِّنَتْ لهم آخِرَ الأبد»؛ أي: لو لم يقولوا: إن شاء الله.

---

قوله: (وإدغامها) قراءة أخرى، ذكر هنا ستَّ قراءات كلُّها شاذَّة.[1]

قوله: (ذو الشامة)[2] عطفُ / بيان، وهو (محمَّد) بن عليّ بن حسين رضي الله [١٥٨و]
عنهم،[3] وكان يُسمَّى الباقر؛ لتبقُّره في العلم وتوسُّعه.

«ومعنى الإثارة هنا: قلبُ الأرض للزراعة».[4] و"الناضح": البعير يُستقى[5] عليه. وسنَت[6] الناقة: سقَت[7] الأرض، تسنو.[8] وقراءة أبي[9] عبد الرحمن بفتح "لا ذلولَ" شاذَّة،[10] والقراءة بضمِّ "تُسقي"[11] شاذَّة.[12] قال الشاعر:

---

[1] شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٤؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٦٥؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٢٦-٤٢٧.

[2] ن: والشامة.

[3] ن - رضي الله عنهم.

[4] الوسيط للواحدي، ١٥٦/١ (البقرة، ٧١/٢).

[5] ن: يسقى.

[6] ن: وسقت.

[7] ن - سقت.

[8] انظر: الصحاح للجوهري، «سنو».

[9] د ش ن: أبو.

[10] قراءة شاذّة، مرويّة عن الشافعي عن ابن كثير، والأصمعي عن نافع، والشيزري عن أبي جعفر، وأبي عبد الرحمن السُّلمي. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٤؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٦٥؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٢٨.

[11] ن - تسقي.

[12] شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٤؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٦٥؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٢٨-٤٢٩، وقال فيه: «وذكر صاحب الكشّاف أنّه قُرئ بضم التاء وكسر القاف، قال أبو حاتم: وهي لغة لكثير من العَرب».

والمعنى: إنَّا لمهتدون إلى البقرة المُرادِ ذبْحُها، أو: إلى ما خَفِيَ علينا من أمْرِ القاتل.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿لَّا ذَلُولٌ﴾ صفةٌ لـ﴿بَقَرَةٌ﴾ بمعنى: بقرةٌ غيرُ ذَلُولٍ، يعني: لم تُذلَّلْ للكِراب وإثارةِ الأرضِ، ولا هي من النَّواضح التي يُسْنَى عليها لسَقْي الحروث.

و﴿لَا﴾ الأولى للنَّفي والثَّانيةُ مزيدةٌ لتوكيد الأولى؛ لأنَّ المعنى: لا ذَلُولٌ تُثِيرُ وتَسْقي، على أن الفِعْلين صفتان لـ﴿ذَلُولٌ﴾؛ كأنَّه قيل: لا ذلولٌ مُثِيرةٌ وساقِيةٌ.

وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ: "لا ذلولَ"، بمعنى: لا ذلولَ هناك؛ أي: حيث هي، وهو نفيٌ لذلِّها ولِأَنْ تُوصَفَ به فيقالَ: هي ذَلولٌ، ونحوُه قولُك: مررتُ بقومٍ لا بخيلَ ولا جبانَ؛ أي: فيهم، أو: حيث هم.

وقرئ: "تُسْقي" بضمِّ التاء من أَسْقى.

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: سَلَّمها الله من العيوب، أو: مُعْفاةٌ من العَمل سَلَّمَها أهلُها منه؛ كقوله:

أو مُعْبَرُ الظَّهْر يُنْبي عن وَلِيَّتِهِ ... ما حَجَّ ربُّه في الدنيا ولا اعْتَمَرَا

---

(أو مُعبَر[1] الظهر يُنبي عن وليّتهِ[2] ... ما حجَّ ربُّه في الدنيا ولا اعتمرا)[3]

أَعبرتُ الغنم إذا تركتَها عامًا لا تَجزُّها، وقد أَعبرتُ الشاة فهي مُعبَرة، و"المُعبَر" من الإبل: الذي يُترك وبره عليه لا يُجزُّ سنين. ويُنبي: يرفع، وأراد يُنبي وليَّته فزاد لفظة "عن". وإذا كثُر الوبر على سنامه نبتْ وليَّته وارتفعت، وهو من النُّبوّ، نبا عنه، أي: فارقه.[4] والوليَّة: البرذعة؛ وسُمّيت بذلك لأنّه[5] يلي الجلد.

---

[1] ن: معين.

[2] ن: ولبنه.

[3] البيت لرجل من باهلة في كتاب سيبويه، ١/٣٠؛ وبلا نسبة في أساس البلاغة للزمخشري، «نبو».

[4] ن: فأرفعه.

[5] ن: لأنّها.

أو مُخْلَصةُ اللون -من سَلِمَ له كذا: إذا خَلُص له- لم يَشُبْ صُفْرَتَها شيءٌ من الألوان.

﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾: لا لُمعَةَ في نُقبَتِها من لونٍ آخرَ سوى الصُّفرةِ، فهي صفراءُ كلُّها حتى قرنُها وظِلْفُها، وهي في الأصل مصدرُ وَشَاهُ وَشْيًا وشِيَةً: إذا خَلَط بلونه لونًا آخر، ومنه: ثَوْرٌ مَوْشِيُّ القوائم.

﴿قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بحقيقةِ وصفِ البقرةِ، وما بقي إشكالٌ في أمْرِها.

﴿فَذَبَحُوهَا﴾؛ أي: فحصَّلوا البقرةَ الجامعةَ لهذه الأوصاف كلِّها فذبحوها.

وقوله: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ استثقالٌ لاستقصائهم واستبطاءٌ لهم، وأنَّهم

---

و"ما حجَّ ربُّه"، أي: لم يُعمِله صاحبه[1] لا في حجّ ولا في عُمرة حتّى يحتاج إلى جزّ وبره، فيتمكن الراكب عليه.[2]

و"ربُّه" من غير إشباع الضمَّة في الهاء؛ ليستقيم الوزن من البسيط. أورده سيبويه؛ استشهادًا لاضطرار الشاعر في ترك الواو بعدها.[3]

قوله: (أو مُخلَصة) عطف على قوله: (مُعفاة). والإمام استضعف هذا الوجه؛ إذ يكون ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ تكرارًا حينئذٍ.[4]

قوله: (وما بقي إشكال)، أي: قبلوا هذا البيان، واقتصروا عليه.

قوله: (واستبطاء) عطفٌ[5] على (استثقال).

قوله: (وأنّهم) من قبيل:

علفتُه تبنًا وماءً باردًا[6]

---

[1] ن - صاحبه.

[2] من قوله: "والمعبر من الإبل" إلى هنا بلفظ قريب في شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي، ٤٢٢/١.

[3] انظر: كتاب سيبويه، ٣٠/١.

[4] انظر: تفسير الرازي، ١٣٠/٣ (البقرة، ٧١/٢).

[5] ن - عطف.

[6] مضى بتخريجه في تفسير سورة البقرة، ٧/٢، بلفظ: «علفتها...». وتكرر بلفظ «علفته...» في تفسير البقرة، ٢١/٢، ٢٣.

لتَطْويلهم المُفْرِط وكثرةِ استكشافهم ما كادوا يذبحونَها، وما كادت تنتهي سؤالاتُهم، وما كاد ينقطع خَيْطُ إسْهابِهم فيها وتعمُّقِهم.

وقيل: وما كادوا يذبحونَها لغلاء ثمنِها.

وقيل: لخوف الفضيحة في ظهور القاتل.

ورُوي: أنه كان في بني إسرائيل شيخٌ صالحٌ له عِجْلةٌ، فأتى بها الغَيْضَةَ وقال: اللّهمّ إنّي أستودعُكها لابني حتّى يكبرَ، وكان بَرًّا بوالدَيْه، فشبَّتْ وكانت من أحسنِ البقر وأسْمنِه، فساوَموها اليتيمَ وأمَّه حتّى اشترَوْها بِملءِ مَسْكها ذَهبًا، وكانت البقرةُ إذْ ذاك بثلاثةِ دنانيرَ، وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة.

**فإنْ قلتَ**: كانت البقرةُ التي تَناوَلها الأمرُ بقرةً مِن شقّ البقرِ غيرَ مخصوصةٍ، ثم انقلبتْ مخصوصةً بلونٍ وصفاتٍ فذبحوا المخصوصةَ، فما فَعَل الأمرُ الأوّلُ؟

**قلتُ**: رجع منسوخًا؛ لانتقالِ الحكمِ إلى البقرةِ المخصوصةِ، والنسخُ قبل الفعل جائزٌ، على أنَّ الخطاب كان لإبْهامِه متناوِلًا لهذه البقرة الموصوفة

---

أي: وبيان أنّهم. ويقال: «أَسهَب الرجل إذا أكثر[١] من الكلام، فهو مُسهَب بفتح الهاء، ولا يقال بكسرها، وهو من النوادر».[٢] ويقال: تعمَّق في كلامه، أي: تنطَّع.[٣]

قوله: (**فساوَموها**)، أي: طلبوا بيع البقرة مِن اليتيم ومن أمّه. و"المَسْك": الجِلْد.

قوله: (**مِن شِقّ البقر**)،[٤] أي: فرد مِن أفرادها.

قوله: (**فما فَعَل؟**) "ما" استفهاميّة.

قوله: (**على أنّ**) جواب آخر، وهو أنّه تخصيصٌ لا نَسْخٌ، أي: الخطاب قبل التقييد كان شاملًا لهذه البقرة المخصوصة المُعيَّنة، وتقييده لا يُنافي ذلك.

---

[١] ن: كثر.

[٢] الصحاح للجوهري، «سهب». وفيه «وهو نادر» مكان «وهو من النوادر».

[٣] ن: تقطّع.

[٤] ن - مِن اليتيم ومن أمّه. و"المَسْك": الجِلْد. قوله: (مِن شِقّ البقر).

كما تناوَل غيرَها، ولو وقع الذَّبحُ عليها بحُكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالًا له، فكذلك إذا وقع عليها بعد التخصيص.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ خُوطبت الجماعةُ لوجود القَتْل فيهم.

---

واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ﴾ يجوز أن يكون منصوبًا بقوله: ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا﴾. والأَوْجَه أن يكون معطوفًا على ﴿إِذْ﴾ مُتقدِّمًا، والتقدير: واذكر إذ قال.

ثمّ إنّ قوله:[١] ﴿قَالُوٓاْ﴾ جواب سؤال كأنّه قيل: ماذا قالوا حين قال موسى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾، فأُجيب بأنّهم قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾؛ وكذا قوله: ﴿قَالَ أَعُوذُ﴾ جواب سؤال، وهو أن يقال: فماذا قال موسى حين قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾؟ وأُجيب بأنّه قال: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾؛ وكذا قالوا: ﴿ٱدْعُ﴾ جواب سؤال، وهو أن يقال: ماذا قالوا حين تبيَّن لهم أنّ ذلك ليس بهُزْء، وأُجيب بأنّهم قالوا؛ وكذا جميع ذلك... إلخ، بتقدير: ماذا قال موسى؟ ماذا قال قومه؟[٢] وكذا قوله: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ﴾ جواب سؤال أيضًا، فإنّهم لمّا[٣] قالوا: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ مرة[٤] ثالثة بعد السؤال بقولهم: ﴿مَا هِيَ﴾؟ و﴿مَا لَوْنُهَا﴾؟ وبعد سماع الجواب عنهما كان مَظِنَّة أنْ يقال لهم: لِمَ تُكررون السؤال؟ أما يكفي الجوابان المُتقدِّمان؟ فأجابوا بقولهم: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ﴾؛ ولذلك[٥] قالوا في هذه المرّة ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾. اللّهمّ إنّا نسألك الاطّلاع على / معاني القرآن العظيم، ولطائف الفرقان الكريم، فأعطِنا حظًّا منها، ولا تَحرِمنا منها،[٦] ووفِّقنا للاشتغال بها والتنقير عنها، برحمتك يا أرحم الراحمين. [١٥٨ظ]

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾... إلخ.

قوله: (**خُوطِبت الجماعة**)، يعني: أُضِيف القتل إليهم، وإن كان القاتل

---

١ ن – إنّ قوله.
٢ ن: قوله.
٣ ن – لمّا.
٤ ن – مرّة.
٥ ن: وكذلك.
٦ ن – منها.

﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾: فاختلفتُم واختصمتُم في شأنها؛ لأنّ المتخاصمِينَ يدْرأُ بعضُهم بعضًا؛ أي: يدفعُه ويزحَمُه.

أو: تدافعتُم، بمعنى: ......................................

---

واحدًا منهم أو اثنين، على عادة العَربِ من أنّهم يضيفون فعل[١] البعض إلى جماعة القبيلة، يقولون: فعلتم[٢] كذا، وإن كان بعضهم فعل ذلك.

قوله تعالى: (﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾) أصله تدارأتُم، ثمّ أُسكِنت التاء وقُلِبت دالًا، ثمّ أُدغِمت الدال في الدال وأُدخِلت الألف في أوّله؛ ليُمكن الابتداء بالساكن،[٣] ومثله ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾ [التوبة ٣٨/٩]، و﴿اطَّيَّرْنَا﴾ [النمل ٤٧/٢٧]. فقوله: (**اختلفتُم**[٤] **واختصمتُم**) تفسيرُ ﴿ادَّارَأْتُمْ﴾.[٥] وقوله: (**لأنّ المُتخاصِمين**) إشارة إلى[٦] وجه إطلاقِ ﴿ادَّارَأْتُمْ﴾ على "اختلفتُم واختصمتُم". وحاصله أنّ التدارؤ، أي: التدافع، لازمُ الاختصام، فأُطلِق التدارؤ وهو اللازم، وأُريد الاختصام وهو الملزوم، فيكون كناية.

قوله: (**أو تدافعتُم**)[٧] عطف على قوله: (**فاختلفتُم**)، يعني: يكون المراد بالتدارؤ: التدافُع، فلا يكون مِن قبيل الكناية؛ بل يكون تصريحًا، ثمّ هنا وجهان: الوجه **الأوّل**: أن يكون المراد بالتدافُع أن يُطرَح قَتْلَ النفس بعضُها على بعض، ثمّ نقول: إذا طرح القتلَ هذا على ذاك دَفَعه ذاك عن نفسه، وإذا طرحه ذاك على هذا دَفَعه هذا عن نفسه،[٨] فيتحقَّق معنى المُدافَعة. أو نقول: إذا طَرَح بعضهم القَتْل على بعض فذلك[٩] الطرح دَفْعٌ في نفسه، أي: من غير النظر إلى أمر آخر.

---

١ ن: قتل.

٢ ن: فعلهم.

٣ انظر لتفصيل تصريفها: **معاني القرآن للأخفش**، ١١٤/١؛ **وجامع البيان للطبري**، ١١٨/٢-١١٩ (البقرة، ٧٢/٢)؛ **والبسيط للواحدي**، ٦١/٣-٦٣ (البقرة، ٧٢/٢).

٤ ن - اختلفتم.

٥ وهو قول ابن عبّاس رضي الله عنه ومجاهد والضحّاك. انظر لذلك: **جامع البيان للطبري**، ١١٨/٢-١١٩ (البقرة، ٧٢/٢)؛ **وتفسير ابن أبي حاتم**، ١٤٤/١ (البقرة، ٧٢/٢)؛ **والوسيط للواحدي**، ١٥٧/١ (البقرة، ٧٢/٢).

٦ ن + أنّ.

٧ وهو قول الربيع في **الوسيط للواحدي**، ١٥٧/١ (البقرة، ٧٢/٢)؛ **والبسيط للواحدي**، ٥٩/٣ (البقرة، ٧٢/٢).

٨ ن - وإذا طرحه ذاك على هذا دَفَعه هذا عن نفسه.

٩ ن: فذاك.

طرَحَ قَتْلَها بعضُكم على بعضٍ فدَفع المطروحُ عليه الطارحَ، أو لأنّ الطرحَ في نفسه دفعٌ، أو دَفَع بعضُكم بعضًا عن البَراءة واتَّهمه.

﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾: مُظهِرٌ لا محالةَ ما كتمتُم من أمرِ القتل لا يتركه مكتومًا.

**فإن قلتَ:** كيف أُعمِل ﴿مُخۡرِجٞ﴾ وهو في معنى المُضِيّ؟

---

فقوله: **(أو لأنّ)** عطفٌ على قوله: **(فدَفَع)** وكلاهما من تتمّة قوله: **(طَرَح قَتْلها)**... إلخ.

قوله: **(أو دَفَع)** عطفٌ على قوله: "طَرَح"، وهذا هو **الوجه الثاني**: وهو أن يكون المراد بالتدافُع:[١] دَفْعَ بعضهم بعضًا عن البراءة عن القتل، واتِّهامه بالقتل.

وجملة القول فيه: أنّ المُتخاصِمِين إذا تخاصموا فقد دَفَع كلُّ واحد منهم عن نفسه تلك التُّهَمة، ودَفَع كلّ واحد منهم حُجّة صاحبه في إسناد تلك التُّهَمة إلى غيره، وحُجّة صاحبه في براءته عنه.[٢]

والضمير من قوله تعالى:[٣] ﴿فِيهَا﴾ للنفس، أي: فاختلفتُم في شأن النفس. ويحتمل أن يعود إلى القَتْلة؛ لأنّ قوله: ﴿قَتَلۡتُمۡ﴾ يدلُّ على المصدر.

قوله: **(وهو في معنى الماضي)**؛ لأنّ الخطاب بهذا الكلام مع بني إسرائيل الذين كانوا في زمان النبيّ عليه السلام، وإظهار ما يكتمونه[٤] مِن أَمْر القتل قد وقع في زمن موسى عليه السلام،[٥] وأجاب بأنّه وإن كان ماضيًا لكونه واقعًا في الزمان الماضي، لكنّه مُستقبَل ومُترقَّب بالنظر إلى ما قبله؛ لأنّ إظهار ذلك كان بعد الاختلاف فحُكِيَ ما كان مُستقبَلًا فعُمل، كما حُكِيَ الحال فعمل في قوله: "﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِ﴾ [الكهف ١٨/١٨]"، فإنّ المراد به حكاية الحال التي كان فيها كلب أصحاب الكهف باسطًا ذراعيه بوصيد الباب.

---

١ ن + بالتدافع.
٢ انظر: تفسير الرازي، ١٣٢/٣ (البقرة، ٧٢/٢).
٣ ن – تعالى.
٤ ن: يكتمون.
٥ د ش – عليه السلام.

قلتُ: لأنه قد حُكي ما كان مستقبلًا في وقت التّدارُءِ، كما حُكي الحاضرُ في قوله: ﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ﴾ [الكهف ١٨/١٨].

وهذه الجملةُ اعتراضٌ بين المعطوفِ والمعطوفِ عليه، وهما: ﴿ادّارأتم﴾ ﴿فَقُلۡنَا﴾.

﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٧٣﴾

الضميرُ في ﴿ٱضۡرِبُوهُ﴾ إمّا أن يرجع إلى النفس والتذكيرُ على تأويل الشخص والإنسانِ، وإمّا إلى القتيلِ؛ لِمَا دلَّ عليه من قوله: ﴿مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾.

﴿بِبَعۡضِهَا﴾: ببعضِ البقرة، واختُلف في البعض الذي ضُرب به؛ فقيل: لسانُها، وقيل: فَخِذُها اليُمنَى، وقيل: عَجْبُها، وقيل: العظمُ الذي يلي الغُرْضُوف وهو أصلُ الأُذنِ، وقيل: الأذن، وقيل: البَضْعَةُ بين الكتفين.

والمعنى: فضربوه فحيِيَ، فحُذف ذلك لدلالة قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾.

رويَ: أنهم لمَّا ضربوه قام بإذن الله وأوْداجُه تَشْخبُ دمًا وقال: قتَلني فلانٌ وفلانٌ، لابني عَمِّه، ثم سقَط ميِّتًا، فأُخذا وقُتلا ولم يُورَّثْ قاتلٌ بعد ذلك.

---

قوله: (وهذه الجملة) إلى قوله: (﴿فَقُلۡنَا﴾)، يريد: أنّ قوله: ﴿فَقُلۡنَا﴾ عطف على قوله: ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ﴾. وهذه الجملة، أعني قوله: ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾، معترض بين المعطوف وهو قوله: ﴿فَقُلۡنَا﴾، وبين المعطوف عليه وهو قوله: ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ﴾.

قوله: (عَجْبها) العَجْب بالفتح أصل الذَّنَب، يقال: العَجْب أمره عَجَب؛ أوّل ما يُخلَق وآخر ما يَخلَق، أي: آخر شيء يبلى. و(الغُضروف) والغُرضوف بمعنًى، وهو: ما لان من العظم. و(البَضعة): قطعة لحم. و"الأوداج": العُروق. و(تَشخُب) بضمّ الخاء وفتحها: تنفجر وتسيل. كأنّه اقتبسه من قوله عليه السلام في حقّ الشهداء: «زمّلوهم بكُلومهم ودمائهم، فإنّهم يُحشَرون يوم القيامة وأوداجهم تَشخُب دمًا، اللون لون الدم، والريح / ريح المسك».[١] [١٥٩و]

---

[١] الحديث بلفظ قريب في مسند أحمد، ٦٤/٣٩، ٦٣ (٢٣٦٥٩، ٢٣٦٥٨)؛ وصحيح البخاري، ١٨/٤-١٩ (٢٨٠٣)؛ وصحيح مسلم، ٩٠٧/٢-٩٠٨ (١٨٧٦)؛ وسنن الترمذي، ٢٨٨/٣-٢٨٩ (١٦٥٦).

﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾: إمّا أن يكون خطابًا للّذين حضروا حياةَ القتيل بمعنى: وقلنا لهم: كذلك يُحيي اللهُ الموتى يومَ القيامة ﴿وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ودلائلَه على أنه قادرٌ على كلِّ شيء ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾: ..........................

---

قوله: (ولم يُورَث[1] قاتل بعد ذلك) قيل:[2] هذا يدلُّ على أنّ الصواب في أوّل القصة: "فقتله بنو عمّه"؛[3] لأنّهما لو كانا قاتلي الابن لَمَا مَنَع ذلك الإرثَ مِن الأب[4] بلا خلاف. أقول: اندفع هذا بما كتبناه ثَمّة.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾) إمّا أن يكون خطابًا.

اعلم أنّ هذا احتجاج في صحة الإعادة، ثمّ هذا الاحتجاج أهو على المشركين أو كان خطابًا على بني إسرائيل الذين كانوا في زمان موسى عليه السلام؟[5] فيه وجهان:

**الأوّل**: قال القفّال: ظاهرُ الكلام يدلُّ على أنّ الله تعالى قال هذا لبني إسرائيل، أي:[6] كما أحياه الله تعالى فسائر الموتى يكون مِثل هذا الذي شاهدتُم؛ لأنّهم وإن كانوا مؤمنين بذلك إلّا أنّهم لم يُؤمنوا به إلّا عن طريق الاستدلال، ولم يشاهدوا شيئًا منه، فإذا شاهدوه اطمأنّت قلوبهم، وانتفت عنهم الشُّبهة التي لا يخلو منها المُستدلّ. قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ [البقرة ٢/٢٦٠]، فأحياه الله تعالى عِيانًا. ثمّ قال لهم: ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾، أي: كالذي أحياها في الدنيا يُحيي الموتى في الآخرة.

---

١ وفي هامش د: قوله: (ولم يُورَث) نسخة جار الله: بتخفيف الراء من الإيراث، وفي بعض النُّسَخ: (لم يُورَّث) من التوريث.

٢ وفي هامش د: القائل المُعِزّي. قال المُعزّي: (ولم يُورَث قاتل بعد ذلك) دلالةٌ على أنّ الصواب "فقتله بنو عمّه"؛ لأنهما لو كانا قاتلي الابن فذلك لا يمنع الإرث من الأب، بلا خلاف. وأنا أقول: اندفع هذا بما كتبتُ في الحاشية قبل ذلك.

٣ ورد ذلك في آخر تفسير الآية السابقة على القصّة، وهو في سورة البقرة، ٢/٦٦.

٤ ن: الإرث.

٥ د – عليه السلام.

٦ ن + كان.

**تعملون على قضيّة عقولكم، فإنّ مَن قَدَرَ على إحياء نفسٍ واحدةٍ قَدَرَ على إحياء الأَنْفُس كلِّها لعَدَم الاختصاص حتى لا تنكروا البعثَ.**

**وإمَّا أن يكون خطابًا للمنكِرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

**فإن قلتَ: هلّا أحياهُ ابتداءً، ولِمَ شَرطَ في إحيائهِ ذَبْحَ البقرة وضربَه ببعضها؟**

---

الوجه[١] **الثاني**: وإليه أشار بقوله: **(وإمّا أن يكون خطابًا للمُنكِرين)**... إلخ، قال الأصمّ: إنّه احتجاج على المُشركين؛ لأنّه إذا ظهر لهم بالتواتر أنّ هذا الإحياء قد كان على هذا الوجه علِموا صحّة الإعادة، وإن لم يظهر لهم بالتواتر، فإنّه يكون داعية لهم إلى التفكُّر، وعلى هذا القول لا يُحتاج إلى تقدير القول في قوله: فقلنا: ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ﴾.[٢]

قوله: **(تعملون)**... إلخ، تفسير لقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾. وبه يندفع سؤال مَن يقول: إنّ القوم كانوا عقلاء قبل عُروض[٣] هذه الآيات عليهم، وإذا كان العقل حاصلًا امتنع أن يقال لهم: إنّي عرضتُ عليكم الآية الفلانيّة؛ لكي تصيروا عقلاء. فأجاب بأنّ المعنى: لعلّكم تعملون على قضيّة عقولكم. وقوله: **(وأنّ)** عطف على قوله: **(قضيّة)**، فكأنّه قال: وتبنون الأمر على أنّ مَن قدَر على إحياء نفس قدَر على إحياء النفوس؛ لعدم اختصاص بعض النفوس بالمانع دون المانع،[٤] أو المعنى:[٥] لعدم القائل بالفصل.

قوله:[٦] **(لِمَ شرَط؟)**... إلخ، أي لمّا[٧] كان تعالى قادرًا على إحيائه مِن غير توسُّط ضَرَبه ببعض البقرة، فلِمَ شرَط ذلك في إحيائه؟ فأجاب بأنّ في توسيط الأسباب والشروط[٨] فوائد كثيرة. ثمّ أشار إلى الفوائد المخصوصة بهذه الصورة،

---

١ ن: والوجه.

٢ من قوله: "اعلم أنّ هذا احتجاج" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ١٣٤/٣-١٣٥ (البقرة، ٧٣/٢).

٣ ش: عرض.

٤ ش: البعض.

٥ ن: والمعنى.

٦ ن - قوله.

٧ ن: كما.

٨ هامش د: شرائط. خ [اختصارًا من "نسخة"]؛ ش: الشرائط.

**قلتُ:** في الأسبابِ والشروط حِكَمٌ وفوائدُ، وإنَّما شرَط ذلكَ لِمَا في ذَبحِ البقرة مِن التَّقرُّب وأداءِ التكليف واكتسابِ الثواب، والإشعارِ بحُسنِ تقديم القُربة على الطلب، وما في التشديدِ عليهم لتشديدهم ..........................

---

وهو[١] توسُّط ذبح البقرة على الوجه المخصوص، وأشار إلى الفوائد من ثلاث جهات: الجهة **الأولى**: ذبح البقرة، و**الثانية**: التشديد عليهم في تلك البقرة، و**الثالثة**: ضَرْبه ببعضها. أمّا الجهة **الأولى** فأشار إليها بقوله: (**لِمَا في ذَبْح البقرة**)... إلخ، و(**من**) بيان "ما". وذكر هنا فوائدَ: **الأولى**: التقرُّب بالقُربان التي كانت العادة بها جارية، مع أنّ هذا القربان كان عندهم أعظم القرابين، **الثانية**: أنّه تعالى لمّا كلّفهم بذبح البقرة فأتوا بما كُلِّفوا بها حصَل لهم الثواب، فإنّ فائدة التكليف هي أنّ الله تعالى يجعل العباد مُعرَّضًا[٢] لاستحقاق التعظيم والنعيم المُقيم، وهو مذهب المعتزلة.[٣]

قوله: (**والإشعار**) أي: الإعلام بأن مَن يطلُب شيئًا فيحسن منه أن يُقدِّم على طلبه ما يتقرَّب به إلى المطلوب منه؛ / ليكون ذلك سببًا لإجابته. **[١٥٩ظ]**

قوله: (**وما في التشديد**) عطفٌ على قوله: "ما في ذَبْح البقرة" وهذا هو الجهة **الثانية**، واللام[٤] في قوله: (**لتشديدهم**) مُتعلِّق بـ"التشديد"، يعني: لمّا شدَّدوا على أنفسهم بالمبالغة في السؤال في قولهم: ﴿مَا هِيَ﴾ و﴿مَا لَوْنُهَا﴾ و﴿مَا هِيَ﴾، شدَّد الله تعالى[٥] عليهم، بأن عيَّن بقرة عسُر عليهم تحصيلها وِجدانًا واشتراءً.[٦] وفي تشديد الله تعالى[٧] عليهم بسبب تشديدهم فوائد: الفائدة **الأولى**: أن يكون ذلك[٨] التشديد لطفًا لهم ولغيرهم أيضًا؛ وذلك بأن يتركوا هم وغيرهم التشديد في السؤال عند الأمر بالشيء، ويُسارعوا إلى الامتثال والارتسام، وذلك لأنّهم

---

١ ن - في توسيط الأسباب والشروط فوائد كثيرة. ثمّ أشار إلى الفوائد المخصوصة بهذه الصورة، وهو.
٢ ن: معترضًا.
٣ انظر لمذهب المعتزلة **شرح الأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبّار، ص ٥١٠-٥١١.
٤ ن: والأمر.
٥ ش - تعالى.
٦ ن: وأسيرًا.
٧ د ش - تعالى.
٨ ن - ذلك.

**مِن اللطف لهم ولآخَرِين في تَركِ التشديد والمُسارعةِ إلى امتثالِ أوامر الله تعالى وارتسامِها على الفور من غير تفتيشٍ وتكثيرِ سؤالٍ، ونفعِ اليتيم بالتِّجارة الرَّابحة، والدلالةِ على بركة البِرّ بالوالدين والشفقةِ على الأولاد، وتجهيلِ الهازئ بما لا يَعلمُ كُنْهَه ولا يطَّلعُ على حقيقته من كلام الحكماء، وبيَانِ أنَّ مِن حقّ المتقرِّب إلى ربِّهِ أن يَتنوَّقَ في اختيارِ ما يتقرَّبُ به، ..................**

---

لمّا علموا وعلِم غيرهم أنّهم تضرّروا بسبب المبالغة في السؤال لم يَشتغلوا بمثل ذلك أبدًا. وقوله: **(مِن اللطف)** بيان ما في التشديد واللطف ما يُقرِّب العبد إلى الطاعة.

قوله: **(في تَرْك)** مُتعلِّق باللطف فإنّ أثَر اللطف إنّما كان في أن يتركوا التشديد، يقال: رسمتُه فارتسم، أي: أمرتُه[1] فأتمَر. **الفائدة الثانية: (نَفْع اليتيم)** وهو عطف على قوله: "اللطف". **والثالثة:** "الدلالة على بركة البرّ وبركة[2] الشفقة على الأولاد"، وهو أيضًا عطف عليه، وأنّ صاحب البقرة كان برًّا بوالديه، وكان أبوه مُشفِقًا عليه. **الرابعة: (تجهيل الهازئ)**، وهو أيضًا عطف على قوله: "اللطف".

واعلم أنّهم لمّا قالوا لموسى عليه السلام:[3] ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ فكأنّهم جعلوا كلام موسى كالهُزء والكلام الساقط، فإنّهم لو اعتقدوا في ذلك الكلام الاشتمال على الفائدة لَمَا خاطبوه بذلك، ولمّا بالغ[4] موسى وشدَّد عليهم في أوصاف البقرة، وتبيَّن فائدة ذلك الكلام ظهر جهل الهازئ بكلام موسى، وتبيَّن أنّه كان كلامًا لم يطَّلعوا على حقيقته، وكان من كلام الحكماء، أي: العلماء المُتقنين.[5] فقوله: **(مِن كلام الحكماء)** بيان **(ما لا يَعلم)**.

قوله: **(وبيان)**... إلخ، وهو أيضًا مجرور عطفٌ على قوله: "اللطف"، يعني: بيَّن الله تعالى بهذا التشديد أنّ[6] مَن يريد التقرُّب إلى الله تعالى فعليه

---

١ ن: بقربه.
٢ ن: فبركة.
٣ د ش - عليه السلام.
٤ ن: بلغ.
٥ ن: المتقين.
٦ ن - أنّ.

وأن يختاره فتيَّ السِّنِّ غيرَ قَحْمٍ ولا ضَرَعٍ، حَسَنَ اللَّون بَرِئًا من العيوب، يُونِقُ مَن ينظر إليه، وأن يُغالِيَ بثمنه كما يُروَى عن عمر رضي الله عنه: أنَّه ضَحَّى بنجيبةٍ بثلاثِ مئة دينارٍ.

وأن الزيادة في الخطاب نَسخٌ له، ..........................

---

أن يختار بدقَّة النظر في الاختيار والاحتياط، لئلّا يتقرَّب بغير المختار. يقال: تنوَّق[١] في الأمر إذا عمله بدقَّةِ نظر.

قوله: (فتيَّ السنّ)، أي: عَوانًا. و"القحم": الفارض المُسِنَّة. و"الضَّرع": البَكْر، أي: الشابّ الحديث السنّ.

قوله: (يُؤنِق)،[٢] أي: يُعجِب ويَسرُّ الناظرين.

قوله: (وأن يُغالي) عطفٌ على (أن يتنوَّق) أي: يشتريه بثمن غالٍ. قال الشاعر:

نُغالي اللحمَ للأضياف نِيئًا[٣] ونُرخِصه إذا نضِج القُدورُ[٤]

فإنّ[٥] في[٦] شِراه غاليًا الإحسان إلى البائع. و"النجيبة": الناقة[٧] الكريمة.

**السادسة**: بيان (أنّ الزيادة في الخطاب نسخ)، فإنّه لمّا شدَّد بزيادة الأوصاف لم يَجُز[٨] إلّا بقرة بتلك الصفة، فدلَّت الآية على أنّ الزيادة نسخ. واعلم أنّه قد تقدَّم أنّ مِثله ليس بنسخ،[٩] والآية لا تدلُّ على كونه نسخًا. فقوله: "وأنّ الزيادة" عطفٌ على قوله: (أنّ مِن حقّ).

---

١ ن: تنوت.

٢ ن: يوفق.

٣ ن: نيا.

٤ البيت بلا نسبة في **معاني القرآن** للفرّاء، ٢/٣٨٣؛ و**معاني القرآن** للأخفش، ١/٨٥، ١٥٧، ٢/٣٥٣، وفيه «تطعمه» مكان «نرخصه» في الموضع الأول، و«ونبذله» مكان «نرخصه» في الموضعين الثاني والثالث؛ وهو لرجل من قيس في **المعاني الكبير** لابن قتيبة، ١/٣٨٦؛ وبلا نسبة في **الصحاح** للجوهري، «غلا».

٥ ن: في.

٦ ن: فإنّ.

٧ ن: النائمة.

٨ هامش د: لم يُجِز. خ [اختصارًا من "نسخة"]؛ ش: يُجزئ.

٩ ن: منسخ.

**وأنَّ النسخ قبلَ الفِعْل جائزٌ، وإن لم يجز قبل وقتِ الفِعْل وإمكانِه لأدائه إلى البَدَاءِ، وليُعلم بما أَمَر من مسّ المَيّت بالميتِ وحصولِ الحياة عَقيبَه أن المؤثّر هو المسبِّبُ لا الأسبابُ؛ لأن الموتَيْنِ الحاصلَين في الجسمين لا يُعقل أن يتولّد منهما حياة.**

---

السابعة: (**أنّ النسخ قبل الفعل جائز**)، وهذا مبنيٌّ على أنّ ذلك يكون نسخًا، وقد عرفتَ ما فيه.[1]

قوله: (**وإن لم يَجُز قبل وقت الفعل**) بناء على مذهبه، فإنّ المعتزلة لا يُجوّزون النَّسخ قبل وقت الفعل. قالوا: لأنّه يلزم منه البَداء، أي: الندم؛ لأنّه إذا قال: صلُّوا غدًا / عند العصر، ثمّ قال قبل العصر: لا تصلُّوا عند العصر، فإنّه يلزَم منه الندم. [١٦٠و] وأُجِيب بأنّا لا نُسلِّم لزوم البَداء؛ وذلك لأنّ الأمر كما يكون لمصلحة[2] في المأمور، فكذلك قد يكون لمصلحة[3] في نفس الأمر تحصل قبل فعل المأمور، فلا يحتاج إلى فعل المأمور، كقول السيِّد لعبده: اذهب غدًا إلى القرية ماشيًا، ويكون غرَضه[4] اختبار العبد في كيفية امتثاله لأمره، وإن علِم السيِّد أنّه لا مصلحة في ذهابه، وأنّه لا يبعثه، وإذا تبيَّن له[5] الامتثال والانقياد نسخه، وقال: لا تذهب، ولا يلزم منه البَداء.

قوله: (**وليُعلِمَ بما أُمِر**) عطف على قوله: "لِمَا في ذَبْح البقرة"، وهذا هو الجهة **الثالثة**، فنقول: الفائدة في ضَرْب المقتول ببعض البقرة -مع أنّ الله تعالى[6] قادر[7] على أن يُحييه ابتداءً- أن تكون الحُجّة أوكَد، وعن الحيلة أبعَد، فإنّه إذا حييَ عندما يُضرَب بقطعة من البقرة المذبوحة دلَّ على أنه لا أثر للأسباب؛ بل[8] لا[9] مُؤثِّر في الوجود إلّا مُسبِّب الأسباب، وهو الله تعالى. فقوله: (**وحصول**) عطف على قوله: "ما أُمِر".

---

١ ن: باقية.
٢ ن: مصلحة.
٣ ن: المصلحة.
٤ ن: الغرض.
٥ إلى هنا انتهى الجزء الذي يمكن العِراض به من الموقوف عليه من نسخة ش، وسيتمّم ما بعده مكانها من نسخة ر.
٦ د + كان.
٧ د: قادرًا.
٨ ن ر: بلا.
٩ ن ر - لا.

**فإن قلتَ**: فما للقصةِ لم تُقَصّ على ترتيبها، وكان حقُّها أن يقدَّمَ ذكرُ القتيل والضربِ ببعض البقرة على الأمر بذبحها، وأن يقال: وإذ قتلتُم نفسًا فادَّارأتُم فيها فقلنا: اذبحوا بقرةً واضرِبوه ببعضها؟

**قلتُ**: كلُّ ما قُصَّ من قصص بني إسرائيل ..............................

---

قوله: **(وكان حقُّها)**، يعني: لا شكّ أنّ وقوع القتل مُتقدِّم[١] على الأمر بذَبْح البقرة وضَرْب بعضها على القتيل، فكان المُناسِب في ذِكْر هذه القصَّة في **القرآن** أن يُقدَّم ذِكْر القتيل[٢] على ذِكْر الأمر بذَبْح البقرة، وضَرْب بعضها على القتيل، فيقال: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا﴾، فقلنا: اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها، فلِمَ لم[٣] يراعَ هذا الترتيب؟ هذا تقرير السؤال. وقوله: **(وأن يقال)**... إلخ، عطفٌ على قوله: **(أن يُقدَّم)**، وهذا من العطف[٤] الذي ذكرنا مرارًا أنّه يكون للبيان.

إذا عرفتَ هذا فنقول: في عبارة المُصنِّف بحث؛ إذ ليس حقّ القصّة أن يُقدَّم ذِكْر القتيل والضَّرْب ببعضها على الأمر بذَبْحها، فإنّ الضرب ببعضها لا يكون مُقدَّمًا على ذَبْحها، فكأنّه أراد بذِكْر القتيل والضَّرْب ببعضها ذِكْر الآية التي فيها ذِكْر القتيل والضَّرْب ببعضها، أعني قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾... إلخ، وأراد بقوله: **(الأمر بذَبْحها)** الآية التي فيها الإخبار عن قصَّة البقرة في قوله: ﴿مَا هِيَ﴾ ﴿مَا لَوْنُهَا﴾ ﴿مَا هِيَ﴾، مع أجوبتها، ويدلُّ على إرادته ذلك أنّه قال: **(وأن يقال: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ﴾، فقلنا: اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها)**.

قوله: **(كلُّ ما قُصَّ)**...[٥] إلخ، حاصل الجواب أنّه إنّما قُدِّمت[٦] قصّة[٧] الأمر بذَبْح البقرة على ذِكْر القتيل؛ لأنّه لو عمِل على عكسه لكانت قصّة واحدة،

---

[١] ن ر: مقدَّم.
[٢] ن: القتل.
[٣] ن – لم.
[٤] ر + على قوله: (أن يقدّم)، وهذا من العطف.
[٥] ر: نصّ.
[٦] ن ر: قدم.
[٧] ن ر + الذبح.

**إنَّما قُصَّ تعْديدًا لِمَا وُجد منهم من الجنايات، وتقريعًا لهم عليها ولِمَا جُدِّد فيهم من الآيات العظام، وهاتان قصّتان كلُّ واحدةٍ منهما مستقلةٌ بنوعٍ من التقريع وإن كانتا متّصلتين متّحدتين، فالأولَى لتقريعهم على الاستهزاء وتركِ المسارعةِ إلى الامتثال وما يتْبَع ذلك، والثانيةُ للتقريع على قتلِ النَّفس المحرَّمَةِ وما تَبِعَه من الآيةِ العظيمة، وإنَّما قُدِّمت قصَّة الأمر بذبح البقرة على ذكرِ القتيل لأنَّه لو عُمل على عكسه لكانت قصَّةً واحدةً، ولذهب الغرضُ في تَثْنية التقريع.**

**ولقد رُوعيَتْ نكتةٌ بعد ما** ....................................

---

ولذهَب الغرض المطلوب، وهو تثنية التقريع، ثمّ إنّ قوله: "كلّ ما قُصّ" إلى قوله: (**الآية العظيمة**) كالمُقدِّمة لهذا الجواب.

قوله: (**تعديدًا**) مفعول له. واللام[١] في (**لِمَا وُجِد**) و(**لِمَا جُدِّد**) مُتعلِّق بقوله: "تعديدًا". وقوله: (**من الجنايات**) بيانُ ما وُجِد.

قوله: (**عليها**) أي: على الجنايات.

قوله: (**فالأُولى**)[٢] أي: فالقصّة الأولى، يعني قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾... إلخ.

قوله: (**على الاستهزاء**)، يعني قوله: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾، فإنّه كالاستهزاء بقول موسى؛ لأنّ مَن قال لغيره: أتتخذني هزوًا؟ فكأنّه يجعل كلامه[٣] من قبيل الهُزء[٤] لا من قبيل الجِدّ، فكأنّهم استهزءوا بكلام موسى على ما مرّ. أو المراد[٥] بالاستهزاء النسبة إلى الهُزء، فإنّهم لمّا قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ لا شكَّ في أنّهم نسبوا كلامه[٦] إلى الهُزء، لا أنّهم استهزءوا بكلامه، / فتأمّل؛ فإنّ بين[٧] المعنيين فرقًا. [١٦٠ظ]

قوله: (**نُكتة**) أي: لطيفة.

قوله: (**بعد**) ظرف (**رُوعِيت**).

---

١ ن ر: اللام.
٢ ر: فأولى.
٣ ن ر: كلام.
٤ ر: النهر.
٥ ن ر: والمراد.
٦ ر: كلام.
٧ ر: بيني.

استؤنِفَتِ الثانيةُ استئناف قصَّةٍ برأسها: أنْ وُصلَتْ بالأُولى -دلالةً على اتِّحادهما- بضميرِ البقرة، لا باسمها الصَّريح في قوله: ﴿أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾، حتّى تبيَّنَ أنّهما قصَّتان فيما يَرجع إلى التقريع وتثنِيتِهِ بإخْراج الثانية مُخْرَجَ الاستئناف مع تأخيرها، وأنَّهما قصةٌ واحدةٌ بالضمير الراجع إلى البقرة.

---

قوله: (**استُؤنِفت الثانية**) أي: بذِكْر "إذ"، فإنّ[1] ذِكْر "إذ" في هذه المواضع للشروع في القصّة المُستأنَفة كما في أخواتها.

قوله: (**أن وُصِلت**) بدل مِن "نُكتة"، أو الجارُّ[2] المُتعلِّق بـ"رُوعِيت" محذوف، وتقديره "بأن"، أي: رُوعِيت لطيفة بأن وُصِلت القصّة الثانية بالقصّة الأولى بذِكْر ضمير البقرة، حيث قيل: ﴿بِبَعْضِهَا﴾، فإنّه عُلِم[3] من ذلك أنّ هذه البقرة هي المذكورة في قوله: ﴿أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾، ولو ذُكِر اسمها الصريح وقيل: ببعض البقرة لأوهَم أنّها قصة أخرى. فالباء من قوله: (**بضمير**) مُتعلِّق بقوله: "وُصِلت".

قوله: (**حتّى**) قيل: مُتعلِّق بقوله: "وُصِلت". وفيه نظر؛ لأنّ الوَصْل بالضمير لا يُبيِّن أنّهما قصَّتان، بل الأَوْلى أن نقول: هي مُتعلِّق بقوله: "رُوعِيت"... إلخ، غايةٌ له؛ لأنّ كونهما قصّتين استُفيد[4] من استئناف الجملة الثانية، بذِكْر "إذ"، وكونهما قصّة واحدة مِن الوَصْل بالضمير.

قوله: (**وتثنيته**) أي: إلى تثنية (**التقريع**).

قوله: (**بإخراج**) مُتعلِّق بقوله: (**تبيَّن**).[5]

قوله: (**مع تأخيرها**) أي: تأخير الثانية.

قوله: (**وأنّها قصة**) عطفٌ على قوله: (**أنّهما قصّتان**)، أي: أنّ القصّة أو المذكورة. وقوله: (**بالضمير**) مُتعلِّق بقوله: "تبيَّن" أيضًا.

---

[1] ن ر: قال.

[2] ن: والجار.

[3] ر: علمه.

[4] د ر: استُفيدت.

[5] ن ر - قوله: (وتثنيته) أي: إلى تثنية (التقريع). قوله: (بإخراج) مُتعلِّق بقوله: (تبيَّن).

**﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾**

**معنى ﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾: استبعادُ القَسْوَة مِن بعد ما ذُكر مما يُوجِبُ لِينَ القلوب ورِقَّتَها، ونحوُه: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام ٢/٦] وصفةُ القلوب بالقَسْوَة والغِلظ مَثَلٌ لِنُبُوِّها عن الاعتبار، وأنّ المواعظَ لا تُؤثِّر فيها.**

**و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى إحياء القتيل، أو إلى جميع ما تقدَّم من الآيات المعدودة.**

---

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾... إلخ.

قوله: (**معنى ﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾: استبعاد القسوة**)،[١] يريد أنّ أصل "ثمّ" أن يكون[٢] للتراخي في الزمان، وقد يكون للتراخي في الرُّتبة، وهو المراد؛ لأنّه يُستبعَد القسوة بعد ما ذكَر من إحياء الميّت لهم ببعُضو مِن أعضاء البقرة، وهذه[٣] آية[٤] عظيمة مِن حقّ مَن يُشاهدها أن يَلين[٥] قلبه ويَخضع لها.[٦] ونحوه من حيث المعنى قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام ١/٦-٢]، فإنّه استبعد عُدولهم في **الأوّل** وامتراءهم في **الثاني** بعد ما ذكَر من الآيات.

قوله: (**صفةُ القلوب**) مبتدأ، خبره (**مَثَلٌ**). و(**لنُبوّها**) مُتعلّق بقوله: "مَثَل" من حيث المعنى، يريد: أنّه شبّه نبوّ قلوبهم عن الاعتبار بقَسوة الشيء الصُّلْب كالحجر، ثمّ قيل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾، وأُريد: نبَتْ عن الاعتبار، فهو من الاستعارة[٧] التبعيّة، وقرينتها الإسناد[٨] إلى القلوب.

قوله: (**وأن المواعظ**) عطفٌ على قوله: "لنُبوّها"، أي: مَثَل لنُبوّها،

---

١ ر: القوة.
٢ ن ر: قوله.
٣ ن ر: وهداية.
٤ ن ر – آية.
٥ ن ر: بين.
٦ ر: بها.
٧ ن ر: الاعتبار.
٨ د: الاستناد.

﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾؛ أي: فهي في قَسْوتها مِثْلُ الحجارة ﴿أَوْأَشَدُّ قَسْوَةً﴾ منها. و﴿أَشَدُّ﴾ معطوف على الكاف:

إمَّا على معنى: أو مثلُ أشدَّ قَسْوةً، فحُذف المضاف وأُقيم المضافُ إليه مُقامَه، وتَعْضُده قراءةُ الأعمش بنصب الدَّال عطفًا على "الحجارة".

وإمَّا على: أو هي في أنفسها أشدُّ قسوة، والمعنى: أنَّ مَن عرَف حالها شَبَّهها بالحجارة أو بجوهرٍ أقسى منها وهو الحديدُ مثلًا، أو: مَن عرَفها شبَّهها بالحجارة أو قال: هي أقسى من الحجارة.

---

ولعدم تأثير المواعظ فيها. يقال: قسا قلبه يقسو قَسوة وقَساوة وقُسُوًّا، أو هي[١] الشِّدَّة والصلابة واليُبس.

قوله: (إمّا على معنى) أي: يكون المضاف محذوفًا، ويدلُّ على هذا قراءة الأعمش بفتح "أَشَدَّ"، عطفًا على "الحجارة"، فإنّه يدلُّ على أنّ المراد: هي كشيء أشدَّ من الحجارة، وهي قراءة شاذّة.[٢]

قوله: (وإمّا على: أو هي) عطفٌ على قوله: "إمّا على معنى"، يريد أنّه لا يكون المضاف محذوفًا، بل المعنى: هي كالحجارة أو هي أشدُّ من الحجارة.

قوله: (والمعنى)... إلخ، إشارة إلى جواب سؤال وهو أن يقال: "أو" للشكّ،[٣] فكيف يكون[٤] معناه ههنا؟ فأجاب بأنّ معناه: أنّ الآدميّين إذا اطّلعوا على أحوال قلوبهم قالوا: إنّها كالحجارة أو كجواهر أقسى من الحجارة، وهذا على الوجه الأوّل: وهو أن يكون المضاف محذوفًا، أو قالوا: إنّها أقسى من الحجارة، وهذا على الوجه الثاني: وهو ألّا يكون المضاف محذوفًا، كما ذكروا[٥] في ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم ٥٣/٩].

---

١ ر: وبني؛ ن: وهي.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش وأبي حَيْوَة. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٤؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٦٦؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٣٠.

٣ ن ر: للكشف.

٤ ن ر - يكون.

٥ ن: ذكر.

**فإن قلتَ:** لمَ قِيل: ﴿أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ وفِعْلُ القسوة مما يَخرج منه أفعلُ التفضيل وفعلُ التعجُّب؟

**قلتُ:** لكونه أبْيَنَ وأدلَّ على فرْط القسوة.

ووجهٌ آخر: وهو أنْ لا يُقصَد معنى الأقسى، ولكنْ قُصِدَ وصفُ القسوة بالشدَّة؛ كأنّه قيل: اشتدَّتْ قسوةُ الحجارة وقُلوبُهُم أشدُّ قسوةً.

---

[١٦١و] وهنا وجوه أُخر: **الأوّل:** أنّها بمعنى الواو، كقوله تعالى: / ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ [النور ٣١/٢٤]، والمعنى: وآبائهنّ؛ وكقوله تعالى: ﴿أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ﴾ [النور ٦١/٢٤]؛ ومن نظائره: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه ٤٤/٢٠].[١] هذا الوجه ذكره الإمام، وفيه نوع ضعف؛ لأنّه لا يقال: هي كالحجارة وأشدُّ قَسوة[٢] من الحجارة إلّا بتأويل، فيُحتاج إلى تأويل آخر.

قال المُفسِّرون: إنّما شُبِّه قلوبهم بالحجارة في القسوة، ولم تُشبَّه بالحديد، وإن كان الحديد أصلبَ من الحجارة؛ لأنّ الحديد يلين بالنار، وقد لان لداود عليه السلام بإذن الله تعالى حتّى صار كالعجين، ولا تلين الحجارة بمُعالجة أبدًا؛ ولأنّ في الحديد منافعَ، تلك المنافع لا تُوجَد في الحجارة.[٣]

قوله: (**كأنّه قيل: اشتدَّت قَسوة الحجارة، وقلوبهم[٤] أشدُّ قسوة**)، يريد أنّ في "أشدّ" دلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المُفضَّل على زيادة في الشِّدَّة، ولو قال: "أقسى" لكان دالًّا على القسوتين واشتمال المُفضَّل على زيادة في القسوة لا على زيادة في شِدَّة القسوة.

---

١ انظر: **تفسير الرازي**، ١٣٨/٣ (البقرة، ٧٤/٢)؛ **البسيط** للواحدي، ٦٩/٣ (البقرة، ٧٤/٢).

٢ ن ر – قسوة.

٣ من قوله: "قال المفسِّرون" إلى هنا بلفظ جدّ قريب في **الوسيط** للواحدي، ١٥٨/١ (البقرة، ٧٤/٢)، وفيهما: «ولم يقل: كالحديد» مكان: «ولم تُشبَّه بالحديد».

٤ ر: قلوبهم.

وقرئ: "قَساوةً".

وتركُ ضمير المفضَّل عليه لعدم الإلباس؛ كقولك: زيدٌ كريمٌ وعمرٌو أكرم.

وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ﴾ بيانٌ لفضلِ قلوبهم على الحجارة في شدَّةِ القسوة، وتقريرٌ لقوله: ﴿أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةً﴾.

وقرئ: "وإنْ" بالتخفيف، وهي "إنْ" المخفَّفةُ من الثقيلة التي تلزمُها اللامُ الفارقة، ومنها قوله تعالى: ﴿وإن كُلٌّ لَمَا جميعٌ﴾ [يس ٣٦/٣٢].

و"التفجُّر": التَّفتُّح بالسَّعة والكثرة، وقرأ مالك بن دينارٍ: "يَنْفجِرُ" بالنون.

﴿يَشَّقَّقُ﴾: يتشقَّق، وبه قرأ الأعمشُ.

---

قوله: (قُرِئ "قَساوة") هي شاذّة.[١]

قوله: (وتَرْكُ) مبتدأ، خبره (لعدم الإلباس)،[٢] أي: لم يقل: منها.[٣]

قوله: (﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ﴾ بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في القسوة)؛ لأنّ المعنى: وإنّ من الحجارة ما ينشقُّ بسَعة، فيخرج منه الماء الذي يجرى حتّى يكون منه الأنهار، وإنّ منها ما يَنصدِع فينبع منه الماء، فيكون عينًا لا نهرًا جاريًا، أي: من الحجارة ما يندى بالماء الكثير أو بالماء القليل، وفي ذلك دليل تفاوت الرُّطوبة فيها، وإنّها قد تكثر في حال حتّى يخرج منها ما يجري منه الأنهار، وقد يقلُّ. وهؤلاء قلوبهم في نهاية الصلابة لا تندى بقبول شيء من المواعظ، ولا تنشرِح لذلك ولا تتوجَّه إلى الاهتداء.[٤]

قوله: (قرئ "إنْ" بالتخفيف) هي،[٥] وقراءة الأعمش،[٦] والقراءة بضمّ باء

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن يزيد بن عليّ وأبي حَيْوَة، ويزيد بن قُطيب وابن مِقسَم وابن حنبل. **شواذّ القراءات للكرماني**، ص ٦٦؛ **المغني في القراءات للنّوْزاوازي**، ص ٤٣٠.

٢ ر: الالتباس.

٣ ن ر: فيها.

٤ من قوله: "وإنّ منها ما" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ١٣٩/٣ (البقرة، ٧٤/٢).

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن قتادة. **شواذّ القرآن لابن خالويه**، ص ١٤؛ **شواذّ القراءات للكرماني**، ص ٦٦؛ **المغني في القراءات للنّوْزاوازي**، ص ٤٣٠.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش وابن مسعود رضي الله عنه. **شواذّ القراءات للكرماني**، ص ٦٧؛ **المغني في القراءات للنّوْزاوازي**، ص ٤٣١.

والمعنى: إن من الحجارة ما فيه خروقٌ واسعةٌ يتدَفَّقُ منها الماءُ الكثيرُ الغَزِيرُ، ومنها ما ينشقُّ انشقاقًا بالطُّول أو بالعرض فينبُعُ منه الماءُ أيضًا.

﴿يَهْبِطُ﴾: يتردَّى من أعلى الجبل، وقرئ بضمِّ الباء، والخشيةُ مجازٌ عن انقيادها لِأمر الله تعالى، وأنها لا تمتنِعُ على ما يريد فيها، وقلوبُ هؤلاء لا تَنْقادُ ولا تفعلُ ما أُمِرتْ به.

وقرئ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء، وهو وعيد.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

---

"يَهبُط"[١] شواذٌ.[٢] والضمير من قوله تعالى: ﴿مِنْهُ﴾ عائد إلى ﴿مَا﴾، فكأنّه قيل: وإنّ مِن الحجارة للذي يتفجَّر منه الماء.[٣]

قوله: (مجازٌ عن انقيادها)... إلخ، أُطلِق الخشية وأُريد الانقياد؛ لأنّ الخشية[٤] مُستلزِمة[٥] للانقياد، فيكون مجازًا عن انقياد تلك الأحجار[٦] لأمر الله تعالى، وعن كون تلك الأحجار غير مُمتنعة عمّا يريده الله تعالى في تلك الحجارة.[٧] قال الواحديُّ:[٨] «قال مجاهد: كلُّ حجر تفجَّر[٩] منه الأنهار، أو تشقّق عن ماء، أو تردَّى مِن رأس جبل فهو من خشية الله تعالى، نزَل به القرآن».[١٠] وأنا أقول: هذا الكلام يدلُّ على أنّ مجاهدًا جعَل قوله: ﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ مُتعلّقًا بجميع ما ذُكِر من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾... إلخ.

---

[١] ن ر: اهبطوا. | وهي قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٤؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٦٧؛ **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٤٣٢.

[٢] ن ر: سورة.

[٣] انظر: **الوسيط** للواحدي، ١/١٥٩ (البقرة، ٢/٧٤).

[٤] ن ر - وأُريد الانقياد؛ لأنّ الخشية.

[٥] ن ر: مستلزم.

[٦] ن ر: الحجارة.

[٧] ن: الأحجار.

[٨] ن - قال الواحديُّ.

[٩] ن: يتفجر.

[١٠] **الوسيط** للواحدي، ١/١٥٩ (البقرة، ٢/٧٤)؛ **البسيط** للواحدي، ٣/٧٤-٧٥ (البقرة، ٢/٧٤).

﴿أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾: أن يُحدِثوا الإيمانَ لأَجْلِ دعوتكم ويستجيبوا لكم؛ كقوله: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت ٢٦/٢٩]. يعني اليهودَ.

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: طائفةٌ فيمَن سَلَف منهم.

﴿يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ وهو ما يَتْلُونَه من التوراة.

﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ كما حرَّفوا صفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيةَ الرجم.

وقيل: كان قومٌ من السبعين المختارين سمعوا كلامَ الله حينَ كلَّم موسى بالطُّور وما أَمَر به ونَهى، ثم قالوا: سمعنا اللهَ يقول في آخره: إن استطعتُم أن تفعلوا هذه الأشياءَ فافعلوا، وإنْ شئتُم أنْ لا تفعلوا فلا بأس.

---

قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾... إلخ.

قوله: (كقوله: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾) أي: لإبراهيم.

قوله: (يعني اليهود) مُتعلِّق بقوله: (﴿أَن يُؤْمِنُواْ﴾).

قوله:[١] (وهو ما يتلُونه) يصلح جوابًا لقول مَن يقول: المراد بالفريق[٢] مَن كان في أيّام موسى عليه السلام، ولا يجوز أن يكون المراد[٣] مَن بعده؛ لأنّه تعالى وصف هؤلاء بأنّهم يسمعون كلام الله، والذين سمعوا كلام الله هم السبعون المُختارون للميقات دون مَن عداهم. ووجه الجواب أنّ كلَّ مَن سمع التوراة يجوز أن يقال في حقّه: إنّه سمع كلام الله، كما يجوز أن يقال لأحدنا: سمع كلام الله إذا سمع القرآن؛ قال الله[٤] تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ / حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٦/٩]. [١٦١ظ]

قوله:[٥] (وقيل: كان قوم من السبعين) عطفٌ من حيث المعنى على قوله: (طائفة فيمَن سلف).

قوله: (وما أَمَر به) عطفٌ على قوله: (كلام الله).

---

[١] ن ر – قوله.
[٢] ن ر: القرين.
[٣] د – المراد.
[٤] ن ر – الله.
[٥] ن – قوله.

وقرئ: "كَلِمَ اللهِ".

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: من بعد ما فَهِمُوه وضَبَطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهةٌ في صحته.

﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون مُفترون.

والمعنى: إنْ كَفَر هؤلاء وحرَّفوا التوراة فلهم سابقةٌ في ذلك.

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٧٦﴾

﴿وَإِذَا لَقُواْ﴾ يعني: اليهودَ ﴿قَالُوٓاْ﴾ قال منافقوهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ بأنكم على الحقِّ وأنَّ محمدًا هو الرسولُ المبَشَّرُ به.

---

قوله: (وقرئ "كَلِمَ اللهِ") هذه قراءة شاذَّة.[١]

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾. قال القفَّال: التحريف: التغيير والتبديل، وأصله مِن الانحراف عن الشيء والتحرُّف عنه؛ قال تعالى: ﴿مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ﴾ [الأنفال ١٦/٨]. والتحريف: هو إمالة الشيء عن حقِّه، يقال:[٢] قلم مُحرَّف إذا كان رأسه[٣] قُطَّ مائلًا غيرَ مُستقيم، وحرَّف قلمه: خلاف جَزَمه.[٤]

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾... إلخ.

هذا هو النوع الثاني من قبائح أفعال اليهود الذين[٥] كانوا في زمن النبيّ عليه السلام، رُويَ عن ابن عبّاس رضي الله عنه:[٦] أنّ مُنافقي اليهود كانوا

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٤؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٦٧؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٣٢.

٢ ن ر - يقال.

٣ ن ر: قطه سه.

٤ ن: حرفه. | انظر قول القفّال في تفسير الرازي، ١٤٤/٣ (البقرة، ٧٥/٢).

٥ ن ر - الذين.

٦ د - رضي الله عنه. | انظر قوله في جامع البيان للطبري، ١٤٥/٢ (البقرة، ٧٦/٢)؛ ورُوي قريب منه عن أبي العالية في تفسير ابن أبي حاتم، ١٥٠/١ (البقرة، ٧٦/٢)؛ وهو عن ابن عبّاس رضي الله عنه والحسن وقتادة في الوسيط للواحدي، ١٦١/١ (البقرة، ٧٦/٢)؛ والبسيط للواحدي، ٨٢/٣ (البقرة، ٧٦/٢).

﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ﴾: الذين لم ينافقوا ﴿إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: الذين نافقوا ﴿قَالُوٓاْ﴾ عاتِبِين عليهم: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: بما بيَّن لكم في التَّوراة من صفةِ محمد.

أو قال المنافقون لأعقابهم يُرونَهم التصلُّب في دينهم: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ إنكارًا عليهم أن يَفتحوا عليهم شيئًا في كتابهم، فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود.

---

إذا لقوا أصحاب النبيّ عليه السلام قالوا: آمنا بالذي آمنتم به، ونشهد أنّ صاحبكم صادق، ونجِد نعته في **التوراة**، ثمّ إذا خلا بعضهم إلى بعض. اعلم أنّ للمُفسِّرين هنا قولين:

**الأوّل**: أنّ المعنى: قال الذين لم يُنافقوا عاتبين على الذين نافقوا: أتُحدِّثون المؤمنين بما بيَّن الله لكم في **التوراة** مِن صفة محمَّد عليه السلام ﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾؟ أي: لِمَ تُحدثونهم؟ فإنكم إذا حدَّثتموهم يصير عاقبة ذلك أنّ المؤمنين يحتجّون[1] عليكم بما في **التوراة**؛ لأنّ المُخالف المُعترِف بصحّة **التوراة** إذا اعترف بشهادة **التوراة** على نبوّة محمَّد عليه السلام فلا حجّة أقوى من ذلك، فلا جرمَ كان بعضهم يمنع بعضًا مِن الاعتراف بذلك عند أصحاب النبيّ عليه السلام.[2]

الوجه **الثاني**: أنّ المعنى: إذا خلا بعضهم إلى بعض قال المنافقون لباقي اليهود الذين لم يُنافقوا: أتُحدِّثون المؤمنين بما فتح الله عليكم؟ فهؤلاء المنافقون بعد أن نافقوا المؤمنين وقالوا: "آمنّا" يُنافقون[3] اليهود أيضًا، ويقولون لليهود؛ إراءة التصلُّب من أنفسهم في اليهوديّة: أتُحدِّثون[4] أيُّها[5] اليهود المؤمنين؟ فكأنّهم يُنكِرون على اليهود حالهم، وهي أنّ اليهود يفتحون على المسلمين، وهذا كمَن فعل فعلًا ثمّ رأى جماعة يتوهَّم منهم أنّهم يعترضون عليه، فيقول لهم: لِمَ فعلتم كذا؟ يذكُر فِعله الذي فعلَه هو خوفًا أن يعترضوا بفعله عليه. فقوله: **(أو قال المُنافقون)** عطفٌ على قوله: **(قالوا عاتبين)**.

---

[1] د ن ر: يحتجّوا.

[2] بعض ما ورد في هذا الوجه مذكور في تفسير **الرازي**، ٣/١٤٦ (البقرة، ٢/٧٦).

[3] ر + بعد أن نافقوا المؤمنين وقالوا: آمنّا؛ ينافقون.

[4] ن ر: أتحدثوا.

[5] ن ر: بها.

﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾: ليحتجُّوا عليكم بما أَنزل ربُّكم في كتابه، جعَلوا مُحاجَّتهم به وقولَهم: هو في كتابكم هكذا، مُحاجَّةً عند الله، ألَا تَراكَ تقول: هو في كتاب الله هكذا، وهو عند الله هكذا، بمعنًى واحدٍ.

**﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٧ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨﴾**

﴿يَعْلَمُ﴾ جميعَ ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ومن ذلك إسرارُهم الكفرَ وإعلانُهم الإيمانَ.

---

قوله: (**ليحتجُّوا عليكم بما أنزل**)، يريد أنّ الضمير مِن قوله: ﴿بِهِۦ﴾ عائد إلى قوله: ﴿مَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، أي: ما أنزل في **التوراة**. وقوله: ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ كأنّه بدل من قوله: ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ﴾ من حيث المعنى فكأنّه قال: ليحاجُّوكم بما أنزل الله، ويقولوا: هو في كتابكم كذا؛ ليُحاجُّوكم عند ربّكم، لأنّ مُحاجَّة المسلمين بما أنزل الله، أي: قول المسلمين هو في كتابكم أيُّها اليهود، وكذا هو بمعنى المُحاجَّة عند الله تعالى.[١]

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ مِن تمام الحكاية عن اليهود، فكأنّهم عندما خلا بعضهم ببعض قالوا لهم:[٢] أتُحدِّثونهم بما يرجع وباله عليكم، وصرتم محجوجين به؟ أفلا تعقلون! إنّ ذلك لا يليق بما أنتم عليه.[٣]

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.[٤]

قال الزَّجاج: معنى الأميّ في اللغة: المنسوب إلى الأمّة، أي: هو على[٥] جِبلّة الأمّة في أنّه لا يكتب ولا يقرأ.[٦] وقيل: هو منسوب إلى الأمّ؛

---

[١] د - تعالى.

[٢] ن ر - لهم.

[٣] انظر: تفسير الرازي، ١٤٧/٣ (البقرة، ٧٦/٢).

[٤] ن + قوله.

[٥] ن ر + عليه.

[٦] انظر: معاني القرآن وإعرابه للزّجاج، ١٥٩/١. والقول عن الزّجاج في الوسيط للواحدي، ١٦١/١ (البقرة، ٧٨/٢)، وحُرِّف في مطبوعه لفظ «الزّجاج» إلى «الحجّاج».

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ لا يُحسِنُون الكُتُبَ فيُطالِعُوا التوراة ويتحقَّقوا ما فيها.

﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراةَ ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾؛ أي: إلا ما هم عليه من أمانيِّهم، وأنَّ الله يَعْفو عنهم ويرحمُهم ولا يؤاخذُهم بخطاياهم، وأنَّ آباءهم الأنبياءَ يشفعون لهم، وما يُمنِّيهم أحبارُهم من أن النار لا تمسُّهم إلا أيامًا معدودة.

---

لأنّ القراءة والكتابة مُكتسبَة، فهو على ما ولدته أمّه لم يتعلّمها.[١]

قوله: (لا يُحسِنون الكُتُب) هو معنى قوله تعالى: ﴿أُمِّيُّونَ﴾، فالكُتُب: مصدر[٢] / بمعنى الكتابة،[٣] يقال: كتب كَتْبًا[٤] وكِتابًا[٥] وكِتابة.[٦] [١٦٢و]

قوله: (فيُطالعوا ويتحقَّقوا) جواب النفي، فلذا نُصبا.

قوله تعالى: (﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾)، أي: (التوراة).

قوله تعالى: (﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾).[٧] الأمانيّ[٨] جمع أمنيّة، ولها معانٍ مُشترِكة في أصل واحد: الأوّل: ما يتخيّله الإنسان ويُقدِّر في نفسه وقوعه ويُحدِّثه بكونه، ومن هذا قولهم: فلان يَعِد فلانًا ويُمنِّيه؛ قال الله[٩] تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء ١٢٠/٤]. فإن فسّرنا الأمانيّ بهذا كان معنى قوله: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾: إلّا ما هم عليه من أمانيّهم في أنّ الله تعالى لا يُؤاخِذهم بخطاياهم، وأنّ آباءهم الأنبياء[١٠] يشفعون[١١] لهم، وما[١٢] تُمنِّيهم أحبارهم.[١٣]

فقوله: (ما تُمنِّيهم) عطف على قوله:[١٤] (ما هم عليه).

---

١ ن ر: يفعلهما. | انظر هذ القول في **النُكت والعيون** للماوردي، ١٥٠/١ (البقرة، ٧٨/٢)؛ و**الوسيط** للواحدي، ١٦٢/١ (البقرة، ٧٨/٢). وأورد الطبري لنسبة الأمي إلى الأم معنى آخر فقال: «وأرى أنّه قيل للأميّ: أميّ؛ نسبة له -بأنّه لا يكتب- إلى أُمّه؛ لأنّ الكتاب كان في الرّجال دون النساء، فنُسِب مَن لا يخطّ ولا يكتب من الرّجال إلى أُمّه في جهله بالكتابة دون أبيه». **جامع البيان** للطبري، ١٥٤/٢ (البقرة، ٧٨/٢).

٢ ن ر – مصدر.

٣ ن ر: الكتاب.

٤ ن: وكتبًا.

٥ ن – وكتابًا.

٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «كتب».

٧ ر – (﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾).

٨ ن – الأمانيّ.

٩ د – الله.

١٠ ن ر + الأنبياء.

١١ ر: سبعون.

١٢ ن ر: ولما.

١٣ من قوله: "الأماني جمع أمنيّة" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ١٤٩/٣ (البقرة، ٧٨/٢).

١٤ د – قوله.

**وقيل: إلّا أكاذيبَ مُخْتَلَقَةً سمعوها من علمائهم فتقبّلوها على التقليد، قال أعرابيٌّ لابن دَأْبٍ في شيءٍ حدَّث به: أهذا شيءٌ رَوَيْتَه أم تمنَّيْتَه؟ أي: اختلَقْتَه.**

**وقيل: إلّا ما يقرؤون، من قوله:**

**تمنّـــــى كتـــــابَ اللهِ أوّلَ ليلــــةٍ**

---

قوله: **(وقيل:[1] إلّا أكاذيب)**[2] عطف على "إلّا ما هم عليه"، وهذا هو المعنى **الثاني**: وهو أن يكون الأمانيّ جمع الأمنيّة، بمعنى: الكذب. قال عثمان رضي الله عنه:[3] «والله ما تغنَّيتُ ولا تمنَّيتُ»[4] أي: ولا كذبتُ. «وقال أحمد بن يحيى: التمنّي: الكذب، يقول الرجل: والله ما تمنَّيتُ هذا الكلام، أي: لا اختلقته».[5] و(**ابن دَأْب**) اسم رجل مُحدِّث، كان مِن التابعين.[6]

قوله:[7] **(وقيل: إلّا ما يقرءون)** عطف على قوله: "إلّا ما هم عليه"، وهذا هو المعنى **الثالث**: وهو أن تكون الأمنيّة بمعنى: المتلوّ، من التمنّي وهو: التلاوة؛ قال تعالى: ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج ٥٢/٢٢]. قال الشاعر يصف عثمان رضي الله عنه:[8]

(تمنّى كتـابَ[9] الله أوّلَ ليلةٍ) وآخرَها لاقى حِمامَ المَقادرِ[10]

فمعنى ﴿إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾: إلّا ما يقرءون من ظاهرها دون الوقوف على معانيها.

---

[1] ر + وقيل.

[2] ن ر: الكاذين.

[3] د - رضي الله عنه.

[4] **سنن ابن ماجه**، ٢٧٨/١ (٣١١)، بلفظه من دون لفظ القسم؛ **جامع البيان** للطبري، ١٥٨/٢ (البقرة، ٧٨/٢). وأُثبت في مطبوعه «تعنّيتُ» من العَنَوّ، مكان «تغنّيتُ»؛ **المعجم الكبير** للطبراني، ١٩٢/٥-١٩٣ (٥٠٦١).

[5] **الوسيط** للواحدي، ١٦٢/١ (البقرة، ٧٨/٢). وفي مطبوعه «ولا اختلقته» مكان «أي: لا اختلقته».

[6] وخبر ابن دأب مع الأعرابيّ في **معاني القرآن** للفرّاء، ٥٠/١؛ **والكشف والبيان** للثعلبي، ٤٠٥/٣ (البقرة، ٧٨/٢).

[7] ن ر - قوله.

[8] د - رضي الله عنه.

[9] د: كباب.

[10] البيت منسوب إلى كعب بن مالك رضي الله عنه في ديوانه، ص ٢٩٤. وهو بلا نسبة في **الزاهر** لابن الأنباري، ١٥٠/٢؛ **والكشف والبيان** للثعلبي، ٤٠٤/٣ (البقرة، ٧٨/٢)، وفيها جميعًا بلفظ «أوّل ليله وآخره» مكان «أوّل ليلة وآخرها»؛ وهو بلا نسبة وبلفظه هنا في **الفائق** للزمخشري، ٣٩٢/٣.

والاشتقاقُ من مَنى: إذا قدَّر؛ لأن المتَمنِّيَ يقدِّر في نفسه ويَحزُرُ ما يتمنَّاه، وكذلك المختَلِقُ والقَارِئ يقدِّران أنَّ كلمةَ كذا بعد كذا.

و﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾: من الاستثناء المنقطِع، وقرئ: ﴿أمانِي﴾ بالتخفيف.

ذَكَرَ العلماءَ الذين عانَدوا بالتحريف مع العلم والاستيقان، ثمّ العوامَّ

---

قوله:[١] (والاشتقاق) أي: اشتقاق المعاني الثلاثة مِن مَنى إذا قدَّر. قال الشاعر:

ولا تقولَنْ لشيء سوف[٢] أفعلهُ حتّى تُلاقيَ ما يَمني لك الماني

فالخيرُ والشرُّ مقرونان في قَرَنٍ بكلّ ذلك يأتيك الجديدانِ[٣]

قوله: ما يَمني لك الماني، أي: يُقدِّر لكَ المُقدِّر، والمراد بالجديدين: الليل والنهار.[٤]

قوله: (مِن الاستثناء المُنقطِع) هذا على الوجهين الأوّلين ظاهر، وأمّا على الوجه الأخير فأظنُّ أنّه يُمكن حَمْله على المُتَّصل؛ لأنّ الأمنيّة حينئذٍ[٥] تكون بمعنى المَتلوّ، والمعنى: أنّهم يعلمون ظاهرها وهو من الكتاب، فيكون مُتَّصلًا.

قوله: (قُرِئ "أماني" بالتخفيف) شاذَّة.[٦] وهما لغتان كأواقٍ وأواقيّ.

قوله: (ذَكَر العلماءَ) أي: ذَكَر الله تعالى العلماء المُحرِّفين منهم بقوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [البقرة ٧٥/٢].

قوله: (ثمّ العوامَّ) بقوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾.

---

١ ن: وقوله.

٢ ر: لست.

٣ البيتان لأبي قلابة الهُذلي في شرح أشعار الهُذليين للسُّكّري، ٧١٣/٢، وجاء فيه الثاني منهما قبل الأوّل وبينهما بيتان، وفي الأوّل منهما «حتّى تبيَّن» مكان «حتّى تُلاقي»؛ ورواية ثانيهما فيه:

إنّ الرَّشاد وإنّ الغَيّ في قَرَنٍ

بكلّ ذلك يأتيك الجديدانِ

وهما لسويد بن عامر المُصطلقي في الدُّرّ الفريد لابن أيدمر، ١٢٢/١١، ورواية الأوّل منهما فيه:

واسلُك طريقكَ تمشي غير مُختشِع

حتّى تبيّن ما يَمني لك الماني

٤ انظر: شرح أشعار الهُذليين للسُّكّري، ٧١٣/٢.

٥ ر: حتّى.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن يزيد بن القعقاع وأبي جعفر وشيبة والحسن والحكم بن الأعرج وابن هرمز وابن حميد. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٤؛ المُحتسَب لابن جنّي، ٩٤/١؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٦٧؛ المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٤٣٣.

الذينَ قلَّدوهم، ونبَّه على أنَّهم في الضَّلال سواءٌ؛ لأن العالِمَ عليه أن يعمل بعِلمه وعلى العامِّيِّ أنْ لا يرضَى بالتقليد والظنِّ وهو متمكِّنٌ من العلم.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ المحرَّفَ ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تأكيدٌ، وهو من مَحازِّ التأكيد؛ كما تقول لمن يُنكر معرفةَ ما كتَبه: يا هذا كتبْتَه بيمينك هذه.

﴿مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من الرُّشا.

---

قوله: (وهو) أي: العامِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾... إلخ.

الويل: كلمة يقولها كلُّ مكروب. وقال ابن عبّاس رضي الله عنه:[١] «إنّه العذاب الأليم».[٢] وروى أبو سعيد الخُدريُّ رضي الله عنه:[٣] عن رسول الله عليه السلام: «ويلٌ: وادٍ في جهنَّم، يهوي[٤] الكافر فيه أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره».[٥]

قوله: (وهو) أي: قوله: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾[٦] (من محازّ التأكيد) أي: موضع قطعه ومحلِّه، يعني: يحسُن فيه التأكيد. وقوله: (هذه) صفة (يمينك).

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ وإنّما أورد الأوّل ماضيًا والثاني مضارعًا؛ ليفيد الاختصاص بالزمان الذي يُراد اختصاص الفعل به،

---

١ د - رضي الله عنه.

٢ جامع البيان للطبري، ١٦٤/٢ (البقرة، ٧٩/٢)، بلفظ «فالعذاب عليهم»؛ الكشف والبيان للثعلبي، ٤٠٨/٣ (البقرة، ٧٩/٢)، بلفظ «شدّة العذاب»؛ الوسيط للواحدي، ١٦٣/١ (البقرة، ٧٩/٢)، بلفظ «الشدّة من العذاب».

٣ د - رضي الله عنه.

٤ ر: هوي.

٥ مسند أحمد، ٢٤٠/١٨ (١١٧١٢)؛ جامع البيان للطبري، ١٦٤/٢ (البقرة، ٧٩/٢)؛ تفسير ابن أبي حاتم، ١٥٣/١ (البقرة، ٧٩/٢)؛ الوسيط للواحدي، ١٦٣/١ (البقرة، ٧٩/٢).

٦ د - أي: قوله: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾: أربعين يومًا عددَ أيّامِ عبادةِ العِجْل.

وعن مُجاهِدٍ: كانوا يقولون: مدَّةُ الدنيا سبعةُ آلاف سنة، وإنما نُعذَّبُ مكان كلِّ ألفِ سنةٍ يَومًا.

﴿فَلَن يُخْلِفَ﴾ متعلِّق بمحذوفٍ تقديره: إنِ اتَّخذتم عنده عهدًا فلن يُخْلِفَ الله عهده.

و﴿أَمْ﴾ إمَّا أن تكون معادِلةً بمعنى: أيُّ الأمرَين كائنٌ؟ ........................

---

أي: فويل لهم ممّا أسلَفت[١] أيديهم مِن كتابة ما لم يكن يحلُّ لهم، ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ بعد[٢] ذلك[٣] مِن أخذ الرِّشا.[٤]

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾... إلخ.

**الثالث** من قبائح أفعالهم: وهو جَزْمهم بأنّ الله تعالى لا يُعذِّبهم إلّا أيّامًا قليلة، وهذا الجزم لا سبيل إليه بالعقل فلا يمكن معرفة ذلك إلّا بالدليل السمعيّ، وإذا لم يوجد الدليل السمعيّ على ذلك لم يَجُز / الجزم به. وقيل: [١٦٢ظ] المراد بـ"العهد": الميثاق،[٥] أي: هل اتَّخذتُم بما تقولون مِن الله ميثاقًا، فإن اتّخذتم من الله ميثاقًا[٦] فالله لا ينقُض ميثاقه.[٧] وقال الإمام: "العَهْد" في هذا الموضع: يجري مَجرى الوَعْد والخبر، وإنّما سُمِّيَ خبر الله تعالى عهدًا؛ لأنّ خبره أوكَد مِن العهود المُؤكَّدة منّا بالقسم والنذر،[٨] فالعهد من الله تعالى لا يكون إلّا بهذا الوجه.[٩]

قوله: (﴿أَمْ﴾ إمّا أن تكون مُعادِلة) أي:[١٠] مُتَّصلة، ومعنى اتّصالها: أنّها

---

١ ر: اكتسبت.

٢ ن ر – بعد.

٣ ن ر: بذلك.

٤ ن ر: الشيء.

٥ انظر هذا القول في مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٤٥/١.

٦ ر – فإن اتّخذتم من الله ميثاقًا.

٧ انظر: جامع البيان للطبري، ١٦٤/٢ (البقرة، ٨٠/٢)؛ والوسيط للواحدي، ١٦٤/١ (البقرة، ٨٠/٢).

٨ ر: والنذ.

٩ انظر: تفسير الرازي، ١٥٣/٣ (البقرة، ٨٠/٢).

١٠ ن ر + أو.

**على سبيل التقرير؛ لأن العلم واقعٌ بكونِ أحدِهما، ويجوز أن تكون منقطعة.**

**﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾**

**﴿بَلَىٰ﴾: إثباتٌ لِمَا بعدَ حرفِ النفيِ، وهو قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾؛ أي: بلى تمسُّكم النارُ أبدًا، بدليل قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.**

**﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ من السيئات؛ يعني: كبيرةً من الكبائر.**

**﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ تلك -واستولَت عليه كما يُحيط العدوُّ- ولم يتفَصَّ عنها بالتوبة.**

---

تجري مع "أم" مَجرى "أيّ"، فيكون قولك: "أزيد عندك أم عمرو؟" بمنزلة: أيُّهما عندك؟

قوله: (**على سبيل التقرير**)، يعني: ليس المراد منه حقيقة الاستفهام؛ لأنّه لا يجوز أن تُجعَل حُجَّة الرسول في إبطال قولهم: أن يستفهمهم؛ بل المراد: التقرير بأنّ الأمر الآخر واقع بطريق الاستدلال، وذلك أن يقول: لا دليل سمعيّ عليه، فيتعيَّن أن يكون قولًا بغير علم.

قوله: (**بكون أحدهما**) أي: بحصول وتحقُّق[١] أحد[٢] الأمرين، وهو الأمر الآخر. وفي بعض النُّسخ: "آخرهما"، وهو[٣] ظاهر.

قوله: (**ويجوز**) عطف على قوله: "إمّا أن تكون معادلة".

قوله تعالى: ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ﴿مَا﴾ موصولة أو موصوفة.

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾... إلخ.

قوله: (**تلك**) صفة "الخطيئة" أي: أحاطت كبيرته بطاعته.

---

[١] ر: ومحقق.
[٢] ر - أحد.
[٣] ر: وهما.

وقرئ: "خطاياه"، و: ﴿خطيئاته﴾.

وقيل في الإحاطة: كان ذَنْبُه أغلبَ من طاعته.

وسأل رَجلٌ الحسنَ، فقال: سبحانَ الله! ألَا أراكَ ذا لِحيَة وما تدري ما الخطِيئَةُ؟! انظُر في المصحف، فكلُّ آيةٍ نَهى الله فيها عنها وأخبرك أنَّه مَن عَمِلَ بها أدخله النَّار فهي الخطيئة المُحِيطَة.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

---

قوله: (ألا أراك ذا لحية)[١] أي: أراكَ قد صرتَ رجلًا كبيرًا! ما لك لا تعلم هذا المقدار؟

قوله: (قرئ "خطاياه" و"خطيئاته")[٢] قرأ نافع وحده "خطيئاته" بلفظ جمع السلامة، وقرأ الباقون مِن القُرّاء[٣] السبعة ﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ بلفظ الوَحْدة.[٤] وأمّا "خطاياه" فهي قراءة شاذَّة.[٥]

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾... إلخ.

قال الإمام: هذا نوع آخر مِن النِّعم التي خصَّهم الله تعالى[٦] بها؛ وذلك لأنّ التكليف بهذه الأشياء مُوصِل إلى أعظم النِّعم وهو الجنَّة، والمُوصِل إلى النعمة نعمة، فهذا التكليف لا مَحالة مِن النِّعم. ثمّ إنّه تعالى كلَّفهم بأشياء.[٧]

---

١ ر: ذلحية. | انظر خبر الحَسَن في الكشف والبيان للثعلبي، ٤١٩/٣ (البقرة، ٨١/٢).

٢ ر: خطيئاته.

٣ ن ر: القرأة.

٤ السبعة لابن مجاهد، ص ١٦٢؛ التيسير للداني، ص ٢٨١؛ النشر لابن الجزري، ٢١٨/٢.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن بعض الشاميين. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٥؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٣٤.

٦ د ر - تعالى.

٧ انظر: تفسير الرازي، ١٧٥/٣ (البقرة، ٨٣/٢).

﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾: إخبارٌ في معنى النهي؛ كما تقول: تذهبُ إلى فلانٍ تقولُ له كذا، تُريد الأمرَ، وهو أبلغُ من صريحِ الأمر والنهي؛ لأنّه كأنّه سُورِعَ إلى الامتثال والانتهاء فهو يُخبِرُ عنه، وتنصرُه قراءةُ عبد الله وأُبيّ: "لا تعبدوا"،

---

قوله: (إخبارٌ) اعلم أنّه ذكر العلماء في قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ ثلاثة أوجه:[1] الأوّل:[2] أنّه إخبار في معنى النهي، كقوله تعالى: ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة ٢/٢٣٣] بالرفع.[3]

قوله: (سُورِعَ) مُسنَد إلى (الامتثال). و(الانتهاء) عطف على "الامتثال"،[4] أي: كأنّه وقع المسارعة من المخاطَب إلى امتثال المأمور به، وإلى الانتهاء عن المنهيّ عنه، فهو -أي: الآمر- يُخبِر عن وقوع الفعل، وهذا بطريق إظهار الرغبة في وقوع الفعل، والتحريض للمأمور على الإتيان بالفعل. وأيضًا إذا أخبَر عن أنّ الفعل سيقع ممّن[5] لا تجب نسبته إلى الكذب يكون ذلك الإخبار حاملًا لك على الإتيان بالفعل بوجه لطيف، وهو أنّك لو لم تفعله في الوقت الذي عيَّنه لزِم نسبته إلى الكذب، والحال أنّك لا تُريد ذلك، فيجب مُبادرتك إلى الفعل والإتيان به. ثمّ لك أن تبحث عن الضمير في قوله: (لأنّه كأنّه)، فالوجه أن تقول: الضمير في قوله: "لأنّه" ضميرُ الشأن، والضمير في "كأنّه" عائد إلى (الآمر)، والضمير العائد من[6] خبر "كأنّ" إلى اسمه -وهو هذا الضمير- محذوف، أي:[7] الامتثال له أو به.

قوله: (وينصُره)، أي: ينصر كونَ الإخبار في معنى النهي قراءةُ عبد الله وأُبيّ "لا تعبدوا"، بصيغة النهي، وهي قراءة شاذّة.[8]

---

[1] ذكر فيه الواحديّ أربعة أوجه في البسيط، ١٠٣/٣-١٠٥ (البقرة، ٨٣/٢)؛ وذكر الرازيّ فيه خمسة أقوال في تفسيره، ١٧٥/٣-١٧٦ (البقرة، ٨٣/٢).

[2] نسب الواحديّ هذا الوجه إلى القرّاء في البسيط، ١٠٥/٣ (البقرة، ٨٣/٢). وذُكر من غير نسبة في الحجّة للفارسي، ١٢٦/٢؛ وفي تفسير الرازي، ١٧٦/٣ (البقرة، ٨٣/٢).

[3] وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو من السبعة. انظر: السبعة لابن مجاهد، ص ١٦٢؛ والتيسير للداني، ص ٢٩٥.

[4] ن ر – على "الامتثال".

[5] ن ر: من.

[6] ر: في.

[7] ر: إلى.

[8] شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٤؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٦٨؛ المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٤٣٥.

ولا بدَّ من إرادةِ القولِ، ويدلُّ عليه أيضًا قوله: ﴿وَقُولُواْ﴾.

وقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إمّا أن يقدَّر: وتُحسِنون بالوالدين، أو: وأحسِنوا.

وقيل: هو جوابُ قوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إجراءً له مجرى القسم؛ كأنّه قيل: وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون.

---

قوله: (ولا بدَّ) أي: إذا كان إخبارًا في معنى النهي فلا بدَّ من تقدير القول، أي: أخذنا ميثاقهم وقلنا، أو قائلين: لا تعبدوا.

قوله: (ويدلُّ عليه) عطف على قوله: "وينصره" أي: يدلُّ على أنّ الإخبار في معنى النهي قولُه تعالى بعد ذلك: ﴿وَقُولُواْ﴾؛ لأنّ الطلب يقتضي طلبًا عُطِف عليه، فالمُصنِّف استدلَّ على أنّ[١] الإخبار في[٢] معنى النهي بثلاثة أوجه: الأوّل: كونه أبلغ، الثاني: قراءة عبد الله، الثالث: / عَطْف قوله:[٣] ﴿وَقُولُواْ﴾ على ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾. [١٦٣و]

قوله: (﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾) مبتدأ، خبره (إمّا أن يقدَّر)... إلخ، أي: يجوز أن يكون تقديره: وتُحسِنون بالوالدين، بالنظر إلى قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾. ويجوز أن يكون تقديره: وأَحسِنوا، بالنظر إلى قوله: ﴿وَقُولُواْ﴾. ولا يجوز أن يكون الباء مُتعلِّقًا بقوله: ﴿إِحْسَانًا﴾؛ لأنّ مُتعلَّق المصدر لا يتقدَّم عليه. و"أَحسَن" تتعدّى بالباء وبـ"إلى"؛ قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف ١٢/١٠٠]، وقال: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص ٢٨/٧٧].

قوله: (وقيل) هو عطفٌ على قوله:[٤] (إخبارٌ في معنى النهي)، وهذا هو الوجه الثاني: وهو أن يكون ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ جواب القسم؛[٥] لأنّ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في معنى قولك: أقسمنا عليهم، فأُجيب القسم بقوله:

---

١ ن ر – أنّ.

٢ ر: وفي.

٣ ن ر – قوله.

٤ ن ر – على قوله.

٥ هو أحد قولي الفرّاء والأخفش والزّجّاج. انظر: معاني القرآن للفرّاء، ١/٥٣-٥٤؛ ومعاني القرآن للأخفش، ١/١٣٣؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزّجّاج، ١/١٦٢. وذكر الواحديُّ أنّه قول كثير من النحويّين وذكر هؤلاء الثلاثة في البسيط، ٣/١٠٥ (البقرة، ٢/٨٣).

**وقيل: معناه: أنْ لا تَعْبدوا، فلما حُذفت "أنْ" رُفِع؛ كقوله:**

**ألَا أيُّهذا الزّاجِري أحْضُر الوغَى**

---

﴿لَا تَعۡبُدُونَ﴾، كقوله تعالى: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾[١] [التوبة ٧٤/٩]، وكقوله[٢] تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ [النحل ٣٨/١٦]، فإنّ جواب قولك: "أَحلِفُ" و"أُقسِمُ" مثل جواب "والله" و"تالله"؛ إذ الأصل هو الفعل، والحرف فرعٌ عليه، كما تقرَّر في موضعه.

قوله: **(وقيل: معناه)** عطف أيضًا على قوله: "إخبار"، وهذا هو الوجه **الثالث**: وهو أنّ معناه: ألّا تعبدوا، و"أن" مصدريّة ناصبة للفعل، وهي مع الفعل في تأويل مصدر هو بدل من ميثاقهم، كأنّه قيل: وإذ أخذنا[٣] عهدَهم عدمَ عبادتهم غيرَ الله تعالى،[٤] أي: توحيدهم، فلمّا حُذف "أن" رُفِع الفعل.

ويجوز هنا وجه لم يذكره المُصنِّف، وهو أن يكون التقدير: وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل بألّا تعبدوا، فحُذِف[٥] الجارّ، ثمّ حُذِف "أن"، ففيه حذف بعد حذف.[٦] قال أبو عليّ: «زعم سيبويه أنّ حَذْف "أنْ" من هذا النحو قليل».[٧] وأقول: كأنّ المُصنِّف لذلك لم يذكُره. قال طَرَفة:

**(ألا أيُّهذا[٨] الزاجري أحضرُ الوغى)** وأن أشهدَ اللذّات هل أنت مُخلدي[٩]

«والوغى: أصله صوت الأبطال في الحرب، ثمّ جُعِل اسمًا للحرب. والخلود: البقاء، والإخلاد: الإبقاء. ومعناه ألا أيُّها الإنسان الذي يلومني على حضور الحرب

---

[١] ر - بقوله: ﴿لَا تَعۡبُدُونَ﴾، كقوله تعالى: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾.

[٢] ر: كقوله.

[٣] ر: أخذ.

[٤] د ر - تعالى.

[٥] ر: فخذ.

[٦] هو ثاني قولي الفرّاء والأخفش والزّجّاج. انظر: معاني القرآن للفرّاء، ٥٣/١-٥٤؛ ومعاني القرآن للأخفش، ١٣٣/١؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزّجّاج، ١٦٢/١. ونُسِب إلى الكسائي في الكشف والبيان للثعلبي، ٤٢١/٣-٤٢٢ (البقرة، ٨٣/٢).

[٧] **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١٢٦/٢. وعبارة سيبويه في هذا الموضع: «وهو في الكلام قليل، لا يكادون يتكلّمون به». **كتاب سيبويه**، ٩٩/٣.

[٨] د: أيُّها؛ ن ر: أنّها.

[٩] البيت في **ديوان طرَفة**، ص ٤٥. وهو شاهد على ما نحن فيه في **كتاب سيبويه**، ٩٩/٣، ١٠٠؛ و**معاني القرآن** للأخفش، ١٣٣/١، و**جامع البيان** للطبري، ١٨٩/٢ (البقرة، ٨٣/٢)؛ و**معاني القرآن وإعرابه** للزّجّاج، ١٦٥/١.

وتَدلُّ عليه قراءةُ عبد الله: "أنْ لا تعبدوا".

ويَحتمِل "أنْ لا تعبدوا" أنْ تكون "أنْ" فيه مفسِّرةً، وأنْ تكون "أنْ" مع الفعل بدلًا عن الميثاق؛ كأنه قيل: أخذنا ميثاقَ بني إسرائيل تَوْحيدَهم.

وقُرئ بالتاء حكايةً لِمَا خوطبوا به، وبالياء لأنهم غَيَبٌ.

---

وشهود اللذات، هل تُخلِّدني إن كففتُ عنهما».[١] يُريد: إذ لم تقدر على إخلادي فكيف تمنعني عنهما. وأصله: "أن أَحضُرَ"؛[٢] ولذا عُطِف عليه قوله: وأن أشهدَ، ومثله قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾ [الزمر ٣٩/٦٤].[٣]

قوله: **(ويدلُّ عليه)**، أي: على أنّ معناه "ألّا تعبدوا" قراءة عبد الله، وهي قراءة شاذَّة،[٤] فإنّ هذه القراءة تدلُّ على إرادة "أن" في القراءة المشهورة.

قوله: **(ويحتمل "ألّا تعبدوا")** هذا شروع في تفسير قراءة عبد الله. فقوله: "ألّا تعبدوا" فاعلُ "يحتمل". وقوله: **(أن تكون)**... إلخ، مفعوله. يريد: أنّ قراءة عبد الله تحتمل وجهين: **الأوّل**: أنّ "أنْ"[٥] مُفسِّرة[٦] لأَخْذ الميثاق؛ لأنّه في معنى القول، و"لا" على هذا الوجه ناهية. وهذا الوجه لا يُمكن إجراؤه في القراءة المشهورة، إذا قدّر منها حذف "أنْ".[٧]

قوله: **(وقُرِئ بالتاء)** قرأ ابن كثير وحمزة والكسائيّ "لا يعبدون" بالياء غَيْبةً،[٨] وقرأ أبو عمرو ونافع وعاصم وابن عامر: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بالتاء خطابًا.[٩] قال في **الحُجّة**:

> واعلم أنّ ما يتّصل بهذه الأشياء الجارية مَجرى القسم في أنّها أُجيبت[١٠] بما أُجِيب به القسم لا تخلو مِن أن تكون لمُخاطَب أو لمُتكلِّم أو لغائب:

---

١ ر: عنها. | **شرح المعلّقات السبع** للزوزني، ص ١٠٧-١٠٨.

٢ انظر هذا التقدير في **معاني القرآن** للأخفش، ١/١٣٤.

٣ مثّل سيبويه والفرّاء بالآية في هذا الموضع. انظر: **كتاب سيبويه**، ٣/١٠٠؛ و**معاني القرآن** للفرّاء، ١/٥٣.

٤ مضى تخريجها آنفًا.

٥ ن – أن.

٦ ن ر: تفسيره.

٧ وفي هامش د: لأنّ حَذْف "أن" المُفسِّرة لا يجوز؛ لأنّه يُنافي التفسير.

٨ ر: غيبته.

٩ **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٦٢؛ **التيسير** للداني، ص ٢٨١؛ **النشر** لابن الجزري، ٢/٢١٨.

١٠ ر: أجيب.

﴿حُسۡنٗا﴾؛ أي: قولًا هو حُسْنٌ في نفسه لإفراط حُسْنِه، وقرئ: ﴿حَسَنٗا﴾ و: "حُسْنَى" على المصدر؛ كبُشْرَى.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ على طريقةِ الالتفات؛ أي: تولّيتم عن الميثاقِ ورفضتُموه.

﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ﴾ قيل: هم الذين أسلَموا منهم.

﴿وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾؛ أي: وأنتم قومٌ عادتُكم الإعْراضُ عن المواثيق والتوليةُ.

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٨٤﴾

---

فإذا كان لغائب جاز أن يكون على لفظ الغَيْبة مِن حيث كان اللفظ لها، وجاز أن يكون على لفظ المُخاطَب؛ لأنّك تحكي حال الخِطاب، وإذا كان الكلام على الخِطاب لم يجُز فيما[1] يكون في تقدير القسم إلّا الخطاب، كقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ﴾ [البقرة ٢/٨٤]؛ لأنّك إن حكيتَ / الحال التي يكون فيها الخطاب لم يجز إلّا الخطاب، [١٦٣ظ]
وإن لم تُقدِّر الحكاية فهو بالخطاب لا غير.[2]

قوله: (﴿حُسۡنٗا﴾) إلى قوله: (كـ"بشرى") قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وعاصم وابن عامر ﴿حُسۡنٗا﴾ بضمّ الحاء وسكون السين، وقرأ حمزة والكسائيّ "حَسَنًا" بفتح الحاء والسين.[3] وأمّا "حُسنى" بضمّ الحاء وبالألف فهي شاذّة.[4]

قوله: (﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ﴾) في محلّ المبتدأ، وقوله: (على طريقة الالتفات) خبره.

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ﴾... إلخ.

هذه الآية[5] تدلُّ على نوع آخر مِن نعم الله تعالى عليهم:[6] وهو أنّه تعالى

---

[1] ر: مما.

[2] انظر: الحُجّة لأبي علي الفارسي، ٢/١٢٣-١٢٤.

[3] السبعة لابن مجاهد، ص ١٦٢؛ التيسير للداني، ص ٢٨١؛ النشر لابن الجزري، ٢/٢١٨.

[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن الأخفش والحسن. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٥؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٦٨؛ المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٤٣٦.

[5] ن ر - الآية.

[6] ن ر - عليهم.

﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾: لا يَفعلُ ذلك بعضُكم ببعضٍ، جُعل غيرُ الرجل نفسُه إذا اتَّصل به أصلًا أو دِينًا.

وقيل: إذا قتَلَ غيرَه فكأنَّما قَتَل نفسَه؛ لأنّه يُقتَصُّ منه.

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بالميثاق، واعترَفتُم على أنفسكم بلُزومه.

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ عليها؛ كقولك: فلانٌ مُقِرٌّ على نفسه بكذا شاهدٌ عليها.

وقيل: وأنتم تشهدون اليومَ يا مَعْشرَ اليهودِ على إقرارِ أسلافكم بهذا الميثاق.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ استبعادٌ ..............................

---

كلَّفهم هذا التكليف، وأنّهم أقروا بصحَّته، ثمّ خالفوا العَهْد فيه.[١] و«السَّفْك: صبُّ الدم، يقال: سفَك يسفِك ويسفُك[٢] لغتان».[٣]

قوله: (لأنّه) أي: لأنّ القاتل، أو الضمير[٤] للشأن.

قوله: (ثمّ أقررتُم بالمِيثاق) إلى قوله: (شاهدٌ عليها)، يريد أنّ المخاطبين بقوله: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ هم المُخاطَبون بقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾، ويكون قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ كالتأكيد لقوله: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾.

قوله: (وقيل) عطف على (وأنتم تشهدون عليها)... إلخ، يعني المُخاطبون بقوله: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ أسلاف اليهود، وبقوله:[٥] ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ الذين في زمان النبيّ عليه السلام.

قوله: (﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ استبعاد)، يريد أنّ "ثمّ" هنا ليس للتراخي في الزمان؛

---

١ انظر: تفسير الرازي، ٣/١٨٢ (البقرة، ٢/٨٤).
٢ ن: الختان؛ ر - يسفك.
٣ الوسيط للواحدي، ١/١٦٧ (البقرة، ٢/٨٤).
٤ ن: والضمير.
٥ ن: بقوله.

لِمَا أُسند إليهم من القَتْل والإجْلاءِ والعُدْوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارِهم وشهادتِهم، والمعنى: ثمّ أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهَدون، يعني: أنكم قومٌ آخرون غيرُ أولئك المقرِّينَ، تنزيلًا لتغيُّر الصفة منزلةَ تغيُّر الذات؛ كما تقول: رجعتَ بغيرِ الوجهِ الذي خرجْتَ به.

وقوله: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ بيانٌ لقوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾.

وقيل: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ موصولٌ بمعنى: الذين.

---

بل المراد منه التراخي في الرُّتبة، فكأنّه تعالى يستبعِد ويستعظِم منهم ما أُسنِد إليهم، أي: هذا الفعل الذي يصدُر منهم وهو القتل والإجلاء، أي: الإخراج من الوطن والتظاهر بالإثم والعدوان.

قوله: (بعد أَخْذ المِيثاق) ظرف (أُسند)؛ لأنّ المُستبعَد هو صدور ذلك منهم بعد أن أخذ[1] الله تعالى[2] ميثاقهم وأقرّوا وشهدوا.

قوله: (والمعنى: ثمّ أنتم بعد ذلك هؤلاء)، يريد أنّ قوله:[3] ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ، و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ اسم إشارة خبر له. وهذا كما تقول: كنتَ كذا وكذا، أي: على الصفات المَرضيّة الحَسَنة، ثمّ أنت هذا، أي: كأنّك لستَ ذاك الشخص الذي شاهدناك قبل ذلك؛[4] لأنّه لمّا تغيَّر الصفات المُعتبرة فكأنّه تغيَّر الذات، ولم تبق تلك الذات. ثمّ بيَّن تعالى قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بقوله: ﴿تَقْتُلُونَ﴾... إلخ؛ لأنّ ذلك إشارة إلى تغيُّر[5] الصفات، فيتبيّن به تغيّر الذات، على ما مرّ.

قوله: (وقيل: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ موصول) عطفٌ على قوله: "والمعنى: ثمّ[6] أنتم"، يعني: يكون ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ، و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ موصولًا بمعنى "الذين"، وصلته ﴿تَقْتُلُونَ﴾. قال الزّجّاج: ومثله[7] ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ [طه ١٧/٢٠]، يعني: وما التي بيمينك؟[8]

---

١ د: أخذهم.
٢ د ر - تعالى.
٣ ن ر - أن قوله.
٤ ر: ذاك.
٥ ن ر: بعض.
٦ ن - ثمّ.
٧ ن ر: وصلة.
٨ انظر: **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ١٦٦/٣.

وقرئ: ﴿تظّاهرون﴾ بحذف التاء وإدغامها، و: "تتظاهرون" بإثباتها، و: "تظَّهَّرون" بمعنى: تتظهَّرون؛ أي: تتعاونون عليهم.

---

وهنا وجه آخر وهو أنّ ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ، و﴿تَقْتُلُونَ﴾ خبره، و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ منادى، أي: يا هؤلاء.

قوله: (**وقُرِئ "تَظّاهَرون"**) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر "تَظّاهَرون عليهم"، مُشدَّدة الظاء بالألف، وكذلك في سورة "الأحزاب" و"التحريم". وقرأ عاصم وحمزة والكسائيّ ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾، بحذف إحدى التائين وتخفيف الظاء. وفي "التحريم" ﴿تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحريم ٤/٦٦] خفيفة أيضًا. وفارقهم عاصم في التي في "سورة الأحزاب" فقرأ ﴿تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب ٤/٣٣] بضمّ التاء مع التخفيف، وقرأ حمزة والكسائيّ "تَظاهَرون"، بفتح التاء مع التخفيف، مثل "سورة البقرة".[1]

قوله: (**و"تتظاهَرون"**) يريد أنّه قُرِئ بالتائين.[2] وقُرِئ "تَظَّهَّرون"، بتشديد الظاء والهاء،[3] وهاتان القراءتان شاذّتان. ثمّ فسَّر المُصنِّف الجميع بقوله: أي: تتعاونون عليهم، أي: على فريق منكم. ولمّا كان الإخراج من الديار وقَتْل البعض بعضًا ممّا تعظُم به الفتنة، واحتيج فيه إلى اقتدار وغلَبة، بيّن تعالى أنّهم فعلوه على / وجه الاستعانة بمَن[4] تَظاهَرهم[5] على الظلم والعدوان. ثمّ إنّ الآية [١٦٤و] تدلُّ على أنّ الظلم كما هو مُحرَّم فكذلك إعانة الظالم على ظلمه مُحرَّمة. و"فديتُ" فعل يتعدَّى[6] إلى مفعولين، ويتعدَّى إلى الثاني بالجارّ كقوله تعالى:

---

١ من قوله: "قرأ ابن كثير" إلى هنا بتصرُّف يسير في السبعة لابن مجاهد، ص ١٦٣؛ و**الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢/١٣٠-١٣١. وانظر الكلام موجزًا في: **التيسير** للداني، ص ٢٨٢؛ و**النشر** لابن الجزري، ٢/٢١٨.

٢ **البحر المحيط** لأبي حيّان، ١/٤٦٩ (البقرة، ٢/٨٥)؛ **معجم القراءات** للخطيب، ١/١٤٣، قراءة بعض البصريّين.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن مجاهد وقتادة والحسن وأبي جعفر والزهري والضرير وكِرداب والزعفرني عن رَوْح. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٥؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٦٨؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٣٧.

٤ ر: من.

٥ ر: ظاهرهم.

٦ ن: متعدٍ.

وقرئ: ﴿تَفْدوهم﴾ و: ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾.

و: ﴿أسرى﴾ و: ﴿أُسَٰرَىٰ﴾.

و﴿هو﴾ ضمير الشأن، ويجوز أن يكون مُبْهَمًا تفسيرُه ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: بالفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾؛ أي: بالقتال والإجلاء.

وذلك أن قُرَيظَةَ كانوا حلفاءَ الأوسِ، والنَّضيرَ حلفاءَ الخَزْرَجِ، وكان كلُّ فريقٍ يقاتلُ مع حُلفائه، وإذا غَلبوا خَرَّبوا ديارهم وأَخْرَجُوهم، وإذا أُسِرَ رجلٌ من الفريقَيْن

---

﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات ١٠٧/٣٧]، وقالوا: فادى الأسيرَ إذا أطلقه وأخذ عنه شيئًا. فالمفعول الثاني الذي يصِل إليه الفعل بالحرف محذوفٌ.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾، في ﴿هُوَ﴾ وجهان: **الأوّل**: أنّه ضمير الشأن، فكأنّه قيل: الشأن مُحرَّم عليكم إخراجهم؛ **الثاني**: أنّه ضمير مُبهَم،[١] تفسيره قوله: ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾. وهنا وجه **ثالث** لم يذكره المُصنِّف: وهو أنّه عائد إلى الإخراج الذي يدلُّ[٢] عليه ﴿تُخْرِجُونَ﴾، ثمّ بيّن بقوله:[٣] ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ لئلّا يتوهَّم أنّه عائد إلى فداء الأسرى.[٤] قال[٥] الواحديُّ:[٦] «نظم الآية[٧] على التقديم والتأخير؛ لأنّ التقدير: وتُخرِجون فريقًا منكم من ديارهم، وهو مُحرَّم عليكم إخراجهم، وإن يأتوكم أسارى تفدُوهم».[٨]

قوله: (**وذلك أنّ قُرَيظة**)... إلخ، قال السُّدّيُّ:

> أخذ الله تعالى عليهم أربعة عهود: تَرْك القتل، وتَرْك الإخراج، وتَرْك المُظاهرة، وفداء أَسَرائهم، فأعرَضوا عن كلّ ما أُمِروا به إلّا الفداء؛ وذلك أنّه كانت قُرَيظة حلفاء الأوس، وكان النَّضير حلفاء الخَزْرج،

---

[١] ر: منهم.
[٢] ر – يدل.
[٣] ر: يقول.
[٤] انظر الوجه الثالث في **معاني القرآن وإعرابه** للزّجّاج، ١٦٧/١؛ **والوسيط** للواحدي، ١٦٩/١ (البقرة، ٨٥/٢)؛ **والبسيط** للواحدي، ١٢٤/٣ (البقرة، ٨٥/٢).
[٥] ر: فإنّ.
[٦] ر: الواحدك.
[٧] ر: يدل.
[٨] **الوسيط** للواحدي، ١٦٩/١ (البقرة، ٨٥/٢).

جمعوا له حتى يَفْدوه، فعيَّرتْهم العربُ وقالَتْ: كيف تقاتلونَهم ثم تفْدونهم؟ فيقولون: أُمرنا أن نَفْديَهم وحُرِّمَ علينا قتالُهم، ولكنَّا نستحي أن نُذلَّ حُلفاءنا.

و"الخِزْيُ": قَتْلُ بني قُريظَة وأسْرُهم وإجلاءُ بني النَّضِير، وقيل: الجِزْيَةُ، وإنّما رُدَّ مَن فعَل منهم ذلك إلى أشدِّ العذاب لأنَّ عصيانَهُم أشدُّ.

---

وكانوا يقتتلون، فينضمّ بنو قُريظة مع الأوس يُعاونونهم، وكذا ينضمّ النضير مع الخزرج يُعاونونهم، فيقاتل بنو قُريظة مع الأوس النضيرَ مع الخزرج، فإذا غَلَبوا خرَّبوا ديارهم وأَخرَجوهم منها، فإذا أُسِر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدُوه؛ فعيَّرتهم العَرب بذلك، وتقول: كيف تُقاتلونهم وتَفدونهم؟ فيقولون: إنّا قد أُمِرنا أن نَفديَهم، وحُرِّم علينا قتالهم، قالوا: فلِمَ تُقاتلونهم؟ قالوا: إنّا نستحي أن نُذِلّ حُلفاءنا، فذلك حين عيَّرهم الله تعالى فقال: ثمّ أنتم يا قُريظة والنضير يقتُل بعضكم[1] بعضًا.[2]

قوله تعالى:[3] ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، يعني: فداء الأسارى، ﴿وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٍ﴾، يعني: المُقاتلة والإخراج مِن الديار.

وهو قول ابن عبّاس رضي الله عنه[4] وقتادة وابن جُرَيج، قالوا: "إخراجهم كُفر، وفداؤهم إيمان".[5] ثمّ إنّه تعالى لم يذمَّهم على الفداء، وإنّما ذمَّهم على المُناقضة؛ إذ أتَوا ببعض الواجب وتركوا البعض، وقد تكون المُناقضة أَدخَل في الذمّ. إن قيل: هَبْ أن ذلك الإخراج معصية، فلِمَ سمّاه كفرًا؟ مع أنّه ثبت أنّ العاصي لا يكفر؛ قلنا: لعلّهم صرَّحوا بأنّ ذلك الإخراج غير حرام، مع أنّ[6] صريح التوراة كان دالًّا على وجوبه.[7]

قوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَآءُ﴾ استفهام في معنى التوبيخ، أو هو نَفْي. «و"الخزي"

---

١ ر: بعضهم.

٢ انظر: تفسير ابن أبي حاتم، ١/١٦٦ (البقرة، ٢/٨٥)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٣/٤٣٢-٤٣٣ (البقرة، ٢/٨٥).

٣ ن ر – قوله تعالى.

٤ د ر – رضي الله عنه.

٥ من قوله: "وهو قول ابن عبّاس" إلى هنا بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٢/٢١١-٢١٢ (البقرة، ٢/٨٥)؛ تفسير ابن أبي حاتم، ١/١٦٦ (البقرة، ٢/٨٥).

٦ ر: أنّه.

٧ انظر: تفسير الرازي، ٣/١٨٦ (البقرة، ٢/٨٥).

وقرئ: ﴿يُرَدُّونَ﴾ و﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء.

---

معناه: الهوان والفضيحة، وقد أخزاه الله تعالى،[١] أي: أهانه وفضحه، وفي القرآن: ﴿لَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ [هود ٧٨/١١]، أي: لا تفضحوني».[٢]

واختلفوا في هذا الخِزْي على وجوه: **الأول**: أنه قتل بني قريظة، وسَبيُ ذراريّهم، وإخراج بني النضير عن ديارهم؛ **الثاني**: المراد: الجزية.[٣] قال الإمام: هذان الوجهان إنّما يصحّان إذا حملنا الآية على الحاضرين في زمن النبيّ عليه السلام. **الثالث**: أنّ المراد: الذمّ العظيم والتحقير البالغ من غير تخصيص ذلك ببعض الوجوه دون بعض. والتنكير في قوله: ﴿خِزْيٌ﴾ يدلُّ على أنّ الذمَّ واقع في النهاية العظمى.[٤]

قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد عظيم وزجر شديد عن المعصية.[٥]

قوله:[٦] (وقُرِئ ﴿يُرَدُّونَ﴾ و﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء) اعلم / أنّ ﴿يُرَدُّونَ﴾ بياء[٧] الخطاب قراءة[٨] السبعة، وبتاء[٩] الغيبة شاذّة.[١٠] و﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء كلاهما من السبعة: فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم بتاء الخطاب، والباقون بياء الغيبة.[١١] [١٦٤ظ]

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

---

١ د ر - تعالى.

٢ **الوسيط** للواحدي، ١٧٠/١ (البقرة، ٨٥/٢). وليس في مطبوعه لفظ «معناه».

٣ انظر: **تفسير الرازي**، ١٨٦/٣ (البقرة، ٨٥/٢). ونسب الرازيّ الوجه الثاني إلى الحَسَن. وانظر الوجهين في **جامع البيان** للطبري، ٢١٦/٢ (البقرة، ٨٥/٢).

٤ انظر: **تفسير الرازي**، ١٨٦/٣ (البقرة، ٨٥/٢).

٥ ر: أما حصية.

٦ ن: قوله؛ ر: قوي.

٧ د ر: بتاء.

٨ ن ر: قوله.

٩ د ن ر: بياء.

١٠ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعرج والسُّلميّ وأبي رجاء والمُفضَّل عن عاصم والحسن وقتادة وزيد بن عليّ. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٥؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٦٨؛ **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٤٣٨.

١١ **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٦٢؛ **التيسير** للداني، ص ٢٨١؛ **النشر** لابن الجزري، ٢١٨/٢.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧﴾

﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ﴾ عذابُ الدنيا بنقصان الجزْية ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾؛ أي: ولا ينصرُهم أحدٌ بالدفع عنهم، وكذلك عذابُ الآخرة.

﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التوراة، آتاه الله إياها جُملةً واحدةً.

﴿وَقَفَّيۡنَا﴾ يقال: قفَّاهُ: إذا اتَّبَعَهُ من القفَا، نحو ذَنَّبه: من الذَّنب، وقفَّاه به: أتْبعه إيَّاه.

يعني: وأرْسلنا على إثْرِه الكثيرَ من الرُّسُل؛ ..............................

---

أي: أهلُ هذه الصفة المذكورة استبدلوا[1] الحياة في هذه الدار الفانية بالنعيم المقيم والعزّ الدائم.[2]

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾... إلخ.

«اعلم أنّ هذا نوع آخر من النِّعم التي أفاضها الله تعالى عليهم، ثمّ إنّهم قابلوه بالكفران والأفعال القبيحة».[3]

قوله: (﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾) منصوبٌ؛ لأنّه حكاية لفظ القرآن. و(**التوراة**) **أيضًا** نصبٌ؛ لأنّه بيانه.

قوله: (**آتاه إيّاها**) الضمير **الأوّل** عائد **إلى** موسى، **والثاني إلى التوراة**.

قوله: (**قفّاه إذا أتبعَه**)،[4] يريد أنّه من الشيء يأتي في قفا الشيء، أي: بعده. وهو يتعدّى[5] بنفسه إلى مفعول واحد، ويتعدّى إلى المفعول[6] الثاني بالباء.

---

١ ن ر: اختاروا.
٢ انظر: **الوسيط** للواحدي، ١٧٠/١ (البقرة، ٨٦/٢).
٣ **تفسير الرازي**، ١٨٨/٣ (البقرة، ٨٧/٢).
٤ د: اتَّبعه. | وهي كذلك في هامش مخطوط **الكشّاف** نسخة آيا صوفيا ٢٤٦.
٥ ر: يتعرى.
٦ ر: الفعول.

كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَا﴾ [المؤمنون ٢٣/٤٤]، وهم يُوشَعُ وأشْمَوِيلُ وشَمْعونُ وداودُ وسليمانُ وشَعْيَا وأَرْمِيَا وعُزَيْرٌ وحِزْقِيلُ والياسُ واليَسَعُ ويونسُ وزكريا ويحيى وغيرُهم صلوات الله عليهم أجمعين.

وقيل: "عيسى" بالسُّريانيَّة: إيشُوع، و"مريم" بمعنى الخادم.

وقيل: المريم بالعربيَّة من النِّساء كالزِّير من الرجال، وبه فُسِّر قولُ رؤبةَ بنِ العَجَّاج:

---

فقوله: (﴿تَتۡرَا﴾ [المؤمنون ٢٣/٤٤])، أي:[1] واحدًا[2] بعد واحد. قيل: كان بين عيسى وموسى عليهما السلام أربعة آلاف نبيّ، وقيل: سبعون ألف نبيّ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والله أعلم بذلك.[3]

ورُوِيَ أنّ بعد موسى عليه السلام إلى أيّام عيسى عليه السلام كانت الرسل تتواتر، ويظهر بعضهم في إثر بعض، والشريعة واحدة، إلى أن[4] جاء عيسى عليه السلام بشريعة مُجدّدة. واستدلُّوا على صحّة[5] ذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾؛ فإنّه يقتضي أنّهم على حدّ واحد في الشريعة، يتبع بعضهم بعضًا فيها.[6]

قوله: (كالزِّير):[7] وهو الرجل الذي يُكثِر زيارة النساء. قال الشاعر:

وقد كنتُ زِيرًا للغواني أزورها[8]

و"مريم": هي التي تُكثِر زيارة الرجال. وكأنّ هذا كالتسمية باسم الضدّ،[9]

---

[1] ن ر: إلى.

[2] ن ر: واحد.

[3] لم أجد هذه الأقوال فيما وقفتُ عليه من المظانّ. لكن الطبري أورد حديثًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّه قال: «بُعث النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم بعد ثمانية آلاف نبيّ من الأنبياء، منهم أربعةُ آلاف من بني إسرائيل». **جامع البيان** للطبري، ٣٦٨/٢٠ (غافر، ٧٨/٤٠).

[4] د – أن. | أشير إلى موضعها بعلامة استدراك ولم يظهر الاستدراك في النُّسخة.

[5] ن ر – صحّة.

[6] ن ر – فيها. | من قوله: "ورويَ أنّ" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ١٨٩/٣ (البقرة، ٨٧/٢).

[7] ر: كالذين.

[8] صدر بيت للباخرزي في **ديوانه**، ص ٢٤٩. وعجزه: فتُضرَب أوتار ويطرب نائِيْ

[9] ن ر: الصفة.

قـلـتُ لـزيـرٍ لـم تـصِـلـهُ مَـرْيَـمُـهْ

ووزنُ "مريم" عند النحويين: مَفْعَلٌ؛ لأن فَعْيَلًا بفتحِ الفاء لم يَثبت في الأبنية كما ثبت نحوُ عِثْيَرٌ وعُلْيَب.

﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزاتُ الواضحاتُ والحُجج؛ كإحياء الموتى، وإبراءِ الأكْمهِ والأبْرصِ، والإخبارِ بالمُغَيَّبات.

وقرئ: "وآيَدْناه"، ومنه: آجَدَه -بالجيم-: إذا قَوَّاه، يقال: الحمدُ لله الذي آجَدَني بعد ضعفٍ، ..........................................

كما يُسمَّى كافور بالأسود. وقوله في البيت: (لم تزُره) صفة. والضمير من (مَريمُه)[١] عائد إلى "الزِّير".

قوله:[٢] (نحو "عِثْيَر") بكسر العين، وهو: الغبار.[٣] و(عُلَيب) بضمّها: اسم وادٍ.[٤]

قوله: (﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾) بكسر التاء حكاية لفظ **القرآن**. وقوله: (المُعجِزات) بيان له.

قوله: (والحُجج) مِن العطف الذي يكون للبيان، فإنّ المُعجِزات حُجج وبراهين دالَّة على نُبوَّة النبيّ عليه السلام.

قوله: (قُرِئ "آيَدناه") بمدّ الألف وتخفيف الياء، قراءة شاذَّة.[٥]

قوله: (ومنه آجدناه) أي: في[٦] أنّ[٧] "فاعَل" فيه بمعنى "فعَّل".[٨] قال في **الحُجّة**:

أيَّدناه: فعَّلناه، مِن الأَيْد والآد، وفي بنائهما على فَعْل وفَعَل العَيْب والعاب والذَّيْم[٩] والذَّامُ، وجاء في أكثر الاستعمال على فعَّلنا؛ لتصحّ العين الثانية

---

١ الرجز لرؤبة في **ديوانه**، ص ١٤٩؛ وهو له في كتاب **الألفاظ** لابن السكّيت، ص ٣٩٨؛ و**التكملة والذيل والصلة** للصغاني، «عجم»؛ و**خزانة الأدب** للبغدادي، ٤/٤٥٢. والرواية فيما راجعته من المصادر «لم تصله» مكان «لم تزره»، ولم أقف على مَن روى البيت رواية الجاربردي له.

٢ ن ر – قوله.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «عثر».

٤ انظر: **الصحاح** للجوهري، «علب».

٥ قراءة شاذَّة، مرويّة عن ابن مُحيصن ومجاهد، وابن مجاهد عن أبي عمرو. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٥؛ **المُحتسَب** لابن جنّي، ١/٩٥؛ **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٤٣٨.

٦ ن ر – في.

٧ ن ر: فإنّ.

٨ ن ر – فعّل.

٩ ن ر: والمريم.

**وأوْجدني بعد فَقْرٍ.**

**﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: بالروح المقدَّسة؛ كما تقول: حاتمُ الجود، ورجلُ صِدْقٍ، ووصَفَها بالقُدُس كما قال: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء ٤/١٧١] فوصفَه بالاختصاص والتَّقريب للكرامةِ.**

**وقيل: لأنَّه لم تَضمَّه الأصلابُ ولا أرْحامُ الطَّوامثِ.**

---

لسكون الأولى، وعلى هذا قوله: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [المائدة ٥/١١٠]، ومَن قال: "آيَدْناه" صحَّح العينَ؛ لأنّه إذا صحَّت في مثل أجوَد وأطيَب لزم تصحيحها في "آيَدْناه".[١]

قوله: (**أوجَدني**)،[٢] أي: أغناني.

قوله: (**﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾**) حكاية لفظ القرآن. وقوله: (**بالرُّوح المُقدَّسة**) بيانٌ له. وعلى هذا المراد بـ"رُوح القُدس": الروح المُطهَّرة، التي هي روح عيسى، والقُدس بمعنى: الطهارة. والإضافة فيه كما في قولك: (**حاتمُ الجودِ**) في إضافة حاتم إلى الجود. فمن حيث المعنى يكون "القُدس" صفة "الروح"، إذ المعنى: الرُّوح المُقدَّسة. فوصَفها بالقدس للتعظيم،[٣] كما وصفه بالاختصاص به تعالى حيث قال: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء ٤/١٧١].

قوله: (**وقيل: لأنّه**) عطفٌ على قوله: (**كما قال**)، أي: قيل وصَفها، أي: وصَف روح عيسى عليه السلام[٤] بالقُدس؛ لأنّ عيسى لم تضمّه الأصلاب ولا [١٦٥و] أرحام[٥] الحُيَّض، وهذا يُشير / إلى أنّ مريم ما كانت تحيض. ويجوز أن يقال:[٦] قوله: (**للكرامة**) مُتعلِّق بقوله: (**وصَفها**).[٧] وقوله: (**وقيل**) عطف على قوله: "للكرامة"، أي: وصَفها بالقُدس للكرامة، أو لأنّه...

---

١ **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١٤٨/٢-١٤٩.
٢ ر: أوجدن.
٣ ر: المتعظيم.
٤ د - عليه السلام.
٥ ن ر: والأرحام.
٦ ن: تقول.
٧ ن: فوصفها.

وقيل: بجبريل عليه السلام.

وقيل: بالإنجيل؛ كما قال في القرآن: و﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى ٥٢/٤٢].

---

قوله: (وقيل: بجبرئيل)[١] عطفٌ على قوله: "بالرُّوح المُقدَّسة"، فسُمِّيَ جبرئيل[٢] عليه السلام برُوح القُدس؛[٣] لأنّه يَحيا به الدِّين كما يَحيا البدَن بالرُّوح؛ لأنّه المُتولي لإنزال الوحي إلى الأنبياء عليهم السلام،[٤] ولأنّ الغالب عليه الرُّوحانية، وكذا سائر الملائكة، لكن رُوحانيّته أكمل وأتمّ. والمعنى: الروح المُقدَّسة، كما في "حاتمُ الجودِ"، على ما مرّ. ويدلُّ على هذا الوجه قوله: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾، فإنّ اختصاص عيسى عليه السلام[٥] بجبرئيل[٦] عليه السلام[٧] مِن آكد وجوه الاختصاص، بحيث لم يكن لأحد من الأنبياء عليهم السلام مِثلُ ذلك؛ فإنّه هو الذي بشَّر مريم بولادتها، وإنّما تولَّد عيسى عليه السلام بنفخته، وهو ربَّاه[٨] في جميع الأحوال، وكان يسير معه حيث سار، وكان معه حين[٩] صعِد إلى السماء. و"قيل: المراد: الإنجيل"،[١٠] كما قال في حقّ القرآن: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى ٥٢/٤٢]، وسُمِّيَ بالرُّوح؛ لأنّ مصالح الدِّين تَحيى به، ومصالح الدنيا تتِمُّ لأجله. و"قيل: المراد: اسم الله الأعظم"،[١١] سُمِّيَ ذلك الاسم رُوحًا؛ لأنّه كان يُحيي الموتى بذِكره.

واعلم أنّ القرّاء اختلفوا في ﴿ٱلْقُدُسِ﴾: فقرأ ابن كثير وحده مُسكَّنةَ الدال في جميع القرآن، والباقون بضمِّها.[١٢]

---

١ ن ر: بجبريل.

٢ ن ر: جبريل.

٣ انظر هذا الوجه في جامع البيان للطبري، ٢٢١/٢-٢٢٢ (البقرة، ٨٧/٢)؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ١٦٨/١ (البقرة، ٨٧/٢).

٤ د - عليهم السلام.

٥ د ن - عليه السلام.

٦ ر: بجبريل.

٧ د ن - عليه السلام.

٨ ر: زيادة.

٩ ن ر: حيث.

١٠ انظر هذا الوجه في جامع البيان للطبري، ٢٢٣/٢ (البقرة، ٨٧/٢)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٤٣٨/٣-٤٣٩ (البقرة، ٨٧/٢).

١١ انظر هذا الوجه في جامع البيان للطبري، ٢٢٣/٢ (البقرة، ٨٧/٢)؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ١٦٩/١ (البقرة، ٨٧/٢).

١٢ السبعة لابن مجاهد، ص ١٦٣؛ التيسير للداني، ص ٢٨٢؛ النشر لابن الجزري، ٢١٨/٢.

وقيل: باسم الله الأعظم الذي كان يُحيي الموتى بذكره.

والمعنى: ولقد آتينا يا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ﴾ منهم بالحقِّ ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان به، فوسَّط بين الفاء وما تعلَّقت به همزة التوبيخ والتَّعجيبِ من شأنهم.

ويجوز أنْ يريد: ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعَلْتُم ما فعَلْتُم، ثمَّ وبَّخهم على ذلك، ودخول الفاء لعطفه على المقدَّر.

**فإن قلتَ**: فهلَّا قيل: وفريقًا قتلتُم؟

**قلتُ**: هو على وجهين: أن تراد الحالُ الماضيَة؛ لأنَّ الأمر فظيعٌ فأريدَ

---

قوله: (**والمعنى:**[١] **ولقد آتينا**)... إلخ، هذا شروع في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾، يريد أنّ الفاء في ﴿فَكُلَّمَا﴾ عطفٌ على قوله: ﴿ءَاتَيْنَا﴾، و﴿قَفَّيْنَا﴾، و﴿ءَاتَيْنَا﴾، ومُسبَّب عنه مِن حيث المعنى، فكان القياس ألّا يدخل الهمزة عليها، لكن دخل ليُفيد الاستفهامُ توبيخَهم وتعجيب الناس مِن شأنهم. والضمير من قوله: (**منهم**) عائد إلى قوله: (**أنبياءَكم**).

قوله: (**فوسَّط**)، أي: فوسَّط الله تعالى بين الفاء في ﴿فَكُلَّمَا﴾ وبين ما تعلَّقت الفاء به -وهو ﴿ءَاتَيْنَا﴾، و﴿أَيَّدْنَا﴾، و﴿ءَاتَيْنَا﴾- همزةَ الاستفهام.

قوله: (**ويجوز**) عطفٌ على قوله: "والمعنى"... إلخ، يعني: يجوز أن يكون ما هو مُتعلِّق بالأفعال المذكورة بطريق العطف والسببيَّة محذوفًا، وهو: ففعلتُم ما فعلتُم، ويكون الفاء في ﴿فَكُلَّمَا﴾ عطفًا على ذلك المحذوف، فكأنّه قيل: ولقد آتينا أنبياءَكم ما آتيناهم ففعلتُم ما فعلتُم، فكلَّما جاءكم رسول... إلخ، وهذا كما تقول: أعطيتُك الأموال وربَّيتُك فأسأتَ إليَّ، أفأسأتَ؟ أي: فلِمَ أسأتَ؟ وهذا على الوجهين نهاية الذمّ لهم.

قوله: (**لأنّ الأمر فظيع**) ومِثله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة ١٢/٣٢]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [سبأ ٣١/٣٤]،

---

[١] ن ر - والمعنى.

استحضارُه في النفوس وتصويرُه في القلوب، وأن يرادَ: وفريقًا تَقْتلونَهم بعدُ لأنكم تحومون حولَ قتلِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم لولا أنِّي أعْصِمُه منكم، ولذلك سَحَرْتُموه وسَمَمْتُم له الشَّاةَ، وقال عليه الصلاة والسلام عند موته: «ما زالت أُكْلَةُ خَيْبَر تُعاذُني ..........................................

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام ٦/٢٧] بلفظ المضارع في الجميع، مع أنّ ﴿لَوْ﴾ للمُضيّ: وذلك لإرادة استحضار صورة المُجرمين ناكسي[1] الرءوس قائلين لِمَا يقولون، واستحضار صورة الظالمين مَوقوفين عند ربّهم، واستحضار صورة وَدادة[2] الكافرين لو أسلموا.

قوله: **(وأن يُراد)** هذا هو الوجه **الثاني**: وهو أنّه إنّما أُتيَ **بالأوّل** ماضيًا **وبالثاني** مُضارعًا؛ لأنّ المعنى: كذَّبتُم[3] فريقًا وفرغتُم من[4] تكذيبهم ما بقيَ أحد منهم غير مُكذِّب، و﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، أي: تشتغِلون بقَتْلهم وما تيسَّر لكم ذلك؛ لأنّي أعصِمه منكم.

قوله: **(قال عليه السلام)**... إلخ، إشارة إلى أنّهم قتلوه عليه السلام، فهو عطفٌ من حيث المعنى على قوله: **(لولا أنّي أعصِمه)** فكأنّ المُصنِّف قال: حاموا حول قَتْله عليه السلام لكن ما قدَروا؛ لأنّ الله تعالى عصَمه، أو قدَروا على قَتْله وقتلوه،[5] فقد قال عليه السلام: (**«ما زالت»**)... إلخ، «و"الأُكْلَة" بالضمّ: اللُّقمة، يقال: أكلتُ أُكْلَةَ واحدة / أي: لقمة».[6] و(**«تعاذُني»**) [١٦٥ظ] أي: تُراجِعني[7] ويُعاوِدني ألمُ سَمِّها. «والعِداد: اهتياج وجَع اللديغ، وذلك إذا تمَّت له سنة مذ يوم لُدِغ اهتاج به الألم، والعِدَد مقصور منه».[8] قال الشاعر:

---

١ هامش ن: ناكسو. خ [اختصارًا من "نسخة"].
٢ ن: ودارة.
٣ ر: كذبتهم.
٤ ن ر: عن.
٥ ن ر - وقتلوه.
٦ **الصحاح للجوهري**، «أكل». وفيه: «تقول» مكان: «يقال».
٧ ر + وتعاذّني، أي: تُراجعني.
٨ **الصحاح للجوهري**، «عدد».

فهذا أوانُ قطعَتْ أبْهَرِي».

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨﴾

﴿غُلْفٌ﴾: جمع أغلف؛ أي: هي خِلقةً وجِبِلَّةً مُغَشَّاةٌ بأغطيةٍ لا يتوصَّل إليها ما جاء به محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم ولا تَفْقَهُهُ. مستعارٌ من الأغْلف الذي لم يُخْتَن؛ كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ [فصلت ٥/٤١].

ثم ردَّ الله أن تكون قلوبُهم مخلوقةً كذلك -لأنّها خُلقت على الفِطْرة والتمكُّن من قبول الحقّ- بأنَّ الله لعنَهم وخذَلهم بسبب كفرهم، فهم الذين غَلَّفوا قلوبَهم

---

أُلاقـــي مِـــن تـذكُّـر آل ليلى    كما يلقى السَّليم من العِـدادِ[١]

قوله: («قَطعَت»)[٢] أي: الأُكْلَة. و"الأبهر": عِرْق إذا انقطع مات صاحبه.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾... إلخ.[٣] أمّا الغُلْف ففيه ثلاثة أوجه: **الأوّل**: أنّه جَمْع أَغْلَف، والأَغْلَف: ما في الغِلاف، يقال: سيفٌ أَغْلَفُ وقوس غَلْفاءُ.[٤] أي: قلوبنا مُغشَّاة بأغطية مانعة من وصول أثر دعوتك إليها؛ **الثاني**: روى الأصمّ عن بعضهم أنّ المعنى: قلوبنا غُلْف للعِلم ومملوءة مِن الحكمة؛ فلا حاجة بنا معها إلى شرع محمَّد عليه السلام، وعلى هذا الغُلْف بالإسكان يكون تخفيف غُلُف[٥] بضمَّتين؛ **الثالث**: المعنى قلوبنا كالغُلُف الخالية لا شيء فيها ممّا يدلُّ على صحّة قولك.[٦]

قوله: (**لأنّها خُلِقت**) هذه اللام، والباء في (**بأنّ**) مُتعلِّق بقوله: (**ردّ**).

قوله: (**غلَّفوا**)، أي: جعلوا في الغلاف.

---

١ ما عرفتُ قائله. وهو بلا نسبة في **غريب الحديث** لأبي عُبيد، ٢٠٤/١؛ و**الصحاح** للجوهري، «عدد»؛ و**كتاب الغريبين** للهروي، ١٢٣/١. وروايته في كتابي الغريب: «يُلاقي» مكان «أُلاقي».

٢ **غريب الحديث** لأبي عُبيد، ٢٠٣/١. وانظر لتفصيل تخريج الحديث: **تخريج أحاديث الكشّاف** للزَّيلَعي، ٦٨/١-٧٤.

٣ ن ر: الآية.

٤ انظر: **الصحاح** للجوهري، «غلف».

٥ ر - غلف.

٦ من قوله: "أمّا الغلف" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ١٩١/٣-١٩٢ (البقرة، ٨٨/٢).

بما أحْدثوا من الكُفْر الزَّائغ عن الفطرة، وتَسَبَّبُوا بذلك لمنع الألطاف التي تكون للمتوقَّع إيمانُهم وللمؤمنين.

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾: فإيمانًا قليلًا يؤمنون، و﴿مَا﴾ مزيدةٌ، وهو إيمانهم ببعض الكتاب، ويجوز أن تكون القلَّة بمعنى العدم.

وقيل: ﴿غُلْفٌ﴾ تخفيفُ غُلُف جمع غلافٍ؛ أي: قلوبُنا أوعيةٌ للعلم فنحن مستَغْنون بما عندنا عن غيره، وروي عن أبي عمرو: "قلوبُنا غُلُفٌ" بضمَّتين.

**﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾**

---

قوله: **(وتسبَّبوا بذلك)** أي: تسبَّبوا بذلك الكُفر لمنع الله تعالى عنهم الألطاف التي تكون تلك[1] الألطاف للذين يُتوقَّع منهم الإيمان وللمؤمنين.

قوله: **(فإيمانًا قليلًا)** يريد أنّه صفة مصدر محذوف،[2] والمراد بالإيمان القليل: أنّهم كُلِّفوا بالإيمان بالله[3] وكُتبه ورسله، فآمنوا بالله وكفروا بالكتب **كالإنجيل والفُرقان** وبالرسل أيضًا، وكفروا بكثير ممّا في **التوراة**، فغيَّروا صفة نبيّنا محمّد[4] عليه السلام.[5] وقيل: القِلَّة بمعنى: العدم، أي: لا يُؤمنون أصلًا لا قليلًا ولا كثيرًا.[6]

قوله: **("غُلُفٌ" بضمَّتين)** قراءة شاذَّة.[7]

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾... إلخ.[8]

---

١ ن ر - تلك.

٢ انظر: **جامع البيان** للطبري، ٢٣٤/٢ (البقرة، ٨٨/٢).

٣ د - بالله.

٤ ن - محمد.

٥ هذا الوجه بعبارة مختلفة في **جامع البيان** للطبري، ٢٣٥/٢ (البقرة، ٨٨/٢)؛ وبعبارة موجزة في **تفسير الرازي**، ١٩٣/٣ (البقرة، ٨٨/٢).

٦ انظر هذا الوجه في **جامع البيان** للطبري، ٢٣٥/٢ (البقرة، ٨٨/٢)؛ و**تفسير الرازي**، ١٩٣/٣ (البقرة، ٨٨/٢).

٧ قراءة شاذّة، مروية عن ابن عبّاس والحَسَن والزُّهري وابن مُحيصن والأعرج عن ابن عبّاس، واللؤلؤي عن أبي عمرو. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٥؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٦٩؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٤٠.

٨ ن ر: الآية.

﴿كِتَٰبٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾: هو القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ من كتابهم لا يخالفُه.

وقرئ: "مصدِّقًا" على الحال.

**فإن قلتَ**: كيف جاز نصبُها عن النكرة؟

**قلتُ**: إذا وُصف النكرةُ تخصَّص فصحَّ انتصابُ الحال عنه، وقد وُصف ﴿كِتَٰبٌ﴾ بقوله: ﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

وجواب "لمَّا" محذوف، وهو نحو: كذَّبوا به واستهانوا بمجيئه، وما أشبهَ ذلك.

---

هذا إشارة إلى نوع آخر من قبائح أفعالِ اليهود، والمراد بقوله: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾: مُوافقتُه لكتبهم فيما يختصُّ بالنبوَّة وما يدلُّ عليها من العلامات والنُّعوت والصفات.

قوله: (**قُرِئ "مُصدِّقًا"**) هذه قراءة شاذَّة.[١] ويجوز أن يكون حالًا من الضمير في الظرف، والعامل فيه الظرف.

قوله تعالى: "﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾" فيه وجوه: **الأوّل**: أنّ اليهود قبل مَبعَث النبيّ عليه السلام ونزول القرآن يسألون[٢] الفتح والنُّصرة من الله تعالى. قال سعيد بن جُبير عن ابن عبّاس رضي الله عنهما:[٣] "كانت يهود خَيبر تُقاتل[٤] غَطَفان،[٥] فكلَّما التقَوا[٦] هُزِمت يهود خَيبر، فعاذت اليهود بهذا الدعاء، وقالت: اللّهمّ إنّا نسألك بحقّ النبيّ الأميّ الذي وعدتنا أن تُخرِجه لنا في آخر الزمان إلّا نصرتنا عليهم، فكانوا إذا التقَوا دعوا بهذا الدعاء فهَزموا غَطَفان، فلمّا بُعِث النبيّ عليه السلام[٧] كفروا به، فأنزل الله تعالى هذه الآية".[٨]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وزيد ابن عليّ وابن أبي عبلة. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٥؛ **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٤٤٠.

٢ ن ر: بسكون.

٣ د – رضي الله عنهما.

٤ ن: يقابل.

٥ ن ر: غطفًا.

٦ ر: التفتوا.

٧ ر – عليه السلام.

٨ من قوله: "قال سعيد بن جبير" إلى هنا بلفظ قريب في **الوسيط** للواحدي، ١/١٧٣ (البقرة، ٢/٨٩). ومعنى قول ابن عبّاس في **جامع البيان** للطبري، ٢/٢٣٧ (البقرة، ٢/٨٩).

﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: يَستنصِرون على المشركين، إذا قاتَلوهم قالوا: اللّهمّ انْصُرنا بالنبيّ المبعوث في آخر الزمان، الذي نجدُ نعتَه وصفتَه في التوراة، ويقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظلَّ زمانُ نبيّ يخرجُ بتَصْديقِ ما قلنا، فنَقتُلُكم معَه قَتْلَ عادٍ وإرَمَ.

وقيل: معنى ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يَفتَحون عليهم ويعرِّفونهم أنَّ نبيًّا يُبْعَثُ منهم

---

قوله: (إذا قاتلوهم قالوا)[١] بيانٌ لقوله: (يَستنصرون على المُشرِكين).

قوله: (ويقولون لأعدائهم)... إلخ، تتمّة لهذا الوجه، فكأنّهم بعد أن دعَوا بهذا الدعاء وغَلَبوا المشركين قالوا معهم هذا القول بطريق التهديد؛ لزيادة انكسارهم. ويقال: أظلَّك فلان إذا دنا منك، كأنّه ألقى عليه ظلّه، وهذا بطريق الكناية، ثمّ قيل: أظلَّك امرؤ وأظلَّك شهر كذا إذا دنا منك.

قوله: (وقيل: معنى ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يفتحون عليهم ويُعرِّفونهم) هذا هو الوجه الثاني، والسين على / هذا الوجه يحتمل معنيين: المعنى الأوّل: أن يكون للمبالغة [١٦٦و]
كما في "استعجب" للمبالغة في "عَجِب"، و"استسخر" للمبالغة في "سخِر"، فكأنّهم يسألون أنفسهم أن يفتحوا على الكافرين؛ والمعنى الثاني: أنّ اليهود يسأل بعضهم بعضًا أن يفتحوا على الذين كفروا، أي: قال بعضهم لبعض: افتحوا عليهم وعَرِّفوهم أنّه يُبعَث منهم نبيّ. هذا تقرير ما ذكره المُصنِّف.

الوجه الثالث: أنّهم كانوا يسألون العَرب عن مولده، ويَصفونه بأنّه نبيٌّ مِن صفته[٢] كذا، ويتفحَّصون عنه، فالمراد بالاستفتاح على هذا: بيان صفته للمشركين بعد سؤالهم عن مولده وتفحُّصهم عنه؛ الوجه الرابع: أنّها نزلت في أحبار اليهود، وكانوا إذا قرءوا ذِكْر رسول الله عليه السلام في التوراة، وأنّه مبعوث وأنّه مِن العَرب سألوا مُشركي العَرب عن تلك الصفات؛ ليَعلموا أنّه هل ولد فيهم مَن يوافق حالَه حالَ هذا المنعوت؟[٣]

---

[١] ن ر – قالوا.

[٢] ر: صفة.

[٣] ن ر: المبعوث. | من قوله: "الوجه الثالث" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ١٩٤/٣ (البقرة، ٨٩/٢). وفي مطبوعه «المبعوث» مكان «المنعوت».

**قد قَرُب أوانه، والسينُ للمبالغة؛ أي: يسألون أنفسَهم الفتحَ عليهم؛ كالسِّين في استَعْجَب واستَسْخر، أو: يسألُ بعضُهم بعضًا أن يفتح عليهم.**

**﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ من الحقّ ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ بغيًا وحسدًا وحِرْصًا على الرِّياسة.**

**﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: عليهم، وضعًا للظّاهر موضعَ المضمَر للدلالة على أنَّ اللعنةَ لَحِقَتْهم لكفرهم، واللامُ للعهد، ويجوز أن تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولًا أوّليًّا.**

---

فالمراد بالاستفتاح: طلب اليهود الفَتْحَ مِن المُشركين، وأمّا الإتيان بـ"على" على هذا الوجه فلأنّ اليهود كانوا بسبب المبالغة في السؤال وتكرار ذلك الاستفتاح صاروا ثقلًا[١] عليهم.

قوله تعالى: (﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾) يدلُّ على أنّهم كانوا عارفين بحقيّة[٢] الكتاب ونبوّة النبيّ عليه السلام،[٣] وإنّما كفروا لحرصهم على الدنيا، فإنّهم خافوا أنّهم لو اعترفوا بنبوّته زال رئاستهم وأموالهم؛ فأبَوا وأصرُّوا على الإنكار.[٤]

قوله: (**وَضعًا**)، يعني: إنّما قيل: ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بدلَ "عليهم" وضعًا للظاهر موضع الضمير، ثمّ علّل وَضْع الظاهر موضع الضمير[٥] بقوله: (**للدلالة**)، يعني: لمّا قيل: ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ عُلِم أنّ اللعنة[٦] لحِقتهم لكفرهم. واللام في ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: إن كان للعهد كان هذا الحكم مخصوصًا بهم، وإن كان للجنس دخل هؤلاء[٧] فيه[٨] دخولًا[٩] أوّليًّا، أي: بلا واسطة؛ لأنّ الآية في شأنهم، وأمّا دخول غيرهم؛ فلشمول الكفر لهم.

---

١ ر: نعلًا.

٢ ن ر: لحقيقة.

٣ ن - عليه السلام.

٤ ر: الإمكان.

٥ ن ر - ثمّ علّل وَضْع الظاهر موضع الضمير.

٦ ر: اللفتة.

٧ ن ر: فيه.

٨ ن ر: هؤلاء.

٩ ر + دخولًا.

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾

﴿ما﴾ نكرةٌ منصوبةٌ مفسِّرةٌ لفاعل ﴿بئس﴾ بمعنى: بئس شيئًا ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ والمخصوصُ بالذَّم قولُه: ﴿أَن يَكْفُرُوا۟﴾. و﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾ بمعنى: باعوا.

---

قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾... إلخ.[١]

قوله: ("ما" نكرة)،[٢] يعني أنّ فاعل "بئس" مُضمَر مُبهَم فُسِّر بـ"ما"، والمخصوص بالذمّ ﴿أَن يَكْفُرُوا۟﴾ أي: بئس شيئًا اشتروا به أنفسهم الكفرُ.

قوله: (و﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾) بمعنى: باعوا. في الشِّرى ههنا قولان:

**أحدهما**: أنّه بمعنى: البيع، وبيانه: أنّه تعالى لمّا مكّن[٣] المُكلَّف من الإيمان الذي يُفضي به إلى الجنَّة، والكفر الذي يُؤدِّي به إلى النار، صار اختياره لأحدهما على الآخر بمنزلة اختيار تملُّك سِلعة على سِلعة، فإذا اختار الإيمان الذي فيه فوزه ونجاته قيل: نِعْمَ ما اشترى، ولمّا كان الغرض بالبيع والشِّرى إبدال مِلك بمِلك صَلَح أن يُوصَف كلّ منهما بأنّه بائع ومُشترٍ؛ لوقوع هذا المعنى من كلّ واحد منهما، فصحّ تأويل قوله: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ بأنّ المراد: باعوا أنفسهم بكفرهم؛ لأنّ الذي حصّلوه على منافع أنفسهم لمّا كان هو الكفر صاروا بائعين أنفسهم بذلك.[٤] قال الواحديُّ: «إنّهم اختاروا الكفر وأخذوه وبذلوا أنفسهم للنار؛ لأنّ اليهود خصوصًا علِموا صدق نبيّنا محمّد عليه السلام، وأنّ مَن كذَّبه فالنار عاقبته، فاختاروا الكفر وسلّموا أنفسهم للنار، فكان ذلك كالبيع[٥] منهم».[٦]

والوجه **الثاني**: وقال الإمام:

> هو الأصحُّ عندي: أنّ المُكلَّف إذا كان يخاف على نفسه من عقاب الله تعالى فأتى بأعمال يَظُنّ أنّها تُخلِّصه[٧] مِن العقاب، فكأنّه اشترى نفسه بتلك الأعمال،

---

١ ن ر: الآية.

٢ ن ر: يكره.

٣ ن ر: أمكن.

٤ من قوله: "في الشرى ههنا" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ١٩٧/٣ (البقرة، ٩٠/٢).

٥ ن ر: للبيع.

٦ **الوسيط** للواحدي، ١٧٣/١ (البقرة، ٩٠/٢).

٧ ر: مخلصة.

**﴿بَغۡيًا﴾: حسدًا وطلبًا لِمَا ليس لهم، وهو علّةُ ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ﴾.**

**﴿أَن يُنَزِّلَ﴾، أي: لأنْ يُنَزِّلَ، أو: على أن ينزّل؛ ..............**

---

فهؤلاء اليهود لمّا اعتقدوا[1] فيما أتوا به أنّها تُخلِّصهم مِن العقاب وتُوصِلهم إلى الثواب / فقد ظنّوا أنّهم اشتروا أنفسهم، فذمّهم الله تعالى عليه وقال: ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾. وهذا الوجه أقرب إلى المعنى واللفظ من الأوّل.[2] [١٦٦ظ]

وأقول: هذا الوجه إنّما يصحُّ أن لو لم يكن اليهود عالمين بنبوّة نبيّنا محمّد عليه السلام، وقد مرّ مرارًا أنّهم علِموا وعاندوا. وذكر الإمام بُعَيد هذا القول: أنّه لولا قوله تعالى: ﴿بَغۡيًا﴾ لجوّزنا أن يكون كفرهم جهلًا لا بغيًا.[3] فهذا الاختيار مِن[4] الإمام مع هذا القول يتناقضان.

قوله: (﴿بَغۡيًا﴾) حكايةُ لفظِ القرآن. وقوله: **(حسدًا[5] وطلبًا لِمَا ليس لهم)** تفسيران له، فإنّ البغي جاء بمعنى: الحسد، وبمعنى: الطلب: أمّا الحسد فقال الواحديُّ: قال اللِّحيانيّ: بغيتَ على أخيك[6] بغيًا: حسدتَه.[7] ثمّ قال: فالبغيُ أصله: الحسد، ثمّ سمّى الظلم بغيًا؛ لأنّ الحاسد يظلِم المحسود طلبًا لإزالة نعمة الله عنه. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى ٣٩/٤٢].[8] وأمّا الطلب فقال في **الصحاح**: بغى ضالّته: طلبها، وكذا كلُّ[9] طَلَب بُغاءٌ، بالضمّ والمدّ.[10] قال في **الكواشيّ**: «أصل البغي: الطلب».[11]

قوله: **(وهو)** أي: ﴿بَغۡيًا﴾ **(علّة ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ﴾)**.

قوله: (﴿أَن يُنَزِّلَ﴾) حكايةُ لفظ القرآن. وقوله: **(لأن يُنزِّل أو على أن يُنزِّل)** تفسيران له، وفيه لفٌّ ونشر بغير الترتيب؛ لأنّ قوله: "لأن يُنزِّل" مُتعلِّق بقوله:

---

١ ن ر: اعتدوا.
٢ انظر: **تفسير الرازي**، ١٩٧/٣-١٩٨ (البقرة، ٩٠/٢).
٣ انظر: **تفسير الرازي**، ١٩٨/٣ (البقرة، ٩٠/٢).
٤ ن ر: مع.
٥ ن ر: ح.
٦ ن ر: أخيه.
٧ انظر: **الوسيط** للواحدي، ١٧٣/١ (البقرة، ٩٠/٢).
٨ انظر: **الوسيط** للواحدي، ١٧٣/١ (البقرة، ٩٠/٢).
٩ ن ر - كلّ.
١٠ انظر: **الصحاح** للجوهري، «بغي».
١١ **تفسير الكواشي**، ص ٣٣٤.

أي: حسَدوه على أن ينزِّل الله ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ الذي هو الوحيُ ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ وتقتضي حكمتُه إرْسالَه.

﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾؛ أي: فصارُوا أحقَّاءَ بغضبٍ مترادِفٍ؛ لأنهم كفروا بنبيِّ الحقِّ وبغَوا عليه.

---

"طلبًا لِمَا ليس لهم"، فاللام في "لِمَا" مُتعلِّق بـ"طلبًا" وصِلة[١] له لا تعليل، واللام في "لأن" تعليل، أي: طلبوا ما ليس لهم لإنزال الله تعالى[٢] **القرآن** على رجل من غيرهم. «قال ابن عبّاس رضي الله عنه:[٣] 'كُفر اليهود لم يكن شكًّا ولكن كان بغيًا منهم، حيث صارت النبوَّة في ولد إسماعيل'.[٤] وقال السُّدّيّ: 'لمّا جاءهم محمَّد عليه السلام كفروا به حسدًا، وقالوا: إنّما كانت[٥] الرسُل مِن بني إسرائيل، فما بال هذا من ولد إسماعيل؟'».[٦] وقوله: "على أن يُنزِّل" مُتعلِّق بقوله: "حسدًا". ويجوز أن يكون قوله: "طلبًا لما ليس لهم" تفسير "حسدًا"، فيكون من العطف الذي نذكره[٧] للبيان؛[٨] وذلك لأنّ الحاسد يطلب أن يكون له ما هو للمَحسود، ويكون "لأن" و"على أن" مُتعلِّقان بـ"حسدًا". ولمّا كان الحسد قد يكون لوجوه شتّى بيّن الله تعالى أنّ حسَدهم لإنزال الله تعالى مِن فضله.

قوله تعالى: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾، فسَّره بقوله: **(صاروا أحقّاء)** وقد مضى تقريره. اختلفوا في تفسير الغضبين على وجوه: **الأوّل**: أنّه ليس المراد إثبات الغضبين فقط، بل المراد إثبات أنواع مِن الغضب مُترادفة لغِلَظ كفرهم وعِظَمه،[٩] وباقي الوجوه ظاهر.[١٠] والغضب: عبارة عن التغيُّر الذي يَعرِض في المِزاج

---

١ ن ر - وصلة.

٢ د - تعالى.

٣ د - رضي الله عنه.

٤ معنى قول ابن عبّاس في تفسير ابن أبي حاتم، ١٧٣/١ (البقرة، ٢/٩٠).

٥ ن ر: كان.

٦ **الوسيط** للواحدي، ١٧٣/١ (البقرة، ٢/٩٠). وفي مطبوعه «من بني إسماعيل» مكان «من ولد إسماعيل». وقول السُّدّي جاء بمعناه في **جامع البيان** للطبري، ٢٤٨/٢ (البقرة، ٢/٩٠).

٧ ن ر: يذكره.

٨ ن ر: اللسان.

٩ ر: وعظيمه.

١٠ ن ر: ظاهرة. | انظر الوجه المذكور وثلاثة أخرى في **تفسير الرازي**، ١٩٨/٣ (البقرة، ٢/٩٠).

وقيل: كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى.

وقيل: بعد قولهم: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٩/٣٠]، وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة ٥/٦٤]، وغيرِ ذلك من أنواع كفرهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مطلَقٌ فيما أنزل الله من كلِّ كتاب.

---

عند[1] غَليان دم القلب بسبب مُشاهَدة أمر مكروه. وذلك في حقّ الله تعالى مُحال، فهو محمول على إرادته بمَن[2] عصاه الإضرار[3] من جهة اللَّعْن والتعذيب.

قوله تعالى: «﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾، أي: الجاحدين نبوَّة[4] محمَّد عليه السلام عذابٌ مُهين يُهانون فيه ولا يُعزَّزون».[5] ولهذه العبارة مَزيَّة على قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران ٣/١٧٨]؛ لأنّ العبارة الأولى يدخل فيها[6] هؤلاء الكفّار وغيرهم، والعبارة الثانية لا يدخُل فيها[7] إلّا هم.[8]

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾... إلخ.[9]

هذا نوع آخر من قبائح أفعال اليهود.

قوله: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في محلّ المبتدأ،[10] وقوله: (مُطلَق) خبره، يريد[11] أنّ قوله: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ شامل لجميع ما أنزل الله، فحكى الله تعالى عنهم أنّهم أُمِروا بجميع ما أنزل الله، وهم قيَّدوا[12] بما[13] أُنزِل على آبائهم وهو التوراة، وكفروا بما سواها،

---

١ ن ر: بعد.

٢ ن ر: عمن.

٣ ر: الإضراب.

٤ ر: بنبوّة.

٥ **الوسيط** للواحدي، ١/١٧٤ (البقرة، ٢/٩٠). وفي مطبوعه «يعزُّون» مكان «يعزَّزون».

٦ د: فيه.

٧ ن: فيه.

٨ ر: أنّهم.

٩ ن ر: الآية.

١٠ ن ر: الرفع بالابتداء.

١١ ن ر: يؤيده.

١٢ ن ر: قيّد.

١٣ ن ر: إنّما.

﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ مقيَّدٌ بالتوراة ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾؛ أي: قالوا ذلك والحالُ أنَّهم يكفرون بما وراء التوراة.

---

وأورد تعالى هذه الحكاية عنهم على سبيل الذمّ لهم؛ لأنّه لا يجوز أن يقال لهم: آمنوا بما أنزل / الله إلّا ولهم طريق إلى أن يعرفوا كونه مُنزَّلًا من عند الله، وإذا دلَّ [١٦٧و]
الدليل على كونه مُنزَّلًا من الله وجب الإيمان به.[١]

قوله: (والحال أنّهم يكفرون) يريد أنّ قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ حال، والعامل فيه ﴿قَالُواْ﴾، ووجهه أن يكون المبتدأ محذوفًا، أي: وهم يكفرون، لتكون الجملة اسميّة، فيصحُّ دخول الواو فيها. وقيل: يحتمل أن يكون هذا من تمام كلام اليهود، فكأنّهم قالوا: نُؤمِن بما أُنزِل علينا ونكفر بما وراءه،[٢] ثمّ لمّا حكى الله تعالى ذلك عنهم أورده بلفظ الغَيبة.

وقال ابن الأنباريّ: تمّ[٣] الإخبار عن كلامهم عند قوله: ﴿عَلَيْنَا﴾، ثمّ ابتدأ الله تعالى الإخبار عنهم بقوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾، أي: بما سواه. قال الفرّاء: "وراء" بمعنى "سوى" كثير في العربيّة، يتكلَّم الرجل بالكلام الحَسَن، فيقول السامع: ليس وراء هذا الكلام شيء، يريد ليس سوى هذا الكلام شيء.[٤]

وقال أبو عبيدة: «﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾، أي:[٥] بما بعده»،[٦] يعني: الإنجيل والقرآن ومثل هذا ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء ٢٤/٤]، أي: ما بعده وما سواه. وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ [المؤمنون ٧/٢٣]. قال النابغة:

حلفتُ فلم أترك لنفسيَ ريبةً وليس وراءَ الله للمرء مَذهبُ[٧]
لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنّي[٨] خيانةً لمُبلِغكَ الواشي أغشُّ وأكذبُ[٩]

---

[١] بعض الكلام في تفسير الرازي، ٢٠٠/٣ (البقرة، ٩١/٢).
[٢] ر: ولاءه.
[٣] ر: ثمّ.
[٤] من قوله: "قال ابن الأنباري" إلى هنا بلفظ قريب في الوسيط للواحدي، ١٧٤/١ (البقرة، ٩١/٢). وكلام الفرّاء بمعناه في معاني القرآن، ٦٠/١.
[٥] ر + بما وراءه، أي..
[٦] مجاز القرآن لأبي عُبيدة، ٤٧/١.
[٧] ن ر: ذاهب.
[٨] ن ر: عن.
[٩] ر: أكرب. | البيتان في ديوان النابغة، ص ٧٦-٧٧. وفيه «لنفسك» مكان «لنفسيَ»، و«رسالةً» مكان «خيانةً».

﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ منها غيرَ مخالفٍ له، وفيه ردٌّ لمقالتهم؛ لأنهم إذا كفروا بما يُوافق التوراة فقد كفروا بها.

ثمّ اعترض عليهم بقتلهم الأنبياءَ مع ادِّعائهم الإيمانَ بالتوراة، والتوراةُ لا تُسوِّغُ قتلَ الأنبياء.

---

قال بعض العلماء: همزة "وراء" منقلبة عن الياء؛ لقولهم:[١] تواريتُ. وقيل: هي أصليّة؛ لقولهم في التصغير "وُرَيِّئَة" بالهمز.[٢]

قوله تعالى: (﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ﴾)، يعني: ما وراء التوراة مِن الإنجيل والقرآن، أخبرَ الله تعالى أنّ ما يكفرون به هو الحقُّ.

قوله: (منها) بيان "ما معهم"، والضمير للتوراة.

قوله: (غير مُخالِف له) أي: لِمَا معهم تفسير لقوله: ﴿مُصَدِّقٗا﴾.

قوله: (وفيه) أي: في[٣] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ﴾... إلخ، ردَّ لمقالة اليهود ﴿نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾؛ لأنّ كفرهم بما وراء التوراة ممّا يُوافق التوراة، وهو القرآن مُستلزِم[٤] الكفر بالتوراة؛ لأنّ القرآن يُوافق التوراة فيما يدلُّ على حقيَّة[٥] القرآن ونبوّة النبيّ عليه السلام، فقولهم: ﴿نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ يُناقضه كفرهم بالقرآن. وقوله: ﴿مُصَدِّقٗا﴾ حال[٦] مُؤكِّدة؛ لأنّ كونه ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ يُؤكِّد كونه حقًّا.

قوله: (ثمّ اعترض) يريد أنّ قوله تعالى: ﴿قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ﴾ أمرٌ للنبيّ عليه السلام[٧] بأن يَعرِض[٨] بقَتْلهم الأنبياء عليهم، وعلى قولهم: ﴿نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾، أي: أيَّ كتاب وأيَّ دين جوَّز فيه قَتْل نبيّ، وإنّما جيء بلفظ المضارع في قوله: ﴿فَلِمَ تَقۡتُلُونَ﴾؛ ليدلَّ على أنّ ذلك كان عادتهم، وأنّهم كانوا مُستمرين على ذلك. ويجوز أن يكون لإراءة تلك الحال الشنيعة. ودلَّ قوله تعالى: ﴿مِن قَبۡلُ﴾

---

١ ن ر: لقوله.

٢ ر: بالهمزة. | الكلام بلفظ قريب في الخصائص لابن جنّي، ٣/٢٧٨.

٣ ن ر - في.

٤ ن ر: يستلزم.

٥ ن ر: حقيقة.

٦ ر - حال.

٧ د - عليه السلام.

٨ ن ر: يعترض.

﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ يجوز أن يكون حالًا؛ أي: عبدتُم العِجْلَ وأنتم واضعون العبادةَ غيرَ موضعِها، وأن يكون اعتراضًا بمعنى: وأنتم قومٌ عادتُكم الظلم.

وكُرِّر رفعُ الطُّور لِمَا نِيطَ به من زيادةٍ ليست مع الأُولى مع ما فيه من التوكيد:

---

أنّ المراد الماضي، وأضاف القَتْل إلى المُخاطَبين، وإن كان آباؤهم قد قَتلوا؛ لأنّهم كانوا يتولّون الذين قَتلوا فهم على مذهبهم، وإذا كان كذلك فقد شَرِكوهم. قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ جواب هذا الشرط محذوف، أي: إن كنتم مؤمنين بما أُنزِل[١] عليكم -وهو **التوراة**- فلِمَ تقتلون أنبياء الله؟ فإن **التوراة** لا تُجوّز ذلك، وليس سبيل المؤمنين أن يقتلوا الأنبياء فإنّ قَتْل الأنبياء كُفر.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

الخطاب لليهود، جعل مجيء موسى آباءَهم[٢] كمجيئه إيّاهم؛ لأنّه بلَغهم ما بلَغ آباءهم. والبيِّنات: الدلالات التسع[٣] الواضحة نحو: اليد والعصا وفَلق البحر وتفجير الماء من الحجر والطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم.[٤] ثمّ اتّخذتم العجل معبودًا مِن بعد موسى، أي: بعد ذهاب موسى / إلى الجبل. [١٦٧ظ]

قوله: (﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾) حال، أو جملة مُعترِضة، وقد ذكرهما[٥] المُصنِّف.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾... إلخ.

قوله: (كرّر) أي: إنّما أُعِيد ذِكْر رَفْع الطور لوجهين: **الأوّل**: إنّما كُرِّر ذلك مع زيادة وهي قولهم:[٦] ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، وذلك يدلُّ على نهاية لَجاجهم؛ **الثاني**: أنّ التكرار في هذا وأمثاله للتأكيد.[٧] «قال الحَسَن: 'قالوا: ﴿سَمِعْنَا﴾ بألسنتهم، ﴿وَعَصَيْنَا﴾ بقلوبهم'.[٨] وأكثر المُفسِّرين على أنّهم[٩] قالوا: ﴿سَمِعْنَا﴾

---

١ ن ر: أَنزَل الله.

٢ ن ر: إيّاكم.

٣ ر: التسعي.

٤ انظر: **جامع البيان للطبري**، ٢٦١/٢ (البقرة، ٩٢/٢)؛ **والوسيط للواحدي**، ١٧٥/١ (البقرة، ٩٢/٢)؛ **والبسيط للواحدي**، ١٥٨/٣ (البقرة، ٩٢/٢).

٥ ر: ذكرها.

٦ ن: قوله.

٧ انظر: **تفسير الرازي**، ٢٠١/٣-٢٠٢ (البقرة، ٩٣/٢).

٨ لم أجده منسوبًا إلى الحَسَن في غير **الوسيط والبسيط للواحدي**، ١٥٩/٣ (البقرة، ٩٣/٢).

٩ ر - على أنّهم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ ما أُمرتُم به في التوراة.

﴿قَالُواْ سَمِعْنَا﴾ قولكَ ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمركَ.

**فإن قلتَ:** فكيف طابقَ قولَه جوابُهُم؟

**قلتُ:** طابقَه من حيث إنَّه قال لهم: ﴿اسمعوا﴾ ولْيَكُنْ سماعُكم سماعَ تَقَبُّلٍ وطاعة، فقالوا: ﴿سَمِعْنَا﴾ ولكنْ لا سماعَ طاعة.

---

لمّا أظلّ الجبل فوقهم، فحين كشف عنهم قالوا: ﴿عَصَيْنَا﴾».[1] قال أبو مسلم: يجوز أن يكون المعنى: سمعوه فلَقُّوه بالعصيان، فيكون حالهم كحال مَن قال ذلك القول، فعُبِّر عن ذلك بالقول وإن لم يقولوا؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت ١١/٤١]،[2] وكقوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية ٢٩/٤٥]، وكقول القائل:

امتلأ[3] الحوضُ وقال قَطْني[4]

فإن قيل: لِمَ[5] لم يقُل: وأُشرِب قلوبُهم العِجلَ، وهو أخصَر وأوجَز؛ قلنا: مبالغة في التأكيد بإسناد الفعل أوّلًا إلى الجملة، ثمّ بتخصيص القلوب به، كما نقول: ضُرِبوا على رءوسهم. وأراد: "حُبَّ العِجل" فحذف المضاف. ثمّ إنّ قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ﴾ يدلُّ على أنّ فاعلًا غيرَهم فعل بهم ذلك، لكن[6] لمّا عُلِم أنّه لا يقدِر على ذلك الفعل سوى الله تعالى جيء بالفعل مجهولًا.

---

١ الوسيط للواحدي، ١٧٦/١ (البقرة، ٩٣/٢). وفيه «والمفسّرون اتفقوا» مكان «وأكثر المُفسِّرين».

٢ انظر قول أبي مسلم في تفسير الرازي، ٢٠٢/٣ (البقرة، ٩٣/٢).

٣ ن ر: املا.

٤ ن ر: بطني. | البيت لأبي النجم العِجلي في ديوانه، ٤٤٥؛ وهو له في **الزاهر** لابن الأنباري، ٣٢٣/٢؛ وهو بلا نسبة في **الصحاح** للجوهري، «قطط». وفيهما أن معنى قطني: حسبي.

٥ ن ر: لو.

٦ ن ر – لكن.

﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾؛ أي: تَداخَلَهم حبُّه والحرصُ على عبادتهِ كما يَتداخَلُ الثَّوْبَ الصِّبْغُ.

وقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾ بيانٌ لمكانِ الإشراب؛ كقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء ١٠/٤].

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾: بسبب كفرهم.

﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ بالتَّوراة؛ لأنَّه ليس في التوراة عبادةُ العجاجيل.

وإضافةُ الأمْرِ إلى إيمانهم تهكُّمٌ؛ كما قال قومُ شعيب عليه السلام: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود ٨٧/١١]، وكذلك إضافةُ الإيمان إليهم وقولُه: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تشكيكٌ في إيمانهم وقدْحٌ في صحة دعواهم له.

---

قوله: (﴿بِكُفْرِهِمْ﴾) فسَّره بقوله: بسبب كفرهم. قيل: أي: باعتقادهم التشبيه؛ لأنّهم طلبوا ما يُتصوَّر في نفوسهم.[١] وقيل: أي بسبب تجويزهم العبادة لغيره تعالى.[٢]

قوله تعالى:[٣] (﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾) فاعل "بئس" ضمير مُبهَم مفسَّر بـ"ما"، وفاعل ﴿يَأْمُرُكُم﴾ ضمير عائد إلى الكفر، و﴿إِيمَٰنُكُمْ﴾ مخصوص بالذمّ، أي: «فبئس الإيمان إيمانٌ يأمركم بالكفر. وهذا تكذيب لهم؛ لأنّهم كانوا يزعُمون أنّهم مؤمنون، لأنّهم قالوا: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، فكذَّبهم الله تعالى، وعيَّرهم بعبادة العجل؛ وذلك أنّ آباءهم ادَّعوا الإيمان ثمّ عبدوا العِجل».[٤] والعِجل: من أولاد البقر حين تضعه أمّه إلى شهر، والجمع عِجَلة، والعِجَّوْل مِثله، والجمع عجاجيل.[٥]

قوله: (تشكيك)؛ لأنّ "إنْ" للشكّ.

وقوله: (له)[٦] مُتعلِّق بـ(دعواهم)،[٧] أي: إنّما أتى بـ"إنْ" في قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ للتشكيك في إيمانهم، وللقدح في دعواهم للإيمان.[٨]

---

١ ر: نفسهم.
٢ انظر ملخَّص القولين في **تفسير الرازي**، ٢٠٢/٣ (البقرة، ٩٣/٢).
٣ ر - قوله تعالى.
٤ **الوسيط** للواحدي، ١٧٦/١ (البقرة، ٩٣/٢).
٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «عجل».
٦ ر - له.
٧ ن ر: يدعونهم.
٨ ن: الإيمان. | انظر: **تفسير الرازي**، ٢٠٣/٣ (البقرة، ٩٣/٢).

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿خَالِصَةً﴾ نصبٌ على الحال من ﴿الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾، والمراد: الجنَّةُ؛ أي: سالمةً لكم خاصَّةً بكم ليس لأحدٍ سواكم فيها حقٌّ، بدليلِ قوله: ﴿مِّن دُونِ النَّاسِ﴾، يعني: إن صحَّ قولُكم: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البقرة ١١١/٢].

و﴿النَّاسِ﴾ للجنس، وقيل: للعهد، وهم المسلمون.

﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ لأنَّ مَن أيقَن أنَّه من أهل الجنَّة اشتاقَ إليها وتمنَّى سرعةَ الوصول إلى النَّعيم والتخلُّص من الدَّار ذاتِ الشوائب؛ كما رُوي عن المُبشَّرينَ بالجنَّة ما رُوي، كان عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه يطوفُ بين الصَّفَّيْن في غِلالَةٍ، فقال له ابنُه الحسنُ رضي الله عنه: ما هذا بزيِّ المحاربين، فقال: يا بنيَّ، لا يُبالي أبوك ..............................

---

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾... إلخ.

هذا إشارة إلى نوع آخر من قبائح أفعالهم، وهو: ادِّعاؤهم أنَّ الدار الآخرة لهم[١] في قولهم:[٢] ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾.[٣]

قوله: (﴿خَالِصَةً﴾) نصبٌ على الحال من ﴿الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾: هذا عند مَن يُجوِّز وقوع[٤] اسم كان ذا الحال ظاهرٌ، وأمّا عند مَن منع فهو حال من الضمير المستتر في الخبر العائد إلى ﴿الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾.

قوله: (فيها) أي: في الجنَّة.

قوله: («بين الصفَّين») أي: صفُّ العدوّ وصفُّ المسلمين. و"الغِلالة": شِعار يُلبَس[٥] تحت الثوب وتحت الدرع أيضًا، ويقال له بالفارسيّة "عرق چين". و"الزِّيّ": اللِّباس.

---

[١] ر: بهم.
[٢] ن ر - في قولهم.
[٣] انظر: تفسير الرازي، ٢٠٣/٣ (البقرة، ٩٤/٢).
[٤] ر - وقوع.
[٥] ن ر + مِن.

على الموت سَقَط أم عليه سَقَط الموتُ.

وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: أنّه كان يتمنّى الموت، فلما احتُضِرَ قال: حبيبٌ جاء على فاقَةٍ لا أفلحَ مَن نَدِمَ. يعني: على التمنّي.

وقال عَمَّارٌ بِصِفِّين: الآن أُلاقي الأحِبّهْ محمدًا وحِزْبَهْ، صلى الله عليه وعليهم.

وكان كلُّ واحدٍ من العشرة رضي الله عنهم يحبُّ الموت ويَحِنُّ إليه.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «لو تمنَّوا الموتَ لَغَصَّ كلُّ إنسانٍ بريقه فماتَ مكانَه، وما بقي على وجه الأرض يَهوديٌّ».

---

قوله: («على الموت سقط») يريد: أنّه قتَل واحدًا من الأعداء.

قوله: («أم عليه سقط الموت»)[١] أي: قتَله العدوّ، يعني: لا يبالي أن يكون غازيًا أم شهيدًا؛ لأنّ غرضه حصول الثواب.

قوله: (احتُضِر)، أي: حضره الموت.

قوله: («على فاقة») حالٌ من المفعول، أي: جاءني الحبيب حالَ احتياجي إليه.[٢]

قوله: (يعني) يريد: أنّ صلة («ندِم»)[٣]/ محذوف، أي: مَن ندِم[٤] على تمنّي الموت. وصِفّين: اسم موضع قُرب المدينة،[٥] وقع فيه الحرب بين عليّ ومعاوية. [١٦٨و]

قوله عليه السلام: («لو تمنَّوا»)، أي: اليهود («لغَصّ»)،[٦] والغُصَّة: الشجى وهو ما نشِب في الحَلْق.

---

١ انظر لتفصيل تخريج الحديث: **تخريج أحاديث الكشّاف** للزَّيلَعي، ١/٧٤-٧٥.

٢ ن - إليه.

٣ انظر لتفصيل تخريج الحديث: **تخريج أحاديث الكشّاف** للزَّيلَعي، ١/٧٤-٧٥.

٤ ن ر: يذمّ.

٥ ليست كما ذكر، والصواب أنّ صفّين: موضع بقرب الرقّة على شاطئ الفرات من الجانب الغربيّ، بين الرقّة وبالس. **معجم البلدان** للحموي، ٣/٤١٤.

٦ **جامع البيان** للطبري، ٢/٢٦٧-٢٦٩ (البقرة، ٢/٩٤)؛ **تفسير ابن أبي حاتم**، ١/١٧٧ (البقرة، ٢/٩٤)؛ **الكشف والبيان** للثعلبي، ٣/٤٥١ (البقرة، ٢/٩٤). وانظر لتفصيل تخريج الحديث: **تخريج أحاديث الكشّاف** للزَّيلَعي، ١/٧٥.

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: بما أسلفوا من مُوجِبات النّار: من الكفر بمحمّدٍ صلى الله عليه وسلم وما جاء به، وتحريفِ كتاب الله، وسائرِ أنواعِ الكفر والعِصْيان.

وقوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ من المعجزات؛ لأنّه إخبارٌ بالغَيْب وكان كما أخبرَ به؛ كقوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة ٢٤/٢].

**فإن قلتَ**: ما أدراكَ أنهم لم يتمنَّوا؟

**قلتُ**: لأنهم لو تمنَّوا لنُقل ذلك كما نُقل سائرُ الحوادث، ولكان ناقِلُوه من أهلِ الكتاب وغيرِهم من أُولي المطاعِن في الإسلام أكثرَ من الذّرّ، وليس منهم أحدٌ نَقَل ذلك.

**فإن قلتَ**: التَّمنِّي من أعمال القلوب وهو سرٌّ لا يطَّلِعُ عليه أحدٌ، فمِن أينَ علمتَ أنهم لم يتمنَّوا؟

**قلتُ**: ليس التمنّي من أعمال القلوب، إنما هو قولُ الإنسان بلسانه: ليت لي كذا، فإذا قاله قالوا: تمنَّى، و"ليتَ" كلمةُ التمنّي، ومحالٌ أنْ يقعَ التَّحدِّي بما في الضمائر والقلوب، ولو كان التمنّي بالقلوب وتمنَّوا لقالوا: قد تمنَّينا الموتَ في قلوبنا، ولم يُنْقل أنهم قالوا ذلك.

---

قوله تعالى: (﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾) «أي: بما قدَّموه وعملوه، فأضاف ذلك إلى اليد؛ لأنّ أكثر جنايات الإنسان باليد، فيضاف إليها كلُّ جناية وإن لم يكن لليد فيها عمَل».[١] وهذا بيان السبب الذي لأجله لا يتمنَّون الموت؛ لأنّهم إذا علموا سوء طريقتهم وكثرة ذنوبهم دعاهم ذلك إلى ألّا يتمنَّوا الموت.[٢]

قوله: (**ولو كان التمنّي**) منَع المُصنِّف أوّلًا أنّ التمنّي من أفعال القلوب ليتحقَّق أنّهم لو تمنَّوا لنُقِل إلينا، ثمّ سلَّم بقوله: "ولو كان"... إلخ، أنّه من أفعال القلوب، وقال: ولو كان من أفعال[٣] القلوب لوجب أنّهم إذا تمنَّوا بقلوبهم

---

١ **الوسيط** للواحدي، ١٧٧/١ (البقرة، ٩٥/٢).
٢ انظر: **تفسير الرازي**، ٢٠٧/٣ (البقرة، ٩٥/٢).
٣ د ن - أفعال.

**فإن قلتَ**: لَمْ يقولوه لأنهم علموا أنهم لا يُصَدَّقون!

**قلتُ**: كم حُكي عنهم من أشياءَ قاوَلوا بها المسلمين: من الافتراء على الله، وتحريفِ كتابه، وغيرِ ذلك ممّا علموا أنهم غيرُ مصدَّقين فيه، ومما لا مَحمَلَ له إلّا الكذِبُ البَحتُ، ولم يُبالوا، فكيف يمتنعون من أن يقولوا: إنَّ التمنِّيَ من أفعال القلوب وقد فعلنَاه، مع احتمالِ أن يكونوا صادقين في قولهم وإخْبارهم عن ضمائرهم، وكان الرجل يُخبر عن نفسه بالإيمان فيُصدَّق مع احتمالِ أنْ يكون كاذبًا؛ لأنه أمرٌ خافٍ لا سبيلَ إلى الاطِّلاع عليه.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تهديدٌ لهم.

**﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾**

---

أن يقولوا بألسنتهم قد تمنينا بقلوبنا؛ ليردُّوا بذلك قول الله تعالى:[١] ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ﴾، ولمّا لم يقولوا عُلِم أنّهم ما تمنَّوا.

قوله: (لم يقولوه) يعني: يجوز أن يكونوا قد تمنَّوا بقلوبهم، ولكن لم يقولوا بألسنتهم تمنِّيًا؛[٢] لأنّهم علموا أنّهم لا يُصدَّقون في هذا القول. وجوابه: أنّه لم يكن دأبهم ألّا يقولوا إلّا ما يُصدَّقون فيه.

قوله تعالى: (﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾) تهديدٌ لهم؛ لأنّه إذا كان عالمًا بالسرّ والنجوى، ولم يمكن إخفاء شيء عنه صار تصوُّر المُكلَّف لذلك مِن أعظم الصوارف عن المعاصي. وإنّما ذكر الظالمين دون الكافرين؛ لأنّ كلّ كافر ظالم وليس كلّ[٣] ظالم كافرًا، فلمّا كان ذلك أعمُّ كان[٤] أولى بالذِّكر.[٥]

قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾... إلخ.

---

١ د - تعالى.
٢ ن: تمنينا.
٣ ن ر - كلّ.
٤ ر - كان.
٥ انظر: تفسير الرازي، ٢٠٧/٣ (البقرة، ٩٥/٢).

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ هو من "وَجَدَ" بمعنى "عَلِم" المتعدِّي إلى مفعولَين في قولهم: وجدتُ زيدًا ذا الحِفَاظِ، ومفعولاه: "هم أحرَصَ".

**فإن قلتَ**: لم قال: ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ بالتنكير؟

**قلتُ**: لأنه أراد حياةً مخصوصةً وهي الحياة المتطاولةُ، ولذلك كانت القراءة بها أوقعَ من قراءة أُبَيّ: "على الحياة".

---

لمّا أخبر الله تعالى في الآية المُتقدِّمة أنّهم لا يتمنَّون الموت أَخبَر في هذه الآية أنّهم في غاية الحرص على الحياة؛ إذ لا يَلزم من عدم تمنِّي الموت الحرصُ الشديد.[١] وإنّما دخلَت اللام ونون التأكيد في ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾؛ لأنّه جواب قَسَم محذوف، والتقدير: والله لَتجدنَّهم.[٢]

قوله: (**هو**) أي: قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾.

قوله: (**بمعنى "عَلِم"**) وإنّما قال ذلك؛ لأنّه لو كان "وجَد" بمعنى "أصاب" و"صادف" لتعدَّى إلى واحد. وقوله: (**المُتعدّي إلى مفعولين**) يجوز أن يكون صفة لفظ "وجَد"، فيكون كالتقرير لقوله: "بمعنى: علم"؛ ويجوز أن يكون بمعنى "علِم"؛ ويجوز أن يكون صفة "علِم" فيكون احترازًا عن "علِم" المُتعدّي إلى واحد، وذلك إذا كان بمعنى "عرف"، والثاني أصوَب. و"المحافظة": المراقبة، وفلان ذو حِفاظ ومُحافظة، أي: ذو أَنَفة.[٣]

قوله: (**مفعولاه**) أي: مفعوله **الأوّل**: "هم" **والثاني**: ﴿أَحْرَصَ﴾، «والحِرص: شدَّة الطلَب».[٤]

قوله: (**"على الحياة"**) قراءة شاذّة.[٥]

---

١ انظر: تفسير **الرازي**، ٢٠٨/٣ (البقرة، ٩٦/٢).

٢ انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ٤٥٣/٣ (البقرة، ٩٦/٢)؛ و**الوسيط** للواحدي، ١٧٧/١ (البقرة، ٩٦/٢).

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «حفظ».

٤ **الوسيط** للواحدي، ١٧٧/١ (البقرة، ٩٦/٢).

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبي بن كعب رضي الله عنه. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٦٩؛ **البحر المحيط** لأبي حيّان، ٥٠٢/١ (البقرة، ٩٦/٢).

﴿ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ محمولٌ على المعنى؛ لأن معنى ﴿أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ﴾: أحرص مِن الناس.

**فإن قلتَ:** أَلَم يدخل ﴿ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ تحت ﴿ٱلنَّاسِ﴾؟

**قلتُ:** بلى، ولكنهم أُفْرِدوا بالذكر لأن حرْصهم شديدٌ.

ويجوز أن يرادَ: وأحرصَ مِن الذين أشركوا، فحُذف لدلالةِ ﴿أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ﴾ عليه، وفيه توبيخٌ عظيم؛ ..................................

---

قوله: (محمول على المعنى) يريد أنّ قوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلنَّاسِ﴾؛ لأنه في حكم قولك: "مِن الناس"؛ لأنّ الإضافة في اسم التفضيل مُعاقِبة لـ"مِن"، فكأنّه قيل: أحرصَ مِن الناس ومِن الذين، كقولك: هو أسخى الناس ومِن حاتم.[١]

قوله: (ألم يدخُل؟) يريد أنّه لمّا كان ﴿ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ داخلين تحت ﴿ٱلنَّاسِ﴾ فما فائدة ذِكْرهم مرّة أخرى؟ فأجاب: بأنّه لمّا زاد حِرْص المُشركين على حِرْص سائر الناس أُعِيد ذِكْرهم لزيادة بيان حِرْصِ اليهود.

قوله: (ويجوز) عطفٌ من حيث المعنى على قوله: / "محمول"، وعلى هذا الوجه يكون المعطوف مجموع المُضاف والمُضاف إليه، فكأنّه كُرِّر[٢] اسم التفضيل، واستُعمل أوّلًا بالإضافة وثانيًا بـ"مِن". وقيل: إنّما دخلت "مِن" في قوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾، ولم تدخل في قوله: ﴿أَحۡرَصَ﴾؛ لأنّ اليهود بعض الناس، وليسوا بعض الذين أشركوا؛ تقول: الياقوت أفضل الحِجارة وأفضل من الزُّجاج؛ وذلك لأنّ الياقوت مِن الحجارة، وليس من الزُّجاج. [١٦٨ظ]

---

١ انظر هذا التأويل في **معاني القرآن** للفرّاء، ٦٢/١-٦٣، وفيه «هَرِم» مكان «حاتم»؛ و**معاني القرآن وإعرابه** للزّجاج، ١٧٨/١؛ وهو عن الفرّاء في **الكشف والبيان** للثعلبي، ٤٥٣/٣ (البقرة، ٩٦/٢). وذكر الرازي أنّه قول الفرّاء والأصمّ. انظر: **تفسير الرازي**، ٢٠٨/٣ (البقرة، ٩٦/٢).

٢ ن ر - كُرِّر.

لأنّ الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبةٍ، وما يَعرفون إلا الحياةَ الدنيا، فحِرْصُهم عليها لا يُسْتَبْعد لأنها جنَّتهم، فإذا زاد عليهم في الحرْص مَن له كتابٌ وهو مُقِرٌّ بالجزاء كان حقيقًا بأعظمِ التوبيخ.

فإن قلتَ: لمَ زَاد حِرْصُهم على حرصِ المشركين؟

قلتُ: لأنهم عَلِموا -لعِلْمِهم بحالهم- أنهم صائرون إلى النار لا محالةَ، والمشركون لا يعلمون ذلك.

وقيل: أراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ المجوسَ؛ لأنهم كانوا يقولون لملوكهم: عِشْ ألفَ نَيْروز وألفَ مِهْرجان، وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه: هو قولُ الأعاجم: زي هزار سال.

وقيل: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ كلامٌ مبتدأٌ؛ ..............................

---

قوله: (وقيل) أراد: قال أبو العالية والربيع: «أراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾: المجوسَ».[١] وإنّما وُصِفوا بالإشراك؛ لأنّهم يقولون بالنور والظُّلمة، وهم موصوفون بالحرص على الحياة، ولذا جعلوا التحيّة بينهم («زِيْ هَزارْ سالْ»).[٢] فقوله: (وقيل: أراد) عطفٌ من حيث المعنى على قوله: (لأنّ الذين أشركوا)... إلخ، فكأنّه قال: أراد بالذين أشركوا مُنكري البعث؛ لأنّ مُنكري البعث[٣] أحبُّوا الحياة الدنيا لعدم رجائهم الحياة بعد الموت، أو أراد المجوس لشدَّة حرصهم.

قوله: (هو قول الأعاجم) أي: تمنّي أحدهم أو حرصه أو مودَّته قول الأعاجم. وعلى ما ذكرنا لا وقف إلى قوله: ﴿أَشْرَكُواْ﴾.[٤]

قوله: (وقيل: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾) هذا عطفٌ من حيث المعنى على قوله:

---

١ جامع البيان للطبري، ٢٧٧/٢ (البقرة، ٩٦/٢)؛ تفسير ابن أبي حاتم، ١٧٩/١ (البقرة، ٩٦/٢)؛ الوسيط للواحدي، ١٧٧/١ (البقرة، ٩٦/٢)؛ البسيط للواحدي، ١٦٨/٣ (البقرة، ٩٦/٢).

٢ الكلام كلُّه بتصرُّف يسير في الوسيط للواحدي، ١٧٧/١ (البقرة، ٩٦/٢)؛ والبسيط للواحدي، ١٦٨/٣ (البقرة، ٩٦/٢). وفيهما «زِهْ» مكان «زِيْ»، وفيهما أنّ معنى عبارة الفُرس المذكورة: «عِش ألفَ سنة». ووردت عبارة الفُرس مروية عن ابن عبّاس رضي الله عنه في جامع البيان للطبري، ٢٧٨/٢ (البقرة، ٩٦/٢)؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ١٧٩/١ (البقرة، ٩٦/٢).

٣ ن ر - لأنّ مُنكري البعث.

٤ ن ر - قوله: ﴿أَشْرَكُواْ﴾.

أي: ومنهم ناسٌ يودُّ أحدُهم، على حذفِ الموصوف؛ كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾ [الصافات ٣٧/١٦٤] و﴿ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ على هذا مشارٌ به إلى اليهود؛ لأنهم قالوا: ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٩/٣٠].

الضميرُ في قوله: ﴿وَمَا هُوَ﴾ لـ﴿أَحَدُهُمۡ﴾ و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ فاعلُ ﴿بِمُزَحۡزِحِهِۦ﴾؛ أي: وما أحدُهم بمَن يُزَحْزحُه من النَّار تعميرُه.

وقيل: الضميرُ لِمَا دلَّ عليه ﴿يُعَمَّرَ﴾ من مصدره، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ بدلٌ منه.

---

"محمول على المعنى"، يعني: تكون هذه الواو للاستئناف، وقد تمّ الكلام عند قوله: ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾، والتقدير: ومن الذين أشركوا ناسٌ ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ﴾، فـ(ناس) مبتدأ، (﴿يَوَدُّ﴾) صفته، ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ﴾ خبره، حُذِف الموصوف وأقيم الصفة مُقامه، كقوله[1] تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ﴾ [الصافات ٣٧/١٦٤]، أي: ما منّا أحد إلّا له مقام، وعلى هذا المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾: اليهود سُمُّوا[2] مُشركين[3] لقولهم: عُزير ابن الله، فيكون الوقف على قوله: ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾، ثمّ على ﴿أَلۡفَ سَنَةٍ﴾.

وقيل: على هذا الوجه الاستئنافيّ أيضًا المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾: المجوس. فذكر أوّلا أنّ اليهود أحرصُ من جميع الناس على حياة، ثمّ ذكر أنّ من[4] المجوس قومًا[5] ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٍ﴾، وهم من الناس لا مَحالةَ، فيلزم أن يكون حرص اليهود أشدُّ مِن هؤلاء أيضًا، وهذا الوجه لم يذكره المُصنِّف.

قوله: (والضمير)[6] اختلفوا في أنّ الضمير في قوله: (﴿وَمَا هُوَ﴾) عائد إلى ماذا؟ على ثلاثة أوجه.

قوله: (مِن مصدره) بيان (ما)، كأنّه قيل: وما التعمير بمُزحزحه مِن العذاب تعميرُه؛ لأنّ[7] يُعمَّر دلَّ على مصدره، كقوله:

---

١ ن ر: لقوله.
٢ ر: سمعوا.
٣ ر: تشركين.
٤ ر – من.
٥ ر: قوم.
٦ سقط الواو من مطبوع الكشّاف. وهي مثبتة في حاشية الجاربردي وما وقفت عليه من أصول الكشّاف.
٧ ن ر + أن.

ويجوز أن يكون ﴿هُوَ﴾ مبهَمًا و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ مُوضِحَهُ.

الزحزَحَةُ: التبعيدُ والإنحاء.

فإن قلتَ: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ ما موقعُه؟

قلتُ: هو بيانٌ لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف.

فإن قلتَ: كيف اتّصل ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾ بـ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾؟

قلتُ: هي حكايةٌ لوَدادتهم، و﴿لَوْ﴾ في معنى التمنّي، وكان القياس: لو أُعَمَّرُ، إلا أنّه جرى على لفظ الغَيْبَة لقوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾؛ كقوله: حَلَفَ باللهِ ليَفْعَلَنَّ.

---

إذا زُجِر السَّفيهُ[1] جرى إليهِ[2]

«أي: إلى السَّفَه».[3]

قوله: (والإنجاء)[4] رُوِيَ بالجيم والحاء، يعني: وإن عُمِّر فعاقبته[5] النار.

قوله: (هو بيان لزيادة حرصهم، على طريق الاستئناف) فالله تعالى بعد أن ذكر أنّهم أحرصُ الناس بيّنه بهذه الجملة على طريق الاستئناف، ويلزَم منه بُعدهم عن تمنّي الموت من حيث إنّهم يتمنّون هذا البقاء، ومَن هذا حاله كيف يتمنّى الموت؟[6] واعلم أنّ هذا السؤال والجواب على الوجه الأوّل والثاني، وأمّا على الوجه الثالث فهو صفة موصوف محذوف على ما مرّ.

قوله: (هو حكاية لودادتهم) أي: لمّا كانوا يقولون عند التمني ولا شكّ أنّهم كانوا يقولون: لو أُعمَّر ألف سنة، أي: ليتني أُعمَّر،[7] فلو حُكِيَ قولهم لقيل:

---

[1] ر: السفينته.

[2] ما عرفتُ قائله. وهو بلا نسبة في معاني القرآن للفرّاء، ١٠٤/١، ٢٤٩؛ والمُحتسَب لابن جنّي، ١٧٠/١؛ وشرح الحماسة للمرزوقي، ٢٤٤/١؛ وأمالي ابن الشجري، ١٠٣/١، وفيها جميعًا «نُهِيَ» مكان «زُجِر»، إلّا في شرح الحماسة. وعجزه في تلك المصادر:

وخالَفَ والسَّفيهُ إلى خِلافِ

[3] شرح الحماسة للمرزوقي، ٢٤٤/١.

[4] ن: الانجيار.

[5] ن ر + إلى.

[6] انظر أكثر هذا الكلام في تفسير الرازي، ٢٠٩/٣ (البقرة، ٩٦/٢).

[7] ر: عمر.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ فيجازيهم.

﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧﴾

﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾: روي: أن عبدَ الله بنَ صُوريا من أحْبارِ فَدَكَ حَاجَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمَّن يَهبِطُ عليه بالوحي، فقال: «جبريلُ» فقال: ذاك عدُوُّنا، ولو كان غيرَه لآمنَّا بك وقد عادانا مرارًا، وأشدُّها أنَّه أُنزل على نبيِّنا أن بيت المقدس سيُخرِّبه بُختَ نَصَّرُ فبَعَثْنا مَن يقتله، فَلَقِيَه ببابل غلامًا مسكينًا فدفَع عنه جبريلُ عليه السلام وقال: إن كان ربُّكم أمَره بهلاككم فإنَّه لا يُسلِّطكم عليه، وإن لم يكن إيَّاه فعلى أيِّ حقٍّ تقتلونه؟

وقيل: أمَره الله تعالى أن يَجعلَ النبوَّةَ فينا فجعلَها في غيرنا.

---

لو أُعمَّر،[1] لكن حُكِيَ / عنهم بطريق الغَيبة؛ لأنَّهم غائبون، ومثله جائز تقول: [١٦٩و] "حلف بالله لأفعلنَّ"،[2] إذا حكيتَه على ما قال، و"ليفعلَنَّ"، إذا اعتبرتَ كونه غائبًا. وكأنَّ حاصل هذا المعنى يعود إلى تقدير القول، أي: يودُّ أحدهم العيش الطويل، يقول: لو أُعمَّر. وقيل: "لو" بمعنى "أنْ" الناصبة للفعل المضارع،[3] ولكن لا يَنصِب الفعل فهو في محلّ المفعول، أي: يودُّ أحدهم[4] أن يُعمَّر، أي: تعميره.

قوله تعالى:[5] ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ اعلم أنَّ قراءة السبعة بياء الغيبة، وقُرِئَ في الشاذّ بتاء الخطاب.[6]

قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾... إلخ.

هذا إشارة إلى نوع آخر من قبائح فِعْل اليهود ومنكرات أفعالهم وأقوالهم.

---

١ ن: عمر.
٢ ن + كذا.
٣ ن ر - المضارع.
٤ ر: أحد.
٥ ن ر - تعالى.
٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحَسَن وقتادة وسلّام ويعقوب. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٦٩، قراءة يعقوب؛ المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٤٤٠.

ورُوِي: أنه كان لِعُمرَ رضي الله عنه أرضٌ بأعلى المدينة، وكان مَمَرُّه على مَدَارِسِ اليهود، فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم، فقالوا: يا عمر، قد أحْببناك وإنَّا لنطمَع فيك، فقال: واللهِ ما أجيئكم لحبِّكم، ولا أسْألُكم لأنِّي شاكٌّ في ديني، وإنّما أدخُلُ عليكم لأزْدادَ بصيرةً في أمر محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وأرى آثاره في كتابكم، ثمّ سألهم عن جبريل فقالوا: ذاك عدُوُّنا يُطْلِع محمدًا على أسْرارنا، وهو صاحب كلِّ خَسْفٍ وعذابٍ، وإن ميكائيل يجيءُ بالخِصْب والسلام، فقال لهم: وما منزلتُهما من الله تعالى؟ قالوا: أقربُ منزلةٍ: جبريلُ عن يمينه وميكائيل عن يساره، وميكائيلُ عدوٌّ لجبريل، فقال عمرُ رضي الله عنه: لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوَّيْن، ولأنتم أكفرُ من الحمير، ومَن كان عدوًّا لأحدهما كان عدوًّا للآخر،

---

واعلم أنّه لا بدَّ من سبب وأَمْر قد ظهر مِن اليهود حتّى أَمَر الله تعالى نبيَّه بأن[١] يخاطبهم بذلك؛ لأنّه يَجري مَجرى المُحاجّة. والمُفسِّرون ذكروا وجوهًا،[٢] وذكر المُصنِّف بعضًا[٣] منها.

قوله: («ثمّ سألوه[٤] عن جبرئيل،[٥] فقالوا: ذاك[٦] عدوّنا») أي: سألَت اليهود عمرَ عن جبرئيل، فأجابهم عمر بما أجاب، وجرت القصّة بينهم حتّى[٧] قالوا: جبرئيل عدوّنا. وقال الإمام في مثل هذا الموضع: ثمّ سألهم عن جبرئيل فقالوا.[٨] قوله: («ولأنتم[٩] أكفر من الحمير»)[١٠] هو رجل من عاد، مات له أولاد، فكفر كفرًا عظيمًا، فما يمرُّ بأرضه أحد إلّا دعاه إلى الكفر، فإن أجاب وإلّا قتله.

---

١ ن: أن.

٢ انظر الكلام بتصرف يسير في تفسير الرازي، ٢١٠/٣ (البقرة، ٩٧/٢).

٣ ر: بعضها.

٤ ن ر – سألوه. | وما أثبتُّه هو الذي في د، وهو المطابق لأكثر أصول الكشّاف التي راجعتها، وفي بعضها: سألهم.

٥ ن ر: جبريل.

٦ ن ر: ذلك.

٧ ن – اليهود عمرَ عن جبرئيل، فأجابهم عمر بما أجاب، وجرت القصّة بينهم حتى.

٨ انظر: تفسير الرازي، ٢١٠/٣ (البقرة، ٩٧/٢).

٩ ر: ولا يتمّ.

١٠ ن ر: الجهر. | حديث عمر رضي الله عنه في جامع البيان للطبري، ٢٨٧/٢-٢٨٨ (البقرة، ٩٧/٢)؛ تفسير ابن أبي حاتم، ١٨١/١-١٨٢ (البقرة، ٩٧/٢). وانظر لتفصيل تخريجه: تخريج أحاديث الكشّاف للزَّيلَعي، ٧٦/١-٧٧.

ومَن كان عدوًّا لهما كان عدوًّا لله، ثم رَجع عمرُ رضي الله عنه فوجدَ جبريل قد سبقَه بالوحي، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لقد وافَقَك ربُّك يا عمرُ»، قال عمر: لقد رأيتُني في دينِ الله بعد ذلك أصلَبَ من الحجر.

وقرئ: "جَبْرَئيل" بوزن قَفْشلِيل، و: "جَبْرَئل" بحذف الياء، و: "جَبْريل" بحذف الهمزة، و: "جِبْرِيل" بوزن قِنْدِيلٍ، و: "جَبْرَالٌ" بلامٍ شديدة، و: "جَبْرائيل" بوزن جَبْراعيل، و: "جَبْرائل" بوزن جَبْراعل.

ومنعُ الصَّرفِ فيه للتعريف والعُجْمة، وقيل: معناه: عبد الله.

الضميرُ في ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ للقرآن، ونحوُ هذا الإضمار -أعني: ..................

---

قوله: (قُرِئ "جبرئيل"): قرأ ابن كثير: "جَبْرِيل"[١] هنا وفي التحريم بفتح الجيم وكسر الراء[٢] من غير همز،[٣] وقرأ أبو بكر بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة من غير ياء، وقرأ حمزة والكسائي مثله، إلّا أنّهما يجعلان ياء بعد الهمزة، والباقون بكسر الجيم والراء من غير همز.[٤] وباقي القراءات التي ذكرها في "جبرئيل"[٥] شاذّة.[٦] والقَفْشليل: المِغرَفة فارسيٌّ مُعرَّب.[٧]

قوله: (وقيل معناه: عبد الله) «رُوِيَ عن ابن عبّاس أنّه قال: 'إنّما جبرئيل وميكائيل كقولنا: عبد الله وعبد الرحمن'».[٨]

قوله: (الضمير في ﴿نَزَّلَهُۥ﴾)، في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ قولان: «الأوّل: أنّ الهاء الأولى تعود على جبرئيل،[٩] والثانية على القرآن، وإن لم يَجْرِ له ذِكْر؛ لأنّه كالمعلوم كقوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر ٤٥/٣٥]، يعني على الأرض،

---

١ ن: جبرئيل.
٢ ن ر - الراء.
٣ ر: همزة.
٤ ن: همزة. | الكلام بتصرُّف يسير جدًّا في التيسير للداني، ص ٢٨٣. وانظر: السبعة لابن مجاهد، ص ١٦٥-١٦٧؛ والنشر لابن الجزري، ٢١٩/٢.
٥ ن: جبرئيل.
٦ شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٥؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧٠؛ المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٤٤٢-٤٤٤.
٧ انظر: المُعرَّب للجواليقي، ص ٤٨٩.
٨ الوسيط للواحدي، ١٧٩/١ (البقرة، ٩٧/٢). وحديث ابن عبّاس في جامع البيان للطبري، ٢٩٦/٢ (البقرة، ٩٧/٢)؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ١٨٢/١ (البقرة، ٩٧/٢)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٤٦٤/٣ (البقرة، ٩٧/٢).
٩ ن: جبريل.

إضمارَ ما لم يَسبِقْ ذِكرُه -فيه فخامةٌ لشأن صاحبه، حيث يُجعل لفَرْط شُهْرته كأنّه يدلُّ على نفسه، ويكتفي عن اسمه الصَّريحِ بذكرِ شيءٍ من صِفاته.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾؛ أي: حفَّظَه إيّاك وفهَّمَكَهُ ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بتيسيرِه وتسهيله.

فإن قلتَ: كان حقَّ الكلام أن يقالَ: على قلبي!

---

وهذا قول ابن عبّاس وأكثر أهل العلم».[1] وفي مثل هذا الإضمار فخامة، كأنّه يُكتفى بذِكْر صفته عن ذِكْره بناءً على أنّ هذه الصفة لا تصلح إلّا له.[2]

قوله: (صاحبه)[3] أي: صاحبِ الضمير. والضمير مِن (يُجعَل) يعود إلى "صاحبه". والقول الثاني: المعنى بأنّ[4] الله تعالى نزَّل جبرئيل، لا أنّه نزَل بنفسه.[5]

قوله: (﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾) أي: حفَّظه إيّاك، يُشير به إلى جواب سؤال، وهو أن يقال: القرآن إنّما نزل على محمّد عليه السلام، فما السبب في قوله: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾؟ والجواب: أنّه خصَّ القلب بالذِّكْر؛ لأنّ الذي نزَل به ثبَت في قلبه حفظًا حتّى أدّاه إلى أُمّته، فلمّا كان سبب تمكُّنه من الأداء ثباته في قلبه حفظًا جاز أن يقال: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، وإن كان في الحقيقة نزَّله عليه لا على قلبه.[6] وسيجيء زيادة بيانه في "سورة[7] الشعراء" إن شاء الله تعالى.

قوله: (كان حقُّ الكلام أن يقال: على قلبي) لأنّ الله تعالى أمر النبيّ صلى الله عليه وسلّم[8] بقوله: ﴿قُلْ﴾ أن يحكيَ مع اليهود عن نزول جبرئيل بالقرآن على قلبه، فكان المناسب أن يقول النبيّ عليه السلام: / نزَّل جبرئيل القرآن على قلبي.[9] [١٦٩ظ]

---

[1] تفسير الرازي، ٢١٢/٣ (البقرة، ٩٧/٢). وانظر لهذا القول: جامع البيان للطبري، ٢٩٣/٢، ٢٩٩، (البقرة، ٩٧/٢)، وأورده عن قتادة والربيع وابن عبّاس؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ١٨٠/١ (البقرة، ٩٧/٢)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٤٦٥/٣ (البقرة، ٩٧/٢).

[2] وهذا الذي يسمّيه البلاغيون: وضع المُضمَر موضع المُظهَر. انظر لتفصيله مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٢٩٤-٢٩٥؛ والإيضاح للقزويني، ص ١٥٤.

[3] ر: صاحب.

[4] ن ر: فإنّ.

[5] انظر: تفسير الرازي، ٢١٢/٣ (البقرة، ٩٧/٢).

[6] هذا الجواب بتصرُّف يسير في تفسير الرازي، ٢١٢/٣ (البقرة، ٩٧/٢).

[7] ر: صورة.

[8] د - صلى الله عليه وسلّم.

[9] انظر: تفسير الرازي، ٢١٢/٣ (البقرة، ٩٧/٢).

**قلتُ**: جاءت على حكايةِ كلام الله تعالى كما تكَلّم به؛ كأنّه قيل: قُلْ ما تكلَّمْتُ به من قولي: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾.

**فإن قلتَ**: كيف استقام قولُه: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ جزاءً للشرط؟

**قلتُ**: فيه وجهان:

أحدهما: إنْ عادَى جبريلَ أحدٌ من أهل الكتاب فلا وجهَ لمُعاداته، حيث نَزَّل كتابًا مصدِّقًا للكتب بين يديه، فلو أَنْصَفوا لأحَبُّوه وشكروا له صَنِيعَه في إنزاله ما ينفعُهم ويصحِّحُ المُنزَلَ علَيهم.

**والثاني**: إنْ عاداه أحدٌ فالسببُ في عداوته أنه نزَل عليك القرآن مصدِّقًا لكتابهم وموافِقًا له، وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم، ولذلك كانوا يحرِّفونه ويَجحدون موافقتَه له؛ كقولك: إنْ عاداك فلانٌ فقَدْ آذيْتَه وأَسَأْتَ إليه

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: هذه أحوالٌ من مفعولِ ﴿نَزَّلَهُۥ﴾.

---

قوله: **(كما تكلَّم به)**، أي: كما تكلَّم الله به، كأنّه تكلَّم الله تعالى بقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، ثمّ قال لمحمَّد عليه السلام: قُل ما تكلمتُ به وهو قولي: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا﴾... إلخ.

قوله: **(فلا وجه لمُعاداته)** يعني: جزاءُ الشرط غير مذكور، والمذكور علَّة الجزاء، فكأنّه قيل: إن[1] عادى جبرئيلَ[2] أحد فلا وجهَ للمُعاداة؛ لأنّ جبرئيل[3] نزَّل كتابًا مُصدِّقًا لكتابهم، فينبغي أن يُحبُّوه.[4]

قوله في الوجه الثاني: **(وهم له)** أي: اليهود لجبرئيل **(كارهون)** لأجل **القرآن**.

قوله: **(ولذلك)** أي: لأجل مُوافقة **القرآن** كتابهم كانوا يُحرِّفون كتابهم ويجحدون مُوافَقة كتابهم **للقرآن**.

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾... إلخ.

---

[1] ر – إن.
[2] ر: جبريل.
[3] ر: جبريل.
[4] ن ر: يحِبوه.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: أُفْرِد المَلَكان بالذِّكر لفَضْلهما كأنّهما من جنسٍ آخر، وهو مما ذُكر: أن التغايُرَ في الوصف يُنزَّل منزلةَ التغايُرِ في الذات.

وقرئ: "ميكالَ" بوزن قِنْطارٍ، و: "ميكائيل" كمِيكاعِيل، و: "ميكائِل" كمِيكاعِل، و: "مِيكَئِل" كمِيكَعِل، و: "ميكئيل" كمِيكَعِيل.

---

قوله: (أُفرِد المَلَكان)[1] جواب سؤال، وهو أن يقال: لمّا ذكَر الملائكة لِمَ أعاد ذكر جبرئيل[2] وميكائيل عليهما السلام، مع اندراجهما في الملائكة؟ والجواب: أفرَدهما بالذِّكر لفَضْلهما، كأنّهما لكمال فَضْلهما صارا مِن جنس آخرَ سوى جنس الملائكة. واعلم أنّ هذا الجواب يقتضي كونَهما أشرف مِن جميع الملائكة. وهنا جواب آخر وهو أنّ الذي جرى بين اليهود والرسول عليه السلام ذِكْرهما، والآية إنّما نزلت بسببهما؛ فلا جرم نصَّ على اسميهما.[3]

قال الإمام:

> جبرئيل[4] أفضل مِن ميكائيل لوجوه: **الأوّل**: أنّ الله تعالى قدّم جبرئيل[5] في الذِّكر، والتقديم يدلُّ على الأفضلية؛ **الثاني**: أنّ جبرئيل ينزِل بالقرآن والوَحي والعِلم، وهو مادّة بقاء الأرواح، وميكائيل ينزِل بالخِصب والأمطار، وهي مادّة بقاء الأبدان، ولمّا كان العِلم أشرَف من الأغذية وجب أن يكون جبرئيل أفضل مِن ميكائيل؛ **الثالث**: قوله تعالى في صفة جبرئيل:[6] ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير ٨١/٢٠-٢١].[7]

قوله: (وقُرئ ﴿مِيكَىٰلَ﴾) قرأ حفص وأبو عمرو ﴿مِيكَىٰلَ﴾ بغير[8] همز[9] ولا ياء،

---

[1] ن ر: المكان.
[2] ر: جبريل.
[3] ر: اسمهما. | من قوله: "لمّا ذكر الملائكة" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٢١٤/٣ (البقرة، ٩٨/٢).
[4] ر: جبريل.
[5] ر: جبريل.
[6] ر: جبريل.
[7] انظر: تفسير الرازي، ٢١٤/٣ (البقرة، ٩٨/٢).
[8] ر - بغير.
[9] ر: همزة.

قال ابن جنِّي: العربُ إذا نطقَتَ بالأعجميِّ خلَّطَتْ فيه.

﴿عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أراد: عدوٌّ لهم، فجاء بالظاهر ليَدلَّ على أن الله إنما عاداهم لكفرهم، وأن عداوة الملائكة كفرٌ، وإذا كانت عداوةُ الأنبياء كفرًا فما بالُ الملائكة وهم أشرف؟

والمعنى: مَن عاداهم عاداه الله وعاقبه أشدَّ العقاب.

---

ونافع بهمزة مكسورة من غير ياء، والباقون بياء بعد الهمزة،[1] وهذه هي الثالثة التي ذكرها المُصنِّف أوّلًا. وأمّا القراءتان الأخيرتان فشاذَّتان.[2]

قوله: («خلَّطتْ فيه»)،[3] أي: نطقَتْ به كيف شاءَتْ.

قيل: الواو هنا بمعنى "أو"، أي: مَن كان عدوًّا لأحد مِن هؤلاء.[4]

قوله: **(أراد: عدوّ لهم)** يعني كان القياس أن يقول: عدوّ لهم لتقدُّم ذِكْرهم، لكن وضع الظاهر موضع المضمر.

قوله: **(وهم أشرف)**، أي: الملائكة أشرف من الأنبياء، وهذا بناء على مذهبه.[5]

قوله: **(والمعنى)**، أي: معنى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ﴾... إلخ، أنّ من كان[6] عدوًّا لأحد هؤلاء فإنّ الله تعالى عدوّ له، أي: تولى الله تعالى[7] تلك العداوة بنفسه وكفى رسله وملائكته أمر مَن عاداهم.

قوله: **(وعاقبه أشدَّ العقاب)** كالتفسير لقوله: **(عاداه الله)**. وإنّما قال: "عاقبه أشدَّ العقاب"؛ لأنّهم لمّا كفروا بهذه المُعاداة يكون عقابهم عقاب الكفّار، وهو أشدّ العقاب.

---

١ الكلام بتصرُّف يسير جدًّا في **التيسير** للداني، ص ٢٨٤. وانظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٦٦-١٦٧؛ و**النشر** لابن الجزري، ٢١٩/٢.

٢ **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٥؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٠؛ **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٤٤٥.

٣ **المُحتسَب** لابن جنّي، ٩٧/١.

٤ انظر: **الوسيط** للواحدي، ١٨٠/١ (البقرة، ٩٨/٢)؛ و**تفسير الرازي**، ٢١٥/٣ (البقرة، ٩٨/٢).

٥ وذهب إلى ذلك مع المعتزلة بعض أهل السُّنّة. انظر لتفصيل ذلك **شرح المقاصد** للتفتازاني، ٦٥/٥-٧٢.

٦ ر - إلخ، أنّ من كان.

٧ د - تعالى.

﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ٩٩ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٠﴾

﴿إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾؛ أي: إلّا المتمرِّدون من الكَفَرة، وعن الحسن: إذا استُعمل الفسقُ في نوعٍ من المعاصي وقع على أعظمِ ذلك النوعِ من كفرٍ وغيرِه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: قال ابنُ صُوريَا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما جِئتَنا بشيء نعرِفُه، وما أُنزل عليك من آيةٍ فنتَّبِعَك لها، فنزلت.

واللام في ﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ للجنس، والأحسنُ أن تكون إشارةً إلى أهل الكتاب.

﴿أَوَكُلَّمَا﴾: الواو للعطف على محذوفٍ معناه: أكفَروا بالآيات البينات وكلَّما عاهدوا.

وقرأ أبو السمَّال بسكونِ الواو ..............................

---

قوله: (مِن كُفْر وغيره) بيان لقوله: (نوعٍ من المعاصي). ويجوز أن يكون ما رواه عن الحَسَن تقريرًا لقوله: (إلّا المُتمرِّدون).[١]

قوله: (والأحسن أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب) فيكون فيه مبالغة وهي أنّ كُفْر غيرهم بالنسبة إلى[٢] كُفْرهم كالعدم؛ لغلظ كُفْرهم وشدَّة عِنادهم وغاية لجاجهم.

قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

[١٧٠و] / هذا إشارة إلى نوع آخر من قبائح أفعالهم. والمقصود من هذا الاستفهام الإنكارُ وإعظام ما يُقدِمون عليه؛ لأنّ مثل ذلك إذا قيل بهذا اللفظ كان أبلغ في التبكيت والإنكار.[٣] وقراءة أبي[٤] السَّمّال شاذّة.[٥] واعلم أنّه حيث جاء أبو السَّمّال فهو باللام، وابن السَّمّاك بالكاف.

---

١ ن ر: المتمردين.

٢ ن - كُفْر غيرهم بالنسبة إلى.

٣ انظر: تفسير الرازي، ٢١٧/٣ (البقرة، ١٠٠/٢).

٤ د: أبو.

٥ شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧١؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٤٦.

على أنّ ﴿ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ بمعنى: الذين فسقوا، فكأنَّه قيل: وما يكفرُ بها إلّا الذين فسقوا أو نقضوا عهدَ الله مِرارًا كثيرةً.

وقرئ: "عُوهِدوا"، و: "عَهِدوا".

واليهود موسومون بالغدر ونقضِ العهود، وكم أخذَ الله الميثاقَ منهم ومن آبائهم فنقضوا! وكم عاهدَهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يَفُوا! ﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾ [الأنفال ٨/٥٦].

---

قوله: (على أنّ) بيان المعنى على قراءة[١] أبي[٢] السَّمّال، وهو أن يكون ﴿كُلَّمَا عَـٰهَدُواْ﴾ عطفًا على "فاسقون"، فهو في المعنى صلة الموصول.

قوله: (قُرِئ "عُوهِدوا" و"عَهِدوا") هما شاذّتان.[٣]

قوله: (واليهود مَوسُومون)، يريد أنّ: قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا عَـٰهَدُواْ﴾ دلَّ على عَهْد بعد عَهْد نقضوه ونبذوه، بل يدلُّ على أنّ ذلك كالعادة فيهم، فكأنّه تعالى أراد تسلية رسول الله عليه السلام عند كفرهم بما أُنزِل عليه من الآيات، بأن ذلك ليس ببِدْع منهم؛ بل هو سجيَّتهم[٤] وعادتهم وعادة سَلَفهم، على ما بيَّنه في الآيات المُتقدِّمة مِن نَقْضهم العهود والمواثيق حالًا بعد حال؛ لأنّ مَن يعتاد منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس مخالفته، كصعوبة مَن لم تجرِ عادته بذلك.[٥]

ثمّ استشهد المُصنِّف على أنّ عادتهم نَقْض العهود بقوله تعالى في "سورة الأنفال": (﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾) ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال ٨/٥٦].

واختلف المُفسّرون في العَهْد المذكور في قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا﴾:

---

١ ن ر: قراء.

٢ د: أبو.

٣ الأولى مرويّة عن الحسن وأبي رجاء وأبي السَّمّال، والثانية مرويّة عن أبي السَّمّال. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٦؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧١؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٤٦.

٤ ر: سجيّهم.

٥ من قوله: "قوله تعالى" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٣/٢١٧ (البقرة، ٢/١٠٠).

﴿نَبَذَهُۥ﴾ النَّبذُ: الرَّمْيُ بالذِّمامِ ورَفْضُه. وقرأ عبد الله: "نقَضَه".

﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ وقال: ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ لأن منهم مَن لم يَنقض.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: بالتوراة، وليسوا من الدِّين في شيء، فلا يَعُدُّون نقضَ المواثيق ذَنْبًا ولا يبالون به.

---

فقال بعضهم: «إنّ اليهود عاهدوا فيما بينهم لئن[١] خرج محمّد عليه السلام لَنُؤمِننَّ به ولَنكوننَّ معه على مُشركي العَرب، فلمّا بُعِث نقضوا العهد وكفروا به».[٢]

وقيل: إنّ الله تعالى لمّا أظهر الدلائل الدالّة[٣] على نبوّة محمّد عليه السلام وعلى صحّة شرعه كان ذلك كالعهد منه تعالى، وقبولهم لتلك الدلالة كالمُعاهدة منهم لله تعالى؛ وقيل: كانوا يُعاهدون الله تعالى كثيرًا وينقضونه؛[٤] وقيل: إنّ اليهود كانوا قد عاهدوه ألّا يُعينوا[٥] عليه أحدًا من الكافرين، فنقضوا ذلك وأعانوا عليه قريشًا يوم الخندق.[٦]

قوله: (النَّبذ: الرمي بالذِّمام) أي: العهد. وقراءة عبد الله: "نَقَضَه" شاذّة.[٧]

قوله: (وقال: ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾) أي: إنّما قال الله تعالى: ﴿نَبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾، ولم يقل: نبذوه؛ لأنّ بعضهم لم ينقُض العَهْد؛ بل ثبَت على عهده وآمن بنبيّنا[٨] محمّد عليه السلام، فلمّا لم يكن النقض صفة جميعهم خُصَّ الفريق بالذِّكر. ثمّ لمّا كان يجوز أن يُظنَّ أنّ ذلك الفريق هم الأقلّون بيَّن أنّهم الأكثرون فقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.[٩]

---

[١] ن ر: إن.

[٢] الوسيط للواحدي، ١/١٨١ (البقرة، ٢/١٠٠)؛ البسيط للواحدي، ٣/١٨١ (البقرة، ٢/١٠٠). وهو بلفظ قريب منه جدًا في الكشف والبيان للثعلبي، ٣/٤٦٩ (البقرة، ٢/١٠٠)؛ وتفسير الرازي، ٣/٢١٧ (البقرة، ٢/١٠٠).

[٣] ن ر – الدالّة.

[٤] هذا القول بمعناه في جامع البيان للطبري، ٢/٣٠٨ (البقرة، ٢/١٠٠)؛ ورُوِيَ عن الحسَن ما يقرُب منه. انظر: تفسير ابن أبي حاتم، ١/١٨٤ (البقرة، ٢/١٠٠).

[٥] ن ر: يظاهروا.

[٦] من قوله: "قيل: إنّ الله تعالى" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٣/٢١٧ (البقرة، ٢/١٠٠).

[٧] الكشف والبيان للثعلبي، ٣/٤٧٠ (البقرة، ٢/١٠٠)؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧١.

[٨] ر: نبيّنا.

[٩] من قوله: "إنّما قال" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٣/٢١٧ (البقرة، ٢/١٠٠).

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ يعني: التوراة؛ لأنهم بكفرهم برسولِ الله صلى الله عليه وسلم المصدِّقِ لِمَا معهم كافرون بها نابذون لها.

وقيل: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: القرآن، نبذُوه بعد ما لَزِمهم تَلقِّيه بالقبول.

﴿كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أنه كتابُ الله، لا يَدخلهم فيه شك، يعني: أن عِلْمهم بذلك رصينٌ، ولكنهم كابَروا وعانَدوا ونَبذوه وراء ظهورهم، مَثَلٌ لتركهم وإعْراضهم عنه، مُثِّل بما يُرمَى به وراء الظهر استغناءً عنه وقِلَّةَ التفاتٍ إليه.

وعن الشَّعبيّ: هوَ بين أيديهم يقرؤونه ولكنَّهم نبذُوا العملَ به.

وعن سفيان: أدرجُوه في الدِّيباج والحرير، وحَلَّوْه بالذهب، ولم يُحِلُّوا حلالَه ولم يُحرِّموا حرامه.

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ

---

قوله تعالى:[١] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾... إلخ.

**اعلم أنّ معنى كون الرسول عليه السلام مُصدِّقًا لِمَا معهم هو أنّ التوراة بشَّرت بمَقدَم نبيّنا محمَّد عليه السلام بنعوت وصفات مخصوصة، فجاء عليه السلام مُصدِّقًا لِمَا معهم مِن نعته وصفته، أي: جاءهم على النعت الذي نُعِت[٢] به في التوراة، فمجيئه على النعت المذكور في التوراة تصديق للتوراة.[٣] وقيل: معنى كونه مُصدِّقًا: هو أنّه كان مُعترفًا بنبوَّة موسى وبصحّة التوراة.[٤]**

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ﴾... إلخ.

---

[١] ن ر – تعالى.

[٢] ن ر: بُعث.

[٣] ن ر: التوراة.

[٤] من قوله: "اعلم أنّ معنى" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٢١٨/٣ (البقرة، ١٠١/٢).

وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾؛ أي: نَبذوا كتابَ الله واتَّبعوا ﴿مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ يعني: واتَّبعوا كتبَ السحر والشَّعْوذَة التي كانت تقرؤها ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾؛ أي: على عهدِ مُلكِه وفي زمانه.

وذلك أن الشياطين كانوا يستَرِقُون السمع ثم يَضمُّون إلى ما سمعوا أكاذيبَ يُلفِّقُونها ويُلقونها إلى الكهَنَةِ، وقد دَوَّنوها في كتبٍ يقرؤونها ويعلِّمونها الناسَ، وفَشا ذلك في زمنِ سليمانَ عليه السلام حتى قالوا: إن الجنَّ تعلَمُ الغيبَ، وكانوا يقولون: هذا عِلْمُ سليمان عليه السلام، وما تمَّ لسليمان مُلكُه إلَّا بهذا العلم، وبه تَسخَّرَ الأنسَ والجنَّ والريحَ التي تجري بأمره.

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾: تكذيبٌ للشياطين، ودَفْعٌ لِمَا بهَتَتْ به سليمانَ عليه السلام من اعتقادِ السحر والعملِ به، وسمَّاه كفرًا.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ هم الذين ﴿كَفَرُوا۟﴾ باستعمال السحر وتَدوينه.

---

هذا نوع آخر من قبائح أفعالهم: وهو اشتغالهم بالسحر ودعاؤهم الناس إليه.[1] وقوله تعالى: (﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾) عطفٌ على ﴿نَبَذَ﴾. و﴿تَتْلُوا۟﴾ مِن التلاوة، بمعنى: / القراءة.[2] [١٧٠ظ]

قوله: (﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾) إلى قوله: (سمَّاه كفرًا)، فكأنّه قال: لم يكن سليمان كافرًا ساحرًا يسحَر ويعمل بالسِّحر.[3]

---

١ انظر: تفسير الرازي، ٢١٩/٣ (البقرة، ١٠٢/٢).

٢ انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٤٨/١؛ وجامع البيان للطبري، ٣١٨/٢ (البقرة، ١٠٢/٢)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٤٧٢/٣ (البقرة، ١٠٢/٢)؛ البسيط للواحدي، ١٨٣/٣ (البقرة، ١٠٢/٢).

٣ الوسيط للواحدي، ١٨٢/١ (البقرة، ١٠٢/٢)؛ البسيط للواحدي، ١٩١/٣ (البقرة، ١٠٢/٢).

﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ يَقصدون به إغواءَهم وإضلالهَم.

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلسِّحْرَ﴾؛ أي: ويعلمونَهم ما أُنزل على الملَكين.

وقيل: هو عطفٌ على ﴿مَا تَتْلُواْ﴾؛ أي: واتَّبعوا ما أُنزل.

و﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ عطفُ بيانٍ لـ﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ عَلَمان لهما، والذي أُنزل عليهما هو عِلْمُ السحر، ابتلاءً من اللهِ للناس، مَن تعلَّمه منهم وعَمِلَ به كان كافرًا، ومَن تَجَنَّبه أو تعلَّمه لا ليعملَ به ولكن ليتوقَّاه ولئلا يَغتَرَّ به كان مؤمنًا:

عرفتُ الشرَّ لا للشرْ ... رِ لكنْ لتوقِّيهِ

كما ابْتليَ قومُ طالوت بالنَّهر ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ [البقرة ٢/٢٤٩].

وقرأ الحسن: "على الملِكين" بكسر اللام على أنّ المنزَل عليهما علمُ السحر كانا مَلِكين ببابِل.

---

قوله: (**ابتلاءً**) منصوب بما يدلُّ عليه قوله: (**أُنزِل عليهما**) أي: أُنزِل ابتلاءً.

قوله: (**مَن تعلَّمه**)... إلخ، بيانٌ للابتلاء.

قوله: (**كما ابتُلي**) مُتعلِّق بقوله: "ابتلاءً". ثمّ بيَّن ابتلاءَ قوم طالوت بقوله تعالى: (**﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾** [البقرة ٢/٢٤٩]). قال الشاعر:

(**عَرفتُ الشرَّ لا للشِرْ ... رِ لكنْ لِتوقِّيهِ**)

ومَن لم يَعرِف الشرَّ ... مِن الناس يقعْ فيهِ[1]

قوله: "وقرأ الحَسَن بكسر اللام"، وهي قراءة شاذّة.[2]

قوله: (**على أنّ**) أي: قرأ بناءً على أنّ المُنزَل عليهما كانا مَلِكين ببابل،

---

[1] البيتان لأبي فراس الحمداني في ديوانه، ٢/٤٣١.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وابن عبّاس والضّحّاك ابن مُزاحم وعبد الرحمن بن أبزى والزُّهري، وقتيبة والبربري وابن إبراهيم ثلاثتهم عن الكسائي، وكذا ابن قتيبة عن أبي جعفر، ويعلى بن حكيم عن مكي. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦؛ المُحتسَب لابن جنّي، ١/١٠٠؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧١؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٤٧.

وما يُعلِّمُ الملَكان أحدًا حتّى يُنبِّهاه ويَنْصَحَاهُ، ويقولا له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: ابتلاءٌ واختبارٌ من الله ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ فلا تَتعلَّمْ معتقِدًا أنّه حقٌّ فتكْفُرَ.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾: الضميرُ لِمَا دلَّ عليه ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾؛ أي: فيتعلَّمُ النَّاس من الملَكين ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾؛ أي: عِلْمَ السحر الذي يكونُ سببًا في التفريقِ بين الزوجين من حيلةٍ وتَمْويهٍ؛ كالنَّفْثِ في العُقَدِ ونحوِ ذلك ممّا يُحدِثُ اللهُ عنده الفِرْكَ والنشوزَ والخلافَ ابتلاءً منه، لا أنَّ السحر له أثرٌ في نفسه، بدليلِ قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لأنّه ربما أَحْدث الله عنده فِعْلًا من أفعاله وربّما لم يُحْدِث.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾؛ لأنهم يقصدون به الشرَّ، وفيه: أن اجتنابَه أصلحُ؛ كتعلُّم الفلسفة التي لا يؤمَنُ أن تجرَّ إلى الغَواية، ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾ هؤلاء اليهودُ

---

أو على معنى أنَّ المُنزَل عليهما. قال الإمام: وهو مَرويٌّ أيضًا عن ابن عبّاس رضي الله عنه[1] والضحّاك.[2] وبابل: اسم أرض في جانب العراق.[3]

قوله: (ممّا يُحدِث الله تعالى)[4] بيانُ قوله: (كالنَّفْث)... إلخ.

قوله: (ابتلاءً)، أي: يُحدِث الله ابتلاءً. والضمير من (نفسه) عائد إلى (السِّحْر)، وهذا بناء على مذهبه.

قوله تعالى: (﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾)، قال الواحديُّ: «الإذن هنا: إرادة التكوين، أي: لا يضرُّون بالسِّحر إلّا مَن أراد الله تعالى أن يَلحَقه ذلك الضرر».[5]

قوله: (يقصِدون به الشرّ) فيضرُّهم في الآخرة، وإن[6] تعجَّلوا به في الدنيا نفعًا.

---

[1] د - رضي الله عنه.

[2] انظر: تفسير الرازي، ٢٣٦/٣ (البقرة، ١٠٢/٢). وجاء مرويًّا عن الضّحّاك في تفسير ابن أبي حاتم، ١٨٩/١ (البقرة، ١٠٢/٢)؛ وحكاه الطبري وضعّفه وخطّأ القراءة التي بُنيَ عليها هذا الوجه. انظر: جامع البيان للطبري، ٣٤٩/٢-٣٥٠ (البقرة، ١٠٢/٢)؛ وذُكِر في الكشف والبيان للثعلبي، ٤٨٠/٣ (البقرة، ١٠٢/٢).

[3] انظر: جامع البيان للطبري، ٣٥٠/٢ (البقرة، ١٠٢/٢)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٤٨١/٣ (البقرة، ١٠٢/٢).

[4] د - تعالى.

[5] الوسيط للواحدي، ١٨٦/١ (البقرة، ١٠٢/٢)؛ البسيط للواحدي، ٢٠٨/٣ (البقرة، ١٠٢/٢).

[6] ر: ولن.

أنَّ مَن ﴿ٱشۡتَرَىٰهُ﴾؛ أي: استبدل ما تَتْلو الشياطين من كتاب الله ﴿مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٍ﴾ أي: من نَصيب ﴿وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾؛ أي: باعوها.

وقرأ الحسنُ: "الشَّياطونَ"، وعن بعض العرب: بُسْتانُ فلانٍ حولَه بَساتونَ، وقد ذُكرَ وجهُه فيما بعدُ.

---

قوله تعالى: ﴿لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ﴾ في معنى الشرط وجوابه، مُكتفى به مِن جواب القسم، تقديره: والله لمَن اشتراه، واللام مُوطِّئة للقسَم.

قوله: (أي: استَبدل)، يريد أنّ لفظ الشِّرى[1] ذُكِر على سبيل الاستعارة، وذلك أنّهم لمّا نبذوا كتاب[2] الله تعالى[3] وراء ظهورهم، وأقبلوا على التمسُّك بما تتلو الشياطين، فكأنّهم اشتروا ذلك السحر بكتاب الله المجيد. والضمير في ﴿ٱشۡتَرَىٰهُ﴾ عائد إلى ﴿مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾.

قوله تعالى: (﴿وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾) أي: بئس شيئًا باعوا به أنفسهم ذلك، فالمخصوص بالذمّ محذوف.

قوله: وقرأ الحَسَن: "الشياطون"[4] هذه قراءة شاذَّة،[5] ومع شذوذها مُشكِلة؛[6] لأنّ "الشيطان": إمّا "فَعْلان" مِن شاط يَشيط،[7] أي: هَلَك، وجَمْعه على شياطين يكون جَمْع تكسير على "فَعَالين" نحو سِرْحان وسَراحين؛ وإمّا "فَيْعال" مِن شَطَن، أي: بَعُد، فجَمْعه أيضًا على شياطين يكون جمع تكسير، نحو بَيْطار وبَياطير، وعلى التقديرين يكون إعرابه بالحركات. وذُكِر لهذه القراءة وجهان: **الأوّل**: أنّه على التشبيه بالجمع المُصحَّح، وقد جاء في نحو فِلَسطين ويَبْرين

---

١ ن: الشراء.

٢ ر: لكتاب.

٣ د - تعالى.

٤ ن ر: الشياطين.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس والحسن والضّحّاك ويحيى ابن أبي كثير. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٦؛ **الكشف والبيان** للثعلبي، ٤٨١/٣ (البقرة، ١٠٢/٢)؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧١؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٤٧.

٦ خطّأ ابن جنّي مِثْلها في موضع آخر. انظر: **المُحتسَب**، ١٣٣/٢؛ وانظر للكلام عليها **إعراب القراءات الشواذّ** للعكبري، ١٩١/١.

٧ ن ر - يشيط.

وقرأ الزهريُّ: "هاروتُ وماروتُ" بالرفع، على: هما هاروتُ وماروتُ.

وهما اسمان أعجميان بدليلِ منعِ الصرف، ولو كانا من الهَرْتِ والمَرْتِ وهو الكسرُ -كما زعم بعضُهم- لَانْصَرفا.

وقرأ طلحة: "وما يُعْلِمان" من أَعْلَم.

---

الإعرابُ بالحركات على النون، وجاء بالواو والياء، وعلى هذا يجوز أن يكون مِن شاط أو شَطَن؛ والثاني: أنّ شَيطانَ مِن "شاط" يُرَدّ عند الجمع إلى المصدر، وهو الشَّيَاط بفتح الشين، نحو خال خَيالًا، ويُقام المصدر مُقامَ الفاعل، فيُجمَع بالواو والنون.

واعلم أنّ القُرّاء السبعة اختلفوا هنا: فقرأ ابن عامر وحمزة والكسائيّ: "ولكنِ الشياطينُ"، وفي "الأنفال":[1] "ولكنِ اللهُ قَتَلَهُمْ" [الأنفال ١٧/٨]، "ولكنِ اللهُ رَمى" [الأنفال ١٧/٨]، في الثلاثة بكَسْر النون مُخفَّفة، ورَفْع ما بعدها؛ وقرأ الباقون بفتح النون مُشدَّدًا ونَصْب ما بعدها.[2]

قوله: (قرأ الزُّهري) هذه القراءة،[3] وقراءة طلحة،[4] والقراءة بضمّ الميم وكسره مع الهمز،[5] والقراءة بالتشديد،[6] وقراءة الأعمش،[7] كلُّها شاذّة.

---

[1] أي: قرءوا في الأنفال.

[2] السبعة لابن مجاهد، ص ١٦٧؛ التيسير للداني، ص ٢٨٤؛ النشر لابن الجزري، ٢١٩/٢.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن الزُّهري والشيزري عن أبي جعفر. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧١؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٤٨.

[4] شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧١؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٤٨.

[5] ن ر: الهمزة. | شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦؛ المُحتسَب لابن جنّي، ١٠١/١؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧٢، وفيها جميعًا أنّها بضمّ الميم قراءة ابن أبي إسحاق، وبكسرها قراءة الأشهب العقيلي؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٤٧، بضمّ الميم قراءة ابن مجاهد عن ابن أبي إسحاق، وبكسرها قراءة الحَسَن وقتادة. وذكر أنّ قراءة الأشهب بكسر الميم من غير همز.

[6] قراءة شاذّة، مرويّة عن قتادة، والزُّهري والحُلواني عن أبي جعفر. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧١؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٤٨.

[7] المُحتسَب لابن جنّي، ١٠٣/١؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧١؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٤٩.

وقرئ: "بين المُرء" بضمّ الميم وكسرِها مع الهمزة، و: "المُرّ" بالتشديد على تقديرِ التخفيف والوقفِ كقولهم: فَرَجّ، وإجْراءِ الوَصْل مجرى الوَقف.

وقرأ الأعمش: "وما هم بضارّي" بطرحِ النون والإضافةِ إلى "أحد" والفصلِ بينهما بالظرف.

**فإن قلتَ**: كيف يضافُ إلى ﴿أَحَدٍ﴾ وهو مجرورٌ بـ﴿مِنْ﴾؟

**قلتُ**: جُعل الجارُّ جُزءًا من المَجْرور.

**فإن قلتَ**: كيف أثبت لهم العلمَ أوَّلًا في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾ على سبيل التوكيد القَسَميّ، ثم نفاه عنهم في قوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾؟

**قلتُ**: معناه: لو كانوا يعملون بعلمهم، جعلهم حين لم يعملوا به كأنّهم مُنْسَلِخون عنه.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ برسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الله فتركوا ما هم عليه من نَبْذ كتاب الله واتّباعِ كتب الشياطين ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾.

---

قوله في وجه قراءة "بضارّي مِن أحد": **(جُعِل الجارّ جزءًا مِن المجرور)**[1] هذا قريب من قول سيبويه في: "لا أبا له" هو مُضاف، واللام لتأكيد الإضافة.[2]

[١٧١و] قوله: "كيف أثبت / لهم العلم، ثمّ نفاه؟" الجواب: أنّهم كما لم ينتفعوا بعِلمهم وأعرضوا عنه صار ذلك العِلم كالعدم، كما سمّى الله تعالى الكُفّار[3] صمًّا وبكمًّا وعميًا؛ إذ لم ينتفعوا بهذه الحواسّ. ويقرب منه قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ﴾ [التوبة ١٢/٩]، وقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال ١٧/٨].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

---

١ أورد هذا التوجيه ابن جنّي في المُحتسَب، ١/١٠٣. ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٤

٢ انظر تفصيل كلامه في كتاب سيبويه، ٢/٢٠٦، ٣ ن ر – الكفار.

وقرئ: "لَمَثْوَبَةٌ" كمَشْوَرةٍ ومَشُورةٍ.

﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ أن ثوابَ الله خيرٌ مما هم فيه، وقد علِموا لكنَّه جهَّلهم لتركِ العملِ بالعلم.

فإن قلتَ: كيف أوثِرَتِ الجملة الاسميَّة على الفَعلية في جواب "لو"؟

قلتُ: لِمَا في ذلك من الدلالةِ على ثَبات المثوبَة واستقرارِها؛ كما عُدِل عن النصب إلى الرفع في ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام ٥٤/٦] لذلك.

فإن قلتَ: فهلَّا قيل: لمثوبةُ اللهِ خيرٌ؟

قلتُ: لأن المعنى: لَشَيءٌ من الثواب خيرٌ لهم، ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ تمنِّيًا لإيمانهم على سبيلِ المجاز عن إرادةِ الله إيمانَهم واختيارَهم له؛ كأنَّه قيل: وليتَهم آمنوا، ثم ابتدئ: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾.

كان المسلمون يقولون لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم إذا أَلْقَى عليهم شيئًا من العلم: رَاعنا يا رسول الله؛ أي: راقِبْنا وانتظِرْنا وتأنَّ بنا حتى نفهمَه ونحفظَه، وكانت لليهود كلمةٌ يَتَسابُّون بها عِبْرانِيَّةٌ أو سُرْيانيَّةٌ، وهي: رَاعِينا،

---

اعلم أنَّ الضمير في ﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ عائد إلى اليهود الذين تقدَّم ذِكْرهم، فإنَّه تعالى لمَّا بيَّن فيهم الوعيد بقوله: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ﴾ أَتبَعه بالوعد، جامعًا بين الترهيب والترغيب؛ لأنَّ الجمع بينهما أَدْعى إلى الطاعة والعدول عن[1] المعصية. والمراد مِن "التقوى": الاحتراز عن فعل المَنهيّات وترك المأمورات.[2]

ومعنى الآية: أنَّ ثواب الله لهم لو آمنوا خير مِن كَسْبهم بالكفر والسِّحر.

قوله: (قُرِئ "لَمَثْوَبة") هي قراءة شاذَّة.[3]

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾... إلخ.

---

١ ن ر: إلى.

٢ من قوله: "اعلم أنّ الضمير" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٢٤١/٣ (البقرة، ١٠٣/٢).

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن قتادة وابن بُريدة وأبي السَّمَّال. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦؛ المُحتسَب لابن جنّي، ١٠١/١؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧١؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٤٩.

فلمّا سمعوا بقولِ المؤمنين: راعِنا، ..........................................

لمّا شرح قبائح أفعالهم قبل مَبعَث رسول الله عليه السلام بيّن ههنا[١] جِدَّهم واجتهادهم في القدح فيه والطعن في دينه، وهذا هو النوع الأوّل من هذا الباب.[٢] قال الإمام:

خاطب الله تعالى المُؤمنين بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في ثمانية وثمانين موضعًا مِن القرآن، قال ابن عبّاس رضي الله عنه:[٣] «وكان يخاطب في التوراة: يا أيُّها المساكين»،[٤] فكأنّه تعالى لمّا خاطبهم أوّلًا بالمساكين أثبت المَسكَنة آخرًا حيث قال: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾ [البقرة ٦١/٢]، وهذا يدلُّ على أنّه تعالى لمّا خاطب هذه الأمة بالإيمان أوّلًا، فإنّه تعالى يُعطيهم الأمان عن العذاب يوم القيامة، وأيضًا فاسم المؤمن أشرَف الأسماء والصفات، فإذا كان يُخاطِبنا في الدنيا بأشرَف الأسماء والصفات فنرجو مِن فضله أن يُعامِلنا في الآخرة بأحسن المُعامَلات.

واعلم أنّه لا يَبعُد في الكلمتين المُترادفتين أن يمنَع الله تعالى مِن إحداهما ويأذن في الأخرى، ولذلك ذهب الشافعيّ إلى أنّه لا تصحُّ الصلاة بترجمة الفاتحة، سواء كانت بالعربيّة أو بالفارسيّة، فلا يَبعُد أن يمنع الله تعالى[٥] مِن قول ﴿رَٰعِنَا﴾، ويأذن في قول ﴿ٱنظُرۡنَا﴾، وإن كانتا مترادفتين. ولكن جمهور المُفسِّرين على أنّه تعالى إنّما منَع مِن قول: ﴿رَٰعِنَا﴾؛ لاشتماله على نوع مَفسدة.[٦]

ثمّ ذكروا فيها وجوهًا:

**الأوّل**: هو الذي ذكره المُصنِّف. قال الإمام: ﴿رَٰعِنَا﴾ بلُغتهم معناها: اسمَع لا سَمِعتَ.[٧]

---

١ ن ر: هنا.

٢ انظر: تفسير الرازي، ٢٤١/٣ (البقرة، ١٠٤/٢).

٣ د - رضي الله عنه.

٤ لم أجده عن ابن عبّاس، وهو عن خيثمة في المُصنَّف لابن أبي شيبة، ٣١٨/١٩ (٣٦١٧٢)؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ١٩٦/١ (البقرة، ١٠٤/٢).

٥ د - تعالى.

٦ انظر: تفسير الرازي، ٢٤١/٣-٢٤٢ (البقرة، ١٠٤/٢).

٧ انظر: تفسير الرازي، ٢٤٢/٣ (البقرة، ١٠٤/٢).

افتَرَصُوه وخاطبوا به الرسولَ صلى الله عليه وسلم وهم يَعْنُون به تلك المَسَبَّةَ، فنُهي المؤمنون عنها وأُمروا بما هو في معناها، وهو: ﴿أَنظُرْنَا﴾ من نَظَرَهُ: إذا انتَظَرَهُ.

---

قوله: (افترصوه)[١] أي: عدُّوا ذلك فُرصة وغَنيمة، وقالوا: كنّا نسبُّ سِرًّا، فالآن نسبُّه علانية، وكان سعد يعرف لغتهم؛ ويدلُّ على صحَّة هذا التأويل قوله تعالى في "سورة النساء": ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ [النساء ٤/٤٦].[٢]

**الثاني**:[٣] قال قُطْرُب: هذه الكلمة وإن كانت صحيحة المعنى إلّا أنّ أهل الحجاز ما كانوا يقولونها إلّا عند الهُزء والسخريّة، فلا جرم نهى الله تعالى عنها؛ **الثالث**: أنّ اليهود كانوا يقولون: راعينا،[٤] أي: أنت راعي غنمنا، فنهاهم الله تعالى[٥] عنه؛ **الرابع**: أنّ قوله: ﴿رَٰعِنَا﴾ على وزن قوله: "عاطِنا" مِن المعاطاة، ورامِنا مِن المُراماة. ثمّ إنّهم جعلوا هذه النون النون الأصليّة، أي: جعلوها كلمة مُشتقّة مِن الرُّعونة، وهي: الحُمْق، فالراعن: اسم فاعل مِن الرُّعونة: فيحتمل أنّهم أرادوا به المصدر، كقولهم: عائذًا بك، أي: أعوذ عِياذًا بك، / فقولهم: [١٧١ظ] ﴿رَٰعِنَا﴾، أي: فعلتَ رُعونة؛[٦] ويحتمل أنّهم أرادوا به: صِرتَ ذا رعونة. **الخامس**: أن يكون المراد: لا تقولوا قولًا راعِنا، أي: قولًا منسوبًا إلى الرَّعَن، بمعنى: رَعَنِيًّا، كـ"دارِع" و"لابِن".[٧]

أو الألف على هذين الوجهين مُنقلِبة عن التنوين، بإجراء الوصل مُجرى الوقف؛ ويُؤيّدهما قراءة الحَسَن، وهي شاذّة.[٨]

---

١ ن ر: افترضوه.
٢ انظر: تفسير الرازي، ٣/٢٤٢ (البقرة، ٢/١٠٤).
٣ ن ر - الثاني.
٤ ن ر: راعنا.
٥ د - الله تعالى.
٦ ن ر: دعوته.
٧ من قوله: "الثاني: قال قطرب" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٣/٢٤٢ (البقرة، ٢/١٠٤). | ومعنى الوجه الأخير أنّ الرَّعَنيّ، وهو: ذو الرَّعَن، مثل "الدارِع"، وهو: ذو الدِّرع، و"اللابن"، وهو: ذو اللَّبن.
٨ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحَسَن وحُميد وابن مُحيصن والأعمش وأبو حَيْوة. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧١؛ المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٤٤٩.

وقرأ أبيٌّ: "أَنظِرْنَا" من النَّظِرَة؛ أي: أَمْهِلْنا حتى نحفَظَ.

وقرأ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "رَاعُونا" على أنهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير.

وقرأ الحسن: "راعِنًا" بالتنوين من الرَّعَن وهو الهَوَج؛ أي: لا تقولوا قولًا رَاعِنًا، منسوبًا إلى الرَّعَن بمعنى: رَعَنِيًّا كدارع ولابِنٍ؛ لأنه لمَّا أَشبَهَ قولَهم: راعينا، وكان سببًا في السبِّ اتَّصف بالرَّعَن.

---

فقوله: (لأنّه) أي: لأنّ قول المؤمنين: ﴿رَٰعِنَا﴾ -على ما هو في القراءة المشهورة- لمّا أشبه قول اليهود: "راعِينا"، فكان ﴿رَٰعِنَا﴾ لهذا الوجه سبب السبّ،[١] وصَفه الله تعالى بالرَّعَن في القراءة المشهورة، فقال: لا تقولوا قولًا ذا رَعَن. قال الواحديُّ: «هذا النهي اختُصَّ بذلك الوقت؛ لإجماع الأمّة على جواز المُخاطبة بهذا اللفظ الآن».[٢]

قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ فيه وجهان: **الأوّل**: أنّه مِن نَظَره، أي: انتظره؛[٣] قال تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد ١٣/٥٧]. **الثاني**: أن ﴿ٱنظُرْنَا﴾[٤] معناه: انظُر إلينا، إلّا أنّه حُذِف حرف الجرّ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف ١٥٥/٧]، أي: من قومه. والمقصود منه أنّ المُعلِّم إذا نظر إلى المُتعلِّم كان إيراده للكلام على نَعْت[٥] الإفهام والتعريف أظهَر وأقوى.[٦]

قوله: (قرأ أُبَيّ) هذه،[٧] وقراءة عبد الله،[٨] شاذّتان.

---

١ ر: السبب.

٢ **الوسيط** للواحدي، ١٨٧/١ (البقرة، ١٠٤/٢)؛ **البسيط** للواحدي، ٢١٦/٣ (البقرة، ١٠٤/٢).

٣ ن ر: انتظرنا.

٤ ن ر - قال تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾. **الثاني**: أن ﴿ٱنظُرْنَا﴾.

٥ ر: بعث.

٦ من قوله: "قوله تعالى" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٢٤٣/٣ (البقرة، ١٠٤/٢).

٧ وقراءته "أَنظِرنا" بقطع الألف، وهي له في **الكشف والبيان** للثعلبي، ٥١٣/٣ (البقرة، ١٠٤/٢)؛ وهي قراءة الأعمش في **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٤٥٠.

٨ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وأُبيّ وجرير عن الأعمش وزِرّ بن حُبيش وأبي صالح. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٦؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧١؛ **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٤٤٩.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾

﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ وأَحسِنُوا سماعَ ما يكلِّمُكم به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ويُلْقي عليكم من المسائل بآذانٍ واعيَةٍ وأذهانٍ حاضرةٍ، حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادةِ وطلبِ المراعاة.

أو: واسمعوا سماعَ قبولٍ وطاعةٍ، ولا يَكنْ سماعُكم مثلَ سماعِ اليهود، حيث قالوا: ﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ [البقرة ٢/٩٣].

أو: واسمعوا ما أُمِرتُم به بجدٍّ حتى لا تَرجعوا إلى ما نُهِيتم عنه، تأكيدًا عليهم تَركَ تلك الكلمة.

وروي: أن سعد بن معاذ سَمعها منهم فقال: يا أعداءَ الله! عليكم لعنةُ الله، والذي نفسي بيدهِ لئن سمعتُها من رجلٍ منكم يقولُها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربنَّ عنقَه، فقالوا: أولستُم تقولونها؟ فنزلَتْ.

﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾: ولليهود الذين تهاوَنوا برسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وسَبُّوه ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾

﴿مِّنۡ﴾ الأولى للبيان؛ لأن الذين كفروا جنسٌ تحته نوعان: أهلُ الكتاب والمشركون؛

---

قوله تعالى: (﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾) عطف على قوله: ﴿وَقُولُواْ﴾. لا شُبهة في أنّ حصول السماع عند سلامة الحاسَّة أمر ضروري خارجٌ عن قدرة البشر، فلا يجوز وقوع الأمر به، فإذن المراد منه أحد أمور ثلاثة،[١] على ما ذكر المُصنِّف.

قوله: (ما أُمِرتُم به) يعني قَوْل: ﴿ٱنظُرۡنَا﴾ وتَرْك ﴿رَٰعِنَا﴾.

قوله: (تأكيدًا) أي: أكَّد عليهم تَرْك ﴿رَٰعِنَا﴾ تأكيدًا.

---

١ انظر: تفسير الرازي، ٣/٢٤٣ (البقرة، ٢/١٠٤).

كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة ٩٨/١] والثانيةُ مزيدةٌ لاستغراقِ الخيرِ، والثالثةُ لابتداء الغاية.

والخيرُ: الوَحْيُ، وكذلك الرحمة؛ كقوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف ٤٣/٣٢].

والمعنى: أنهم يَرون أنفسَهم أحقَّ بأَنْ يُوحَى إليهم، فيحسدونكم وما يحبُّون أن يُنزَّلَ عليكم شيءٌ من الوحي.

﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ﴾ بالنبوَّة ﴿مَن يَشَآءُ﴾ ولا يشاءُ إلا ما تقتضيه الحكمةُ.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾: إشعارٌ بأن إيتاءَ النبوَّة من الفضل العظيم؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ [الإسراء ١٧/٨٧].

**﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾**

---

قوله: **(ولا يشاء إلّا ما تقتضيه الحكمة)** إشارة إلى مذهبه.

قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾.

هذا هو النوع **الثاني** من طعن اليهود في الإسلام، قالوا: **القرآن** كلام محمَّد صلّى الله عليه وسلّم،[١] تقوَّله[٢] مِن نفسه، يأمر أصحابه بأمر ثمّ ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولًا ويرجع[٣] عنه غدًا.[٤] وكان اعتراضهم[٥] **الأوّل** على النَّسْخ ببدل **والثاني** على النَّسْخ بغير[٦] بدل، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ومعنى النَّسْخ: إبطال الشيء وإزالته. وقد يكون ذلك بإقامة آخر مُقامه، تقول العَرب: نسخَت الشمس الظلَّ، أي: أذهبَته وحلَّت[٧] محلَّه،[٨] وهذا نسخ إلى بدل؛

---

١ د - صلّى الله عليه وسلّم.

٢ ن ر: يقوله.

٣ ن ر: ثمّ يرجع.

٤ أكثره في تفسير الرازي، ٢٤٤/٣ (البقرة، ١٠٦/٢)؛ وبعضه في الوسيط للواحدي، ١٨٧/١ (البقرة، ١٠٦/٢).

٥ ر: أعواضهم.

٦ ن ر: من غير.

٧ ر: وحلب.

٨ ر: محبه.

رُوي أنّهم طعنوا في النَّسخ فقالوا: ألا ترون إلى محمّدٍ (صلى الله عليه وسلم) يأمُر أصحابَه بأمرٍ، ثم ينهاهم عنه ويأمرُهم بخلافه، ويقول اليومَ قولًا ويرجِع عنه غدًا؟ فنزلت.

وقرئ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾، و: ﴿ما نُنْسِخْ﴾ بضمّ النون من أَنْسَخَ.

﴿أو ننسأها﴾، وقرئ: ﴿نُنسِهَا﴾، و: "نُنَسِّها" بالتشديد، و: "تُنْسَها"، و: "تَنْسَها" على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقرأ عبد الله: ..........................................

---

لأنّ الظلّ يزول ويبطُل وتكون الشمس بدلًا عنه. وقد يكون النَّسخ إلى غير بدل: وهو رفع الحكم وإبطاله من غير أن يقوم بدل مَقامه، يقال: نسخَت الريح الآثار، أي: أبطلَتها وأزالتها.[١]

وقال القفّال: النَّسخ في اللُّغة: هو النقل والتحويل، ومنه نَسْخ الكتاب، كأنّه ينقُله إليه أو ينقُل حكايته، ومنه تناسُخ الأرواح وتناسخ المواريث، إنّما هو التحوُّل مِن واحد إلى واحد.[٢]

قوله: (وقُرِئ ﴿مَا نَنسَخْ﴾) قرأ ابن عامر "ما نُنسِخ" بضمّ النون وكسر السين، والباقون بفتحهما. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو "أو نَنْسَأها" بالهمز مع فتح النون والسين، والباقون بغير همز مع ضمّ النون وكسر السين.[٣] والبواقي من القراءات التي ذكرها شاذّة.[٤]

---

[١] من قوله: "ومعنى النسخ" إلى هنا بلفظ قريب في الوسيط للواحدي، ١/١٨٧-١٨٨ (البقرة، ٢/١٠٦). وانظر ما ذكره من المعاني اللغوية في الصحاح للجوهري، «نسخ». ولتفصيل المعاني الاصطلاحيّة انظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عُبيد، ٢/١٤؛ والبرهان للجويني، ٢/١٢٩٣-١٢٩٧؛ والمختصر لابن الحاجب، ٢/٩٧٠-٩٧٢.

[٢] انظر قول القفّال في تفسير الرازي، ٣/٢٤٤ (البقرة، ٢/١٠٦).

[٣] السبعة لابن مجاهد، ص ١٦٨؛ التيسير للداني، ص ٢٨٤؛ النشر لابن الجزري، ٢/٢١٩-٢٢٠.

[٤] شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧٢-٧٣؛ المغني في القراءات للنُّوْزاوازي، ص ٤٥١-٤٥٢.

"ما نُنْسِك من آيةٍ أو نَنْسَخْها".

وقرأ حذَيْفَةُ: "ما نَنسخ من آيةٍ أو نُنْسِكَهْا".

ونسخُ الآية: إزالتُها بإبدالِ أخرى مكانها، وإنساخُها: الأمرُ بنَسْخها، وهو أن يَأمر جبريلَ عليه السلام بأن يَجعلها منسوخةً بالإعلام بنسْخها.

ونَسْؤُهَا: تأخيرُها وإذهابُها لا إلى بدلٍ، وإنْساؤُها: أن يُذْهَب بحفظها عن القلوب.

والمعنى: أنّ كلَّ آيةٍ نَذْهبُ بها على ما تُوجبُه المصلحةُ: من إزالةِ لفظها

---

قوله: (**"نُنْسِك"**)[1] مِن الإنساء، والكاف[2] خطاب للنبيّ[3] عليه السلام، وكذا (**"نُنْسِكها"**)،[4] وضمير الغائب يعود إلى الآية.

قوله: (**وإنساخها: الأمر[5] بنَسْخها**)[6] وهذا كما تقول: أَضربتُ زيدًا، أي: أَمرتُ بضَرْبه. وقوله: (**بالإعلام**) أي: بأن يُعلَم النبيّ عليه السلام أنّها منسوخة؛ لأنّ جبرئيل[7] لا ينسخ الآية.[8] وقوله:[9] (**والمعنى أنّ كلَّ آية نذهَب بها**)... إلخ، فقوله: "نذهب بها" صفة / آية. وقوله: (**من إزالة**)... إلخ، بيان (**ما**). وأشار به إلى أقسام النسخ: [١٧٢و]

فإنّه قد تُنسخ الآية لفظًا وحكمًا، عن عائشة رضي الله تعالى عنها:[10] «كان ممّا يُتلى "عَشر رضعات[11] يُحرِّمنَ" فنُسِخ[12] بخمس رضعات».[13] وقد تُنسَخ التلاوة

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. **الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد**، ١٢/٢؛ **المُحتسَب** لابن جنّي، ١٠٣/١؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٣؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٥٢.
٢ ن ر + من.
٣ ن ر: النبيّ.
٤ ن ر: منسكها. | **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٩/٤ (البقرة، ١٠٦/٢)؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٥١-٤٥٢، وفيهما أنّها قراءة سالم مولى حذيفة.
٥ ن ر: الأمن.
٦ ن ر: ننسخها.
٧ ر: جبريل.
٨ د - وقوله: (بالإعلام) أي: بأن يعلم النبيّ عليه السلام أنّها منسوخة؛ لأنّ جبرئيل لا ينسخ الآية.
٩ ن: قوله.
١٠ د - رضي الله عنها.
١١ ن: رصفات.
١٢ ن: ينسخ.
١٣ بلفظ قريب في **موطّأ مالك**، ١٢٧/٢-١٢٨ (١٧٨٠)؛ و**صحيح مسلم**، ٦٦٣/١ (١٤٥٢)؛ و**سنن أبي داود**، ١١/٣-١٢ (٢٠٥٥).

**وحكمِها مَعًا، أو من إزالةِ أحدِهما، إلى بدلٍ أو غيرِ بدلٍ.**

**﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾؛ أي: بآيةٍ خيرٍ منها للعبادِ؛ ..............................**

---

دون الحكم[١] مثل: "الشيخ[٢] والشيخة إذا زَنَيا فارجموهما البتَّة نكالًا من الله والله عزيزٌ[٣] حكيم".[٤] وقد يُنسَخ الحكم دون التلاوة نحو قوله: ﴿مَتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة ٢/٢٤٠]، فإنّه نُسخ بقوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة ٢/٢٣٤].[٥]

قوله: **(إلى بدلٍ أو غيرِ[٦] بدلٍ)** تقسيم للنَّسخ باعتبار آخر: فإنّه قد يكون النسخ من غير بدل، وقد يكون ببدل، أمّا مِن غير بدل فمِثل وجوب تقديم الصدقة بين يدي مُناجاة الرسول، فإنّه نُسخ من غير بدل. وأمّا الذي ببدل فينقسم قسمين: لأنّه إمّا أن يكون ببدل أثقل، أو غير أثقل. مثال **الأوّل**: نسخ التخيير الثابت بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة ٢/١٨٤] فإنّه نُسخ بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة ٢/١٨٥]. ومثال **الثاني**: الاعتداد بالحول، فإنّه نُسِخ بقوله تعالى: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة ٢/٢٣٤].[٧]

قوله: **(نأتِ[٨] بآية)**... إلخ، في محلّ خبر "أنّ" في قوله: **(أنّ كلّ آية)** لكن أتى به مجزومًا على حكاية لفظ القرآن، فإنّ قوله: ﴿نَأْتِ﴾ مجزوم في القرآن بـ﴿مَا﴾ الشرطيّة. إذا عرفتَ ذلك فنقول: في قول المُصنِّف: **(نَسْخُ الآية: إزالتها بإبدال أخرى مكانها)** بحثٌ؛ لأنّه قد يكون من غير بدل. ثمّ إنّ المُصنِّف جعَل ما كان ببدل نسخًا، وما كان بغير بدل نسئًا، فقال: **(ونَسؤها: تأخيرها[٩] وإذهابها،[١٠] لا إلى بدل)**.

---

١ ن ر: النسخ.

٢ ر – الشيخة.

٣ ر: غفور.

٤ ر: رحيم.

٥ من قوله: "فإنّه قد تنسخ" إلى هنا جمعه المُصنِّف واختصره من تفسير الرازي، ٢٤٨/٣-٢٤٩ (البقرة، ١٠٦/٢).

٦ ر: وغير.

٧ انظر الأمثلة في تفسير الرازي، ٢٤٨/٣ (البقرة، ١٠٦/٢).

٨ ر: ناب.

٩ ر: خيرها.

١٠ ر: وإذها.

أي: بآيةٍ العملُ بها أكثرُ للثواب ﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾ في ذلك.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو يَقدِر على الخَيرِ، وما هو خَيرٌ منه، وعلى مثلِهِ في الخير.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾

---

قوله: (أو مثلُها) بالرفع عطف على قوله: (أكثرُ)، وفي بعضها بالجرّ على حكاية لفظ القرآن. وقوله: (في ذلك)، أي: في الثواب. وقال الواحديُّ في تفسير هذا الموضع:

النسيان ضدّ الذِّكر، والإنساء إفعالٌ منه، تقول: نسيَ[1] الرجل الشيء، وأنسيتُ الرجلَ الشيءَ إذا جعلتَه ينساه. ومعنى الآية أنّا إذا رفعنا آية من جهة النسخ أو الإنساء لها أتينا بخير من الذي نرفعه بأحد هذين الوجهين، وهما النسخ والإنساء. ومعنى ﴿مِثْلِهَا﴾، أي: في المنفعة والمثوبة،[2] بأن يكون ثوابها كثواب التي قبلها. والفائدة في ذلك أن يكون الناسخ أسهلَ في[3] المأخذ من المنسوخ وفي الإيمان به، ويكون الناس إليه أسرع، نحو: القبلة التي كانت على جهةٍ ثم حُوِّلت إلى الكعبة، فهذا وإن كان السجود إلى سائر النواحي مُتساويًا[4] في العمل والثواب، فالذي أمر الله تعالى[5] به[6] في ذلك الوقت كان الأصلح والأدعى للعَرب[7] وغيرهم إلى الإسلام.[8]

ثمّ اعلم أنّ "ما" في هذه الآية شرطية، و﴿نَنسَخْ﴾ شرط، و﴿نَأْتِ﴾ جزاء، كلاهما مجزومان به.

قوله[9] تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

---

١ ر: شيء.
٢ ر: الثوبة.
٣ ر: من.
٤ ن ر: متساويان.
٥ د – تعالى.
٦ ن ر – به.
٧ ر: المعرب.
٨ انظر: الوسيط للواحدي، ١/١٨٨، ١٩٠ (البقرة، ٢/١٠٦).
٩ ر: قو.

﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فهو يَملك أمورَكم ويُدبِّرُها ويُجريها على حسَب ما يُصلحُكم، وهو أعلمُ بما يتعبَّدُكم به من ناسخٍ ومنسوخ.

لمَّا بيَّن لهم أنَّه مالكُ أمورهم ومدبِّرُها على حسَب مصالحهم من نسخِ الآيات وغيرِه، وقرَّرهم على ذلك بقوله: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾، أراد أن يوصِيَهم بالثقة به فيما هو أصلحُ لهم ممّا يتعبَّدُهم به ويُنزل عليهم، وأنْ لا يَقترِحوا على رسولهم ما اقترَحه آباءُ اليهود على موسى عليه السلام من الأشياء التي كانت عاقبتُها

---

قال الإمام: لمّا حكَم الله تعالى بجواز النَّسْخ عقَّبه ببيان[١] أنّ مُلك السماوات والأرض له لا لغيره، وهذا هو التنبيه على أنّه تعالى إنّما حسُن التكليف منه لمَحْض كونه مالكًا للخَلْق مُستوليًا عليهم، لا لثواب يحصل أو لعقاب يندفِع.[٢]

قوله تعالى: ﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ﴾... إلخ.

قوله: (لمّا بيّن لهم أنّه مالك أمورهم) أي: بقوله: ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

قوله: (ومدبّرها على حسَب مصالحهم)، وذلك قوله: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

[١٧٢ظ] / قوله: "على حسب" مُتعلِّق بقوله:[٣] "مُدبِّرها" وقوله: (مِن نَسْخ الآيات) بيانُ مصالحهم، أو بيان أمورهم، والأوّل أظهر.

قوله: (وقرَّرهم[٤] على ذلك)؛[٥] لأنّ قوله: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾ استفهام في معنى التقرير.

قوله: (به وفيما) مُتعلِّقان بـ(الثقة) أي: أن يثقوا بالله في إنزال أو بيان ما هو أصلح. ثمّ بيّن ما هو أصلَح بقوله: (ممّا يتعبّدهم).

قوله: (وألّا يقترحوا) عطف على "الثقة" أي: يُوصيهم بأن يثِقوا وألّا[٦] يقترحوا، يقال: اقترحتُ عليه شيئًا[٧] إذا سألتَه من غير رويَّة.

---

[١] ر: بيان.
[٢] انظر: تفسير الرازي، ٢٥٣/٣ (البقرة، ١٠٦/٢).
[٣] ن ر - بقوله.
[٤] ن ر: وفورهم.
[٥] ن - على ذلك.
[٦] ر: ولا.
[٧] ن: الشيء.

وبالًا عليهم؛ كقولهم: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ [الأعراف ١٣٨/٧] ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النساء ١٥٣/٤] وغير ذلك.

﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾: ومَن ترَك الثِّقةَ بالآيات المنزلة وشكَّ فيها واقترَحَ غيرَها ﴿فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

---

واعلم أنّ ﴿أَمۡ﴾ في الآية منقطعة، فهي[١] بمعنى "بل" والهمزة، فـ"بل"[٢] هنا للعدول عن الكلام الأوّل والأخذ فيما هو أهمُّ. وعن مُجاهد: «أنّ قريشًا سألَت محمَّدًا عليه السلام أن يجعل الله تعالى لهم الصَّفا ذهبًا، فقال: نعم، هو لكم كالمائدة لبني إسرائيل» أي: إن[٣] لم يُؤمنوا بعد ذلك وعاندوا مُسِخوا قردة وخنازير، «فأبوا ورجعوا».[٤]

ثمّ اعلم أنّه «ليس في ظاهر قوله: ﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ﴾ أنّهم أتوا بالسؤال فضلًا عن كيفيّة السؤال»؛[٥] فيجوز أن يكون الاستفهام الإنكاريّ داخلًا على الإرادة، فيكون قد أنكر عليهم إرادة السؤال وإن لم يسألوا، ويجوز أن يكون داخلًا على السؤال. ثمّ إن كان داخلًا على الإرادة دون السؤال وقد سألوا ذلك بقولهم: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الفرقان ٢١/٢٥]، ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الفرقان ٣٢/٢٥]، فكان في هذه الآية دلالة على نبوّته[٦] بما أخبر عن ضميرهم، فعُلِم أنّه عليه السلام عَلِم ذلك من جهة الوحي.

و﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: وَسَطه، قال تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات ٥٥/٣٧]، أي: وَسَط[٧] الجحيم، وذلك على طريق التشبيه، فإنّ مَن سلك طريقة الإيمان فهو جارٍ على الاستقامة المُؤدِّية إلى الفوز والظفر بالطِّلبة مِن الثواب والنعيم، فالمُبدِل ذلك بالكفر عادلٌ عن الاستقامة، فقيل فيه: إنّه ضلّ سواء السبيل.

---

١ ن: فهو.

٢ ر: قيل.

٣ ر – إن.

٤ تفسير ابن أبي حاتم، ٢٠٣/١ (البقرة، ١٠٨/٢)؛ الكشف والبيان للثعلبي، ٢٦/٤ (البقرة، ١٠٨/٢)؛ تفسير الرازي، ٢٥٤/٣ (البقرة، ١٠٨/٢).

٥ تفسير الرازي، ٢٥٤/٣–٢٥٥ (البقرة، ١٠٨/٢).

٦ ر: نبوّة.

٧ ر: وسطه.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾

روي: أن فِنْحَاصَ بنَ عازُوراءَ وزيدَ بنَ قَيْسٍ ونَفَرًا من اليهود قالوا لحُذَيفَة بن اليمان وعمَّار بنَ ياسرٍ بعد وقعةِ أحدٍ: ألم ترَوْا ما أصابكم؟ ولو كنتُم على الحقِّ ما هُزِمْتم، فارجِعوا إلى دِينِنا فهو خيرٌ لكم وأفضلُ، ونحن أهْدَى منكم سبيلًا، فقال عمَّارٌ: كيفَ نَقْضُ العهد فيكم؟ قالوا: شديدٌ، قال: فإني قد عاهَدتُ أن لا أكفُرَ بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ما عِشْتُ، فقالت اليهود: أمَّا هذا فقد صَبَأَ،

---

«قال الزَّجّاج: معنى الآيَة أنّهم نُهوا أن يَسألوا النبيَّ عليه السلام ما لا خير لهم في السؤال عنه، والسؤال بعد قيام البراهين كُفر، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ﴾... إلخ».[١]

واعلم أنّ العلماء ذكروا في اتِّصال هذه الآية بما قبلها وُجوهًا: **الأوّل**: أنّه تعالى لمّا حكَم بجواز النَّسْخ في الشرائع فلعلّهم كانوا يَطلبونه بتفاصيل تلك الحِكَم، فمنعهم الله تعالى عنها، وبيّن أنّهم ليس لهم أن يشتغلوا بهذه الأسئلة، كما أنّه ما كان لقوم موسى أن يذكروا أسئلتهم الفاسدة؛ **الثاني**: لمّا قدَّم الأوامر والنواهي قال لهم: إن لم تقبلوا ما أمرتُكم به وتمرَّدتم عن الطاعة كنتُم كمَن سأل موسى ما ليس له أن يسأله، ورُويَ هذا عن [أبي][٢] مُسلم؛ **الثالث**: لمّا أمر ونهى قال: أتفعلون ما[٣] أُمرتُم أو تفعلون[٤] كما فعل مَن قبلكم مِن قوم موسى؟ والله أعلم بمراده.[٥]

قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾... إلخ.

هذا هو النوع **الثالث** مِن كيد اليهود.[٦] ويقال: (صبأ) الرجل صُبُوًّا،[٧] أي: خرج من دين إلى دين.

---

[١] **الوسيط** للواحدي، ١٩١/١ (البقرة، ١٠٨/٢). والظاهر أنّ الواحدي نقل كلام الزّجّاج واختصره من **معاني القرآن وإعرابه** للزّجّاج، ١٩٢/١.

[٢] د ن ر - أبي. | وأثبتُّ ما في مطبوع **تفسير الرازي**.

[٣] ن ر: لما.

[٤] ن ر: وتفعلون.

[٥] من قوله: "واعلم أنّ العلماء" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٢٥٥/٣ (البقرة، ١٠٨/٢). وفي مطبوعه «يطالبونه» مكان «يطلبونه».

[٦] انظر: **تفسير الرازي**، ٢٥٥/٣ (البقرة، ١٠٨/٢).

[٧] ن ر - صبوًا.

وقال حُذيفة: وأمَّا أنا فقد رَضِيتُ بالله ربًّا، وَبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبيًّا، وبالإسلام دِينًا، وبالقرآنِ إمامًا، وبالكعبة قِبلةً، وبالمؤمنين إخوانًا، ثم أَتَيَا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه فقال: «أَصَبْتُما خيرًا وأفلَحْتُما»، فنزلت.

**فإن قلتَ**: بِمَ تَعَلَّقَ قوله: ﴿مِنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾؟

**قلت**: فيه وجهان:

أحدهما: أن يتعلَّق بـ﴿وَدَّ﴾ على معنى: أنّهم تمنَّوا أن ترتدُّوا عن دِينكم وتمنِّيهم ذلك من عند أنفسهم ومِن قِبَل شَهْوتهم لا من قبَل التَّديُّن والميلِ مع الحقِّ؛ لأنَّهم ودُّوا ذلك من بعدِ ما تَبيَّن لهم أنكم على الحقِّ، فكيف يكون تمنِّيهم من قِبَل الحقّ؟

---

قوله عليه السلام: («**أصبتُما خيرًا وأفلحتُما**»)،[1] يجوز أن يكون دعاء، وأن يكون إخبارًا.

قوله: (**على معنى أنهم تمنَّوا**)... إلخ، فسَّر ﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾ بـ"تمنَّوا"، وفسّر ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ بـ"أن ترتدُّوا"، فيكون ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾: مفعول ﴿وَدَّ﴾، وانتصاب ﴿حَسَدًا﴾؛ لأنّه مفعول له[2] أو مصدر، أي: يحسدون حسدًا؛ أو حال[3] / مِن ﴿كَثِيرٌ﴾؛ [١٧٣و]
لأنّه وُصِف بقوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾، فجاز أن يتأخَّر الحال عنه، أو مِن فاعل[4] ﴿يَرُدُّونَكُم﴾، ويكون ﴿حَسَدًا﴾ بمعنى: حاسدين، كـ"الخَدَم" و"الطَّلَب".

اعلم أنّ الله تعالى إذا أنعَم على أخيك[5] بنعمة: فإن أردتَ زوالها فهذا هو الحَسَد، وإن اشتهيتَ مثلها فهذا هو الغِبطة والمُنافسة. أمّا الأوّل فحرام بكُلّ حال، إلّا نعمة أصابها فاجر أو كافر يَستعين بها على الشرّ والفساد فلا يضرّك محبتُك لزوالها، فإنّك لا تحبُّ زوالها من حيث إنّها نعمة؛ بل مِن حيث يتوسّل بها إلى الفساد والشرّ. وأمّا الغِبطة والمُنافسة فليست بحرام؛ قال الله تعالى:

---

[1] **الكشف والبيان للثعلبي**، ٢٧/٤-٢٨ (البقرة، ١٠٩/٢). قال الزيلَعي فيه: «قلتُ: غريبٌ، وهو في **الكشف والبيان للثعلبي** هكذا، من غير سند ولا راوٍ». **تخريج أحاديث الكشّاف**، ٧٩/١؛ وهو في **العُجاب في بيان الأسباب** لابن حجر، ص ١٧١-١٧٢.

[2] ن ر - له.

[3] ن ر: وحال.

[4] ن ر - فاعل.

[5] ر: أحبك.

وإمّا أن يتعلَّق بـ﴿حَسَدًا﴾؛ أي: حسدًا مُتبالِغًا مُنبعِثًا من أصلِ نفوسهم.

﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾: فاسلكوا معهم سبيلَ العَفْو والصَّفْح عمَّا يكون منهم من الجهل والعداوة ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾: الذي هو قَتلُ بني قُرَيظةَ وإجْلاءُ بني النَّضير، وإذلالُهم بضربِ الجزية عليهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: فهو يقدِرُ على الانتقامِ منهم.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾

﴿مِّنۡ خَيۡرٖ﴾: من حسنةٍ من صلاةٍ أو صدقةٍ أو غيرهما.

﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: تجدوا ثوابَه عنده.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾: عالمٌ لا يَضيعُ عنده عملُ عاملٍ.

الضميرُ في ﴿وَقَالُواْ﴾ لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، والمعنى: وقالت اليهود: لن يدخلَ الجنةَ إلَّا مَن كان هودًا، والنَّصارى: لن يدخلَ الجنةَ

---

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين ٢٦/٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران ١٣٣/٣]، وإنّما[١] المُسابقة عند الخوف.[٢]

قوله تعالى: (﴿مِّنۡ خَيۡرٖ﴾) قال الإمام: الأظهر أنّ المراد بقوله: ﴿مِّنۡ خَيۡرٖ﴾: التطوُّعات[٣] مِن الصلوات والزَّكوات.[٤]

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾ إلى آخره.

«هذا هو النوع الرابع من تخليط اليهود وإلقاء الشُّبَه في قلوب المسلمين».[٥]

---

[١] ر: وأمّا.

[٢] من قوله: "اعلم أنّ الله تعالى" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٢٥٧/٣-٢٥٨ (البقرة، ١٠٩/٢).

[٣] ر: التولعات.

[٤] انظر: تفسير الرازي، ٢/٤ (البقرة، ١١٠/٢).

[٥] تفسير الرازي، ٣/٤ (البقرة، ١١١/٢).

إِلَّا مَن كان نصارى، فلَفَّ بين القولين ثقةً بأن السامع يَرُدُّ إلى كلِّ فريقٍ قولَه، وأمنًا من الإلباس لِمَا عُلم من التَّعادي بين الفريقين وتضليلِ كلِّ واحدٍ منهما لصاحبه، ونحوُه: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة ٢/١٣٥].

والهُود: جمع هائِدٍ؛ كعائذ وعُوذ، وبازلٍ وبُزْلٍ.

**فإن قلتَ**: كيف قيل: ﴿كُونُواْ هُودًا﴾ على توحيد الاسم وجمعِ الخبر؟

**قلتُ**: حُملَ الاسمُ على لفظِ ﴿مَن﴾ والخبرُ على معناه؛ كقراءة الحسن: "إِلَّا مَن هو صالو الجحيم"، وقولِهِ: ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [التوبة ٩/٦٣].

وقرأ أُبيُّ بن كعبٍ: "إلا من كان يَهُوديًّا أو نصرانيًّا".

**فإن قلتَ**: لمَ قيل: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ وقولُه: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ﴾ أمنيةٌ واحدة؟

**قلتُ**: أشيرَ بها إلى الأمانيِّ المذكورةِ، وهي: أُمْنِيتُهم أن لا يُنْزَلَ على المؤمنين خيرٌ من ربهم، وأُمنيتُهم أن يردُّوهم كفَّارًا، وأمنيتُهم أن لا يدخلَ الجنَّة غيرُهم؛ أي: تلك الأمانيُّ الباطلةُ أمانيُّهم.

وقوله: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ متصلٌ بقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾، و﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ اعتراضٌ، أو أريدَ: أمثالُ تلك الأُمنيَّة أمانيُّهم، على حذف المضاف وإقامةِ المضاف إليه مقامَه، يريد: أن أمانيَّهم جميعًا في البطلان مثلُ أُمنيَّتهم هذه.

---

قوله: (**أَمْنًا**) عطف على قوله: (**ثقةً**)، وقوله: (**لِمَا**) مُتعلِّق بهما.

قوله: (**على توحيد الاسم**)، وهو الضمير المُستكِنّ في "كان".

قوله: (**أشير بها**) أي: بكلمة ﴿تِلْكَ﴾ فالمراد أنّ المذكورات مُتمنَّياتهم.[1]

قوله: (**أو أُريد**) عطفٌ على قوله: "أشير بها". وهنا وجه آخر لم يذكره المُصنِّف، وهو: أنّها وإن كانت أمنيّة واحدة في نفسها فبالنسبة إلى آحاد كلّ واحد مِن الفريقين[2] أمانيّ.

---

[1] ن: تمنياتهم.

[2] ن ر: القريتين.

والأُمنيّة: أفعولةٌ من التمنّي، مثلُ: الأُضحوكة والأُعجوبة.

﴿هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: هلمُّوا حجّتكم على اختصاصِكم بدخولِ الجنّة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواكم دخول الجنة، وهذا أهدمُ شيءٍ لمذهب المقلّدين، وأن كلَّ قولٍ لا دليلَ عليه فهو باطلٌ غيرُ ثابت.

و"هَاتِ": صوتٌ بمنزلةِ: هَاءِ، بمعنى: أَحْضِر.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١١٢﴾

﴿بَلَىٰ﴾ إثباتٌ لِمَا نَفَوْه من دخولِ غيرهم الجنةَ.

﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: مَن أَخْلَصَ نفسَه له لا يُشركُ به غيرَه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عَمَله ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ﴾ ..............................

قوله: (وأنّ كلَّ قول) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (أهدَمُ شيء)، فكأنّه قال: هذا دليل بطلان مذهب المُقلِّدين، ودليل أن كلَّ قول... إلخ.

قوله:[١] (لا يُشرِكُ[٢] به غيرَه) كالبيان لقوله: (أخلَص نفسَه)، وإنّما خصَّ "الوجه" بالذِّكر؛ لأنّه أشرف الأعضاء مِن حيث إنّه مَعدِن الحواسّ والفِكْر والتخيُّل، فإذا تواضع الأشرف[٣] كان غيره أولى؛ ولأنّ الوجه قد يُكنى به عن كلّ النفس؛ ولأنّ أعظَم العبادات السجدة، وهي إنّما تحصل بالوجه، فكأنّه أُشِير به إلى أنّه صانه عن السجود لغير الله تعالى.

قوله: (في عَمَله) والإحسانُ في العمل هو ما بيّنه النبيّ عليه السلام حين سأله جبرئيل[٤] عليه السلام: «ما الإحسان؟ فقال: الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك».[٥]

[١] ن ر – قوله.
[٢] ر: لا يشترك.
[٣] ر: الأشراف.
[٤] ن: جبريل.
[٥] صحيح البخاري، ١/١٩ (٥٠)؛ صحيح مسلم، ١/٢٣-٢٤ (١).

الذي يَستَوْجِبه.

**فإن قلتَ:** ﴿مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ﴾ كيف موقعُه؟

**قلتُ:** يجوز أن يكون ﴿بَلَىٰ﴾ ردًّا لقولهم، ثم يقع ﴿مَنۡ أَسۡلَمَ﴾ كلامًا مبتدأً، ويكون ﴿مَنۡ﴾ متضمِّنًا لمعنى الشرطِ وجوابُه: ﴿فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ﴾.

وأن يكون ﴿مَنۡ أَسۡلَمَ﴾ فاعلًا لفعل محذوف؛ أي: بلى يدخلُها مَن أسلَمَ، ويكون قوله: ﴿فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ﴾ كلامًا معطوفًا على "يدخلُها مَن أَسلم".

**﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣﴾**

﴿عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾؛ أي: على شيءٍ يصحُّ ويُعتدُّ به، وهذه مبالغةٌ عظيمة؛ لأنَّ المُحالَ والمعدومَ يقع عليهما اسم الشيء، ...............................

---

قوله: (يَستوجِبه) بناء على مذهبه،[1] وأمّا نحن فنقول: يستحقُّه.[2]

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ إلى آخره.

«اعلم أنّه تعالى لمّا جمعهم في الخبر الأوّل فصّلهم[3] في[4] هذه الآية، وبيّن قولَ كلّ فريق منهم في الآخَر،[5] وكيف تنكر[6] كلّ[7] طائفة دين[8] الأخرى».[9]

قوله **أوّلًا**: (**﴿عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾**) حكاية لفظ القرآن. وقوله ثانيًا:[10] (**على شيء يصحّ ويُعتَدُّ به**) تفسير للأوّل.[11]

---

[1] انظر لهذه المسألة عند المعتزلة: **شرح الأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبّار، ص ٦١٣-٦١٥؛ **والإرشاد** للجويني، ص ٣٨١.

[2] انظر لكلام أهل السُّنّة في هذه المسألة وردّهم على المعتزلة فيها: **التمهيد** للباقلاني، ص ٣٩٨-٤٠٤؛ **والإرشاد** للجويني، ص ٣٨١-٣٨٣؛

[3] ر: فصليهم.

[4] ن ر: على.

[5] ن ر: الآخرة.

[6] ر: نكر.

[7] ر: ذلك.

[8] ن ر: أو من.

[9] **تفسير الرازي**، ٨/٤ (البقرة، ١١٣/٢).

[10] ن ر + بناء.

[11] ن ر: الأوّل.

فإذا نُفي إطلاقُ اسم الشيء عليه فقد بُولغ في تركِ الاعتدادِ به إلى ما ليس بعده، وهذا كقولهم: أقلُّ مِن لا شيء.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الواو للحال، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ للجنس؛ أي: قالوا ذلك وحالُهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب، وحقُّ مَن حَمَل التوراة أو الإنجيل أو غيرَهما من كتب الله وآمنَ به أنْ لا يكفرَ بالباقي؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من الكتابين مصدِّقٌ للثاني شاهدٌ بصحته، وكذلك كتبُ الله جميعًا متواردةٌ على تصديقِ بعضِها بعضًا.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثلَ ذلك الذي سمعتَ به على ذلك المنهاجِ ﴿قَالَ﴾ الجهلةُ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ لا علمَ عندهم ولا كتابَ كعبَدَة الأصنام والمُعطِّلة ونحوِهم، قالوا لأهلِ كلِّ دِينٍ: ليسوا على شيء، وهذا توبيخٌ عظيمٌ لهم حيث نظَموا أنفسَهم -مع علمهم- في سِلك مَن لا يَعلم.

ورُوي: أن وفْدَ نجرانَ لمَّا قدِموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبارُ اليهود فتناظروا حتَّى ارتفعَتْ أصواتُهم، فقالت اليهود: ما أنتم على شيءٍ من الدِّين، وكفروا بعيسى عليه السلام والإنجيل، وقالت النَّصارى لهم نحوَه، وكفروا بموسى عليه السلام والتوراة.

﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: بين اليهود والنصارى ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بما يَقسِمُ لكلِّ فريقٍ منهم من العقاب الذي استحقَّه.

---

قوله: (عليه) أي: على ما عليه النصارى أو اليهود، ودلَّ على المَرجِع سياق الكلام.

قوله: (إلى) مُتعلِّق بقوله: (بُولِغ) أي: بُولِغ إلى حدّ ليس بعده حدّ. «رُوِيَ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما[1] قال: 'صدقوا ولو حلفوا على ذلك ما حنثوا؛ لأنّ كلّ فريق منهم ليس على شيء'».[2] قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ [المائدة ٥/٦٨].

---

[1] د - رضي الله عنهما.

[2] تفسير السمرقندي، ١/١٥٠ (البقرة، ٢/١١٣). ولم أجده في غيره ممّا وقفتُ عليه.

وعن الحسن: حكمُ الله بينهم: أن يكذِّبَهم ويدخلَهم النّارَ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

﴿أَن يُذْكَرَ﴾: ثاني مفعولي ﴿مَنَعَ﴾؛ لأنك تقول: منعتُه كذا، ومثلُه: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ﴾ [الإسراء ١٧/٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾ [الإسراء ١٧/٩٤]، ويجوز أن يُحذف حرفُ الجرِّ مع "أنْ".

ولك أن تَنْصبَه مفعولًا له، بمعنى: مَنَعها كراهةَ أن يُذكر.

---

قوله: (يكذِّبهم)[١] وذلك لأنّ مُراد كلّ فريق أنّهم على الحقّ فيُكذِّبهم في كونهم على الحقّ. وقيل: معنى ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: يُريهم مَن يدخل الجنَّة عِيانًا، / ومَن يدخل النار عِيانًا. [١٧٣ظ]

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾... إلخ.

﴿مَنْ﴾ استفهاميّة بمعنى الإنكار، أي: أيُّ الناس أظلم؟ معناه: لا أحد أظلَمُ. فكأنّه قال: مَن منَع فهو أظلم الناس. وفيه إشكال؛ لأنّ الشِّرك ظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان ٣١/١٣]، مع أنّ الشرك أعظم من هذا الفعل وكذا[٢] الزنا وقَتْل النفس أعظم مِن هذا الفعل. والجواب: أنّه عامّ دخله التخصيص، قاله الإمام.[٣]

قوله تعالى: (﴿أَن يُذْكَرَ﴾) منصوب بالاتّفاق، واختلفوا في وجه نَصْبه على أقوال: **الأوّل**: أنّه مفعول ثانٍ؛ **الثاني**: أنّ أصله: مِن أن يُذكَر، فحُذِف الجارّ وأُوصِل الفعل؛ **الثالث**: أنّه مفعول له؛ **الرابع**، ولم يذكره المُصنِّف: أنّه بدل اشتمال من ﴿مَسَٰجِدَ﴾، أي: مَن أظلم ممّن منَع أن يُذكَر في مساجد الله اسمه.[٤]

---

١ ن ر + جميعًا.

٢ ر: فكذا.

٣ من قوله: "وفيه إشكال" بتصرُّف يسير في تفسير الرازي، ١١/٤ (البقرة، ٢/١١٤).

٤ ن ر – اسمه.

وهو حكمٌ عامٌ لجنسِ مساجدِ الله، وأنَّ مانعَها من ذكر الله مُفرِطٌ في الظلم.

والسببُ فيه: أن النَّصارى كانوا يطرحون في بيت المقْدس الأذى ويمنعون الناسَ أن يُصَلُّوا فيه.

وأن الرُّوم غَزَوْا أهلَه فخرَّبوه وأحرقوا التوراةَ وقتلوا وسبَوْا.

وقيل: مَنعُ المشركين رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عامَ الحُدَيْبِيَةِ.

**فإن قلتَ**: فكيف قيل: ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ وإنما وقع المنعُ والتخريبُ على مسجدٍ واحدٍ وهو بيتُ المقدس أو المسجدُ الحرامُ؟

**قلتُ**: لا بأس أن يجيءَ الحكمُ عامًّا وإن كان السببُ خاصًّا؛ كما تقول لمن آذى صالحًا واحدًا: ومَن أظلم ممن آذى الصَّالحين، وكما قال الله عزّ وجل: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ والمَنْزُولُ فيه الأَخنَسُ بنُ شَرِيقٍ.

---

قوله: (**فكيف قيل: ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾؟**) اعلم أنّ قوله: ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ جمع مُضاف مُفيد للعموم: فمنهم مَن قال: المراد به: كلّ المساجد، فالحكم بالأظلميّة عام وإن ورد على سبب خاصّ، كما بيّنه المُصنِّف. ومنهم مَن قال: المراد بالمساجد جمع المَسجَد الذي بمعنى: موضع السجود، لا بمعنى البيت المبنيّ للعبادة، فالبيت الواحد المَبنيّ للعبادة مساجدُ بهذا المعنى.[١] واعلم أنّ المساجد على هذا تكون في الآية جمع مَسجَد بفتح الجيم لا بكسرها. قال سيبويه: المَسجِد بكسر الجيم: هو البيت المبنيّ للعبادة، وأمّا[٢] موضع السجود فهو بفتح الجيم على القياس.[٣]

قوله: (**شَرِيق**) بفتح الشين وكسر الراء.

---

[١] بعض ما مضى من الوجهين في تفسير الرازي، ١١/٤ (البقرة، ٢/١١٤).

[٢] ن: فأمّا.

[٣] انظر: كتاب سيبويه، ٩٠/٤. وعبارته فيه: «وأمّا المَسجِد فإنّه اسم للبيت، ولست تريد به موضع السجود وموضع جبهتك، ولو أردتَ ذلك لقلت: مَسجَد».

﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ بانقطاع الذكر، أو بتخريب البنيان.

وينبغي أن يرادَ بـ"مَن مَنَع" العمومُ كما أريدَ بـ"مساجد الله"، ولا يراد الذين منعوا بأَعْيانهم مِن أولئك النَّصارى أو المشركين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المانعون ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا﴾؛ أي: ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجدَ الله ﴿إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ على حالِ التهيُّب وارتعادِ الفرائص من المؤمنين أن يَبطشوا بهم، فضلًا أن يستولوا عليها ويَلُوها ويمنعوا المؤمنين منها، والمعنى: ما كان الحقُّ والواجب إلَّا ذلك لولا ظلمُ الكفرة وعتوُّهم.

وقيل: ما كان لهم في حُكم الله، يعني: أن الله قد حكَم وكتب في اللوح المحفوظ أنَّه ينصر المؤمنين ويقوِّيهم حتى لا يدخلوها إلا خائفين.

---

قوله: **(أولئك النصارى)** هذا على تقدير منع بيت المَقدِس.

قوله: **(أو المشركين)** على تقدير مَنْع المَسجِد الحرام.

قوله تعالى: **(﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ﴾)** اعلم أنّ هذا النفي يحتمل أنّ يكون على أصله، ويحتمل أنّ يكون بمعنى النهي، فإن حُمِل على الأصل ففيه وجهان: **الأوّل**: هو الذي أشار إليه المُصنِّف بقوله: **(أي: ما كان ينبغي)**، وبيَّنه بقوله: **(والمعنى: ما كان)**... إلخ. و"الارتعاد": الاضطراب. و**(الفرائص)** جمع الفريصة:[1] وهو لحم الكَتِف.

قوله: **(أن يبطِشوا)** مفعول خائفين، أي: خائفين[2] أن يبطِش المؤمنون بالمانعين.

قوله: **(فضلًا)** مُتعلِّق بقوله: "ما كان ينبغي لهم" أي: ما كان ينبغي لهم[3] أن يدخلوا فضلًا أن يَستولوا. الوجه **الثاني**: وإليه أشار بقوله: **(وقيل: ما كان لهم في حُكم الله)**، وبيَّنه بقوله: **(يعني: أنّ[4] الله قد حكَم)**... إلخ. ثمّ أشار إلى أنّه على هذا الوجه احتمالان: الاحتمال **الأوّل**: أن يكون المراد بـ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾:

---

[1] ر: فريصة.
[2] ر - أي: خائفين.
[3] ن ر - لهم.
[4] ر - أنّ.

روي: أنه لا يدخل بيتَ المقْدِس أحدٌ من النَّصارى إلا مُتَنَكِّرًا مُسارَقَةً.

وقال قَتادةُ: لا يوجَدُ نصرانيٌّ في بيت المقْدس إلّا أُنهِكَ ضربًا وأُبلِغ إليه في العقوبة.

وقيل: نادَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ..............................

---

بيت المَقدِس، واستشهد عليه بقوله: (رُوِيَ)، وبقوله: (قال قتادة)... إلخ. يقال: نَهَكَته الحُمّى، أي: نقصَت لحمه، وأنهَكَه السُّلطان عقوبةً، أي: بالغ.

واعلم أنّ الإمام اعترض على ما نُقِل عن قتادة فقال:

> قال[1] قتادة والسُّدّيّ: «قوله: ﴿إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ بمعنى أنّ النصارى لا يدخُلون بيت المَقدِس إلّا خائفين، ولا يُوجَد فيه نصرانيٌّ[2] إلّا أُوجِع ضربًا».[3] وهذا التأويل مردود؛ لأنّ بيت المَقدِس بقيَ أكثر من مئة سنة في أيدي النصارى، بحيث لم يتمكّن أحد مِن المسلمين مِن الدخول فيه إلّا خائفًا، إلى أن استخلصه الملك الناصر صلاح الدين في زماننا.[4]

وهذا الاعتراض من الإمام بعيد؛ لأنّ تفسيره لا يقتضي أن يكون دخول النصارى في بيت المَقدِس دائمًا خائفين؛ بل لو تحقَّق ذلك في بعض الأزمنة لكفى الاحتمال.[5]

[١٧٤و] / الثاني: أن يكون المراد[6] المَسجِد الحرام، واستشهد عليه بقوله: (وقيل: نادى)... إلخ. وحاصله أن يكون هذا بشارة للمسلمين، بأنّه سيُظهرهم على المَسجِد الحرام وعلى سائر المساجد، وأنّه يُذِل المُشركين لهم حتّى لا يدخل المَسجِد الحرام واحد منهم إلّا خائفًا، يخاف أن يُؤخَذ فيُعاقَب أو يُقتَل إن لم يُسلِم،

---

١ ر - قال.

٢ د: نصارى.

٣ هو بلفظ قريب في تفسير ابن أبي حاتم، ٢١٠/١-٢١١ (البقرة، ١١٤/٢)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٤٠/٤ (البقرة، ١١٤/٢)؛ والبسيط للواحدي، ٢٥٢/٤ (البقرة، ١١٤/٢).

٤ انظر: تفسير الرازي، ١٢/٤ (البقرة، ١١٤/٢).

٥ كُرِّرت عبارة "لكفى الاحتمال" في أوّل اللوح التالي من د. | ذكر الطِّيبي هذا التأويل بمعناه، وذكر معه تأويلًا آخر، مع سوقه كلام الرازي من غير تصريح بردّ كلامه. انظر: فتوح الغيب للطِّيبي، ٥٤/٣.

٦ ر - المراد.

«ألَا لا يحُجَّنَّ بعد هذا العام مُشْرِكٌ، ولا يطوفَنَّ بالبيت عُرْيان».

وقرأ عبد الله: "إلّا خُيَّفًا" وهو مثلُ صُيَّم.

وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافرِ المسجدَ: فجوَّزه أبو حنيفة رضي الله عنه ولم يجوّزه مالكٌ، وفرَّق الشافعي رضي الله عنه بين المسجد الحرام وغيره.

وقيل: معناه: النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلِيَةِ بينهم وبينه؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب ٣٣/٥٣].

---

وقد أنجز الله تعالى[1] هذا الوعد فمَنَعهم[2] من دخول المسجد، ونادى فيهم عام حجَّ أبو بكر رضي الله عنه[3] مُنادي[4] رسول الله تعالى عليه السلام: («ألا لا يَحجَّنَّ[5] بعد هذا العام مُشرِك»)،[6] وأمر بإخراج اليهود مِن جزيرة العَرب، وذلك في السنة التاسعة، فحجَّ النبيّ عليه السلام من العام الثاني، وذلك في السنة العاشرة من الهجرة[7] لا يجترئ أحد من المشركين أن يحجّ ويدخل المسجد الحرام.[8]

وجميع ذلك على تقدير أن يكون على أصله. وإن كان المراد به النهي فهو الذي أشار إليه المصنِّف بقوله: (وقيل: معناه النهي عن تمكينهم) فيكون النهي مُتوجِّهًا إلى المؤمنين، فيحرم عليهم أن يُمكِّنوا المشركين من دخول المَسجِد الحرام بالأمن. وقال الإمام: قيل: معناه «أنّه يحرُم عليهم دخول المسجد إلّا في أمر يتضمَّن الخوف، نحو أن يدخلوا للمُحاكمة والمُخاصَمة والمُحاجّة؛ لأنّ كلّ ذلك يتضمَّن الخوف».[9] وقراءة عبد الله "خُيَّفًا" بدل ﴿خَآئِفِينَ﴾ شاذَّة.[10]

قوله: (وهو مثل "الصُّيَّم") أي: في قلب الواو ياء، والقياس "خُوَّف" و"صُوَّم".

---

[1] ن - تعالى.

[2] ن: فمنهم.

[3] د - رضي الله عنه.

[4] ن ر: فنادى.

[5] ر: يحجنّ.

[6] صحيح البخاري، ٢/١٥٣ (١٦٢٢)؛ صحيح مسلم، ١/٦١٢-٦١٣ (١٣٤٧)، وفيهما بلفظ «... لا يحجُّ بعد العام مُشرِك...».

[7] ن ر - من الهجرة.

[8] من قوله: "وحاصله أن يكون" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٤/١٢ (البقرة، ٢/١١٤).

[9] تفسير الرازي، ٤/١٢ (البقرة، ٢/١١٤).

[10] قراءة شاذّة، مرويّة عن أبيّ والأعمش. الكشف والبيان للثعلبي، ٤/٤٠ (البقرة، ٢/١١٤)؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٥٥.

﴿خِزۡيٌ﴾: قتلٌ وسبيٌ، أو ذلّةٌ بضربِ الجزية.

وقيل: فتحُ مدائنهم: قُسطَنطِينيّة ورُوميّة وعمُوريّة.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥﴾

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾؛ أي: بلادُ المشرِق والمغربِ، والأرض كلُّها لله هو مالكُها ومُتولّيها.

﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ﴾: ففي أيِّ مكانٍ فعلتُم التَّوليَةَ، يعني: توليةَ وجوهِكم شَطْرَ القِبلة؛ بدليلِ قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ [البقرة ١٤٤/٢].

---

واختلف الفقهاء في دخول الكافر المَسجِد: فجوَّزه أبو حنيفة مطلقًا، ومنعه مالك مطلقًا، وقال الشافعيّ: يُمنَع من دخول الحَرَم[1] والمسجد الحرام،[2] ولا يُمنَع من غيرهما. واحتجّ الشافعيّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ [التوبة ٢٨/٩].[3] قال الشافعيّ: قد يكون المراد مِن المَسجِد الحرام: الحَرَم،[4] كقوله تعالى: ﴿أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [الإسراء ١/١٧]، وإنّما أُسرِي به من بيت خديجة، فالآية دالّة: إمّا على المَسجِد فقط، أو على الحَرَم[5] كلِّه، وعلى التقديرين فالمقصود حاصل؛ لأنّ الخلاف حاصل فيهما جميعًا.[6]

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾.

قوله: (ففي أيّ مكان فعلتُم التّولية) يريد أنّه تَرَكَ[7] المفعول لفظًا ومعنى بإجراء الفعل المُتعدّي مُجرى اللازم، نحو "فلان يعطي ويمنع" أي: يفعل الإعطاء والمنع.

---

١ ن ر – الحرم.

٢ ن ر: المسجد الحرام.

٣ انظر لتفصيل هذه المسألة واختلاف الفقهاء فيها: **أحكام القرآن** للجصاص، ٢٧٨/٤-٢٨١؛ و**أحكام القرآن** للهرّاسي، ١٨٥/٢-١٨٦؛ و**أحكام القرآن** لابن العربي، ٤٦٩/٢-٤٧١؛ و**أحكام القرآن** لابن الفَرس، ١٣٠/٣-١٣٢.

٤ ن ر – الحرم.

٥ ن ر: الحرام.

٦ من قوله: "واختلف الفقهاء" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ١٨/٤ (البقرة، ١١٥/٢).

٧ ن ر: من ترك.

﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: جهتُه التي أَمَر بها ورَضِيَها، والمعنى: أنكم إذا مُنِعْتُم أن تُصَلُّوا في المسجدِ الحرام أو في بيت المَقْدس فقد جُعلتْ لكم الأرضُ مسجدًا، فصَلُّوا في أيِّ بُقْعَةٍ شئتُم من بقاعها، ..............

---

ثمّ أشار المُصنِّف إلى أنّه تُرِك هنا مفعولا[١] ﴿تَوَلَّوْا﴾، وحاصل هذا المعنى أنّكم في أيّ موضع كنتُم من المواضع إذا ولَّيتم وجوهكم نحو الكعبة فتصحّ صلاتكم؛ لأنّه حينئذ ولَّيتُم وجوهكم نحو الجهة التي أُمِرتم بالتوجُّه إليها، وهي الكعبة ولا يلزم عليكم أن تكونوا في المَسجِد الحرام إذا صلَّيتم، بل الواجب عليكم هو التوجُّه إليه. ثمّ استدلَّ المُصنِّف إلى أنّ المعنى هذا بقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة ١٤٤/٢].

قوله: (أي: جهته) الوَجْه والجِهَة والوِجْهة بمعنى، كالوَزْن والزِّنة.[٢] وقيل: معناه: فثمَّ رضى الله،[٣] كقوله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل ٢٠/٩٢]. وقيل: معناه: فثمّ الله، والوجه صلة،[٤] أي: ليس هو عنكم بغائب.

قوله: (والمعنى: أنكم إذا مُنِعتُم)[٥] واعلم أنّ العلماء اختلفوا في سبب نزول هذه الآية:[٦] فمنهم مَن قال: إنّها نزلَت في أمر يتعلَّق بالصلاة؛ ومنهم مَن قال: نزلَت / في أمر لا يتعلَّق بالصلاة.[٧] [١٧٤ظ]

---

١ ر: مفعول.

٢ انظر: **الوسيط** للواحدي، ١٩٤/١ (البقرة، ١١٥/٢).

٣ انظر القول في **جامع البيان** للطبري، ٤٦٠/٢ (البقرة، ١١٥/٢).

٤ عزا الواحديُّ هذا القول الأخير إلى أكثر المُفسِّرين في **البسيط**، ٢٥٧/٣-٢٥٨ (البقرة، ١١٥/٢)؛ وهو في **جامع البيان** للطبري، ٤٥٩/٢ (البقرة، ١١٥/٢). والظاهر أنّ أكثرهم على أنّ معناه: قبلة الله ووجهة الله، وهو المرويّ عن ابن عبّاس ومجاهد وعكرمة. انظر لذلك: **سنن الترمذي**، ٧٣/٥-٧٤ (٢٩٥٨)؛ و**جامع البيان** للطبري، ٤٥٩/٢ (البقرة، ١١٥/٢)؛ و**تفسير ابن أبي حاتم**، ٢١٢/١ (البقرة، ١١٥/٢)؛ و**الكشف والبيان** للثعلبي، ٥١/٤ (البقرة، ١١٥/٢).

٥ ر: لمتعتم.

٦ انظر لتفصيل ذلك: **جامع البيان** للطبري، ٤٤٩/٢-٤٥٥ (البقرة، ١١٥/٢)؛ و**تفسير ابن أبي حاتم**، ٢١١/١-٢١٢ (البقرة، ١١٥/٢)؛ و**أسباب نزول القرآن** للواحدي، ص ٣٤-٣٦؛ و**العُجاب في بيان الأسباب** لابن حجر، ص ١٧٧-١٨٢.

٧ انظر: **تفسير الرازي**، ٢٠/٤ (البقرة، ١١٥/٢).

**وافعلوا التوليةَ فيها فإنّ التوليةَ ممكِنةٌ في كلِّ مكانٍ، لا يَختصُّ إمكانُها في مسجِدٍ دون مسجد، ولا في مكانٍ دون مكان.**

---

ومَن قال: **إنّها نزلت في أمر يتعلّق بالصلاة فقد اختلفوا: فمنهم مَن قال نزلَت**[١] في المَنْع من الصلاة في المسجد الحرام أو بيت المَقدس، وإلى هذا الوجه أشار المُصنِّف بقوله: "ففي أيِّ مكان" إلى قوله: **(دون مكان)**. ومنهم مَن قال: نزلَت في المُسافر يُصلّي النوافل حيث تتوجَّه راحلته، «كان عليه السلام إذا رجع مِن مكّة صلّى على راحلته تطوُّعًا، يومئ برأسه نحو المدينة».[٢]

فمعنى الآية: فأينما تولُّوا وجوهَكم لنوافلكم في أسفاركم فثَمّ وجهُ الله، أي: فقد صادفتُم المطلوب، إنّ الله واسع الفَضْل[٣] غنيّ، فمِن سَعة فضله وغِناه رخَّص لكم في ذلك؛ لأنّه لو كلَّفكم استقبال القبلة في مِثل هذه الحال لزم أحد الضررين: إمّا تَرْك النوافل، وإمّا النزول عن الراحلة والتخلُّف عن الرُّفقة، بخلاف الفرائض فإنّها صلوات معدودة محصورة، فتكليف النزول عن الراحلة عند أدائها واستقبال القبلة فيها لا يفضي إلى الحرج.[٤]

وقيل: نزلَت فيمَن أخطأ القبلة فصلّى بالاجتهاد؛ رُوِيَ عن عطاء عن جابر قال:

> «بعَث رسول الله عليه السلام سَرِيَّة كنتُ فيها، فوقعنا في ليلة سوداء مُظلِمة، فلم نعرِف القِبلة، فقالت طائفة منّا: قد عرفنا القِبلة هي ههنا[٥] قِبَل الشمال، فصلُّوا وخطُّوا خطوطًا، وقال بعضهم:[٦] القِبلة ههنا قِبَل الجنوب، فصلُّوا وخطُّوا خطوطًا، فلمّا أصبحوا وطلَعت الشمس

---

١ ن ر – في أمر لا يتعلّق بالصلاة. ومَن قال: إنّها نزلت في أمر يتعلّق بالصلاة فقد اختلفوا: فمنهم مَن قال نزلَت.

٢ الحديث في **سنن الترمذي**، ٧٣/٥ (٢٩٥٨)، بلفظ «كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يصلي على راحلته تطوُّعًا حيثما توجَّهت به، وهو جاءٍ من مكّة إلى المدينة»؛ وفي **جامع البيان للطبري**، ٥٣/٢ ٤ (البقرة، ١١٥/٢)؛ **وتفسير ابن أبي حاتم**، ٢١٢/١ (البقرة، ١١٥/٢)؛ **وتفسير الرازي**، ٢١/٤ (البقرة، ١١٥/٢)، بلفظه ههنا.

٣ ن ر: التفضُّل.

٤ من قوله: "فمعنى الآية" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٢١/٤ (البقرة، ١١٥/٢).

٥ ر: هنا.

٦ ر: بعضنا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾: واسعُ الرحمة، يريد التوسعةَ على عباده والتيسيرَ عليهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بمصالحهم.

وعن ابن عمَر رضي الله عنهما: نزلت في صلاةِ المسافر على الرَّاحلة أينما توَجَّهت.

وعن عطاء: عَمِيَت القبلةُ على قوم فصلَّوا إلى أَنحاءٍ مُخْتلفَةٍ، فلمَّا أصبحُوا تبيَّنوا خَطَأَهم فعُذِرُوا.

وقيل: معناه: فأينما تُولُّوا للدُّعاءِ والذِّكر، ولم يُرِدِ الصلاة.

---

أصبحَت تلك الخطوط لغير القِبلة، فلمّا قَفلنا[١] من سفرنا سألنا النبيّ عليه السلام عن ذلك فسكت، فأنزل الله تعالى[٢] هذه الآية».[٣]

وإنّما قال المُصنِّف (فعُذِروا)؛ لأنّ مِثل ذلك لو وقع لنا لَوجَب الإعادة إذا تبيَّن الخطأ مُعيَّنًا. وهذا الحديث يدلُّ على أنّ نزول هذه الآية كان بعد تحوُّل الناس من بيت المَقدِس إلى الكعبة؛ لأنّ القتال فُرِض بعد الهجرة، بعد نَسْخ قِبلة بيت المَقدِس.

واعلم أنّ معنى قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ على هذين الوجهين، أي: إلى أيِّ جهة ولَّيتم وجوهكم فتلك الجهة المأمور بالتوجُّه[٤] إليها، سواء كانت تلك الجهة الكعبة أو غيرها، ويكون المراد السفر أو حال اشتباه القِبلة. فعلى هذا قوله: (عن ابن عمر)... إلخ، عطفٌ من حيث المعنى على قوله: "ففي أيِّ مكان فعلتُم التَّولية"... إلخ، لأنّ هذا الكلام إشارة إلى التفسير الآخر[٥] غير التفسير المُتقدِّم.

القول الثاني: وهو قول مَن زعم أنّ هذه الآية نزلت في أمر سوى[٦] الصلاة

---

١ ن ر - قفلنا.

٢ ر - تعالى.

٣ الوسيط للواحدي، ١/١٩٤-١٩٥ (البقرة، ٢/١١٥)؛ أسباب نزول القرآن للواحدي، ص ٣٤؛ العُجاب في بيان الأسباب لابن حجر، ص ١٧٧-١٧٨.

٤ د ن: بالجهة.

٥ ن ر: الأخير.

٦ ن ر: شورى.

وقرأ الحسن: "فأينما تَولّوْا" بفتح التاء من التَّولِّي، يريد: فأينما تَوجَّهُوا القبلة.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟﴾ وقرئ بغير واوٍ.

---

فلهم وجوه: منها أنّه لمّا نزل قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر ٦٠/٤٠] قالوا: أين ندعوه؟ فنزلت هذه الآية، وهو قول الحَسَن ومجاهد والضحّاك.[١]

[١٧٥و] قوله: (وقرأ الحَسَن) بفتح التاء واللام، هي / شاذّة.[٢] ويجوز أن يكون ماضيًا وأن يكون مضارعًا بحذف[٣] إحدى التائين.

قوله: (يريد: فأينما تَوجَّهوا القِبلةَ)، يعني أنّ قوله: "تَوَلَّوا" بفتح التاء واللام من باب التفعُّل،[٤] وهو مُتعدٍّ إلى مفعول واحد، والتقدير: تَوجَّهوا القبلةَ. وأمّا القراءة بضمّ التاء وفتح الواو وضمّ اللام فمِن باب[٥] التفعيل، فيتعدّى إلى مفعولين، كما مرّ بيانه[٦] أوّلًا.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ﴾... إلخ.

قوله: (﴿وَقَالُوا۟﴾) حكاية لفظ القرآن. وقوله: (وقُرِئ بغير واو) عطفٌ عليه، كأنّه قال: قُرِئ بالواو، وقُرِئ بغير الواو. وقال أبو عليّ في **الحُجّة**: قرأ ابن عامر بغير واو، وكذلك[٧] هي في مصاحف أهل الشام، وقرأ الباقون بواو.[٨]

واعلم أنّ ظاهر قوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ يقتضي أن يكون راجعًا إلى قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾، وقد ذكرنا أنّ منهم مَن تأوّله على النصارى،

---

١ هو قولهم في **الكشف والبيان** للثعلبي، ٥٢/٤ (البقرة، ١١٥/٢)؛ وهو قول مجاهد في **جامع البيان** للطبري، ٤٥٧/٢ (البقرة، ١١٥/٢)؛ وهو قولهم نقلًا عن الثعلبي في **العُجاب في بيان الأسباب** لابن حجر، ص ١٨٢.

٢ **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٦؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٣؛ **المغني في القراءات** للنَّوْزاواري، ص ٤٥٥.

٣ ر: وبحذف.

٤ ن ر: التفعيل.

٥ ن ر - باب.

٦ ن ر: تقديره.

٧ ر: كذلك.

٨ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢٠٢/٢. وانظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٦٨؛ **والتيسير** للداني، ص ٢٨٤-٢٨٥؛ **والنشر** لابن الجزري، ٢٢٠/٢.

يريد الذين قالوا: المسيح ابن الله، وعُزَير ابن الله، والملائكةُ بنات الله.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تَنْزيهٌ له عن ذلك وتبعيدٌ ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ هو خالقُه ومالكه ومن جُملته الملائكةُ وعزيرٌ والمسيح، ومن حقِّ الولد أن يكون من جنس الوالد.

والتنوين في ﴿كُلٌّ﴾ عوضٌ من المضاف إليه؛ أي: كلُّ ما في السماوات والأرض، ويجوز أن يراد كلُّ مَن جعلوه لله ولدًا.

---

ومنهم مَن تأوَّله على مشركي العَرب، ونحن قد تأوَّلناه على اليهود، وكلُّ هؤلاء أثبتوا الولد لله سبحانه[1] وتعالى؛[2] لأنّ اليهود قالوا: ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٣٠/٩]، والنصارى قالوا: ﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٣٠/٩]، ومشركو العَرب قالوا: الملائكة بنات الله، فلا جرم صحَّت هذه الحكاية على جميع التقديرات.[3]

قوله: (المسيح ابن الله وعُزَير ابن الله) ينبغي أن يُكتَب الألف قبل "الابن" في الكلامين؛ لأنّ كلًّا منهما مبتدأ وخبر، لا صفة وموصوف، فلا يُحذَف الألف منهما[4] في الخطّ.

قوله: (﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾) حكاية لفظ القرآن. وقوله: (تنزيه) تفسير له، يعني: نزّه تعالى بها[5] نفسه[6] عمّا قالوه، كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء ١٧١/٤]، فمرَّة أظهر ومرَّة اقتصر عليه لدلالة الكلام عليه. وقوله تعالى: (﴿بَل لَّهُۥ﴾) أي: ليس الأمر كما زعموا ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

قوله: (أي: كلُّ ما في السماوات والأرض) اعلم أنّ التنوين في "كلّ" عِوَض من المضاف إليه: فإمّا أن يكون التقدير: كلُّ ما في السماوات والأرض له قانتون؛ أو يكون التقدير: كلُّ مَن جعلوه لله[7] ولدًا له قانتون. فإن كان المُقدَّر:

---

[1] ن – سبحانه.
[2] ن: تعالى.
[3] من قوله: "واعلم أنّ ظاهر" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٢٤/٤-٢٥ (البقرة، ١١٦/٢).
[4] ن ر – منهما.
[5] ن ر: نفسه.
[6] ن ر: بها.
[7] ر: الله.

﴿لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: مطيعون عابدون، مُقِرُّون بالربوبيّة، منكِرون لِمَا أضافوا إليهم.

فإن قلتَ: كيف جاء بـ﴿مَا﴾ الذي لغيرِ أولي العِلم مع قوله: ﴿قَٰنِتُونَ﴾؟

قلتُ: هو كقوله: سبحان ما سخَّركنَّ لنا، وكأنَّه جاء بـ﴿مَا﴾ دون "مَن" تحقيرًا لهم وتصغيرًا لشأنهم؛ كقوله: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات ١٥٨/٣٧].

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾

يقال: بَدُعَ الشيءُ فهو بديعٌ؛ كقولك: بَزُعَ الرجلُ فهو بَزيعٌ.

و﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من إضافة الصفة المشبَّهة إلى فاعلها؛ أي: بديعٌ سماواتُه وأرضُه.

---

كلُّ ما في السماوات والأرض، فمعنى ﴿قَٰنِتُونَ﴾: أنّهم مُنقادون لأمره، لا يمتنع شيء منهم عمّا أراده الله تعالى[١] من التكوين والتصرُّف، فهم[٢] في مُلكه وقَهْره يتصرَّف فيهم كيف يشاء. وإن كان المُقدَّر: كلُّ مَن جعلوه لله ولدًا له قانتون، فمعنى أنّ هؤلاء الذين جعلوه ولدًا لله: له[٣] قانتون، أي: مُطيعون عابدون مُقرّون بربوبيّته مُنكرون لما أضافه المشركون إليهم.

قوله: («سبحان ما سخَّركنَّ»)،[٤] أي: مَن سخَّركنَّ؛ لأنّ المُسخِّر هو الله تعالى.

قوله: (﴿وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ [الصافات ١٥٨/٣٧]) أي: الملائكة، سمّاهم بالجِنَّة تحقيرًا لشأنهم، فكما عدَل عن لفظ "الملائكة" إلى لفظ "الجِنّة" تحقيرًا لشأنهم،[٥] فكذا هنا عدل عن لفظ "مَن" إلى لفظ "ما" تحقيرًا لشأنهم.

[١٧٥ظ] قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ/ وَٱلْأَرْضِ﴾... إلخ.

قوله: (بزُع)[٦] أي: ظرُف، فهو بزيع[٧] وبُزاع، ولا يُوصَف به إلا الأحداث.[٨]

---

١ ن ر + منهم.
٢ ن ر: فيهم.
٣ ر – له.
٤ حُكِيَ عن أبي زيد في شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ٤٣٩/٢. وأورده الزمخشريُّ في المُفصَّل، ص ١٨٦.
٥ د – فكما عدَل عن لفظ "الملائكة" إلى لفظ "الجِنّة" تحقيرًا لشأنهم.
٦ ر: بدع.
٧ ر: بديع.
٨ انظر: الصحاح للجوهري، «بزع».

وقيل: البديعُ بمعنى المُبدِع؛ كما أن السَّميع في قولِ عمرٍو:

أَمِـــن رَيـحـانَـةَ الــدَّاعِــي الـسَّـمِـيـعُ

بمعنى المُسْمع، وفيه نظر.

---

قوله: (وقيل: البديع بمعنى المُبدِع) قال القفّال: هو كالأليم بمعنى المُؤلِم، والحكيم بمعنى المُحكِم، غير أنّ في "بديع" مبالغة، وأنّه يدلُّ على استحقاق الصفة في غير حال الفعل، على تقدير أنّ مِن شأنه الإبداع، ونقيض[١] الإبداع الاحتذاء[٢] على مثال.[٣] فالبديع الذي يُبدع الأشياء، أي: يُحدثها ممّا لم يكن، وكذلك البديء، والعين والهمزة يتبادلان، وكلُّ من أنشأ شيئًا لم يَسبِق إليه أحد قيل له: أبدعتَ وأبدأتَ،[٤] ولهذا قيل لمن خالف السُّنَّة[٥] والجماعة مُبتدِع؛ لأنّه أحدث في الإسلام ما لم[٦] يَسبِقه إليه السَّلَف. قال عمرو بن مَعدي كَرِب:

(أَمِــن[٧] رَيحـانـةَ الـداعـي السميع) يُـؤرِّقـنـي وأصـحـابـي هُـجـوعُ[٨]

"رَيحانة": اسم امرأة، وقيل: اسم موضع.[٩] والأرق: ذهاب النوم، وأرَّقه الهمُّ تأريقًا. والهُجوع: النِّيام. قالوا: "السميع" في البيت[١٠] بمعنى المُسمِع. و"الداعي" مبتدأ، و"مِن رَيحانة" خبره. والمعنى: أهذا[١١] الداعي المُسمِع[١٢] حصَل أو أتى من جانب رَيحانة؟ ويريد بالداعي: دواعي الشوق التي[١٣] تدعوه وتُسمِعه الصوت. ثمّ قالوا: كما أنّ السميع في البيت بمعنى المُسمِع[١٤] فالبديع بمعنى المُبدِع. قال[١٥] المُصنِّف: (وفيه نظرٌ)؛ لجواز أن يكون "السميع" في البيت[١٦] بمعنى السامع، وذلك لأنّ دواعي الشوق لمّا دعَت الشاعر صار الشاعر سميعًا لدعوته،

---

١ د: ويقتضي.
٢ ن ر: الاحتباء.
٣ انظر قول القفّال بتصرُّف يسير في تفسير الرازي، ٢٧/٤ (البقرة، ١١٧/٢).
٤ ن ر: فأبدأت.
٥ ر: أسنة.
٦ ر – ما لم.
٧ ر: ابن.
٨ البيت في ديوانه، ص ١٤٠؛ والأصمعيّات، ص ١٧٢؛ وصدره لعمرو في مجاز القرآن لأبي عُبيدة، ٢٨/١.
٩ ن ر: امرأة.
١٠ ن ر – في البيت.
١١ ر + الذي.
١٢ ر: المسميع.
١٣ ن ر: الذي.
١٤ ر: المسميع.
١٥ ن ر: وقال.
١٦ ن ر – في البيت.

﴿كُن فَيَكُونُ﴾ من "كان" التامةِ؛ أي: أُحدُثْ، فيَحدث، وهذا مجازٌ من الكلام وتمثيلٌ، ولا قولَ ثَمَّ كما لا قَوْلَ في قوله:

---

فتسبَّب الداعي لكون الشاعر سميعًا، فأوقع على الداعي اسم السميع لكونه سببًا في السماع، كقوله:

إذا ردَّ عافي القِدر مَن يستعيرُها[١]

على أنّ الشاذَّ لا يُلحَق به غيره، وكذا الأليم بمعنى المُؤلِم عند المُصنِّف؛ بل هو يقول: الإسناد في قوله: "أليم" مجازيّ. فقوله: "فيه نظرٌ"، أي: في كون السميع في البيت بمعنى المُسمِع[٢] نظر. ويجوز أن يكون الضمير عائدًا إلى القول الدالّ عليه "قيل"، أي:[٣] في هذا[٤] القول -وهو أنّ البديع بمعنى المُبدِع[٥]- نظر؛ لأنّ ذلك بناء على ما في البيت، وهو لا يثبُت، وعلى تقدير[٦] ثبوته شاذّ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ معناه: إذا قدَّره وأراد خلقه.[٧] «وقيل: حكَم بأنه يفعل شيئًا».[٨] واعلم أنّ الأمر حقيقة في القول المخصوص، وهل هو حقيقة في الفعل أم لا؟ فيه خلاف، وهو[٩] المراد هنا.

قوله: (ولا قولَ ثَمّ) أي: حال الإيجاد؛ لأنّه لو كان قولٌ: فإمّا أن يُخاطَب به المخلوق قبل وجوده في الوجود، وهو مُحال؛ لاستحالة خطاب المعدوم؛ أو يُخاطَب به حال الوجود، وهو أيضًا باطل؛ لاستحالة[١٠] إيجاد الموجود، ولعدم الفائدة، وأيضًا[١١] قد[١٢] يكون المخلوق جمادًا، وتكليف الجماد عبث، فلا بدَّ مِن التأويل، وهو من وجوه:

---

١ عجز بيت، مضى تخريجه مع صاحب له عند تفسير البقرة، ٢/٧.

٢ ن ر - بمعنى المسمع.

٣ ن ر: إنّ.

٤ ر: هذه.

٥ ر: البدع.

٦ د: تقديره. | ثمّ كشط الناسخ الهاء.

٧ انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ٤/٦٢ (البقرة، ٢/١١٧)؛ والوسيط للواحدي، ١/١٩٦ (البقرة، ٢/١١٧).

٨ ن ر: ما يشاء. | تفسير الرازي، ٤/٢٩ (البقرة، ٢/١١٧).

٩ ن ر - هو.

١٠ ن ر - خطاب المعدوم؛ أو يُخاطَب به حال الوجود، وهو أيضًا باطل؛ لاستحالة.

١١ ن ر: أيضًا.

١٢ ن ر: وقد.

إذْ قـالـت الأَنْـسـاعُ لـلبطـن الْـحَـقِ

وإنما المعنى: أنَّ ما قضاه من الأمور وأراد كونَه فإنَّما يتكوَّن ويدخل تحت الوجودِ من غير امتناعٍ ولا توقُّفٍ؛ ......................................

---

**الأوّل**: أنّ المراد مِن هذه الكلمة بيانُ سرعة نفاذ قدرة الله تعالى[1] في تكوين الأشياء، وأنّه تعالى يخلُق الأشياء لا بفكر[2] ومُعاناة وتجربة،[3] ونظيره قوله تعالى عند وصف خَلْق السماوات والأرض: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ / ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت ١١/٤١]، ولا قول منهما.[4] فاستعمال القول على سبيل المجاز، كما في قول الشاعر: [١٧٦و]

(إذْ[5] قـالـت الأنـسـاعُ[6] للبطـن الحَقِ)[7]

أي: صِرْ يا[8] بطنُ لاحقًا، أي: ضامرًا. والنِّسعة:[9] هي التي تُنسَج[10] عريضًا تُشدُّ في وسط الدابّة.[11]

**الثاني**: أنّه علامة يفعلها الله تعالى للملائكة إذا سمعوها علِموا أنّه أحدث أمرًا؛ **الثالث**: أنّه خاصّ بالموجودين الذين قال لهم: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً﴾، ومَن جرى مَجراهم، وهو قول الأصمّ؛ **والرابع**: أنّه أَمْرٌ للأحياء[12] بالموت، والموتى بالحياة. قال الإمام: والكلُّ ضعيف والقويُّ الأوّل.[13]

---

١ د - تعالى.

٢ ر: بنكرة.

٣ ن ر: تجزية.

٤ ن ر: فيهما. | من قوله: "فإمّا أن يُخاطَب" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٢٩/٤-٣٠ (البقرة، ١١٧/٢).

٥ د ن ر: إذا. | وأثبتُّ ما في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله، وهو الصواب؛ لأنّ "إذا" تُخرِج الشعر إلى الطويل، وهو من أراجيز أبي النجم. انظر تلك الرِّواية وغيرها في حواشي مُحقِّق الديوان في تعليقه على البيت.

٦ ر: الاتساع.

٧ البيت لأبي النجم العِجلي في ديوانه، ص ٢٨١، والرِّواية فيه «قد قالت» مكان «إذا قالت»؛ وهو له برواية الديوان في جامع البيان للطبري، ٤٦٨/٢-٤٦٩ (البقرة، ١١٧/٢)؛ وبلا نسبة في تهذيب اللغة للأزهري، «حنق»، ٦٧/٤.

٨ ن ر: صرنا.

٩ ر: والسعة.

١٠ ر: نسج.

١١ ن ر: الدار.

١٢ ن ر: الأحياء.

١٣ من قوله: "الثاني" بتصرُّف يسير في تفسير الرازي، ٣١/٤ (البقرة، ١١٧/٢). وذكر أن الوجه الثاني يُحكى عن أبي الهُذيل.

كما المأمورَ المطيعَ الذي يؤمَرُ فيمتثِلُ لا يتوقَّف ولا يمتنِعُ ولا يكون منه الإباء، أكَّد بهذا استبعادَ الولادة؛ لأن مَن كان بهذه الصفةِ من القُدرة كانت حالُه مبايِنةً لأحوالِ الأجسام في تَوالُدها.

وقرئ: "بديعِ السموات" مجرورًا على أنه بدلٌ من الضمير في ﴿لَّهُۥ﴾.

وقرأ المنصور بالنصب على المَدْح.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ١١٨﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: وقال الجهلة من المشركين.

---

وقال[١] الواحديُّ: «ما قدَّر الله تعالى وجوده فهو كالموجود المُشاهَد، فجاز أن يُخاطَب. وقال ابن الأنباريّ: يحتمل أن يكون اللام في ﴿لَّهُۥ﴾ لام "أَجْل"، والتأويل: فإذا قضى أمرًا فإنّما يقول مِن أجل إرادته: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾».[٢]

قوله: (كما المأمور) "ما" كافة، و"المأمور" مبتدأ، و"لا يتوقَّف" خبره.

قوله: (قُرئ "بَديعِ") القراءة بجرِّ "بديع"[٣] ونصبه[٤] شاذّة.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾... إلخ.

هذا نوع آخر من قبائح أفعال اليهود والنصارى والمشركين. واعلم أنّ الله تعالى لمّا حكى عن اليهود[٥] والنصارى والمشركين ما يقدَح في التوحيد، وهو أنّه[٦] تعالى اتّخذ الولد، حكى الآن عنهم ما يقدح في النبوّة.[٧]

---

١ ن ر: قال.

٢ **الوسيط** للواحدي، ١/١٩٦-١٩٧ (البقرة، ٢/١١٧)، وفي مطبوعه «السلام» مكان «اللام». والوجه المذكور لابن الأنباري أورده الزّجّاج في **معاني القرآن وإعرابه**، ١/١٩٩.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن صالح بن محمّد. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٦؛ **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٤٥٥.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن المنصور. **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٤٥٥؛ **البحر المحيط** لأبي حيّان، ٢/٥٨٢ (البقرة، ٢/١١٧).

٥ ر + اليهود.

٦ ن ر: أنّ الله.

٧ انظر: **تفسير الرازي**، ٤/٣١ (البقرة، ٢/١١٨).

وقيل: من أهل الكتاب، ونفى عنهم العلم لأنهم لم يعملوا به.

﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾: هلَّا يكلِّمنا كما يكلِّم الملائكةَ وكلَّم موسى عليه السلام، استكبارًا منهم وعُتوًّا ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ جحودًا لأنْ يكون ما أتاهم من آياتِ الله آياتٍ واستهانةً بها.

﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: قلوبُ هؤلاء ومَن قبلَهم في العمى؛ كقوله: ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ [الذاريات ٥١/٥٣].

﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ﴾ ينصفون فـ﴿يُوقِنُونَ﴾ أنها آياتٌ يجب الاعترافُ بها والإذعانُ لها والاكتفاءُ بها عن غيرها.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾

---

قوله: (ونفى عنهم العلم) جواب سؤال، وهو أن يقال: إذا كان المراد أهل الكتاب كيف يصحُّ وصفهم بأنّهم لا يعلمون، وأهل الكتاب أهل العِلم؟ أجاب: بأنّهم لمّا لم[1] يعملوا[2] بالعِلم نفى عنهم العِلم. وقوله: (﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا﴾) أي: "هلّا".[3] وكلُّ "لولا" في القرآن يُفسَّر[4] بـ"هلّا" غير التي في "الصافّات": ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات ٣٧/١٤٣].[5] وقوله: "استكبارا وعتوًّا" مفعول له من قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ﴾ مُتعلِّق بقوله: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾. وقوله: (جُحودًا) مفعول له[6] مُتعلِّق بقوله: ﴿أَوْ تَأْتِينَا﴾. وقوله: (استهانة) عطفٌ على "جحودًا". و"الآيات": هي القرآن وسائر المعجزات. وفي قوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ تسلية للنبيّ عليه السلام، يقول اليهود لموسى عليه السلام: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء ٤/١٥٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا﴾... إلخ.[7]

---

١ ن ر - لم.

٢ ر: يعلموا.

٣ ذهب إلى هذا المعنى: أبو عبيدة في مجاز القرآن، ٥٢/١؛ والطبري في جامع البيان، ٤٧٥/٢-٤٧٦ (البقرة، ١١٨/٢)، وروى هذا المعنى عن قتادة؛ والزَّجّاج في معاني القرآن وإعرابه، ١٩٩/١.

٤ د: تفسير؛ ن ر: مُفسَّر.

٥ من قوله: "وكلّ لولا" بتصرُّف يسير في الوسيط للواحدي، ١٩٧/١ (البقرة، ١١٨/٢).

٦ ن ر - له.

٧ ن ر - إلخ.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ لأن تُبَشِّرَ وتُنذِرَ لا لتُجْبِر على الإيمان، وهذه تسليةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسريةٌ عنه؛ لأنه كان يَغتمّ ويَضيق صدرُه لإصرارِهم وتصميمِهم على الكفر.

---

قال الإمام:

اعلم أنّ القوم لمّا أصرُّوا على العِناد واللَّجاج الباطل، واقترحوا المُعجِزات على سبيل التعنُّت، بيّن الله تعالى لرسوله عليه السلام أنّه لا مزيد على ما فعله في مَصالح دينهم مِن إظهار الأدلّة، وكما بيّن هذا بيّن أنّه لا مزيد على ما فعله الرسول عليه السلام في باب الإبلاغ والتنبيه، لكيلا يكثُر غمُّه بسبب إصرارهم على كفرهم.[١]

قوله: (وتَسْرية)[٢] يقال: سَرَى عنه، أي: كشَف. وفي قوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ وجوه: **أحدها**: أنّه مُتعلِّق بالإرسال، أي: أرسلناك إرسالًا بالحقّ؛ **وثانيها**: أنّه مُتعلِّق بالبشير والنذير، أي: أنت تُبَشِّر بالحقِّ وتُنذِر به؛ **وثالثها**: / أنّ[٣] الباء بمعنى "مع" [١٧٦ظ] فالمراد بـ"الحقّ": **القرآن أو الإسلام**.[٤] «قال ابن عبّاس رضي الله عنهما:[٥] الحقُّ: **القرآن**، كقوله تعالى: ﴿جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ [يونس ٧٦/١٠]، وكقوله: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ [ق ٥/٥٠]. وقال ابن كَيسان: الحقُّ هنا: الإسلام، قال تعالى: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الإسراء ٨١/١٧]».[٦]

قوله: ﴿بَشِيرٗا﴾ فعيل بمعنى فاعل، مِن بَشَر يَبْشُر -كدَخَل يَدخُل- بَشرًا، بفتح الباء، بمعنى بَشَّر تبشيرًا. ونذيرًا، أي: مُنذِرًا بمعنى مُخوِّفًا.[٧] ويجوز أن يكونا حالين مِن ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ إذا كان بمعنى: **القرآن**، أي: أرسلناك **بالقرآن** حال كونه بشيرًا

---

١ **تفسير الرازي**، ٣٢/٤-٣٣ (البقرة، ١١٩/٢).

٢ ن: يسريه؛ ر: سيريه.

٣ د ن - أنّ.

٤ ن ر: والإسلام. | انظر: **تفسير الرازي**، ٣٣/٤ (البقرة، ١١٩/٢).

٥ د - رضي الله عنهما.

٦ **الوسيط** للواحدي، ١٩٨/١ (البقرة، ١١٩/٢)، وفي مطبوعه «الحقّ في هذه الآية: الإسلام» مكان «الحقّ هنا: الإسلام»؛ والقولان في **الكشف والبيان** للثعلبي، ٦٥/٤ (البقرة، ١١٩/٢). وفي كلام الطبري أنّ الحقّ هنا هو الإسلام. انظر: **جامع البيان** للطبري، ٤٨٠/٢ (البقرة، ١١٨/٢).

٧ انظر: **الوسيط** للواحدي، ١٩٨/١ (البقرة، ١١٩/٢).

﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ﴾؛ أي: لا يَسألك الله ﴿عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾: ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بَلَّغتَ وبَذلتَ جُهدَك في دعوتهم؟ كقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [الرعد ٤٠/١٣].

وقرئ: ﴿ولا تَسألْ﴾ على النَّهي.

رُوي أنه قال: «ليتَ شِعْرِي ما فعَلَ أَبَوايَ؟» فنُهي عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمامِ بأعداء الله.

وقيل: معناه: تعظيمُ ما وقع فيه الكفّار من العذاب، كما تقول: كيف فلانٌ؟ سائلًا عن الواقع في بليَّةٍ، فيقالُ لك: لا تسألْ عنه.

ووجهُ التعظيم: أن المُستَخْبَرَ يجْزَعُ أنْ يُجريَ على لسانه ما هو فيه لفَظَاعتِهِ فلا تَسألْه ولا تُكلّفْه ما يُضجره، أو أنتَ يا مُستخبِرُ لا تَقْدرُ على استماعِ خبرِه؛ لإيحاشه السامعَ وإِضْجارِه فلا تَسْأَل.

وتعضدُ القراءةَ الأولَى قراءةُ عبد لله: "ولن تُسألَ"، وقراءةُ أُبيّ: "وما تُسأَلُ".

---

لمَن أطاع الله تعالى،[1] ونذيرًا لمَن كفر بالنار. والأَوْلى أن يكون حالًا من كاف الخطاب، وهو الذي اختاره المُصنِّف، فكأنه قال: أرسلناكَ يا محمَّد لتكون بشيرًا لمَن تبِعك، ونذيرًا لمَن كفر بك.

قوله: **(وقيل: معناه)** عطفٌ على قوله: **(رُوِيَ)**.

قوله: **(أن المُستخبَر)**[2] بفتح الباء.

قولـه: **(أن يُجري)**، أي: مِن أن يُجريَ. والضمير من **(لسانه)** عائد إلى "المُستخبَر"،[3] و**(هو)** عائد إلى **(فلان)**. و**(ما)** مفعول **(يُجري)**. والضمير مِن **(فيه)** و**(فظاعته)**[4] عائد إلى "ما".

قوله: **(أو أنت)** عطف من حيث المعنى على "المُستخبَر"،[5] ووجه التعظيم أمران:

---

١ د – تعالى.
٢ ر: المستحر.
٣ ر: المسبحين.
٤ د: فضاعته.
٥ ر: المسبحين.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾

كأنّهم قالوا: لن نَرضى عنك وإنْ أَبْلَغْتَ في طلبِ رِضانا حتى تتَّبعَ ملَّتنا؛ إقناطًا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخولهم في الإسلام، فحكى اللهُ عزَّ وجلَّ كلامَهم بقوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ﴾ الآية، ولذلك قال: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾

---

الأوّل: أنّ المُستخبِر لا يقدر على التكلُّم به، أو أنت[1] لا تقدر على استماعه؛ لإيحاش الخبر وإضجار[2] الخبر. وقراءة عبد الله[3] وأُبَيّ[4] شاذَّتان. قال في **الحُجّة**: قرأ نافع وحده "ولا تَسألْ" مفتوحة التاء مجزومة اللام، وقرأ الباقون ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾ مضمومة التاء مرفوعة اللام.[5]

قوله تعالى:[6] ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ﴾... إلخ.

قوله: **(كأنّهم)** أي: كأنّ اليهود والنصارى.

قوله: **(إقناطًا)** مفعول له مِن **(قالوا)**.

قوله: **(ولذلك)** أي: لأجل[7] أنّهم قالوا ذلك القول أَمَر الله تعالى[8] النبيّ عليه السلام بأن يُخاطبهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾، أي: كيف أترُك الهدى وأتّبع الضلالة؟ وقول المُصنِّف: "كأنّهم قالوا" يدلُّ على أنّ المُصنِّف استنبط هذا التأويل من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾... إلخ.

---

[1] د - عطف من حيث المعنى على "المُستخبَر"، ووجه التعظيم أمران: الأوّل: أنّ المُستخبِر لا يقدر على التكلُّم به، أو أنت.

[2] ر: أصحاب.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وأُبَيّ. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٦؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٤؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٥٥.

[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وأُبَيّ. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٦؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٤؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٥٥.

[5] انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢/٢٠٩. وانظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٦٩؛ **والتيسير** للداني، ص ٢٨٥؛ **والنشر** لابن الجزري، ٢/٢٢١.

[6] ن ر - تعالى.

[7] ن ر: ولأجل.

[8] د - تعالى.

على طريقةِ إجابتهم عن قولهم، يعني: إن هدَى الله الذي هو الإسلامُ هو الهدى بالحقِّ والذي يصحُّ أن يسمَّى هدًى، وهو الهدى كلُّه ليس وراءه هُدًى، وما تَدْعُون إلى اتِّباعه ما هو بهُدًى إنما هو هَوًى، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾؛ أي: أقوالَهم التي هي أهواءٌ وبِدَعٌ ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾؛ أي: من الدِّين المعلومِ صحَّتُه بالبراهينِ الصحيحة.

---

قوله: (والذي)[1] عطفٌ على قوله:[2] (بالحقّ). و"المِلَّة": الدِّين،[3] قال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج ٢٢/٧٨]. قالوا: هي من قولهم: طريق مليل[4] إذا تكرَّر سُلوكه حتّى أثَّر فيه، ومنه المَلَل:[5] وهو تكرار الشي على النفس حتّى تضجر، وسُمِّيَ الدِّين مِلَّة لتكرُّر العمل فيها على ما تأتي به الشريعة. وقيل: المِلَّة هنا: القِبلة، قال تعالى: ﴿مَا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ [البقرة ٢/١٤٥].

قوله تعالى: (﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾) «قال ابن عبّاس رضي الله عنهما:[6] أي: صلَّيتَ نحو قبلتهم بعد الذي جاء مِن العلم بأنّ دين الله الإسلام، وأنّ القبلة هي الكعبة»،[7] قاله[8] في **الوسيط**. وأنا أقول: فعلى هذا يكون العلم بمعناه، ويكون مفعوله محذوفًا، وعلى ما ذكَر في **الكشّاف** العِلم بمعنى المعلوم.

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ قال في **المطلع**، أي: مِن عذاب الله مِن وليّ ينفعك ولا نصير[9] يدفَع عقابه عنك. وأنا أقول: يحتمل أن يكون المعنى: مِن حضرته ومِن قِبَله.

قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي: يقرءونه كما أُنزل[10] ولا يُحرِّفون الكَلِم عن مواضعه.

---

[1] ن ر: والذين.
[2] ر + الهدى.
[3] ر: الذين. | رُوِيَ هذا القول عن ابن عبّاس في **الكشف والبيان** للثعلبي، ٤/٦٨ (البقرة، ٢/١٢٠)؛ و**البسيط** للواحدي، ٣/٢٨٥ (البقرة، ٢/١٢٠). وهو قول أبي عبيدة في **مجاز القرآن**، ١/٥٣؛ والطبري في **جامع البيان**، ٢/٤٨٤ (البقرة، ٢/١٢٠).
[4] ن ر: ملّتك.
[5] ن ر: الملك.
[6] د - رضي الله عنهما.
[7] **الوسيط** للواحدي، ١/٢٠٠ (البقرة، ٢/١٢٠).
[8] ن ر: قال.
[9] ن ر: ولا يضر.
[10] ن ر: أنزل الله.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: هم مؤمنو أهلِ الكتاب ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ لا يحرّفونه ولا يغيّرون ما فيه من نعتِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

---

[١٧٧و] قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ/ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾... إلخ.

قال الإمام:

اعلم أنّه[١] تعالى لمّا استقصى في شرح وجوه النعمة[٢] على بني إسرائيل، ثمّ في شرح قبائح أعمالهم، وختم ذلك بما هو نداء[٣] وهو قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إلى قوله: ﴿يُنصَرُونَ﴾، شرع تعالى ههنا[٤] في نوع آخر من البيان، وهو أن ذكَر قصّة إبراهيم عليه السلام وكيفيّة أحواله، والحكمة في أنّ إبراهيم عليه السلام شخص تعترف بفضله جميع الطوائف والمِلَل،[٥] والمُشركون كانوا يَعترفون بفضله مسرورين بأنّهم من أولاده ومن ساكني حَرَمه وخادِمي بيته، وأهل الكتاب مِن اليهود والنصارى أنكروا قَبول محمّد عليه السلام والاعتراف بدينه والانقياد لشَرْعه، فذِكْر إبراهيم عليه السلام بهذا الوجه كالترغيب في الإيمان بنبيّنا محمّد عليه السلام. وبيانه من وجوه:

أحدها: أنه تعالى لمّا أمره ببعض التكاليف فلمّا وفى بها وخرج عن عُهْدته لا جرمَ نال النبوّة والإمامة، وهذا ممّا ينبّه[٦] اليهود والنصارى والمُشركين على أنّ الخير لا يحصل في الدنيا والآخرة إلّا بترك التمرُّد والعِناد وبالانقياد لأمر الله تعالى. وثانيها: أنّه تعالى حكى عنه أنّه طلب الإمامة لأولاده، فقال تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، دلَّ ذلك

---

١ ن ر: أنّ الله.
٢ ن ر: نعمه.
٣ ن ر: بدا.
٤ ر: منها.
٥ ن ر: والملك.
٦ ن ر: بينه.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ﴾ بكتابهم دونَ المحرِّفينَ ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ من المحرِّفين ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ حيث اشتروا الضَّلالة بالهدى.

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾: اختبَرَه بأوامرَ ونَوَاهٍ، واختبارُ اللهِ عبدَه مَجازٌ عن تمكينه من اختيارِ أحد الأمرين: ما يُريد الله وما يشتهيه العبدُ، كأنَّه يمتحنُه ما يكون منه؟ ..........................

---

على أنّ مَنصِب الإمامة والرئاسة في الدِّين لا يَصِل إلى الظالمين، فهؤلاء متى أرادوا وجدان هذا المَنصِب وجب عليهم تَرْك اللَّجاج والتعصُّب للباطل. **وثالثها:** أنّ الحجَّ مِن خصائص دين محمَّد عليه السلام، فحكى تعالى ذلك عن إبراهيم عليه السلام[١] ليكون ذلك كالحجَّة على اليهود والنصارى في وجوب الانقياد لذلك. **ورابعها:** أنّ القِبلة لمّا حُوِّلت طعَن في ذلك اليهود والنصارى، فبيَّن تعالى أنّ هذا البيت قِبلة إبراهيم الذي يَعترِفون بتعظيمه وبوجوب الاقتداء به، فكان ذلك ممّا يُوجِب زوال ذلك التعصُّب عن قلوبهم. واعلم أنّه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام أمورًا: بعضها يرجع إلى الأمور الشاقَّة التي كلَّفه الله تعالى بها،[٢] وبعضها يرجع إلى التشريفات[٣] العظيمة التي خصَّه بها، ونحن سنفسِّرها إن شاء الله تعالى.[٤]

**قوله: (ما يريد[٥] الله)[٦] و(ما يَشتهيه) بدل من (الأمرين).**

**قوله: (ما يكون منه)** أي: أيُّ شيء[٧] يقع ويحصل من العبد.

---

١ د – عليه السلام.

٢ ن ر – بها.

٣ ن ر: الشريعات.

٤ ن ر – تعالى. | انظر: تفسير الرازي، ٤/٣٦-٣٧ (البقرة، ٢/١٢٢)، وفي مطبوعه «بما بدأ به» مكان «بما هو نداء». والمقصود في الوجهين واحد، وهو قوله تعالى في بدء خطاب بني إسرائيل بتذكيرهم بنعمه: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾، فبدأ هناك بالنداء في خطابهم، وختم هنا بالنداء فيه.

٥ د: يريده.

٦ ن ر – الله.

٧ ن ر – شيء.

**حتّى يجازيه على حَسَب ذلك.**

**وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه -وهي قراءةُ ابن عباس رضي الله عنه-: "إبراهيمُ ربُّه"، رفَع "إبراهيمُ" ونصَبَ "ربَّه"، والمعنى: أنه دعاه بكلماتٍ من الدُّعاءِ فِعلَ المختَبِرِ: هل يجيبُه إليهنّ أم لا؟**

**فإن قلتَ: الفاعلُ في القراءة المشهورة يلي الفعلَ في التقدير، فتعليقُ الضميرِ به إضمارٌ قبل الذكر؟**

---

قوله: **(حتّى يُجازيه)**: يجوز أن يكون مُتعلِّقًا بقوله: **(تمكينِه)** أي: تمكينه مِن فعله باختياره حتّى يُجازيه؛ ويجوز أن يكون مُتعلِّقًا بقوله: **(يمتحِنه)**.

واعلم أنّ الابتلاء والامتحان في الشاهد: استفادة الشخص الأَمْرَ الخفيّ عليه مِن المُمتحَن والمُبتلى به؛ ليقع عنده عِلْم ما كان مُلتبِسًا عليه. وفي حقّ الله تعالى لا يجوز ذلك؛ لأنّه تعالى عالم مِن الأزل إلى الأبد[١] بما يكون وما كان في أوقاته أبدًا، فالاختبار[٢] في حقّه تعالى مجاز، كما مرّ مِن أنّه شبّه بالاختبار بناءَ أمرِهم على الاختبار.

قوله: **(وقرأ أبو حنيفة)** هذه قراءة[٣] شاذّة.[٤] أي: أنّ إبراهيم دعا ربَّه، والاختبار على هذا حقيقة.

قوله: **(فتعليق)** أي: إلحاق الضمير بالفاعل -وهو ﴿رَبُّهُۥ﴾- إضمار قبل الذِّكْر؛ لأنّه يعود إلى المفعول، وهو مُؤخَّر مِن حيث المعنى.

[١٧٧ظ] اعلم أنّ الضمير لا بدّ / أن يكون عائدًا[٥] إلى مذكور لفظًا أو تقديرًا، فالضمير: إمّا أن يكون مُتقدِّمًا على المذكور لفظًا ومعنى؛ وإمّا أن يكون مُتأخِّرًا عنه لفظًا ومعنى؛ وإمّا أن يكون مُتقدِّمًا لفظًا مُتأخِّرًا معنى؛ وإمّا أن يكون بالعكس منه.

---

[١] ر: أبد.

[٢] ر: الاحتباه.

[٣] ر: قراه.

[٤] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس وجابر بن زيد وأبي حنيفة وأبي الشعثاء. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٦؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٤؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٥٨.

[٥] ر: عائد.

**قلتُ:** الإضمار قبلَ الذكر أن يقال: ابتلى ربُّه إبراهيمَ، فأمّا ﴿ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾، أو: ابتلى ربَّه إبراهيمُ، فليس واحدٌ منهما بإضمارٍ قبل الذكر:

أمّا الأول: فقد ذُكر فيه صاحبُ الضمير قبل الضميرِ ذكرًا ظاهرًا.

---

أمّا القسم **الأوّل:** وهو أن يكون مُتقدِّمًا لفظًا ومعنى، فالمشهور عند النحْويين أنّه غير جائز، وقال ابن جنّي بجوازه،[1] واحتجَّ بقول الشاعر:

جـزى ربُّـه عنـي عَـديَّ بـن حاتـمٍ    جزاءَ الكلاب العاويات وقد فعلْ[2]

قال: الضمير راجع إلى عَديّ، وهو مُتأخِّر عنه لفظًا ومعنًى. وأُجيب بأن المعنى: جزى ربُّ الجزاء. وهذا القِسم هو الذي ذكَره المُصنِّف أوّلًا، وأشار إلى التفرقة بينه وبين الباقين.

وأمّا القسم **الثاني:** وهو أن يكون الضمير مُتأخِّرًا لفظًا ومعنى، وهذا لا نزاع في صحّته، كقولك: ضَرَب زيدٌ غلامَه.

وأمّا القسم **الثالث:** وهو أن يكون الضمير مُتقدِّمًا في اللفظ مُتأخِّرًا في المعنى، كقولك: ضرب غلامَه زيدٌ، فهنا الضمير وإن كان مُتقدِّمًا في اللفظ لكنّه مُتأخِّر في المعنى؛ لأنّ المنصوب مُتأخِّر عن المرفوع في التقدير، فيصير كأنّك قلتَ: ضَرَب زيدٌ غلامَه، فلا جَرمَ كان جائزًا.

وأمّا القسم **الرابع:** وهو أن يكون الضمير مُتقدِّمًا في المعنى مُتأخِّرًا في اللفظ،

---

١ ذهب إلى ذلك الأخفش وتبعه ابن جنّي، وذهب مَذهبَهما جماعة من النحويّين. انظر لتفصيله: **شرح الرضي على الكافية**، ١/١٨٧-١١٨٩ و**خزانة الأدب** للبغدادي، ١/٢٧٧-٢٨١. وانظر كلام ابن جنّي فيه في **الخصائص**، ١/٢٩٤.

٢ مُختلَف في نسبته: فهو للنابغة في **الخصائص** لابن جنّي، ١/٢٩٤، وقال البغداديُّ في نسبته: «وهذا البيت لأبي الأسود الدِّيليّ، يهجو به عديّ بن حاتم الطائي. وزعم ابن جنّي وغيره أنّه للنابغة الذبياني، وهو وإن عاصر عديًّا، لكن الذي رُوِيَ له هو:

جزى الله عبسًا عبسَ آل بغيض
جزاء الكلاب العاويات وقد فعلْ

وليس فيه ما نحن فيه». **خزانة الأدب** للبغدادي، ١/٢٨٢. قلت: بيت النابغة برواية قريبة ممّا ذكر البغداديُّ واقع في ديوانه، ص ٢١٤، لكنّ بيتنا لم يرد في أصل **ديوان أبي الأسود الدؤلي** بصنعة السُّكّري ولا في رواية ابن جنّي للديوان، وأورده مُحقِّقه في المُستدرَك على أصل **الديوان**، ص ٤٠١.

**وأما الثاني: فـ"إبراهيم" فيه مقدَّم في المعنى، وليس كذلك: «ابتلى ربَّه إبراهيم»، فإن الضمير فيه قد تقدَّم لفظًا ومعنًى فلا سبيل إلى صحَّته.**

**والمستكنُّ في ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ في إحدى القراءتين لـ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾؛ أي: فقام بهنَّ حقَّ القيام وأدَّاهنَّ أحسنَ التأديةِ من غيرِ تفريطٍ وتَوانٍ، ونحوُه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم ٣٧/٥٣].**

**وفي الأُخرى لله تعالى بمعنى: فأعطاه ما طَلَبَه لم يَنْقُصْ منه شيئًا، ويعضُده ما روي عن مقاتل أنه فسَّر الكلماتِ بما سأل إبراهيمُ ربَّه في قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم ٣٥/١٤]، ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة ١٢٨/٢] ﴿وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة ١٢٩/٢] ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة ١٢٧/٢].**

**فإن قلتَ: ما العاملُ في "إذ"؟**

**قلتُ: إمَّا مضمَرٌ نحو: واذكر إذ ابتلَى، أو: وإذ ابتلاهُ كان كيت وكيت، وإمَّا: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ﴾.**

---

كما في قراءة أبي حنيفة، فإنّه يصير التقدير: وإذ ابتلى ربُّه إبراهيمَ، لكن لمّا[١] لم يكن الضمير مُتقدِّمًا في اللفظ كان جائزًا حسنًا.[٢]

فهذان القسمان هما اللذان ذكرهما المُصنِّف، وفرّق بينهما وبين القسم الأوّل.

قوله: **(والمُستكِنُّ)** أي: الضمير المستتر في إحدى القراءتين، أي: القراءة المشهورة.

قوله: **(وفي الأخرى)** أي: القراءة الأخرى، وهي قراءة أبي حنيفة. ثمّ فسّر المُصنِّف قوله تعالى: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ على كلّ قراءة بما يليق بها.

قوله: **(ويعضُده)**، أي: يعضُد أنّ المعنى أعطى الله تعالى[٣] إبراهيم عليه السلام[٤] ما طلبه إبراهيم ما رُوِيَ عن مُقاتل.

قوله: **(وإمّا ﴿قَالَ﴾)** عطف على قوله: **(إمّا مُضمَر)**.[٥]

---

[١] ن ر: ما.

[٢] من قوله: "اعلم أنّ الضمير" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٤٠/٤ (البقرة، ١٢٤/٢).

[٣] د - تعالى.

[٤] د - عليه السلام.

[٥] ن ر: المضمر.

**فإن قلتَ:** فما موقع ﴿قَالَ﴾؟

**قلتُ:** هو على الأوّل استئنافٌ؛ كأنه قيل: فماذا قال له ربُّه حين أتمَّ الكلمات؟ فقيل: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وعلى الثاني جملةٌ معطوفةٌ على ما قبلَها، ويجوز أن يكون بيانًا لقوله: ﴿ٱبْتَلَىٰ﴾ وتفسيرًا له، فيراد بالكلمات ما ذكَره من الإمَامةِ وتطهيرِ البيت ورفعِ قواعدِه، والإسلامِ قبل ذلك في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾.

---

قوله: **(على الأوّل)** أي: على أن يكون عامل ﴿إِذِ﴾ مُضمرًا.

قوله: **(على الثاني)** وهو أن يكون العامل ﴿قَالَ﴾، وإذا كان ﴿قَالَ﴾ عاملًا في ﴿إِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾ يكون ﴿قَالَ﴾ في التقدير مُقدَّمًا معطوفًا[1] على ما قبلها.

قوله: **(ويجوز أن يكون)** أي: يجوز أن يكون ﴿قَالَ﴾ تفسيرًا لقوله: ﴿ٱبْتَلَىٰٓ﴾، وهذا على تقدير إضمار عامل ﴿إِذِ﴾، فكأنّه قال تعالى: اذكر إذ ابتلى إبراهيمَ[2] ربُّه، ثمّ فسَّر الابتلاء بقوله: ﴿قَالَ﴾.

قوله: **(والإسلام قبل ذلك)**، أي: الإسلام الحاصل لإبراهيم قبل ما ذكَره[3] مِن الإمامة، وسيجيء بيان أنّ الخطاب بقوله: ﴿أَسْلِمْ﴾ متى كان.

قال القاضي: هذا الابتلاء إنّما كان قبل النبوّة؛ لأنّه تعالى نبّه على أنّ قيامه عليه السلام بهنّ كالسبب لأن يجعله الله تعالى[4] إمامًا، والسبب مُتقدِّم على المُسبَّب، فوجب كون هذا الابتلاء مُتقدِّمًا في الوجود على صيرورته إمامًا، وهذا أيضًا مُلائم لقضايا العقول؛ وذلك لأنّ الوفاء بشرائط النبوّة لا يحصل إلّا بالإعراض عن جميع مَلاذّ الدنيا وشهواتها، وتَرْك المُداهَنة مع الخَلْق وتقبيح ما عليهم مِن الأديان الباطلة والعقائد الفاسدة، وتحمُّل الأذى عن جميع أصناف الخَلْق، ولا شكَّ أنّ هذا المعنى مِن أعظَم المَشاقّ وأجَلّ المَتاعِب، ولهذا السبب يكون الرسول أعظم أجرًا مِن أمّته، وإذا كان / كذلك [١٧٨و]

---

[1] ن ر - معطوفًا.
[2] كأنّها مستدركة في د من غير تصحيح.
[3] ن ر: ذكروه.
[4] د - تعالى.

وقيل في الكلمات: هنَّ خمسٌ في الرأس: الفَرْقُ، وقَصُّ الشاربِ، والسِّواك، والمضمَضةُ، والاستنشَاق، وخمسٌ في البدَن: الخِتانُ، والاستحدادُ، والاستنجاءُ، وتقليمُ الأظفارِ، ونَتْفُ الإبط.

وقيل: ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين سَهْمًا: عَشْرٌ في براءة: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ [التوبة ١١٢/٩] وعَشْرٌ في الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾ [الأحزاب ٣٥/٣٣] وعشرٌ في المؤمنون [المؤمنون ١/٢٣-٩]، و﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج ١/٧٠-٣٤].

وقيل: هي مناسك الحجِّ كالطواف والسعي والرمي والإحرام والتَّعريف وغيرهنَّ.

وقيل: ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والخِتان وذبح ابنه والنَّار والهجرة.

والإمامُ: اسمُ مَن يؤتَمُّ به على زنةِ الإلهِ؛ كالإِزَارِ لِمَا يؤتَزَر به؛ أي: يأتمُّون بك في دِينهم.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ عطفٌ على الكاف؛ كأنَّه قال: وجاعلٌ بعضَ ذريَّتي، كما يقال لك: سَأكرمك، فتقول: وزيدًا.

---

فالله تعالى ابتلاه بالتكاليف الشاقَّة، فلمّا وفَى عليه السلام بها فلا جَرَم أعطاه خِلْعة النبوَّة والرسالة.

وقال آخرون: إنّه بعد النبوَّة؛ لأنّه عليه السلام لا يَعلَم كونه مُكلَّفًا بتلك التكاليف إلّا مِن الوحي، فلا بدَّ مِن تقديم الوحي على معرفته بكونه كذلك. أجاب القاضي عنه: بأنّه يحتمِل أنّه تعالى أوحى إليه على لسان جبرئيل[١] عليه السلام بهذه التكاليف الشاقَّة، فلمّا تمَّ ذلك جعله نبيًّا مبعوثًا إلى الخَلْق.[٢]

قوله: (والتعريف) أي: الوقوف بعرفة.

قوله: (فتقول: وزيدًا)[٣] أي: قل: وزيدًا.[٤] ولذا يقال لمثل هذا: عَطْف تَلْقين؛

---

١ ن ر: جبريل.

٢ من قوله: "قال القاضي" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٤٢/٤ (البقرة، ١٢٤/٢).

٣ ن ر: زيدًا.

٤ ر: أو زيد.

﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقرئ: "الظالمون"؛ أي: مَن كان ظالمًا مِن ذرّيتك لا ينالُه استخلافي وعَهْدِي إليه بالإمامة، وإنما ينالُ مَن كان عادلًا بريئًا من الظلم.

وقالوا: في هذا دليلٌ على أن الفاسق لا يَصلح للإمامة، وكيف يَصلح لها مَن لا يَجوز حكمُه وشهادتُه، ولا تجبُ طاعتُه ولا يُقبل خبرُه ولا يُقدَّم للصلاة، وكان أبو حنيفة رضي الله عنه يُفتي سرًّا بوجوب نُصرةِ زيد بن عليّ رضوانُ الله عليهما، وحملِ المالِ إليه والخروجِ معه على اللِّصِّ المتغلِّب المتسمِّي بالإمام والخليفة كالدَّوَانِيقيّ وأشباهِهِ.

وقالَت لـه امرأةٌ: أشرتَ على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمدٍ ابني عبد الله بن الحسن حتَّى قُتل، فقال: ليتني مكانَ ابنكِ.

وكان يقول في المنصور وأشياعِهِ: لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عدِّ آجُرِّه لَمَا فعلتُ.

ورُوِي أنه قال: لو أَمَرني بعدِّ أبوابِ المسجدِ لَمَا فعلتُ.

---

كأنّه يُلقنِّه بأن يقول: كذا. فقوله: «﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾، أي: مِن أولادي أيضًا اجعل أئمة يُقتدى بهم».[١]

قوله: (**وقُرِئَ "الظالمون"**) لأنّ[٢] مَن نالك فقد نِلتَه، وهي قراءة شاذَّة.[٣]

قوله: (**على اللصّ**)[٤] اللام فيه للجنس. وكذلك[٥] قال: (**كالدَّوانيقيّ**) واسمه المنصور، وسُمّيَ بالدَّوانيقيّ؛ لأنّه زاد في الخَراج دانِقًا.[٦]

قوله: (**وقالت له**) أي: لأبي حنيفة. يقال: "أَراده" على الأمر، أي: أكرَهه عليه. ورُوِيَ أنّه قال: وأمروني بِعَدّ أبواب المَسجِد لَمَا فعلتُ.

---

١ **الوسيط** للواحدي، ١/٢٠٣ (البقرة، ٢/١٢٤). رُويَ قريب منه عن الربيع في **جامع البيان** للطبري، ٢/٥١٠ (البقرة، ٢/١٢٤)؛ وعن أبي العالية في **تفسير ابن أبي حاتم**، ١/٢٢٢ (البقرة، ٢/١٢٤).

٢ ر + لأنّ.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وأُبيّ والأعمش. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٦؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٤؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٦٠.

٤ ن ر: الملقن.

٥ ن ر: ولذلك.

٦ الدانق بكسر النون وفتحها: من الأوزان، وهو سُدس الدرهم والدِّينار. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «دنق».

وعن ابن عُيَيْنَةَ: لا يكون الظالم إمامًا قطُّ، وكيف يجوز نصبُ الظالم للإمامةِ والإمامُ إنما هو لكفِّ الظلمة؟ فإذا نُصب مَن كان ظالمًا في نفسه فقد جاء المثَلُ السائرُ: مَن استرعَى الذِّئبَ ظَلَم.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

و﴿ٱلْبَيْتَ﴾: اسمٌ غالبٌ للكعبة كالنّجم للثريَّا.

---

واعلم أنّ العلماء ذكروا في "العَهْد" وجوهًا: **أحدها**: أنّ هذا العَهْد هو الإمامة المذكورة فيما قبل فإن كان المراد من تلك الإمامة هو النبوّة فكذا هنا وإلّا فلا؛[1] **وثانيها**: ﴿عَهْدِى﴾، أي: «رحمتي»،[2] عن عطاء؛[3] **وثالثها**: «طاعتي»، عن الضحّاك؛[4] **ورابعها**: «أماني»،[5] عن أبي عُبيد.[6] قال الإمام: «والقول الأوّل أوْلى؛ لأنّ قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ طلب لتلك الإمامة التي وعده بها، فقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لا يكون جوابًا عن ذلك السؤال[7] إلّا إذا كان المراد بهذا العَهْد تلك الإمامة».[8]

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾... إلخ.

«اعلم أنّه تعالى بيّن كيفيّة حال إبراهيم عليه السلام حين كلّفه بالإمامة، وهذا شرح التكليف الثاني، وهو التكليف بتطهير البيت».[9] و﴿ٱلْبَيْتَ﴾: عَلَم الكعبة

---

١ انظر القول في **جامع البيان** للطبري، ٥١١/٢ (البقرة، ١٢٤/٢).

٢ ن ر: ارحمني.

٣ **تفسير ابن أبي حاتم**، ٢٢٣/١ (البقرة، ١٢٤/٢)؛ **الكشف والبيان** للثعلبي، ٨٢/٤ (البقرة، ١٢٤/٢). وعن عطاء أيضًا: أنّ عهده هو أمره. انظر: **جامع البيان** للطبري، ٥١٣/٢ (البقرة، ١٢٤/٢).

٤ **جامع البيان** للطبري، ٥١٥/٢ (البقرة، ١٢٤/٢)؛ **تفسير ابن أبي حاتم**، ٢٢٣/١ (البقرة، ١٢٤/٢)؛ **الكشف والبيان** للثعلبي، ٨٣/٤ (البقرة، ١٢٤/٢).

٥ ن ر: الثاني. | رُوِيَ عن قتادة في **جامع البيان** للطبري، ٥١٤/٢ (البقرة، ١٢٤/٢).

٦ الأقوال الأربعة من قوله: "ذكروا في العهد" بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٤٥/٤ (البقرة، ١٢٤/٢). والقول الرابع في **غريب الحديث** لأبي عُبيد، ٥٨٢/٢. وهو عن أبي عُبيدة في **الكشف والبيان** للثعلبي، ٨٤/٤ (البقرة، ١٢٤/٢)، ولم يرد في **مجاز القرآن**.

٧ ن ر – السؤال.

٨ **تفسير الرازي**، ٤٥/٤ (البقرة، ١٢٤/٢).

٩ **تفسير الرازي**، ٥٠/٤ (البقرة، ١٢٥/٢).

﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾: مَباءةً ومَرْجِعًا للحاجِّ والعُمَّار يتفرَّقون عنه ثم يثوبون إليه؛ أي: يثوب إليه أعيانُ الذين يزورونَه أو أمثالُهم.

---

بطريق الغَلَبة. قال الإمام: ثمّ[١] نقول ليس المراد نفس الكعبة؛ لأنّه تعالى وصَفه بكونه آمنًا، وهذا صفة جميع الحَرَم لا صفة الكعبة فقط، والدليل على جواز إطلاق البيت على كلّ الحَرَم قوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة ٩٥/٥]، والمراد: الحَرَم كلُّه لا الكعبة[٢] نفسها؛ لأنّها لا تُذبَح في الكعبة ولا في المسجد الحَرام.[٣]

قوله: (﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾) مِن ثاب يثوب مَثابة وثَوابًا إذا رجع. والثواب على[٤] العمل أُخِذ من هذا، كأنّ[٥] ما أخرجه [من مال][٦] أو غيره رجع إليه.[٧] وقيل: إنّ مثابة وثَوابًا[٨] لغتان مثل: مَقام ومَقامة.[٩] وقيل: الهاء في "مَثابة" للمبالغة نحو نسّابة وعلّامة.[١٠] وأصل مَثابة: مَثْوَبة مَفْعَلة.[١١]

قوله: (أو أمثالهم) أي: يعودون إليه هم[١٢] بأنفسهم وأعيانهم وأشباههم وأمثالهم. «قال الحَسَن: 'معناه أنّهم يثوبون إليه في كلّ عام'.[١٣] وعن ابن عبّاس ومجاهد: 'لا يَنصرِف عنه أحد إلّا وهو يتمنّى العَوْد إليه'.[١٤] قال تعالى:

---

١ ن ر – ثمّ.
٢ ر + والمراد: الحرم كلّه لا الكعبة.
٣ انظر: **تفسير الرازي**، ٥٠/٤ (البقرة، ١٢٥/٢).
٤ ر: عن.
٥ ههنا إشارة لَحَق، ولا يَظهر في الهامش غير نقاط.
٦ د ن ر – من مال. | وأثبتُّه من مطبوع **تفسير الرازي**.
٧ انظر: **تفسير الرازي**، ٥٠/٤ (البقرة، ١٢٥/٢).
٨ ن ر: مثابا.
٩ هو قول الفرّاء في **معاني القرآن**، ٧٦/١؛ والزَّجّاج في **معاني القرآن وإعرابه**، ٢٠٥/١. وساقه الطبري قائلًا: «وقال بعض نحويّي الكوفة». **جامع البيان** للطبري، ٥١٧/٢ (البقرة، ١٢٥/٢).
١٠ هو قول الأخفش في **معاني القرآن**، ١٥٤/١. وأورده الطبري بقوله: «فقال بعض نحويي البصرة». **جامع البيان** للطبري، ٥١٧/٢ (البقرة، ١٢٥/٢).
١١ ر: مفعولة. | انظر لتفصيل تصريفها: **معاني القرآن وإعرابه** للزّجّاج، ٢٠٥/١؛ و**البسيط** للواحدي، ٢٩٨/٣ (البقرة، ١٢٥/٢). والكلام كلُّه من قوله: "من ثاب" بتصرُّف يسير في **تفسير الرازي**، ٥٠/٤ (البقرة، ١٢٥/٢).
١٢ ن ر + إليه.
١٣ **جامع البيان** للطبري، ٥١٨/٢ (البقرة، ١٢٥/٢)، عن السُّدّي.
١٤ **جامع البيان** للطبري، ٥١٨/٢ (البقرة، ١٢٥/٢)، بمعناه عن ابن عبّاس ومجاهد والسُّدّي؛ **الكشف والبيان** للثعلبي، ٨٥/٤ (البقرة، ١٢٥/٢)، عن سعيد بن جبير ومجاهد والضحّاك؛ **الوسيط** للواحدي، ٢٠٣/١-٢٠٤ (البقرة، ١٢٥/٢)، بمعناه عن ابن عبّاس.

﴿وَأَمْنًا﴾: وموضعَ أَمْنٍ؛ كقوله: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت ٦٧/٢٩]، ولأنّ الجانيَ يَأوي إليه فلا يُتعرَّض له حتى يخرُج.

وقرئ: "مثاباتٍ" لأنه مثابةٌ لكلٍّ من الناس لا يُختَصُّ به واحدٌ منهم ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج ٢٥/٢٢].

﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ على إرادة القول؛ أي: وقلنا: اتخِذُوا منه ﴿مُصَلًّى﴾؛ أي: موضعَ صلاةٍ تصلُّون فيه، وهو على وجهِ الاختيار والاستحباب دون الوجوب.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: أنه أخذ بيدِ عمر رضي الله عنه فقال: «هذا مقامُ إبراهيمَ عليه السلام»، فقال عمر رضي الله عنه: أفَلا نتَّخِذُه مُصَلًّى؟

---

﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم ٣٧/١٤]. وقيل: معنى ﴿مَثَابَةً﴾ أن يحجُّوا إليه فيُثابوا عليه».[1]

قوله: (﴿وَأَمْنًا﴾) حكاية لفظ القرآن. وقوله: (وموضع أَمْن) تفسير له، أتى بالواو كما في لفظ القرآن.

قوله: (كقوله) خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هو[2] كقوله تعالى: (﴿حَرَمًا﴾)... إلخ، [١٧٨ظ] يعني أنّ المراد بكونه موضع أَمْن: أنّ ساكنيه آمنون[3] لا يتعرَّضهم أحد؛ / قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت ٦٧/٢٩].

قوله: (ولأنّ الجانيَ) عطف من حيث المعنى على قوله: (لقوله)،[4] فكأنّه قال: سمَّاه موضعَ أَمْن لأَمْنِ[5] ساكنيه، كما دلَّت الآية عليه، أو لأنّ الجانيَ إذا التجأ إليه لا يُتعرَّض له حتّى يخرُج.

قوله: ("مَثابات") قراءة شاذّة.[6] ثمّ استشهد المُصنِّف لهذه القراءة الشاذّة بقوله تعالى: ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج ٢٥/٢٢].

---

١ تفسير الرازي، ٥٠/٤ (البقرة، ١٢٥/٢).
٢ ن ر – هو.
٣ ر: آمنوا.
٤ ن: كقوله؛ ر – لقوله.
٥ د: أمن.
٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧٤؛ المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٤٦٠.

يريد: أفلا نُؤْثِره لفضله بالصلاة فيه تبرُّكًا به وتيمُّنًا بموطئ قدم إبراهيم؟ فقال: «لم أُومَر بذلك» فلم تَغِبِ الشمس حتى نزلت.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استَلم الحجرَ، ورَمَل ثلاثةَ أشواط ومَشَى أربعةً، حتى إذا فَرَغَ عَمَدَ إلى مقام إبراهيم فَصَلَّى خلفَه ركعتين وقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾.

---

قوله: («استلم **الحجر**») قال المُصنِّف: هو افتعل مِن السَّلِمَة، وهي: الحجر، وهو أن يتناوله ويعتمِده بلَمْس أو تقبيل أو إدراك بعصًا. ونظيره: استَهم القوم إذا أجالوا[١] السِّهام، واهتجَم الحالب إذا حَلَب في الهُجْم، وهو: القدح الضخم. وقال الهَرويُّ في **الغريبين**: «قال الأزهريُّ: استلام الحَجر افتعال مِن السَّلام، وهو: التحيّة، كما تقول: أقرأتُ[٢] السلام. وكذلك[٣] أهل اليمن يُسمُّون الرُّكن الأسود: المُحيَّا،[٤] معناه أنّ الناس يُحيُّونه.[٥] وقال القُتيبيُّ:[٦] هو افتعال مِن السِّلام، وهي: الحجارة واحدتها سَلِمَة، تقول: استلمتُ الحجر إذا لمستَه، كما تقول: اكتحلتُ[٧] مِن الكُحْل».[٨]

قوله: («**ورَمَل**»)[٩] يقال: رَمَل في الطَّواف، أي: أسرع، يرمُل[١٠] -بالضم- رَمَلًا ورَمَلانًا[١١] بالتحريك فيهما. و«"الأشواط" جمع شَوْط، وهو: جَرْيُ مرَّةٍ إلى الغاية».[١٢] و"طاف بالبيت سبعةَ أشواط" مِن الحجر إلى الحجر شَوْط واحد. ويقال: عدا شوطًا، أي: طَلَقًا.[١٣] و«"المشي": السَّير على القدم سريعًا كان أو غير سريع»،[١٤] والمراد هنا: السَّير غير السريع. يعني: طاف عليه السلام سبعًا،

---

١ ر: جابوا.
٢ د: اقترأت؛ ن ر: اقتراب | وأثبتُّ ما في مطبوع **كتاب الغريبين**.
٣ ن: ولذلك.
٤ ن ر: المحبّ.
٥ ن ر: يحبونه.
٦ ن ر: القتبي.
٧ ر: التحلت.
٨ **كتاب الغريبين** للهَروي، ٣/٩٢٤.
٩ **صحيح مسلم**، ١/٥٥٦ (١٢١٨). وانظر لتفصيل تخريجه: **تخريج أحاديث الكشّاف** للزَّيلَعي، ١/٨١
١٠ ن ر: فرمل.
١١ ن ر: ورملًا.
١٢ **المُغرِب** للمُطرِّزي، «شوط».
١٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «شوط».
١٤ **المُغرِب** للمُطرِّزي، «مشي».

وقيل: ﴿مُصَلًّى﴾: مَدْعًى.

ومقام إبراهيم عليه السلام: الحجَرُ الذي فيه أثرُ قدمَيْه، والموضع الذي كان فيه الحجَر حين وضع عليه قدمَيْه، وهو الموضع الذي يسمّى مقام إبراهيم عليه السلام.

وعن عمر رضي الله عنه: أنه سألَ المطَّلِبَ بنَ أبي وَدَاعَةَ: هل تَدْرِي أين كان موضعُه الأولُ؟ قال: نعَم، فأراه موضعَه اليومَ.

وعن عطاء: ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ عرفةُ والمزدلِفةُ والجِمارُ؛ لأنه قام في هذه المواضع ودَعَا فيها.

---

أسرع في الثلاثة الأولى، ولم يسرع في الأربعة الأخيرة، فلمّا فرغ صلّى ركعتَي الطّواف خلف المقام، ثمّ قرأ ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾. وهذا يدلُّ على أنّ المراد بقوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾: هو ركعتا الطواف.[1]

قوله: (وقيل: مُصلًّى: مَدْعًى) فيكون مِن الصلاة التي هي الدعاء، وهو قول مجاهد، وهذا يُوافِق مذهبه من أنّ الحَرَم كلّه مقام إبراهيم.[2]

قوله: (والمَوضِع) عطف على قوله: (الحَجر)، يعني: يُطلَق المقام على هذين.

قوله: (وهو) عائد إلى "المَوضِع"، يعني: المَوضِع الذي كان فيه الحَجر ذلك الوقت هو المَوضِع الذي يُسمّى مقام إبراهيم في أيّامنا.

قوله: (الأوّل) صفة (مَوضعُه)، وهو اسم (كان)، و(أين) خبره، قُدِّم لمعنى الاستفهام.

قوله: (فأراه مَوضِعَه)، أي: موضع الحَجر، وأشار المُطَّلب إلى أنّ موضعه الأوّل هو موضعُه اليوم.[3]

قوله: (والجِمار): هي الصِّغار مِن الأحجار، جمع جَمْرة، وبها سمَّوا المواضع

---

[1] ن ر - خلف المقام، ثمّ قرأ ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾. وهذا يدلّ على أنّ المراد بقوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾: هو ركعتا الطواف.

[2] انظر قول مجاهد في جامع البيان للطبري، ٥٢٥/٢ (البقرة، ١٢٥/٢)؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ٢٢٦/١ (البقرة، ١٢٥/٢).

[3] ن ر: الأول.

وعن النخعي: الحرمُ كلُّه مقام إبراهيم.

وقرئ: ﴿واتَّخَذُوا﴾ بلفظ الماضي عطفًا على ﴿جَعَلْنَا﴾؛ أي: واتخَذَ الناسُ من مكانِ إبراهيم الذي وُسِمَ به لاهتمامه به وإسكان ذريّته عنده قِبلةً يصلُّون إليها.

﴿وَعَهِدْنَا﴾: أمَرْناهما ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾: بأَنْ طهِّرا، أو: أي طهِّرا، والمعنى: طَهِّراه من الأوثان والأَنجاسِ وطوافِ الجنُب والحائض والخبائث كلِّها، أو أَخلِصَاه لهؤلاء لا يَغْشَه غيرُهم.

---

التي تُرمى: جِمارًا أو جَمرات لِمَا بينها مِن المُلابَسة. وقيل: لتجمُّع ما هُنالك مِن الحصى، مِن تجمَّر القوم: تجمَّعوا، وجمَّر شَعْره: جمَّعه[1] على قفاه، ومنه الجُمّار: لرأس النخلة، وهو[2] شيء أبيض ليِّن، ألا تراهم يُسمُّونه كَثَرًا[3] لذلك؟ ومنه الاستجمار في الاستنجاء:[4] استعمال الجِمار.[5]

والمُختار في تفسير المَقام هو القول الأوّل؛ لأنّ هذا الاسم في العُرف مُختصّ بذلك، والدليل عليه أنّ سائلًا لو سأل المكيَّ بمكّة عن مقام إبراهيم لم يجبه إلّا بهذا الموضع؛ وأيضًا الحَجر صار في رُطوبة[6] الطين حتّى غاصت فيه رِجلا إبراهيم[7] عليه السلام، وذلك معجزة، فاختصاصه بهذا الاسم أَوْلى مِن غيره.[8]

قوله: (**الذي وُسِم به**) صفة (**مكان**) أي: وُسِم ذلك المكان بإبراهيم عليه السلام[9] بأن سُمّيَ مقام إبراهيم.

قوله: (**قبلةً**) مفعولُ "اتَّخذوا".

قوله: (**بأن طهِّرا، أو**[10] / **أي: طهِّرا**) يريد أنّ "أنْ" مصدريّة أو مُفسِّرة. [١٧٩و]

---

١ ن ر – جمّعه.

٢ ر: وهي.

٣ ن ر: كنزًا.

٤ ن ر – في الاستنجاء.

٥ من قوله: "هي الصغار" إلى هنا بلفظ قريب في المُغرِب للمُطرِّزي، «جمر».

٦ د: بُطونه. | وأثبتُّ ما في مطبوع تفسير الرازي.

٧ ن ر – لم يجبه إلّا بهذا الموضع؛ وأيضًا الحَجر صار في رُطوبة الطين حتّى غاصت فيه رِجلا إبراهيم.

٨ من قوله: "لأنّ هذا الاسم" بتصرُّف يسير في تفسير الرازي، ٤/٥٣ (البقرة، ٢/١٢٥).

٩ د – عليه السلام.

١٠ ن ر – أو.

﴿وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾: المجاورين الذين عكَفوا عنده؛ أي: أقاموا لا يبْرَحون، أو المعتكِفين.

ويجوز أن يريد بالعاكِفين: الواقفين، يعني: القائمين في الصَّلاة؛ كما قال: ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة ٢/١٢٥] والمعنى: للطّائفين والمُصلِّين؛ لأنَّ القيامَ والركوعَ والسجودَ هيئاتُ المصلِّي.

---

قوله: (والمعنى: للطائفين)[١] أي: على تقدير أن يكون المراد بـ﴿ٱلۡعَٰكِفِينَ﴾: القائمين في الصلاة.[٢]

قوله: (لأنّ القيام) يعني: يجوز أن يراد بـ﴿ٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: المُصلُّون،[٣] إذا كان المراد بـ﴿ٱلۡعَٰكِفِينَ﴾: القائمين[٤] في الصلاة.[٥]

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾... إلخ.

«هذا هو النوع الثالث من أحوال إبراهيم عليه السلام التي حكاها الله تعالى ههنا».[٦]

واعلم أنّه قال في هذه السورة ﴿بَلَدًا﴾ على التنكير، وقال في "سورة إبراهيم": ﴿هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم ١٤/٣٥] على التعريف لوجهين: **الأوّل**: أنّ الدعوة **الأولى** وقَعت ولم يكن المكان قد جُعِل بلدًا، فكأنّه قال: اجعل هذا الوادي بلدًا آمنًا؛ لأنه تعالى حكى عنه أنّه قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ [إبراهيم ١٤/٣٧]، فقال ههنا: اجعل هذا الوادي بلدًا؛ والدعوة **الثانية** وقَعت وقد جُعِل بلدًا، فكأنّه قال: اجعل هذا المكان الذي حرّمتَه بلدًا ذا أَمْن وسلامة، كقولك: جعلتُ هذا الرجُل آمنًا. **والثاني**: أن تكون الدعوتان وقَعتا بعد ما صار المكان بلدًا، فقوله: ﴿ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ كقولك: كان اليوم يومًا حارًّا، وهذا إنّما يُذكَر للمبالغة في وصفه بالحُرمة؛ لأنّ التنكير يدلُّ على المبالغة،

---

[١] ن ر – للطائفين.

[٢] وهو قول لابن عبّاس في جامع البيان للطبري، ٥٣٦/٢ (البقرة، ١٢٥/٢).

[٣] رُويَ هذا الوجه عن عطاء وقتادة في جامع البيان للطبري، ٥٣٧/٢ (البقرة، ١٢٥/٢)؛ وعنهما وعن ابن عبّاس ومقاتل بن حيّان في تفسير ابن أبي حاتم، ٢٢٩/١ (البقرة، ١٢٥/٢).

[٤] ر – القائمين.

[٥] ن ر – في الصلاة.

[٦] تفسير الرازي، ٥٨/٤ (البقرة، ١٢٦/٢).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

أي: اجعلْ هذا البلدَ أو هذا المكانَ ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾: ذا أَمْنٍ؛ كقوله: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة ٢١/٦٩]، أو: آمنًا مَن فيه؛ كقولك: ليلٌ نائمٌ.

و﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم﴾ بدلٌ من ﴿أَهْلَهُۥ﴾ يعني: وارزُق المؤمنين من أهلِهِ خاصة.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ عطفٌ على ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ كما عُطف ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ على الكاف في ﴿جَاعِلُكَ﴾.

**فإن قلتَ**: لم خَصَّ إبراهيمُ صلواتُ الله عليه المؤمنين حتى رَدَّ عليه؟

**قلتُ**: قاسَ الرزقَ على الإمامةِ فعُرِّفَ الفرقَ بينهما؛ لأن الاستخلافَ استرْعاءٌ يَختصُّ بمَنْ ينصح للمَرْعيّ، وأبعدُ الناس عن النَّصيحة الظالمُ، بخلافِ الرزق فإنه قد يكونُ استدراجًا للمرزوق وإلزامًا للحجة له، والمعنى: وأَرْزُقُ مَن كفَر فأمتِّعُه.

ويجوز أن يكون ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ مبتدأً متضمِّنًا معنى الشرط، وقوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ جوابًا للشرط؛ أي: ومَن كفَر فأنا أُمتِّعه.

وقرئ: ﴿فأُمْتِعُه﴾.

---

فقوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ معناه: اجعله مِن البلدان الكاملة في الأَمْن، وأمّا قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم ٣٥/١٤] فليس فيه إلّا طلَب الأَمْن لا طلَب المُبالغة.[١]

قوله: (**وقُرِئ "فأُمْتِعه"**)، أي: بالتخفيف مِن الإمتاع، وهو قراءة ابن عامر، وقرأ الباقون بالتشديد.[٢] قال أبو عليّ: عامّة ما في التنزيل على التفعيل، قال: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا﴾ [هود ٣/١١]، ﴿كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص ٦١/٢٨]،

---

١ من قوله: "واعلم أنّه قال" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٦٠/٤ (البقرة، ١٢٦/٢).

٢ السبعة لابن مجاهد، ص ١٧٠؛ التيسير للداني، ص ٢٨٦؛ النشر لابن الجزري، ٢٢٢/٢.

"فأَضْطرُهُ": فألُزُهُ ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ لَزَّ المضطرِّ الذي لا يَملِك الامتناعَ مما اضطُرَّ إليه.

وقرأ أبيٌّ: "فنُمتِّعُه قليلًا ثم نَضطرُّه".

وقرأ يحيى بن وَثّاب: "فإضطَرُّه" بكسر الهمزة.

وقرأ ابن عباس رضي الله عنه: "فأَمْتِعْه قليلًا ثم اضْطَرَّه" على لفظِ الأمر، والمراد: الدعاء من إبراهيم، دعَا ربَّه بذلك.

**فإن قلتَ:** فكيف تقديرُ الكلام على هذه القراءة؟

**قلتُ:** في "قال" ضميرُ "إبراهيم"؛ أي: قال إبراهيمُ بعدَ مسألتِه اختصاصَ المؤمنين بالرزق: ومَن كفر فأَمْتِعْه قليلًا ثم اضْطَرَّه.

---

﴿وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [يونس ٩٨/١٠]. ووجه قراءة ابن عامر: أنّ "أَمْتَعَ" لغة في "مَتَّعَ"، نحو فرَّحتُه وأفرَحتُه، ونزَّلتُه وأنزلتُه.[١] وقوله: ﴿قَلِيلٗا﴾ يحتمل أن يكون صفة المصدر، نحو: ﴿يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ [هود ٣/١١]؛ يجوز أن يكون صفة للزمان، نحو ﴿عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون ٤٠/٢٣]، وتقدير هذا: لَيُصبِحنَّ نادمين بعد زمان قليل، كما يقال: عَرِق عن الحُمّى، وأطعَمه عن جوع، أي: بعد جوع وبعد حُمّى.

قوله: (**فألُزُّه**)، أي: أُلصِقه.

قوله: (**وقرأ أُبيٌّ**) هذه[٢] وقراءة يحيى[٣] وابن عبّاس[٤] شواذّ.

قوله: (**على هذه القراءة**)، يعني على لفظ الأمر.

---

١ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢٢١/٢.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن أنس وأُبيّ. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٥؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٦١.

٣ **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٦؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٥؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٦١.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس ومجاهد وقتادة والأعمش وابن مُحيصن وعُبيد بن عَقيل عن ابن كثير. **المُحتسَب** لابن جني، ١٠٤/١؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٥؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٦١.

وقرأ ابن مُحَيْصن: "فأطَّرُه" بإدغام الضاد في الطاء؛ كما قالوا: اطَّجَعَ، وهي لغةٌ مَرْذُولة؛ لأن الضادَ من الحروف الخمسة التي يُدغَم فيها ما يجاوِرُها ولا تُدغم هي فيما يجاورها، وهي حروف: ضُمّ شُفْرٍ.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿يَرْفَعُ﴾: حكايةُ حال ماضية، و﴿ٱلْقَوَاعِدَ﴾: جمعُ قاعدة، وهي الأساسُ والأَصْلُ لِمَا فوقه، وهي صفةٌ غالبةٌ، ومعناها: الثابتة، ومنه: قِعْدَكَ اللهَ؛ أي: أسألُ اللهَ أن يُقْعِدك؛ أي: يُثبّتك، ورفعُ الأساس: البناءُ عليها؛ لأنها إذا بُني عليها نُقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع، وتطاولتْ بعد التَّقاصُر.

ويجوز أن يكون المرادُ بها سافاتِ البناء؛ ..............................

---

قوله: (وقرأ ابن مُحيصن) هذه شاذّة.[1]

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾... إلخ.

«هذا هو النوع الرابع من الأمور التي حكاها الله تعالى عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهو أنّهما عند بناء البيت ذكرا ثلاثة أنواع من الدعاء».[2]

قوله: (لِمَا فوقه) الضمير مِن "فوقه" عائد إلى (الأساس)، والمستتر في الظرف عائد إلى "ما".

قوله: (البناءُ عليها) أي: على الأساس، وأنَّث؛[3] لأنّه بمعنى القاعدة.

قوله: (المراد بها)[4] أي: بالقواعد. و«"السَّاف":[5] الصفّ[6] من اللَّبِن والطين».[7]

---

١ ن ر - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾... قوله: (وقرأ ابن مُحيصن) هذه شاذّة. | شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٧؛ المُحتسَب لابن جنّي، ١/١٠٦؛ المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٤٦١.

٢ تفسير الرازي، ٤/٦٢ (البقرة، ٢/١٢٧). وليس في مطبوعه لفظ «أنواع».

٣ ر: وأنشا.

٤ ن ر: بهذا.

٥ ن ر: الشاف.

٦ ر: الصفا.

٧ المُغرِب للمُطرّزي، «سوف».

لأن كلَّ سافٍ قاعدةٌ للَّذي يُبْنَى عليه ويوضعُ فوقَه، ومعنى رفعِ القواعد: رفعُها بالبناء؛ لأنه إذا وضَع سافًا فوقَ سافٍ فقد رفَع السَّافات.

ويجوز أن يكون المعنى: وإذ يَرفعُ إبراهيم ما قَعَد من البيت؛ أي: استَوْطأ، يعني: جعَل هيئتَه القاعدةَ المستوطِئَةَ مرتفِعَةً عاليةً بالبناء.

وروي: أنه كان مؤسَّسًا قبل إبراهيم عليه السلام فبنَى على الأساس.

ورُوي: أن الله تعالى أنزل البيتَ ياقوتةً من يواقيت الجنة له بابان من زُمرُّدٍ: شرقيٌّ وغربيٌّ، وقال لآدم عليه السلام: أهبَطتُ لك ما يطاف به كما يطافُ حولَ عرْشِي، فتوجَّهَ آدمُ عليه السلام من أرضِ الهند إليه ماشيًا.

وتَلَقَّتْهُ الملائكة فقالوا: بُرَّ حَجُّك يا آدم، لقد حَجَجْنا هذا البيت قبلك بألفَي عامٍ.

وحجَّ آدمُ أربعينَ حِجَّة من أرض الهند إلى مكة على رجلَيه، فكان على ذلك إلى أنْ رفعه الله أيام الطُّوفان إلى السَّماء الرابعة فهو البيتُ المَعْمور.

---

قوله: (ما قَعَد)[١] أي: لا يكون القواعد جمع القاعدة،[٢] بمعنى: الأساس، بل سُمِّي البيت قاعدة؛ لانخفاضها، والقاعد[٣] مِن النخل: ما تناوَله[٤] الأيدي.[٥]

قوله: (المُستوطِئة) أي: المُنخفِضة.

قوله: («زُمرُّد»)[٦] هو بالدال[٧] غير[٨] المعجَمة مِن نسخة جار الله، ونقل عن الأزهريّ أنّه بالذال المعجَمة.[٩] والبِرُّ: الصلاح، وقيل: الخير. والحجُّ المبرور: الذي لا يُخالِطه شيء مِن المآثم.

---

١ ن ر: بعد.

٢ ر: قاعدة.

٣ ن ر: القاعدة.

٤ ر: تناله.

٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «قعد».

٦ انظر لتفصيل تخريجه **تخريج أحاديث الكشّاف** لابن حَجر، ص ١٠.

٧ ن ر: الذال.

٨ ن ر – غير.

٩ ن ر – مِن نسخة جار الله، ونقل عن الأزهري أنّه بالذال المعجمة.

ثم إن الله تعالى أمرَ إبراهيم عليه السلام ببنائه وعرَّفه جبريلُ مكانَه.

وقيل: بَعثَ الله سحابَةً أظَلَّتْه: ونُودِيَ: أَنِ ابْنِ على ظلِّها لا تزِد ولا تنقُص.

وقيل: بَنَاهُ من خمسة أَجبُل: طورِ سَيْنَاء، وطورِ زَيْتاء، ولُبْنَانَ، والجودي، وأسَّسَه من حِرَاءَ، وجاءه جبريل بالحجر الأسود من السماء.

وقيل: تَمَخَّضَ أبو قُبَيْس فانشَقَّ عنه وقد خُبِّئَ فيه في أيَّامَ الطُّوفان، وكان ياقوتةً بيضاء من الجنَّة، فلمَّا لمسَتْه الحُيَّضُ في الجاهلية اسودَّ.

وقيل: كان إبراهيم عليه السلام يبني وإسماعيل يُناوِله الحجارة.

﴿رَبَّنَا﴾؛ أي: يقولان: ربَّنا، وهذا الفعلُ في محلِّ النصب على الحال، وقد أظهَره عبدُ الله في قراءته، ومعناه: يَرفَعانها قائلَيْن: ربَّنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدُعائنا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بضمائرنا ونيَّاتنا.

**فإن قلتَ:** هلَّا قيل: قواعِد البيت، وأيُّ فرقٍ بين العبارتين؟

**قلت:** في إبهامِ القواعد وتبيينِها بعد الإبهام ما ليس في إضافتها؛ لِمَا في الإيضاح بعد الإبهامِ من تَفْخيمٍ لشأنِ المبيَّن.

**﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨﴾**

---

قوله: **(أظلَّته)**[١] أي: أظلَّت مكانه. **(سِينا)**[٢] بكسر السين والقصر. و**(زَيتا)** بفتح الزاء والقَصر. و(حِراء) ممدود لا يُصرَف في الأكثر. و**(تمخَّض)** أي: تحرَّك كمَن أخذها المَخاض. وقد خُبِئ الحَجر في أبي قبيس.

قوله: **(هلَّا قيل: قواعد البيت)** هذا السؤال مختصٌّ بالتفسيرين الأوَّلين، ولا يَرِد على التفسير الأخير، وهو أن يكون المعنى: ما قعَد من البيت؛ لأنَّ القواعد على هذا هو البيت، فلا تحسُن الإضافة.

**قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا﴾... إلخ.**

---

[١] ر: أظلَّه.

[٢] ر: مسبَّبا.

﴿مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾: مُخْلصين لك أوجُهَنا، من قوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة ٢/١١٢].
أو: مستسلِمَين؛ يقال: أَسْلَم له وسَلَّم واستَسْلم: إذا خضع وأذعَن.
والمعنى: زِدْنا إخلاصًا أوْ إذعانًا لك.
وقرئ: "مسلِمِين" على الجمع؛ كأنهما أرادَا أنفسَهما وهاجَرًا، وأَجرَيَا التَّثْنِيَة على حكم الجمع لأنَّها منه.

---

هذا هو النوع الثاني مِن الدعاء.

قوله: (زدنا[1] إخلاصًا) هذا[2] على تقدير تفسير ﴿مُسْلِمَيْنِ﴾ بقوله: مُخلِصين.[3]

قوله: (وإذعانًا) هذا على تقدير تفسير ﴿مُسْلِمَيْنِ﴾ بقوله:[4] مُستسلِمَين، مِن استسلم إذا خضع.[5]

قوله: (وقرئ "مُسلِمين") هي شاذّة.[6]

قوله: (لأنها منه) أي: لأنّ التثنية[7] مِن الجمع؛ لِمَا فيها مِن الاجتماع.[8]

وقوله: (﴿مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾) يفيد الحصر، أي: نكون مُسلمَين لك لا لغيرك، وهذا يدلُّ على أنّ كمال[9] سعادة العبد أن يكون مُسلِّمًا لأحكام الله تعالى وقضائه وقدره، وألّا يكون مُلتفِت الخاطر إلى شيء سواه.[10] قال الإمام: «وهذا هو المراد من قول إبراهيم عليه السلام[11] في موضع آخر: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء ٢٦/٧٧]».[12]

---

١ ن ر: زادنا.
٢ ن ر – هذا.
٣ انظر هذا القول في تفسير ابن أبي حاتم، ١/٢٣٤ (البقرة، ٢/١٢٨).
٤ ن – مُخلِصين. قوله: (وإذعانًا) هذا على تقدير تفسير ﴿مُسْلِمَيْنِ﴾ بقوله.
٥ انظر هذا القول في جامع البيان للطبري، ٢/٥٦٥ (البقرة، ٢/١٢٨).
٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وعوف الأعرابيّ. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٧؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧٦؛ المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٤٦٢.
٧ ر: التشنية.
٨ ن ر: الإجماع.
٩ د: كما.
١٠ انظر: تفسير الرازي، ٤/٦٧ (البقرة، ٢/١٢٨).
١١ د – عليه السلام.
١٢ تفسير الرازي، ٤/٦٧ (البقرة، ٢/١٢٨).

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا﴾: واجعل من ذرّيتنا ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ و"مِن" للتبعيض أو للتبيين؛ كقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾.

**فإن قلتَ**: لِم خصَّا ذرّيَّتهما بالدعاء؟

**قلتُ**: لأنهم أحقُّ بالشَّفقة والنَّصيحة: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم ٦٦/٦]،

---

قوله: (و﴿مِن﴾ للتبعيض) وخصَّ بعضَهم؛ لأنّه تعالى أعلَمَ[١] أنّ في ذُرِّيَّته الظالم بقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة ٢/١٢٤]. فإن قيل: قد تقدَّم أنّ قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ كما يدلُّ على أنّ في ذُرِّيته مَن يكون ظالمًا فكذا يدلُّ[٢] على أنّه يُوجَد منهم مَن لا يكون ظالمًا، فإذن كون بعض ذُرِّيَّته أمّة مسلمة صار معلومًا بتلك الآية، فما الفائدة في طلبه بالدعاء مرَّة أخرى؟ قلنا: تلك الدلالة ما كانت قاطعة، والشفيق[٣] بسوء الظنّ مُولَع.[٤]

قوله: (أو للتبيين) فيكون بيانًا لقوله: ﴿أُمَّةً مُّسۡلِمَةً﴾،[٥] فكأنّه قال: اجعل وأَوْجِد أمّة مُسلِمة، هي ذرِّيتنا.[٦] وحاصل المعنى:[٧] اجعل[٨] ذُريَّتنا أمّة مسلمة، لكن[٩] / عبارة[١٠] القرآن تفيد زيادة الاختصاص،[١١] كقولك:[١٢] رأيتُ[١٣] منكَ أسدًا،[١٤] [١٧٩ظ] أي: أنت أسد،[١٥] وتُسمَّى هذه "مِن" التجريديّة.

قوله: (لِمَ خصَّا ذُريَّتهما بالدُّعاء؟) أي: أليس[١٦] هذا يجري مَجرى البُخل في الدُّعاء؟ وحاصل الجواب أنّ صلاحهم يُوجِب صلاح غيرهم، فيكون الدعاء شاملًا للكُلّ لكن خصّ الذُّريّة، أي: الأولاد لكونهم أحقُّ.

---

١ ن ر - أعلم.
٢ ن ر: دلّ.
٣ د - الدلالة ما كانت قاطعة، والشفيق. | وهي كذلك في مطبوع تفسير الرازي.
٤ من قوله: "وخصّ بعضهم" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٦٧/٤ (البقرة، ١٢٨/٢).
٥ د - فيكون بيانًا لقوله: ﴿أُمَّةً مُّسۡلِمَةً﴾.
٦ ر: ذرينا.
٧ د - هي ذرّيتنا. وحاصل المعنى.
٨ ن ر: إذا جعل.
٩ كُرِّرت "لكن" في بداية اللوح التالي من د.
١٠ ن ر: العبارة التي في.
١١ د - الاختصاص.
١٢ ن ر: كقوله.
١٣ ن ر: وأنت.
١٤ ن ر: أشد.
١٥ ن ر: أشد.
١٦ ن ر: ليس.

ولأنَّ أولادَ الأنبياء إذا صلَحوا صلَح بهم غيرُهم وشايَعُوهم على الخير، ألَا ترى أنّ المقدَّمِين من العلماء والكُبراءِ إذا كانوا على السَّداد كيف يتسبَّبونَ لسدادِ مَن وراءَهم؟

وقيل: أراد بالأمَّة أمةَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

﴿وَأَرِنَا﴾ منقولٌ من رأى بمعنى: أَبصَر، أو عَرَف، ولذلك لم يتجاوز مفعولَين؛ أي: وبَصِّرنا متعبَّداتنا في الحج، أو: وعرِّفناها، وقيل: مذابحنا.

---

قوله: (قيل: أراد بالأمَّة أمَّة محمَّد عليه السلام) بدليل قوله: ﴿وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾.

قوله: (ولذلك) أي: ولأجل أنَّ ﴿أَرِنَا﴾ منقول مِن رأى... إلخ، فإنّه في الأصل مُتعدٍّ إلى واحد، فزِيدَ مفعول آخر بزيادة الهمزة. واعلم أنَّ في ﴿وَأَرِنَا﴾ قولين:

**الأوّل**: علِّمنا شرائع حجِّنا،[١] أي: إذا أمَرتنا ببناء البيت لِنَحجَّه وندعو إلى حجِّه فعلِّمْنا شرائعه وما ينبغي لنا أن نأتيَه فيه مِن عمل، فهو مِن "رأى" بمعنى: عرَف.

**الثاني**: [أظهرها][٢] لأعيننا حتّى نراها، قال الحَسَن: 'إنّ جبرئيل[٣] عليه السلام أرى إبراهيم عليه السلام[٤] المَناسِك كلَّها حتّى بلغ عرفات، فقال: يا إبراهيم أَعرَفتَ ما أَريتُك؟ فقال: نعم'؛[٥] فسُمّيَ عرفات. مَن قال: إنّه مِن "رأى" بمعنى: "أبصَر" قال: إنّ المَناسِك هي المواقف والمواضع التي تقام[٦] فيها شرائع الحجّ نحو:[٧] مِنى وعرفات والمُزدلفة[٨] ونحوها؛ ومَن قال: إنّه مِن "رأى" بمعنى: "عرف" قال:[٩] إنّ المَناسِك هي أعمال الحجّ: كالطواف والسعي والوقوف.[١٠]

---

١ انظر: جامع البيان للطبري، ٥٦٩/٢ (البقرة، ١٢٨/٢)؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ٢٣٤/١ (البقرة، ١٢٨/٢).

٢ د ن ر - أظهرنا. | وأثبتُّ ما في مطبوع تفسير الرازي.

٣ ن ر: جبريل.

٤ د - عليه السلام.

٥ هو بمعناه: عن السُّدِّي في جامع البيان للطبري، ٥٦٧/٢-٥٦٨ (البقرة، ١٢٨/٢)؛ وعن ابن عبّاس ومجاهد في تفسير ابن أبي حاتم، ٢٣٤/١-٢٣٥ (البقرة، ١٢٨/٢).

٦ ر: مقام.

٧ ن ر - نحو.

٨ ر: مزدلفة.

٩ ر: كل.

١٠ من قوله: "الأوّل: علِّمنا شرائع" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٦٨/٤ (البقرة، ١٢٨/٢).

وقرئ: ﴿وأَرْنَا﴾ بسكون الراء قياسًا على فَخْذٍ في فَخِذٍ، وقد استُرذِلَتْ؛ لأنَّ الكسرة منقولةٌ من الهمزة الساقِطةِ دليلٌ عليها، فإسقاطُها إجْحافٌ.

وقرأ أبو عمرو بإشمام الكسرة.

وقرأ عبد الله: "وَأَرِهِمْ مناسِكهم".

﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ ما فَرَط منا منَ الصغائر، أو استتَابًا لذرِّيتهما.

---

قوله تعالى: ﴿مَنَاسِكَنَا﴾.

النُّسُك: هو التعبُّد، يقال للعابد ناسك، ثمّ يُسمَّى الذَّبح نُسْكًا، والذَّبيحة نَسِيكة، وتُسمَّى أعمال الحجّ مَناسك، وهو[1] جَمْع مَنْسَك بفتح السين، وهو مصدر؛ جُمِع لاختلاف ضروبه،[2] وتُسمَّى المواضع التي تقام فيها شرائع الحجّ مناسك أيضًا، وهو جمع مَنسِك[3] بكسر السين، بمعنى: المَوضِع،[4] كالمَسجِد والمَشرِق والمَغرِب. إذا عرفتَ هذا فنقول: إن حملنا "المَناسك" على مناسك الحجّ كما هو المشهور: فإن حملناها على الأعمال فالإراءة لتعريف تلك الأعمال، وإن حملناه على المواضع فالإراءة لتعريف البقاع.[5]

قوله: (**وقرئ "وأَرْنا"**) قال صاحب **التيسير**: «قرأ ابن كثير وأبو شعيب "وأَرْنا" و"أَرْني" بإسكان الراء حيث وقعا، وأبو عمر الدُّوريّ[6] عن اليزيديّ[7] باختلاس كسرتها، والباقون بإشباعها».[8]

قوله: (**وقرأ عبد الله: "وأَرِهِمْ[9] مَناسكَهم"**) قراءة شاذَّة.[10]

---

١ ن ر: هي.

٢ لأنّ الأصل في المصادر ألّا تُجمَع.

٣ ن ر - بفتح السين، وهو مصدر؛ جُمِع لاختلاف ضروبه، وتُسمَّى المواضع التي تقام فيها شرائع الحجّ مناسك أيضًا، وهو جمع مَنسِك.

٤ ن ر: المواضع.

٥ من قوله: "النُّسك: هو التعبُّد" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٤/٦٨-٦٩ (البقرة، ٢/١٢٨).

٦ ر: أبو عمر والدوري.

٧ ر: الزيدي.

٨ **التيسير** للداني، ص ٢٨٦. وليس في مطبوعه لفظ «الدُّوري». وانظر لتفصيله: **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٧٠؛ **والنشر** لابن الجزري، ٢/٢٢٢.

٩ ر: وأراهم.

١٠ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٦؛ **المغني في القراءات** للنُّوزاوازي، ص ٤٦٢.

﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾

﴿وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ﴾: في الأمّة المسلمة ﴿رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾: من أنفسهم.

رُوي أنّه قيل له: قد استُجيبَ لك، وهو في آخر الزمان، فبَعثَ اللهُ فيهم محمدًا صلى الله عليه وسلم؛ قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «أنا دعوةُ أبي إبراهيمَ، وبُشرَى عيسى، ورُؤيَا أُمّيَ».

﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ﴾: يقرأ عليهم ويبلِّغهم ما يوحَى إليه من دلائل وحدانيَّتك وصدقِ أنبيائك.

---

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾... إلخ.

هذا هو النوع الثالث مِن الدُّعاء.

قوله عليه السلام: "«أنا دعوة إبراهيم عليه السلام»"[١] يريد هذه الآية. "«وبشارة عيسى عليه السلام»"[٢] يعني قوله: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف ٦/٦١]. («ورؤيا أمي»).[٣] قيل: رأت في المنام يخرُج منها نور، فأضاءت بها ديار مكّة، وملأ حوَاليه نورًا.[٤]

واعلم أنّ إبراهيم عليه السلام لمّا طلَب بِعثة الرُّسل[٥] إليهم ذكَر لذلك الرسول أربعة صفات وختمها بالثناء على الله تعالى، فقال: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.[٦] قال الإمام: «﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ هو القادر الذي لا يُغلَب، و﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ هو العالم[٧] الذي لا يَجهَل شيئًا».[٨]

---

١ د - عليه السلام.

٢ د - عليه السلام.

٣ مسند أحمد، ٣٧٩/٢٨-٣٨٠ (١٧١٥٠)؛ جامع البيان للطبري، ٥٧٣/٢ (البقرة، ١٢٩/٢). وانظر لتفصيل تخريجه: تخريج أحاديث الكشّاف للزَّيلعي، ٨٢/١-٨٣.

٤ في حديث العِرباض بن سارية: «أنّ أمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأت حين وضعَته نورًا أضاءتْ منه قصور الشام». مسند أحمد، ٣٨٢/٢٨ (١٧١٥١).

٥ ن ر: الرسول.

٦ انظر: تفسير الرازي، ٧٢/٤-٧٣ (البقرة، ١٢٩/٢).

٧ ن: الغالب.

٨ تفسير الرازي، ٧٢/٤-٧٣ (البقرة، ١٢٩/٢).

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآنَ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: الشريعةَ وبيانَ الأحكام.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: ويُطَهِّرهم من الشرك وسائر الأَرْجاس؛ كقوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف ١٥٧/٧].

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وَمَن يَرْغَبُ﴾ إنكارٌ واستبعادٌ لأنْ يكونَ في العقلاء مَن يرغبُ عن الحقِّ الواضح الذي هو ملَّةُ إبراهيم عليه السلام.

و﴿مَن سَفِهَ﴾ في محلِّ الرفعِ على البدلِ من الضمير في ﴿يَرْغَبُ﴾، وصحَّ البدلُ لأنَّ ﴿مَن يرغبُ﴾ غيرُ موجَبٍ؛ كقولك: هل جاءَك أحدٌ إلا زيدٌ.

﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: امْتَهنَها واستخفَّ بها. وأصلُ السَّفَه: الخفَّةُ، ومنه: زِمامٌ سَفِيه.

---

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾... إلخ.

يقال: رغِبتُ عن الأمر إذا كرهتَه، ورغبتُ فيه إذا أردتَه. و﴿مَن﴾ الأولى[١] استفهام[٢] بمعنى الإنكار، والثانية موصول.[٣]

قوله: (امتهنها) أي: احتقرها،[٤] وشيء مَهين، أي: حقير. اعلم أنّ في انتصاب ﴿نَفْسَهُۥ﴾ قولين:

**الأوّل**: أنّه مفعول به، قال المُبرِّد: سَفُه بالضمّ لازم، وسَفِه بالكسر مُتعدٍّ. وعلى هذا القول وجوه:

**الأوّل**: امتهنَها واستخفّ بها، وأصل السَّفَه: الخِفَّة والحركة، يقال: تسفَّهَت[٥] الرّيح الشجرَ، أي: مالت به؛ وذلك لأنّه إذا رغِب عما لا يرغَب عنه عاقل قطُّ فقد بالغ في إذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كلّ نفس عاقلة، وهو / الذي ذكره المُصنِّف. [١٨٠و]

---

١ ن ر: الأول.

٢ ن ر − استفهام.

٣ انظر: **تفسير الرازي**، ٧٦/٤ (البقرة، ١٣٠/٢).

٤ ن ر: اختصرها.

٥ ن ر: سفهت.

**وقيل: انتصاب النفس على التمييز؛ نحو: غَبِنَ رَأيَه وألِمَ رأسَه، ويجوز أن يكون في شذوذِ تعريف المميّز؛ نحو قوله:**

**ولا بِـــفَـــزَارَةَ الـشُّـعـرِ الـرِّقـابـا**
**أَجَـــبَّ الـظـهـرَ لـيـس لـه سـنـامُ**

**وقيل: معناه: سَفِه في نفسه، فحُذف الجارُّ كقولهم: زيدٌ ظنّي مُقيمٌ؛ أي: في ظنّي.**

**والوَجْهُ هو الأول، وكفى شاهدًا له بما جاء في الحديث: «الكِبْرُ أنْ تَسْفَهَ الحقَّ وتَغْمِصَ الناسَ»، وذلك أنه إذا رغِبَ عمَّا لا يَرغَبُ عنه عاقلٌ قطُّ فقد بالَغَ في إذالةِ نَفْسِه وتعجيزِها حيث خالَفَ بها كلَّ نفسٍ عاقلةٍ.**

---

**والثاني**: قال الحسَن: جهِل نفسه فلم يَستدلّ بذلك، أي: لا يَرغَب[١] عن مِلّة إبراهيم إلّا من جهِل نفسه فلم يُفكِّر فيها ليستدلّ[٢] بما يجِده مِن آثار النعمة على وحدانيّة الله تعالى وعلى حُكمه، ويستدلّ بالدلائل على صحّة نبوّة محمّد عليه السلام، وبهذا قال ابن كَيْسان فقال: لأنّ مَن عَبَد حجرًا أو قمرًا أو شمسًا أو صنمًا فقد جهِل نفسه، لأنّه لم يَعلَم خالقها ولم يَعلَم ما يحقُّ لله[٣] تعالى[٤] عليه.[٥] والعَرب تضع "سَفِه" في موضع "جهِل"، ومنه الحديث: (**«الكِبْر: أن تَسْفه الحقَّ وتغمِصَ[٦] الناس»**)،[٧] أي: تجهَل الحقّ.[٨]

ويُؤيِّد هذا المعنى ما ورد في الحديث: «مَن عرف نفسَه فقد عرف ربّه»،[٩]

---

[١] ن ر: لأعرب.

[٢] ر: يستدلّ.

[٣] ر: الله.

[٤] ن - تعالى.

[٥] انظر قول ابن كيسان في **الوسيط** للواحدي، ٢١٤/١ (البقرة، ١٣٠/٢)؛ و**البسيط** للواحدي، ٣٣٣/٣-٣٣٤ (البقرة، ١٣٠/٢).

[٦] غَمْط الناس وغَمْصهم: الاحتقار لهم والإزراء بهم، وما أشبه ذلك. انظر: **غريب الحديث** لأبي عُبيد، ٣١٤/٣-٣١٥.

[٧] **سنن أبي داود**، ٤١٧/٤-٤١٨ (٤٠٨٩)؛ **سنن الترمذي**، ٥٣٤/٣ (١٩٩٩)، ولفظه فيهما «... الكبر: مَن بَطِر الحق، وغمص الناس»؛ **المعجم الكبير** للطبراني، ٦٢/٢ (١٣١٧).

[٨] من قوله: "الأوّل: أنّه مفعول به" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٧٧/٤ (البقرة، ١٣٠/٢).

[٩] **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٣٣/٤ (البقرة، ١٣٠/٢). والظاهر أنّه موضوع. انظر: **تنزيه الشريعة** لابن عراق، ٤٠٢/٢؛ وحواشي مُحقِّق **الكشف والبيان** للثعلبي.

فقيل في[1] معناه: إنّما يقع الناس في البِدَع والضلالات لجهلهم أنفسَهم، وظنِّهم أنّهم يَملِكون الضرَّ[2] والنفع دون الله تعالى. وحُكيَ عن أبي بكر الورّاق أنّه قال في معنى هذا الحديث: من عرف نفسه مخلوقة مَرزوقة بلا حول ولا قوّة عرَف ربَّه خالقًا رازقًا بالحَوْل والقوّة.[3] وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: كيف عرَفتني؟ وكيف عرفتَ نفسك؟ فقال: عرفتُك بالقُدرة[4] والقُوّة[5] والبقاء، وعرفتُ نفسي بالضعف والعَجْز والفَناء، قال: الآن عرفتَني. فإذا كان مَن عرَف نفسه عرَف ربَّه كان مَن جهِل ربَّه حتّى يرغَب عن ملّة إبراهيم عليه السلام[6] جهِل نفسه.[7]

**والثالث**: أهلَك نفسَه وأَوْبقها عن أبي عُبيدة.[8]

**والرابع**: أضلَّ نفسَه.

**القول الثاني**: أنّ ﴿نَفۡسَهُۥ﴾ ليست مفعولًا، وهنا قولان: **الأوّل**: أنّه نصبٌ على التمييز عن الفرّاء،[9] ومعناه: سَفِه نفسًا، ثمّ أضاف، وتقديره: إلّا السَّفيهُ، وذِكْر النفس تأكيد، وهذا كما يقال: هذا الأمرُ نفسُه، والمقصود منه المُبالغة في تسفيهه.[10]

قال الشاعر:

---

١ ر – في.

٢ ن: الضرر.

٣ ر: القدة.

٤ ن ر: بالقوة.

٥ ن ر: والقدرة.

٦ ر – عليه السلام.

٧ من قوله: "ويؤيِّد هذا المعنى" إلى هنا بلفظ قريب في **الوسيط** للواحدي، ١/٢١٤-٢١٥ (البقرة، ٢/١٣٠)؛ و**البسيط** للواحدي، ٣/٣٣٢ (البقرة، ٢/١٣٠).

٨ د ن ر: أبي عُبيد. | وأثبتُّ ما في **تفسير الرازي**. وهو الصواب؛ لأنّ هذا الوجه قول أبي عبيدة في **مجاز القرآن**، ١/٥٦. وأما الوجه الذي اختاره أبو عُبيد فهو أنّ ﴿سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ بمعنى: سفَّهها. انظر: **غريب الحديث** لأبي عُبيد، ٣/٣١٤.

٩ انظر: **معاني القرآن** للفرّاء، ١/٧٩.

١٠ ر: لتنبيهه؛ ن: لشبهه | من قوله: "والثالث: أهلك نفسه" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٤/٧٧ (البقرة، ٢/١٣٠).

فـمـا قـومـي بـثَـعـلـبـةَ بـن بَـكْـرٍ (ولا بفَـزارةَ الشُّـعْرِ الرِّقابـا)[١]

ثَعلبة: اسم قبيلة، وكذا فزارة. والشُّعْر بضمّ الشين: جَمْع أَشعَر. ومعناه: ليس قومي بثعلبة ولا بفزارة الكثير الشَّعْر بالرَّقَبة. وقال آخر:

فـإن يَـهـلـك أبـو قـابـوس يَـهلِـكْ رَبـيـعُ الـنـاس والـشـهـر الـحـرامُ
ونـأخـذْ بـعـده بـذِنـاب عَـيْـشٍ (أجـبَّ الـظَّـهـرَ ليس لـه سَـنـامُ)[٢]

أراد بالربيع: طِيب العيش، وبالشَّهر الحرام: الأمن، أي: نبقى بعد الممدوح في طَرَف عَيْش قد مضى صَدْره ومُعظَمه وخَيْره، وقد بقي منه ذنَبه وما لا خير فيه، ويُكنى عن الخِيار بالرأس وعن الشِّرار بالأذناب. والأجبُّ: الإبل المقطوع السَّنام.[٣]

ويجوز أن يكون نَصْبُ "الرِّقاب" و"الظهر" في البيتين على التشبيه[٤] بالمفعول لا على التميز، كقولك: الحَسَنُ الوجهَ، ولذلك قال المُصنِّف: (ويجوز)... إلخ؛ القول الثاني: أنّه منصوب بنزع الخافض. ثمّ اختار المُصنِّف الأوّل: وهو أن يكون مفعول ﴿سَفِهَ﴾، واستشهد عليه بما جاء في الحديث. وفي "سَفِه الحقَّ"[٥] وجهان: أحدهما: أن يكون على حذف[٦] الجارّ وإيصال الفعل، كأنّ الأصل: سَفِه على الحقّ؛ الثاني: أنّ يُضمَّن معنى فِعل مُتعدٍّ، كجَهِل ونكِر.

---

[١] البيت للحارث بن ظالم المُرّي في المفضّليّات للضبّي، ص ٣١٤، والرِّواية فيه:

فـمـا قـومـي بـثـعـلـبـة بـن سعد
ولا بـفـزارة الـشُّـعْـرى رقـابـا

وهي إحدى روايتين أوردهما سيبويه للبيتن وعزاه إلى الحارث، والرِّواية الثانية فيه قريبة من رواية الجاربردي ههنا، لكن فيها «سعد» مكان «بكر». انظر: كتاب سيبويه، ٢٠١/١؛ وهو بهذه الرِّواية الثانية وبلا نسبة في معاني القرآن للفرّاء، ٤٠٨/٢؛ وجامع البيان للطبري، ١٢٢/٢٠ (ص، ٥٠/٣٨).

[٢] البيتان للنابغة الذبياني في ديوانه، ص ٢٣١-٢٣٢؛ وثانيهما له على ما نحن فيه في كتاب سيبويه، ١٩٦/١؛ والمُفصَّل للزمخشري، ص ٢٩٤. وأبو قابوس هو الملك النعمان بن المنذر.

[٣] أكثر الكلام على البيتين في شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي، ٢٨/١-٢٩.

[٤] ن ر: الشبيه.

[٥] يريد في الحديث، ومضى تخريجه آنفًا.

[٦] ن: حرف.

﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ بيانٌ لخطأ رَأيِ مَن رَغِبَ عن ملَّته؛ لأنَّ مَن جَمَع الكرامةَ عند الله في الدارَيْن: بأنْ كان صَفْوتَهُ وخِيرَتَه في الدنيا، وكان مشهودًا له بالاستقامة على الخير في الآخرة، لم يكن أحدٌ أولى بالرغبةِ في طريقته منه.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرفٌ لـ﴿ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾؛ أي: اختَرْناه في ذلك الوقت، أو انتَصَب بإضمارِ: اذكرْ؛ استشهادًا على ما ذُكر مِن حالهِ، كأنَّه قيل: اذكُر ذلك الوقتَ لتعلَم أنه المصطفَى الصالحُ الذي لا يُرغَب عن ملَّةِ مِثْلِه.

---

والغَمْز[١] والغَمْص[٢] والغَمْط[٣] أخوات في معنى[٤] العيب والإزراء.[٥]

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾، أي: اخترناه للرسالة. والضمير مِن قوله: (كان) و(كان) و(له) و(منه) عائد إلى (مَن جَمَع)؛ ومِن (طريقته) عائد إلى (أحد).

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

«اعلم أنَّ هذا هو النوع الخامس من الأمور / التي حكاها الله تعالى عن [١٨٠ظ]
إبراهيم عليه السلام».[٦]

«فإن قيل: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ إخبار عن النفس، وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ إخبار عن المُغايبة، فكيف يكون هذا نظمًا واحدًا؟ قلنا: هذا من باب الالتفات».[٧]

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ قال الإمام: يحتمل ألّا يكون المراد نَفْس القول؛ بل دلالة الدليل، على حسب مذاهب العَرب، كقول الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قَطْني[٨]

---

١ ن ر: القمر.
٢ ن ر: الغمض.
٣ ن ر - الغمط.
٤ ن ر: المعنى.
٥ ر: والازدراء.
٦ د - عليه السلام. | تفسير الرازي، ٧٨/٤ (البقرة، ١٣١/٢).
٧ تفسير الرازي، ٧٨/٤ (البقرة، ١٣١/٢). وفي مطبوعه «النظم» مكان «نظمًا».
٨ انظر: تفسير الرازي، ٧٨/٤-٧٩ (البقرة، ١٣١/٢). | مضى بتخريجه في تفسير سورة البقرة، ٩٣/٢.

ومعنى "قال له أَسْلِم": أَخطِرْ ببالك النَّظَرَ في الدلائل المؤدِّيَةِ إلى المعرفة والإسلام، فـ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾؛ أي: فنَظَر وعرَف.

وقيل: ﴿أَسْلِمْ﴾؛ أي: أذعِنْ وأَطِعْ.

ورُوِي: أنّ عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سَلَمةَ ومُهاجرًا إلى الإسلام فقال لهما: قد علِمْنا أن الله تعالى قال في التوراة: إني باعثٌ من وَلد إسماعيلَ عليه السلام نبيًّا اسمُه أحمدُ، فَمَن آمَنَ به فقد اهتَدَى ورشَدَ، ومَن لم يُؤمِنْ به فهو ملعونٌ، فأسْلَمَ سَلمةُ وأَبى مُهاجِرٌ أَنْ يُسْلِمَ، فنزلت.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾

قرئ: ﴿وأَوصى﴾، وهي في مصاحفِ أهلِ الحجاز والشّام.

---

أقول: وهو الذي أشار إليه المُصنِّف بقوله: (أَخْطَر بباله) أي: أَخْطَر الله تعالى[١] ببال إبراهيم.

قوله:[٢] (ورُوِيَ أنّ عبد الله) إشارة إلى سبب نزول قوله تعالى ﴿وَمَن يَرۡغَبُ﴾... إلخ.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ﴾... إلخ.

«هذا هو النوع السادس من الأمور المُستحسَنة التي[٣] حكاها الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام».[٤]

قوله: (قُرِئ: "وأَوْصى") قرأ نافع وابن عامر "وأَوْصى بها" بالألف مُخفَّفًا، والباقون بغير ألف مُشدَّدًا.[٥] يقال: وصَّى يوصِّي تَوْصِية، وأوصى يُوصي إيصاءً. ولهما أمثلة من القرآن، قال تعالى: ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ﴾ [يس ٣٦/٥٠]، وقال تعالى:

---

١ د - تعالى.

٢ ن: وقوله.

٣ ر: إلى.

٤ تفسير الرازي، ٧٩/٤ (البقرة، ١٣٢/٢).

٥ السبعة لابن مجاهد، ص ١٧١؛ التيسير للداني، ص ٢٨٧؛ النشر لابن الجزري، ٢٢٢/٢-٢٢٣.

والضميرُ في ﴿بِهَا﴾ لقوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على تأويلِ الكلمة والجملة، ونحوُه رجوعُ الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾ [الزخرف ٢٨/٤٣] إلى قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف ٢٦/٤٣] وقوله: ﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾ دليلٌ على أن التأنيثَ على تأويلِ الكلمة.

﴿وَيَعْقُوبُ﴾ عطف على ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ داخلٌ في حكمه، والمعنى: ووصَّى بها يعقوبُ بنيهِ أيضًا.

وقرئَ: "ويعقوبَ" بالنصب عطفًا على ﴿بَنِيهِ﴾، .............

---

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [الأحقاف ١٥/٤٦]، وقال تعالى:[١] ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء ١١/٤]، وقال: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء ١٢/٤].[٢]

وأصل التَّوصِية والإيصاء: الدعاء إلى الخير بالمُبالغة والمُواصلة، من قولهم: وصَى الشيءَ: وَصَله، ووَصَت الأرض: اتّصل نبتها، وأرض واصية: مُتّصلة[٣] النبات،[٤] «يقال: وَطِئنا أرضًا واصية».[٥] قال أبو عليّ: «وصَى[٦] النبت[٧] إذا اتصل بعضه ببعض، كأن المُوصيَ بالوصيَّة وصَل جُلَّ أمره إلى المُوصى إليه».[٨] قال الزَّجّاج: «وصَّى[٩] أبلغ من أوصى؛ لأنّ أوصَى جائز أن يكون[١٠] قال لهم مرَّة واحدة، ووصَّى لا يكون إلّا مرَّات[١١] كثيرة».[١٢]

قوله: (**والضمير في ﴿بِهَا﴾**) مبتدأ، خبره قوله: (**لقوله:**[١٣] **﴿أَسْلَمْتُ﴾**).

قوله: (**قُرِئ "يعقوبَ" بالنصب**) هي شاذّة.[١٤]

---

١ د - تعالى.

٢ من قوله: "يقال: وصَى" إلى هنا بلفظ قريب في **الوسيط** للواحدي، ٢١٦/١ (البقرة، ١٣٢/٢).

٣ د ن ر: متّصل.

٤ انظر: **الصحاح** للجوهري، «وصي».

٥ **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «وصي».

٦ ن ر: وهي.

٧ ن ر: البيت.

٨ **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢٢٨/٢.

٩ ن ر: وهي.

١٠ ن + قد.

١١ ن ر: مرارًا.

١٢ **معاني القرآن وإعرابه** للزّجّاج، ٢١١/١؛ وهو عنه في **الوسيط** للواحدي، ٢١٦/١ (البقرة، ١٣٢/٢)، وفيهما «للمرّات» مكان «مرّات».

١٣ ن ر: كقوله.

١٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة وعليّ بن أبي طالب والضرير عن يعقوب وعمرو بن فائد وعبد العزيز المكيّ. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٧؛ **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٤٦٣-٤٦٤.

ومعناه: ووصَّى بها إبراهيمُ بنيه ونافلتَه يعقوب.

﴿يَٰبَنِيَّ﴾ على إضمارِ القول عند البَصْريين، وعند الكوفيين يتعلَّق بـ"وصَّى"؛ لأنه في معنى القول، ونحوُه قولُ القائل:

رَجــلان مِــن ضَـبَّـةَ أخـبَـرَانَـا     إنَّــا رَأيْــنَــا رَجُـــلًا عُـريـانـا

بكسر الهمزة، فهو بتقديرِ القولِ عندنا، وعندهم يتعلَّق بفعلِ الإخبار.

وفي قراءة أُبيّ وابنِ مسعود رضي الله عنهما: "أَنْ يا بَنِيَّ".

﴿ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾: أعطاكم الدِّين الذي هو صفوةُ الأَدْيان وهو دِينُ الإسلام، ووفَّقكم للأَخْذ به.

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ﴾ معناه: فلا يكنْ موتُكم إلا على حالِ كونكم ثابتينَ على الإسلام، فالنهيُ في الحقيقة عن كونهم على خلافِ حالِ الإسلام إذا ماتوا؛ كقولكَ: لا تُصلِّ إلَّا وأنت خاشعٌ، فلا تَنْهاه عن الصلاةِ ولكنْ عن تركِ الخشوعِ في حالِ صلاته.

---

قوله: (﴿يَٰبَنِيَّ﴾) على إضمار القول عند البصريّين؛ لأنّهم لا يُجوِّزون التعليق في غير أفعال القلوب.[١] قال الشاعر:

(رَجْـــلان مِــن ضـبَّـة أخـبرانـا     إنّــا رأيــنـا رجُـــلًا عُـريـانـا)[٢]

سكَّن الجيم من قوله: رجْلان،[٣] كما يقال في عضُد: عضْد، بالإسكان. وضبّة: اسم قبيلة.

قوله: (وفي قراءة أُبَيّ وابن مسعود: "أنْ يا بَنِيَّ") هي شاذّة.[٤] و"أنْ" مُفسِّرة؛[٥] لأنّ وصَّى في معنى القول.

---

[١] انظر المسألة في المُحتسَب لابن جنّي، ١٠٨/١-١٠٩.

[٢] ما عرفتُ قائله. وهو بلا نسبة في معاني القرآن للفرّاء، ٤١٢/٢، ٢٤٠/٣؛ وجامع البيان للطبري، ١٤٣/٢٠ (ص، ٧٠/٣٨)؛ المُحتسَب لابن جنّي، ١٠٩/١؛ واللامع العزيزي للمعري، ١٠١٠/٢.

[٣] انظر الكلام على تسكين الجيم منها في اللامع العزيزي للمعري، ١٠١٠/٢.

[٤] الكشف والبيان للثعلبي، ١٤١/٤ (البقرة، ١٣٢/٢)؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧٦.

[٥] ن ر: مُفسِّر.

**فإنْ قلتَ:** فأيُّ نكتةٍ في إدخالِ حرفِ النَّهْي على الصلاةِ وليس بمنهيٍّ عنها؟

**قلت:** النكتةُ فيه إظهارُ أن الصلاةَ التي لا خشوعَ فيها كَلَا صلاةٍ؛ فكأنَّه قال: أنهاك عنها إذا لم تُصلِّها على هذه الحالة، ألَا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «لا صلاةَ لجارِ المسجدِ إلَّا في المسجد»؟ فإنه كالتَّصريح بقولك لجارِ المسجد: لا تصلِّ إلا في المسجد، وكذلك المعنى في الآية: إظهارُ أنَّ موتَهم لا على حالِ الثبات على الإسلام موتٌ لا خيرَ فيه، وأنَّه ليس بموت السُّعداء، وأنَّ من حقِّ هذا الموتِ أن لا يَحُلَّ فيهم.

وتقول في الأمر أيضًا: مُتْ وأنت شهيدٌ، وليس مرادُك الأمرَ بالموت، ولكنْ بالكونِ على صفةِ الشهداء إذا مات، وإنَّما أَمَرْتَه بالموت اعتدادًا منك بميتَتِه، وإظهارًا لفضلها على غيرها، وأنها حقيقةٌ بأنْ يُحَثَّ عليها.

---

قوله: **(وليس بمَنهيّ عنها)** يجوز أن يكون الضمير مِن قوله "ليس" عائدًا إلى الشخص أو المُصلّي الذي يدلّ عليه: لا تُصلِّ،[١] أي:[٢] ليس الشخص أو المُصلّي بمَنهيّ[٣] عن الصلاة؛ ويجوز أن يعود الضمير في "ليس" إلى **(الصلاة)** بتأويل: أن[٤] يُصلّيَ.

قوله:[٥] **(حقيقة)**، أي: جديرة. وحاصل المعنى أنّه: وقع النهيُ في ظاهر الكلام على الموت، وإنّما نُهُوا في الحقيقة عن تَرْك الإسلام؛ لئلا يُصادفهم الموت عليه. والمعنى: الزموا الإسلام حتّى إذا أدرككم الموت صادفَكم عليه. وهذا كما تقول:[٦] لا أُرِيَنَّك هنا، فوقع[٧] حرف النهي على الرؤية، وأنت لم تَنْهَ نفسك على الحقيقة، بل نهيتَ المخاطب، كأنك قلتَ: لا تقربَنَّ هذا الموضع، فمتى جئتُه لم أَرَك فيه.[٨]

---

١ ن ر – لا تصلّ.

٢ ن ر: أن.

٣ ن ر: ينهى.

٤ ن ر: لن.

٥ ن ر – قوله.

٦ ن ر: يقال.

٧ ن ر: توقع.

٨ من قوله: "وقع النهي" إلى هنا بلفظ قريب في الوسيط للواحدي، ٢١٦/١ (البقرة، ١٣٢/٢).

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ هي "أم" المُنقطعةُ، ومعنى الهمزةِ فيها الإنكارُ، والشهداءُ: جمعُ شهيدٍ بمعنى الحاضر؛ أي: ما كنتُم حاضِرينَ يعقوبَ عليه السلام إذ حَضَره الموتُ؛ أي: حينَ احتُضر، والخطابُ للمؤمنين بمعنى: ما شاهَدْتُم ذلك، وإنما حصَل لكم العلمُ به من طريقِ الوَحْي.

وقيل: الخطابُ لليهود؛ لأنهم كانوا يقولون: ما مات نبيٌّ إلا على اليهودية.

---

قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾... إلخ.

قال الإمام: «لما حكى عن إبراهيم عليه السلام أنّه بالغ في وصيَّة بنيه بالدِّين والإسلام ذكَر عَقيبه أنّ يعقوب وصَّى بنيه بمِثْل ذلك، تأكيدًا / للحُجّة على اليهود والنصارى، ومبالغة في البيان».[١] [١٨١و]

قوله: "هي المُنقطِعة" يريد أنّ "أم" هنا[٢] مُنقطِعة وقَعت بعد الخبر، فإنّه تعالى أخبر أوّلًا أنّ إبراهيم ويعقوب وصَّيا بنيهما[٣] بالإسلام، كأنّه تعالى أعرَض عن هذا الإخبار وشرع في الاستفهام بمعنى الإنكار، تنبيهًا على أنّ الاستفهام بمعنى الإنكار هنا أهمّ، فقال: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾، أي: أَبَلْ كنتُم شهداء؟ يعني: ما كنتُم أيُّها المؤمنون حاضرين ذلك الوقت، بل حصَل لكم العِلم[٤] بهذا المعنى مِن طريق الوحي، والغرض منه الإشارة إلى أنّ هذا معجزة[٥] للنبيّ عليه السلام؛ لأنّه إخبار عن الغيب، دالّ[٦] على نبوّته.

قوله: (وقيل: الخطاب لليهود)[٧] في ﴿أَمْ كُنتُمْ﴾، فيكون الاستفهام بمعنى الإنكار؛

---

١ تفسير الرازي، ٨١/٤ (البقرة، ١٣٣/٢).
٢ ن ر – هنا.
٣ ر: بنيها.
٤ ن ر: للعلم.
٥ د: معجز.
٦ ر: وإلى.
٧ الخطاب لأهل الكتاب: عن الربيع في جامع البيان للطبري، ٥٨٦/٢ (البقرة، ١٣٣/٢)؛ وعن أبي العالية عن الربيع في تفسير ابن أبي حاتم، ٢٣٩/١ (البقرة، ١٣٣/٢)؛ والخطاب لليهود في الوسيط للواحدي، ٢١٦/١ (البقرة، ١٣٣/٢).

إلَّا أنّهم لو شهِدوه وسمعُوا ما قالَه لبنيه وما قالوه لظَهَر لهم حِرْصُه على ملَّة الإسلام، ولَمَا ادَّعَوْا عليه اليهودية، فالآيةُ مُنافيَةٌ لقولهم، فكيف يقال لهم: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾؟

ولكنَّ الوجه: أن تكون ﴿أَمْ﴾ متَّصلةً على أن يقدَّر قبلها محذوفٌ؛ كأنَّه قيل: أتدَّعون على الأنبياء اليهوديةَ ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾

---

لأنّ اليهود كانوا[١] يقولون للنبيّ عليه السلام: ألستَ تعلم أنّ يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهوديّة؟ فقال الله[٢] تعالى مُنكِرًا عليهم: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾، أي: ما كنتُم حاضرين وقت حضور يعقوب إذ قال ما قال، فكيف تدَّعون ذلك؟

قوله: **(إلّا أنّهم)** اعلم أنّ المُصنِّف أشار إلى ضَعْف هذا القول، وهو أن يكون الخطاب لليهود، فإن الخطاب مع اليهود بهذا الكلام، وإنكار أن يكونوا حاضرين عند هذا القول، إنّما يصحُّ أن لو كان هذا القول مُوافقًا لِمَا يدَّعيه اليهود حتّى يُنكَر عليهم هذا، ويقال: ما كنتُم حاضرين عند موته وقولِه ما قال، فكيف تدَّعون ما تدَّعونه[٣] بناءً على قوله عند موته؟ فإنّهم لو شهدوا يعقوبَ حين حضره الموت وسمعوا قوله هذا لبنيه وسمعوا ما قاله بنوه لعلموا حرصه على الإسلام ولم يقولوا: إنّه وصَّى[٤] باليهوديَّة، فالمنقول عن يعقوب في الآية مُنافية لقولهم، فكيف يُنكِر عليهم حضورَهم عند يعقوب وسماعَهم كلامه، فإنّ الإنكار إنّما يصحّ لو كان مضمون المنقول عن يعقوب في الآية مُوافقًا، كأن يقول مثلًا: أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، فقال: كونوا يهودًا[٥] واثبُتوا على ذلك ولا تكونوا مسلمين.

قوله: **(ولكنّ الوجه)** اعلم أنّ هذا القول -وهو أنّ الخطاب لليهود- منقول عن المُفسِّرين مشهور بين العلماء.[٦] ولمّا لم يستقم هذا القول إذا جعل "أم" مُنقطِعة

---

[١] ن ر -كانوا.

[٢] د - الله.

[٣] ن ر: تدّعون.

[٤] ر: أوصى.

[٥] د ن ر: يهوديًا.

[٦] مضى تخريج هذا القول آنفًا.

**يعني أنَّ أوائلكم من بني إسرائيلَ كانوا مشاهِدِين له إذْ أراد بَنِيهِ على التوحيد وملَّةِ الإسلام وقد علمتُم ذلك، فما لكم تدَّعون على الأنبياء ما هم منه بُرَآءُ.**

---

قال المُصنِّف: الوجه على هذا القول أن تكون "أم" مُتَّصلة، ولمّا لم يجُز أن تقع "أم" المُتَّصلة إلا بعد الاستفهام وجَب أن يُقدَّر محذوف، فكأنّه تعالى قال: أتدَّعون أنّ الأنبياء كانوا هُودًا[1] أم كنتُم شهداء؟ على سبيل التقرير[2] للمُشاهَدة والإنكار للدعوى، فيئوَّل[3] المعنى إلى أنّكم كنتُم شاهدين؛ لأنّ آباءكم كانوا شاهدين،[4] فكأنّكم شهدتُم،[5] فلِمَ تَدَّعون اليهوديَّة عليهم. وهذا المعنى كما في قوله تعالى: ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢/٨٠]، وكما في قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة ٢/١٤٠]. ويُوضِّح هذا المعنى قول المُصنِّف **(يعني أنّ أوائلكم)**... إلخ.

قوله: **(وقد علمتُم ذلك)** أي: علمتُم أنّ أوائلكم... إلخ، وتمام تقريره أن نقول: إذا كان المراد بالهمزة و"أم" حقيقة الاستفهام لكان الكلام دالًّا على ثبوت أحدهما، ولكان سؤالًا عن التعيين،[6] لكنّ المراد ليس حقيقة الاستفهام؛ بل التقرير، أي: ثبوت أحدهما وتقريره مِن غير معنى الاستفهام[7] فيكون / إشارةً إلى أنّ[8] أحدهما -وهو كونهم شهداء- حاصلٌ، ويلزم منه إنكار ادِّعاء اليهوديَّة؛[9] لأنّ شهودهم يُنافي تلك الادِّعاء. [١٨١ظ]

ثمّ اعلم أنّ الإنكار يستعمل بمعنيين: **أحدهما** بمعنى: "لِمَ كان؟"، **والثاني** بمعنى: "لم يكُن".[10] وههنا بمعنى: "لم يكُن" على الوجه **الأوّل**: وهو أنّ الخطاب للمؤمنين، فكأنّه قال: لم يكن عِلْمكم بذلك عن شهود وحضور وما[11] كنتُم حاضرين؛

---

١ ن ر: يهوديًّا.

٢ ر: تقرير.

٣ ن ر: فيزول.

٤ ن ر – لأنّ آباءكم كانوا شاهدين.

٥ ن ر: مشهدين.

٦ هامش د: يدلُّ على ثبوت أحدهما، ويكون السؤال عن التعيين. خ [اختصارًا من "نسخة"].

٧ هامش د ن ر: استفهامٍ. خ [اختصارًا من "نسخة"].

٨ ن ر – أنّ.

٩ ن ر: اليهود.

١٠ انظر لمعنيي الإنكار: **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٤٢٦.

١١ ن ر: ما.

وقرئ: "حَضِر" بكسر الضاد، وهي لغةٌ.

﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾: أيَّ شيءٍ تعبدون؟ و﴿مَا﴾ عامٌّ في كلِّ شيء، فإذا عُلِم فرِّق بـ"ما" و"مَن"، وكفاك دليلًا قولُ العلماء: "مَن" لِمَا يَعْقِلُ، ولو قيل: مَن تعبدون؟ لم يَعمَّ إلا أُولي العِلم وحدَهم.

ويجوز أن يقالَ: ﴿مَاتَعۡبُدُونَ﴾ سؤالٌ عن صفةِ المعبود؛ كما تقولُ: ما زيدٌ؟ تُريد: أفقيهٌ أم طبيبٌ أم غيرُ ذلك من الصفات؟

---

بل علمتم بطريق الوحي. وأمّا على الوجه الثاني: وهو أنّ الخطاب لليهود، و"أم" مُتَّصلة، فالإنكار بمعنى: "لِمَ كان؟" يعني: لِمَ ادَّعيتم اليهوديَّة على الأنبياء وقد كان أوائلكم شاهدين يعقوبَ إذ[1] حمَل بنيه على التوحيد، وأنتم تعلمون ذلك.

قال الإمام:

> فإن قيل: الاستفهام على سبيل الإنكار إنّما يتوجَّه على كلام باطل، والمحكيُّ عن يعقوب في هذه الآية ليس كلامًا باطلًا؛ بل هو كلام حقّ، فكيف يمكن صَرْف الاستفهام على سبيل الإنكار عليه؟ قلنا: الاستفهام على سبيل الإنكار يتعلَّق بمُجرَّد ادِّعائهم الحضور عند وفاته، فهذا هو الذي أنكره الله تعالى، فأمّا ما ذكَره من قول يعقوب ﴿مَاتَعۡبُدُونَ﴾ فهو كلام مُنفصِل، كأنّه تعالى لمّا أنكر حضورهم في ذلك الوقت شرح بعد ذلك كيفيّة تلك الوصيّة.[2]

وأنا أقول: أنت إذا تأمَّلتَ فيما ذكَر الإمام ظهر لك أنّه يمكن أن يكون الخطاب مع اليهود وتكون "أم" منقطعة.

قوله: (قُرِئ "حَضِرَ") هي شاذَّة.[3] قال القفّال: ﴿إِذۡ﴾ **الأُولى وقتٌ للشهداء، والثانية وقتٌ للحضور.**[4] وقُدِّم ذِكْر إسماعيل على إسحاق؛ لأنّ إسماعيل كان أسنَّ من إسحاق.

---

١ ن ر: إذا.

٢ انظر: **تفسير الرازي**، ٨٢/٤ (البقرة، ١٣٣/٢).

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي السَّمّال. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٧؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٦؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٦٤.

٤ انظر قول القفّال في **تفسير الرازي**، ٨٢/٤ (البقرة، ١٣٣/٢).

و﴿إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ﴾ عطفُ بيانٍ لـ﴿ءَابَآئِكَ﴾، وجعلُ إسماعيل -وهو عمُّه- من جملةِ آبائه لأنَّ العمَّ أبٌ والخالةَ أمٌّ؛ لانخراطِهما في سلكٍ واحدٍ -وهو الأخوَّةُ- لا تفاوُتَ بينهما، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «عمُّ الرجلِ صِنْوُ أبيه»؛ أي: لا تفاوُتَ بينهما كما لا تفاوُتَ بين صِنْوَي النخلة، وقال عليه الصلاة والسلام في العباس رضي الله عنه: «هذا بقيَّة آبائي»، وقال: «رُدُّوا عليَّ أبي فإني أخشى أن تَفْعل به قريش ما فعلت ثقيف بعُرْوَة بن مسعود».

وقرأ أبيٌّ: "وإلهَ إبراهيم" بطرحِ ﴿ءَابَآئِكَ﴾.

وقرئ: "أبيك"، وفيه وجهان:

أن يكون واحدًا و﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ وحدَه عطفُ بيانٍ له.

وأن يكون جمعًا بالواو والنون، قال:

وفـــدَّيْـــنَـــنـــا بـــالأَبِـــيـــنـــا

---

قوله: (وقرأ[1] أُبَيٌّ)[2] و(قُرِئَ "أَبيكَ")[3] هما شاذَّتان.

قوله: (عطفُ بيان له) أي: لـ"أبيكَ" ويكون "إسماعيل وإسحاق" عطفًا على "أبيك". قال الشاعر:

فـلـمّـا تـبـيَّـنَّ أصـواتَـنـا بَكَيْـنَ (وفدَّيننـا بالأبينـا)[4]

الضمير من تبيَّنَّ، وهو عائد إلى النساء التي أُسِرنَ فلمّا رأينهم[5] بكيْنَ

---

[1] ن ر: وقولهم.

[2] شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧٧؛ المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٤٦٤-٤٦٥.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن يحيى بن يعمَر وابن عبّاس والحسن ويحيى بن يعمَر وعاصم الجَحدري وأبي رجاء. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٧؛ المُحتسَب لابن جنّي، ١١٢/١؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧٧؛ المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٤٦٤.

[4] ن + قوله. | البيت لزياد بن واصل السُّلمي. وهو بلا نسبة في كتاب سيبويه، ٤٠٦/٣، وقال بعد إنشاده: «أنشدناه مَن نثق به، وزعم أنّه جاهليٌّ»؛ وهو له في شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي، ٢٨٤/٢؛ وفُرحة الأديب للغُندجاني، ص ٧٧؛ وهو بلا نسبة في المُحتسَب لابن جنّي، ١١٢/١؛ والصحاح للجوهري، «أبا»، وفيه «تعرَّفنَ» مكان «تبيَّنَّ».

[5] ر: رأينهنّ.

﴿إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ بدلٌ من ﴿إِلَٰهَ آبَائِكَ﴾؛ كقوله تعالى: ﴿بِالنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ﴾ [العلق ١٦/٩٦] أو على الاختصاص؛ أي: نُريد بإلهِ آبائك إلٰهًا واحدًا.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ حالٌ من فاعلِ ﴿نَعْبُدُ﴾، أو من مفعولِهِ لرجوع الهاء إليه في ﴿لَهُ﴾، ويجوز أن تكون جملةً معطوفةً على ﴿نَعْبُدُ﴾، وأن تكون جملةً اعتراضيةً مؤكِّدة؛ أي: ومن حالنا أنَّا له مسلمون مُخْلِصون التوحيدَ، أو: مُذْعنون.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى الأمةِ المذكورة التي هي إبراهيمُ ويعقوبُ وبنوهما الموحِّدون، والمعنى: أنَّ أحدًا لا ينفعُه كسبُ غيره متقدِّمًا كان أو متأخِّرًا، فكما أنَّ أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتَسبوا فكذلك أنتم لا ينفعُكم إلَّا ما اكتسبتُم، وذلك أنهم افتَخَروا بأوائلهم، ونحوُه قولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: «يا بني هاشم لا يأتيَنِي الناسُ بأعمالهم وتأتُوني بأنسابكم».

﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: ولا تُؤاخَذون بسيِّئاتهم كما لا تَنفعُكم حسناتُهم.

---

وقالوا معهم ذلك الكلام، وهو قولهنَّ: جعَل الله آباءنا فداءً لكم؛ إنّما قلنَ ذلك رجاءَ أن يُخلِّصوهنَّ مِن الأَسْر.[1]

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾... إلخ.

﴿خَلَتْ﴾، أي: تقدَّمت ومضَت، ومنه الأيّام الخالية، أي: الماضية. قوله عليه السلام: («**لا يأتيني**»)،[2] فيه روايتان:[3] بتشديد النون، فيكون نهيًا والنون للتوكيد؛[4]

---

[1] ما أورده المُصنِّف في معنى البيت هو ما ذكره فيه ابن السيرافي في **شرح أبيات سيبويه**، ٢٨٥/٢. وخطّأ الغُندجاني ابن السيرافي فيما ذهب إليه من معنى البيت، وشنّع عليه في ذلك، ثمّ قال في شرحه: «وإنّما معنى البيت: أنّ زيادًا افتخر في هذه الأبيات بآباء قومه وبأمّهاتهم من بني عامر، وأنّهم أبلَوا في حروبهم ومعاونتهم، فلمّا عاودوا إلى حِلَلهم وعند نسائهم وعرفن أصواتهم فدَّينهم؛ لأجل أنّهم قد أبلَوا في الحروب»، واستدلّ لِما ذهب إليه بسياق القصيدة التي منها البيت المذكور. انظر: **فُرحة الأديب** للغُندجاني، ص ٢١٢-٢١٣.

[2] ر: تأتمني. | قال عنه الزَّيلَعي: «غريب جدًّا». **تخريج أحاديث الكشّاف**، ٩١/١؛ وقال ابن حجر «لم أجده». **تخريج أحاديث الكشّاف**، ص ١٢.

[3] ن ر: ذو اثنان.

[4] ن ر: للتأكيد.

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٣٥﴾

وتخفيف النون، فيكون نفيًا في معنى النهي، وظاهره النهيُ عن أن يأتيَ[١] الناس بأعمالهم ويأتوا بأنسابهم، أي: لا تأتوا بأنسابكم حين يأتي الناس بأعمالهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾... إلخ.

قال الإمام:

اعلم أنّه تعالى لمّا بيّن الدلائل التي دلّت على صحّة دين الإسلام حكى بعدها أنواعًا من شُبَه المُخالِفين الطاعنين في الإسلام: **الشُّبهة الأولى**: حكى عنهم أنّهم قالوا: كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا، ولم يذكروا في تقرير ذلك شُبهة؛ بل أصرّوا على التقليد، فأجابهم الله تعالى عن هذه الشُّبهة من وجوه: **الأوّل**: ذكَر جوابًا إلزاميًّا، وهو قوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾. وتقرير هذا الجواب أنّه: إن كان طريق الدِّين التقليد فالأَوْلى في ذلك اتّباع ملّة إبراهيم؛ لأنّ هؤلاء المُخالِفين اتّفقوا على صحّة دِين إبراهيم عليه السلام،[٢] والأخذُ بالمُتّفق أَوْلى مِن الأخذ بالمُختلِف إن كان المُعوَّل في الدِّين على التقليد.

[١٨٢و] فكأنّه تعالى قال: إن / كان المُعوَّل في الدِّين على الاستدلال والنظر فقد قدّمنا الدلائل، وإن كان المُعوَّل على التقليد[٣] فالرجوع إلى دِين إبراهيم عليه السلام[٤] وتَرْك اليهوديّة والنصرانيّة أولى.

فإن قيل: أليس أنّ كلّ واحد من اليهود والنصارى يدّعي أنّه على دِين إبراهيم؟ قلنا: لمّا ثبت أنّ إبراهيم عليه السلام كان قائلًا بالتوحيد، وثبت أنّ النصارى يقولون بالتثليث، واليهود يقولون بالتشبيه، ثبت أنّهم ليسوا على دين إبراهيم عليه السلام، وأنّ محمّدًا عليه السلام لمّا دعا إلى التوحيد كان على دين إبراهيم عليه السلام.

واعلم أنّه لا يجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ التخيير؛ إذ المعلوم مِن حال اليهود أنّهم لا يُجوّزون اختيار النصرانيّة على اليهوديّة؛

١ د: يأتني.
٢ د - عليه السلام.
٣ ن ر - فكأنّه تعالى قال: إن كان المُعوّل في الدِّين على الاستدلال والنظر فقد قدّمنا الدلائل، وإن كان المُعوّل على التقليد.
٤ د - عليه السلام.

﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: بل نكونُ ملَّةَ إبراهيم؛ أي: أهلَ ملَّته؛ كقول عدي بن حاتم: إنّي مِن دِينٍ، يريد: من أهلِ دينٍ.

وقيل: بل نتَّبعُ ملَّة إبراهيم.

وقرئ: "ملَّةُ إبراهيمَ" بالرفع؛ أي: ملَّتُه ملَّتُنا، أو: أمرُنا ملَّتُه، أو: نحن ملَّتُه، بمعنى: أهلُ ملَّتِه.

---

بل يزعُم أنّه كُفرٌ، ومعلوم[1] مِن حال النصارى كذلك؛ بل المراد أنّ اليهود يدعُون إلى اليهوديّة[2] والنصارى يدعُون إلى النصرانيّة،[3] وكلّ[4] فريق إلى دِينه، ويزعم أنّه الهُدى، فهذا معنى قوله: ﴿تَهْتَدُواْ﴾، أي: إنّكم إذا فعلتُم ذلك اهتديتُم وصرتُم على سَنَن الاستقامة.[5]

قولـه: (وقيـل: بـل نتّبـع[6] مِلّـة)[7] عطـف علـى قولـه: (بـل نكـون مِلّـة).[8] وحاصل الوجهين أنّه: يجوز أن تكون ﴿مِلَّةَ﴾ خبرَ "كان" محذوفة؛ لأنّ قوله: ﴿كُونُواْ﴾ تدل على "نكون"، فكأنّه قيل: نكون مِلّته، أي: أهل مِلّته، فيُحتاج إلى حذف المضاف؛ لأنّهم لا يكونون مِلّته؛[9] ويجوز أن تكون مفعول فِعْل محذوف، وهو "نتّبع"؛ لأنّ قوله: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ في معنى: اتّبعوا اليهوديّة أو النصرانيّة، فقيل في الجواب: بل نتّبع مِلّة إبراهيم، فلا يحتاج إلى تقدير المضاف.[10]

قوله: ("مِلَّةُ") بالرفع هي شاذّة.[11]

---

١ ر: كفروا معلوم.

٢ ر: اليهوديته.

٣ ر: النصارية.

٤ ن: وكلان؛ ر: وكان.

٥ انظر: تفسير الرازي، ٤/٨٨-٨٩ (البقرة، ٢/١٣٥).

٦ ر: تبع.

٧ انظر هذا التقدير في معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج، ١/٢١٣.

٨ انظر هذا التقدير في معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج، ١/٢١٣.

٩ ن ر: مثله.

١٠ انظر الجواب في إعراب القرآن للنّحّاس، ١/٢٦٦.

١١ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعرج وابن جندب ومسلم وابن أبي عبلة. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٧؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧٧؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٦٥.

**وقوله: ﴿حَنِيفًا﴾ حالٌ من المضاف إليه؛ كقولك: رأيتُ وجهَ هِندٍ قائمةً، والحنيفُ: المائلُ عن كلِّ دينٍ باطلٍ إلى دِينِ الحقِّ، والحَنَفُ: الميلُ في القَدَمين، وتحَنَّفَ: إذا مال، وأُنشِدَ:**

**ولكنّا خُلِقْنا إذ خُلِقْنا ... حنيفًا دينُنا عن كلِّ دِينِ**

---

قوله: (﴿حَنِيفًا﴾) حال.[١] اشتُرِط في وقوع الحال مِن المضاف إليه كونُه كالجزء المُتَّصل بالمضاف إليه؛ حتّى يكتسِب[٢] منه الفاعليّة والمفعوليّة، ولهذا جاز: (رأيتُ وجهَ هند قائمةً)، ولا يجوز: رأيتُ غلامَ هند قائمةً.[٣] ومنه قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات ١٢/٤٩]، فـ﴿مَيْتًا﴾[٤] حالٌ من "الأخ"؛ لأنّه واللحم كالشيء الواحد، وأمّا في قوله: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾؛ فلأنّ المِلّة بمنزلة البعض منه، ألا ترى[٥] إلى قول عَديّ: («إنّي مِن دِين»)،[٦] كأنّه قال:[٧] أنا[٨] مُجسَّم منه. وقال نُحاة الكُوفة: إنّه نَصْب على القَطْع، أراد: بل مِلّة إبراهيم الحنيف، فلمّا سقَط الألف واللام لم تَتبَع النكرةُ المعرفةَ فانقطع منه فانتصب.[٩]

قوله: (والحنيف: المائل) اعلم أنّ «لأهل اللغة في الحنيف قولين: الأوّل: أنّ الحنيف هو المستقيم، ومنه قيل للأعرج: أَحْنَف تفاؤلًا بالسلامة، كما قالوا للّديغ: سليم، وللمَهلَكة: مفازة. قالوا: وكلّ مَن أسلم لله ولم ينحرِف عنه

---

١ هو قول الزّجّاج في معاني القرآن وإعرابه، ٢١٣/١. وعزا الثعلبي القول بإعرابه حالًا إلى نحاة البصرة. انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ١٥٠/٤ (البقرة، ١٣٥/٢).

٢ ن ر: يكسر.

٣ وقال النّحّاس في وجه الحال: «قال عليّ بن سليمان: هذا خطأ لا يجوز: جاءني غلام هند مسرعةً، ولكنّه منصوب على "أعني". وقال غيره: بل نتّبع إبراهيم في هذه الحال». إعراب القرآن للنّحّاس، ٢٦٦/١.

٤ ن ر - فـ﴿مَيْتًا﴾.

٥ د: يُرى.

٦ انظر تخريجه في تخريج أحاديث الكشّاف للزّيلعي، ٩١/١؛ وتخريج أحاديث الكشّاف لابن حجر، ص ١٢.

٧ ن ر + إنّي من دين، كأنّه قال.

٨ ن ر - أنا.

٩ انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ١٥٠/٤ (البقرة، ١٣٥/٢)؛ والبسيط للواحدي، ٣٥٢/٣-٣٥٣ (البقرة، ١٣٥/٢).

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: تعريضٌ بأهل الكتاب وغيرهم؛ لأن كلًّا منهم يدَّعي اتِّباع إبراهيم، وهو على الشرك.

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

﴿قُولُوٓاْ﴾ خطابٌ للمؤمنين، ويجوز أن يكون خطابًا للكافرين؛ ............

---

في شيء فهو حنيف، وهو مرويّ عن محمّد بن[1] كعب القُرظيّ؛ **والثاني**: أنّ الحنيف: المائل».[2]

قال المُطرِّزيّ: «الأحنف: الذي أقبَلت[3] إحدى إبهامتَي رجليه على الأخرى، وعن ابن دُريد: الحَنَف: انقلاب ظهر القدم حتّى يصير[4] بطنًا. وأصله المَيَل».[5] قالوا: «المَيَل[6] بفتح الياء: ما كان خلقة، يقال منه: رجل أَمْيَل العاتق في عُنقه مَيَل».[7] والمعنى: أنّ إبراهيم حنيف إلى دين الله، أي: مائل إليه، أو حنيف عن الأديان الباطلة، أي: مائل عنها، فهو مُخالِف لليهود والنصارى مُنحرِف عنهما.[8]

قوله: **(وهو على الشِّرْك)**[9] الضمير يعود إلى قوله: **(كلًّا)**، فإنّه تعالى حكى عن اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٣٠/٩]، وعن بعض النصارى: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٣٠/٩].[10]

قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا/ بِٱللَّهِ﴾... إلخ. **[١٨٢ظ]**

قوله: **(﴿قُولُوٓاْ﴾ خطاب للمؤمنين،[11] ويجوز أن يكون)**... إلخ، الحاصل

---

[1] ر - محمّد بن.
[2] **تفسير الرازي**، ٨٩/٤ (البقرة، ١٣٥/٢).
[3] ر: أقلبت.
[4] ن ر: قوله.
[5] **المُغرِب للمُطرِّزي**، «حنف». وكلام ابن دريد بمعناه في **جمهرة اللغة**، «حنف»، ٥٥٦/١.
[6] ن ر - قالوا: المَيَل.
[7] **الصحاح للجوهري**، «ميل»، وفيه «المَيَل بالتحريك» مكان «المَيَل بفتح الياء».
[8] انظر: **تفسير الرازي**، ٨٩/٤ (البقرة، ١٣٥/٢).
[9] ر: الشرط.
[10] انظر: **تفسير الرازي**، ٩٠/٤ (البقرة، ١٣٥/٢).
[11] انظر: **جامع البيان للطبري**، ٥٩٥/٢ (البقرة، ١٣٦/٢).

**أي: قولوا لتكونوا على الحقّ وإلا فأنتم على الباطل، وكذلك قوله: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ يجوز أن يكون على: بَل اتَّبِعوا أنتم ملةَ إبراهيمَ، أو: كونوا أهلَ ملَّتِه.**

**"السِّبطُ": الحافدُ، وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما سِبْطَي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.**

---

أنّ قوله تعالى: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ يحتمل طريقين من المعنى: **الطريق الأوّل**: أنّه لمّا حكى الله تعالى عن الكفّار أنّهم قالوا للمؤمنين: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ أَمَر المؤمنين بأن يردُّوا قولهم ويُخبِروا عن أنفسهم أنّهم يكونون على مِلّة إبراهيم بالوجهين اللذين عرفتَهما، وهما: نكون أهل مِلّة إبراهيم، أو نتّبع مِلّة إبراهيم؛[١] **والطريق الثاني**: أنّه لمّا حكى الله تعالى من الكفّار قولهم أَمَر المؤمنين بأن يردُّوا قول هؤلاء الكفّار أبلغ ردّ، ويخاطبوهم[٢] بقوله:[٣] ﴿بَلْ مِلَّةَ﴾، أي: اتّبعوا ملّة إبراهيم،[٤] أو كونوا أهل مِلّته أيُّها الكفّار، فإنّا لا نترك الدِّين الحقَّ، فعليكم تَرْك الدِّين الباطل. وإلى هذا الطريق أشار المُصنِّف هنا بقوله: (**﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ يجوز**)... إلخ.

إذا عرفتَ ذلك فنقول: قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: يجوز أن يكون بدلًا من قوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ﴾، فكأنّه أمَر أوّلًا النبيّ عليه السلام والمؤمنين بأن يقولوا: ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ بالوجهين الأوّلين؛ وذلك لأنّ أمر الرسول أَمْرٌ[٥] للأمّة،[٦] ثمّ أمرهم بأن يقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾... إلخ، فيكون قوله[٧] خطابًا للمؤمنين، وهذا على الطريق **الأوّل** من المعنى. ويجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ﴾ بدلًا مِن المَقول، أي: من قوله: ﴿بَلْ مِلَّةَ﴾، فكأنّه لمّا أمر النبيّ عليه السلام والمؤمنين بأن يقولوا للكافرين اتّبعوا أو كونوا ملّة إبراهيم أَمَر المؤمنين ثانيًا بأن يقولوا للكافرين: قولوا أيُّها الكافرون:[٨] آمنّا بالله إلى آخر الآية؛ لتكونوا أنتم أيُّها الكافرون على الحقّ،

---

١ ن ر – أو نتبع ملّة إبراهيم.
٢ د ن ر: يخاطبونهم.
٣ ر: بقولهم.
٤ ر – ملّة إبراهيم.
٥ ن ر: أمرًا.
٦ ن ر: لأنّه.
٧ ر: قولوا.
٨ ن ر: الكافرين.

والأسباطُ حفدةُ يعقوبَ عليه السلام ذَرَاري أبنائه الاثني عَشَر.

---

وإلّا فأنتم أيُّها الكافرون على الباطل، وهذا على الطريق الثاني من المعنى. ويُبتنى على هذين الطريقين تقريرُ قوله تعالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ كما سيجيء ويتحقَّق ما ذكرنا هنا عند ذلك زيادةَ تحقيق، إن شاء الله تعالى.[1] هذا تقرير كلام المُصنِّف.

وقال الإمام:

اعلم أنّه تعالى لمّا أَمَر بالجواب الجَدليّ أوّلًا أَمَر بعده بجواب بُرهانيّ في هذه الآية، وهو أنّ الطريق إلى معرفة نُبوَّة الأنبياء ظهورُ المعجزة عليهم، ولمّا ظهرت المعجزة على محمَّد عليه السلام وجب الاعتراف بنبوَّته والإيمان برسالته، فإنّ تخصيص البعض بالقبول وتخصيص البعض بالردّ يُوجِب المُناقَضة في الدليل، وأنّه ممتنع عقلًا، فهذا هو المراد من قوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ إلى آخر الآية، وهذا هو الغرض الأصليّ مِن ذِكْر هذه الآية.

فإن قيل: كيف يجوز الإيمان بإبراهيم وموسى عليهما السلام، مع القول بأن شرائعهما[2] مَنسوخة؟ قلنا: نحن نُؤمِن بأنّ كلّ واحد مِن تلك الشرائع كان حقًّا في زمانه؛ فلا يلزَمنا المُناقضة، وأمّا اليهود والنصارى فلمّا اعترفوا بنبوَّة مَن ظهرت المعجزة عليه وأنكروا نبوَّة[3] محمَّد عليه السلام مع قيام المعجزة على يده فحينئذٍ[4] يلزمهم المُناقضة؛ فظهر الفرق.[5]

قال الواحديُّ: قال الزَّجّاج: «الأسباط[6] في وَلَد إسحاق:[7] بمنزلة القبائل في وَلَد إسماعيل،[8] فوَلَد كلّ واحد من وَلَد يعقوب سِبْط، ووَلَد كل واحد من وَلَد إسماعيل[9] قبيلة».[10] وإنّما سمُّوا هؤلاء بالأسباط وهؤلاء بالقبائل؛ ليُفصَل بين وَلَد إسماعيل ووَلَد إسحاق.

---

١ ر + قوله تعالى.

٢ د: شرائعهم.

٣ ن ر: بنبوّة.

٤ د: فح [اختصارًا من "فحينئذٍ"].

٥ انظر: **تفسير الرازي**، ٩١/٤ (البقرة، ١٣٦/٢).

٦ ن ر − الأسباط.

٧ ن ر: إسماعيل.

٨ ن ر: إسحاق.

٩ ن ر − فوَلَد كلّ واحد من وَلَد يعقوب سِبْط، ووَلَد كل واحد من وَلَد إسماعيل.

١٠ **الوسيط** للواحدي، ٢٢٠/١ (البقرة، ١٣٦/٢). ولم يرد كلام الزَّجّاج في موضع الآية من **معاني القرآن وإعرابه**، وهو منقول عنه في **تهذيب اللغة** للأزهري، «سبط»، ٣٤٢/١٢.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: لا نؤمنُ ببعضٍ ونكفُرُ ببعضٍ كما فعلتِ اليهودُ والنصارى، و﴿أَحَدٍ﴾ في معنى الجماعة، ولذلك صحَّ دخول ﴿بَيْنَ﴾ عليه.

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾

---

قوله تعالى: (﴿لَا نُفَرِّقُ﴾) فيه[١] وجهان **الأوّل**: لا نُؤمن ببعض ونكفر ببعض، فإنّا لو فعلنا ذلك كانت المُناقضة / لازمة على الدليل وذلك غير جائز؛ **الثاني**: ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾، [١٨٣و]
أي: لا نقول: إنّهم مُتفرّقون في أصول الدِّيانات؛ بل هم مُجتمعون على الأصول التي هي الإسلام، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟﴾ [الشورى ١٣/٤٢].[٢]

قال الإمام: «والوجه **الأوّل** أليَق بسياق الآية».[٣] وأنا أقول: ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ تأكيد وبيان لقوله: ﴿ءَامَنَّا﴾... إلخ، فلذا لم يُؤتَ بالواو.[٤] قال في **المطلع**: قيل: المعنى لا نُفرِّق بين أحد وآخر، فحذف "آخر" لدلالة "بين" عليه؛ لأنّ "بين" لا يكون مضافًا إلّا إلى اثنين فصاعدًا.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾. قال الواحديُّ: «أي: مُخلِصون ديننا عن الشّرك بالله تعالى».[٥] وقال الإمام: «المعنى أنّ إسلامنا لأجل طاعة الله تعالى لا لأجل الهوى، وإذا كان كذلك فهذا يقتضي أنّه متى ظهر المُعجز[٦] وجب الإيمان به، أمّا تخصيص بعض أصحاب المُعجِزات بالقبول والبعض بالردّ فذلك يدلُّ على أنّ المقصود من ذلك الإيمان ليس طاعة الله تعالى والانقياد له؛ بل اتّباع الهوى بالمَيْل».[٧]

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

---

١ ن ر: ففيه.
٢ من قوله: "فيه وجهان" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٩٢/٤ (البقرة، ١٣٦/٢).
٣ تفسير الرازي، ٩٢/٤ (البقرة، ١٣٦/٢).
٤ ن ر: قالوا.
٥ الوسيط للواحدي، ٢٢٠/١ (البقرة، ١٣٦/٢).
٦ ن ر: المعجزة.
٧ تفسير الرازي، ٩٢/٤ (البقرة، ١٣٦/٢). وفي مطبوعه «فهو» مكان «فهذا»، و«والميل» مكان «بالميل».

﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم﴾ من بابِ التبكيت؛ لأن دِين الحقِّ واحدٌ لا مثلَ له، وهو دين الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران ٨٥/٣] فلا يوجدُ إذًا دينٌ آخرُ يماثلُ دينَ الإسلام في كونه حقًّا حتى إنْ آمَنوا بذلك الدِّين المُماثِل له كانوا مهتدِينَ، فقيل: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ﴾ بكلمة الشكِّ على سبيل الفَرْض والتقدير؛ أي: فإنْ حصَّلوا دِينًا آخرَ مثلَ دِينكم مساوِيًا له في الصِّحة والسَّداد فقد اهتدوا.

---

قال الإمام: «واعلم أنّه تعالى لمّا بيّن الطريق الواضح في الدِّين، وهو أن يَعترِف الإنسان بنبوَّة كلّ[1] مَن قامَت الدِّلالة على نُبوَّته، وأن يحترز في ذلك عن المُناقضة، رغَّبهم في ذلك الإيمان بقوله: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ﴾... إلخ».[2]

قوله: (﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم﴾) حكاية لفظ القرآن، في محلّ المبتدأ، وقوله: (مِن باب التبكيت) في محلّ خبره. و"التبكيت": كالتقريع والتعنيف، وبكَّتَه بالحُجّة: غلَبه.[3] ثمّ بيّن كونه مِن باب التبكيت بقوله: (لأنّ دين الحقّ واحد)... إلخ، وبيّن كونه واحدًا ليس له مِثْل بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران ٨٥/٣]، فإنّه لو كان له مِثْل لكان مقبولًا مِن مُبتغيه، والآية تُنافي أن يكون غيره مقبولًا. وقوله: (فلا يُوجَد) عطف على قوله: "لأنّ دين الحقّ واحد". وقوله: (فقيل) عطف على قوله: "فلا يُوجَد"، أي: أنّ دين الحقّ واحد[4] فلا يُوجَد دِين يُماثله؛ فلذلك قيل: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ﴾ بـ"إنْ" دون "إذا" ليُعلَم أنّه (على سبيل الفَرْض والتقدير)، كما تُفرَض المُحالات إذا تعلّق بفَرْضها غرَض، كقوله[5] تعالى: ﴿وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾ [فاطر ١٤/٣٥]، والضمير للأصنام.

والحاصل أنّ في الآية إشكالًا: وهو أنّ الذي آمن[6] به المؤمنون ليس له مِثْل حتى يصحّ أن يقال: إن آمنوا بذلك المِثْل اهتدوا، فكيف قيل: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ﴾؟[7]

---

١ ن ر – كلّ.
٢ تفسير الرازي، ٩٢/٤ (البقرة، ١٣٦/٢).
٣ انظر: الصحاح للجوهري، «بكت».
٤ ن ر – وقوله: (فقيل) عطف على قوله: "فلا يُوجَد"، أي: أنّ دين الحقّ واحد.
٥ ر: لقوله.
٦ ن ر: أمر.
٧ ن ر – بذلك المِثْل اهتدوا، فكيف قيل: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ﴾.

**وفيه: أنّ دِينهم الذي هم عليه وكلّ دينٍ سواه مُغايِرٌ له غيرُ مماثل؛ لأنه حقٌّ وهدًى وما سواه باطلٌ وضلالٌ، ونحوُ هذا قولُك للرجل الذي تُشير عليه: هذا هو الرأيُ الصوابُ، فإن كان عندك رأيٌ أصوَبُ منه فاعْمل به، وقد علمتَ أنْ لا أَصْوبَ من رأيك، ولكنَّك تُريد تبكيتَ صاحبك وتوقيفَه على أنَّ ما رأيتَ لا رَأيَ وراءَه.**

**ويجوز أن لا تكون الباءُ صلةً، وتكونَ باءَ الاستعانة؛ كقولك: كتبتُ بالقلم وعَمِلْتُ بالقَدُوم؛ أي: فإنْ دخلوا في الإيمان بشهادةٍ مثلِ شهادتِكم التي آمنتُم بها.**

**وقرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: "بما آمنتُم به" وقرأ أبيٌّ: "بالذي آمنتُم به".**

---

وجوابه أنّ المقصود إلزام[1] الخَصْم وتبكيته، والمعنى: إن حصَّلوا دِينًا آخر مِثْل دِينكم ومُساويًا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا، ولكن لمّا استحال أن يُوجَد دِين آخر يُساوي هذا الدِّين في السَّداد استحال الاهتداء بغيره، كما ذكَر في مثاله.

قوله: **(وفيه)** أي: في هذا التبكيت، أو في هذا القول. وقوله: **(الذي)** صفة **(دِينهم)**. وقوله: **(سواه)**، أي: سوى دينهم. وقوله:[2] **(مُغايِر)** خبرُ **(أنّ)**، يعني: في هذا التبكيت بيانُ أنّ دين اليهود والنصارى، وكلّ دين سوى دين اليهود والنصارى، مُغاير لدِينكم غير مُماثل له؛ لأنّ دينكم حقّ، وما سوى دينكم باطل.

قوله: **(ويجوز ألّا تكون)** عطف من حيث المعنى على قوله: "من باب التبكيت"، / وهذا هو الوجه الثاني، يعني: يجوز ألّا تكون الباء صلة ﴿ءَامَنتُم﴾؛ [١٨٣ظ] بل تكون الباء للاستعانة، أي: فإن صاروا مؤمنين بمِثْل ما به صِرتُم مؤمنين فقد اهتدوا، فالتمثيل في الآية بين الإيمانين والتصديقين.

قوله: **(وقرأ ابن عبّاس وابن مسعود: "بما آمنتُم")**[3] أي: بغير ﴿مِثْلِ﴾، وهي،

---

[1] ر: التثام.

[2] ن ر - وقوله.

[3] قراءة شاذّة، مروية عن ابن عبّاس وابن مسعود وأنس وأبي صالح. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٧؛ **المُحتسَب** لابن جنّي، ١١٣/١؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٧؛ **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٤٦٥.

..............................................................

وقراءة أُبَيّ[1] شاذَّة.[2] وهذا إشارة إلى الوجه **الثالث**: وهو أن يكون "الْمِثْل" زيادة؛ قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى ١١/٤٢]، وكانت أمّ الأحنف تُرقِّصه وتقول:

والله لـــولا حَنَـــف برِجْلـــه ودِقَّـــة فـي ســاقـه مِـــن هَـزْلـه

مــا كــان مِـنكـم أحــدٌ كـمِثْـلـه[3]

قال الشاعر:

يـا عـاذلـي دَعْـنـيَ مِـن عذلكـا مِـثْـلـيَ لا يـقـبَـل مِـن مِـثْـلكـا[4]

«أي: أنا لا أقبل[5] منك».[6] وهذه هي الوجوه التي ذكرها المُصنِّف. و«قال ابن الأنباريُّ: المعنى: فإن آمنوا مِثْل ما آمنتم، أي: مِثْل إيمانكم، فزِيدَت الباء للتوكيد، كما زيدت في قوله: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم ٢٥/١٩]».[7] وعلى هذا "مِثْل" صفة مصدر محذوف، و"ما" مصدريّة، والهاء لله تعالى، أو للقرآن، أو لمحمَّد عليه السلام، ويجوز أن يكون للجميع. وقال أبو معاذ النحويُّ: أراد فإن آمنوا هم بكتابكم كما آمنتُم أنتم بكتابهم.[8] فعلى هذا يكون المراد بقوله: ﴿مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ هو كتابهم، والمراد بالمِثْل: **القرآن**، يعني: أنتم آمنتُم بكتابهم، فإن آمنوا **بالقرآن** وهو مِثْل ما آمنتُم فقد اهتدوا. وقيل: المعنى: «أنكم آمنتم بالفرقان[9] من غير تصحيف وتحريف، فإن آمنوا هم بمِثْل ذلك -وهو **التوراة**-

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٧؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٧؛ **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٤٦٥.

[2] ر + وقراءة.

[3] الأوّل والثالث منها لداية الأحنف تُرقِّصه في **تهذيب اللغة** للأزهري، ١٠٩/٥، «حنف»، ٤٧٣/١٥، «منن»، وفي الموضعين «من مِثْله» مكان «كمِثْله»؛ والثلاثة لأمّه تُرقِّصه في **تفسير الرازي**، ٩٣/٤ (البقرة، ١٣٧/٢)؛ و**الدُّرّ الفريد** لابن أيدمر، ٤١٤/٦، وظنّها مُحقِّقه نثرًا وحرَّف فيها.

[4] ما عرفت قائله. وهو بلا نسبة في **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٥٦/٤ (البقرة، ١٣٧/٢)؛ **الوسيط** للواحدي، ٢٢١/١ (البقرة، ١٣٧/٢).

[5] ن: قبل.

[6] **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٥٥/٤ (البقرة، ١٣٧/٢)؛ **الوسيط** للواحدي، ٢٢١/١ (البقرة، ١٣٧/٢).

[7] **الوسيط** للواحدي، ٢٢١/١ (البقرة، ١٣٧/٢).

[8] ر - كما آمنتم أنتم بكتابكم. | قول أبي معاذ النحوي له بتصرُّف يسير في **معالم التنزيل** للبغوي، ١٥٦/١ (البقرة، ١٣٧/٢).

[9] ر: بالقرآن.

﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عمّا تقولون لهم ولم يُنْصِفُوا فما هم إلا ﴿فِي شِقَاقٖ﴾؛ أي: في مُناوَأَةٍ ومعانَدةٍ لا غير، وليسوا من طلب الحقّ في شيء.

أو: فإنْ تولّوا عن الشهادة والدخولِ في الإيمان بها.

---

من غير تصحيف وتحريف[١] فقد اهتدوا؛ لأنّهم يتوصّلون به إلى معرفة نبوّة محمّد عليه السلام».[٢]

قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ﴾ قال الواحديُّ: «أي: فقد صاروا مسلمين».[٣] وقال بعضهم: أي: رشدوا وأصابوا الحقَّ.[٤] وقال الإمام: فقد هُدوا إليه وقبلوه، ومَن يكون هذا حاله يكون وليًّا لله تعالى داخلًا في أهل رضوانه.[٥] قال: «والآية تدلّ على أنّ الهداية كانت[٦] موجودة قَبل هذا الاهتداء، وتلك الهداية لا يمكن حَمْلها إلّا على الدلائل التي نصَبها الله تعالى، وكَشَف عنها وبيّن وجوه دلالتها».[٧] وهذا الذي ذكره الإمام يُستفاد مِن قوله: ﴿فَقَدۡ﴾ ولولا ذلك المعنى لقيل:[٨] فإن آمنوا بمِثْل ما آمنتُم به اهتدوا.

قوله: (أو[٩] وإن[١٠] تولوا) عطف على قوله: (﴿إِن تَوَلَّوۡاْ﴾)، وحذَف جوابه؛ لأنّ جواب ما تقدّمه يدل عليه، أي: فما هم إلّا في شِقاق. قال بعض أهل اللغة: الشِّقاق:[١١] مأخوذ مِن الشِّقّ كأنّه صار في شِقّ غير شِقّ صاحبه؛[١٢] بسبب العَداوة. وقد شقَّ عصا المُسلمين إذا فرّق[١٣] جماعتهم وفارقها.[١٤] ونظيره المُحادّة:

---

١ ن – فإن آمنوا هم بمِثْل ذلك -وهو التوراة- من غير تصحيف وتحريف.

٢ تفسير الرازي، ٩٣/٤ (البقرة، ١٣٧/٢).

٣ الوسيط للواحدي، ٢٢١/١ (البقرة، ١٣٧/٢). وهذا التأويل في معاني القرآن وإعرابه للزّجاج، ٢١٤/١.

٤ لم أقف عليه فيما بين يديّ من المصادر.

٥ انظر: تفسير الرازي، ٩٣/٤ (البقرة، ١٣٧/٢)، وفي مطبوعه «فقد عملوا بما هدوا إليه...».

٦ ر – كانت.

٧ تفسير الرازي، ٩٣/٤ (البقرة، ١٣٧/٢).

٨ ن: فقيل.

٩ ر – أو.

١٠ ر: فإن.

١١ ر – قال بعض أهل اللغة: الشّقاق.

١٢ انظر: تهذيب اللغة للأزهري، ٢٤٨/٨، «شقق»؛ والكشف والبيان للثعلبي، ١٥٦/٤ (البقرة، ١٣٧/٢)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ١٥٧/١ (البقرة، ١٣٧/٢).

١٣ ر: فوق.

١٤ انظر: معاني القرآن وإعرابه للزّجاج، ٢١٤/١.

﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ضمانٌ من الله لإظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم، وقد أنجزَ وعدَه بقتل قُريظةَ وسَبْيِهم وإجلاءِ بني النَّضير، ومعنى السِّين: أن ذلك كائنٌ لا محالةَ وإنْ تأخَّر إلى حين.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾: وعيد لهم؛ أي: يسمع ما ينطقون به ويَعلم ما يُضمرون من الحسد والغلِّ وهو مُعاقِبُهم عليه، أو وَعْدٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى: يسمع ما تدعو به ويعلمُ نيّتَك وما تُريده من إظهارِ دين الحق، وهو مستَجيبٌ لك ومُوصِلُك إلى مُرادك.

---

وهو أن يكون هذا في حدّ وذاك في حدّ آخر. والتعادي مِثْله؛ كأنّ هذا يكون في عُدوة وذلك في عُدوة، وعُدوة الوادي: طرَفه. والمُجانبة: أن يكون هذا[١] في جانب وذلك في جانب آخر. وقال آخرون: إنّه مأخوذ[٢] مِن المَشقَّة؛ لأنّ كلَّ واحد منهما يحرص على ما يَشُقُّ على صاحبه ويُؤذيه.[٣]

قوله: (﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ﴾) في محلّ المبتدأ، (ضمان) خبره. يقال: أظهَره، أي: غَلَبه.

قوله: (وقد أنجز) إشارة إلى أنّ هذا إخبار عن الغيب، فيكون مُعجِزًا دالًّا على صِدْقه.

قوله: (ومعنى السين: أنّ ذلك كائن[٤] لا مَحالة) قال في المُفصَّل: «قال الخليل: إنّ "سيفعل" جواب "لن يفعل"، كما أنّ "لَيَفعلنَّ"[٥] جواب "لا يفعل"، لِمَا في "لا يفعل" من اقتضاء القَسم».[٦] قالوا: أراد الخليل أنّ السين / تُفيد تأكيد وقوع الفعل في المُستقبل، ولذلك يُجاب قولهم: "لن[٧] يفعل" بقولهم: "سيفعل"، فلمّا كان لتأكيد النفي في المُستقبل كان جوابه بما يدلُّ على تأكيد وقوع الفعل في المُستقبل. [١٨٤و]

---

١ ن ر - في عُدوة وذلك في عُدوة، وعُدوة الوادي: طرَفه. والمُجانبة: أن يكون هذا.

٢ د ر - مأخوذ.

٣ من قوله: "قال بعض أهل اللغة" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٩٣/٤ (البقرة، ١٣٧/٢).

٤ ن ر: كان.

٥ ن ر: لن يفعل.

٦ المُفصَّل للزمخشري، ص ٤٣٥. وكلام الخليل بمعناه في كتاب سيبويه، ٢١٧/٤.

٧ ر: لم.

﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾

﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ مُنتَصِبٌ عن قوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ كما انتَصَب ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ عمّا تقدَّمه، وهي فِعْلةٌ من صَبَغ كالجِلْسة مِن جَلَس، وهي الحالةُ التي يقع عليها الصَّبْغ، والمعنى: تطهيرَ الله؛ لأن الإيمان يُطهِّر النفوسَ.

والأصل فيه: أن النَّصارى كانوا يَغْمسون أولادهم في ماءٍ أصفرَ يسمُّونه: المَعموديّةَ، ويقولون: هو تطهيرٌ لهم، فإذا فعَل الواحدُ منهم بولدِه ذلك قال: الآن صار نصرانيًا حقًّا، فأُمر المسلمون بأنْ يقولوا لهم: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾

---

قوله تعالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾.

قوله: (مصدر مُوكِّد) أي: لنفسه؛ لأنّ معنى ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾... إلخ، صَبَغنا الله، أي: جعَلنا مؤمنين.

قوله: (كما انتصب ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ [الروم ٣٠/٦]) يريد أن قوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مُؤكِّد لنفسه أيضًا؛ لأنّ ما قبله -وهو[1] قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم ٣٠/٤-٥]- يدلُّ على ما يدلُّ عليه؛ إذ الوعد: هو الإخبار عن شيء نافع قبل وقوعه. وهو بهذه المنزلة.

قوله: (وهي) أي: الصِّبغة.[2]

قوله: "من الصَّبْغ" بفتح الصاد فالصِّبْغ بكسر الصاد: ما تُلوَّن به الثياب، والصَّبْغ بالفتح: مصدر. و(المَعموديّة) بالدال غير المعجمة: ماء ممزوج بالزيت. قال المُطرِّزيّ في المُغرِب: «المَعموديّة: ماء للنصارى أصفرُ، كانوا يَغمِسون به أولادهم، ويعتقدون أنّ ذلك تطهير للمولود،[3] كالخِتان لغيرهم، ولم أسمع هذا إلّا في التفسير».[4]

قوله: (فأُمِر المسلمون بأن يقولوا) أي: بأن يقول المسلمون للنصارى:

---

[1] ر + في.

[2] ن ر - قوله: (وهي) أي: الصِّبغة.

[3] ن ر: المولود.

[4] المُغرِب للمُطرِّزي، «عمد». وأكثر ما ذكَره ورد في معاني القرآن للفرّاء، ١/٨٢؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزَّجّاج، ١/٢١٥؛ وتفسير السمرقندي، ١/١٦٢ (البقرة، ٢/١٣٨)، وذكر الأخير أنّ المعموديّة: صِنْف من النصارى يفعلون ما ذُكِر. وأورد الثعلبيُّ والواحديُّ ذلك عن ابن عبّاس. انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ٤/١٥٥ (البقرة، ٢/١٣٨)؛ والوسيط للواحدي، ١/٢٢١ (البقرة، ٢/١٣٨).

وصَبَغَنَا اللهُ بالإيمان صِبْغةً لا مِثْلَ صِبْغَتِنَا، وطَهَّرَنا به تطهيرًا لا مِثْلَ تطهيرنا، أو يقولَ المسلمون: صَبغَنا اللهُ بالإيمان صِبْغتَه ولم نُصْبَغْ صِبْغتَكم.

وإنما جيءَ بلفظ الصبغة على طريقة المشاكَلةِ؛ كما تقول لمن يَغْرِسُ الأشجار: اِغْرِسْ كما يَغرسُ فلانٌ، تريد رجلًا يَصْطَنِع الكِرامَ.

---

قولوا أيُّها النصارى: آمنا، وصَبَغنا الله بالإيمان صِبغةً لا مِثْل صِبْغتنا التي كانت قبل، وهي صِبْغة النصارى، وطهَّرنا الله بالإيمان تطهيرًا لا مِثْل تطهيرنا الذي كان قبلُ. وهذا على تقدير أن يكون قوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾[1] خطابًا للكافرين، ويكون بدلًا من قوله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة ١٣٥/٢]، وهذا على الطريق **الثاني** من المعنى.

قوله: **(أو يقولَ)** عطف على قوله: "يقولوا"، أي: أُمِر المسلمون بأن يقول المسلمون: صَبَغنا الله بالإيمان صِبغةَ الله لا مِثْل صِبْغتكم أيُّها النصارى، وهذا على تقدير أن يكون ﴿قُولُوٓاْ﴾ خطابًا للمؤمنين، ويكون بدلًا من مجموع قوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ﴾، وهذا على الطريق **الأوّل** من المعنى يَسهُل على مَن يسَّره الله تعالى[2] عليه.

قوله: "وهذا مِن المُشاكلة"، وإن لم يَجر ذِكْر الصَّبْغ؛ لأنَّهم كانوا يصبغون أولادهم، فجعَل قوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ مِن المُشاكلة، كما إذا رأيتَ شخصًا يغرِس الأشجار، وأنت تريد أن تأمره بالكَرْم، فتقول: "اغرس كما يَغرِس[3] فلان"، تريد رجُلًا مُواظِبًا على الكَرْم؛ فإنّه مِن المُشاكلة وإن لم يَجر ذِكْر الكَرْم؛ لأنّ شَغْل المُخاطب بالغَرْس جارٍ مَجرى ذِكْر الغَرْس.

قوله: **(يصطنع الكِرام)** الكِرام جمع الكريم، وهو: الشريف من الرجال. واصطنع افتعل وهو للاتّخاذ[4] نحو اشتوى، أي: أخذ الشواء لنفسه. فمعنى "يصطنع الكرام": أنّه يُحسِن إلى الكِرام، فكأنّه بذلك الإحسان يأخذهم لنفسه

---

[1] ن ر – لا مِثْل تطهيرنا الذي كان قبلُ. وهذا على تقدير أن يكون قوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾.

[2] د ر – تعالى.

[3] ن ر – الأشجار، وأنت تريد أن تأمره بالكَرْم فتقول: "اغرس كما يَغرِس.

[4] ن ر: الاتخاذ.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ يعني: أنه يَصْبُغُ عباده بالإيمان، ويُطَهِّرُهم به من أوضار الكُفر، فلا صِبغةَ أحسنُ من صِبْغَةِ الله.

وقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ عطفٌ على ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، وهذا العطفُ يرُدُّ قولَ مَن زعم أن ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ بدلٌ من ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أو نصبٌ على الإغراء بمعنى: عليكم صبغةَ الله؛ لِمَا فيه من فكِّ النَّظْم وإخراجِ الكلام عن الْتِئامهِ واتِّساقه، وانتصابُها على أنها مصدر مؤكِّد هو الذي ذكره سيبويه، والقول ما قالت حَذَامِ.

---

ويجعلهم خَدَمًا وتابعًا ومُحِبًا لنفسه؛ فإن الإنسان عَبد[1] الإحسان. وفي بعض النُّسخ: "يصطنع الكرائم" وهو جمع الكريمة، وهي: الخصلة الحسنة. والأوّل هو الوجه. و"الوَضَر": الدَّنَس والريح الذي يجده الإنسان مِن طعام فاسد.[2]

قوله: (وهذا العطف) أي: عطف قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ على قوله: ﴿ءَامَنَّا﴾ يدفَع ويُبطِل قول مَن قال: هو بدل مِن ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾،[3] أو نَصْبٌ[4] على الإغراء؛[5] لِمَا يَلزَم على مذهبهم مِن تخلُّل الكلام الأجنبيّ -وهو قوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾- بين المعطوف والمعطوف عليه. ثمّ قال: "انتصاب ﴿صِبْغَةَ﴾ على المصدر" كما ذكرنا أولًا، هو مذهب سيبويه.[6] وأشار لوجوب اختيار قول سيبويه إلى قول / الشاعر: [١٨٤ظ]

إذا قالت حَـذامِ[7] فصَدِّقوها فإنّ (القول ما قالت حَذامِ)[8]

---

١ د ر: عبيد.

٢ انظر: الصحاح للجوهري، «وضر».

٣ ذهب إلى ذلك الفرّاء في معاني القرآن، ٨٢/١؛ والأخفش في معاني القرآن، ١٥٩/١.

٤ ن ر: ونصب.

٥ نسب الثعلبي والواحدي هذا الوجه إلى أبي عُبيد. انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ١٦٢/٤-١٦٣ (البقرة، ١٣٨/٢)؛ والبسيط للواحدي، ٣٦٢/٣ (البقرة، ١٣٨/٢).

٦ ذكر سيبويه فيه وجهين، فقال: «وقال قوم: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ منصوبة على الأمر. وقال بعضهم: لا بل توكيدًا». كتاب سيبويه، ٣٨٢/١.

٧ ر + حذام.

٨ البيت لزوج حَذام لُجَيم بن صعب في الأمثال لأبي عُبيد، ص ٥٠؛ وجمهرة الأمثال للعسكري، ١١٦/٢؛ ومجمع الأمثال للميداني، ١٠٦/٢. ويروى لغير لُجيم. انظر: المستقصى للزمخشري، ٣٤٠/١؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي، ٣٢٩/٤-٣٣١.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾

قرأ زيد بن ثابت: "أَتُحاجُّونَّا" بإدغامِ النُّون.

---

يقال: "حذام" اسم امرأة، حذَّرت قومها مِن غارة[1] فأنكروا[2] ذلك، فلمّا نزلت بهم الغارة قالوا: «القول ما قالت حذامِ»،[3] فصار[4] مثلًا.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾.

قوله: **(قرأ زيد)** بالإدغام شاذّ.[5]

واختلف العلماء في أنّ هذه المُحاجّة[6] كانت مع مَن، على وجوه: **الأوّل**: أنّه خطاب مع اليهود والنصارى،[7] وهو الذي اختاره المُصنِّف؛ **والثاني**: أنّه خطاب مع مُشركي العَرب حيث قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف ٣١/٤٣]؛ **والثالث**: أنّه خطاب مع الكلّ.

ثمّ اختلف العلماء في تلك المُحاجّة على وجوه: **أحدها**: أنّ ذلك قولهم: إنّهم أولى بالنبوّة، وهو الذي ذكره المُصنِّف؛ **وثانيها**: قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة ١٨/٥]، وقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة ١١١/٢]، وقولهم: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ [البقرة ١٣٥/٢]، عن الحَسَن؛

---

١ ن: عازة؛ ر: عان.

٢ ر: فأنكروه.

٣ **الأمثال** لأبي عُبيد، ص ٥٠؛ **جمهرة الأمثال** للعسكري، ١١١٦/٢؛ **مجمع الأمثال** للميداني، ١٠٦/٢؛ **المستقصى** للزمخشري، ٣٤٠/١.

٤ ن: فصارت.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن ثابت وابن مُحيصن والأعمش والحسن وطلحة. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٧؛ **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٦٤/٤ (البقرة، ١٣٩/٢)؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٧؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٤٦٦.

٦ ن ر – قوله: (قرأ زيد) بالإدغام شاذّ. واختلف العلماء في أنّ هذه المُحاجّة.

٧ انظر هذا الوجه في **جامع البيان** للطبري، ٦٠٧/٢ (البقرة، ١٣٩/٢)؛ و**الكشف والبيان** للثعلبي، ١٦٤/٤ (البقرة، ١٣٩/٢)؛ و**الوسيط** للواحدي، ٢٢٣/١ (البقرة، ١٣٩/٢)؛ و**البسيط** للواحدي، ٣٦٢/٣ (البقرة، ١٣٩/٢).

والمعنى: أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبيَّ صلى الله عليه وسلم من العرب دونكم، وتقولون: لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا، وترونكم أحقَّ بالنبوّة منّا.

﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ نشتركُ جميعًا في أنّا عباده وهو ربُّنا، وهو يُصيب برحمته وكرامته من يشاءُ من عباده، فهم فَوْضَى في ذلك لا يختصُّ به عجميٌّ دون عربيٍّ إذا كان أهلًا للكرامة.

﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ يعني: أن العمل هو أساسُ الأمر وبه العبرةُ، وكما أن لكم أعمالًا يعتبرها الله في إعطاء الكرامة ومنعِها فنحن كذلك.

ثم قال: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ فجاء بما هو سببُ الكرامة؛ أي: ونحن له موحِّدون نُخلصه بالإيمان، فلا تستبعدوا أن يُؤهِّل أهلَ إخلاصه لكرامته بالنبوة، وكانوا يقولون: نحن أحقُّ بأن تكون النبوةُ فينا لأنّا أهلُ كتاب والعربُ عبدةُ أوثان.

---

وقرئ: ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾، أي: أتجادلوننا[1] في دِين الله.[2]

قوله: (في أنّا)، أي: نشترك نحن وأنتم في أنّا عباد الله، وفي أنّ الله ربُّنا.

قول المصنِّف: (وهو) عطف على محلّ اسم "أنّ" بعد مُضي الخبر. وتقرير هذا الوجه: أنّه لا نسبةَ لكم إلى الله تعالى إلّا بالعبوديّة، وهذه النسبة مُشتركة بيننا وبينكم، فنحن أيضًا مُنتسبون إليه تعالى بالعبوديّة، فلِمَ تُرجِّحون أنفسكم علينا؟ بل الترجيح معنا؛ لأنّا مُخلصون له في العبوديّة ولستُم كذلك،[3] وهو المراد بقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾.[4]

[1] ب: تجادلون.

[2] من قوله: "واختلف العلماء" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٤/٩٧ (البقرة، ٢/١٣٩)؛ وذكر ما هو قريب من الوجه الأخير عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد في: جامع البيان للطبري، ٣/١٠٧-١٠٨ (البقرة، ٢/١٣٩)؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ١/٢٤٥ (البقرة، ٢/١٣٩).

[3] ب: لذلك.

[4] من قوله: "أنّه لا نسبة لكم" بتصرّف يسير في تفسير الرازي، ٤/٩٧ (البقرة، ٢/١٣٩).

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾

﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ يحتمل فيمن قرأ بالتاء أن تكون ﴿أَمْ﴾ معادلةً للهمزة في ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ بمعنى: أيَّ الأمرين تأتون: المحاجّة في حكم الله أم ادّعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء عليهم السلام، والمراد بالاستفهام عنهما إنكارُهما معًا، وأن تكون منقطعةً بمعنى: بل أتقولون، والهمزةُ للإنكار أيضًا.

وفي قراءة مَن قرأ بالياء لا تكونُ إلا منقطعةً.

﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ يعني: أنّ الله شهد لهم بملّة الإسلام في قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران ٦٧/٣].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾، ..................

---

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾... إلخ.

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائيّ وحفص عن عاصم ﴿تَقُولُونَ﴾ بالتاء خطابًا، وقرأ أبو عمرو[1] وابن كثير ونافع وأبو بكر عن عاصم بالياء غيبة.[2] وَجه من قرأ بالتاء: أنّ قبلها وبعدها على المُخاطبة، فالمُخاطبة المُتقدّمة قوله تعالى: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾، والمُتأخرة ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾. ومن قرأ بالياء؛ فلأنّ المَعنيّ اليهود والنصارى وهم غُيّب. ومعنى قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾: أنّ الله أعلَمُ وخبره أصدق، وقد أخبر في القرآن على لسان محمّد عليه السلام أنّهم كانوا مسلمين.[3]

---

[1] د ر: أبو بكر.

[2] السبعة لابن مجاهد، ص ١٧١؛ التيسير للداني، ص ٨٢؛ النشر لابن الجزري، ٢/٢٦٣.

[3] من قوله: "ومعنى قوله تعالى" بتصرّف يسير في تفسير الرازي، ٤/٩٨ (البقرة، ٢/١٤٠).

أي: كتم شهادةَ الله التي عنده أنه شَهِد بها، وهي شهادته لإبراهيم بالحنيفية، ويحتمل معنيين:

أحدهما: أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم؛ لأنهم كتموا هذه الشهادةَ وهم عالمون بها.

والثاني: أنّا لو كتمنا هذه الشهادةَ لم يكن أحدٌ أظلَم منّا فلا نكتُمُها، وفيه تعريضٌ بكتمانهم شهادةَ الله لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم بالنُّبوّة في كتُبِهم، وسائرَ شهاداته.

و﴿وَمَنْ﴾ في قوله: ﴿شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ مثلُها في قولك: هذه شهادةٌ مني لفلانٍ، إذا شهِدتَ له. ومثلُه: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة ١/٩].

---

قوله: (أي: كتَم[1] شهادة الله التي عنده) الضمير مِن "عنده" عائد إلى "مَن"، أي: مَن أظلَم مِن شخصٍ كتَم الشهادة التي ثبتت[2] عنده، أي: عند ذلك الشخص.

قوله: (أنّه) أي: أنّ الله شهِد بتلك الشهادة. فقوله: "أنّه"... إلخ، معمول الظرف، أي: "عنده".

قوله: (وفيه) أي: في المعنى الثاني تعريض.

قوله: (شهاداته) أي: شهادات الله.

قوله: (ومَن في قوله: ﴿شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ مِثلها في: هذه شهادة منّي لفلان) يعني أنّ ﴿مِنَ﴾ مُتعلِّق بمحذوف صفة شهادة. والمعنى: مَن أظلم ممّن كتَم شهادةً جاءته مِن عند الله، فحرَّفها وأخفاها؟[3] كقول الرجل لغيره: عندي شهادة منك، أي: شهادة سمعتُها منك، وشهادة جاءتني مِن جهتك ومِن عندك.[4]

قوله: (ومثله ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ١/٩]) قال المصنِّف: «﴿مِنَ﴾ لابتداء الغاية مُتعلِّق بمحذوف، وليس بصلة، كما في قولك: برئتُ[5] مِن الدَّين. والمعنى:

---

١ د، ر: كتم.

٢ د، ر: ثبت.

٣ د: أخفاها.

٤ من قوله: "والمعنى" بتصرُّف يسير في تفسير الرازي، ٩٩/٤ (البقرة، ١٤٠/٢).

٥ ن: برئ.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ وعيدٌ لهم، وقرئ بالياء.

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢﴾

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: الخفافُ الأحلام وهم اليهودُ؛ لكراهتهم التوجّهَ إلى الكعبة، وأنّهم لا يرَونَ النسخ.

---

هذه براءة واصلة مِن الله ورسوله إلى الذين عاهدتُم، كما تقول: كتاب مِن فلان إلى فلان».[1] فعلى هذا تقدير الكلام: شهادة كائنةٌ أو حاصلةٌ مِن الله لمحمّد بالنبوّة.

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾... إلخ.

ذكرنا تفسير السَّفَه بحسب اللغة.[2] وبالجملة مَن لا يميّز بين[3] ما له وعليه، ويعدِل عن طريق منافعه إلى ما يضرُّه، يُوصَف / بالخِفّة والسَّفَه، ولا شكّ أنّ الخطأ [١٨٥و] في باب الدّين أعظمُ مَضرّة منه في باب الدنيا، فإذا كان العادل عن الرأي الواضح في أمر دنياه يُعدُّ سفيهًا، فمَن يكون كذلك[4] في أمر دينه كان[5] أولى بهذا الاسم، فلا كافر إلّا وهو سفيه، فهذا اللفظ يُمكن حمله على اليهود وعلى المُشركين وعلى المنافقين وعلى جملتهم، ولقد ذهب إلى كلّ واحد مِن هذه الوجوه قوم من المُفسّرين:[6]

فأوّلها:[7] قال ابن عبّاس رضي الله عنه[8] ومجاهد: «هم اليهود».[9]

فقوله: (لكراهتهم)[10] مُتعلِّق بقوله: (سيقول). وقوله: (أنّهم) عطف على كراهتهم، يعني: قال اليهود ذلك لوجهين:

---

١ الكشّاف للزمخشري، (التوبة، ٩/١).

٢ مضى في موضعين من تفسير سورة البقرة، ٢/١٣، ١٣٨.

٣ ر - بين.

٤ ر: لذلك.

٥ ن - كان.

٦ ر - المفسرين.

٧ ن ر - فأوّلها.

٨ د ر - رضي الله عنه.

٩ من قوله: "وبالجملة من لا يميّز" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٤/١٠١ (البقرة، ٢/١٤٢). وانظر الوجه المذكور عن ابن عباس والبراء بن عازب ومجاهد في جامع البيان للطبري، ٢/٦١٦-٦١٧ (البقرة، ٢/١٤٢)؛ وعنهم وعن الحسن في تفسير ابن أبي حاتم، ١/٢٤٧ (البقرة، ٢/١٤٢).

١٠ ر: لكرامتهم.

**وقيل: المنافقون؛ لحِرْصهم على الطعن والاستهزاء.**

**وقيل: المشركون، قالوا: رَغِبَ عن قبلةِ آبائه ثم رجَع إليها، والله ليَرْجِعَنَّ إلى دِينهم.**

---

**الأوّل:** أنّهم كانوا يأنسون بموافقة النبيّ عليه السلام لهم في القِبلة، وكانوا يظنُّون لخفَّة أحلامهم وجهلهم بالرسول أنّ موافقته عليه السلام لهم في القِبلة[1] ربّما[2] تدعوه إلى أن يصير موافقًا لهم بالكليّة، فلمّا تحوَّل عن تلك القِبلة استوحشوا لذلك واغتمُّوا، وقالوا: قد عاود[3] إلى طريقة آبائه واستوحش واشتاق[4] إلى دينهم، وقالوا ما حكى الله تعالى عنهم في هذه الآية.[5]

**والثاني:** أنّهم يعتقدون أنّ النَّسخ غير جائز.

**وثانيها:** «أنّهم المنافقون»، وهو قول السُّدّيّ،[6] وهؤلاء إنّما ذكروا ذلك استهزاء من حيث لا تتميَّز بعض الجهات عن[7] بعض بخاصيّة معقولة تقتضي تحويل القبلة إليها، فكان هذا التحويل مَجرى[8] العبث والعمل بالرأي والشهوة».[9] ونحن سنذكر جواب ذلك إن شاء الله تعالى.

**وثالثها:** قال ابن عبّاس والبراء بن عازب والحسن والأصمّ: «إنّهم مُشركو العَرب»؛[10] وذلك لأنّه[11] عليه السلام كان مُتوجِّهًا إلى بيت المَقدِس حين كان بمكّة، وكان المشركون يتأذّون[12] منه بسبب ذلك، فلمّا جاء إلى المدينة تحوَّل إلى الكعبة؛ فقال المشركون: أبى إلّا الرجوع إلى موافقتنا ولو ثبت عليه أوّلًا لكان أولى به.[13]

---

[1] ن ر - وكانوا يظنُّون لخفَّة أحلامهم وجهلهم بالرسول أنّ موافقته عليه السلام لهم في القِبلة.

[2] ن ر: وبما.

[3] ن: عاد.

[4] ن: واستفاق.

[5] من قوله: "أنّهم كانوا" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٤/١٠١ (البقرة، ٢/١٤٢).

[6] **جامع البيان للطبري**، ٢/٦١٧ (البقرة، ٢/١٤٢)؛ وعنهم وعن الحسن في **تفسير ابن أبي حاتم**، ١/٢٤٧ (البقرة، ٢/١٤٢).

[7] ر: يعني.

[8] ر: يجري.

[9] **تفسير الرازي**، ٤/١٠١ (البقرة، ٢/١٤٢).

[10] ورد غير منسوب وأنّ المقصود به كفّار أهل مكّة في **معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج**، ١/٢١٨؛ و**تفسير السمرقندي**، ١/١٦٣ (البقرة، ٢/١٤٢).

[11] د + كان.

[12] ر + بذلك.

[13] من قوله: "وثالثها" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٤/١٠١ (البقرة، ٢/١٤٢).

**فإن قلتَ:** أيُّ فائدة في الإخبار بقولهم قبل وقوعه؟

**قلتُ:** فائدتُه: أنَّ مفاجأةَ المكروه أشدُّ، والعلمُ به قبل وقوعه أبعدُ من الاضطراب إذا وقع؛ لِمَا يتقدَّمه من توطينِ النفس، وأنّ الجوابَ العتيد ............

---

وقالوا: والله ليَرجِعَنَّ إلى ديننا، وسيجيء سبب التحوّل في الموضعين إن شاء الله تعالى.

**ورابعها**، ولم[1] يذكره المصنّف: أنّه يدخل فيه الكلُّ؛[2] لأنّ لفظ السفهاء جَمْعٌ مُحلّى باللام فيُفيد العموم، وقد بيّنا صلاحيّته لكلّ الكفّار، وأيضًا النصُّ يدلُّ عليه ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة ١٣٠/٢]؛ فوجب أن يتناول الكلّ.[3]

قوله: **(فائدته)** ذكر له فائدتين.

قوله: **(به)** أي: بالمكروه.

قوله: **(إذا وقع)** ظرفُ **(الاضطراب)**. وقوله: **(لِمَا)** مُتعلِّق بقوله: **(أبعدُ)**. والضمير المستتر في **(يتقدّمه)**[4] يعود إلى "ما"، والبارز إلى "الوقوع".[5] و"مِن" بيان "ما"، يعني: لمّا يتقدّم توطين النفس بوقوع[6] المكروه على وقوعه يبعُد الاضطراب عند وقوعه. والحاصل أنّه إذا أُخبِر عن ذلك أوّلًا ثمّ سمِعه منهم فإنّه يكون تأذِّيه من هذا الكلام أقلَّ[7] ممّا يكون إذا سمعه منهم أوّلًا.[8]

قوله: **(وأنّ الجواب)** عطف على قوله: **(أنّ مُفاجأة)**.[9] و**(العتيد)**: الحاضر. والشَّغْب بالتسكين: تهييج الشرّ، وهذا هو **الفائدة الثانية**. وتقريره: أنّ الله تعالى

---

١ ن ر: لم.

٢ يفهم هذا الوجه ممّا في **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٧٥/٤ (البقرة، ١٤٢/٢).

٣ من قوله: "أنّه يدخل" بتصرُّف يسير في **تفسير الرازي**، ١٠١/٤ (البقرة، ١٤٢/٢).

٤ ر: مقدمة.

٥ ن: وقوع.

٦ ن ر - و"مِن" بيان "ما"، يعني: لمّا يتقدَّم توطين النفس بوقوع.

٧ ن ر: قل.

٨ من قوله: "أنّه إذا أُخبِر" بتصرُّف يسير في **تفسير الرازي**، ١٠١/٤ (البقرة، ١٤٢/٢).

٩ ر: المفاجأة.

قبلَ الحاجة إليه أقطعُ للخصم وأردُّ لشَغْبِه، وقبلَ الرَّمْي يُرَاشُ السهم.

﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾: ما صَرفَهم. ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ وهي بيت المقدس.

﴿لِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾؛ أي: بلادُ المشرقِ والمغربِ والأرضُ كلُّها لله.

---

أسمَعه ذلك أوّلًا، ثمّ ذكَر جوابه معه، فحين يسمَعه النبيّ عليه السلام منهم يكون الجواب حاضرًا، فكان ذلك أَوْلى ممّا إذا سَمِعه ولا يكون الجواب حاضرًا.[١]

قوله: (و«قبل الرمي يُراش السهم»)[٢] مَثَلٌ في[٣] تهيئة[٤] الآلة قبل الحاجة.[٥] «والرَّيْش بالفتح مصدر قولك: رِشْتُ السهم إذا ألزقتَ عليه الرِّيش فهو مَريش».[٦]

والفائدة الثالثة، ولم يذكُرها المُصنِّف: أنّه عليه السلام إذا أخبر عن ذلك قبل وقوعه كان هذا إخبارًا عن الغيب؛ فيكون مُعجِزًا.[٧]

قوله تعالى: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ يقال: ولّاه عنه: صرفه عنه، وولّى إليه بخلاف ولّاه عنه، / ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ [الأنفال ١٦/٨].[٨] والقِبلة: هي الجهة التي يستقبلها الإنسان. وهي مِن المُقابلة، وإنّما سُمّيَ القِبلة قبلة لأنّ المصلّي يُقابلها وتُقابِله. [١٨٥ظ]

ثمّ اعلم أنّ المشهور المُجمَع عليه عند المُفسّرين في معنى قوله: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا﴾: أنّه[٩] لمّا تحوّلت القِبلة مِن بيت المقدس إلى الكعبة عاب الكفّار المسلمين، فقالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا﴾. فالضمير في ﴿وَلَّىٰهُمْ﴾ وفي ﴿قِبْلَتِهِمُ﴾ للنبيّ عليه السلام وأصحابه، والقبلة التي كانوا عليها: بيت المقدس. واختلفت[١٠] الروايات في أنّه متى حُوّلت القبلة إلى الكعبة

---

١ من قوله: "أنّ الله تعالى" بلفظ قريب في تفسير الرازي، ١٠١/٤ (البقرة، ١٤٢/٢).

٢ جمهرة الأمثال للعسكري، ١٢٢/٢؛ مجمع الأمثال للميداني، ١٠١/٢؛ المستقصى للزمخشري، ١٨٧/٢.

٣ ن ر - في.

٤ ر: لهيئة.

٥ انظر: مجمع الأمثال للميداني، ١٠١/٢.

٦ الصحاح للجوهري، «ريش».

٧ ذُكِرت هذه الفائدة بلفظ قريب في تفسير الرازي، ١٠١/٤ (البقرة، ١٤٢/٢).

٨ انظر: تفسير الرازي، ٨٠/٤ (البقرة، ١٤٢/٢).

٩ ر + كان.

١٠ ر: واختلف.

**﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ من أهلها ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو ما تُوجِبُه الحكمةُ والمصلحةُ مِن توجيههم تارةً إلى بيت المقدس وأخرى إلى الكعبة.**

---

بعد ذهابه عليه السلام إلى المدينة: فقال أنس بن مالك: «بعد تسعة أشهر، أو عشرة أشهر».[١] وعن معاذ: «بعد[٢] ثلاثة عشر شهرًا».[٣] وعن قتادة: «بعد ستة عشر شهرًا».[٤] وعن ابن عبّاس والبراء بن عازب: «بعد سبعة عشرَ شهرًا مِن مَقدَمه».[٥] قال الواقديُّ: صُرِفت القبلة يوم الإثنين للنصف مِن رجب على رأس سبعة عشرًا شهرًا.[٦]

قال الإمام: «وهذا القول أثبت عندنا مِن سائر الأقوال».[٧] وقيل: ثمانية عشر شهرًا.[٨] وقيل: بعد سنتين.[٩]

قوله: **(وهو ما تُوجِب الحكمة)** "هو" عائد إلى ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. ومفعول "تُوجِب" -وهو العائد إلى "ما"- محذوف. و**(مِن)** بيان "ما". و**(توجيهِهم)** مصدرٌ مُضاف إلى الفاعل، وهو الضمير العائد إلى الرسول عليه السلام والمؤمنين، ومفعول المصدر محذوف، أي: توجيهِهم وجوهَهم. قال الواحدي: «قال ابن عبّاس: 'معنى ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: إلى دِين مُستقيم'.[١٠] ودِين الله يُسمّى: الصراط المستقيم؛ لأنّه يؤدّي إلى الجنة، كما يؤدّي الصراط المستقيم إلى المطلوب».[١١]

---

١ **جامع البيان للطبري**، ٦٢١/٢ (البقرة، ١٤٢/٢)؛ **صحيح ابن خزيمة**، ٢٥٤/١ (٤٣٤)، وفيه «صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نحو بيت المقدس أشهرًا...»؛ **الدرّ المنثور للسيوطي**، ١١/٢-١٢ (البقرة، ١٤٢/٢).

٢ ن - بعد.

٣ **سنن أبي داود**، ٣٨١/١-٣٨٢ (٥٠٧)؛ **جامع البيان للطبري**، ٦٢١/٢ (البقرة، ١٤٢/٢).

٤ **جامع البيان للطبري**، ٦٢٢/٢ (البقرة، ١٤٢/٢)؛ **الدرّ المنثور للسيوطي**، ١٣/٢-١٤ (البقرة، ١٤٢/٢).

٥ **سنن ابن ماجه**، ٢٣٩/٢-٢٤٠ (١٠١٠)، والرواية فيه «صلّينا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهرًا...»؛ **جامع البيان للطبري**، ٦١٩/٢-٦٢٠ (البقرة، ١٤٢/٢).

٦ مِن قوله "ثمّ اعلم" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ٨٠/٤ (البقرة، ١٤٢/٢).

٧ **تفسير الرازي**، ٨٠/٤ (البقرة، ١٤٢/٢).

٨ مضى آنفًا أنّه عن البراء بن عازب في **سنن ابن ماجه**.

٩ مرويٌّ عن قتادة. انظر: **الدرّ المنثور للسيوطي**، ١٣/٢-١٤ (البقرة، ١٤٢/٢).

١٠ عن ابن عبّاس بمعناه في **جامع البيان للطبري**، ١٧٤/١ (الفاتحة، ٦/١).

١١ **الوسيط للواحدي**، ٢٢٤/١ (البقرة، ١٤٢/٢).

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ﴾: ومِثْلَ ذلك الجَعْلِ العجيبِ جعلناكم ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾:

---

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾... إلخ.

قوله:[١] (مِثْلَ ذلك الجَعْل العجيب) اعلم أنّه كما يُذكَر ضمير الشيء وإن لم يكن صاحب الضمير مذكورًا؛ وذلك إذا كان مشهورًا معلومًا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر ٩٧/١]، وكقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص ١١٢/١]،[٢] فكذلك[٣] يُجعَل في اسم الإشارة. ثُمّ مِن المشهور المعلوم عند كلّ أحد أنّه تعالى هو القادر على إعزاز مَن يشاء وإذلال مَن يشاء. إذا عرفتَ ذلك فنقول: أي: مثل ذلك الجَعْل[٤] العجيب الذي لا يقدر عليه أحد سوى الله تعالى جعلناكم أمّةً وسَطًا. فالكاف صفة مصدر محذوف لـ"جعلنا"، و"ذلك" إشارة إلى ما قدَّرنا، أي: جعلناكم أمّة وسَطًا جَعْلًا مِثْلَ ذلك الجَعْل.

وهنا وجوه أُخَر ذكرها المُفسِّرون يحتمِلها كلام المُصنِّف: **أحدها** أنّ "ذلك" إشارة إلى ما تقدّم مِن قوله تعالى في حقّ إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة ٢/١٣٠]، أي: وكما اصطفيناه في الدنيا فكذلك ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، وهو الذي اختاره الواحديُّ؛[٥] **وثانيها**: أنّه راجع إلى معنى ﴿يَهْدِى﴾، أي: وكما أنعمنا عليكم بالهداية كذلك أنعمنا عليكم بأن جعلناكم أمّة وسطًا؛ **وثالثها**: وهو الذي اختاره أبو مسلم، قال: تقديره: يهدي مَن يشاء، وكما هديناكم إلى قِبلة هي أَوْسَط القِبَل كذلك جعلناكم أمّة وسطًا؛[٦] **ورابعها**: قال الإمام:

---

١ ن - قوله.

٢ انظر المسألة في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٢٩٤-٢٩٥.

٣ ر: فلذلك.

٤ ر: العجل.

٥ انظر: الوسيط للواحدي، ١/٢٢٤ (البقرة، ٢/١٤٣).

٦ القولان الثاني والثالث في تفسير الرازي، ٤/٨٣-٨٤ (البقرة، ٢/١٤٣).

خِيَارًا، وهي صفةٌ بالاسم الذي هو وَسَطُ الشيء، ولذلك استوَى فيه الواحدُ

يحتمل عندي أن يكون التقدير: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [البقرة ١١٥/٢]، فهذه الجهات بعد استوائها في كونها مِلْكًا لله تعالى ومُلْكًا له[1] خُصَّ بعضها بمزيد الشرف والتكريم بأن جعله قِبلة فضلًا منه وإحسانًا، فكذلك العِباد كلّهم يشتركون في العبوديّة إلا أنه تعالى خصَّ هذه الأمة بمَزيد الفضل والعدالة، فضلًا منه وإحسانًا لا وجوبًا.[2]

قوله: (خِيارًا) اعلم أنّ العلماء ذكَروا في تفسير قوله تعالى: / ﴿وَسَطًا﴾ [١٨٦و] وجهين: **الأوّل**: أنّ الوسَط: الخِيار. اعلم أنّ الخِيار: خِلاف الأشرار. ويكون الخيار أيضًا اسمًا مِن الاختيار، ومنه "خِيار الرؤية"،[3] وليس هذا المعنى مرادًا هنا.[4]

قوله: (**وهي صفة بالاسم**) يعني قوله: ﴿وَسَطًا﴾ صفة لقوله: ﴿أُمَّةً﴾، وجعل هنا ﴿وَسَطًا﴾ صفة وإن كان اسمًا في الأصل.

اعلم أنّ "الوَسَط" بتحريك "السين" اسم لِعَيْن ما بين طرفي الشيء كمركز الدائرة، وبالسكون اسم مُبهَم لداخل الدائرة مثلًا، ولذا كان ظرفًا. **والأوّل يُجعَل** مبتدأ وفاعلًا ومفعولًا به وداخلًا عليه حرف الجرّ، ولا يصحّ شيء مِن هذا **في الثاني**، تقول: وَسَطه خيرٌ مِن طَرَفه، وحَسُن وَسَطه، وضربتُ وَسَطه، وجلستُ في وَسَط الدار، جميع ذلك بالتحريك. وتقول: جلستُ وَسْطها بالسكون لا غيرُ. **يُوصَف بالأوّل** مُستويًا فيه المذكر والمؤنّث والاثنان والجمع، قال تعالى: ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾. وفي مسألة **الجامع**: «لو قال: لله عليّ أن أُهديَ شاتين وسَطًا».[5] وقد بُنيَ منه "**أفعلُ**" التفضيل فقيل للمذكر الأوسط، وللمؤنّث الوسطى، قال تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾ [المائدة ٨٩/٥]، يعني: المُتوسِط بين الإسراف والتقتير.[6]

---

١ د – له. | وأثبتُّه مِن مطبوع تفسير الرازي.

٢ انظر: **تفسير الرازي**، ٨٤/٤ (البقرة، ١٤٣/٢).

٣ انظر: **المجموع** للنووي، ١٤٨/٩.

٤ ما ذكر في معنيي الخِيار بتصرُّف في **المُغرِب** للمُطرِّزي، «خير».

٥ الكلام في **المبسوط** للسرخسي، ١٤٧/٤، عن **الجامع الكبير**.

٦ مِن قوله "اعلم أنّ 'الوَسَط' بتحريك" إلى هنا في **المُغرِب** للمُطرِّزي، «وسط».

والجمعُ والمذكّرُ والمؤنّث، ونحوُه قولُه عليه الصلاة والسلام: «وأَنْطُوا الثَّبَجَةَ» يُريد الوسيطةَ بين السَّمينةِ والعَجْفاء، وَصْفًا بالثَّبَج وهو: وسطُ الظَّهر، إلّا أنّه أَلحقَ تاءَ التأنيث مُراعاةً لحقِّ الوصف.

وقيل للخيار: وسَط؛ ..........................................

---

قال المُطَرِّزيّ: «وهو في محلِّ الرفع على البدل من ﴿إِطْعَامُ﴾ [المائدة ٥/٨٩]، و﴿كِسْوَتُهُمْ﴾ [المائدة ٥/٨٩] عطف عليه».[1]

قوله: (ونحوُه) أي: نحوُ قوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ في الوصف بالاسم قولُه عليه السلام: («وأَنْطُوا الثَّبَجَةَ»).[2] والإنطاء: الإعطاء، لغة يمانية، وقرئ في الشواذّ:[3] "إِنَّا أَنْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ" [الكوثر ١٠٨/١]. قال الهَرويّ في الغريبين، في حديث وائل بن حُجر: «وأنطوا الثَّبَجَة»: يقول: «أَعطُوا الوسَط في الصدقة، لا مِن خِيار المال ولا مِن رُذالته وحَشْوه ولكن مِن وسَطه».[4]

قوله: (إلّا أنّه) متعلِّق بقوله: ونحوه كأنّه قال: "هذا الحديث مثل الآية في الوصف بالاسم". لكنّه أَلحق "التاء" بـ"الثَّبَجَة" لمَا أُريد به الوصف. قال في الفائق: «أَلحق تاء التأنيث بالثَّبَج، وهو: الوسَط؛ لانتقاله مِن الاسميّة إلى الوصفيّة. والمراد: أعطوا المُتوسِّطة[5] بين الخِيار والرُّذال».[6]

قوله: (وقيل للخِيار: وسَط) عطف مِن حيث المعنى على قوله: "وهي صفة بالاسم الذي هو وسط"... إلخ. فكأنّه قال: "الوسَط في الأصل اسم"، ثمّ أُطلق وأُريد به الخِيار مجازًا، وذلك بأن شبَّه الخيار بالوسط. ووجه الشبه

---

[1] المُغرِب للمطرّزي، «وسط». وفي مطبوعه «أو كسوتهم»، مكان «وكسوتهم».

[2] انظر لتخريجه: تخريج أحاديث الكشّاف للزّيلعي، ١/٤١-٤٢؛ وتخريج أحاديث الكشّاف لابن حجر، ص ١٨٨.

[3] قراءة شاذّة مرويّة عن أُبيّ والحسن وابن مسعود وعليّ وابن عبّاس وأبي هريرة والزعفراني وابن محيصن. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٨٢؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٢٥؛ المغني في القراءات للنّوزاواري، ص ٤٦٦.

[4] كتاب الغريبين للهروي، ١/٢٧٠.

[5] ب: المتوسط.

[6] الفائق للزمخشري، ١/١٨.

لأن الأطرافَ يتسارعُ إليها الخللُ والإعوارُ، والأوساطُ مَحْمِيَّةٌ مَحُوطةٌ، ومنه قولُ الطائيِّ:

كانت هي الوسَطَ المحمِيَّ فاكتنفَتْ ... بها الحوادثُ حتى أصبحَتْ طرَفا

---

السلامة مِن الخَلَل والفساد، ثم أُطلِق الوسط وأُريد الخِيار، فيكون مجازًا، أي: استعارة. وقرينة الاستعارة جَعْله صفة للأمة؛[1] لأنّ المراد مَدْح الأمة.

قوله: **(والإعوار)**[2] يقال: أعْوَر الفارس إذا بدا منه عورة، أي: خَلَل للضرب،[3] و"الإعوار": الفساد، وهو عطف على قوله: **(الخَلَل)**.

قوله: **(والأوساط)** مبتدأ، قوله: **(مَحمِيَّة)** خبره، وقوله: **(مَحُوطة)** خبر بعد خبر، أي: مَحفوظة. يقال: حاطه يحوطه حَوْطًا وحِياطة، أي: كَلَأه ورعاه. قال أبو تمّام الطائيّ:

وغَيْضَةَ الموت أعني البَذَّ قُدْتَ لها ... عرمرمًا لِخُروقِ[4] الأرضِ مُعتسِفا

(كانت هي الوسَطَ المَحميَّ فاكتنفَتْ ... بها الحوادثُ حتى أصبحت طرَفا)[5]

**الغَيْضة في الأصل:** «مَغِيض ماء يجتمع فينبُت فيه الشجر»،[6] وهنا المُعسكَر. **والبَذّ:** اسم موضع. وعرمرمًا، أي: جيشًا. وخروق الأرض: طرائقها. و«العَسْف: ركوب الأمر[7] مِن غير تدبير»،[8] وعَسَف عن الطريق، أي: حاد عنه. يصف / أبو تمّامٍ [١٨٦ظ]
المُعتصِمَ[9] في فتح القلعة المَعمورِيّة.[10] ومعناه: ومُجتمَع عَسكَر قُدت لها عسكرًا كثيرًا،

---

[1] ن: الأمّة.

[2] ر + الفساد، هو عطف على قوله: والإعوار أن.

[3] ر - للضرب.

[4] ن: بِخُروق.

[5] البيتان في شرح ديوان أبي تمّام للتبريزي، ٣٧٤/٢، وفي مطبوعه «لِحُزون» مكان «لِخُروق»، ورواية ثانيهما فيه:
كانت هي الوَسَطَ الممنوع فاستَلبتْ
ما حولها الخيلُ حتّى أصبحتْ طَرَفا

[6] الصحاح للجوهري، «غيض».

[7] ن: الأمير.

[8] مقاييس اللغة لابن فارس، «عسف»، ٣١١/٤.

[9] ضُرِب عليها في د، وكُتِب في الهامش: المستعصم. أصح.

[10] المدينة التي فتحها المعتصم اسمها عَمُّورِيَة: وهي بلد من بلاد الروم. انظر: معجم البلدان للحموي، ١٥٨/٤. وذكرها أبو تمّام في قصيدته الشهيرة في مدح المعتصم، وذلك قوله:
يا يومَ وقعة عمُّورِيّة انصرفت
منكِ المُنى حُفَّلًا مَعسولة الحلَبِ
شرح ديوان أبي تمّام للتبريزي، ٤٦/١. وليس البيتان المذكوران هنا في المعتصم ولا في تلك الوقعة، بل هما مِن قصيدة في مدح أبي دُلَف العِجلي. ←

وقد اكتريتُ بمكّةَ جملَ أعرابيّ للحج فقال: أَعْطني من سِطَاتِهِنَّهْ، أراد: من خيارِ الدنانير.

أو: عدولًا؛ لأنّ الوسط عَدْلٌ بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض.

---

مِن كثرتهم لا يقدرون أن يستثُّوا سواء السبيل، بل يعسفون عنه، وكانت تلك المعركة وسَطًا مَحميًا لا يطرّق إليه الفساد، فأصبحتْ بتلك الوَقْعة طرَفًا يتسارع إليه الفساد.[1]

قوله: (وقد اكتريتُ) قال الإمام: قال الكسائيّ: اكتريتُ جَمَل أعرابي بمكة للحجّ، فقال: أعطني مِن سِطاتِهِنَّهْ، أي: مِن خِيار الدنانير.[2] فأقول: يمكن أن يكون المصنّف نقل كلام الكسائي، فيكون قوله: "وقد اكتريتُ"... إلخ، عطفًا على قوله: (قولُ الطائي)، فكأنّه قال: "ومنه هذا القول"، أي: قد اكتريتُ... إلخ؛ ويمكن أن تكون هذه[3] القصّة وقعت للمصنّف كما وقعت للكسائي، فيكون أيضًا عطفًا على قوله: "قولُ الطائي" مِن حيث المعنى، فكأنّه قال: ومنه قولُ الأعرابي: فإنّي قد اكتريتُ... إلخ. وقوله: (مِن سِطاتِهِنَّهْ) السِّطات: جمع سِطَة بمعنى: الوسَط،[4] و"هنّ"[5] عائد[6] إلى الدنانير، والهاء للسكت.

قوله: (أو عدولًا) عطف على قوله: (خِيارًا).

قوله: (لأنّ الوسَط)... إلخ، إشارة إلى أنّ[7] هذا أيضًا بطريق المجاز، أي:[8] الاستعارة: شُبِّه العَدل بالوَسَط، ثمّ أُطلِق الوَسَط وأُريد العَدل، فيكون استعارة.

---

- وذكره مرارًا في القصيدة، ومنها قوله بعد هذين البيتين بيت:

أعطى بكفّتا يديه حتّى قيل له
هذا أبو دُلَفَ العِجليّ قد دَلَفَا

شرح ديوان أبي تمّام للتبريزي، ٢/٣٧٤. وهذا الخطأ في ذكر مناسبة الأبيات واقع أيضًا في فتوح الغيب للطّيبي، ٣/١٣٢.

[1] د - فأصبحتْ بتلك الوَقْعة طرَفًا يتسارع إليه الفساد.

[2] انظر: تفسير الرازي، ٤/٨٤ (البقرة، ٢/١٤٣)؛ وليس فيه «قال الكسائي»، بل فيه «قال صاحب الكشّاف»، فالظاهر أنه سهو مِن الجاربردي.

[3] ن: بعد.

[4] انظر: أساس البلاغة للزمخشري، «وسط». وذكر الزمخشريّ فيه القصّة مع الأعرابيّ.

[5] ن: وهو.

[6] ن: غاية.

[7] ر - أنّ.

[8] ن ر - أي.

﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ رُوِيَ: أنّ الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالِبُ اللهُ الأنبياءَ صلواتُ الله وسلامُه عليهم بالبيّنة على أنّهم قد بلَّغوا وهو أعلم، فيؤتى بأمّةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم فيشهدون، فتقول الأمم: من أينَ عرفتم؟ فيقولون: علمنا ذلك بإخبارِ الله في كتابه الناطق على لسان نبيّه الصادق، فيؤتى بمحمّدٍ صلى الله عليه وسلم فيسألُ عن حال أمّته فيزكّيهم ويَشهدُ بعدالتهم، وذلك قولُه تعالى: ..........................

---

وذلك لأنّ الوَسَط حقيقة في البعيد عن الطرفين، ولا شكّ أنّ طرفَي الإفراط والتفريط رذيلتان، فالمتوسّط بين الأخلاق يكون بعيدًا عن الطرفين، فكان معتدلًا فاضلًا. وأيضًا سُمِّيَ العَدل وسطًا؛ لأنّه لا يميل إلى أحد الخصمين، والعَدْل: هو المُعتدِل الذي لا يميل إلى أحد الطرفين.[1]

وقالوا: تفسير الوَسَط بالخِيار أولى مِن تفسيره بالعَدل؛ لأنّ لفظ الوسط يستعمل في الجمادات، كقول الأعرابي: "مِن[2] سِطاتِهنَّه"؛ ولأنّه مُطابِق لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران ٣/١١٠]؛ ولأنّ الرجل إذا قال: "فلان أوسَطُنا نسبًا" فالمعنى: فضلًا. ويقال: "هذا وَسَط فيهم كواسطة القِلادة"، وأصل هذا أنّ الأتباع يحرُسون الرئيس فهو في وسطهم وهم حوله، فقيل: "وَسَط" لهذا المعنى.[3]

قوله تعالى: (﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ﴾) اختلف الناس في أنّ الشهادة المذكورة هنا تَحصل في الآخرة أم في الدنيا: قال بعضهم: إنّها تقع في الآخرة، والذاهبون إلى هذا القول لهم وجهان:

**الأوّل**: وهو الذي عليه الأكثرون أنّ هذه الأمّة شهداءُ الأنبياء على أمّتهم الذين يُكذِّبونهم.[4] وإليه[5] أشار المصنِّف بقوله: (رُوِيَ «أنّ الأمم») إلى قوله:

---

[1] ر - الذي لا يميل إلى أحد الطرفين.

[2] ن ر: في.

[3] مِن قوله "وذلك لأنّ الوَسَط" إلى هنا في تفسير الرازي، ٤/٨٤-٨٥ (البقرة، ٢/١٤٣).

[4] انظر: تفسير الرازي، ٤/٨٧ (البقرة، ٢/١٤٣).

[5] ر: وإليهم.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء ٤/ ٤١].

**فإنْ قلتَ: هلّا قيل: لكم شهيدًا، وشهادتُه لهم لا عليهم؟**

**قلتُ: لمّا كان الشهيدُ كالرَّقيب والمهَيْمنِ على المشهود له جيءَ بكلمة الاستعلاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة ٥٨/ ٦] ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة ٥/ ١١٧].**

---

(﴿هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء ٤/ ٤١]).[١]

وطعَن القاضي في هذه الرِّواية: بأنَّ مَدار هذه الرواية على الأُمَم الذين يُكذِّبون أنبياءهم، وهذا بناء على أنَّ أهل القيامة قد يُكذِّبون، وهو باطل عند القاضي. ونحن ستتكلم إن شاء الله تعالى في[٢] هذه المسألة في سورة الأنعام في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام ٦/ ٢٣].

والوجه **الثاني**: قالوا: معنى الآية: يشهدون على الناس بأعمالهم التي خالفوا الحقّ فيها. قال ابن زيد: الأشهاد أربعة: الملائكة المُوكّلون بإثبات أعمال العباد؛ قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق ٥٠/ ٢١]؛ **وثانيها**: شهادة الأنبياء، وهو المراد بقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة ٥/ ١١٧]؛ **وثالثها**: شهادة أمّة محمّد عليه السلام خاصّة؛ قال تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر ٣٩/ ٦٩]؛ / **ورابعها**: شهادة الجوارح، وهي[٣] بمنزلة الإقرار بل أعجبُ؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النور ٢٤/ ٢٤].[٤] [١٨٧و]

---

١ الحديث بمعناه في **صحيح البخاري**، ٤/ ١٣٤ (٣٣٣٩)؛ وسنن الترمذي، ٥/ ٢٠٧ (٢٩٦١).

٢ ر – تعالى في.

٣ ن: وهو.

٤ من قوله "وطعَن القاضي في هذه الرِّواية" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ٤/ ٨٧–٨٨ (البقرة، ٢/ ١٤٣). وكلام ابن زيد في **تفسير ابن أبي حاتم**، ٦/ ٢٠١٦ (هود، ١١/ ١٨)؛ **والبسيط** للواحدي، ٣/ ٣٧٥ (البقرة، ٢/ ١٤٣).

وقيل: ﴿لِتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ في الدنيا فيما لا يصحُّ إلا بشهادة العدول الأخيار ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ يُزَكّيكم ويُعْلِمُ بعَدَالتكم.

**فإن قلتَ**: لِمَ أُخِّرَت صلةُ الشهادة أوَّلًا وقُدِّمَتْ آخِرًا؟

**قلتُ**: لأنّ الغَرضَ في الأوّل إثباتُ شهادتهم على الأمم، وفي الآخِر اختصاصُهم بكون الرسول شهيدًا عليهم.

﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ ليست بصفةٍ لـ﴿ٱلْقِبْلَةَ﴾ إنَّما هي ثاني مفعولي "جَعَل"،

---

والقول **الثاني**: إنّ أداء هذه الشهادة إنّما يكون في الدنيا، وإليه أشار المصنِّف بقوله: (**وقيل**: ﴿**لِتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ**﴾ **في الدنيا**) فهو عطف على[1] "«رُوِيَ أنّ الأُمَم»"... إلخ؛ لأنّ قوله: "«رُوِيَ»"... إلخ، إشارة إلى أنّ المراد: شهادتهم يوم القيامة. وقوله: "قيل: لتكونوا" إشارة إلى أنّ المراد: **شهادتهم**[2] في الدنيا، حيث لا تُقبَل إلّا شهادتهم، كما هو مذهب الشافعيّ؛[3] لأنّ العدالة شرط لقَبول[4] الشهادة.[5]

قوله: (**لأنّ الغرض في الأوّل**)، أي: في قوله: ﴿**لِتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ**﴾ فهو على الأصل.

قوله: (**وفي الآخر**)، أي: الغرض في قوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ اختصاصُهم، فقدِّم ليُفيد الاختصاص.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾... إلخ.

قوله: (﴿**ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا**﴾ **ليست بصفة للقِبلة**)... إلخ، اعلم أنّ المصنِّف أشار إلى أنّ "جَعَل" هنا بمعنى "صيَّر" فيتعدّى إلى مفعولين: **الأوّل** ﴿**ٱلْقِبْلَةَ**﴾، **الثاني** ﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾، ثمّ ذَكَر وجهين **الأوّل** أن يكون هذا الكلام بيانًا للحكمة

---

١ ر - على.

٢ ن ر - يوم القيامة. وقوله: "قيل: لتكونوا" إشارة إلى أنّ المراد: شهادتهم.

٣ ر + رضي الله عنه.

٤ ن - لقبول.

٥ انظر: **المهذَّب** للشيرازي، ٥٩٨/٥-٦٠١.

يريد: وما جَعَلنا القبلةَ الجهةَ التي كنتَ عليها، وهي الكعبةُ؛ لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُصلِّي بمكةَ إلى الكعبة ثم أُمر بالصَّلاة إلى صخرةِ بيت المقدِس بعدَ الهجرة تألُّفًا لليهود، ثم حُوِّلَ إلى الكعبة، فيقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي﴾ يجبُ أنْ تَستقبِلَها الجهةَ التي ﴿كُنتَ عَلَيْهَا﴾ أوَّلًا بمكَّةَ، يعني: وما رَدَدناك إليها ﴿إِلَّا﴾ امتحانًا للناس وابتلاءً ﴿لِنَعْلَمَ﴾ الثابتَ على الإسلام الصادقَ فيه ممَّن هو على حرفٍ ينْكص ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ لقَلَقِه فيرتدُّ؛ كقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية [المدثر ٣١/٧٤].

ويجوز أن يكون بيانًا للحكمة في جعلِ بيتِ المقدس قبلتَه، يعني: أنَّ أصلَ أمرك أنْ تستقبلَ الكعبةَ، وأنَّ استقبالَكَ بيتَ المقدسِ كان أمرًا عارضًا لغرضٍ، وإنما جعَلْنا القبلةَ الجهةَ التي كنتَ عليها قبل وقتك هذا -وهي بيتُ المقدس- لنمْتَحِنَ الناسَ ونَنْظُرَ مَن يتَّبعُ الرسولَ منهم ومَن لا يَتَّبعُه ويَنْفرُ عنه.

---

في جَعْل الكعبة بعد التحويل منها إلى بيت المَقدِس قبلةً. وقوله: (وهي) عائد إلى الجهة.

قوله: (لأنّ)... إلخ، بيانُ أنّ المراد بـ﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ الكعبةُ.

قوله: (على حرف)، أي: على طَرَف، وهذا على التشبيه بمَن يكون على طَرَف الجيش ينتظر إن رأى غنيمة وظَفَرًا يتوسّط، وإن رأى هزيمة يفرُّ،[1] ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج ١١/٢٢]. و"النكوص": الإحجام.

قوله: (فيقول) عطف على قوله: (يريد). وقوله: (يعني) عطف على "يقول". وجميعُ ذلك تقرير لهذا الوجه.

قوله: (ويجوز أن يكون)، أي: يجوز أن يكون[2] قوله تعالى:[3] ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ﴾... إلخ، (بيانًا)، فهو عطف على "يريد". وهذا هو الوجه الثاني. ومعنى قوله: ﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾، أي: كنتَ معتقدًا لاستقبالها، كقولك: "فلان على دِين فلان".

---

١ انظر: الكشّاف للزمخشري، (الحج، ١١/٢٢).
٢ ن ر - أي: يجوز أن يكون.
٣ ن ر - تعالى.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: كانت قبلتُه بمكةَ بيتَ المقدس، إلّا أنه كان يَجعل الكعبةَ بينه وبينه.

**فإن قلتَ**: كيف قال: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ ولم يَزل عالمًا بذلك؟

---

وهنا وجهان آخران ذكرهما الواحدي:

**الأوّل** أنّ المعنى: "وما جعلنا تحويل القبلة التي كنتَ عليها"، فهو مِن باب حذف المضافِ.[1] وأنا أقول: فعلى هذا تكون ﴿ٱلَّتِي﴾ صفة للقبلة،[2] ويكون ﴿جَعَلْنَا﴾ بمعنى شرعنا وحكمنا، كقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ [المائدة ١٠٣/٥]، أي: ما شرعها.

**الثاني** أنّ المفعول الثاني للجعل محذوف[3] على تقدير: وما جعلنا القبلة التي كنتَ عليها منسوخة، فحُذف[4] للعلم به.[5] وأنا أقول: فعلى هذا أيضًا ﴿ٱلَّتِي﴾[6] صفة للقبلة، و﴿جَعَلَ﴾ بمعنى صيَّر.

ولمّا كان هذان الوجهان غيرَ مرضيّين عند المصنِّف صرَّح بردِّهما في قوله: "﴿ٱلَّتِي﴾ ليست صفة".[7] وقال الإمام: «﴿مَا جَعَلْنَا﴾ معناه: ما شرعنا وما حكمنا»،[8] ولم يذكر فيه معنى آخرَ. ثمّ قال: ﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ ليس بصفة القبلة إنّما هي ثاني مفعولي ﴿جَعَلَ﴾،[9] إلى آخر الوجهين اللذين ذكرهما المصنِّف، ولم يردّ عليهما شيئًا.

وفيما ذَكَره الإمام نظرٌ؛ لأنّه إذا كان "جَعَل" بمعنى "شرع" لا يتأتّى الوجهان اللذان ذَكَرهما المصنِّف والإمام، إذ هما على تقدير أن يكون جعل بمعنى "صيَّر" على ما عرفتَ.

قوله: (**كيف قال: ﴿لِنَعْلَمَ﴾، ولم يزل عالمًا بذلك؟**) وتقرير السؤال أن يقال:

---

١ انظر: **الوسيط** للواحدي، ٢٢٦/١.
٢ ر: القبلة.
٣ ن ر – الثاني للجعل محذوف.
٤ ن ر: محذوف.
٥ انظر: **الوسيط** للواحدي، ٢٢٦/١.
٦ ر – ﴿ٱلَّتِي﴾.
٧ ر: بصفة.
٨ **تفسير الرازي**، ٨٩/٤ (البقرة، ١٤٣/٢).
٩ انظر: **تفسير الرازي**، ٨٩/٤ (البقرة، ١٤٣/٢).

**قلتُ:** معناه: لنَعْلَمَه علمًا يتعلَّق به الجزاءُ، وهو أن يَعلمَه موجودًا حاصلًا، ونحوُه: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران ١٤٢/٣].

---

"ما فعلنا كذا وكذا إلّا لِنعلم كذا وكذا" يُوهِم أنّ العِلم بذلك الشيء لم يكن حاصلًا، فهو فَعَل ذلك الفعل ليحصُل له ذلك العِلم، وهذا يقتضي أنّ الله تعالى: / لم يعلم تلك الأشياء قبل وقوعها. ونظيرُه في الإشكال ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد ٣١/٤٧]، ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال ٦٦/٨]. [١٨٧ظ]

وأجاب المفسِّرون عنه بوجوه: **الأوّل** معناه "لِيَحصل"، أي: لِيَصير المعلوم موجودًا، ثمّ إذا صار موجودًا عَلِمه الله تعالى موجودًا،[١] فإنّه قبل وجوده يستحيل أن يعلمه الله تعالى[٢] موجودًا. وعبارةُ بعض العلماء[٣] في هذا الموضع: "لِنَعلم موجودًا ما قد عَلِمناه أنّه يُوجَد"، و"لِنَعلم ما قد عَلِمناه أنّه[٤] يكون". الوجهُ **الثاني** معناه "لِيَعلم حِزبُنا مِن الرسول والمؤمنين"، كما يقول المَلِك: "فتحنا البلد الفلانيّ" بمعنى "فتحه أولياؤنا"، ومنه "فتح عمرُ رضي الله عنه[٥] سواد العراق". **الثالث** لتميّز هؤلاء مِن هؤلاء بانكشاف ما في قلوبهم مِن الإخلاص والنِّفاق، فيعلم المؤمنون مَن يوالون ومَن يُعادون فسُمِّي التمييز عِلمًا؛ لأنّه أحد فوائد العِلم وثمراتِه.[٦]

هذه الوجوه ذَكَرها المصنِّف.[٧]

وهنا وجه آخرُ عن الفرّاء، وهو أنّ حدوث العِلم في هذه الآية راجع إلى المخاطَبين، ومثاله أنّ جاهلًا وعاقلًا اجتمعا، فيقول الجاهل: "الحطبُ يُحرِق النار"، ويقول العاقل: "النارُ تُحرق الحطب"، وسنجمع بينهما لِنَعلم أيُّهما يُحرق صاحبه،

---

١ ن ر – موجودًا.

٢ ر – تعالى.

٣ في هامش د: يعني إمام الهدى.

٤ ن ر – يُوجَد"، و"لِنَعلم ما قد عَلِمناه أنّه.

٥ د – رضي الله عنه.

٦ مِن قوله "ما فعلنا كذا وكذا إلّا لِنعلم كذا وكذا" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ٨٩/٤–٩٠ (البقرة، ١٤٣/٢).

٧ وذَكَرها الإمام الرازيُّ بزيادة بيان. والظاهر أنّ الجاربردي نقل عبارة الإمام فيها.

وقيل: ليَعْلَمَ رسولُ الله والمؤمنون، وإنما أَسند علمَهم إلى ذاتِه لأنهم خواصُّه وأهلُ الزُّلفَى عنده.

وقيل: معناه: لنُميِّزَ التابعَ من النَّاكِص؛ كما قال الله: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال ٣٧/٨] فوُضعَ العلمُ موضعَ التمييز؛ لأنَّ العلم به يقع التمييزُ.

﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ هي "إنْ" المخفَّفةُ التي تَلزمُها اللامُ الفارقة، والضميرُ في ﴿كَانَتْ﴾ لِمَا دلَّ عليه قولُه: ..............................................

---

ومعناه: "لِنَعلم أيُّنا الجاهل". والغرض مِن هذا الجنس مِن الكلام الاستمالةُ والرِّفق في الخطاب، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ ٢٤/٣٤].[١]

قوله تعالى: ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ والانقلاب على العَقِب عبارة عن الانصراف إلى حيث أقبَل منه، وهو هنا استعارة، ومعناه: "مَن يكفر بالله ورسوله". ووجهُ الاستعارة[٢] أنّ المنقلِب على عقبيه قد ترك ما بين يديه وأدبر عنه، فلمّا تركوا الإيمان والدلائل صاروا بمنزلة المُدبِر عمّا بين يديه، فوُصفوا بذلك، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [المدثر ٢٣/٧٤].[٣]

قوله: (هي "إنْ" المخفَّفة) "إنْ" المكسورة المخفَّفة[٤] على أربعة أوجه: جزائيّة، ومخفَّفة مِن الثقيلة، ونافية، وزائدة،[٥] ولزِمت "اللام" المخفَّفةَ مِن الثقيلة للفرق بينها وبين النافية.

قوله: (والضميرُ في ﴿كَانَتْ﴾) فيه وجهان: الأوّل أنّه عائد إلى ما دلّ عليه الكلام السابق، وهي الردّة... إلخ، فـ"مِن"[٦] بيانُ ما دلّ. الثاني أنّه عائد إلى القِبلة؛ لأنّه لا بدّ له مِن مذكور سابق، وما ذاك إلّا القبلة.

---

[١] مِن قوله "وهنا وجه آخرُ عن الفرّاء" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٩٠/٤ (البقرة، ١٤٣/٢)؛ وأورد الفرّاء هذا الوجه بإيجاز في كلامه على آية أخرى في معاني القرآن ٣٦٠/٢ (سبأ، ٢١/٣٤)؛ وهو في البسيط للواحدي، ٣٧٩/٣ (البقرة، ١٤٣/٢).

[٢] ر - ومعناه: "مَن يكفر بالله ورسوله". ووجهُ الاستعارة.

[٣] الكلام على الاستعارة في الآية مذكور في تفسير الرازي، ٩٠/٤ (البقرة، ١٤٣/٢).

[٤] ن ر - المخفَّفة.

[٥] انظر: تفسير الرازي، ٩٠/٤ (البقرة، ١٤٣/٢).

[٦] في قوله تعالى: ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ من الرَّدَّة أو التحويلةِ أو الجَعْلة، ويجوزُ أن يكون للقبلة.

﴿لَكَبِيرَةً﴾: لثقيلةً شاقّةً ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾: إلا على الثابتين الصّادقين في اتّباع الرسولِ الذين لَطُفَ الله بهم وكانوا أهلًا للُطْفه.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾؛ أي: ثباتكم على الإيمان، وأنكم لم تَزِلُّوا ولم تَرْتابوا، بل شَكَرَ صنيعَكم وأعدَّ لكم الثوابَ العظيم.

ويجوز أن يراد: وما كان الله لِيَترُكَ تحويلَكم؛ لعِلْمه أنَّ تَرْكَه مَفْسَدةٌ وإضاعةٌ لإيمانكم.

وقيل: مَن كان صلَّى إلى بيت المقدس قبلَ التحويل فصلاتهُ غيرُ ضائعة؛ عن ابن عباس رضي الله عنه: لمَّا وُجِّهَ رسول الله إلى الكعبة قالوا: كيف بمَن مات قبل التحويل من إخواننا؟ فنزلت.

﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: لا يُضيع أجُورهم ولا يَترِكُ ما يُصلِحُهم.

ويُحكى عن الحجَّاج أنّه قال للحسن: ما رأيك في أبي تُرابٍ؟ فقرأ قوله: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ ثم قال: وعليٌّ منهم، وهو ابنُ عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وخَتَنُه على ابْنَته وأقربُ الناس إليه وأحَبُّهم.

وقرئ: "إلّا ليُعْلَم" على البناء للمفعول.

ومعنى العلم: المعرفة، ويجوز أنْ تكون ﴿مَن﴾ متضمِّنةً لمعنى الاستفهام

---

قوله: (قرئ: "إلّا ليُعْلَمَ")[1] مجهولًا قراءةٌ شاذّة.

قوله: (ومعنى العلم: المعرفة) في هذا[2] الموضع، فلذا اقتُصر على مفعول واحد يكون ﴿مَن﴾ موصولًا و﴿يَتَّبِعُ﴾ صلتُه.

قوله: (ويجوز أن تكون "مَن" متضمِّنة لمعنى الاستفهام)، ويكون[3] العِلم

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن الزُّهري. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧٨.

[2] ر: ذا.

[3] ر – ويكون.

ومعلَّقًا عنها العلمُ؛ كقولك: علمتُ أزيدٌ في الدار أم عمرٌو.

وقرأ ابن أبي إسحاق: "على عَقْبيه" بسكون القاف.

وقرأ اليزيدي: "لكبيرةٌ" بالرفع، ووجهُها أن تكون "كان" مزيدةً كما في قوله:

وجـــيــــرانٍ لـــنـــا كـــانـــوا كـــرامِ

والأصل: وإن هي لكبيرةٌ؛ كقولك: إنْ زَيدٌ لمنطلقٌ، ثم: وإنْ كانت لكبيرةٌ.

وقرئ: "لِيُضَيِّعَ" بالتشديد.

---

مِن أفعال القلوب، و﴿مَن﴾ في محلّ مفعوله الأوّل و﴿يَتَّبِعُ﴾ في محلّ مفعوله الثاني، لكنّ العِلم عُلِّق عن العمل فيهما، فإنّ أفعال القلوب تُعلَّق عن العمل قبل حرف الاستفهام والنفي واللام. ومعنى التعليق أنّ هذه الأفعال تعمل عملين مِن حيث اللفظ ومِن حيث المعنى، فالعملُ اللفظيّ نصبُ الاسمين، والمعنويُّ كونهما معلومَين أو مظنونين، فإذا دخلت "اللام" أو الاستفهام أو النفي عمِلت مِن حيث المعنى ولم تعمل مِن حيث اللفظ، فبقيَت معلَّقة بين العمل وغير العمل، كالشيء المعلَّق بين السماء والأرض.

وقراءة ابن أبي إسحاق[١] واليزيديّ[٢] شاذّتان. قال الشاعر:

فكيــف إذا مـــررتُ بـــدار قـــومٍ (وجـــيـــرانٍ لـــنـــا كـــانـــوا كـــرامِ)[٣]

قوله: "كرامِ" صفة "جيرانٍ" و"كان" زائدة.

قوله: (وقرئ:[٤] "لِيُضَيِّعَ"[٥] بالتشديد) شاذّة.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي إسحاق. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٨.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن اليزيدي والقُورُسي واليماني، وميمونة عن أبي جعفر. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٨؛ **المغني في القراءات** للنُّوزاوازي، ص ٤٦٧.

٣ البيت للفرزدق في ديوانه، ص ٥٩٧؛ وهو له في **شرح الرضي على الكافية** ١٩٢/٤. وانظر لتفصيل الكلام فيه: **خزانة الأدب** للبغدادي، ٢١٦/٩-٢١٩.

٤ ن ر - وقرئ.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن عيسى بن عمر الثقفي والضحّاك وابن أبي عبلة وابن قُطيب. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٧؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٨.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿قَدْ نَرَىٰ﴾: ربَّما نرى، ومعناه: كثرةُ الرؤية؛ كقوله:

قد أتركُ القِرْنَ مُصْفرًّا أناملُه

﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾: تردُّدَ وجهك وتصرُّفَ نظرك في جهة السَّماء، ...........

---

[١٨٨و] قوله تعالى: / ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾... إلخ.

أصل "قد" إذا دخل على المضارع أن يكون للتقليل، نحو «إنّ الجواد قد يعثُر»،[١] ثمّ إنّه يُطلَق ويُراد به الكثرة، كما في الآية، ومثلُه قول الشاعر:

(قد أتركُ القِرن مُصفرًّا أناملُه) كأنّ أثوابه مُجَّتْ بفِرصادِ[٢]

القِرن: هو الذي يكون مِثلَك في الشجاعة. ومصفرًّا أناملُه، أي: مقتولًا، كما قال لبيد:

وكلُّ أناس سوف يدخل بيتَهم[٣] دُويهيَةٌ تصفرُّ منها الأناملُ[٤]

ومُجَّت مِن "مجّ الرجل الماءَ مِن[٥] فيه": رمى به. والفِرصاد: الخرتوت.[٦] يقول: وأترك قِرني في المعركة مقتولًا مُصفرَّ الأنامل ملطَّخ الثوب بالدم.

---

١ مجمع الأمثال للميداني، ١/١٢.

٢ لعبيد بن الأبرص في ديوانه، ص ٤٩، وهو له في الصحاح للجوهري، «قدد»؛ وهو للهُذلي في كتاب سيبويه، ٤/٢٢٤؛ وبلا عزو في شرح الرضي على الكافية، ٤/٤٤٥، شاهدًا على أنّ "قد" بمعنى "ربّما"، ونبّه الرضيّ أنّها استُعملت ههنا للتكثير لأنّ المقام مقام تمدُّح.

٣ ن ر: بينهم.

٤ في ديوانه، ص ٢٥٦؛ وهو له في الأضداد لابن الأنباري، ص ٣٩٢؛ والصحاح للجوهري، «خوخ»؛ ومجمع الأمثال ١/٣١، وأمالي ابن الشجري، ١/٣٦، ٢/٢٥٧، ٣٨٤. وقوله: "بيتَهم" إحدى روايتين مذكورتين في شرح الديوان، والمشهور في روايته "بينهم".

٥ ر – مِن.

٦ وفي هامش د: الفرصاد: التوت، وهو الأحمر منه. | قلت: وهي عبارة الصحاح للجوهري، «فرصد». ومن قوله: "القرن هو" إلى هنا بلفظ قريب في فتوح الغيب للطِّيبي، ٣/١٤١.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقَّعُ من ربِّه أن يحوِّلَه إلى الكعبة لأنَّها قبلةُ أبيه إبراهيم عليه السلام، وأَدْعَى للعرب إلى الإيمان لأنّها مَفْخرتُهم ومَزارُهم ومَطافُهم، ولمخالفةِ اليهود، وكان يُراعِي نزولَ جبريلَ عليه السلام والوَحْيِ بالتحويل.

---

قوله: **(وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم**[1] **يتوقع)**... إلخ، و"اللام"[2] في قوله: **(لأنّها**[3] **قِبلةُ)** متعلِّق بقوله: "يتوقَّع". وقوله: **(أدعى)** عطف على قوله: "قبلةُ". وهو السبب الثاني لتقلُّب وجهه عليه السلام. وقوله: **(لأنّها)** متعلِّق بـ"أدعى"، أي: لأنّ الكعبة مفخرة العرب.

قوله: **(ولمخالفة اليهود)** عطف على قوله: "لأنّها"، وهو السبب الثالث للتقلّب. وقوله: **(فكان)** عطف على قوله: "يُتوقّع".

في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قولان:

القول **الأوّل** وهو المشهور الذي عليه أكثر المفسِّرين أنّ ذلك كان لانتظار تحويله مِن بيت المَقدِس إلى الكعبة، والقائلون بهذا القول[4] ذكروا وجوهًا:

**أحدُها**: أنّه كان يُؤثر التوجّه إلى الكعبة إلّا أنّه ما كان يتكلّم به، فكان تقلُّب وجهه في السماء لهذا المعنى. ورُوي عن ابن عبّاس رضي الله عنه[5] أنّه عليه السلام قال: «يا جَبرئيل[6] ودِدتُ لو[7] أنّ الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها فقد كرهتها»، فقال له جَبرئيل[8] عليه السلام: **«أنا عبد مثلك فاسأل ربَّك ذلك»**، **فجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم**[9] **يديم النظر إلى السماء رجاءَ مجيء جَبرئيل**[10] **بما سأل الله تعالى**،[11] **فأنزل الله تعالى هذه الآية**.[12]

---

١ د: عليه السلام.
٢ ر: واللازم.
٣ ن ر - لأنّها.
٤ ن: الوجه.
٥ د - رضي الله عنه.
٦ ن ر: جبريل.
٧ ر - لو.
٨ ن ر: جبريل.
٩ د: عليه السلام.
١٠ ن ر: جبريل.
١١ د ر - تعالى.
١٢ بلفظ قريب في تفسير مقاتل، ١/١٤٤ (البقرة، ٢/١٤٤)، والكشف والبيان للثعلبي، ٤/١٨٧ (البقرة، ٢/١٤٤)؛ والبسيط للواحدي، (البقرة، ٢/١٤٤).

**﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: فلنُعطينَّك ولنُمَكِّنَنَّك من استقبالها، من قولك: ولَّيْتُه كذا: إذا جعلتَه واليًا له.**

---

وهؤلاء ذكروا في سبب[1] هذه المحبّة أمورًا **الأوّل**: أنّ اليهود كانوا يقولون: "إنّه يخالفنا ثمّ إنّه يتّبع قِبلتنا، ولولا نحن لم يدرِ أينَ يستقبل"، فعند ذلك كرِه أن يتوجّه إلى قبلتهم؛ **الثاني**: أنّ الكعبة كانت قبلة إبراهيمَ عليه السلام؛ **الثالث**: أنّه عليه السلام كان يقدّر أن يصير ذلك سببًا لاستمالة العرب لدخولهم في الإسلام؛ **الرابع**: أنّه عليه السلام أراد أن يجعل هذا الشرف للمسجد الحرام الذي في بلدته ومنشأه لا في مسجد آخر. واعترض القاضي على هذا الوجه، وقال: إنّه لا يليق به عليه السلام أن يكره قِبلةً أُمِر أن يصليَ إليها، وأن يُحبّ أن يحوّله ربُّه عنها إلى قِبلة يهواها بطبعه ويميل إليها بحسب شهوته؛ لأنّه عليه السلام يعلم أنّ المصالح في خلاف الطباع والميل.[2]

قال الإمام:

> واعلم أنّ هذا الاعتراضَ قليل التحصيل، لأنّ المستنكَر مِن الرسول عليه السلام أن يُعرِض عمّا أمره الله تعالى به[3] ويشتغل بما يدعوه طبعه إليه، وأمّا أن يميل قلبُه إلى شيء فيتمنّى في قلبه أن يأذن الله تعالى[4] له فيه فذلك ما لا إنكارَ عليه، وأيُّ بُعدٍ في أن يَميل طبعُ الرسول عليه السلام إلى شيء فيتمنّى في قلبه[5] أن يأذن الله له فيه.
>
> والوجه **الثاني**: أنّه عليه السلام استأذن جَبرئيل[6] عليه السلام في أن يدعو الله تعالى في ذلك، فأخبره جَبرئيل[7] عليه السلام بأنّ الله تعالى قد أذِن لك في هذا الدعاء، وذلك لأنّ الأنبياء لا يسألون الله[8] شيئًا إلّا بإذن منه كيلا يسألوا ما لا صلاحَ فيه، فلا يُجابون إليه فيُفضي ذلك إلى تحقير شأنهم

---

[1] د - سبب.

[2] مِن قوله "في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قولان" إلى هنا في تفسير الرازي، ٩٤/٤ (البقرة، ١٤٤/٢).

[3] ن - به.

[4] د - تعالى.

[5] ن - في قلبه.

[6] ن ر: جبريل.

[7] ن ر: جبريل.

[8] ن - الله.

أو: فلنجعلنَّك تَلي سَمْتَها دون سَمْتِ بيتِ المقدس.

﴿تَرْضَىٰهَا﴾: تُحِبُّها وتَميلُ إليها؛ لأَغْراضك الصحيحةِ التي أضمَرْتَها ووافقَتْ مشيئَةَ الله وحكمتَه.

---

فلمّا أذن الله تعالى له في الإجابة عَلِم أنّه سيُجاب[1] إليه، فكان يقلِّب وجهه في السماء وينتظر[2] مجيء / جَبرئيل[3] بالوحي في الإجابة. [١٨٨ظ]

**الوجه الثالث**: قال الحسن: إنّ جَبرئيل[4] أتى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[5] يخبره أنّه تعالى سيحوّل القبلة عن بيت المَقدِس إلى قبلة أخرى، ولم يُبيّن له إلى أيّ موضع يحوّله، ولم تكن قِبلة أحبَّ إليه عليه السلام مِن الكعبة فكان عليه السلام يُقلِّب وجهه في السماء ينتظر الوحي؛ لأنّه عليه السلام عَلِم أنّ الله تعالى لا يتركه بغير صلاة، فأتاه[6] جَبرئيل[7] فأمره أن يصلّي نحو الكعبة.[8]

والقائلون بهذا الوجه اختلفوا: فمنهم مَن قال: إنّه عليه السلام مُنع مِن استقبال بيت المَقدِس ولم يُعيَّن له القِبلة، فكان يخاف أن يَرِد وقت الصلاة ولم تظهر القبلة[9] فأخَّر صلاته، فلذلك كان يقلِّب وجهه، عن الأصمّ؛ وقال آخرون: بل وُعد بذلك، وقِبلة بيت المَقدِس باقية بحيث يجوز الصلاة إليها، لكن لأجل الوعد كان يتوقَّع ذلك، ولأنّه كان عليه السلام يرجو عند التحويل عن بيت المَقدِس وجوهًا كثيرة مِن المصالح الدينيّة نحو رغبة العرب في الإسلام والمباينة عن اليهود وتمييزه الموافق عن المنافق، فلهذا كان يقلِّب وجهه. وهذا الوجه أولى، وإلّا لَما كانت القِبلة الثانية ناسخة للأولى.

**الوجه الرابع**: أنّ تقلُّب وجهه في السماء هو الدعاء.

**القول الثاني**، وهو قول أبي مسلم قال: لولا الأخبارُ التي دلَّت على القول الأوّل، وإلّا فلفظ الآية يحتمل وجهًا آخرَ، وهو أنّه عليه السلام

---

١ ن: يستجاب.
٢ ر: وينظر.
٣ ن ر: جبريل.
٤ ن ر: جبريل.
٥ د: عليه السلام.
٦ ر: فأتى.
٧ ن ر: جبريل.
٨ لم أقف عليه في مظانّه.
٩ ن – القبلة.

﴿شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾: نحوَهُ، قال:

وأَطْـعَـنُ بـالـقـومِ شَـطْـرَ الـمـلـوك

وقرأ أبيٌّ: "تِلْقاءَ المسجدِ الحرام".

وعن البَراء بن عازبٍ: قَدِمَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم المدينة فصلَّى نحوَ بيتِ المقدِسِ ستَّةَ عشرَ شهرًا ثم وُجِّهَ إلى الكعبة.

---

إنّما[1] كان يقلِّب[2] وجهه في أوّل مَقدَمه المدينة، فقد رُوي أنّه عليه السلام كان إذا صلَّى بمكّة جَعَل الكعبة بينه وبين بيت المَقدِس، وهذه صلاة إلى الكعبة، فلمّا هاجر لم يعلم أين يتوجّه فانتظر أمرَ الله تعالى حتّى نزل قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾.[3]

وقال أهل اللغة: الشطر: اسم مشترك يقع على معنيين: أحدهما النصف، يقال: "شطرت الشيء"، أي: جعلته نصفين؛ والثاني نحوه وتلقاء وجهته.[4] واختاره المصنِّف هنا، واستشهد عليه بقول الشاعر:

(وأطـعَـنُ[5] بـالـقـوم شـطـرَ الـملو كِ) حتّى إذا خفق الـمِـجْـدَحُ[6]

طَعَن في المفازة يطعُن ويطعَن أيضًا: ذهب. ذَكره في الصحاح بـ"الطاء" الغير المعجمة، واستشهد بهذا البيت.[7] وبعضُهم يروي هذا البيت بـ"الظاء" المعجمة،[8] يقال: ظعَن ظَعْنًا،[9] أي: شَخَص.[10] وقال في الصحاح: المِجْدَح: نجمٌ يقال له الدَّبَران، سُمّي بذلك لأنّه آخر النجوم غيبوبة.[11] وقبل هذا البيت:

أمـرتُ صِـحـابـي فـلـم يـنـزلوا وبـاتـوا قـلـيـلًا وقـد أصـبـحـوا[12]

---

[1] ن - إنّما.

[2] ر - يقلِّب.

[3] انظر: تفسير الرازي، ٩٤/٤-٩٥ (البقرة، ١٤٤/٢).

[4] انظر: تفسير الرازي، ٩٧/٤ (البقرة، ١٤٤/٢).

[5] ضُبطت "العين" في د بالفتحة والضمّة، وكُتب فوقها: معًا.

[6] البيت لدرهم بن زيد الأنصاريّ في لسان العرب لابن منظور، «جدح»، «طعن»؛ وهو بلا عزو في الصحاح للجوهري، «جدح»، «شطر»، «طعن».

[7] انظر: الصحاح للجوهري، «شطر».

[8] ورد بهذه الرّواية في مطبوع الكشف والبيان للثعلبي، ١٨٨/٤ (البقرة، ١٤٤/٢)؛ والبسيط للواحدي، ٣٨٩/٣ (البقرة، ١٤٤/٢).

[9] ر: يظعن.

[10] ن ر + ذهب.

[11] انظر: الصحاح للجوهري، «شطر».

[12] لدرهم بن زيد الأنصاري، ولم أقف عليه فيما بين يديَّ مِن المظانّ.

وقيل: كان ذلك في رَجب بعد زوالِ الشمس قبلَ قتال بَدرٍ بشهرَيْن، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سَلِمَةَ، وقد صلَّى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحوَّل في الصلاةِ واستقبلَ الميزَابَ، وحَوَّل الرجالَ مكانَ النساءِ والنساءَ مكانَ الرجال، فسمِّي المسجد: مسجدَ القبلتين.

و﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ﴾ نصبٌ على الظرف؛ أي: اجعَلْ توليةَ الوجهِ تلقاءَ المسجد؛ أي: في جهته وسَمْتِه؛ لأن استقبال عينِ القبلة فيه حَرجٌ عظيم على البعيد، وذكرُ المسجد الحرام دون الكعبة دليلٌ على أن الواجب مُراعاةُ الجهة دون العين.

---

و"الباء" في قوله: "بالقوم" للتعدية، أي: أذهب بالقوم إلى الملوك حتّى غاب الدَّبَران ويزول القحط، فإذا زال القحط ورجع الخصب رجعوا إلى وطنهم.

واستشهد الشافعيُّ[١] في كتاب **الرسالة** على أنّ "الشطر" يكون بمعنى النحو والتلقاء والجهة بأبيات،[٢] منها قول خُفاف بن نَدْبة:[٣]

ألا مَن مبلِغٌ عمرًا رسولًا ... وما يغني رسولي شطرَ عمرِو[٤]

ومنها قول ساعدةَ بن جُؤَيّة:

أقول لأمِّ زِنباعٍ أقيمي ... صدورَ العِيس[٥] شطرَ بني تميمِ[٦]

وقراءة أُبيّ شاذّة.[٧]

---

١ ر + رضي الله عنه.

٢ انظر: **الرسالة** للشافعي، ص ٣٤؛ و**تفسير الرازي**، ١٠٢/٤ (البقرة، ١٤٤/٢).

٣ ذكر الجاربردي أن نَدبة هي أمّ الشاعر خُفاف، ونصّ على أنّها بفتح النون، وذلك في تفسير سورة البقرة، ٦٧/٢.

٤ ليس في **ديوان خفاف بن ندبة**؛ وهو له في **الرسالة** للشافعي، ص ٣٤؛ و**تفسير الرازي**، ١٠٢/٤ (البقرة، ١٤٤/٢).

٥ ن ر: العيش.

٦ البيت له في **الرسالة** للشافعي، ص ٣٤؛ و**تفسير الرازي**، ١٠٢/٤ (البقرة، ١٤٤/٢)؛ ولأبي جُندب أو أبي ذؤيب الهذليَّين في **شرح أشعار الهذليين** للسُّكري، ٣٦٣/١، وهو لأبي زِنباع الجُذاميّ في **لسان العرب** لابن منظور، «شطر»؛ وبلا عزو في **الصحاح** للجوهري، «شطر»؛ و**البسيط** للواحدي، ٣٨٩/٣ (البقرة، ١٤٤/٢). والراجح نسبة الشافعي؛ لأنّه أعرف بشعر هُذيل، كما نبّه عليه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على البيت في تحقيق **الرسالة**.

٧ قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ وابن أبي عبلة. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٨؛ **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٤٦٨.

﴿لِيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: أن التحويلَ إلى الكعبة هو الحقُّ؛ لأنه كان في بشارةِ أنبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يصلي إلى القبلتين.

﴿يَعْمَلُونَ﴾ قرئ بالياء والتاء.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿مَا تَبِعُوا﴾ جوابُ القسم المحذوفِ سدَّ مسدَّ جوابِ الشرط.

---

قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ ليس بتكرار؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ خطاب مع الرسول عليه السلام لا مع الأمّة، وقوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ خطاب مع الكلّ.[١]

قوله: (قرئ بـ"التاء" و"الياء") قرأ ابن عامر وحمزةُ والكسائيّ بـ"التاء" على الخطاب للمسلمين، والباقون بـ"الياء"[٢] على[٣] أنه راجع إلى اليهود، فإن جعلناه خطابًا للمسلمين فهو وعد / وبشارة لهم، أي: لا يخفى عليّ جِدُّكم واجتهادكم في قَبول الدِّين فلا أخلُّ بثوابكم، وإن جعلناه كلامًا مع اليهود فهو وعيد وتهديد لهم. [١٨٩و]

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾... إلخ.

قوله: (﴿مَا تَبِعُوا﴾) حكاية لفظ القرآن وهو في محلّ المبتدأ. وقوله: (جوابُ القسم) خبرُه، يريد أنّ "اللام" في ﴿لَئِنْ﴾ موطِّئة للقسم، و"اللام" الموطئة للقسم هي التي تدخل على الشرط بعد تقدّم القسم لفظًا أو تقديرًا ليُؤذن أنّ الجواب له لا للشرط، ومعنى التوطئة كثرةُ الوطء، فهذه "اللام" وطّأت طريق جواب القسم، أي: سهّلت تفهّم الجواب على السامع.

---

١ انظر: تفسير الرازي، ٤/١٠٦ (البقرة، ٢/١٤٤).

٢ انظر: السبعة لابن مجاهد، ص ١٦٠-١٦١؛ والنشر لابن الجزري، ٢/٢٢٣.

٣ ر + أنهم.

﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾: بكلِّ برهانٍ قاطعٍ أنّ التوجُّه إلى الكعبة هو الحقّ.

﴿مَا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ﴾؛ لأن تركَهم اتّباعَك ليس عن شُبهةٍ تزيلُها بإيرادِ الحجَّة، إنّما هو عن مكابَرةٍ وعنادٍ مع عِلْمهم بما في كتبهم مِن نَعْتِك أنّك على الحقّ.

﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾: حَسْمٌ لأَطْماعهم؛ إذ كانوا ماجُوا في ذلك وقالوا: لو ثَبتَّ على قِبْلتِنا لكنَّا نرجو أن تكونَ صاحبَنا الذي نَنْتظرُه، وطَمِعوا في رجوعه إلى قبلتِهم.

وقرئ: "بتابعِ قبلتِهم" على الإضافة.

﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ يعني: أنهم مع اتّفاقهم على مخالفتِك مختلِفون في شأن القِبلة لا يُرجَى اتّفاقُهم كما لا تُرجى موافقتُهم لك، وذلك أن اليهودَ تستقبلُ بيتَ المقدس والنَّصارى مطلعَ الشمس.

أخبرَ عزَّ وعلا عن تصلُّبِ كلِّ حزْبٍ فيما هو فيه وثباتِه عليه، ..............

---

قوله: (﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾) تفسيره (بكلِّ[1] برهان).

قوله: (أنّ)، أي: على أنّ.

قوله: (إنّما هو)، أي: تركهم.[2]

قوله: (أنّك) مفعول (عِلمِهم).

قوله: (مِن نعتك) بيان (ما).

قوله: (﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾) حكاية لفظ القرآن في محلِّ المبتدأ، خبرُه (حسمٌ)، أي: قَطْع.

قوله: (ماجوا)، أي: اضطربوا.

قوله: (قرئ على الإضافة)[3] قراءة[4] شاذّة.

قوله: (أخبر عزّ وعلا)، أي: بقوله تعالى: ﴿مَا تَبِعُواْ﴾ إلى قوله: ﴿قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾.

---

[1] ن ر – تفسيره (بكلِّ).

[2] ر: تركتم.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن عيسى بن عمر. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٧.

[4] ر – قراءة.

**فقال: أنا أعلمُ به منّي بابني، قال: ولِمَ؟ قال: لأني لستُ أشكُّ في محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم أنه نبيٌّ، فأمّا ولدي فلعلَّ أمَّه خانت، فقبَّل عمرُ رضي الله عنه رأسَه.**

**وجاز الإضمار وإن لم يَسبق له ذكرٌ لأنَّ الكلامَ يدلُّ عليه ولا يلتبِسُ على السامع، ومثلُ هذا الإضمارِ فيه تفخيمٌ وإشعارٌ بأنّه لشُهْرته وكونِه علَمًا معلومٌ بغيرِ إعلامٍ.**

---

فكذا ههنا. وعند هذا يستقيم التشبيه؛ لأنَّ هذا العِلم ضروريٌّ وذلك نظريٌّ، وتشبيهُ النظريِّ بالضروريِّ يُفيد المبالغة وحسنَ الاستعارة.[١]

ولذلك ذُكر في **القرآن** لفظُ[٢] المعرفة دون العِلم، فتأمّل. وأمّا في حديث عمرَ رضي الله عنه[٣] فإنّ عبد الله بن سلام لمّا أراد أنّ عِلمه بنبوّة النبيّ عليه السلام يقينيٌّ قطعيٌّ وعلمَه ببنوّة ابنه ظنّيٌّ ذكَر لفظ العِلم لا المعرفة وبطريق التفضُّل[٤] لا بطريق التشبيه.

قوله: **(وجاز الإضمار)** عطف مِن حيث المعنى على قوله: **(يعرفون)**[٥] فكأنّه قال: الضمير مِن ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ / يعود إلى الرسول عليه السلام، وجاز هذا الإضمار وإن لم يجرِ ذكرُه. [١٨٩ظ]

ووجهُ تعلُّق هذا الكلام بما قبله مِن أمر القبلة أنّه تعالى لمّا قال في الآية: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تحذيرًا لأمّة محمّد عليه السلام عن اتّباع اليهود والنصارى أخبر المؤمنين بحاله عليه السلام[٦] في هذه الآية فقال: اعلموا معاشر المؤمنين أنّ علماء أهل الكتاب يعرفون محمّدًا وما جاء به وصدقه ودعوتَه وقبلتَه لا يشكّون فيه كما لا يشكّون في أبنائهم.[٧]

---

١ مِن قوله "فعلى هذا الوجه الذي قرّرتموه" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ٤/١١١ (البقرة، ٢/١٤٦).

٢ ن ر – لفظ.

٣ لم أقف عليه في مظانّه.

٤ هامش د: التفضيل. خ [اختصارًا مِن "نسخة"].

٥ ن ر – (يعرفون).

٦ ن ر – عن اتّباع اليهود والنصارى أخبر المؤمنين بحاله عليه السلام.

٧ مِن قوله "ووجهُ تعلُّق هذا الكلام" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ٤/١١١ (البقرة، ٢/١٤٦).

وقيل: الضمير للعِلْم، أو القرآنِ، أو تحويلِ القبلة.

وقوله: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ يشهدُ للأول، وينصرُه الحديث عن عبد الله بن سلام.

**فإن قلتَ**: لمَ اختصَّ الأبناءَ ولم يقل: الأولاد؟

**قلتُ**: لأن الذكور أَشْهَرُ وأَعْرَفُ، وهم لصحبةِ الآباء أَلزَمُ، وبقلوبهم أَلصقُ.

﴿فَرِيقًا مِّنْهُمْ﴾ استثناء لـ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم﴾ أو لجُهَّالهم الذين قال فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة ٧٨/٢].

---

قوله: **(وقيل: الضمير لـ﴿ٱلْعِلْمِ﴾)**، أي: في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾، والمراد مِن ذلك العِلم النبوّةُ، فكأنّه قال[1] تعالى:[2] إنّهم يعرفون ذلك العِلم كما يعرفون أبناءهم.[3]

قوله: **(يشهد للأوّل)** لأنّ نَظْم الكلام على تقدير عود الضمير إلى العِلم أو **القرآن** أو تحويل القبلة أن يقال: كما يعلمون[4] **التوراة** ونحو ذلك، ولمّا قال: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ عرفنا أنّ الضمير راجع إلى الرسول عليه السلام، وكذا الحديث المنقول عن عبد الله بن سلام وهو قوله: «أنا أعلم به منّي بابني» أيضًا يدلُّ على أنّ الضمير في قوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ للرسول عليه السلام.

قوله: **(استثناءً)** مفعول له مِن قوله: **(قال)**، أي: قال تعالى: ﴿فَرِيقًا مِّنْهُمْ﴾ ولم يقل: "وإنّهم لَيكتمون" ليخرج عن الحكم بالكتمان بعضُهم.

وبيانُه أنّ الذين أوتوا الكتاب منهم مَن آمن مثل عبد الله بن سلام وأتباعه، ومنهم مَن بقيَ على كفره، والباقون على كفره صنفان: منهم الأحبار الذين يتلون **التوراة**، ومنهم الأمّيّون، أي: الجُهّال الذين لا يعلمون الكتاب، ثمّ إنّ مَن آمن مِن أهل الكتاب لا يُوصَف بكتمان الحقِّ، وكذا الجُهّال الذين لا يعلمون الكتاب لا يُوصَفون بذلك، وإنّما يُوصَف بالكتمان مَن بقيَ على كفره مِن أحبارهم، فلذلك قال تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ﴾ فبعَّض الوصف لذلك، ودلّ بقوله:

---

[1] ن: تعالى.
[2] ن: قال.
[3] انظر: تفسير الرازي، ١١٢/٤ (البقرة، ١٤٦/٢).
[4] ر: يعلم.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ١٤٧﴾

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ يحتمِل أن يكون ﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبرَ مبتدأ محذوفٍ؛ أي: هو الحقُّ، أو مبتدأً خبرُه: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ وفيه وجهان:

أن تكون اللامُ للعهد، والإشارةُ إلى الحقِّ الذي عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، أو إلى الحقِّ الذي في قوله: ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: هذا الذي يكتُمونه هو الحقُّ من ربِّك.

وأن تكون للجنس على معنى: الحقُّ من اللهِ لا مِن غيره، يعني: أن الحقَّ ما ثبتَ أنه من الله كالذي أنت عليه، وما لم يَثبت أنه من الله كالذي عليه أهلُ الكتاب فهو الباطل.

فإن قلتَ: إذا جعلتَ الحقَّ خبرَ مبتدأ فما محلُّ ﴿مِن رَّبِّكَ﴾؟

قلتُ: يجوز أن يكون خبرًا بعد خبرٍ وأن يكون حالًا.

وقرأ عليٌّ رضي الله عنه: "الحقَّ من ربِّك"، على الإبدال من الأول؛ أي: يكتمون الحقَّ من ربك.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: الشاكّين في كتمانهم الحقَّ مع علمهم، أو: في أنّه من ربّك.

---

﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ على سبيل الذمّ على أنّ كتمان الحقِّ في الدِّين محظور إذا أمكن إظهاره. واختلفوا في المكتوم: فقيل: أمر محمّد عليه السلام، وقيل: أمر القبلة.[١]

قوله: (وقرأ عليّ رضي الله عنه:[٢] "الحَقَّ")،[٣] أي: بالنصب. وهذه القراءة تؤكِّد كونَ ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ حالًا، وتدلُّ على أنّ "اللام" للعهد.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾) قيل: أي: مِن الشاكّين في أنّ الذين تقدّم ذِكرهم

---

١ مِن قوله "وبيانُه أنّ الذين أوتوا الكتاب" إلى هنا في تفسير الرازي، ١١٢/٤ (البقرة، ١٤٦/٢).

٢ ن – رضي الله عنه.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ بن أبي طالب وعُبيد بن عُمير وزيد بن عليّ والحسن. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٧؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧٨؛ المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٤٦٨.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿وَلِكُلٍّ﴾ من أهل الأديان المختلفة ﴿وِجْهَةٌ﴾: قِبلَة.

وفي قراءة أبيّ: "ولكلٍّ قِبلةٌ".

﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾: هو مولّيها وجهَه، فحُذف أحدُ المفعولين.

وقيل: ﴿هُوَ﴾ لله تعالى؛ أي: اللهُ مولّيها إيّاه.

---

علموا صحّة نبوّتك، وأنّ بعضهم عاند وكتم، قاله الحسن. وقيل: هذا يرجع إلى صحّة نبوّته وشرعه.[1] قال الإمام: «وهذا هو الأقرب؛ لأنّ أقرب المذكورات إليه قوله:[2] ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ فإذا كان ظاهره يقتضي النبوّة وما يشتمل عليه مِن قرآن ووحي وشريعة فقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ وجب أن يرجع إليه».[3]

قوله تعالى:[4] ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾.[5]

قوله: (وفي قراءة أبيّ: "وَلِكُلٍّ قِبْلَةٌ")[6] هي شاذّة.

قوله:[7] (﴿مُوَلِّيهَا﴾) بكسر "اللام" قراءة غير ابن عامر.[8] وفسّره المصنّف بوجهين: الأوّل أن يكون الضمير الذي هو ﴿هُوَ﴾ لـ﴿كُلٍّ﴾ والمفعول الثاني محذوف وهو "وجهَه"، والثاني أن يكون الضمير لاسم الله تعالى والمفعول الثاني محذوف،[9] أي: "لكلٍّ وجهةٌ اللهُ مولّيها إيّاه"، فـ"إيّاه" المراد المحذوف ضميرُ المولَّى، وحُذف المفعول الثاني لجري ذِكره مِن ذِكر المُظهَر، وهو كلٌّ مِن قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾، ومعنى توليته لهم[10] إيّاها إنّما هو أمرهم

---

[1] القولان في تفسير الرازي، ١١٢/٤ (البقرة، ١٤٧/٢).

[2] ن ر – قوله.

[3] تفسير الرازي، ١١٢/٤ (البقرة، ١٤٧/٢).

[4] ن – تعالى.

[5] ن + الآية.

[6] قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧٨.

[7] ر – (وفي قراءة أُبيّ: "وَلِكُلٍّ قِبْلَةٌ") هي شاذّة. قوله.

[8] انظر: السبعة لابن مجاهد، ص ١٧١؛ والنشر لابن الجزري، ٢٢٣/٢.

[9] ن ر – وهو "وجهَه"، والثاني أن يكون الضمير لاسم الله تعالى والمفعول الثاني محذوف.

[10] ن ر – ذِكره مِن ذِكر المُظهَر، وهو كلٌّ مِن قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾، ومعنى توليته لهم.

**وقرئ: "ولكلِّ وجهةٍ" على الإضافة، والمعنى: وكلَّ وجْهةٍ اللهُ مولِّيها أهلَها، فزيدت اللام لتقدُّم المفعولِ؛ كقولك: لزيدٍ ضربتُ، ولزيدٍ أبوه ضاربُه.**

---

بالتوجُّه إليها في صلاتهم، يدلُّ على ذلك قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.[١]

قوله:[٢] **(وقرئ: "ولكلِّ وجهةٍ" على الإضافة)** وهي قراءة شاذّة،[٣] ويحتمل وجهين: **الأوّل** أن يقدَّر مضاف، / أي: ولكلِّ ذوي وجهة، فحُذف[٤] المضاف [١٩٠و]
وأُقيم المضاف إليه مُقامَه، وعلى هذا يرجع الضمير في ﴿مُوَلِّيهَا﴾ إلى الجهة و﴿كُلٍّ﴾ مفعول ثانٍ لـ﴿مُوَلِّيهَا﴾، أي: الله مولِّي الوجهة كلَّ ذوي وجهة، فلمّا قُدِّم أُدخِل "اللام" فيه، أو نقول: هذا مثلُ قول الشاعر:

هـذا سُـراقـةُ لـلـقـرآنِ يـدرسُـهُ والمرءُ عند الرُّشى إن يلقَها ذيبُ[٥]

الضمير في "يدرسه" لمصدره لا للقرآن؛ لأنّه لو كان للقرآن لكان "يدرس" أَخَذ مفعولَه فلا يكون حينئذٍ للقرآن معنى، فلا يكون[٦] لإدخال "اللام" متعلّق، وإذا كان الضمير للمصدر يكون "للقرآن" مفعوله، ويستقيم إدخال "اللام" عليه لتقدُّمه.[٧] فكذا في الآية[٨] الضميرُ في ﴿مُوَلِّيهَا﴾[٩] للمصدر[١٠] و"كُلّ وِجهة" مفعول، ومفعوله الآخرُ محذوف، تقديره: الله مولّي التوليةِ كلِّ وجهةٍ أهلَها، فلمّا قُدِّم أُدخِل "اللام"، وكذا الضميرُ في (ضاربُه) للمصدر و(لَزيدٌ) مفعوله، أي: "لَزيدٌ أبوه ضاربُ الضربِ".

---

[١] البقرة، ١٤٤/٢.

[٢] ر - قوله.

[٣] قراءة شاذّة، مروية عن ابن عبّاس وعُبيد بن عُمير. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٧؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٨.

[٤] ر: محذوف.

[٥] ما عرفتُ قائله. وهو بلا عزو في **كتاب سيبويه**، ٦٧/٣، و**الحجّة** للفارسي، ٢٤١/٢؛ و**البسيط** للواحدي، ٢٧١/٨ (الأنعام، ٩٠/٦)؛ و**أمالي ابن الشجري**، ٩١/٢، و**شرح الرضي على الكافية**، ٣٠٤/١، ٤٠٤/٢. وانظر لتفصيل الكلام عليه: **خزانة الأدب** للبغدادي، ٣/٢-٤. وما وقفت على شيء من خبر سراقة المذكور.

[٦] ر - حينئذٍ للقرآن معنى، فلا يكون.

[٧] أوجز هذا المعنى الفارسيُّ في **الحجّة**، ٢٤١/٢.

[٨] ر - فكذا في الآية.

[٩] ر - في ﴿مُوَلِّيهَا﴾.

[١٠] ر + يكون للقرآن فكذا في الآية الضمير في ﴿مُوَلِّيهَا﴾ للمصدر.

وقرأ ابنُ عامرٍ: ﴿هو مُوَلَّاها﴾؛ أي: هو مولًّى تلك الجهةَ قد وُلِّيَها.

والمعنى: لكلِّ أمّةٍ قبلةٌ تتوجَّهُ إليها منكم ومن غيركم ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ﴾ أنتم ﴿ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ واستبِقوا إليها غيرَكم من أمرِ القبلة وغيره.

ومعنًى آخرُ: وهو أن يراد: ﴿وَلِكُلّٖ﴾ منكم يا أمّة محمّدٍ ﴿وِجۡهَةٌ﴾؛ أي: جهةٌ يصلّي إليها جَنوبيّةٌ أو شماليّةٌ أو شرقيّةٌ أو غَربيّةٌ ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾.

﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ للجزاء من موافقٍ ومخالفٍ لا تُعْجِزونَه.

---

وإنّما أورد المصنِّف مثالين إشارة إلى أنّه يجوز أن يكون الضمير في ﴿مُوَلِّيهَا﴾ للمصدر الذي هو التولية وألّا يكون، على ما مرَّ تقريرهما. وعلى هذه القراءة الشاذّة يتعيَّن عَود الضمير الذي هو ﴿هُوَ﴾ إلى الله تعالى.

قوله: (وقرأ ابن عامر: ﴿هُوَ مُوَلَّاهَا﴾)[١] فالضمير لـ﴿كُلّٖ﴾ وهو مبتدأ وخبره ﴿مُوَلَّاهَا﴾،[٢] وقد استوفى اسمُ المفعول مفعولَيه اللذين يقتضيهما، أحدُهما الضمير المرفوع في ﴿مُوَلَّاهَا﴾ والآخر ضميرُ المؤنث.

قوله: (منكم) بيان قوله: (لكلّ أمّة)، والمعنى: لكلّ فِرَق مِن المسلمين واليهود والنصارى جهة على حسب ما يعلمه، فالجهات مِن الله تعالى[٣] وهو الذي ولّى بوجوه عباده إليها، فاستبقوا الخيرات بالانقياد لأمر الله تعالى في الحالتين، فإنّ انقيادكم خيرات لكم، ولا تلتفتوا إلى مطاعن هؤلاء الذين يقولون: ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَا﴾،[٤] فإنّ الله يجمعكم وهؤلاء السفهاء في عَرْصَة القيامة فيفصل بينكم.[٥]

قوله: (ومعنًى[٦] آخر)، أي:[٧] وهنا معنًى آخرُ وهو أنّا إذا فسَّرنا قوله: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ﴾ بجهات[٨] الكعبة ونواحيها كان المعنى: ولكلّ قومٍ منكم معاشرَ المسلمين وِجهةٌ،

---

١ انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٢٣.
٢ ر - فالضمير لـ﴿كُلّٖ﴾ وهو مبتدأ وخبره ﴿مُوَلَّاهَا﴾.
٣ د ر - تعالى.
٤ البقرة، ٢/١٤٢.
٥ انظر: تفسير الرازي، ٤/١١٤ (البقرة، ٢/١٤٨).
٦ ر: وبمعنى.
٧ ر - أي.
٨ ن: لجهات.

ويجوزُ أن يكون المعنى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟﴾ الفاضلات من الجهات، وهي الجهاتُ المسامِتةُ للكعْبة وإن اختلفت ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟﴾ من الجهات المُختلفة ﴿يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾: يَجمعُكم ويَجعلُ صلواتِكم كأنها إلى جهةٍ واحدةٍ، وكأنّكم تُصلُّون حاضِرِي المَسْجدِ الحرام.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾؛ أي: ومن أيِّ بلدٍ خرجتَ للسَّفر ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ إذا صلَّيتَ.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن هذا المأمورَ به.

---

أي:[1] ناحية مِن الكعبة، فاستبقوا الخيرات بالتوجُّه إليها مِن جميع النواحي، فإنّها وإن اختلفت بعد أنّ تؤدّي إلى الكعبة فهي كجهة واحدة.[2]

قوله: (وهي المُسامِتة[3] للكعبة) بخلاف الجهات الغيرِ المسامِتة للكعبة كقبلة اليهود والنصارى، فإنّها ليست بجهات[4] فاضلات. قال الإمام:

أمّا قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ فهو وعد لأهل الطاعة ووعيدٌ لأهل المعصية، كأنّه قال: "استبقوا أيُّها المحقّقون العارفون بالنبوّة والشريعة الخيرات، واعملوا فيها المشاقّ تصلوا إلى ما لكم عند الله تعالى[5] مِن أنواع الكرامة والزُّلفى". ثمّ إنّه تعالى حقّق ذلك بقوله تعالى:[6] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، وذلك لأنّ الإعادة في نفسها ممكنة، وهو سبحانه وتعالى[7] قادر على جميع الممكِنات، فوَجَب أن يكون قادرًا على الإعادة.[8]

---

١ ن: إلى.
٢ انظر: تفسير الرازي، ١١٤/٤ (البقرة، ١٤٨/٢).
٣ في هامش د: المقابلة.
٤ ن: لجهات.
٥ د ر - تعالى.
٦ د ر - تعالى.
٧ ن ر - وتعالى.
٨ انظر: تفسير الرازي، ١١٨/٤ (البقرة، ١٤٨/٢).

وقرئ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء.

وهذا التكريرُ لتأكيدِ أمر القبلة وتشديدِه؛ لأن النسخَ مِن مظانِّ الفتنة والشُّبهة وتسويلِ الشيطان، والحاجةِ إلى التَّفصلة بينه وبين البَداء، فكرَّر عليهم ليَثْبتوا ويَعْزِمُوا ويَجِدُّوا، ولأنه نيطَ بكلِّ واحدٍ ما لم يُنَط بالآخر، فاختلفَتْ فوائدُها.

---

قوله تعالى:[١] (قرئ: ﴿يَعْمَلونَ﴾ بـ"الياء") غَيْبة، وهو قراءة أبي عمرو، وبـ(التاء) خطابًا قراءة الباقين.[٢]

قوله: (وهذا التكرير) قال الإمام:

اعلم أنّه تعالى قال قبل هذه الآيات: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ / ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾،[٣] وذكر ههنا ثانيًا قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾،[٤] [١٩٠ظ] ثمّ ذكر ثالثًا قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾،[٥] فهل لهذا التكرير فائدة أم لا؟ وللعلماء فيه أقوال:

أحدُها الأحوال ثلاثة: أولها أن يكون الإنسان في المسجد الحرام، وثانيها أن يخرج عن المسجد الحرام ويكون في البلد، وثالثها أن يخرج مِن البلد إلى أقطار الأرض، فالآيةُ الأولى محمولة على الحالة الأولى، والثانيةُ على الثانية، والثالثةُ على الثالثة؛ لأنّه قد كان يُتوهَّم أنّ للقريب حرمةً لا تثبت للبعيد، فلأجل إزالة هذا الوهمِ كرّر الله تعالى هذه الآيات.

والجواب الثاني أنّه سبحانه وتعالى[٦] إنّما أعاد ذلك ثلاثَ مرّات؛ لأنّه علّق بها كلَّ مرّة فائدةً، أمّا في المرّة الأولى فبيَّن أنّ أهل الكتاب يعلمون أنّ أمر[٧]

---

١ د – تعالى.

٢ انظر: السبعة لابن مجاهد، ص ١٦٢؛ والنشر لابن الجزري، ٢/٢٢٣.

٣ البقرة، ٢/١٤٢.

٤ البقرة، ٢/١٤٩.

٥ البقرة، ٢/١٥٠.

٦ ن ر – وتعالى.

٧ ر – أمر.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ استثناء من ﴿النَّاسِ﴾ ومعناه: لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا للمعاندين منهم القائلين: ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه وحباً لبلده، ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء.

فإن قلت: أي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحوّل حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين؟

قلت: كانوا يقولون: ما له لا يحوّل إلى قبلة أبيه إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه كما هو مذكور في نعته في التوراة.

فإن قلت: كيف أطلق اسم الحجة على قول المعاندين؟

قلت: لأنهم يسوقونه سياق الحجة.

ويجوز أن يكون المعنى

---

بيّنا محمد عليه السلام وأن هذه القبلة حق لأنهم شاهدوا ذلك في التوراة والإنجيل. وأما في المرة الثانية فبيّن أنه تعالى يشهد، وشهادة الله تعالى بكونه حقاً مغاير لعلم أهل الكتاب بكونه حقاً. وأما في المرة الثالثة فبيّن الفائدة بقوله ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾. فلما اختلفت هذه الفوائد حسنت إعادتها لأجل أن يترتب في كل واحدة من هذه المرات واحدة من هذه الفوائد. نظيره قوله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

والجواب الثالث أن هذه الواقعة أول الوقائع التي ظهر بها النسخ في شرعنا، فدعت الحاجة إلى التكرير لأجل التأكيد والتقرير وإزالة الشبهة.

قوله (ويجوز) عطف على قوله (ومعناه)، والمراد بالناس في الوجه الأول اليهود.

---

[illegible] تفسير الرازي [illegible] (البقرة [illegible])

لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم وإسماعيل صلوات الله وسلامه عليهما أبي العرب ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ وهم أهل مكة حين يقولون: بدا له فرجع إلى قبلة آبائه، ويوشك أن يرجع إلى دينهم.

---

وبالحجة قولهم: لم لم يتحول إلى الكعبة كما هو مذكور في كتبه؟ وبـ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ المعاندون[1] من اليهود؛ وفي الوجه الثاني المراد بـ﴿ٱلنَّاسِ﴾ العرب وبالحجة اعتراضهم بترك التوجه إلى الكعبة، وبـ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أهل مكة حين قالوا: بدا له فرجع إلى قبلة آبائه.

وهنا سؤال وهو أن شبهة هؤلاء الذين ظلموا من الفريقين ليست بحجة، فكيف استثناها من الحجة؟ وهنا أقوال.

الأول أنه استثناء متصل. ثم على هذا القول يمكن دفع السؤال من وجوه. الأول[2]: أنهم لما أوردوا تلك الشبهة على اعتقاد أنها حجة سماها الله تعالى حجة بناء على معتقدهم، ولعله تعالى سماها حجة تهكمًا بهم. الثاني أن الحجة كما تكون صحيحة فقد تكون أيضًا باطلة، قال تعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ [الشورى ٤٢/١٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران ٣/٦١]. والمحاجة: هو أن يورد كل واحد من الخصمين على صاحبه حجة. وهذا يقتضي أن يكون الذي[3] يورده المبطل يسمى بالحجة، وذلك لأن الحجة اشتقاقها من "حجه" إذا علاه، وكل كلام يقصد به الغلبة على الغير[4] فهو حجة. وقيل: هي مأخوذة من محجة الطريق. وكل كلام يتخذه الإنسان مسلكًا لنفسه فيه إثبات أو إبطال فهو حجة. الثالث أراد بالحجة المحاجة والمجادلة، فقال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، فإنهم يحاجونكم بالباطل

[1] ب: المعاندين.
[2] ب: أحد.
[3] ب: أنه استثناء متصل، ثم على هذا القول يمكن دفع السؤال من وجوه الأول.
[4] ب: الغلبة على الغير.

............................................................................

[١٩١و] القول الثاني أنّه استثناء منقطع، كقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ / عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء ٤/١٥٧]، معناه: لكن اتّباع الظنّ، وقوله تعالى: ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۞ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ [النمل ٢٧/١٠-١١]، وهو كثير.

القول الثالث: زعم أبو عبيدةَ أنّ ﴿إِلَّا﴾ بمعنى "الواو"، كأنّه قال: "لئلّا يكون للناس عليكم حجّة ولا الذين ظلموا"،[١] وأنشد:

وكلُّ أخٍ مُفارقُه أخوهُ لَعَمْرُ أبيكَ إلّا الفرقدانِ[٢]

يعني:[٣] "والفرقدان".[٤]

وهذا القول نقله الإمام عنه.[٥]

وأنا أقول: هو في الرداءة والفساد مثلُ تفسيره "البعض" بـ"الكلّ"،[٦] في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر ٤٠/٢٨]. ولوقوع مثل هذه الأشياءِ في كلام أبي عبيدةَ قال المازنيُّ للمبرِّد:[٧] كان أبو عبيدةَ أجفى مِن أن يفقه ما أقول له.[٨]

القول الرابع قال قُطرُب: موضع ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ خفضٌ؛ لأنّه بدل مِن "الكاف" و"الميم"،[٩] كأنّه قيل: لئلّا يكون عليكم حجّة إلّا الذين ظلموا، فإنّه يكون حجّة عليهم وهو الكفّار. قال عليّ بن عيسى: هذان الوجهان، يعني: ما رُوي عن أبي عبيدةَ وقُطرُب بعيدان.[١٠]

---

١ هذا القول لأبي عُبيدة في مجاز القرآن، ١/٦٠، لكنّه لم يستشهد عليه بالبيت الآتي ذِكره، واستشهد عليه بأبيات أخر.

٢ البيت لعمرو بن مَعدي كَرِب الزُّبيدي في ديوانه، ص ١٧٨؛ وهو له في مجاز القرآن لأبي عُبيدة، ١/١٣١، لغير ما نحن فيه؛ وفي البيان والتبيين للجاحظ، ١/٢٢٨؛ والصحاح للجوهري، «ألا»؛ وبلا عزو في مجمع الأمثال للميداني، ١/٤٣٨؛ وتفسير الرازي، ٤/١٢١ (البقرة، ٢/١٥٠).

٣ ن: أي.

٤ من قوله: "وهنا سؤال وهو" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٤/١٢١ (البقرة، ٢/١٥٠).

٥ بل نقل الإمام جميع ما سبق مِن الأقوال كما ترى.

٦ القول في مجاز القرآن لأبي عُبيدة، ١/٩٤، في غير موضع الآية التي سيذكرها الجاربردي.

٧ ر: المراد.

٨ نقل هذا القول عن المازني ابنُ جنّي في الخصائص، ١/٢٧٣.

٩ في هامش د: في ﴿عَلَيْكُمْ﴾.

١٠ القول الرابع مع رأي عليّ بن عيسى في تفسير الرازي، ٤/١٢١ (البقرة، ٢/١٥٠).

وقرأ زيد بن عليّ رضي الله عنهما: "أَلَا الذين ظلموا منهم" على أنّ "أَلَا" للتنبيه، وقف على ﴿حُجَّةٌ﴾ ثمّ استأنف منبّهًا.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ فلا تَخافوا مطاعنَهم في قبلتكم فإنّهم لا يضرُّونكم.

﴿وَٱخْشَوْنِى﴾ فلا تخالفوا أمْرِي وما رأيتُه مَصْلحةً لكم.

ومتعلَّقُ اللام محذوفٌ معناه: ولإتمامي النعمةَ عليكم وإرادتي اهتداءَكم أمرتُكم بذلك، أو يُعطَف على علّةٍ مقدَّرة، كأنّه قيل: واخشوني لأوفِّقكم ولأتمَّ نعمتي عليكم.

وقيل: هو معطوف على ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾.

وفي الحديث: «تمامُ النعمة دخولُ الجنَّة».

وعن عليٍّ رضي الله عنه: تمامُ النعمة الموتُ على الإسلام.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾

---

قوله: **(قرأ زيد بن علي: "أَلَا الذين ظَلَمُوا مِنْهُم")**[1] بفتح "الهمزة" وتخفيف "اللام".

قوله: **(ثمّ استأنف)**، أي: قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، فعلى هذا ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ خبره.

قوله: **(وما رأيتُه مَصلحةً لكم)** عطف على قوله: **(أمري)**. «وهذه الآية تدلُّ على أنّ الواجب على المرء في كلّ أحواله وأفعاله وتُروكه أن ينصب بين عينيه خشيةَ عقابِ الله تعالى، وأن يعلم أنّه ليس في يد الخلق شيء البتّة، وألّا يكون مشغولَ القلب بهم ولا ملتفتَ[2] الخاطر إليهم»[3].

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ. **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٤٧٠.

[2] ن: مكتئب.

[3] **تفسير الرازي**، ١٢١/٤ (البقرة، ١٥٠/٢).

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ إمّا أن يتعلّق بما قبلَه؛ أي: ولأتمّ نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتُها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول، أو بما بعده؛ أي: كما ذكرتُم بإرسال الرسول ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾ بالطاعة ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ بالثواب ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾ ما أنعمتُ به عليكم ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ ولا تجحدوا نَعمائي.

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤﴾

﴿أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ﴾: هم أمواتٌ بل هم أحياءٌ ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ كيف حالُهم في حياتهم.

وعن الحسن: أنّ الشهداء أحياءٌ عند الله تُعرَض أرزاقُهم على أرواحهم فيَصِل إليهم الرَّوحُ والفَرحُ كما تُعرَض النارُ على أرواح آلِ فرعون غدوةً وعشيّةً فيَصِل إليهم الوَجَع.

---

قوله تعالى: (﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾). ﴿مَا﴾ مصدريّة، و"الكاف" إمّا أن تتعلّق بما قبلها أو بما بعدها كما ذُكر.

«وأمّا قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ فليس بتكرار؛ لأنّ التلاوة للقرآن غيرُ تعليمهم إيّاه،[1] وأمّا الحكمة فهي: العِلم بسائر الشرائع التي لم يشتمل القرآن على تفصيلها،[2] ولذلك قال الشافعيُّ:[3] الحكمة هي سُنّة الرسول عليه السلام».[4]

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾.

قوله: (هم أمواتٌ) يريد أنّه خبرُ مبتدأ محذوف. واعلم أنّ في هذه الآية أقوالًا: الأوّل أنّ المراد بالحياة حياةُ أرواحهم، وأنّ الثواب والعقاب إلى الحشر للروح لا للقالب، وإلى هذا الوجه أشار المصنِّف بقوله: (عن الحسن: «أنّ الشهداء أحياءٌ عند الله تعالى»).[5] القول الثاني وإليه أشار المصنِّف بقوله:[6]

---

[1] ن: إيّاهم.

[2] ر: تفضُّلها.

[3] ر + رضي الله عنه.

[4] تفسير الرازي، ١٢١/٤ (البقرة، ١٥١/٢).

[5] الكشف والبيان للثعلبي، ٢٢١/٤ (البقرة، ١٥٤/٢)؛ معالم التنزيل للبغوي، ١٦٨/١ (البقرة، ١٥٤/٢).

[6] ن - بقوله.

وعن مجاهد: يُرْزَقُونَ ثمرَ الجنَّة ويجدون رِيحَها وليسوا فيها.

وقالوا: يجوز أن يَجمع الله من أجزاء الشهيد جملةً فيُحيِيَها ويُوصِلَ إليها النعيمَ وإن كانت في حَجْم الذرَّة.

وقيل: نزلت في شهداء بدرٍ وكانوا أربعة عشر.

---

(وقالوا: يجوز)... إلخ، وهو أنهم أحياءٌ في القبور يصل ثوابهم إليهم وهم في القبور.

فإن قيل: نحن نشاهد أجسادهم[1] ميتة في القبور، فكيف يصحُّ ما ذهبتُم إليه؟ قلنا: أمّا عند أهل السُّنّة فالبنية ليست شرطًا في الحياة، ولا امتناع في أنّ الله تعالى يُعيد الحياة إلى كلّ واحد مِن تلك الذرّات[2] والأجزاء الصغيرة مِن غير حاجة إلى التركيب والتأليف، وأمّا عند المعتزلة فلا يبعُد أن يُعيد الله تعالى الحياة إلى الأجزاء التي لابدّ منها في ماهيّة الحيّ بغير الأطراف، ويحتمل أن يُحيِيَهم[3] وإن لم يُشاهَدوا.[4]

قوله: (وقيل: نزلت) قال ابن عبّاس رضي الله عنه: «نزلت الآية في قتلى بدر»،[5] ومَن قُتل مِن المسلمين يومئذٍ أربعةَ عشرَ رجلًا ستّةٌ مِن المهاجرين وثمانيةٌ مِن الأنصار.

ويَرِد في الخاطر أن كون[6] عددهم أربعةَ عشرَ يتضمّن لطيفةً؛ لأنّ البدر يتمّ في أربعةَ عشرَ ليلًا.

[١٩١ظ] قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم / بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾... إلخ، "اللام" جواب قسم محذوف و"النون" للتأكيد، والتقدير: والله لنبلونكم، والمعنى: لنعاملنكم معاملة المبتلي؛ لأنّ الله تعالى يعلم عواقب الأمور فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم العاقبة،

---

١ ن ر: أجسامهم.

٢ ر: الذوات.

٣ ن: يعيدهم. | هامش ن: يحييهم. خ [اختصارًا مِن "نسخة"].

٤ مِن قوله "فإن قيل: نحن نشاهد" إلى هنا في تفسير الرازي، ١٢٥/٤ (البقرة، ١٥٤/٢).

٥ الكشف والبيان للثعلبي، ٢١٩/٤ (البقرة، ١٥٤/٢)؛ الوجيز للواحدي، ١٣٩/١ (البقرة، ١٥٤/٢)؛ معالم التنزيل للبغوي، ١٦٨/١ (البقرة، ١٥٤/٢).

٦ ر: يكون.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ ولنصيبنّكم بذلك إصابةً تُشبهُ فعلَ المختَبِر لأحوالكم: هل تصبرون وتَثْبُتون على ما أنتم عليه من الطاعة وتُسلِّمون لأمر الله وحكمه أم لا.

﴿بِشَيْءٍ﴾: بقليلٍ من كلِّ واحدٍ من هذه البلايا وطرَفٍ منه.

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: المُسْترجِعينَ عند البلاء؛ لأن الاسترجاعَ تسليمٌ وإذْعان.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَن استرجَعَ عِند المصيبةِ جَبَر الله مصيبتَه وأحسَنَ عُقْباه وجَعَل له خلَفًا صالحًا يَرضاه».

وروي: أنه طَفِئَ سِراجُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنَّا لله وإنا إليه راجعون» فقيل: أمصيبةٌ هي؟ قال: «نَعم، كلُّ شيءٍ يُؤذِي المؤمنَ فهو له مصيبةٌ».

وإنّما قلَّل في قوله: ﴿بِشَيْءٍ﴾ ..........................................

---

ولكنّه تعالى يعاملهم معاملةَ مَن يبتلي، فمَن صبر أثابه على صبره، ومَن لم يصبر لم يستحقّ الثواب. «قال القفّال: هذا يتعلّق بقوله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾، أي: استعينوا[١] بالصبر والصلاة فإنّا نبلوكم[٢] بالخوف وبكذا».[٣]

قوله: (﴿بِشَيْءٍ﴾) حكاية لفظ القرآن.

قوله: (بقليل) تفسيرُه، يريد: إنّما قال بلفظ التنكير دون التعريف ليفيد التقليل، وليكون معناه "بشيء قليل مِن هذه الأشياء"، وإنّما قال بلفظ الإفراد دون الجمع لئلّا يُوهِم بأشياءَ مِن كلّ واحد، فيدلّ على ضروب الخوف، والتقدير: بشيء مِن كذا وشيء مِن كذا.[٤]

قوله: (وإنّما قلَّل)، أي: إنّما أتى بالتنكير الدالّ على التقليل للإيذان بأن كلّ بلاء يصيب ففوق ذلك البلاء المصيب بلاءٌ آخرُ يَقِل ذلك البلاءُ المُصيب

---

[١] ر - أي: استعينوا.

[٢] ر: نبلونّكم.

[٣] تفسير الرازي، ١٢٥/٤ (البقرة، ١٥٥/٢).

[٤] انظر: تفسير الرازي، ١٢٩/٤ (البقرة، ١٥٥/٢).

ليُؤْذِنَ أنَّ كلَّ بلاءٍ أصابَ الإنسان وإنْ جَلَّ فَفوقَه ما يقلُّ بالنسبة إليه، وليُخفِّفَ عليهم ويُريَهم أنَّ رحمتَه معهم في كلِّ حالٍ لا تُزايِلُهم، وإنّما وعدهم ذلك قبل كونه ليُوطِّنوا عليه نفوسَهم.

﴿وَنَقْصٍ﴾ عطف على "شيء"، أو على الخوف بمعنى: وشيءٍ من نقْصِ الأموال.

والخطاب في ﴿وَبَشِّرِ﴾ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أو لكلِّ مَن يتأتّى منه البشارة.

وعن الشافعيِّ رضي الله عنه: الخوف: خوفُ الله، والجوع: صيامُ شهر رمضان، والنقصُ من الأموال: الزَّكَوات والصَّدَقات، ومن الأنفُس: الأمراض، ومن الثمرات: موتُ الأولاد.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ولدُ العبدِ قال الله تعالى للملائكة: أقبضْتُم ولدَ عبدي؟ فيقولون: نَعم، فيقول: أقبضْتُم ثمرةَ قلبه؟ فيقولون: نعم، فيقول الله تعالى: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حَمِدَك واستَرجَعَ، فيقول الله تعالى: ابْنوا لعَبْدي بيتًا في الجنَّة وسمُّوه بيت الحمد».

والصلاةُ: الحُنوُّ والتعطُّف، فوُضعت موضعَ الرأفة وجُمِع بينها وبين الرحمة، كقوله تعالى: ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد ٢٧/٥٧] ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة ١١٧/٩].

---

ويَهون بالنسبة إلى البلاء[١] الآخرِ الذي لم يُصِب. وقوله: **(ففوقه)** خبرُ **(أنّ)** والضمير مِن **(إليه)** عائد إلى **(ما)** ومِن **(يقِلّ)** إلى **(بلاءٍ)**. وقوله: **(وإن جلَّ)** مِن الشروط المؤكِّدة[٢] التي[٣] لا يُذكَر له جواب.

قوله: **(وليخفِّف)** عطف[٤] على قوله: **(ليُؤذِن)**.

قوله: **(وإنّما وعدهم ذلك)**، أي: الابتلاء، يُشير إلى بيان الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلاء.[٥]

---

[١] ن ر - المُصيب ويَهون بالنسبة إلى البلاء.

[٢] ن: المذكورة. | هامش ن: المؤكِّدة. خ [اختصارًا مِن "نسخة"].

[٣] ن - التي.

[٤] ر - عطف.

[٥] ر: الابتداء.

والمعنى: عليهم رأفةٌ بعد رأفةٍ، ورحمةٌ أيُّ رحمةٍ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ لطريق الصَّواب، حيث استرجَعوا وسلَّموا لأمر الله.

---

وفيها وجوه: **الأوّل** ما ذكره المصنِّف، وهو أن يُوطِّنوا أنفسَهم على الصبر عليها إذا وردتْ، فيكون ذلك[١] أبعدَ لهم مِن الجزع وأسهلَ عليهم بعد الورود، **وثانيها** أنّه تعالى أخبر بوقوع ذلك الابتلاء قبل وقوعه فوَجَد عينَ ذلك الخبرِ على ما أخبر به[٢] عنه، فكان ذلك إخبارًا عن الغيب فكان[٣] معجزًا، **وثالثها** أنّ مِن المنافقين مَن أظهر متابعةَ[٤] الرسول عليه السلام طمعًا منه في المال وسَعة الرزق، فإذا أخبر تعالى بنزول هذه المِحن فعند ذلك[٥] يتميّز المنافق عن الموافق؛ لأنّ المنافق إذا سَمِع ذلك نَفَر منه وتَرَك دينه، فكان في هذا الإخبار هذه الفائدة.

قال القفّال: أمّا الخوف[٦] الشديد حصل[٧] لهم[٨] عند مكاشفة العرب بسبب الدِّين[٩] لا يأمنون قصدهم إيّاهم واجتماعهم عليهم، وقد كان مِن الخوف في وقعة الأحزاب ما كان، قال الله[١٠] تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا﴾ [الأحزاب ١١/٣٣]. وأمّا الجوع[١١] فقد أصابهم في أوّل مهاجرة النبيّ عليه السلام إلى المدينة لقلّة أموالهم حتّى إنّه عليه السلام كان يشدّ الحَجَر على بطنه. وأمّا النقص مِن الأموال والأنفس فقد يحصل ذلك عند محاربة العدوّ، بأن ينفق[١٢] الإنسان ماله في الاستعداد للجهاد، وقد يقتل، فهناك يحصل النقص في الأموال والنفس، قال تعالى: ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال ٧٢/٨]، وقد يحصل الجوع في سَفَر الجهاد عند فناء الزاد، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ١٢٠/٩]،

---

١ د - ذلك.
٢ ر - به.
٣ ن ر - إخبارًا عن الغيب فكان.
٤ ن ر - متابعة.
٥ د: فعندئذٍ.
٦ ر: الجواب.
٧ كذا في د ن، والصواب بالفاء.
٨ ن - لهم.
٩ ر: الذين.
١٠ د - الله.
١١ ر: الجزع.
١٢ ر: ينقص.

..........................................................

وقد يكون النقصُ في النفس بموت بعض الإخوانِ والأقارب، على ما عليه التأويل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء ٢٩/٤]. وأمّا نقص الثمرات فقد يكون بالجُدوب، وقد يكون بترك عِمارة الضياع للاشتغال بجهاد الأعداء، وقد يكون ذلك بالإنفاق على مَن كان يَرِد على رسول الله عليه السلام[١] مِن الوفود. هذا آخر كلام[٢] القفّال.[٣]

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. قال القفّال: ليس الصبر ألّا يجد الإنسان ألم[٤] المكروه ولا أن يكره ذلك؛ لأنّ ذلك غير ممكن، وإنّما الصبر حَمْل النفس على تَرْك إظهار الجزع، فإذا كَظَم الحُزن وكفَّ النفس عن إبراز آثاره / كان [١٩٢و] صاحبه صابرًا وإن ظهر[٥] دمعُ عينٍ أو تغيُّر لونٍ. وقال عليه السلام: «الصبر عند الصدمة الأولى».[٦]

ثمّ اعلم أنّ الآياتِ والأخبار دالّة على فضيلة الصبر: أمّا الآيات فذكر الله تعالى الصبرَ في نيّف وسبعين موضعًا مِن القرآن وأضاف أكثر الخيرات إليه، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ﴾ [السجدة ٢٤/٣٢]، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر ١٠/٣٩]، وجَمَع للصابرين أمورًا لم يجمعها لغيرهم، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة ١٥٧/٢]، وأمّا الأخبار فمنه قوله عليه السلام: «الصبر نصفُ الإيمان».[٧]

---

١ ر: صلّى الله عليه وسلّم.

٢ ر: الكلام.

٣ مِن قوله "وفيها وجوه: الأوّل ما ذكره المصنّف، وهو أن يُوطِّنوا" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ١٢٩/٤-١٣٠ (البقرة، ١٥٥/٢).

٤ جاء في ر هنا زيادة مقحمة بمقدار لوح، مِن كلام الجاربردي في تفسير الآية الثالثة والأربعين بعد المئة مِن سورة البقرة.

٥ ن ر: صبر.

٦ **صحيح البخاري**، ٧٩/٢ (١٢٨٣)؛ **صحيح مسلم**، ٦٣٧/٢ (٩٢٦).

٧ مِن قوله "قال القفّال: ليس الصبر" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ١٣١/٤ (البقرة، ١٥٥/٢). والحديث في **المعجم الكبير** للطبراني، ١٠٤/٩ (٨٥٤٤)؛ و**المستدرك** للحاكم، ٤٨٤/٢ (٣٦٦٦)؛ و**شعب الإيمان** للبيهقي، ١٥٠/١ (٤٧).

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۝١٥٨﴾

﴿ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾: علَمان للجبلَين كالصَّمَّان والمُقطَّم.

و"الشعائر": جمعُ شَعِيرة وهي العلامةُ؛ أي: من أعْلام مناسكِه ومُتعبَّداته.

و"الحجُّ": القصد، و"الاعْتِمارُ": الزيارةُ، فغَلَبا على قصدِ البيت وزيارتِه للنُّسكين المعروفَين، وهما في المعاني كالنَّجم والبيت في الأعيان.

وأصلُ ﴿يَطَّوَّفَ﴾: يتطوَّف، فأُدغم، وقرئ: "أن يَطُوف" مِن طافَ.

**فإن قلتَ**: كيف قيل: إنهما ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾، ثم قيل: ﴿لا جناحَ عليه أن يطَّوَّفَ بهما﴾؟

**قلتُ**: كان على الصَّفا إِسافٌ وعلى المروة نَائِلَةُ، وهما صنمان يُروَى: أنَّهما كانا رجلًا وامرأةً زَنَيا في الكعبة فَمُسِخَا حَجَرَيْن، فوُضِعَا علَيهما ليُعتَبَر بهما، فلما طالت المدةُ عُبِدَا مِن دون الله، فكان أهل الجاهلية إذا سعَوْا مَسحُوهما، فلمَّا جاء الإسلام وكُسِرت الأوثان كرِه المسلمون الطَّواف بينهما لأجلِ فعلِ الجاهلية، وأن لا يكون عليهم جناحٌ في ذلك، فرُفع عنهم الجُناح.

---

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾... إلخ.

قوله: (**كالصَّمَّان والمُقطَّم**) رُوي عن المصنِّف أنّه قال: إنّما اخترت في التشبيه الصَّمَّان والمُقطَّم لأنّهما عَلَمان بـ"الألف" و"اللام".

قوله: (**وهما**)، أي: الحجّ والعمرة في صيرورتهما عَلَمين للمعاني كـ"النجم" للثُّريّا و"البيت" للكعبة في صيرورتهما عَلَمين للأعيان.

قوله: (**قرئ: "أنْ يَطُوفَ"**)[١] شاذّ.

قوله: (**وألّا يكون عليهم جناحٌ**) عطف على قوله: (**لأجل**)، وظهور المعنى بأن يقال: (**كَرِه المسلمون**) في معنى "امتنعوا"، فكأنّه قال: امتنع المسلمون عن الطواف بين الجبلين لئلّا يكون عليهم جناح.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ وعُبيد بن عُمير. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٤٧٣.

**واختُلف في السعي:**

فمنهم قائل: هو تطوُّعٌ، بدليلِ رفع الجُناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك؛ كقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَا﴾ [البقرة ٢/٢٣٠] وغيرِ ذلك، ولِقوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ كقوله: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة ٢/١٨٤]. ويُروى ذلك عن أنسٍ وابنِ عباس وابنِ الزُّبير، وتنصُره قراءه ابن مسعود رضي الله عنهم: "فلا جُناحَ عليه أنْ لا يطَّوَّف بهما".

وعن أبي حنيفةَ رضي الله عنه: أنَّه واجبٌ وليس بركنٍ، وعلى تاركه دمٌ، وعند الأوَّلينَ: لا شيء عليه، وعند مالكٍ والشافعيِّ رحمة الله عليهما: هو ركنٌ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «اسْعَوا؛ فإن الله كتب عليكم السعي».

---

واعلم أنّ ظاهر قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ لا إثمَ عليه، والذي يصدُق عليه أنّه لا إثمَ في فعله يدخل[1] تحته الواجب والمندوب والمباح، ثمّ إنّه يمتاز كلّ واحد مِن هذه الثلاث عن الآخر بقيد زائد، فإذن ظاهرُ هذه الآية لا يدلُّ على أنّ السعيَ بين الصفا والمروة واجبٌ أو ليس بواجب؛ لأنّ اللفظ الدالّ على قدر[2] المشترك بين الأقسام لا دلالةَ فيه[3] على خصوصية قسم مِن تلك الأقسام، فإذن لا بدّ في معرفة أنّه واجب أو غيرُ واجب إلى دليل منفصل. إذا عرفتَ هذا فنقول: مذهب الشافعيّ[4] أنّ السعيَ رُكن ولا يقومِ الدمُ مقامه، وعند أبي حنيفة[5] ليس برُكن ويقوم الدمُ مقامه.

حجّة الشافعيّ[6] ما رُويَ أنّه عليه السلام قال: «إنّ الله كتب عليكم السعيَ فاسعَوا».[7]

فإن قيل: هذا الحديث متروكُ الظاهر؛ لأنّه يقتضي وجوب السعي وهو العَدْوُ وذلك غيرُ واجب.

---

[1] ن ر – يدخل.

[2] ن ر: القدر.

[3] ن ر – فيه.

[4] ر + رضي الله عنه.

[5] ن + أنّ السعي.

[6] ر + رضي الله عنه.

[7] بلفظ قريب في مسند أحمد، ٤٥/٤٥٥ (٢٧٤٦٣)؛ والمعجم الكبير للطبراني، ١١/١٨٤ (١١٤٣٧)؛ والبسيط للواحدي، ١/٣٣٤ (البقرة، ٢/١٥٨).

.................................................................

قلنا: لا نُسلِّم أنّ السعيَ عبارة عن العَدْو، بدليل قوله: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة ٩/٦٢]، والعَدْوُ فيه غيرُ واجب، وقولِه: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم ٣٩/٥٣]، والمراد الجدّ والاجتهاد. سلَّمنا أنّه يدلُّ على العَدْو، لكنّ العَدْو مشيٌ مع صفة تركِ العمل به في حقِّ هذه الصفة، فبقيَ أصل المشي واجبًا.[١]

واحتجّ[٢] أبو حنيفةَ[٣] بهذه الآية، فإنّه لا يقال: لا جناحَ في الواجبات، ثمّ إنّه تعالى أكّد ذلك بقوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾، فبيَّن أنه تطوّعٌ وليس بواجب.

والجوابُ مِن وجوه:

**الأوّل** ما بيّنا أن ليس في قوله: ﴿لَا جُنَاحَ﴾ دلالةٌ على الوجوب، والذي يحقّق ذلك قولُه: ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النساء ١٠١/٤]، والقصرُ عند أبي حنيفةَ واجبٌ مع أنّه قال فيه: ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾، فكذا هنا.

**الثاني** قال ابن عبّاس رضي الله عنه:[٤] كان على[٥] الصفا صنمٌ وعلى المروة صنمٌ، وكان أهل الجاهليّة يطوفون بهما فكَرِه المسلمون الطواف بينهما لأجل الصنمين، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[٦] إذا عرفتَ هذا فنقول: انصرف الإباحة إلى وجود الصنمين حالَ الطواف لا إلى نفس الطوافِ، كما لو كان في الثوب نجاسةٌ / يسيرة عندكم ودمُ البراغيث [١٩٢ظ] عندنا، فقيل: لا جناحَ عليكم أن تُصلُّوا فيه، فإنّ رَفْع الجُناح ينصرف إلى مكان النجاسة لا إلى نفس الصلاة.[٧]

هكذا ذَكَره الإمام، وفيه بحثٌ.

---

١ مِن قوله "واعلم أنّ ظاهر قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ﴾ لا إثم عليه" إلى هنا في تفسير الرازي، ١٣٧/٤ (البقرة، ١٥٨/٢).

٢ ن: ويحتجّ؛ ر – واحتجّ.

٣ ن ر + رحمه الله.

٤ د – رضي الله عنه.

٥ ر: في.

٦ بلفظ قريب في الكشف والبيان للثعلبي، ٢٤٣/٤؛ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي، ٢٥٥/٧ (٩٩٧٠)؛ والبسيط للواحدي، ٣٣٣/١ (البقرة، ١٥٨/٢).

٧ انظر: تفسير الرازي، ١٣٧/٤-١٣٨ (البقرة، ١٥٨/٢).

..........................................................................................

والصواب أن نقول: لمّا ظنُّوا الجُناح مِن تلك الجهة بيّن أن ليس فيه جناح مِن تلك الجهة، ووجوبُه عُلِم مِن دليل آخرَ.

فإن قيل: قرأ ابن مسعود: "فَلَا جُناحَ عَلَيهِ أَلّا يَطَّوَّفَ بِهِمَا".[١]

قلنا: القراءة الشاذّة لا يجوز اعتبارها في القرآن؛ لأنّ تصحيحه يقدح في كون القرآن متواترًا، وأمّا التمسّك بقوله: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فضعيف؛ لأنّ هذا لا يقتضي أن يكون المراد مِن هذا التطوُّع هو[٢] الطواف المذكور أوّلًا؛ بل يجوز أن يكون المقصود منه شيئًا آخرَ، وقد قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، ثمّ قال: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة ١٨٤/٢]، فأوجب عليهم الطعام، ثمّ ندبهم إلى التطوّع بالخير، فكان المعنى: فمَن تطوّع فزاد[٣] على طعام مسكين كان خيرًا، فكذا هنا يحتمل أن يكون هذا التطوُّع مصروفًا إلى شيء آخرَ وهو مِن وجوه: **أحدُها** أنّه يزيد في الطواف فيطوف أكثرَ مِن الطواف الواجب، بأن يطوف ثمانيةً أو أكثرَ، **والثاني** أن يتطوّع بعد حجّ الفرضِ وعمرتِه بالحجّ والعمرةِ مرّة أخرى، حتّى طاف بالصفا والمروة تطوُّعًا.[٤]

**والثالث** قال الحسن: «المرادُ جميع الطاعات»،[٥] وهذا أولى؛ لأنّه أوفقُ لعموم اللفظ.

قوله تعالى: ﴿شَاكِرٌ﴾ الشاكر في اللغة هو: المُظهِر للإنعام عليه، وذلك في حقّ الله تعالى محالٌ، فالشاكر في حقّه تعالى مجازٌ، ومعناه المجازيّ على الطاعة،[٦] وإنّما سُمّي المجازاة على الطاعة شكرًا لوجوه: **الأوّل** أنّ اللفظ

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ بن أبي طالب وابن مسعود وابن عبّاس وأنس بن مالك وأُبيّ بن كعب وسعيد بن جُبير. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٨؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٧٩.

٢ ن: هذا.

٣ ن: بزاد.

٤ مِن قوله "فإن قيل: قرأ ابن مسعود" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ١٣٨/٤ (البقرة، ١٥٨/٢).

٥ بمعناه في **معالم التنزيل** للبغوي، ١٧٢/١ (البقرة، ١٥٨/٢).

٦ ر: الطاقة.

وقرئ: ﴿ومَن يطَّوَّعْ﴾، بمعنى: ومَن يتطوَّعْ، فأدغم.

---

خرج مَخرَج التلطُّف للعباد مبالغة في الإحسان إليهم، كما قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة ٢/٢٤٥]، فكأنّه قال: "مَن ذا الذي يعمل عمل المُقرِض ليأخذ أضعاف ما أعطى". والثاني أنّ الشكر لمّا كان مقابلًا للإنعام وكالجزاء عليه سُمّي كلّ ما كان جزاءً شكرًا على سبيل التشبيه. الثالث كأنّه يقول: أنا وإن كنتُ غنيًّا عن طاعتك إلّا أنّي أجعل له مِن القَبول بحيث لو صحّ أن أنتفِع بها لَما ازداد وقعُه على ما حصل. وبالجملة فالمقصودُ بيان أنّ طاعة العبد مقبولةٌ عند الله تعالى وواقعةٌ موقعَ القَبول في أقصى الدرجات.

وقوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ﴾، أي: يعلم قدرَ الجزاء فلا يبخس المستحقَّ حقّه؛ لأنّه تعالى عالم بقَدْره وعالم بما يزيد عليه مِن التفضُّل، وهو أليَقُ بالكلام ليكون لقوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ تعلُّق بقوله: ﴿شَاكِرٌ﴾. ويحتمل أنّه يريد أنّه عالم بما يأتي العبد فيقوم بحقّه مِن العبادة والإخلاص وبما يفعله لا على هذا[١] الحدِّ،[٢] وذلك ترغيب في أداء ما يجب على شروطه وتحذير مِن خلاف ذلك.[٣]

قوله: (وقرئ: ﴿وَمَن يَطَّوَّعْ﴾) قرأ ابن كثير وعاصم ونافع وأبو عمرٍو وابن عامر ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بـ"التاء" المعجَمة مِن فوق ونصبِ "العين" في الموضعين جميعًا، وقرأ حمزةُ والكسائيّ: ﴿يَطَّوَّعْ﴾ بـ"الياء" المعجَمة مِن أسفل وجزمِ "العين"، وكذلك التي[٤] بعده. قال في الحجّة:

> ومَن قرأ: ﴿تَطَوَّعَ﴾ بفتح "العين" ماضيًا احتمل ﴿تَطَوَّعَ﴾ أمرين: أن يكون موضعه جزمًا،[٥] والآخر ألّا يكون له موضع، فأمّا الوجه الذي يُجعل[٦] فيه ﴿تَطَوَّعَ﴾ في موضع جزم فأن يُجعَل ﴿مَن﴾ للجزاء، وكانت "الفاء" مع ما بعدها أيضًا / في موضع جزم لوقوعها موقعَ الفعل المجزوم الذي هو جزاءٌ، [١٩٣و]

---

١ ن ر – هذا.

٢ ن: الجدّ.

٣ مِن قوله "قوله تعالى: ﴿شَاكِرٌ﴾ الشاكر في اللغة" إلى هنا في تفسير الرازي، ٤/١٣٩ (البقرة، ٢/١٥٨).

٤ ن: الذي.

٥ ر: خبر ما.

٦ ر: يحتمل.

وفي قراءة عبد الله: "ومَن يتطوَّعْ بخير".

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾ من أحبار اليهود ﴿مَآ أَنزَلۡنَا﴾ في التوراةِ ﴿مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: من الآياتِ الشاهدةِ على أمر محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَٱلۡهُدَىٰ﴾: والهدايةِ بوصفهِ إلى اتّباعه والإيمان به ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ﴾ ولخّصناه ﴿لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: في التوراة، لم نَدَعْ فيه موضعَ إشكالٍ ولا اشتباهٍ على أحدٍ منهم، فعَمَدوا إلى ذلك المبيَّن الملخَّص فكتَموه ولبَّسوا على الناس.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾: الذين يتأتّى منهم اللعنُ عليهم، وهم الملائكة والمؤمنون من الثَّقَلين.

---

و﴿تَطَوَّعَ﴾ ماضٍ ومعناه المستقبل، وأمّا الوجه الذي لا يكون تطوَّعَ فيه في موضع جزم، فهو أن يُجعَل ﴿مَن﴾ موصولًا و"الفاء" على هذا مع ما بعده[1] في موضع خبر المبتدأ.

وأمّا مَن قرأ ﴿يَطَّوَّعْ﴾ بـ"الياء" والجزم فتقديره "يتطوَّع"، إلّا أنّه أُدغِم "الياء" في "الطاء". وهذا حَسَن؛ لأنّ المعنى على الاستقبال، والشرطُ والجزاء الأحسنُ فيهما الاستقبالُ، ليكون اللفظ موافقَ المعنى.[2]

قوله: (وفي قراءة عبد الله: "وَمَن يَتطَوَّعْ بِخيرٍ")[3] هي شاذّة.[4]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾... إلخ.

قوله: (مِن أحبار اليهود) بيانُ الدِّين واللعن في اللغة الإبعادُ، وفي الشرع الإبعادُ مِن الثواب.

---

[1] ن: بعدها.

[2] انظر: الحجّة للفارسي، ٢/٢٤٥.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٧٩.

[4] ر: شاذّ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾

﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ ما أفسدوا من أحوالهم، وتداركوا ما فَرَط منهم.

﴿وَبَيَّنُواْ﴾ ما بيّنه الله تعالى في كتابهم فكتموه، أو بيّنوا للناس ما أحدَثوه من توبتهم؛

---

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾. اعلم أنّه تعالى لمّا بيّن عظيمَ الوعيد في الذين يكتمون ما أنزل الله كان يجوز أن يُتوهَّم أنّ الوعيد[1] يلحقهم على كلّ حال، فبيَّن أنّهم إذا تابوا تغيّر حكمهم ودخلوا في أهل الوعد، وقد ذكرنا أنّ التوبة عبارةٌ عن الندم على فعل القبيح لقبحه لا لغرض آخرَ، لأنّ[2] مَن ترك ردّ الوديعة ثمّ نَدِم عليه لأنّ الناس ذمُّوه أو لأنّ الحاكم ردَّ شهادته لم يكن تائبًا، وكذا لو عَزَم على ردّ كلّ وديعة والقيام بكلّ واجب لكي تُقبل شهادته أو يُمدَح بالثناء عليه لم يكن تائبًا، وهذا معنى الإخلاص في التوبة.

ثمّ بيَّن تعالى أنّه لا بدّ له بعد التوبة مِن إصلاح[3] ما أفسده ممّا يتعلّق به كأحواله، وهو الذي أورده المصنِّف، وممّا أفسد على غيره، مثلًا لو أفسد على غيره دينَه بإيراد شبهة عليه يلزمه[4] إزالةُ تلك الشُبهة.

ثمّ بيّن تعالى ثالثًا أنّه بعد ذلك يجب عليه فِعلُ ضدِّ الكتمان، وهو البيان، وهو المراد بقوله: ﴿وَبَيَّنُواْ﴾.[5]

وفسّره المصنِّف بوجهين: **الأوّل** أن بيَّنوا ما كتموه ممّا بيَّنه الله تعالى في كتابهم، فقوله: **(فكتموه)** عطفٌ على قوله: **(بيَّنه)**، **والثاني** أن يُبيِّنوا للناس أنّهم تابوا مِن كتمانهم. ثمّ ذَكَر المصنِّف للوجه الثاني فائدتين:[6] **الأولى** أن تزول عنهم سِمَة الكفر ويشتهروا بالإيمان، **والثانية**[7] أن يَقتديَ بهم غيرُهم مِن المفسدين فيتوبوا ويُصلِحوا.

---

١ ن ر – في الذين يكتمون ما أنزل الله كان يجوز أن يُتوهَّم أنّ الوعيد.

٢ ن: لا؛ ر – لأنّ.

٣ ن ر: إخلاص.

٤ ر: يلزم.

٥ مِن قوله "اعلم أنّه تعالى لمّا بيّن عظيمَ الوعيد" إلى هنا في تفسير الرازي، ١٤٢/٤ (البقرة، ١٦٠/٢).

٦ ن ر – للناس أنّهم تابوا مِن كتمانهم. ثمّ ذَكَر المصنِّف للوجه الثاني فائدتين.

٧ ن ر: فائدتين.

ليَمْحوا سِمَةَ الكفر عنهم، ويُعرَفوا بضدِّ ما كانوا يُعْرَفون به، ويقتَدِيَ بهم غيرُهم من المفسِدين.

**﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا. ذَكر لَعْنتَهم أحياءً ثم لَعْنتَهم أمواتًا.

وقرأ الحسن: "والملائكةُ والناسُ أجمعون" بالرفع عطفًا على محلِّ اسم الله؛ لأنه فاعلٌ في التقدير؛ كقولك: عجبتُ من ضربِ زيدٍ وعمرٌو، تريد: من أنْ ضرَبَ زيدٌ وعمرٌو؛ كأنه قيل: أولئك عليهم أنْ لعَنَهم اللهُ والملائكةُ.

**فإنْ قلتَ**: ما معنى قوله: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وفي الناسِ المسلمُ والكافر؟

**قلتُ**: أراد بالناس مَن يُعتَدُّ بلَعْنه وهم المؤمنون، وقيل: يوم القيامة يلعنُ بعضُهم بعضًا.

---

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾... إلخ.

قوله: **(وقرأ الحسن: "المَلَائِكَةُ"[١] بالرفع) شاذّة.**

قوله: **(ما معنى قوله: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾)** تقرير السؤال أن يقال: كيف يلعنه جميع الناس والكفّار الذين مِن دينه بعضُ الناسِ وهم لا يلعنونه؟ وأيضًا الكافر لا يلعن نفسه.

والجواب مِن وجوه: **الأوّل** أنّ المراد مَن[٢] يُعتدّ بلعنه ولا يعتدُّ بلَعْن الكافر؛ لأنّ لعن الكفّار[٣] لا أثرَ له، ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ [الرعد ١٣/١٤]. **والثاني** أنّ أهل دينه يلعنونه في الآخرة،[٤] قال تعالى: ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٨.

[٢] ن ر – مَن.

[٣] ن: الكافر. | هامش ن: الكفّار. خ [اختصارًا مِن "نسخة"].

[٤] ر: الآخر.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ۝١٦٢﴾

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: في اللعنة، وقيل: في النَّار، إلَّا أنها أُضمرت تفخيمًا لشأنها وتَهْويلًا.

﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ من الإنظار؛ أي: لا يُمْهَلُون ولا يُؤَجَّلون، أو: لا يُنتظَرون ليَعْتَذِروا، أو: لا يُنْظَر إليهم نَظَرَ رحمةٍ.

---

[العنكبوت ٢٥/٢٩]. والثالث قال قتادةُ والربيع: أراد بـ﴿ٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ المؤمنين، كأنّه لم يعتدّ بغيرهم وحكم بأنّ المؤمنين هم[1] الناس لا غيرُ.[2] والرابع أنّ كلّ أحدٍ يلعن الجاحد والظالم؛ لأنّ قُبح ذلك مقرَّر في العقول، وإذا كان هو في نفسه[3] جاحدًا ظالمًا وإن كان هو لا يعلم مِن نفسه كونه كذلك لعنُه[4] على الظالم والجاحد يتناول نفسَه، عن السُّدّيّ. والخامس أن يُحمَل وقوعه على استحقاق اللعن وحينئذٍ يعُمّ ذلك.

[١٩٣ظ] / والعامل في ﴿خَٰلِدِينَ﴾ الظرف، أي: ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾؛ لأنّ فيه معنى الاستقرار، وهو حال مِن "هم" في ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾.[5]

قوله: (وتهويلًا)، أي: تعظيمًا كما في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر ١/٩٧]. قال الإمام: والأَولى عَود الضمير إلى اللعنة؛[6] لأنّ الضمير إذا وُجد له مذكورٌ سابق فرَدُّه إليه أَولى مِن ردّه[7] إلى ما لم يُذكر.[8]

وذكر المصنِّف لقوله تعالى: ﴿يُنظَرُونَ﴾ ثلاثةَ معانٍ: الأوّل أنّ الإنظار بمعنى التأجيل والتأخير قال الله[9] تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٍ﴾ [البقرة ٢٨٠/٢]، والمعنى أنّ عذابهم لا يُؤجَّل؛ بل يكون حاضرًا متّصلًا بعذاب مثلِه. والثاني أنّ[10] الإنظار[11]

---

١ ر – هم.
٢ انظر: جامع البيان للطبري، ٧٤١/٢ (البقرة، ١٦١/٢).
٣ ر: تفسير.
٤ كذا في د ن، والصواب بالفاء.
٥ مِن قوله "والجواب مِن وجوه: الأوّل أنّ المراد" إلى هنا في تفسير الرازي، ١٤٣/٤ (البقرة، ١٦١/٢-١٦٢).
٦ ن: الكعبة.
٧ ر + إليه.
٨ انظر: تفسير الرازي، ١٤٤/٤ (البقرة، ١٦٢/٢).
٩ ن ر – الله.
١٠ ن ر – أنّ.
١١ ر: الانتظار.

**﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾**

**﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ فردٌ في الإلهيَّة لا شريكَ له فيها، ولا يصحُّ أن يسمَّى غيرُه إلهًا.**

---

بمعنى الانتظار، قال تعالى: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد ١٣/٥٧]. **والثالث** أنّه[1] مِن النظر، فالأصل "لا يُنظَر إليهم"، ثمّ حُذف الجارّ وأوصِل[2] الفعل، فصار "لا يُنظَرون". والمرادُ نظرُ الرحمة.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾.

قال أبو عليّ:

> قولهم:[3] "واحد"[4] اسم جرى[5] على وجهين في كلامهم: **أحدُهما** أن يكون اسمًا، **والآخرُ** أن يكون وصفًا. فالاسمُ الذي ليس بصفة قولهم: "واحد" في العدد، نحو "واحد اثنان ثلاثة"، فهذا اسمٌ ليس بصفة، كما أنّ سائر أسماءِ العدد كذلك؛ وأمّا كونه صفةً فنحو قولك: "مررتُ[6] برجل واحد" و"هذا شيء واحدٌ".[7]

فإذا جرى هذا الاسم على الحقِّ سبحانه وتعالى جاز أن يكون الذي هو الوصف كـ"العالِم" و"القادر"، وجاز أن يكون الذي هو الاسم، كقولنا: "شيءٌ". ويقوِّي الأوّل قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

قوله: (**فردٌ في الإلهيّة**)، أي: معنى قوله: ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أنّه واحد[8] في **الإلهيّة**؛ لأنّ ورود لفظ الواحد بعد لفظ الإله يدلُّ على أنّ تلك الوَحدة[9] معتبرة في الإلهيّة لا في غيرها، فهو بمنزلة[10] وصفهم الرجل بأنّه سيّد واحد وبأنّه عالم واحد.[11]

---

١ د – أنّه.

٢ ر: وأصل.

٣ ن – قولهم.

٤ ر – قولهم: واحد.

٥ ر: يجري.

٦ ر: من ربّ.

٧ انظر: **الحجّة** للفارسي، ٤٥٨/٦ (الإخلاص، ١/١١٤).

٨ ر – أنّه واحد.

٩ ر: الواحدة.

١٠ ن ر: غير.

١١ انظر: **تفسير الرازي**، ١٤٩/٤ (البقرة، ١٦٣/٢).

و﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تقريرٌ للوحدانيّة بنفي غيره وإثباته.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: المُولي لجميع النِّعم أصولِها وفروعها، ولا شيءَ سواه بهذه الصِّفة، فإنَّ كلَّ ما سواه إمَّا نعمةٌ وإمَّا مُنْعَمٌ عليه.

وقيل: كان للمشركين حولَ الكعبة ثلاثُ مئةٍ وستُّونَ صَنمًا، فلمَّا سمعوا بهذه الآية تعجَّبوا وقالوا: إنْ كنتَ صادقًا فائتِ بآيةٍ نَعْرِفُ بها صدقَك، فنَزلت.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

---

قوله: (﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) تقرير للوحدانيّة، يعني: لمّا قال:[١] ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أمكن أن يخطر ببال أحد أن يقول: هَبْ أنّ إلهنا واحدٌ فلعلّ إلهَ غيرنا مغايرٌ لإلهنا، فلا جرمَ أزال هذا الوهمَ ببيان التوحيد المطلق فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وذلك لأنّ قولنا: "لا رجلَ" يقتضي نفيَ هذه الماهيّة، ومتى انتفت الماهيّة انتفى جميع أفرادها، إذ لو حصل فرد مِن أفراد تلك الماهيّة لحصل الماهيّة، فثبت أنّ قولنا: "لا رجلَ" يُفيد النفيَ العامّ الشامل، فإذا قيل: "إلّا زيد"[٢] أفاد التوحيدَ التامَّ المحقَّق.[٣]

رُوِيَ عن النبيّ عليه السلام أنّه قال في هاتين الآيتين: «اسمُ الله الأعظم ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ و﴿الٓمٓ ۞ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران ٣/١-٢]».[٤]

قوله: (**أصولِها**) يدلُّ عليه ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾. (**وفروعِها**) يعني ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾.

---

١ ن ر – قال.

٢ ن: زيدًا.

٣ مِن قوله "لمّا قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أمكن أن يخطر" إلى هنا في تفسير الرازي، ١٤٩/٤ (البقرة، ١٦٣/٢).

٤ بلفظ قريب في مسند أحمد، ٥٨٤/٤٥ (٢٧٦١١)؛ وسنن أبي داود، ٦١٣/٢ (١٤٣٦)؛ وسنن الترمذي، ٥١٧/٥ (٣٤٧٨).

..........................................................

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾... إلخ.

قال الإمام: «اعلم أنّه[١] تعالى لمّا حَكَم بالفردانيّة والوحدانيّة ذَكَر ثمانية أنواع مِن الدلائل التي يمكن أن يُستدلّ بها[٢] على وجوده سبحانه وتعالى أوّلًا وعلى توحيده وبراءته مِن الأضداد ثانيًا».[٣] ثمّ قال:[٤] «ذَكَر ابن جرير في سبب نزول هذه الآية عن عطاء: أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٥] عند قدومه[٦] المدينة نزل عليه ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، فقال كفّار قريش بمكّة: كيف يسَع الناس إلهٌ[٧] واحد، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾».[٨]

النوع **الأوّل** مِن الدلائل المذكورة هنا خلقُ السماوات. قال المفسّرون: جمع "السماوات"[٩] لأنّها أجناس مختلفةٌ، كلُّ سماء مِن جنس غيرِ الأخرى، ووحّد "الأرض" لأنّها كلّها تراب. / ويدلُّ على اختلاف أجناس الأفلاك ما قال [١٩٤و]
أهل الرَّصد: مِن ظلمة القمر وهو في الفَلَك **الأوّل**، وصفرةِ عُطارد وهو في الفَلَك **الثاني**، وبياضِ الزُّهَرة وهو في الفَلَك **الثالث**، وضوءِ الشمس وهو في الفَلَك **الرابع**، وحُمرةِ المريخ وهو في الفَلَك **الخامس**، ودُريّة المُشتري وهو في الفَلَك **السادس**، وكُمودة الزُّحل[١٠] وهو في الفَلَك **السابع**، وإنّ الكواكب الثابتةَ هي في الفَلَك **الثامن**، وإنّ الفَلَك **التاسع** وهو الفَلَك الأعظم والعرش المجيد ليس فيه شيء مِن الكواكب.

فالله تعالى أقام البراهين الظاهرة والدلائل القاطعة على إلهيّته[١١] ووحدانيّته وعِلمه وحكمته وقدرته، وذلك بأن رَفَع السماء وأعلى سَمْكها،

---

١ ر: أنّ الله.

٢ ن: به.

٣ **تفسير الرازي**، ١٥٢/٤ (البقرة، ١٦٤/٢).

٤ **في هامش د**: إمام.

٥ د: عليه السلام.

٦ ن: قدوم.

٧ ن ر: وكلّ.

٨ **تفسير الرازي**، ١٥٢/٤ (البقرة، ١٦٤/٢). وانظر: **جامع البيان للطبري**، ٥/٣ (البقرة، ١٦٤/٢).

٩ ن ر – قال المفسّرون: جمع السماوات.

١٠ ن: زحل. خ [اختصارًا مِن "نسخة"].

١١ ن ر: الإلهيّة.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: واعتِقابهما؛ لأن كلَّ واحدٍ منهما يَعقُب الآخر؛ كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان ٦٢/٢٥].

﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: بالذي ينفعهم ممّا يُحمَل فيها أو يَنفع الناس.

---

ولولاه لاختنق الحيوان بالغبار والدخانِ، وجَعَلها سقفًا محفوظًا مِن الآفات[١] والانهدام[٢] إلى قيام الساعة، وزيّنها بالأضواء والمصابيح، وجَعَلها متحرّكة وحرّك فيها النجومَ والكواكبَ والشمس والقمر، وجَعَل لها مشارقَ ومغاربَ، فاختصاصُها[٣] بهذه الأعراض دلّ على حدوثها، وحدوثها دلّ على أنّ لها مُحدِثًا، فإنّ هذا الترتيبَ العجيب في تركيب هذه الأفلاك وائتلافِ حركاتها، أتُرى أنّه يحصل مِن غير فاعل أوجَدَه ومُحدِث أحدَثَه، فإنّه مستحيل عقلًا، فثَبَت أنّه لا بدّ مِن صانع.

**الثاني** مِن الدلائل المذكورة هنا خلقُ الأرض ذات الطّول والعرض، المحتوية على البِساط[٤] العريضة والجبالِ الشاهقة والفجاجِ الضيقة والواسعة[٥] والمَخارم[٦] المَهيبةِ والبحارِ الطامية، وفيها أصنافُ المعادن العجيبةِ، فلا يخلو جزءٌ مِن أجزائها مِن أن يكون مَعدِنًا لنوع مِن الأنواع، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ [الرعد ٤/١٣]، وجميعُ ذلك مِن التراب.

قوله: (﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾) حكايةُ لفظِ القرآن.

قوله: **(واعتِقابِهما)** تفسيرُه. وهذا هو **الثالث** مِن الدلائل.

النوع **الرابع** مِن الدلائل قوله تعالى: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾. و"الفلك" يكون واحدًا وجمعًا، فإذا أُريد به الواحد ذُكِّر، قال تعالى: ﴿فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء ١١٩/٢٦]، وإذا أُريد به الجمع أُنِّث كالتي في هذه الآية. و﴿مَا﴾ يجوز أن تكون موصولة، أي: بالذي ينفعهم مِن ركوبها

---

[١] ن ر – الآفات.

[٢] ن ر: الانهدام.

[٣] ن: فاختصاص.

[٤] ن ر: البسائط.

[٥] ر – والواسعة.

[٦] ن: المخازم. | هامش ن: المخازن. خ [اختصارًا مِن "نسخة"].

**فإنْ قلتَ:** قوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ عطفٌ على ﴿أَنزَلَ﴾ أم ﴿أَحْيا﴾؟

**قلتُ:** الظاهر أنّه عطفٌ على ﴿أَنزَلَ﴾ داخلٌ تحت حُكم الصِّلة؛ لأنَّ قوله: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ عطفٌ على ﴿أَنزَلَ﴾، فاتَّصل به وصارا جميعًا كالشيء الواحد، فكأنّه قيل: وما أَنزل في الأرضِ مِن ماءٍ وبَثَّ فيها من كلِّ دابَّةٍ.

---

والحملِ فيها للتجارات، فهي تنفع الحامل لأنّه يربح والمحمول إليه[1] لأنّه ينتفع بما حُمل إليه، ويجوز أن تكون مصدريّة، أي: بنَفْع[2] الناس، والدلالة التي فيها تسخيرُ الله تعالى إيّاها حتّى يُجريَها على وجه الماء، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [إبراهيم ٣٢/١٤]. وقرئ في الشواذ "والفُلُكَ"[3] بضمّتين.

النوع **الخامس** مِن الدلائل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ يعني المطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾، أي: بذلك الماء ﴿ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، أراد بموت الأرض جدوبتَها ويبوستها، فسمّاها موتًا مجازًا، وذلك لأنّ الأرض إذا لم يصبها مطرٌ لم تُنبِت نباتًا، فكان مِن هذا الوجه كالميّت، وإذا أصابها المطر أنبتت فصارت كالحيّ، والدلالةُ فيه تكوين النباتِ مِن الماء والتراب وامتزاجهما.

النوع **السادس** مِن الدلائل قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ والبثّ: النشر والتفريق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء ١/٤].

قوله: (**الظاهرُ أنّه عطف على** ﴿أَنزَلَ﴾) يريد أنّ قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ﴾ عطف على ﴿أَنزَلَ﴾، ليكون صلة أخرى ولا يكون جزء صلة، وليس عطفًا على ﴿أَحْيَا﴾؛ لأنّ قوله تعالى:[4] ﴿أَحْيَا﴾ مسبَّب عن قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ﴾، فهما آية واحدة، وأمّا قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا/ مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ فهي مشتملة على دلالة [١٩٤ظ]
عظيمة، فجَعْلُه آيةً أخرى دالّةً على الوحدانيّة مستقلّة في هذه الدلالة أولى مِن جَعْله جزءَ الدليل، فيكون عطفًا على ﴿أَنزَلَ﴾، فلذا قال: "وهو الظاهر"، ثمّ قال:

---

[1] د - إليه.

[2] ن: لنفع.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن عيسى بن عمر وزيد بن عليّ. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٨؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٨٠.

[4] د - تعالى.

**ويجوزُ عطفُه على ﴿أحيا﴾ على معنى: فأحيا بالمطر الأرضَ وبَثَّ فيها من كلِّ دابةٍ؛ لأنّهم يَنْمُون بالخِصْب ويعيشون بالحَيَا.**

**﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ في مَهابِّها: قبولًا ودَبُورًا وجَنوبًا وشِمالًا، وفي أحوالها: حارّةً وباردةً وعاصفةً ولَيِّنَة، وعُقُمًا ولواقِحَ.**

---

(**ويجوز أن يكون عطفًا على قوله: ﴿أَحْيَا﴾**)، فكما أنّ ﴿أَحْيَا﴾ مسبَّب عن إنزال المطر فكذا يكون ﴿بَثَّ﴾، فلذا أتى بالضمير في قوله: ﴿بِهِ﴾، فيكون إنزال المطر وإحياءُ الأرض بالمطر وبثُّ الدابّة بسبب المطر دليلًا واحدًا دالًّا على القدرة،[١] ولكنّ الظاهر الأوّل، لِما عرفتَ.

والسابع مِن الدلائل قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾، أي: تقليبها في مهابّها، أي: مواضع[٢] هبوبها، والرِّياح بهذا الاعتبار خمسٌ: **الأوّل** الصَّبا وهي التي تجيء مِن جانب المشرق، ويسمّى قَبولًا لأنّه يهبُّ على وجه الكعبة، **والثاني** الدَّبور وهي التي تجيء مِن جانب المَغرِب تهبّ على خلف الكعبة، **والثالث** الشَّمال تجيء مِن جانب القطب مِن يسار مَن يكون متوجِّهَ المَشرِق، ويسمّى هذا الجانب شَمالًا، **والرابع** الجَنوب وهي التي تجيء[٣] مقابلَ القطب مِن[٤] يمين مَن يكون متوجِّهَ المَشرِق، ويسمّى هذا الجانب جنوبًا، **والخامس** النكباء، وهو كلُّ ريح تجيء مِن بين ريحين مِن هذه الرياح.

قوله: (**وفي أحوالها**) عطف على قوله: (**في مهابّها**).

النوع **الثامن** مِن الدلائل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ والمُسخَّر: المذلَّل المُطيع لله تعالى،[٥] فالدلالة فيه أنّ[٦] يقبل الماءَ الكثير، فإمساكُه بين السماء والأرض دليلٌ على القدرة الكاملة، وإجراؤه إلى الأرض الجُرُز العطشى يدلُّ على الرحمة الواسعة والحكمةِ البالغة، وإنزالُ الماء منه متقاطرًا يدلُّ على اللطف والرِّفق.

---

١ ن: المقدرة.
٢ ن ر: موضع.
٣ ر + مِن.
٤ ر: عن.
٥ د ر – تعالى.
٦ ر: أنّه.

وقيل: تارةً بالرَّحمة وتارةً بالعذاب.

﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ للرِّياح تُقلِّبُه في الجَوِّ بمشيئة الله يمطر حيث شاء.

﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: ينظرون بعيونِ عقولهم ويعتبِرون بها؛ لأنها دلائلُ على عظيم القدرة وباهر الحكمة، وعن النبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وَيْلٌ لمن قرأ هذه الآية فمجَّ بها»؛ أي: لم يتفكَّر فيها ولم يَعتبر بها.

وقرئ: "والفُلُكِ" بضمتين، و: ﴿تصريفِ الرِّيح﴾ على الإفراد.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿أَندَادًا﴾: أمثالًا من الأصنام.

---

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾... إلخ.

قال الإمام: «اعلم أنّه تعالى لمّا قرَّر التوحيد بالدلائل القاهرة[١] القاطعة أردف ذلك بتقبيح ما يُضادُّ التوحيد؛ لأنّ تقبيح ضدّ[٢] الشيء ممّا يؤكِّد حُسنَ الشيء. قال الشاعر:

وبضدِّها تتبيَّن الأشياءُ»[٣]

واختلف العلماء في قوله: ﴿أَندَادًا﴾: فقال بعضهم: المراد الأوثان التي اتخذوها آلهةً لتُقرِّبهم إلى الله تعالى، ورجَوا مِن عندها النفعَ والضرَّ، وهو قول أكثر المفسّرين، فعلى هذا الأصنامُ أنداد بعضُها لبعض، أي: أمثال ليس أنّها أنداد لله تعالى، أو المعنى أنّها أنداد لله تعالى[٤] بحسب ظنونهم الفاسدة. وقال بعضهم: الأنداد هي السادة الذين كانوا يطيعونهم، عن السُّدّيّ،[٥] والقائلون بهذا القول

---

١ د: الباهرة. خ [اختصارًا مِن "نسخة"].
٢ ر: ما يضادّ.
٣ تفسير الرازي، ١٧٤/٤ (البقرة، ١٦٥/٢). والشعر عجز بيت لأبي الطيّب المتنبي، وهو في ديوانه، ص ١١٧، وأوّله:
ونَذيمهم وبهم عرفنا فضلَه
٤ د ر - تعالى.
٥ انظر: جامع البيان للطبري، ١٨/٣ (البقرة، ١٦٥/٢).

**وقيل: من الرؤساء الذين كانوا يتّبعُونهم ويُطِيعونهم وينزلون على أوامرهم ونواهيهم، واستُدلَّ بقوله: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾.**

**ومعنى ﴿يُحِبُّونَهُمۡ﴾: يُعظِّمونهم ويَخضعون لهم تعظيمَ المحبوب.**

**﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾: كتعظيم الله والخضوعِ له؛ أي: كما يُحَبُّ الله تعالى، على أنه مصدرٌ من المبنيّ للمفعول، وإنما استُغنِي عن ذكرِ مَن يحبُّه لأنه غيرُ مُلتبِس.**

**وقيل: كحبِّهم اللهَ؛ أي: يُسوُّونَ بينه وبينهم في محبّتهم؛ لأنّهم كانوا يُقرُّون بالله**

---

استدلُّوا على أنّ المراد بالأنداد الرؤساء بأنّ الله تعالى ذَكَر بعد[1] هذه الآية: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾، وذلك لا يليق إلّا بمَن اتَّخذ الرِّجال أندادًا وأمثالًا لله تعالى، يلتزمون تعظيمهم والانقياد لهم ما يلتزمه المؤمنون مِن الانقياد لله تعالى.[2]

قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾.

اختلفوا في قوله تعالى: ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ على ثلاثة أقوال: القول الأوّل كالحبِّ اللازم على الخَلْق لله تعالى، وهو الذي عبَّر المصنِّف عنه بقوله: **(كما يحبُّ الله)**، القول الثاني كحبِّهم الله تعالى،[3] وعلى هذا يكون المصدر مِن الفعل المبنيّ للفاعل، حُذف الفاعل وأضيفَ المصدرُ إلى المفعول، والثالث ولم يذكره المصنِّف، كحبِّ المؤمنين.[4]

[١٩٥و] وإنّما وقع هذا الاختلافُ / مِن حيث إنّهم اختلفوا في أنّهم هل كانوا يعرفون الله أم لا: فمَن قال: "كانوا يعرفونه مع اتّخاذهم الأنداد" يُئوِّله على أنّ المراد "كحبِّهم الله"، وإليه أشار المصنِّف بقوله: **(لأنّهم)**، أي: المشركين كانوا يقرّون بالله تعالى[5] ويتقرَّبون إليه، ثمّ استشهد على أنّهم يعرفون الله تعالى

---

[1] د - بعد.

[2] مِن قوله "واختلف العلماء في قوله: ﴿أَندَادٗا﴾" إلى هنا في تفسير الرازي، ٤/١٧٤-١٧٥ (البقرة، ٢/١٦٥).

[3] د ر - تعالى.

[4] ذكره الإمام الرازيُّ في تفسيره، ٤/١٧٥ (البقرة، ٢/١٦٥).

[5] د ر - تعالى.

ويتقرَّبون إليه: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت ٦٥/٢٩].

﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ لأنهم لا يَعْدِلون عنه إلى غيرِه، بخلافِ المشركين فإنهم يَعْدِلون عن أندادهم إلى الله عندَ الشدائد فيَفزعون إليه ويَخضعون له، ويجعلونهم وسائطَ بينهم وبينه فيقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس ١٨/١٠] ويعبدون الصنم زمانًا ثم يَرفضونه إلى غيره، أو يأكلونه كما أكلت باهِلَةُ إلَهَها من حَيْسٍ عامَ المجَاعَة.

---

بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت ٦٥/٢٩]. ومَن قال: إنّهم ما كانوا عارفين بربهم حَمَل الآية على أحد الوجهين الباقيين، أي: كالحبِّ اللازم على الخَلْق لله، أو كحبِّ المؤمنين لله تعالى.[١]

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾. اعلم أنّ الأمّة اتّفقت على إطلاق هذه اللفظةِ، وهي أنّ العبد قد يُحبّ الله تعالى، والقرآنُ ناطق به كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة ٥٤/٥]. لكن اختلفوا في معناها: فقال جمهور المتكلِّمين: المحبّةُ نوع مِن أنواع الإرادةِ، والإرادةُ لا تعلَّقَ له[٢] إلّا بالجائزات، أي: بما يجوز أن يقع ويجوز ألّا يقع فيستحيل تعلُّق المحبّة بذات الله تعالى وصفاته، فإذا قلنا: "نحبُّ الله" فمعناه "نحبُّ طاعةَ الله وخدمتَه" أو "نحبُّ ثوابَه وإحسانَه".[٣]

وأمّا بيان أنّ الذين آمنوا فهم أشدّ حبًّا لله فالمتكلِّمون قالوا: إنّ حبّهم لله يكون مِن وجهين: أحدُهما أنّ ما يصدر عنهم مِن التعظيم والثناء[٤] والمدح والعبادةِ خالصةً عن الشِّرك وعمّا لا ينبغي مِن الاعتقاد، ومحبّةُ غيرهم ليست كذلك، فإنّ المشركين[٥] قد يَعدِلون عنه، كما ذَكَر المصنِّف. و(باهلة)[٦] قبيلةٌ جعلوا صورة مِن حَيْس،

---

[١] د ر – تعالى. | وأكثر الكلام في تفسير الرازي، ١٧٥/٤ (البقرة، ١٦٥/٢).

[٢] ر: لها.

[٣] مِن قوله "اعلم أنّ الأمّة اتّفقت" إلى هنا في تفسير الرازي، ١٧٦/٤ (البقرة، ١٦٥/٢).

[٤] ر: البناء.

[٥] ر: المشركون.

[٦] ر: باها.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ إشارةٌ إلى متَّخذِي الأنداد؛ أي: ولو يعلمُ هؤلاء الذين ارتكبوا الظُلمَ العظيمَ بشركهم أن القدرة كلَّها لله تعالى على كلِّ شيء من العقاب والثواب دون أندادهم، ويعلمون شدَّةَ عقابه للظالمين إذا عايَنُوا العذابَ يوم القيامة،

---

وهو: طعام مِن تمر وسمن وأَقِط،[1] ثمّ[2] أكلوه عامَ القحطِ. **والثاني** أنّ حبَّهم لله اقترن به الرجاء للثواب والرغبة في عِظَم[3] منزلته والخوفِ مِن العقاب والأخذِ في طريق التخلّصِ منه، ومَن يعبد الله ويعظِّمه في هذا الحدِّ تكون محبّته لله أشدّ.[4]

قولـه تعالـى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾.

قال في **الحجّة**:

> قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائيّ: ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ بالياء غَيبةً، وقرأ نافع وابن عامر بـ"التاء" خطابًا. و﴿يَرَى﴾ مِن رؤية العين لتعدّيه إلى مفعول واحد، تقديره: ولو يَرَون أنّ القوة لله جميعًا. فإن قيل: لِمَ لا يكون المتعدِّية إلى مفعولين وقد سدَّت "أن" مسدَّهما. قلنا: الدليل على أنّها المتعدِّية إلى مفعول واحد قراءةُ مَن قرأ بـ"التاء" خطابًا، فإنّه[5] فيه متعدٍّ إلى مفعول واحد ولا يسدُّ مسدَّ مفعولين.[6]

وسيتحقَّق زيادةَ تحقيق إن شاء الله تعالى.

وقول المصنِّف (ولو يعلم هؤلاء)... إلخ، يُوهِم أنّ المراد بالرؤية هي المتعدِّية إلى المفعولين، لكنّ مراده ما ذكرناه، يدلُّ عليه قوله بعد ذلك: (ويعلمون شدَّةَ عقابه)، فقد علَّق قوله: "يعلمون" بقوله: "شدَّةَ عقابه" فجعله متعدِّيًا إلى مفعول واحد، فيكون مرادُه مِن العلم هو عِلمٌ[7] بمعنى المعرفة، وهو مثلُ رؤية البصرِ في التعدية إلى مفعول واحد.

---

[1] انظر: **الصحاح** للجوهري، «حيس».
[2] ر - ثمّ.
[3] ر: عظيم.
[4] أكثر الكلام في تفسير الرازي، ١٧٨/٤ (البقرة، ١٦٥/٢).
[5] ن: فإنّ.
[6] انظر: **الحجّة** للفارسي، ٢٥٨/٢-٢٥٩.
[7] ن ر - هو علم.

لكان منهم ما لا يَدخل تحتَ الوصف من النَّدم والحَسْرَة ووقوعِ العلم بظلمهم وضلالهم، فحُذف الجوابُ كما في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ﴾ [الأنعام ٢٧/٦]، وقولِهم: لو رأيتَ فلانًا والسِّياطُ تأخذُه.

وقرئ: ﴿ولو تَرَى﴾ بالتاء على خطاب الرسول أو كلِّ مخاطَبٍ؛ أي: ولو تَرى ذلك لرأيتَ أمرًا عظيمًا.

---

قوله: **(فحُذف الجواب)**، أي: جواب ﴿لَوْ﴾، يعني على القراءة بـ"الياء" غَيبة،[1] فيكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فاعلَ ﴿يَرَى﴾، و﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾ مفعولَه، وجوابُ ﴿لَوْ﴾ محذوفًا. قالوا: وهذا الجواب أفخَمُ وأعظَمُ؛ لأنّه على هذا التقدير يذهب خاطِر المخاطَب إلى كلّ ضرب مِن الوعيد، فيكون الخوف على هذا التقدير أشدَّ ممّا[2] إذا كان أُعلِن له ذلك الوعيد، ولأنّه إذا ذُكر له ضربٌ منه لم يكن مثلَ أنّ يُبهَم عليه لِما[3] / يمكن مِن توطينه نفسَه على ذلك المذكور وتخفيفِه[4] [١٩٥ظ] عليه، وأمّا مَن وطَّن نفسه على شيء لم يَصْعُب عليه صعوبتَه على مَن لم يوطِّن عليه نفسَه.[5]

وأمّا حجّة مَن قرأ: ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ بـ"الياء" غيبةً فلأنّ المتوعَّدين لم يعلموا قَدْرَ ما يُشاهدون ويُعاينون مِن العذاب كما عَلِمه النبيُّ عليه السلام والمسلمون، فالفعل ينبغي أن يكون مُسندًا إليهم في قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾. ومِن حجّتهم أنّ المتقدّم على قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى﴾[6] غَيبةً، هو قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾،[7] فينبغي أن يكون المعطوف عليه مثلَه، وأيضًا هو أشبه بما بعده وهو قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾.[8]

---

[1] قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم وخلف وابن جمّاز، وابن وردان بخلاف عنه. النشر لابن الجزري، ٢٢٤/٢.

[2] ر + كان.

[3] ر: ممّا.

[4] ن ر: وتحقيقه.

[5] ن ر – على شيء لم يَصْعُب عليه صعوبتَه على مَن لم يوطِّن عليه نفسَه.

[6] ر – ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾. ومِن حجّتهم أنّ المتقدّم على قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى﴾.

[7] ن ر + أنّه إذا.

[8] البقرة، ١٦٧/٢.

..............................................................

وأمّا مِن[١] حجّة مَن قرأ ﴿تَرَىٰ﴾ خطابًا[٢] فكثرةُ ما جاء مِن هذا القبيل خطابًا، كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [السجدة ١٢/٣٢]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ﴾ [الأنعام ٢٧/٦]. وفيه وجهان:

**الأوّل** أن يكون الخطاب للنبيّ عليه السلام ولم يَقصِد النبيّ عليه السلام بالمخاطَبة، ولكن في قصده بالمخاطَبة تنبيهٌ لغيره، فإنّه قد يُخاطِب النبيّ ويكون خطابه خطابًا للكافّة، كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق ١/٦٥]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ [الأنفال ٧٠/٨]، وعلى هذا جاء: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة ١٠٦/٢]، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة ١٠٧/٢].[٣]

والوجه **الثاني** ألّا يكون هذا خطابًا للنبيّ عليه السلام؛ بل يكون خطابًا لكلّ مَن يصلح أن يكون مخاطَبًا كما ذكرنا مِن أنّه قد يَرِد الخطاب ولا يراد به مخاطَب معيَّن، كقولك: "فلانٌ لئيم إن أكرمتَه أهانك وإن أحسنتَ إليه أساء إليك"، فلا تُريد مخاطَبًا بعينه، كأنّك قلتَ: "إن أُكرِم أو أُحسِن إليه" قصدًا إلى أنّ[٤] سوء معاملته[٥] لا تختصّ واحدًا دون واحد. وإنّه في **القرآن** كثير، يُحمل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ﴾ [السجدة ١٢/٣٢] إشارةً إلى أن تفظيع حال المجرمين بلغت مِن الظهور إلى حيث يمتنع خفاؤها البتّة، فلا تختصّ رؤية راءٍ دون راءٍ.[٦]

ثمّ اعلم أنّه على القراءة بـ"التاء" خطابًا يكون ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ مفعول ﴿تَرَىٰ﴾، فلا يخلو مِن أن يُجعَل ﴿تَرَىٰ﴾ مِن رؤية العين أو المتعدّية إلى مفعولين، فإن جعلتَها مِن رؤية البصر لم يَجُز أن تتعدى إلى "أنْ"؛ لأنّها قد استوفَتْ مفعولها

---

١ ر – مِن.

٢ قرأ بها نافع وابن عامر ويعقوب، وابن وردان بخلاف عنه. النشر لابن الجزري، ٢٢٤/٢.

٣ من قوله: "وهذا الجواب أفخم" إلى هنا بلفظ قريب في **الحجّة** للفارسي، ٢٦١/٢-٢٦٢.

٤ ن – أنّ.

٥ ن ر + كأنّك قلتَ.

٦ انظر: **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٢٧١.

..........................................................................

الذي تقتضيه وهو ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾، ولا يجوز أن تكون بدلًا مِن المفعول؛ لأنّها ليست ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ ولا بعضَهم ولا مشتملًا عليهم. ولا يجوز أن تكون المتعدِّية إلى مفعولين؛ لأنّ المفعول الثاني في هذا الباب هو المفعول الأوّل في المعنى. وقوله: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ لا يكون ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾، وإذا[1] لم يكن إيّاهم لم يَجُز أن يكون مفعولًا ثانيًا،[2] فإذا لم[3] يَجُز أن ينتصب ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾ بـ﴿تَرَى﴾ سواءٌ جعلتها المتعدِّية إلى مفعول واحد أو مفعولين ثبَت أنّه منتصِب بفعل آخرَ غير ﴿تَرَى﴾ الظاهرة، وذلك الفعل هو الذي يقدّر جوابًا لـ﴿لَوْ﴾، كأنّه قيل: ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب رأوا أنّ القوّة لله جميعًا، والمعنى أنّهم شاهدوا مِن قدرته تعالى ما تيقنوا معه أنّه عزيزٌ قويّ، وأنّ الأمر ليس على ما كانوا عليه مِن جحودهم ذلك أو شكِّهم فيه.[4]

قال أبو عليّ في **الحجّة**:

> ومذهبُ مَن قرأ بـ"الياء" غيبةً أبيَنُ؛ لأنّهم ينصبون "أنّ" بالفعل الظاهر دون المضمر وحينئذٍ يكون الجوابُ / محذوفًا، والجواباتُ في هذا النحو تجيء محذوفةً، وأمّا على القراءة بـ"التاء" خطابًا فتكون ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾ معمول الجواب،[5] فإذا أُعمِل الجواب في شيء صار الجوابُ بمنزلة الأشياء المذكورة في اللفظ، فتخالف ما عليه سائر هذا النحو مِن الآي المحذوفة الجوابِ، فيفوت كونه أبلَغَ في باب التوعُّد.[6] [١٩٦و]

وقال الواحديّ: «الاختيار كسر[7] "أنّ" مع المخاطَبة»،[8] يعني: لتكون جملةً مستأنفة، وجوابُ "لو" محذوفًا، ويُفيد المبالغةَ في معنى التوعُّد. ثمّ قال: «وجواب ﴿لَوْ﴾ تقديره ههنا "ولو ترى الذين ظلموا إذ يرَون العذاب لعجِبتَ" أو "لرأيتَ أمرًا عظيمًا"، ثمّ تستأنف "إنّ القُوّة"».[9]

---

[1] ن - إذا.
[2] ر: ثابتًا.
[3] ر + يكن.
[4] مِن قوله "ثمّ اعلم أنّه على القراءة بالتاء خطابًا" إلى هنا في **الحجّة** للفارسي، ٢/٢٦٣.
[5] ر: الواجب.
[6] ر: التوحد. | انظر: **الحجّة** للفارسي، ٢/٢٦٣-٢٦٤.
[7] ن: بكسر.
[8] **الوسيط** للواحدي، ١/٢٥٠ (البقرة، ٢/١٦٥).
[9] **الوسيط** للواحدي، ١/٢٥٠ (البقرة، ٢/١٦٥).

**وقرئ: ﴿إذ يُرَوْن﴾ على البناء للمفعول، و﴿إذْ﴾ في المستقبل كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَـٰبَ﴾ [الأعراف ٤٤/٧].**

---

وأنا أقول: القراءة بالكسر قراءة شاذّة،[1] وإنّما قُدِّر الجواب ههنا بقوله: "لعجبتَ" أو لرأيتَ أمرًا عظيمًا" وقُدِّر في القراءة بالغيبة بقوله: "لَعلموا مضرَّة اتّخاذ الأنداد"؛ ليناسب الجوابُ أوّلَ الكلام.[2] وأنا أقول القراءةَ بـ"التاء" خطابًا وفتحُ الهمزةِ يحتمل وجهًا آخر، وهو أن تكون ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ﴾ بدلًا مِن ﴿ٱلۡعَذَابِ﴾؛ لأنّ ذلك العذاب الشديد لمّا كان دليلًا على أنّ القوّة لله جميعًا ومسبَّبًا عن أنّ القوّة لله جميعًا فيكون بينهما ملابَسة، فيجوز أن يكون بدلًا منه بدلَ الاشتمال، ويكون جوابُ ﴿لَوۡ﴾ محذوفًا، فيندفع ما ذَكَر الواحديُّ والفارسيّ.[3] والله أعلم.

قوله: (**وقرئ: ﴿إِذۡ يُرَوۡنَ﴾[4] على البناء للمفعول**) هو قراءة ابن عامر،[5] وهو موافق لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ﴾، وقرأ الباقون على البناء للفاعل،[6] وهو موافق لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ﴾.

قوله: (**و"إذ" في المستقبل كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف ٤٤/٧]**) قال أبو عليّ في **الحجّة**:

> كيف جاء ﴿إذْ﴾ في قوله تعالى: ﴿ولو ترَى الذين ظَلَمُوا﴾ وهذا أمر مستقبل، و﴿إذْ﴾ لِما مضى. فالقول فيه: إنّه إنّما جاء[7] على لفظ المضيّ لإرادة التقريب في ذلك، كما جاء ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ [النحل ٧٧/١٦] و﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ [الشورى ١٧/٤٢]، فلمّا أُريدَ فيها مِن التحقيق والتقريب[8] جاء على لفظ المُضيّ، وعلى هذا جاء في ذا المعنى أمثلة الماضي، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف ٥٠/٧]. وممّا جاء على لفظ المُضيّ للتقريب مِن الحال قولُ المقيم:

---

[1] هي قراءة صحيحة، قرأ بها أبو جعفر ويعقوب. النشر لابن الجزري، ٢٢٤/٢.
[2] ر: الجواب.
[3] ن ر + رحمهما الله تعالى.
[4] في هامش د: مِن الإراءة.
[5] انظر: النشر لابن الجزري، ٢٢٤/٢.
[6] انظر: النشر لابن الجزري، ٢٢٤/٢.
[7] ر – جاء.
[8] ن ر: وجه التقريب.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ١٦٦﴾

﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ بدل من ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: تبرَّأ المَتْبُوعون وهم الرُّؤساءُ مِن الأَتْباع.

وقرأ مجاهد الأولَ على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول؛ أي: تبرَّأ الأَتْباعُ من الرُّؤساء.

﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ الواوُ للحال؛ أي: تبرَّؤُوا في حالِ رؤيتِهم العذابَ.

---

"قد قامتِ الصلاة"، يقول ذلك فيه قبل إيقاعه التحريمَ بالصلاة[١] لقُرب ذلك مِن قوله.[٢]

قوله[٣] تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾... إلخ.

قوله:[٤] ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ بدل، وقيل: العامل في ﴿إِذْ﴾ معنى شديد، أي: هو شديد العذاب وقت تبرُّئ المتبوعِين في الشِّرك والشرّ مِن التابعين، أي: السِّفْلة والأتباع. وذَكَر العلماءُ في تفسير التبرُّؤ وجوهًا: **أحدُها** أن يقع منهم ذلك بالقول، و**ثانيها** أن يكون نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن أنفسهم[٥] فكيف عن غيرهم كالتبرُّؤ، و**ثالثها** أنّه ظهر فيهم الندم على ما وقع منهم مِن الكفر بالله والإعراض عن أنبيائه ورسله، فسمِّي ذلك التبرُّؤ ندمًا.[٦] قال الإمام: والأقربُ هو الأوّل؛ لأنّ التبرُّؤ حقيقة في اللفظ.[٧]

قوله: (**وقرأ مجاهد**)[٨] هي شاذّة.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾، أي: عاينوا جهنّم. وإنّما قُيِّد بتلك الحال؛ لأنّه في تلك الحال يزداد الهَول والخوف. «و"الباء" في ﴿بِهِمُ﴾ بمعنى "عن"،

---

١ ن – يقول ذلك فيه قبل إيقاعه التحريمَ بالصلاة.

٢ انظر: **الحجّة للفارسي**، ٢/٢٦٠.

٣ ن – قوله؛ ر – تعالى: ﴿وَنَادَىٰ﴾... قوله.

٤ ر + تعالى: ﴿وَنَادَىٰ﴾... قوله.

٥ ر: نفسهم.

٦ الوجوه الثلاثة في **تفسير الرازي**، ٤/١٨٠ (البقرة، ٢/١٦٦).

٧ انظر: **تفسير الرازي**، ٤/١٨٠ (البقرة، ٢/١٦٦).

٨ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ ومجاهد. **المغني في القراءات للنّوزاوازي**، ص ٤٧٧.

﴿وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطف على ﴿تَبَرَّأَ﴾، و﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾: الوُصَلُ التي كانت بينهم: من الاتِّفاق على دينٍ واحدٍ، ومن الأنساب والمَحابِّ والاتِّباع والاستتباع؛ كقوله تعالى: ﴿لقد تَقَطَّعَ بينُكم﴾ [الأنعام ٩٤/٦].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿لَوْ﴾ في معنى التمنِّي، ولذلك أُجيب بالفاء الذي يُجاب به التمنِّي؛ كأنَّه قيل: ليتَ لنا كرةً فنتبرَّأ منهم.

---

كقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان ٥٩/٢٥]، أي: عنه».[1] وقيل: يجوز أن تكون "الباء" بمعنى السببيّة، أي: تقطَّعت الأسباب بسبب كفرهم. وتحتمل المصاحَبة / أي: الأسباب الملتبسة بهم. [١٩٦ظ]

و"اللام" في ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ تحتمل الجنس والإضافة إلى أسبابهم، كما في قوله تعالى: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص ٥٠/٣٨]، أي أبوابها.

وأصل "السبب" في اللغة الحبل، ثمّ قيل لكلّ شيء وصلتَ به إلى موضع أو حاجة تُريدها: سببٌ.[2] يقال:[3] ما بيني وبينك سببٌ، أي: رَحِم ومودّة. وقيل للطريق: "سبب"؛ لأنك بسلوكه تصِل إلى الموضع الذي تريده، قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف ٨٥/١٨]، أي: طريقًا. وأسباب السماوات: أبوابُها؛ لأنّ الوصول إلى السماء يكون بدخولها.[4]

قوله: ("لو" في معنى التمنّي) تمنَّوا أن يتمكّنوا مِن الرجعة إلى الدنيا وإلى حال التكليف فيكون الاختيار لهم حتّى يتبرءوا منهم في الدنيا كما تبرّأ المتبوعون منهم يوم القيامة.

---

١ تفسير الرازي، ١٨١/٤ (البقرة، ١٦٦/٢).

٢ في د: سببٌ.

٣ ن ر – لكلّ شيء وصلتَ به إلى موضع أو حاجة تُريدها: سببٌ. يقال.

٤ مِن قوله "وأصل السبب في اللغة الحبل" إلى هنا في البسيط للواحدي، ٤٧٨/٣-٤٧٩ (البقرة، ١٦٦/٢)؛ وتفسير الرازي، ١٨١/٤ (البقرة، ١٦٦/٢).

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثلَ ذلك الإِرَاءِ الفَظيع ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ﴾؛ أي: نَداماتٍ.

و﴿حَسَرَٰتٍ﴾: ثالث مفاعيل "أَرَى"، ومعناه: أن أعمالهم تنقلِبُ حسراتٍ عليهم فلا يَرَون إلا حسراتٍ مكانَ أعمالهم.

---

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ﴾) حكاية لفظ القرآن. وقوله: (مثلُ ذلك الإراء) تفسيرٌ له، أي: مثلُ ذلك الإراء العظيم،[١] وهو أن أراهم العذابَ، يُريهم الله أعمالهم نداماتٍ. وقال الواحديّ: «أي: كتبرُّؤ بعضهم مِن بعض يُريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم في الآخرة».[٢]

واختلفوا في المراد بـ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾:[٣] قال ابن كَيسان: يعني بـ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ عبادتَهم الأوثانَ رجاءَ أن تقرّبهم إلى الله تعالى،[٤] فلمّا عُذِبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسّروا وندموا.[٥] وقال السُّدّيّ: المرادُ الطاعات، تحسّروا على أنّهم لِمَ ضيَّعوها ولِمَ ما[٦] أتَوا[٧] بها كما أتى بها المؤمنون ليستحقّوا الثواب كما استحقّ المؤمنون. وقال الأصمّ: المراد بالأعمال طاعاتُهم التي أتَوا بها مثلُ صلة الرحم وقِرى الضيف،[٨] فإنّهم لمّا أحبطوا ثوابها بالكفر ندموا على ذلك.[٩]

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ﴾ واعلم أنّ هذه الطريقة مِن الكلام، وهو قولهم: "أنا عرفتُ" و"أنت عرفتَ" و"هو عرفَ" يُسلَك بالاعتبارين:

الاعتبار[١٠] الأوّل أن يُجرى الكلام على الظاهر، وهو أن يقال: "أنا" مبتدأ "عرفتُ" خبره، وكذا "أنت عرفتَ" و"هو عرف"، ولا يقدَّر تقديمٌ وتأخير،

---

١ ن ر + أي كتبرّؤ بعضهم مِن بعض.

٢ البسيط للواحدي، ٤٨١/٣ (البقرة، ١٦٧/٢)؛ الوسيط للواحدي، ٢٥٢/١ (البقرة، ١٦٧/٢).

٣ ر – حسراتٍ عليهم في الآخرة. واختلفوا في المراد بـ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾.

٤ ن ر – تعالى.

٥ ن ر – فلمّا عُذِبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسّروا وندموا. | انظر: البسيط للواحدي، ٤٨١/٣ (البقرة، ١٦٧/٢)؛ والوسيط للواحدي، ٢٥٢/١ (البقرة، ١٦٧/٢).

٦ ر – ما.

٧ ر: يأتوا.

٨ ر: المصنّف.

٩ القولان بلفظ قريب في تفسير الرازي، ١٨١/٤ (البقرة، ١٦٧/٢).

١٠ ر: للاعتبار.

﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ﴾ ﴿هُم﴾ بمنزلته في قوله:

هـم يُـفـرِشُـونَ الـلِّـبْـدَ كـلَّ طِـمِـرَّةٍ

في دلالته على قوّة أمرهم فيما أُسند إليهم، لا على الاختصاص.

---

ونظمُ الكلام بهذا الاعتبار يُفيد تقوّي الحُكم دون التخصيص. وسببُ تقوّيه هو أنّ المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعي[1] أن يُسنَد إليه شيء، فإذا جاء بعده ما يصلح أن يُسنَد إليه صَرَفه المبتدأ إلى نفسه، فينعقد بينهما حُكم، سواءٌ كان المُسنَد خاليًا عن ضمير المبتدأ نحو "زيدٌ غلامُك"، أو متضمّنًا له[2] نحو "أنا عرفتُ" و"أنت عرفتَ" و"هو عرف"، ثمّ إذا كان متضمّنًا لضميره صَرَفه الضمير إلى المبتدأ ثانيًا، فيكتسي الحكم قوّةً، فإذا قلتَ: "هو يعطي الجزيلَ" كان المراد تحقيقَ إعطائه الجزيل عند السامع دون تخصيص إعطاء الجزيل به، وعليه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان ٣/٢٥]، ليس المراد أنّ شيئًا سواهم لا يُخلَق إنّما المراد تحقيق أنّهم يُخلَقون.[3]

والاعتبار الثاني أنّ يقدَّر أصل النظم "عرفتُ أنا" و"عرفتَ أنت" و"عرف هو"، يقال: قُدِّم "أنا" و"أنت" و"هو"، ونظم الكلام بهذا الاعتبار يُفيد التخصيصَ. قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة ١٠١/٩]، ومعنى ﴿مَرَدُواْ﴾ تمهّروا فيه وعتَوا واستمروا عليه،[4] والمُرودُ على الشيء المُرون عليه، والمرادُ لا يعلمهم إلّا الله ولا يطّلع على أسرارهم غيرُه.[5]

إذا عرفتَ هذا فنقول: جَعَل المصنِّف هذه الآية مِن القبيل[6] الأوّل، وجَعَلها

[١٩٧و] / في إفادة التقوية مثل قول الشاعر:

هـمُ يُـفـرِشـون الـلِّـبْـدَ كـلَّ طِـمـرَّةٍ وأجـردَ سـبَّـاقٍ يـبـذُّ الـمـغـالِـيا[7]

---

١ ن: استدعى.

٢ ر: لضميره.

٣ ن ر – ليس المراد أن شيئًا سواهم لا يُخلَق إنّما المراد تحقيق أنّهم يُخلَقون.

٤ ر: فيه.

٥ مِن قوله "الاعتبار الأوّل أن يُجرى الكلام على الظاهر" إلى هنا في **مفتاح العلوم** ٣٢٥-٣٢٦.

٦ ر: قبيل.

٧ البيت للمُعذَّل بن عبد الله الليثي في **شرح الحماسة** للمرزوقي، ١٧٦٤/٤؛ وهو بلا نسبة في **دلائل الإعجاز** للجرجاني، ص ١٢٩.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾

﴿حَلَٰلٗا﴾ مفعول ﴿كُلُواْ﴾ أو حالٌ من "ما في الأرض".

﴿طَيِّبٗا﴾: طاهرًا من كلِّ شبهةٍ.

---

يقال: فَرَشه الشيءَ وفَرَش له[١] الشيءَ. والطِّمِرَّة: الفرس المتهيئ للوثب. والجَرَد:[٢] فضاءٌ لا نباتَ له، والفرس الأجردُ: هو الذي رقّتْ شَعره[٣] وقصُرتْ، وهو مدح. وبذَّه يبُذُّه بذًّا، أي: غلبه وَفاقه. والمِغْلاة: السهم، والجمع المَغالي، وهو مِن قولهم: "غلوتُ بالسهم[٤] غَلْوًا" إذا رميتَ به أبعَدَ ما تقدِر عليه، والغَلْوة: الغايةُ[٥] مِقدار رَمْيَة. يصف قومًا يركبون كلّ وثّاب يسبق السِّهام لسرعته في العَدْو.

وحَمْلُ هذه الآية على التقوية دون الاختصاص موافقٌ لمذهب المصنِّف، فإنّ صاحب الكبيرة مخلَّد في النار عندهم إذا مات مِن غير توبة، فلو حُمل على اختصاص[٦] الخلودِ بالكفّار يلزم خلاف مذهبهم، وأمّا أهل السُّنَّة فيحملون الآية على التقديم ليُفيد الاختصاص، ويقولون: إنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ﴾ تخصيص لهم بعدم الخروج، فيكون عدم الخروج مختصًّا بالكفّار، فيدلُّ بالفحوى على أنّ صاحب الكبيرة لا يخلَّد في النار.[٧]

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾... إلخ.

قال الواحديّ: قال ابن عبّاس في رواية أبي صالح: إنّ الآية نزلت في الذين حرَّموا على أنفسهم السوائب، وهي: النُّوق التي تسيَّب في الجاهلية لنَذْر ونحوه،

---

١ ر – له.

٢ ن: والأجرد.

٣ ن: شعرة عنقه.

٤ ن ر – والجمع المَغالي، وهو مِن قولهم: "غلوتُ بالسهم.

٥ ن ر: بالغابة.

٦ ر + موافقٌ لمذهب المصنِّف، فإنّ صاحب الكبيرة مخلَّد في النار عندهم إذا مات مِن غير توبة، فلو حُمل على اختصاص.

٧ انظر هذه المسألة في الإرشاد للجويني، ص ٣٨٦-٣٩١.

..............................................................................

والبحائر، وهي: الولد الأنثى للسائبة.[١] وسيجيء بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى. وقال: «في رواية عطاء: يعني المؤمنين خاصّة».[٢]

والأصل في الطيّبِ هو ما يُستلذُّ به ويُستطاب ويُوصَف به الطاهر والحلال على جهة[٣] التشبيه؛ لأنّ النجس تكرهه النفس فلا تَستلِذّ، والحرامُ أيضًا غير مستلَذٍّ؛ لأنّ الشرع يزجُر عنه، وكما وُصف الحلال بالطيّب وُصِف الحرام بأنّه خبيث، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة ٥/١٠٠]. ثمّ اعلم أنّ الحرام قد يكون حرامًا بجنسه كالمَيتة والدم والخمر، وقد يكون حرامًا لا بجنسه كمِلك الغيرِ إذا لم يأذن في أكله.

إذا عرفتَ هذا فنقول: في المراد بالحلال الطيّب وجهان:

**الأوّل** أنّ المراد مِن الحلال ما يكون جنسه حلالًا، والمراد مِن الطيّب ألّا يكون متعلِّق حقّ[٤] الغير، فإنّ أَكْل الحرام -وإن استطابه الآكل- فمِن حيث يؤدّي إلى العقاب يصير مضرّة ولا يكون مستطابًا، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء ٤/١٠].[٥]

وإليه أشار الزجّاج بقوله: الأجودُ أن يكون المعنى: مِن حيث يطيب لكم، أي: لا تأكلون مِن الوجه الذي يحرم.[٦]

**الثاني** أنّ المراد مِن الحلال ما لا[٧] يكون محرَّم الجنس ولا متعلِّق[٨] حقّ غيرٍ لم يأذن فيه، فالمراد بالطيّب هو المستلذّ، وإنّما ذَكَره لذِكر الامتنان وتمام الإنعام.

---

١ انظر: البسيط للواحدي، ٤٨٢/٣ (البقرة، ١٦٨/٢)؛ والوسيط للواحدي، ٢٥٢/١ (البقرة، ١٦٨/٢).
٢ البسيط للواحدي، ٤٨٢/٣ (البقرة، ١٦٨/٢)؛ الوسيط للواحدي، ٢٥٢/١ (البقرة، ١٦٨/٢).
٣ ن ر: وجه.
٤ ر: بحقّ.
٥ انظر: تفسير الرازي، ١٨٥/٥ (البقرة، ١٦٨/٢).
٦ انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ٢٤١/١.
٧ ر - لا.
٨ مطبوع تفسير الرزي + به.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ فتدخلوا في حرامٍ أو شبهةٍ، أو تحريمِ حلالٍ، أو تحليلِ حرامٍ.

---

قوله تعالى: ﴿خُطُوَٰتِ﴾. قال ابن السِّكِّيت فيما رواه عنه الجيّانيّ:[١] الخُطوة والخَطوة بمعنى، وحكى الفرّاء خطوتُ خَطوة بالفتح، و"الخُطوة" بالضمّ: ما بين القدمين،[٢] مثل "حسوتُ حَسْوة"، أي: شربتُ شَربة، والحُسْوة بالضمّ اسمُ ما تحسَّيتَه، وكذلك "غرفتُ غَرفةً" و"الغُرفة" هو الشيء المُغترَف بالكفّ. فيكون المعنى: لا تتّبعوا سبيله ولا تسلكوا طريقَه؛ لأنّ "الخُطوة" / بالضمّ اسم المكان. [١٩٧ظ]
وهو[٣] قول الزجّاج وابن قتيبة، فإنّهما[٤] قالا: ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ طُرُقه.[٥] وإن جعلتَ "الخُطوة" بمعنى[٦] "الخَطوة" كما ذَكَره الجيّانيّ،[٧] فالتقدير: لا تأتمُّوا[٨] به ولا تتّبعوا أثره. والمعنيان متقاربان وإن اختلف التقديران. هذا ما يتعلّق باللغة.

وأمّا المعنى فليس المراد هنا ما يتعلّق باللغة؛ بل كأنّه قيل لمن أُبيح[٩] له الأكل على الوصف المذكور: "احذر أن تتعدّاه إلى ما يدعوك إليه الشيطان"، وزَجَر المكلَّف بهذا الكلام عن تخطّي الحلال إلى الشُّبهة كما زَجَره عن تخطّيه إلى الحرام، وأيضًا فالشيطان يلقي إلى المرء ما يجري مَجرى الشُّبهة يُزيِّن بذلك ما لا يحلُّ له فزَجَر الله تعالى عن ذلك، ثمّ بيَّن العلّة في هذا التحذير بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾، أي: مُظاهِر بالعداوة قد أبان عداوته لكم بإبائه السجود لآدمَ أبيكم، وهو الذي أخرجه مِن الجنّة.[١٠]

قال الإمام:

**إظهارُ عداوة الشيطان أنّه التزم أمورًا سبعةً في العداوة، أربعةٌ منها**

---

[١] كذا في النُّسخ الخطيّة. والظاهر أنّ صوابه: فيما رواه عن اللحياني. انظر: **إصلاح المنطق** لابن السكّيت، ص ١١٤.

[٢] انظر: **إصلاح المنطق** لابن السكّيت، ص ١١٤.

[٣] د: وهذا.

[٤] ن: فإنّما.

[٥] انظر: **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ١/٢٤١.

[٦] ر: يعني.

[٧] الظاهر أنّه اللحيانيّ، كما مضى التعليق عليه.

[٨] ن: تأتوا.

[٩] ن ر: افتتح.

[١٠] مِن قوله "والأصل في الطيّب هو ما يُستلذُّ به ويُستطاب ويُوصَف به" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ١٨٦/٥ (البقرة، ١٦٨/٢).

**و"مِن" للتبعيض لأن كلَّ ما في الأرض ليس بمأكولٍ.**

**وقرئ: ﴿خُطُوَاتِ﴾ بضمتين، و: ﴿خُطْواتِ﴾ بضمةٍ وسكون.**

**و: "خُطُؤَات" بضمتين وهمزةٍ جُعلت الضمةُ على الطاء كأنّها على الواو.**

**و: "خَطَواتِ" بفتحتين.**

---

في قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء ١١٩/٤]، وثلاثةٌ منها في قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف ١٦/٧-١٧].[١]

قوله: (**قرئ**: ﴿**خُطُوَاتِ**﴾)، أي: بضمّة "الخاء" و"الطاء"، هي قراءة قُنبل وحفص وابن عامر والكسائيّ حيث وقع.[٢] وقوله: (**و﴿خُطْوَاتِ﴾**) بضمّة "الخاء" وسكون "الطاء" هي قراءة باقي القرّاء.[٣] أمّا مَن ضمَّ "العين" فلأنّ الواحدة "خُطْوة" بالسكون فإذا جمعتَ حرَّكتَ "العين"، نحو "غُرْفة وغُرُفات" فرقًا بين الاسم والصفة، ومَن سكَّن "العين" فبقَّاه على الأصل لطلب الخفَّة.

قوله: (**و"خُطُؤَات"**)[٤] بضمّ "الخاء" و"الطاء"[٥] وهمزةٍ بعدها، وإنّما قُلِبت "الواو" هنا همزةً؛ لأنّ "الواو" المضمومة[٦] يجوز[٧] همزها وههنا وإن لم تكن "الهمزة"[٨] على "الواو"، ولكنّها لمّا كانت على جار الواو[٩] وجُعلت[١٠] كأنّها على الواو فقلبت همزةً، وهذه القراءة والقراءتان بعدها شواذّ.[١١]

---

[١] انظر: **تفسير الرازي**، ١٨٦/٥ (البقرة، ١٦٨/٢).

[٢] ن ر – أي: بضمّة "الخاء" و"الطاء"، هي قراءة قُنبل وحفص وابن عامر والكسائي حيث وقع. | انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢١٦/٢.

[٣] انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢١٦/٢.

[٤] قراءة شاذّة، مروية عن عليّ بن أبي طالب وعمرو بن عُبيد وعيسى بن عمر والحسن والأعرج وسلّام. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٨؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٨١؛ **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٤٧٧-٤٧٨.

[٥] ر – والطاء.

[٦] ر: مضمومة.

[٧] ن ر: نحو.

[٨] ن: الضمّة؛ ر: الضمير.

[٩] توجيه ذلك أنّ الهمز على الألف على توهُّم معنى "الخطأ". انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ١١٧/١.

[١٠] ر: جعلت.

[١١] انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٨١.

و"خَطْواتِ" بفتحة وسكون.

والخَطوةُ: المرَّةُ من الخَطْو، والخُطْوَة: ما بين قدمي الخَاطي، وهما كالغَرْفَةِ والغُرْفَةِ، والقَبْضَة والقُبْضَة.

يقال: اتَّبعَ خُطواته، و: وَطِئَ على عَقِبه، إذا اقتدى به واستَنَّ بسنَّته.

﴿مُبِينٌ﴾: ظاهرُ العَداوة لا خفاء به.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ١٦٩﴾

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾ بيانٌ لوجوب الانتهاء عن اتِّباعه وظهورِ عداوته؛ أي: لا يأمركم بخيرٍ قطُّ إنما يأمركم ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾: بالقبيح ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾: وما يتجاوَز الحدَّ في القُبح من العظائم.

وقيل: السُّوء: ما لا حدَّ فيه، والفحشاء: ما يجب الحدُّ فيه.

﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: وهو قولُكم: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [النحل ١١٦/١٦] بغيرِ علم، ويدخُل فيه كلُّ ما يضاف إلى الله تعالى مما لا يَجوز عليه.

**فإن قلتَ:** كيف كان الشيطانُ آمرًا مع قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر ٤٢/١٥]؟

**قلتُ:** شُبِّه تزيينُه وبعثُه على الشرِّ بأمرِ الآمر؛ كما تقول: أمرَتْني نفسي بكذا، ..................................

---

قوله: (**﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾ بيان لوجوب الانتهاء عن اتِّباعه وظهورِ عداوته**) والأَولى أن يقال: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بيانٌ لوجوب الانتهاء عن اتِّباعه، وقولُه: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾ بيانٌ لظهور عداوته، فكأنَّه تعالى -والله أعلم- بيَّن وجوب الانتهاء عن اتِّباعه بكون الشيطان ظاهرَ العداوة، ثمَّ بيَّن ظهورَ عداوته بقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾، فلذلك لم يعطفهما.[1]

---

[1] ن ر: يعطفها.

وتحته رَمْزٌ إلى أنكم منه بمنزلةِ المأمورينَ؛ لطاعتكم له وقَبُولِكم وساوسَه، ولذلك قال: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء ١١٩/٤] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف ٥٣/١٢] لمّا كان الإنسان يُطيعُها فيعطيها ما اشتهَتْ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

---

قوله: **(وتحته)**، أي: تحت هذا[١] التشبيه، وهو أن ذُكر[٢] بلفظ الأمر ولم يُذكَر بلفظ التزيين.

قوله: **(لمّا كان)** ظرف لقوله: **(قال)**، أو لِما دلّ عليه قوله: "قال" إن قلنا: له صدر الكلام إلحاقًا بكلمات الشرط. قال الإمام:

> هذا كالتفصيل لجملة عداوته، وهو مشتمل على أمور ثلاثة: **أوّلها** السوء وهو متناول جميعَ المعاصي سواءٌ كانت تلك المعاصي مِن أفعال الجوارح أو مِن أفعال القلوب، **وثانيها** الفحشاء وهي نوع مِن السوء كأنّها أقبح أنواعه، وهي التي تُستعظَم وتُستفحَش مِن المعاصي، **وثالثها** ﴿أَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وكأنّه أقبح الأشياء، لأنّ وَصْفَ الله تعالى بما لا ينبغي مِن أعظم أنواع الكبائر، / فصارت هذه الجملة كالتفسير لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، فيدخل في الآية أنّ الشيطان يدعو إلى الصغائر والكبائر والكفر والجهل بالله تعالى.[٣] [١٩٨و]

قوله: **(شُبّه تزيينه)**، أي: تزيين الشيطان بأمر الآمر، ثمّ أُطلق "يأمر" و"أريد" يزيّن فيكون استعارة تبعيّة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾... إلخ.

قال الإمام: اعلم أنّهم اختلفوا في الضمير في قوله: ﴿لَهُمُ﴾ على ثلاثة أقوال:

---

١ ن: هذه.

٢ ن: يذكر.

٣ د ر – تعالى. | انظر: **تفسير الرازي**، ١٨٦/٥ (البقرة، ١٦٩/٢).

﴿لَهُمُ﴾ الضميرُ للناس، وعدَل بالخطاب عنهم على طريقةِ الالتفات للنداء على ضلالهم؛ لأنه لا ضالَّ أضلُّ من المقلِّد؛ كأنَّه يقولُ للعقلاء: انظُروا إلى هؤلاء الحَمْقَى ماذا يقولون.

---

**أحدها أنّه**[1] يعود إلى ﴿ٱلنَّاسُ﴾ في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾[2] فعُدل عن المُخاطبة إلى المُغايبة على طريقة الالتفات مبالغةً في بيان ضلالهم، **(كأنّه يقول للعقلاء: "انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون")**.[3]

وأنا أقول: أشار المصنِّف إلى هذا القول بقوله: (﴿لَهُمُ﴾ الضميرُ لـ﴿ٱلنَّاسُ﴾). فقوله: "﴿لَهُمُ﴾" في محلّ المبتدأ، وقوله: "الضمير لـ﴿ٱلنَّاسُ﴾" خبره، والعائد محذوف، أي: "الضميرُ فيه لـ﴿ٱلنَّاسُ﴾". ويجوز أن يقال: الضميرُ بدل مِن ﴿لَهُمُ﴾ بدلَ اشتمال، فكأنّه قال: ضميره لـ﴿ٱلنَّاسُ﴾.

والقول **الثاني** أنه عائد إلى "مَن" في قوله: ﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ وهم مشركو العرب، وقد سبق ذكرهم.[4]

وأنّا أقول: وعلى هذا في الكلام التفاتٌ؛ لأنّه تعالى قال بطريق الغَيبة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ﴾، ثمّ عدل إلى الخطاب بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ثمّ إلى الغَيبة في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾. ويجوز أن يكون هذا أيضًا مرادًا للمصنِّف، فعبَّر عن[5] هذين الوجهين بما ذُكر.

والقول **الثالث** قال ابن عبّاس رضي الله عنه:[6] **نزلت في اليهود، وذلك حين دعاهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[7] إلى الإسلام فقالوا: بل نتّبع ما وجدنا عليه آباءنا[8] فهم كانوا خيرًا منّا**.[9]

---

١ ر: أن.

٢ البقرة، ١٦٨/٢.

٣ انظر: تفسير الرازي، ١٨٨/٥ (البقرة، ١٧٠/٢).

٤ انظر: تفسير الرازي، ١٨٨/٥ (البقرة، ١٧٠/٢).

٥ ن – عن.

٦ د – رضي الله عنه.

٧ د: عليه السلام.

٨ ر: آباؤنا.

٩ انظر: تفسير الرازي، ١٨٨/٥ (البقرة، ١٧٠/٢). وقول ابن عبّاس بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٤١/٣ (البقرة، ١٧٠/٢)؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ٢٨١/١ (البقرة، ١٧٠/٢)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ١٨١/١ (البقرة، ١٧٠/٢).

**قيل: هم المشركون، وقيل: هم طائفةٌ من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فقالوا: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ فإنَّهم كانوا خيرًا منَّا وأعلمَ.**

و﴿أَلْفَيْنَا﴾ بمعنى: وَجَدْنا، بدليل قوله: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ [لقمان ٣١/٢١].

**﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾: الواو للحال، والهمزةُ بمعنى الردِّ والتعجيب، معناه: أيتَّبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا من الدِّين ولا يهتدون للصواب.**

---

ثمّ قال **الإمام**: «فعلى هذا تكون الآية مستأنفةً ومرجعُ الكناية في ﴿لَهُمُ﴾ غير مذكور، إلّا أنّ الضمير قد يعود إلى المعلوم كما يعود إلى المذكور».[١]

وأنا أقول: قول المصنِّف **(قيل: هم المشركون)** تقريرٌ[٢] لكون الضمير لـ﴿ٱلنَّاسُ﴾ وأنّ في الكلام التفاتًا. وقوله: **(وقيل: هم طائفة)** عطف على جملة قوله: "﴿لَهُمُ﴾ الضميرُ لـ﴿ٱلنَّاسُ﴾" لا على قوله: "قيل: هم المشركون"؛ لِما عرفتَ أنّه ليس على هذا القول في الكلام التفاتٌ.

قوله: **(لا يعقلون شيئًا مِن الدِّين)**، يعني: لفظُه عامّ ومعناه الخصوص؛ لأنّهم كانوا يعقلون كثيرًا مِن أمور الدنيا. ومعنى ﴿لَا يَهْتَدُونَ﴾ أنّهم لا يهتدون إلى كيفية اكتساب الدِّين.

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

اعلم أنّ للعلماء في هذه الآية طريقين: **أحدُهما أن يُقدَّر مضاف محذوف، والثاني ألّا**[٣] **يُقدَّر ذلك.** أمّا الذين يقدِّرون المضاف فقال بعضهم: التقدير "مَثلُ داعي الذين كفروا" فيُقدِّرون[٤] المضاف قبل ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وقال بعضهم: "مَثلُ الذين كفروا[٥] كبهائم الذي ينعِق" فيُقدِّرون[٦] المضاف قبل ﴿ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾.

---

[١] **تفسير الرازي**، ١٨٨/٥ (البقرة، ١٧٠/٢).

[٢] ر: تقريرًا.

[٣] ر: لا.

[٤] ر: فيعتذرون.

[٥] ر + وقال بعضهم: الذين كفروا.

[٦] ر: فيعتذرون.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ﴾ لا بدَّ من مضافٍ محذوفٍ، تقديره: ومَثلُ داعي الذين كفروا ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾، أو: ومَثَلُ الذين كفروا كبهائم الذي يَنْعِقُ، والمعنى: ومَثَلُ داعيهم إلى الإيمان -في أنهم لا يسمعون من الدُّعاء إلا جَرْس النَّغْمة ودَوِيَّ الصوت من غيرِ إلقاءِ أذْهَانٍ ولا استبصارٍ- كمَثَلِ الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلَّا دعاء الناعق ونداءهُ الذي هو تصويتٌ بها وزَجْرٌ لها، ولا تَفْقَهُ شيئًا آخرَ، ولا تَعِي كما يَفهم العقلاء ويَعُون.

ويجوز أن يراد بـ"ما لا يسمع": ..............................

---

قوله: (**والمعنى: ومَثل داعيهم إلى الإيمان**) مبنيّ على الوجه الأوّل، وهو أن يكون المضاف محذوفًا مِن الأوّل.

وهو قول الأخفش والزجّاج وابن قتيبة،[1] كأنّه قال: "ومَثَلُ الذي يدعو الذين كفروا إلى الحقّ كمَثل الذي ينعِق"، فصار الناعق الذي[2] هو الراعي بمنزلة الداعي إلى الحقّ وهو الرسول عليه السلام[3] وسائر دعاة[4] الكفّار إلى الحقّ، وصار الكفّار[5] بمنزلة الغنم المنعوق بها، ووجهُ التشبيه أنّ البهيمة تسمع الصوت ولا / تفطن للمراد، وهؤلاء الكفّار كانوا يسمعون صوت الرسول عليه [١٩٨ظ]
السلام وألفاظه وما كانوا ينتفعون بها.[6]

و"الجَرس" بسكون "الراء" وفتحها: الصوت الخفيّ.

قوله: (**ويجوز أن يُراد**) عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: (**كمثل الناعق بالبهائم**)، والحاصلُ أنّه على هذا الوجه يجوز أن يكون المراد بـ﴿مَا لَا يَسْمَعُ﴾

---

[1] انظر: معاني القرآن للأخفش، ١/١٥٣، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص ١٢٦، ومعاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ١/٢٤٢.

[2] ن ر - يدعو الذين كفروا إلى الحقّ كمَثل الذي ينعِق فصار الناعق الذي.

[3] ن ر - عليه السلام.

[4] ر: دعاوة.

[5] ر: الكفرة.

[6] مِن قوله "وهو قول الأخفش والزجّاج وابن قتيبة" إلى هنا في تفسير الرازي، ٥/١٨٩ (البقرة، ٢/١٧٠).

**الأصمُّ الأصلخُ الذي لا يَسْمع من كلام الرافع صوتَه بكلامه إلا النِّداءَ والتَّصْويتَ لا غيرُ، من غيرِ فهمٍ للحروف.**

**وقيل: معناه: ومَثَلُهم في اتِّباعهم آباءَهم وتقليدِهم لهم كمَثَلِ البهائِم التي لا تسمع إلَّا ظاهر الصوت ولا تفهمُ ما تحته، فكذلك هؤلاء يتَّبعونهم على ظاهرِ حالهم ولا يفقهون أَهُمْ على حقٍّ أم باطلٍ؟**

**وقيل: معناه: ومَثَلُهم في دعائهم الأصنامَ كمَثَلِ الناعق بما لا يَسمع، إلَّا أنَّ قولَه: ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ لا يُساعِدُ عليه؛ لأنَّ الأصنام لا تَسْمعُ شيئًا.**

---

هو البهائم، وأن يكون المراد **(الأصمَّ الأصلخ)**. وقوله: **(الذي لا يسمع)**... إلخ، كالتفسير لـ"الأصلخ".

قوله: **(وقيل: معناه)** هذا عطفٌ على قوله: **"ومَثَلُ داعيهم"**، وهذا مبنيٌّ على الوجه الثاني، ولا فرقَ مِن حيث المعنى بين قولنا: **"بهائمُ الذي ينعِق"** بالإضافة وقولنا: "البهائمُ التي لا تسمع" بالصفة.

قوله: **(وقيل: معناه)** عطف على قوله: **(لا بدّ مِن مضاف محذوف)** وهذا هو الطريق الثاني، وهو ألّا يُقدَّر مضاف محذوف، أي: مَثَلُ الذين كفروا في دعائهم آلهتَهم مِن الأوثان كمَثَل الناعق في دعائه بما لا يسمع كالسَّعالي[1] وما يجري مَجراها مِن البهائم، والبهائم لا تفهم شيئًا فشبَّه الأصنامَ في أنّها لا تفهم بهذه البهائم، فإذا كان لا يُشكِل أنّ مَن دعا بهيمة عُدَّ[2] جاهلًا فمَن دعا حجرًا أولى بالذمّ والجهل. وردَّه المصنِّف بأن قوله: ﴿إِلَّا دُعَآءً﴾ لا يُساعد، ولذلك قال المصنِّف: **"لا بدّ مِن مضاف محذوف"**.[3]

وهنا وجوهٌ أخرُ لم يذكرها المصنِّف:

**الأوّل** قال ابن زيد:[4] مَثَل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم كمَثَل الناعق في دعائه عند الجبل، فإنّه لا يسمع إلّا صدى صوته، فإذا قال: "يا زيدُ" سمع مِن الصدى:[5]

---

[1] السَّعالي جمع السِّعلاة: أخبث الغِيلان وسحرة الجنّ. لسان العرب لابن منظور، «سعل».
[2] ر: غدا.
[3] ر: فحذف.
[4] د ن ر: رَزين. | وأثبتّ ما في مطبوع تفسير الرازي.
[5] د: الصدأ.

والنَّعِيق: التصويتُ، يقال: نَعَقَ المؤذِّنُ ونَعَقَ الرَّاعي بالضَّأن، قال الأَخْطل:

فـانْـعَـقْ بـضـأنِـكَ يـا جـريـرُ فـإنَّـما      مَـنَّـتْـكَ نـفـسُـك فـي الـخـلاءِ ضَـلَالَا

وأمَّا "نَغَقَ الغُراب" فبِالْغَينِ المعجَمة.

﴿صُمٌّ﴾: هم صمٌّ، وهو رَفْعٌ على الذمّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

---

"يا زيد"، فكذلك هؤلاء الكفّار إذا دعَوا هذه الأوثان لا يسمعون إلّا ما تلفَّظوا به مِن الدُّعاء والنداء.[1]

**الثاني** قال ابن عبّاس في رواية الكلبي:[2] ومَثل الذين كفروا في قلّة[3] فهمهم وعقلهم في عبادتهم الأوثانَ كمثل الرُّعاة يُكلِّمون البهائمَ والبهائمُ لا تعقل عنهم شيئًا، غيرَ أنّها تسمع الصوتَ ولا تفقه، وعلى هذا شبِّه الكفّار بالرُّعاة الذين يُكلِّمون ما لا يسمع إلّا دعاءً ونداءً وهي البهائم، فكما أنّه يُقضى على ذلك الراعي بقلّة العقل فكذا هنا.[4]

**الثالث** مَثلُ الذين كفروا في اتّباعهم آبائهم وتقليدهم لهم كمَثل الراعي إذا تكلّم مع البهائم، فكما أنّ التكلُّم مع البهائم عبثٌ عديم الفائدةِ فكذا التقليدُ عبثٌ عديم الفائدةِ.[5]

ثمّ أورد المصنِّف بيتَ الأخطل[6] يهجو جريرًا ويقول: إنّك مِن رُعاة النَّعم لا مِن الأشراف وأهلِ النِّعم، وما منَّتك نفسُك في الخلاء إنّك مِن العظماء فضلالٌ وباطل. والأمنيّةُ: واحدة الأمانيّ، ومنه تمنّيت الشيء ومنّيته غيري.

---

١ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٤٩/٣ (البقرة، ١٧١/٢).

٢ ر: الطيبي.

٣ ر: قوله.

٤ بلفظ قريب في معالم التنزيل للبغوي، ١٨١/١ (البقرة، ١٧١/٢).

٥ مِن قوله "الأوّل قال ابن زيد: مَثل الذين كفروا" إلى هنا في تفسير الرازي، ١٩٠/٥ (البقرة، ١٧١/٢).

٦ البيت في ديوان الأخطل، ص ٩١؛ وجامع البيان للطبري، ٥١/٣ (البقرة، ١٧١/٢).

﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾: من مستلَذّاته؛ ..........

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾.

قال الإمام:

اعلم أنّ هذه الآيةَ شبيهةٌ بما تقدّم مِن قوله: ﴿كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾،[١] ثمّ نقول: إنّه تعالى تكلّم[٢] مِن أوّل السورة إلى هنا[٣] في دلائل التوحيد والنبوّة واستقصاءِ الردِّ على اليهود والنصارى، ومِن هنا شَرَع في بيان[٤] الأحكام:

الحكم الأوّل اعلم أنّ الأكل قد يكون واجبًا وذلك عند دفع الضرر عن النفس، وقد يكون مندوبًا وذلك أنّ الضيف قد يمتنع مِن الأكل إذا انفرد وينبسط في ذلك إذا سُوعد، فهذا الأكل مندوبٌ، وقد يكون مباحًا[٥] إذا خلا[٦] عن هذه العوارض. والأصل / في الشيء أن يكون[٧] خاليًا عن العوارض فلا جرمَ كان مسمّى الأكل مباحًا، وإذا كان الأمر كذلك كان قوله: ﴿كُلُواْ﴾ في هذا الموضع لا يُفيد الإيجابَ والندبَ؛ بل الإباحة.[٨] [١٩٩و]

ولذا «قال المفسّرون: هذا أمرُ إباحة».[٩]

قوله: (مِن مستلذّاته) احتجّ أصحابُنا، أي: أهل السُّنّة والجماعة، على أنّ الرّزق قد يكون حرامًا بقوله تعالى: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾، فقالوا: الطيّب هو الحلال، فلو كان كلُّ رزق حلالًا لكان قوله: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ معناه مِن محلّلات ما حلّلنا لكم، فيكون تكرارًا، وهو خلاف الأصل.

أجاب المعتزلة عنه بأنّ الطيّب في اللغة: عبارة عن المُستلذّ المستطاب، ولعلّ أقوامًا[١٠] ظنّوا أنّ التوسّع في المطاعم والاستكثار مِن طيّباتها ممنوعٌ منه،

---

[١] البقرة، ١٦٨/٢.
[٢] ن – تكلّم.
[٣] ر – هنا.
[٤] ن ر – بيان.
[٥] ن: خاليًا.
[٦] ن – إذا خلا.
[٧] ر – مباحًا إذا خلا عن هذه العوارض والأصل في الشيء أن يكون.
[٨] انظر: تفسير الرازي، ١٩٠/٥ (البقرة، ١٧٢/٢).
[٩] الوسيط للواحدي، ٢٥٥/١ (البقرة، ١٧٢/٢).
[١٠] ن: قومًا.

لأنّ كلّ ما رَزَقه الله لا يكون إلّا حلالًا.

﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾ الذي رزقكُموها ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: إن صحّ أنكم تختَصُّونَه بالعبادة، وتُقِرُّون أنّه مُولي النِّعم، وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم:

---

فأباح الله تعالى ذلك بقوله: كُلوا مِن لذائذ ما أحللنا لكم، فكان تخصيصُه بالذِّكر لهذا المعنى.[1]

إذا عرفتَ هذا فنقول: فسَّر المصنِّف الطيّبات بالمستلذَّات ليُوافق مذهبَه، ثمّ علّل تفسيره بقوله: **(لأنّ كلّ ما رزقه الله تعالى لا يكون إلّا حلالًا)**. وهو ضعيفٌ؛ لأنّ ذلك محلّ النزاع، فكيف يصحُّ الاحتجاج به، ثمّ المنقول في كتب التفسير أنّ المراد بالطيّبات الحلالات.[2]

ورُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه[3] قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:[4] يا أيُّها الناسُ إنّ الله طيّبٌ لا يقبل إلّا الطيِّب، وإنّ الله تعالى أَمَر المؤمنين بما أَمَر المرسلين، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ [المؤمنون ٥١/٢٣]، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾، ثمّ ذَكَر الرجل يُطيل السَّفرَ، يمدُّ يده[5] إلى السماء يقول: "يا ربّ يا ربّ"، أشعثُ أغبرُ، مطعمُه حرامٌ وملبسُه حرامٌ وغُذِّي بالحرام، فأنّى يُستجاب لذلك.[6]

رواه مسلم. وأوائل هذا الحديث وأواخره تدلُّ على أنّ المراد بالطيّبات الحلالات.

قوله: **(تختصُّونه)** يريد أنّ تقديم المفعولِ يفيد الحصرَ. قال الإمام: في هذه الآية وجوهٌ: **أحدُها** واشكروا لله إن كنتم عارفين بالله ونِعَمه، فعبَّر عن معرفة الله تعالى

---

[1] مِن قوله "احتجّ أصحابُنا، أي: أهل السُّنّة والجماعة" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ١٩٠/٥ (البقرة، ١٧٢/٢). وانظر تفصيل المسألة واختلاف الفريقين في **الإرشاد** للجويني، ص ٣٦٤-٣٦٦؛ و**الأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبّار، ص ٧٨٦-٧٨٨.

[2] انظر لذلك: **الوسيط** للواحدي، ٢٥٥/١ (البقرة، ١٧٢/٢)؛ و**معالم التنزيل** للبغوي، ١٨٢/١ (البقرة، ١٧٢/٢).

[3] د - رضي الله عنه.

[4] د: عليه السلام.

[5] ن: يديه.

[6] بلفظ قريب في **مسند أحمد**، ٨٩/١٤ (٨٣٤٨)؛ و**صحيح مسلم**، ٧٠٣/٢ (١٠١٥)؛ و**سنن الترمذي**، ٢٢٠/٥ (٢٩٨٩).

«يقولُ الله تعالى: إنّي والجنَّ والإنسَ في نبأٍ عظيم، أَخْلُقُ ويُعبَدُ غيري، وأَرْزُقُ ويُشْكَرُ غيري».

قرئ: ﴿حَرَّمَ﴾ على البناء للفاعل، و"حُرِّم" على البناء للمفعول، و"حَرُم" بوزن كَرُم.

---

بعبادته إطلاقًا لاسم الأثر على المؤثِّر، وثانيها إن كنتم تريدون أن تعبدوا الله فاشكروه، فإنّ الشكر رئيس العبادات، وثالثها ما ذُكر في الكشّاف.[1] وقال الواحديّ: «أي: إن[2] كانت العبادة واجبةً عليكم بأنّه إلهكم، فالشكر له واجبٌ بأنّه مُحسِنٌ إليكم».[3]

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ﴾... إلخ.

قال الإمام: «لمّا أمر الله تعالى في الآية المتقدِّمة بتناول الحلال فصَّل في هذه الآية أنواعَ الحرام».[4]

قوله: (قرئ: ﴿حَرَّمَ﴾) هذه هي قراءة القرّاء السبعة، وهي بفتح "الحاء" و"الراء" المشدَّدة ونصبِ ﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾؛ لأنّها مفعول ﴿حَرَّمَ﴾، و"ما" كافّة. والقراءتان الأُخرَيان شاذّتان.[5] وهنا قراءة أخرى شاذّة لم يذكرها المصنِّف، وهي بفتح "الحاء" و"الراء" المشدَّدة ورفعِ "المَيْتَةُ"،[6] وعلى هذا "ما" موصولةٌ والعائدُ محذوف، أي: حرَّمه، و"المَيْتَةُ" خبرُ "إنّ".

واعلم أنّ لفظ "إنّما" يكون كلمة واحدة، نحو "إنّما ضربتُ زيدًا"، وقد يكون كلمتين، نحو "إنّ ما ركبتُه دابّتي". قال الزَّجّاج: "إنّما" إذا جعلتَه كلمة واحدة كان إثباتًا لِما يُذكر ونفيًا لِما سواه، فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ / معناه: [١٩٩ظ]

---

١ انظر: تفسير الرازي، ١٩١/٥ (البقرة، ١٧٢/٢).

٢ ن - إن.

٣ البسيط للواحدي، ٤٩٥/٣ (البقرة، ١٧٢/٢)؛ الوسيط للواحدي، ٢٥٥/١ (البقرة، ١٧٢/٢).

٤ تفسير الرازي، ١٩١/٥ (البقرة، ١٧٣/٢).

٥ الأولى منها مرويّة عن أبي الزِّناد وأبي حَيْوَة وأبي عبد الرحمن السُّلمي وتميم بن حَذْلَم وابن هُرمز وأبو عمران الجوني، ومحبوب عن أبي عمرو؛ والثانية مرويّة عن أبي عبد الرحمن السُّلمي. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٨؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٨١؛ المغني في القراءات للنَّوزاوازي، ص ٤٨٠.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن عبد الوارث عن أبي عمرو، والأصمعي عن نافع، وأبي نَهيك، وأبي شيخ الهُنائي، وابن أبي عبلة. المغني في القراءات للنَّوزاوازي، ص ٤٧٩.

﴿أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: رُفع به الصوتُ للصَّنم، وذلك قولُ أهل الجاهليَّة: باسم اللّات والعُزَّى.

﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على مُضْطَرٍّ آخَرَ بالاستيثار عليه ﴿وَلَا عَادٍ﴾ سَدَّ الجوعَة.

فإن قلتَ: في الميتات ما يحلُّ وهو السمك والجراد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُحِلَّتْ لي ميتتان ودَمَان»!

قلتُ: قَصَدَ ما يتفاهَمه النَّاسُ ويتَعارفونه في العادة، ألَا ترى أن القائل إذا قال: أكَلَ فلان ميتةً، لم يَسبقِ الوهمُ إلى السمك والجراد، كما لو قال: أكل دمًا، لم يسبق الوهمُ إلى الكبد والطحال؟

ولاعتبارِ العادةِ والتعارُفِ قالوا: مَن حلَف لا يأكُل لحمًا، فأكل سمكًا، لم يَحْنَثْ وإنْ أكل لحمًا في الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل ١٤/١٦] وشبَّهوه بمن حلَف لا يركب دابَّةً فركب كافرًا، لم يحنَث وإن سمَّاه الله تعالى دابَّةً في قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال ٥٥/٨].

---

ما حرَّم عليكم إلّا ما ذُكر.[١] وذلك لأنّ[٢] كلمة "إنّ" للتوكيد في الإثبات، و"ما" يكون نفيًا، فإذا قال القائل: "إنّي بَشَر" فالمعنى "أنا بَشَر" على الحقيقة، وإذا قال: "إنّما أنا بَشَر" كان المعنى "ما أنا إلّا بَشَر".[٣]

و"المَيْتَة" مِن حيث اللغة: هو الذي خرج عن أن يكون حيًّا مِن دون نقض[٤] بِنية، ولذا فرقوا بين الميت والمقتول. وأمّا مِن جهة الشرع فهو الذي فارقَتْه الرُّوح مِن غير ذكاة شرعيّ، إمّا لأنّه لم يُذبَح أو إنْ[٥] ذُبح لكن لم يكن ذَبْحه ذكاةً شرعيّة.

فإن قيل: قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة ٣/٥]، ثمّ ذَكَر بعده المنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة، فدلّ هذا على أنّ غيرَ المُذكّى منه

---

١ انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ٢٤٣/١ (البقرة، ١٧٣/٢).

٢ ر: أن.

٣ انظر: البسيط للواحدي، ٤٩٥/٣-٤٩٧ (البقرة، ١٧٣/٢)؛ والوسيط للواحدي، ٢٥٦/١-٢٥٧

٤ ن: بعض.

٥ ن: إن.

**فإن قلتَ:** فما له ذكرَ لحم الخنزير دون شَحْمه؟

**قلتُ:** لأن الشَّحم داخلٌ في ذكْر اللحم لكونه تابعًا له وصفةً فيه، بدليل قولهم: لحمٌ سمينٌ، يريدون أنه شحيمٌ.

**﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾**

﴿فِي بُطُونِهِمۡ﴾: مِلْءَ بُطونهم، يقال: أكل فلانٌ في بطنه، وأكل في بعض بطنه.

---

ما هو مَيْتة ومنه ما ليس كذلك. قلنا: لعلّ الأمر في ابتداء الشرع على أصل اللغة، وأمّا بعد استقرار الشرع فالميتةُ ما ذكرناه.[١]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾... إلخ.

هذا هو الحكم **الثاني**، قال ابن عبّاس رضي الله عنه:[٢] نزلت الآية في رؤساء اليهود كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وحُييّ بن أخطب[٣] كانوا يأخذون مِن أتباعهم الهدايا، فلمّا بُعث محمّد صلّى الله عليه وسلّم[٤] خافوا انقطاع تلك المنافع فكتموا أمْرَ محمّد عليه السلام[٥] وأمْرَ شرائعِه فنزلت هذه الآية.[٦]

واختلف العلماء في أنّهم أيّ شيء كانوا يكتمون، فقيل: كانوا يكتمون صفة محمّد عليه السلام[٧] وأمّته والبشارة به،[٨] وهو قول ابن عبّاس وقتادةَ والسُّدّيّ والأصمّ وأبي مسلم.[٩] وقال الحسن: كتموا الأحكام، وهو كقوله: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٩/٣٤].

---

١ مِن قوله "واعلم أنّ لفظ 'إنّما' يكون كلمة واحدة" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ١٦/٥ (البقرة، ١٧٣/٢).

٢ د – رضي الله عنه.

٣ ر: الأحطب.

٤ د: عليه السلام.

٥ ن: صلّى الله عليه وسلم.

٦ انظر: **معالم التنزيل** للبغوي، ١٨٤/١ (البقرة، ١٧٤/٢).

٧ ن: صلّى الله عليه وسلم.

٨ ر – به.

٩ انظر: **جامع البيان** للطبري، ٦٤/٣-٦٥ (البقرة، ١٧٤/٢).

﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ لأنه إذا أكَل ما يَتلبَّس بالنَّار -لكونها عقوبةً عليه- فكأنَّه أكل النَّار، ومنه قولُهم: أكَلَ فلان الدمَ: إذا أكل الدِّيةَ التي هي بدلٌ منه، قال:

أكـلـتُ دمًـا إنْ لـم أَرُعْـــكِ بـضَـرَّةٍ

وقال:

---

ثـمّ اختلفوا في كيفيّة الكتمان فالمرويّ عن ابن عبّاس أنّهم كانوا يُحرِّفون ظاهر التوراة والإنجيل.[١]

قوله تعالى: ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ﴾ الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يجوز أن يعود إلى الكتمان والفعل يدلُّ على المصدر، ويحتمل أن يكون عائدًا إلى ما أنزل الله، ويجوز أن يكون عائدًا إلى المكتوم. ولمّا كان غرضهم مِن ذلك الكتمان أخذَ الأموال بسبب ذلك[٢] قيل: ﴿يَشْتَرُونَ﴾، و«إنّما سمّاه قليلًا إمّا لأنّه في نفسه قليلٌ، وإمّا لأنّه بالإضافة إلى ما فيه مِن الضرر قليل».[٣]

واعلم أنّه تعالى لمّا ذكر هذه الحكاية عنهم ذَكَر الوعيد عليه مِن وجوه:

أوّلها قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾. «قال بعضُهم: ذِكر البطون هنا زيادةٌ»،[٤] والصوابُ ما قاله المصنِّف، وهو أنّهم يأكلون ملءَ بطونهم.

قوله تعالى: (﴿ٱلنَّارَ﴾) قيل: لمّا أكلوا ما يُوجِب النار فكأنّهم أكلوا النارَ،[٥] قال الشاعر:

(شربتُ دمًا إن لم أرُعك بضَرَّة) بعيدةِ مَهوى القُرط طيّبةِ النَّشرِ[٦]

الضَّرّتان: امرأتان للرجل، سُمّيتا بذلك لأنّ كلًّا[٧] منهما تريد ضَرَّ صاحبتها. والقُرط: الحُليّ الذي يُجعَل في الأذن. والرَّوع: الفزع. وبعيدة مهوى القُرط:

---

١ مِن قوله "هذا هو الحكم الثاني، قال ابن عبّاس" إلى هنا في تفسير الرازي، ٢٨/٥ (البقرة، ١٧٤/٢).

٢ ر – بسبب ذلك.

٣ تفسير الرازي، ٢٩/٥ (البقرة، ١٧٤/٢).

٤ تفسير الرازي، ٢٩/٥ (البقرة، ١٧٤/٢).

٥ القول في تفسير الرازي، ٢٩/٥ (البقرة، ١٧٤/٢).

٦ البيت لأُنيف بن قِترة الكلبي في ديوان بني كلب بن وبرة، ٧٥٩/٢؛ والأشباه والنظائر للخالديَّين، ٢٩٠/٢، ولعُروة الرحّال في سِمط اللآلي للميمني، ٦٧٢/١؛ وهو بلا عزو في شرح الحماسة للمرزوقي، ١٨٦٧/٤.

٧ ر: كل.

يـــأكُـــلْـــنَ كـــلَّ لـــيـــلـــةٍ إكـــافـــا

أراد: ثمن الإكاف، فسمَّاه إكافًا لتلبُّسه به بكونه ثمنًا له.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ تعريضٌ بحرمانهم حالَ أهل الجنَّة في تَكْرِمةِ اللهِ إياهم بكلامه وتزكيتِهم بالثناء عليهم.

وقيل: نفيُ الكلام عبارةٌ عن غضبِهِ عليهم؛ كمَن غضب على صاحبه فصرَمه وقطع كلامه.

وقيل: لا يكلِّمهم بما يُحبُّون، ولكن بنحو قوله: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون ٢٣/١٠٨].

---

كناية عن طول العنق. يُخاطب امرأته الناشزة ويقول لها: أكلتُ الدِّية ورضيتُ بأخذها مع ما فيها مِن العار والاستنكاف إن لم أُفزِعك بضَرّة طويلة العنق طيّبة الريح.

وقال آخر:

إنّ لنـــا أحمِـــرةً عِجَافـــا (يـأكـلـنَ كـلَّ لـيـلـةٍ إكـافـا)[١]

[٢٠٠و] الضمير في "يأكلن" للأحمِرَة. / والإكاف: البرذعة، يعني: نعلفها كلَّ ليلة ثمنَ[٢] إكاف نبيعه.

وقال الأصمّ: معنى الآية أنّهم يأكلون في الآخرة النارَ لأكلهم في الدنيا الحرامَ.

والثاني مِن وجوه الوعيد قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ﴾. ظاهره أنّه تعالى لا يكلّمهم أصلًا، لكنّه[٣] لمّا ورد مَوردَ الوعيد فُهِم منه ما يجري مَجرى العقوبة، وذكروا فيه ثلاثةَ أوجه:

الأوّل أنّ المعنى لا يكلِّمهم أصلًا، وهذا تعريض[٤] بحرمانهم، وذلك أنّ يوم القيامة هو[٥] الذي يكلِّم[٦] الله تعالى الخلائق بلا واسطة، فيظهر عند كلامه السرورُ

---

١ الرجز لأبي حَزابة الوليد بن حنيفة في الأغاني للأصفهاني، ٢٢/١٨٤؛ وهو بلا عزو في تصحيح الفصيح لابن دُرستويه، ص ٣٠١؛ وإسفار الفصيح للهروي، ٢/٦٤٤؛ ولسان العرب لابن منظور، «أكف».

٢ ر: بمن.

٣ ن – لكنّه.

٤ ن – تعريض.

٥ ن + اليوم.

٦ ن ر: لا يُكلّمهم.

..............................................

في أوليائه وضدُّه في أعدائه، ويتميّز بذلك أهل الجنّة مِن أهل النار فلا جرمَ كان مِن أعظم الوعيد.

**الثاني** أنّه عبارة عن الغضب لأنّ عادة الملوك أنّهم عند الغضب يُعرِضون عن المغضوب عليه ولا يكلِّمونه، كما أنّهم عند الرضى يُقبِلون عليه بالوجه والحديث.

**والثالث** أنّه قدّ دلّت الدلالة على أنّه سبحانه وتعالى يكلِّمهم، وذلك قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر ٩٢/١٥]، ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف ٦/٧]، فعلمنا أنّه تعالى[١] يسأل كلّ واحد مِن المكلَّفين، والسؤالُ لا يكون إلّا[٢] بكلام، فقالوا: يجب أن يكون المراد مِن الآية أنّه تعالى لا يكلِّمهم بتحيّة وسلام، وإنّما يكلّمهم بما يعظُم عنده الغمّ والحسرة مِن المناقشة والمُساءلة، وبقوله: ﴿ٱخْسَـُٔواْ﴾ [المؤمنون ١٠٨/٢٣].[٣]

وأمّا القائلون بالوجه الأوّل فقالوا: المراد بقوله تعالى:[٤] ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾ سؤال الملائكة بأمره تعالى.

**والثالث** مِن وجوه الوعيد قوله تعالى: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾. وفيه أقوال: **الأوّل** لا ينسبهم إلى التزكية ولا يُثني عليهم، **الثاني** لا يقبل أعمالهم كما يقبل أعمال الأزكياء، **الثالث** لا يُنزِّلهم منازل الأزكياء.[٥]

**والرابع** مِن تلك الوجوه قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. قال الإمام: علماء الأصول قالوا: العقاب هو المضرّة الخالصة المقرونة بالإهانة. فقوله: لا يكلّمهم ولا يزكّيهم إشارة إلى الإهانة والاستخفاف. وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إشارة إلى المضرّة، وقدَّم الإهانة على المضرّة تنبيهًا

---

١ د ر – تعالى.

٢ ن – إلّا.

٣ مِن قوله "وقال الأصمّ: معنى الآية أنّهم يأكلون" إلى هنا في تفسير الرازي، ٢٩/٥-٣٠ (البقرة، ١٧٤/٢).

٤ ن ر – تعالى.

٥ ر – الثالث لا يُنزِّلهم منازل الأزكياء. | الأقوال الثلاثة في تفسير الرازي، ٣٠/٥ (البقرة، ١٧٤/٢).

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾

﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: تعجُّبٌ من حالهم في الْتِباسِهم بمُوجِبَاتِ النَّار من غيرِ مبالاةٍ منهم، ......................................................

---

على أنّ الإهانة أشقُّ[1] وأصعب، ثمّ إنّ الآية وإن نزلت في اليهود لكنّها عامّة في حقّ كلّ مَن كتم شيئًا مِن باب الدِّين.[2]

قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾.

قال الإمام:

لمّا وصف الله تعالى علماء اليهود بكتمان الحقّ وعظّم في الوعيد عليه وصف ذلك الجُرم ليُعلم أنّ ذلك العقاب إنّما عظُم لهذا الجرم العظيم. واعلم أنّ الفعل إنّما يعتبر حاله في الدنيا أو في الآخرة، أمّا في الدنيا فأحسنُ الأشياء الاهتداءُ والعِلم وأقبحُ الأشياء الضلالُ والجهل، فلمّا تركوا الهدى والعِلم ورضُوا بالضلال والجهل ظهر أنّهم في نهاية الخيبة في الدنيا، وأمّا في الآخرة فأحسنُ الأشياء المغفرةُ وأقبحُها العذاب، فلّما تركوا المغفرة ورضُوا بالعذاب ظهَر أنّهم في غاية الخسارة، وإذا كان صفتهم على ما ذكرناه كانوا لا محالةَ أعظمَ الناس خسارة في الدنيا وفي الآخرة، وإنّما حَكَم الله تعالى عليهم بأنّهم اشتروا العذاب بالمغفرة؛ لأنّهم لمّا كانوا عالمين بما هو الحقُّ وكانوا عالمين بأنّ في إظهاره وإزالةِ الشُّبهة عنه[3] أعظمَ الثواب / وفي إخفائه وإلقاءِ الشبهةِ أعظمَ العقاب، فلما أقدموا على إخفاء ذلك الحقّ كانوا بائعين للمغفرة بالعذاب لا محالةَ.[4] [٢٠٠ظ]

قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾. فيه قولان:

الأوّل أنّه بمعنى التعجُّب مِن اشتغالهم بموجبات النار، وتقريرُه أنّ الراضيَ بموجب الشيء لا بدّ أن يكون راضيًا بلوازمه ومقتضياته إذا عَلِم ذلك اللزوم والاقتضاء، فلمّا أقدموا على ما يُوجب النار ويقتضي عذاب الله

---

١ ر: أسبق.

٢ انظر: تفسير الرازي، ٥/٣٠ (البقرة، ٢/١٧٤).

٣ ن – عنه.

٤ انظر: تفسير الرازي، ٥/٣٠-٣١ (البقرة، ٢/١٧٤).

كما تقول لمن يتعرَّضُ لِمَا يُوجب غَضَبَ السلطان: ما أَصْبركَ على القَيْد والسِّجْنِ! تريد أنَّه لا يتعرَّض لذلك إلَّا مَن هو شديدُ الصبرِ على العَذاب.

وقيل: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ﴾: فأيُّ شيءٍ صبَّرهم؟ يقال: أَصْبره على كذا وصَبَّره بمعنًى، وهذا أصلُ معنى فعلِ التعجُّب.

---

مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بعذاب الله والصابرين عليه، فلهذا قال تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾، وهذا **(كما تقول لمَن يتعرّض لِما يُوجب غضبَ السلطان: "ما أصبرَك على القيد والسجن!")**.[1]

وهذا معنى قول الحسن وقتادةَ والربيع، وهو: ما أجرأهم على أعمال أهل النار![2] ومعنى ما قال الفرّاء، وهو أن هذه لغة يمانية، يقول الرجل: "ما أصبَرَك على كذا!"، يريد "ما أجرأك عليه!".[3] ومعنى التعجُّب مِن الله تعالى[4] تعجُّب المخاطَبين والدلالة[5] على أنَّهم قد حلُّوا محلَّ مَن يُتعجَّب منه.

قال الإمام:

التعجُّب هو: استعظام الشيء مع خفاء السببِ، ولهذا أنكر[6] شُريح قراءة مَن قرأ: "بل عَجِبْتُ ويَسْخَرون"[7] [الصافات ٣٧/١٢] بضمّ "التاء" مِن ﴿عَجِبۡتَ﴾، فإنّ خفاء الشيء على الله تعالى مُحالٌ. وقال النخَعيّ:[8] **معنى التعجُّب مِن الله تعالى مجرَّد استعظام،[9] وإن كان في حقّ العباد لا بدَّ مع الاستعظام مِن[10] خفاء السبب، كما أنّه يجوز إضافة السخرية والاستهزاءِ والمكر إلى الله تعالى لا بالمعنى الذي يُضاف إلى العباد.**[11]

**القول الثاني** أنّ ما في هذه الآية استفهامٌ بمعنى التوبيخ، ومعناه: ما الذي صبّرهم

---

١ **انظر: تفسير الرازي، ٣١/٥ (البقرة، ١٧٥/٢).**

٢ **بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٦٨/٣ (البقرة، ١٧٥/٢)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ١٨٥/١ (البقرة، ١٧٥/٢).**

٣ **انظر: معاني القرآن للفرّاء، ١٠٣/١؛ والوسيط للواحدي، ٢٥٩/١ (البقرة، ١٧٥/٢).**

٤ د ر - تعالى.

٥ ر: وبدلهم.

٦ ر: نكر.

٧ قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٠٥.

٨ ر: الحنفي.

٩ ن ر: الاستعظام.

١٠ د - مِن.

١١ **انظر: تفسير الرازي، ٣١/٥ (البقرة، ١٧٥/٢).**

والذي رُوي عن الكسائيّ أنه قال: قال لي قاضي اليمن بمكةَ: اختصم إليّ رجلان من العرب، فحَلف أحدُهما على حقّ صاحبه، فقال له: ما أصبركَ على الله! فمعناه: ما أصبرك على عذاب الله!

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ﴾؛ أي: ذلك العذابُ بسببِ أنَّ الله نزَّلَ ما نزَّلَ من الكتب ﴿بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ في كتب الله تعالى، فقالوا في بعضها: حقٌّ، وفي بعضها: باطلٌ، وهم أهل الكتاب ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ﴾: لفي خلافٍ ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحقّ. و﴿ٱلْكِتَـٰبِ﴾ للجنس.

---

وأيّ شيء جسَّرهم على النار حتّى تركوا الحق واتّبعوا الباطل، وهذا قول عطاء وابن زيد.[١] وقال ابن الأنباريّ: وقد يكون "أصبَرَ" بمعنى "صبَّر" نحو "أكرم" و"كرّم" و"أخبَرَ" و"خبَّر"،[٢] وإلى هذا القول أشار المصنِّف بقوله: (فأيُّ[٣] شيء صبَّرهم)، فإنّ "فعَّل" ليس من صِيَغ التعجُّب. ثمّ[٤] قال المصنِّف: (وهذا أصل معنى فعل التعجُّب)، يريد أنّ المعنى هنا الاستفهام، وأصلُ فعل التعجُّب هو[٥] الاستفهام، على أحد الأقوال، ثمّ نُقِل إلى التعجُّب، فأكَّد المصنِّف بهذا القول الإشارةَ إلى أنّ المعنى هنا ليس التعجُّب.

قوله: (والذي رُوي عن الكسائي)... إلخ، "الذي" مبتدأ، وقوله: (فمعناه) خبره، يعني أنّ قوله لصاحبه: (ما أصبَرَك على الله!) ممّا نحن فيه بحذف المضاف، أي: ما أصبَرَك على[٦] عذاب الله! أي: على الحَلِف الكاذب الذي يُستحقّ به العذاب.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

قوله: (أي: ذلك العذاب)، يريد أنّ قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يجوز أن يكون إشارةً

---

١ هذا القول في جامع البيان للطبري، ٧٠/٣ (البقرة، ١٧٥/٢)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ١٨٥/١ (البقرة، ١٧٥/٢)؛ وتفسير الرازي، ٣١/٥ (البقرة، ١٧٥/٢).

٢ القول في تفسير الرازي، ٣١/٥ (البقرة، ١٧٥/٢).

٣ ر: بأي.

٤ ن ر - ثمّ.

٥ ر - هو.

٦ ر - الله ممّا نحن فيه بحذف المضاف، أي: ما أصبَرَك على.

أو: كفرُهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ بسببِ أن ﴿ٱللَّهَ نَزَّلَ﴾ القرآنَ بالحق كما يعلمون، ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ﴾ فيه من المشركين -فقال بعضُهم: سحرٌ، وبعضُهم: شعر وبعضهم: أساطير الأولين- ﴿لَفِي شِقَاقِۢ بَعِيدٖ﴾؛ يعني: أن أولئك لو لم يختلفوا ولم يُشاقُّوا لَمَا جَسَرَ هؤلاء أنْ يكفروا.

**﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾**

---

إلى العذاب ويجوز أن يكون إشارةً إلى كفرهم، أي: كفرِ أهل الكتاب، فإن كان إشارةً إلى العذاب فالمراد بالكتاب الجنس، والمعنى: ذلك العذاب بسبب أنّ الله نزَّل الكتب جميعها بالحقّ والذين اختلفوا آمنوا ببعضها وكفروا ببعضها فاستحقّوا العذابَ، وإن كان إشارةً إلى كفرهم فالمراد بالكتاب **القرآن**، والمعنى: كفرهم، أي: كفر أهلِ الكتاب بسبب **أنّ الله** نزّل **القرآنَ** بالحقّ كما يعلم أهل الكتاب، وإنّ الذين اختلفوا فيه وهم المشركون قال بعضهم: سحر، وبعضهم:[1] شعر، إلى غير ذلك، فصار ذلك سببًا لأن اجترأ عليه أهل الكتاب فلو لم يختلف أولئك المشركون ولم يُشاقّوا الرسولَ لَما جَسَر[2] هؤلاء، أي: أهل / الكتاب على أن يكفروا. [٢٠١و]

فقوله: أو (كفرُهم) عطف على قوله: "ذلك العذابُ". ثمّ إنّ قوله: "ذلك" يحتمل أن يكون في محلّ الرفع وفي محلّ النصب، أمّا في محلّ الرفع فبأن يكون مبتدأ ما بعده خبرُه، وأمّا في محلّ النصب[3] فالتقدير: فعلنا ذلك بسبب **أنّ الله** نزّل الكتاب بالحقّ.

---

١ ن: وقال بعضهم.

٢ ن: جسرهم، ر: خسر.

٣ ر - أمّا في محلّ الرفع فبأن يكون مبتدأ ما بعده خبرُه، وأمّا في محلّ النصب.

﴿الْبِرَّ﴾: اسمٌ للخير ولكلِّ فعلٍ مَرْضيّ.

﴿أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ الخطابُ لأهل الكتاب؛ لأن اليهود تُصَلِّي قِبَل المغرب إلى بيتِ المقدس، والنَّصارى قِبَل المشرق، وذلك أنهم

---

قوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، «أي: بالصدق، وقيل: ببيان الحقّ».[١]

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾... إلخ.

هذا هو الحكم **الثالث**.

قوله: (**البِرّ اسم للخير ولكلّ[٢] فعل مَرضيّ**) قال الإمام:

> البِرّ: اسم جامع للطاعات وأعمالِ الخير المُقرِّبة إلى الله تعالى، ومِن هذا بِرّ الوالدين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار ٨٢/١٣-١٤]، فجَعَل البِرّ ضدّ الفجور، وقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة ٥/٢]، فجَعَل البِرّ ضدّ الإثم، فدلَّ على أنّه اسم جامع لجميع ما يُوجَد[٣] الإنسان عليه، أي: مِن أفعال الخير، وأصله مِن الاتّساع، ومنه البَرّ الذي هو خلاف البحر لاتّساعه.[٤]

أقول: وكأنّهم جعلوه مِن معنى الاتّساع؛ لأنّ فيه سَعة لجواز الإتيان[٥] به وعدم المنع والحرج في فعله، بخلاف المحظورات، فإنّ فيها تضييقًا لا يجوز الإتيانُ[٦] به إلّا عند الضرورة،[٧] قال المُطرّزي في **المُغرِب**: «البِرُّ: الصلاح، وقيل: الخير».[٨]

قوله: (**الخطابُ لأهل الكتاب**)، يعني الخطاب في قوله تعالى:[٩] ﴿أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾.

قوله: (**وذلك**)... إلخ، بيان أنّ[١٠] أهل الكتاب لِمَ خُوطبوا بهذا الخطاب.

---

١ **تفسير الرازي**، ٥/٣٦ (البقرة، ٢/١٧٦).
٢ ن: وكلّ.
٣ في مطبوع **تفسير الرازي**: يُؤجر.
٤ **تفسير الرازي**، ٥/٤٠ (البقرة، ٢/١٧٧).
٥ ر: الإنسان.
٦ ر: الإنسان.
٧ ن ر: ضرورة.
٨ **المُغرِب** للمطرّزي، «برر».
٩ ن ر – تعالى.
١٠ ن ر – أنّ.

أكثَروا الخوضَ في أمر القبلة حين حُوِّلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة، وزَعَمَ كلُّ واحدٍ من الفريقين أن البِرَّ التوجُّهُ إلى قِبلته، فرُدَّ عليهم وقيل: ليس البِرُّ فيما أنتم عليه فإنَّه منسوخٌ خارجٌ من البِرِّ ولكنَّ البرَّ ما بَيَّنْتُه.

وقيل: كثُرَ خوضُ المسلمين وأهلِ الكتاب في أمر القبلة، فقيل: ليس البِرُّ العظيمُ الذي يجب أن تَذْهَلوا بشأنه عن سائر صنوف البرِّ أمْرَ القبلة، ولكنَّ البرَّ الذي يجب الاهتمامُ به وصَرْفُ الهِمَّةِ إليه بِرُّ مَن آمَن وقام بهذه الأعمال.

وقرئ: ﴿لَيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ بالنصب على أنه خبرٌ مقدَّمٌ.

وقرأ عبد الله: "بأنْ تُوَلُّوا" ..............................................

---

قوله: (وزعم)، وقوله: (فرُدَّ)، وقوله: (وقيل: ليس البرُّ)، جميعُ ذلك عطف على قوله: (أكثروا)، فكأنَّه قيل: لمّا أكثروا الخوضَ في شأن القبلة وزعموا ما زعموا رُدَّ عليهم زعمُهم وقيل لهم: أيّها المكثِرون الزاعمون ليس البرُّ فيما أنتم عليه مِن التوجُّه إلى قبلتكم، (فإنّه)، أي: لأنّ[1] التوجُّه إلى قبلتكم منسوخ فلا يكون بِرًّا.

قوله: (وقيل كثُر) عطفٌ على قوله: "الخطابُ لأهل الكتاب"، وقوله: (فقيل) عطفٌ على قوله: "كثُر"، وهذا يجوز أن يكون إشارةً إلى أنّ الخطاب للكلّ، ويجوز أن يكون إشارةً إلى أن الخطاب للمؤمنين.

قوله: (وقرئ: ﴿لَيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ بالنصب) قرأ حمزةُ وحفص عن عاصم ﴿لَيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ بنصب "الراء" والباقون بالرفع،[2] قال الواحدي: كلا القراءتين[3] حَسَن؛ لأنّ اسم "ليس" وخبرها اجتمعتا[4] في التعريف فاستويا في كون كلّ منهما اسمًا والآخر خبرًا.[5]

قوله: (وقرأ عبد الله)، أي: ابن مسعود ("بأنْ تُوَلُّوا")،[6] وهي قراءة شاذّة،

---

١ ن – لأنّ.

٢ انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٢٦.

٣ د ن ر: القراءتان.

٤ ر: اجتمعا.

٥ انظر: البسيط للواحدي، ٣/٥١٣ (البقرة، ٢/١٧٧)؛ والوسيط للواحدي، ١/٢٥٩ (البقرة، ٢/١٧٧).

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وأُبيّ بن كعب. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٨؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٨٤.

على إدخال الباء على الخبر للتأكيد؛ كقولك: ليس المنطلِقُ بزيد.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ على تأويل حذفِ المضاف؛ أي: برُّ مَن آمَنَ، أو يُتأَوَّلُ البرُّ بمعنى: ذِي البرّ، أو كما قالت الخنساء:

فـإنَّـمـا هـي إقـبـالٌ وإدبـارٌ

---

وتدلّ هذه القراءة على اختيار رفع ﴿ٱلْبِرَّ﴾؛ لأنّ "الباء" يدخل في خبر "ليس".

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾. فيه حذفٌ، وفي كيفيّته وجوهٌ:

أحدُها: ولكنّ البرّ برُّ مَن آمن، فحُذف المضاف وهو كثيرٌ في الكلام، كقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أي: حبّ العجل، ويقولون: "الجودُ حاتمٌ" و"الشِّعرُ زهيرٌ" و"الشجاعةُ عنترةُ"، وهذا اختيار الفرّاء[١] والزَّجّاج[٢] وقُطرُب. وقال أبو عليّ: ومِثل هذه الآية قولُه تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ ثمّ قال: ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة ١٩/٩]،[٣] وتقديره: أجعلتم أهلَ سقاية الحاجّ كمَن آمن بالله، أو جعلتم سقايةَ الحاجّ[٤] كإيمان مَن آمن بالله، ليقع التمثيل بين المصدرين أو[٥] بين فاعلين، إذ لا يقع التمثيل بين مصدر وفاعل.

وثانيها قال أبو عبيدة: هنا بمعنى البارّ،[٦] كقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه ١٣٢/٢٠]، أي: للمتّقين، وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [الملك ٣٠/٦٧]، أي: غائرًا.[٧] وإلى هذا الوجه أشار المصنف بقوله: (ذي البرّ).

وثالثها أن يكون المعنى المبالغة، فكأنّ المؤمن البارَّ لكثرة اشتغاله بالبرِّ وإخلاصه فيه تجسَّم مِن البرّ وتحصَّل / منه، فهو البرّ نفسه، كما قالت الخنساء: [٢٠١ظ]

لكنّـها رتـعتْ حتّى إذا ادّكـرتْ (فـإنّـمـا هـي إقـبـالٌ وإدبـارُ)[٨]

---

١ انظر: معاني القرآن للفرّاء، ٦٢/١.

٢ انظر: معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج، ٢٤٦/١.

٣ انظر: الحجّة للفارسي، ٢٧٢/٣.

٤ ر – ثمّ قال: ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ وتقديره: أجعلتم أهلَ سقاية الحاجّ كمَن آمن بالله، أو جعلتم سقايةَ الحاجّ.

٥ ر: أي.

٦ ر: الباء. | انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٦٢/١.

٧ مِن قوله "فيه حذفٌ، وفي كيفيّته وجوهٌ" إلى هنا في تفسير الرازي، ٤١/٥ (البقرة، ١٧٧/٢).

٨ في ديوانها بشرح ثعلب، ص ٣٨٣، وهو لها في: كتاب سيبويه، ٣٣٧/١، والبيان والتبيين للجاحظ، ٢٠١/٣، >

وعن المبرِّد: لو كنتُ ممَّن يقرأ القرآنَ لقرأتُ: ولكن البَرَّ، بفتح الباء.

---

الضمير للناقة. ترثي الخنساء أخاها وتقول: إنّ ناقته ترتع زمانًا فلمّا ذكرتْه تترك[١] الرَّتع وتُقبِل وتُدبِر، فكأنّ الناقة لكثرة ما تُقبِل وتُدبِر ولغلبة[٢] ذلك عليها كأنّها تجسَّمت مِن الإقبال والإدبار، وليست شيئًا غيرَ الإقبال والإدبار.

فيكون في الآية إشارةٌ إلى أنّ مَن اشتغل وأتى بالمذكورات يصير كأنّه البِرّ نفسه، لشرف تلك الأفعال وفضيلةِ تلك الخصال.

واعلم أنّ الوجه الأوّل أَولى وأظهَرُ؛[٣] لأنّه لمّا قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟﴾ كان المناسب في الاستدراك أن يقال: "لكنّ البر كذا" حتّى يصير المعنى "ليس البرّ ذلك لكنّ البرّ ذلك"، ولا يحسن ذلك الحُسنَ لو قيل: "ليس البرّ ذلك لكنّ البارّ هذا".

قوله: (وعن المبرِّد: لو كنتُ ممّن يقرأ القرآن لقرأت ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبَرَّ﴾ بفتح "الباء") واعلم أنّه لا شبهةَ أنّ المبرِّد كان يقرأ القرآن ويَعلَمه، فليس المراد مِن هذا الكلام ظاهرَه؛[٤] بل المعنى: لو جاز أن لو أقرأ بحسب ما أظنّ جواز القراءةِ به لبقاء المعنى وحُسن النظم مِن غير نقل[٥] متّصل إلى النبيّ عليه السلام[٦] لقرأت بفتح "الباء"، أو المعنى: لو كان قد بلغ إليّ جواز القراءة بفتح "الباء" وكسرها بالنقل لاخترت الفتحَ، كما يختار القُرّاء بعضَ ما بلغ إليهم مِن القراءات وتُنسَب تلك القراءة إليه. ثمّ إنّ كلام المبرِّد مع احتماله هذينِ المعنيين لا حاصلَ له؛ لأنّ القراءة بالكسر أصحُّ معنًى وأوفَقُ لفظًا مِن القراءة بالفتح لِما مرّ، ولا يجوز أن يعتقد أحد

---

= والحجّة للفارسي، ٢٧٢/٣، ودلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٣٠٠، وتفسير الرازي، ٤١/٥ (البقرة، ١٧٧/٢). ورواية صدره في المصادر التي أوردته «ترتعُ ما رتعتْ».

١ ر: تشترك.

٢ ر - لغلبة.

٣ انظر: تفسير الرازي، ٤١/٥ (البقرة، ١٧٧/٢).

٤ كأنّه يعني ابن المنيّر، إذ نظر إلى ظاهر كلام المبرّد، فقال: «فإنّ فيه إيهامًا بأن اختلاف وجوه القراءة موكول إلى الاجتهاد، وأنّه مهما اقتضاه قياس اللغة جازت القراءة به لمَن يُعدّ أهلًا للاجتهاد في العربيّة واللغة، وهذا خطأ محض، فالقراءات سنّة متّبعة لا مجالَ فيها للدراية». الانتصاف لابن المنيّر، ٣٣٠/١.

٥ ر: فعل.

٦ ن: صلّى الله تعالى عليه وسلّم.

وقرئ: "ولكنَّ البَارَّ".

وقرأ ابن عامر ونافع: ﴿ولكنْ البِرُّ﴾ بالتخفيف.

﴿والكتاب﴾: جنسُ كتبِ الله تعالى، أو القرآن.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾: مع حبِّ المال والشُّحِّ به؛ كما قال ابنُ مسعود رضي الله عنه: أن تُؤتِيَه وأنتَ صحيحٌ شحيحٌ تَأمُلُ العيشَ وتخشى الفَقرَ، ولا تمهِلَ حتّى إذا بلغتِ الحلقوْمَ قلتَ: لفلانٍ كذا ولفلانٍ كذا.

وقيل: على حبِّ الله.

وقيل: على حبِّ الإيتاء، يريد: أنْ يُعْطيه وهو طيِّبُ النفس بإعطائه.

وقدَّمَ ﴿ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ لأنهم أحقُّ، قال عليه الصلاة والسلام: «صدقَتُك على المسكينِ صدقةٌ، وعلى ذِي رَحِمكَ اثنتان لأنها صدقةٌ وصِلَةٌ».

وقال عليه الصلاة والسلام: ................................

---

أنّه لو غُيّر لفظ مِن ألفاظ القرآن كان أصحّ معنًى، فعلمنا أنّه لو كان ثبت القراءة بالفتح والكسر لَكان القراءة بالفتح أَولى أو مساويًا للقراءة[1] بالكسر.

قوله: (وقُرِئ: "وَلَكِنَّ البَارَّ")[2] قراءة شاذّة.

قوله: (كما قال ابن مسعود)، يعني في تفسير قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾.[3]

قوله:[4] («حتّى إذا بلغتِ الحلقوم»)[5] هي "حتّى" التي يُبتدأ بعدها الكلام، و"إذا" شرطيّة، و(قلتَ) جوابه.[6]

قوله: (يُريد أن يعطيَه) هذا على عَود الضمير إلى (الإيتاء).

---

[1] ر + بالفتح.

[2] ما وقفتُ على نسبتها فيما بين يديّ مِن كتب الشواذّ، ونقلها النَّوْزَوازي عن الكشّاف في المغني في القراءات، ص ٤٨٤.

[3] انظر: جامع البيان للطبري، ٧٩/٣ (البقرة، ١٧٧/٢).

[4] ر - ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ قوله.

[5] طرف حديث في صحيح البخاري، ١١٠/٢ (١٤١٩)؛ وصحيح مسلم، ٧١٦/٢ (١٠٣٢).

[6] ر: جواب.

«أفضلُ الصَّدقةِ على ذي الرَّحِم الكاشح».

وأطلق ﴿ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ والمرادُ الفقراءُ منهم؛ لعَدَم الإلباس.

و"المسكينُ": الدائمُ السكونِ إلى الناس؛ لأنه لا شيءَ له؛ كالمِسْكِير: للدائم السُّكْرِ.

﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافِرِ المنقطِع، وجُعل ابنًا للسبيل لملازَمَتهِ له؛ كما يقال للِّصِّ القاطع: ابنُ الطريق، وقيل: هو الضيفُ؛ لأن السبيل يَرعُفُ به.

﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾: المستطعِمين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للسائل حقٌّ وإن جاء على ظهر فرسه».

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾: وفي مُعاونةِ المكاتَبين حتى يَفُكُّوا رِقابَهم، وقيل: في ابتياعِ الرقاب وإعتاقها، وقيل: في فكِّ الأُسارَى.

**فإن قلتَ**: قد ذكَر إيتاءَ المال في هذه الوجوه ثم قفَّاه بإيتاءِ الزكاة، فهل دلَّ ذلك على أنَّ في المال حقًّا سوى الزكاة؟

---

قوله: («الكاشح»)[1] هو الذي يُضمِر لك العداوة كأنّه[2] يخفيها في كشحه. والكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع.

قوله: (**وأُطلِق**)، يعني: المراد بذي القربى واليتامى الفقراءُ مِن ذوي القربى واليتامى، وإنّما لم يُقيّد لظهور ذلك.

قوله: (**فهل دلّ**[3] **ذلك على أنّ في المال حقًّا سوى الزكاة؟**)، يريد أنّه قد ذُكر إيتاء المال[4] ثمّ عطف عليه "الزكاة"، فهل يقتضي ذلك أن يكون في المال حقٌّ[5] واجب[6] سوى الزكاة أو لا يدلّ؟

وأجاب المصنِّف مِن ثلاثة أوجه: **الأوّل** أن يكون في المال حقّ واجب

---

١ طرف حديث في مسند أحمد، ٥١٠/٣٨ (٢٣٥٣٠)؛ والمستدرك للحاكم، ٥٦٤/١ (١٤٧٥).
٢ ن ر: كأن.
٣ ن ر – دلّ.
٤ ن ر – (حقًّا سوى الزكاة)، يريد أنه قد ذُكر إيتاء المال.
٥ د ن ر: حقًّا.
٦ د ن ر: واجبًا.

**قلتُ: يحتمِل ذلك، وعن الشعبيّ: إنّ في المال حقًّا سوى الزكاة، وتلا هذه الآية.**

**ويحتمِل أن يكون ذلك بيانُ مصارف الزكاة، أو يكون حَثًّا على نوافل الصّدقات والمبارّ، وفي الحديث: «نَسَختِ الزكاةُ كلَّ صدقةٍ» يعني: وجوبَها، ورُوي: «ليس في المالِ حقٌّ سوى الزكاة».**

**﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾ عطفٌ على ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾.**

---

سوى الزكاة واستدلّ عليه بما رُوي عن الشعبيّ،[1] **والثاني** أن يكون قوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾... إلخ، بيانُ مصرِف الزكاة، **والثالث** أن يكون المراد بقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾ غيرَ الزكاة لكن لا بسبيل الوجوب؛ بل بطريق النفل.

قوله تعالى: ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ رُوي عن مجاهد أنّه المسافر،[2] وعن قتادة أنّه الضيف؛[3] لأنّه إنّما وصل إليك مِن الطريق. قال الإمام: «والأوّل أشبَهُ؛ لأن السبيل اسم للطريق، وجُعِل المسافر ابنًا له للزومه إيّاه، كما يقال لطير الماء: "ابن / الماء"».[4] [٢٠٢و]

أقول: هذا الذي ذَكَره الإمام يمكن إجراؤه في الضيف، فلا يدلّ على أنّ الأوّل أشبَهُ.

وقوله: **(يرعُف)** يقال: "رعَف الفَرَس"، أي: سبق وتقدّم. و"الباء" في **(به)** للتعدية.

قوله تعالى: (**﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾ عطفٌ على ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾**)، فهو مرفوع لأنّه خبرُ ﴿لَٰكِنَّ﴾ فكأنّه قيل: لكنّ البرّ مَن آمن والموفون. وقيل: هو رفع على المدح، على أن يكون خبرَ مبتدأ محذوف، تقديره: وهم المُوفون.[5]

---

١ انظر: **جامع البيان** للطبري، ٧٩/٣ (البقرة، ١٧٧/٢).

٢ انظر: **جامع البيان** للطبري، ٨٣/٣ (البقرة، ١٧٧/٢)؛ و**معالم التنزيل** للبغوي، ١٨٧/١ (البقرة، ١٧٧/٢)؛ و**تفسير الرازي**، ٤٦/٥ (البقرة، ١٧٧/٢).

٣ انظر: **جامع البيان** للطبري، ٨٢/٣ (البقرة، ١٧٧/٢)؛ و**تفسير الرازي**، ٤٦/٥ (البقرة، ١٧٧/٢).

٤ **تفسير الرازي**، ٤٦/٥ (البقرة، ١٧٧/٢).

٥ انظر: **معاني القرآن** للفرّاء، ١٠٥/١؛ و**معاني القرآن** للأخفش، ١٦٧/١. والقول عن الفرّاء والأخفش في **تفسير الرازي**، ٤٧/٥ (البقرة، ١٧٧/٢).

وأخرج ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ منصوبًا على الاختصاص والمدح؛ إظهارًا لفضلِ الصبر في الشدائد ومَواطنِ القتال على سائر الأعمال.

وقرئ: "والصَّابرون"، وقرئ: "والموفين... والصابرين".

---

قوله: (على الاختصاص والمدح) يعني نصب على المدح، وإن كان خبر ﴿لَٰكِنَّ﴾ مِن حيث المعنى. وإنّما رفع ﴿ٱلْمُوفُونَ﴾ ونصب ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ لطول الكلام بالمدح، والعرب تنصِب على المدح والذمّ إذا طال الكلام بالنَّسق[١] في صفة الشيء الواحد. وأنشد الفرّاء:[٢]

إلى المَلِكِ القرمِ وابنِ الهُمام ... وليثَ الكتيبة في المُزدحَم[٣]

بنصب "ليث".

قال أبو عليّ الفارسيّ: وإذا ذكرتَ الصفاتِ الكثيرةَ في معرضِ المدح أو الذمّ فالأحسن أن تُخالف بإعرابها ولا تجعل كلّها[٤] جاريةً على موصوفها؛ لأنّ هذا الموضع مِن مواضع الإطناب في الوصف والإبلاغِ في القول، فإذا خُولف بإعراب الأوصاف كان المقصود أكمَلَ؛ لأنّ الكلام عند اختلاف الإعراب يصير كأنّه أنواع مِن الكلام وضروبٌ مِن البيان، وعند الاتّحاد في الإعراب يكون وجهًا واحدًا وجملةً واحدة.[٥]

وإلى هذا المعنى أشار المصنف إظهارًا لفضل الصبر... إلخ.

قوله: (على[٦] سائر) متعلِّق بقوله: (فضل).

قوله: (وقرئ: "والصَّابِرُون")[٧] القراءة برفع "الصّابِرُون" والقراءة بنصب "المُوفِين"[٨] شاذّتان.

---

١ ر: بالفسق.

٢ انظر: معاني القرآن للفرّاء، ١/١٠٥، ٢/٥٨، ٢٨١.

٣ مضى البيت بتخريجه في تفسير سورة البقرة، ٢/٣.

٤ ر: بكلها.

٥ تفسير الرازي، ٥/٤٨ (البقرة، ٢/١٧٧). ولم أقف عليه فيما بين يديّ مِن كتب أبي عليّ.

٦ ن ر: في.

٧ قراءة شاذّة، مرويّة عن الجَحدري وقتادة والحسن والمعلّى، ومحبوب عن أبي عمرو، وحُبشان عن يعقوب. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٨؛ المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٤٨٤.

٨ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وأُبيّ بن كعب، وعصمة عن الأعمش. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٨؛ المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٤٨٤.

و"البأساءُ": الفَقْر والشدَّةُ، و"الضَّراءُ": المرضُ والزَّمانَةُ.

﴿صَدَقُواْ﴾: كانوا صادقين جادِّين في الدِّين.

---

قوله تعالى: ﴿فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ هما "فَعْلَاء" ولا "أفعَل" لهما؛ لأنَّهما ليسا بنعتين. و"البأساء" اسمٌ مِن البؤس.

قوله تعالى: ﴿وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾ قال ابن عبّاس رضي الله عنه:[1] يريد القتالَ في سبيل الله والجهادَ.[2] ومعنى البأس في اللغة: الشِّدّة، يقال: "لا بأسَ عليك في هذا"، أي: لا شدّة، و﴿عَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ﴾ [الأعراف ١٦٥/٧]، أي: شديد، ثمّ تُسمّى الحرب بأسًا لِما فيه مِن الشِّدّة، والعذابُ يُسمّى بأسًا لشدّته، قال الله[3] تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا﴾ [غافر ٨٤/٤٠].[4]

ثمّ قال تعالى:[5] ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ أي: أهل هذه الأوصاف هم الذين صدقوا[6] في إيمانهم فمِن شرائط البرّ وتمامِ شرائط البارّ أن تجتمع فيه هذه الأوصاف، فمَن قام ببعضها وأخلّ ببعضها لم يستحقّ الوصف بالبرّ، فلا ينبغي أن يظنّ الإنسان أنّ الموفي بعهده فقط مِن جملة مَن قام بالبرّ، وكذا الصابر في البأساء؛ بل لا يكون قائمًا بالبرّ إلّا عند استجماع هذه الخصال، ولذلك قال بعضهم: هذه الصفات خاصّة للأنبياء[7] لأنّ غيرهم لا تجتمع فيه هذه[8] الأوصاف كلّها، وقال آخرون: هذه عامّة في جميع المؤمنين.[9]

رُوي «عن أبي مَيْسرة: 'مَن عَمِل بهذه الآية فقط استكمل بالإيمان'».[10]

---

[1] د - رضي الله عنه.

[2] انظر: **جامع البيان** للطبري، ٩١/٣ (البقرة، ١٧٧/٢).

[3] ن ر - الله.

[4] هذا المعاني اللغويّة مذكورة بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٤٩/٥ (البقرة، ١٧٧/٢).

[5] ن - تعالى.

[6] ن ر - أي: أهل هذه الأوصاف هم الذين صدقوا.

[7] ن: الأنبياء.

[8] ر + الخصال.

[9] مِن قوله "أي: أهل هذه الأوصاف" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ٤٩/٥ (البقرة، ١٧٧/٢).

[10] ن ر: الإيمان. | **الوسيط** للواحدي، ٢٦٣/١ (البقرة، ١٧٧/٢).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾

عن عمر بن عبد العزيز والحسنِ البصري وعطاءٍ وعِكْرِمَةَ، وهو مذهبُ مالكٍ والشافعيِّ رضي الله عنهم: أنَّ الحُرَّ لا يُقتَل بالعبد، والذَّكرَ لا يُقتل بالأنثى،

---

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾... إلخ.

هذا هو الحكم الرابع.

قوله تعالى:[١] ﴿فِي ٱلۡقَتۡلَى﴾، أي: بسبب قتل القتلى؛ لأنّ كلمة "في" تُستعمَل للسببيّة، كقوله عليه السلام: «في النفس المؤمنة مئة مِن الإبل»،[٢] و﴿ٱلۡقَتۡلَى﴾ جمع "قتيل" بمعنى "مقتول" كـ"جرحى وجريح"، فصار تقدير الآية: يا أيّها الذين آمنوا وَجَب عليكم القصاص بسبب قَتْل القتيل.[٣]

قوله: (عن عمرَ بن عبد العزيز)... إلخ، هذا سهو مِن المصنِّف، فإنّ الذَّكر يُقتل بالأنثى عند الشافعيّ ومالك وجميع الأئمة رحمة الله تعالى[٤] عليهم أجمعين،[٥] نقل الإمام[٦] الإجماع على ذلك،[٧] / والواحديّ في **الوسيط**[٨] والكتب [٢٠٢ظ]
المصنّفة في مذهب الإمام الشافعيّ رضي الله عنه[٩] تدلّ عليه أيضًا، فإنّه ذُكر فيها أنّه يُقتل الذَّكر بالأنثى بلا خلاف، قال الإمام الرافعيّ[١٠] في **الشرح الكبير**: يُقتل الرجل بالمرأة وبالعكس، والخنثى بهما وبالعكس، كما يُقتل العالم بالجاهل والشريف بالخسيس والشيخ بالشاب وبالعكوس.[١١] ورُوي عن عمرو بن حزم أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم[١٢] كتب في كتابه إلى اليمن:

---

١ ن ر – تعالى.
٢ **السنن الكبرى** للبيهقي، ١٦/٣٨٧ (١٦٤١٨).
٣ انظر: **تفسير الرازي**، ٥/٥١ (البقرة، ٢/١٧٨).
٤ ر – تعالى.
٥ د – رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.
٦ ر – الإمام.
٧ انظر: **تفسير الرازي**، ٥/٥٤ (البقرة، ٢/١٧٨).
٨ انظر: **الوسيط** للواحدي، ١/٢٦٣ (البقرة، ٢/١٧٨).
٩ د – رضي الله عنه.
١٠ ر + رحمه الله.
١١ ر: وبالعكس. | انظر: **الشرح الكبير** للرافعي.
١٢ د: عليه السلام.

**أَخْذًا بهذه الآية، ويقولون: هي مفسِّرةٌ لِمَا أُبهِمَ في قوله: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة ٤٥/٥]، ولأن تلك واردةٌ لحكاية ما كتب في التوراة على أهلها وهذه خُوطبَ بها المسلمون وكُتِبَ عليهم ما فيها.**

**وعن سعيد بن المسيِّب والشعبيِّ والنخعيِّ وقتادةَ والثوريِّ، وهو مذهبُ أبي حنيفةَ وأصحابه رضي الله عنهم: أنها مَنْسوخةٌ بقوله: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾**

---

أنّ القاتل يُقتل بالأنثى.[١] ثم لم يذكر الإمام الرافعي خلافًا في قتل الذَّكر بالأنثى، مع أنّ عادته أن يشير إلى مواضع الخلاف.

قوله: **(ويقولون)** أي: عمر بن عبد العزيز ومَن أجراه المصنِّف مُجراه في الحكم المذكور بناءً على ظنّه. **(هي)** أي: الآية التي نحن فيه، يعني: إن احتجّ الخصم وهو القائل بقتل الحرّ بالعبد والذَّكر بالأنثى بقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة ٤٥/٥]، فالجوابُ أنّ الترجيح معنا مِن[٢] وجهين: **الأوّل** أنّ الآية التي تمسّكنا بها مشتملة على أحكام النفوس على التفصيل والتخصيص، وتلك مطلقة غيرُ مقيّدة، ولا شكّ أن الخاصّ والمقيّد مقدَّم على العامّ والمطلق، والثاني أنّ قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ شرعٌ لمَن قبلنا والآية التي تمسكنا بها شرع لنا، ولا شكّ أن شرعنا أقوى في الدلالة مِن شرع مَن قبلنا.[٣] فقوله: **(ولأنّ تلك)** عطفٌ على قوله: "ويقولون"... إلخ، مِن حيث المعنى.

وأنا أقول: هذا[٤] الاستدلال ضعيفٌ؛ لأنّ الإجماع دلّ على أنّ ظاهر هذه الآية غيرُ مراد لِما عرفتَ أنّ الذَّكر يُقتل بالأنثى بالإجماع، وكيف يكون ظاهره مرادًا، فإنّه يقتضي ألّا يقتل الأنثى بالذّكر ولا العبد بالحر، وأيضًا الأحاديثُ الكثيرة مفسِّرة لمعنى الآية.

---

١ ما وقفت عليه فيما بين يديّ مِن المظانّ.

٢ ن ر – من.

٣ مِن قوله "إن احتجّ الخصم وهو القائل بقتل" إلى هنا في تفسير الرازي، ٥٤/٥ (البقرة، ١٧٨/٢).

٤ ن: هذه.

والقصاصُ ثابتٌ بين العبد والحُرِّ والذَّكَر والأنثى، ويَسْتدلُّون بقوله صلى الله عليه وسلم: «المسلمون تَتكافأُ دماؤُهم»، وبأن التفاضُلَ غيرُ معتبَرٍ في الأنفس، بدليل أنَّ جماعةً لو قتلوا واحدًا قُتلوا به.

ورُوي: أنّه كان بين حَيَّيْن من أحياء العرب دماءٌ في الجاهلية، وكان لأحدهما طَوْلٌ على الآخر، فَأَقْسَمُوا: لنقتُلنَّ الحُرَّ منكم بالعبد منا، والذكرَ بالأنثى، والاثنين بالواحد، فتحاكَموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالإسلام، فنزلت وأمرهم أن يَتَبَاوَؤُا.

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ معناه: فمَن عُفي له من جهةِ أخيه شيءٌ من العَفْو، على أنَّه كقولك: سِيرَ بزيْدٍ بعضُ السَّير، وطائفةٌ من السَّير، ولا يصح أن يكون ﴿شَيْءٌ﴾ في معنى المفعول به؛ لأن "عفا" لا يتعدى إلى مفعول به إلَّا بواسطةٍ.

---

قوله: **(أن يتباوءوا)**، أي: يتساوَوا يقال: "دم فلان بَواءٌ لدم فلان" إذا كان كفؤًا له.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

حقيقة العفو إسقاطُ الحقّ.

قوله: **(على أنّه)**، يعني: إنّما كان معنى ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ مِن جهة أخيه، ومعنى ﴿شَيْءٌ﴾ شيء مِن العفو، بناءً على أنّ ﴿شَيْءٌ﴾ مفعول مطلق، وعلى هذا يكون ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ متعلِّقًا بـ﴿عُفِيَ﴾، و﴿مَنْ﴾ للابتداء،[1] ثمّ شُبّه قوله: ﴿شَيْءٌ﴾ بقوله: **(بعضُ السَّير)**،[2] يريد أنّه مفعول مطلق في حُكم الموصوف. ثمّ قال: **(لا يجوز أن يكون ﴿شَيْءٌ﴾ في معنى المفعول به؛ لأنّ "عفا" لا يتعدّى إلى المفعول به بنفسه)**. ثمّ قال: "أراد بالأخ وليّ المقتول" وسمّاه[3] أخًا للملابسة بين القاتل ووليّ الدمّ. وفائدةُ ذِكره بلفظ الأخ أن يعطِف، أي: يرحَم أحدهما على صاحبه بسبب الإسلام الذي هو ثابت بينهما. قال الواحديّ:[4]

---

[1] ن ر: الابتداء.
[2] ن: يسير.
[3] ر: وسُمي.
[4] ن ر - على صاحبه بسبب الإسلام الذي هو ثابت بينهما. قال الواحدي.

**وأخوه: هو وليُّ المقتول، وقيل له: أخوه؛ لأنه لابَسَه من قِبَل أنّه وليُّ الدم ومُطالبُه به؛ كما تقول للرجل: قُل لصاحبك كذا، لمَن بيْنَه وبيْنَه أدْنى ملابَسَةٍ.**

**أو ذَكَره بلفظِ الأخوَّة ليُعطِّفَ أحدَهما على صاحبه بذكرِ ما هو ثابتٌ بينهما من الجنسيَّة والإسلام.**

**فإن قلتَ: إنَّ "عفا" يتعدَّى بـ"عن" لا باللام، فما وجهُ قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ﴾؟**

**قلتُ: يتعدَّى بـ"عن" إلى الجاني وإلى الذَّنْب، فيقال: عَفَوْتُ عن فلان وعن ذنبه، ..........................................................**

---

«﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ أراد "مِن دم أخيه"، فحُذف المضاف للعِلم به، وأراد بالأخ المقتولَ، سمّاه أخًا للقاتل فدلّ[1] على أنّ أخوّة الإسلام بينهما لم تنقطع، وأنّ القاتل لم يخرج عن الإيمان بقتله».[2]

وأنا أقول: على هذا الوجه الذي ذكره الواحديّ يكون ﴿شَيْءٌ﴾ في معنى المفعول به، ويكون قوله: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ حال مِن قوله:[3] ﴿شَيْءٌ﴾ مقدَّم عليه.

وقال الواحديّ: الكنايتان[4] في قوله: «﴿لَهُۥ﴾[5] و﴿أَخِيهِ﴾ يرجعان إلى ﴿مَنْ﴾ وهو القاتل».[6]

[٢٠٣و] قوله: (إنّ "عفا" يتعدّى بـ"عن")[7] يقال: "عفا[8] / عنه"، ولا يقال: "عفا له"، فلِمَ قيل: ﴿عُفِيَ لَهُۥ﴾؟

قوله: (يتعدّى) تقرير الجواب أن يقال: إنّ "عفا" يتعدّى بـ"عن" إلى الجاني وإلى الجناية، يقال:[9] "عفوتُ عن فلان" و"عفوتُ عن ذنبه" إذا صفحتَ عنه وأعرضتَ عن عقوبته، فإذا اجتمعا عُدّي إلى الأوّل بـ"اللام"، فيقال: عفوتُ[10] لفلان

---

[1] ن - فدلّ.

[2] **الوسيط** للواحدي، ١/٢٦٥ (البقرة، ٢/١٧٨).

[3] ر - ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ حال مِن قوله.

[4] يعني: الضميرين.

[5] ر - ﴿لَهُۥ﴾.

[6] **الوسيط** للواحدي، ١/٢٦٥ (البقرة، ٢/١٧٨).

[7] ن + يعني.

[8] ر - عفا.

[9] ر: فيقال.

[10] ر - عن فلان" و"عفوتُ عن ذنبه" إذا صفحتَ عنه وأعرضتَ عن عقوبته، فإذا اجتمعا عُدّي إلى الأوّل بـ"اللام"، فيقال: عفوتُ.

قال الله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [التوبة ٤٣/٩] وقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ [المائدة ١٠١/٥]، فإذا تعدَّى إلى الجاني وإلى الذَّنْب معًا قيل: عفوتُ لفلانٍ عما جنَى، كما تقول: غفرتُ له ذنبَه، وتجاوزتُ له عنه، وعلى هذا ما في الآية كأنَّه قيل: فمَن عُفي له عن جنايته، فاستُغْني عن ذكر الجناية.

**فإن قلتَ:** هلَّا فسرتَ ﴿عُفِيَ﴾ بـ: تُرِك، حتى يكونَ ﴿شَيْءٌ﴾ بمعنى المفعول به؟

**قلتُ:** لأن "عفا الشيءَ" بمعنى: تَرَكه، ليس بِثَبتٍ، ولكنْ: أَعْفاه، ومنه قوله عليه الصَّلاة والسلام: «وأعْفُوا اللِّحى».

---

عن ذنبه.[١] قال المطرزيّ في **المُغرِب**: «فعلى هذا[٢] قوله: "عفوتك عن القطع أو عن الشجَّة" خطأ».[٣] يريد أنّ الصواب أن يقال: عفوتُ لك عن القطع أو عن الشجّة.

قوله: (**قال الله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾** [التوبة ٤٣/٩]) هذا مثال التعدّي إلى الجاني بـ"عن".

قوله: (**وقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾** [المائدة ١٠١/٥])، أي: عن الجناية. هذا مثال التعدّي إلى الذنب بـ"عن".

قوله: (**فإذا تعدّى إلى الذنب**)،[٤] أي: بـ"عن" يريد أنّهما إذا اجتمعا تعدّى إلى الأوّل بـ"اللام". ثمّ إنّ المصنِّف شبَّهه بعد ذلك تارة بقوله: (**غفرتُ له ذنبَه**)؛ لأنّ "غفرتُ ذنبه"[٥] بمنزلة "عفوتُ عن ذنبه" وتارة بقوله: (**تجاوزتُ له عنه**)؛ لأنَّ "تجاوزتُ عن ذنبه" بمنزلة "عفوتُ عن ذنبه"، فكما أنّ كلًّا منهما إذا تعدّى إلى الذنب يتعدّى إلى الجاني بـ"عن"،[٦] فكذا ﴿عُفِيَ﴾.

قوله: (**ولكن "أعفاه"**)[٧] يعني أنّ "أعفاه" بمعنى "تَرَكه" ثابتٌ. قال في **المُغرِب**: «جَعَل صاحب **المقاييس** هذا التركيب دالًّا على أصلين "ترك" و"طلب" إلّا أنّ العفو غَلَب على تَرْك عقوبة مَن استحقّها والإعفاءِ على الترك مطلقًا،

---

[١] ر: دينه. | انظر: **المُغرِب** للمطرّزي، «عفو».
[٢] ن + يكون.
[٣] **المُغرِب** للمطرّزي، «عفو».
[٤] ر + بعن.
[٥] ن - ذنبه.
[٦] ر: يعني.
[٧] ر: أعفى.

**فإن قلتَ: فقد ثبتَ قولُهم: عفَا أثرَهُ، إذا مَحَاه وأزاله، فهلَّا جعلتَ معناه: فمَن مُحِيَ له من أخيه شيء؟**

**قلتُ:** عبارةٌ قَلِقَةٌ في مكانها، والعَفْوُ في باب الجنايات عبارةٌ متداوَلةٌ مشهورةٌ في الكتاب والسنَّة واستعمالِ النَّاس، فلا يُعْدَل عنها إلى أُخرى قلقةٍ نابيةٍ عن مكانها، وتَرى كثيرًا ممَّنْ يَتَعاطى هذا العلم يَجْتَرِئُ إذا أَعْضَل عليه تخريجُ وجهٍ للمُشْكل من كلام الله على اختراعِ لغةٍ وادِّعاءٍ على العرب ما لا تَعْرِفُه، وهذه جرأةٌ يُسْتعاذُ بالله منها.

**فإن قلتَ:** لم قيل: شيءٌ من العفو؟

---

ومنه "إعفاء اللحية" وهو ترك قطعها وتوفيرُها، وقولهم: "أعفِني مِن الخروج معك"، أي: "دعني عنه واتركني"».[1]

واللحية معروفة والجمع "لِحًى" بالكسر و"لُحًى" أيضًا بالضمّ، مثل "ذِروة وذُرًى".

قوله: (**فلا يُعدَل عنها**)، أي: عن العبارة المتداولة (**إلى**) عبارة (**أخرى قلقةٍ**)، أي: مضطربة غير ثابتة.

قوله: (**نابيةٍ**) يقال: نبا الشيء عنّي ينبو، أي: تباعد، وأنبيتُه: دفعتُه عن نفسي.

قوله: (**يتعاطى**)، أي: يتناول هذا[2] العلم، أي: التفسير. (**أعضَلَ**)، أي: أشكَلَ.

قوله: (**لِمَ قيل:**[3] **شيءٌ مِن العفو؟**) تقرير السؤال أن يقال: لمّا كان القَوَد لا يتبعّض،[4] فما فائدة قوله: "شيءٌ مِن العفو"؟

والجواب أنّ تنكير الشيء يُفيد فائدة عظيمة؛ لأنّه كان يجوز أن يُتوهَّم أنّ العفوَ لا يؤثِّر في سقوط القَوَد إلّا إذا كان عفوًا عن جميعه، فبيَّن تعالى أنّ العفو عن جزئه كالعفو عن كلّه في سقوط القَوَد وعفوُ بعضِ الأولياء عن حقّه كعفو جميعهم عن حقّهم، فلو عُرِّف الشيء كان لا يُفهم منه[5] ذلك، فلمّا نكّره

---

[1] **المُغرِب** للمطرّزي، «عفو».
[2] ر + الاسم.
[3] ر: يقبل.
[4] ر + فلما.
[5] ر: عنه.

قلتُ: للإشعار بأنّه إذا عُفي له طرفٌ من العفوِ وبَعْضٌ منه بأَنْ يُعْفى عن بعضِ الدَّم، أو عَفا عنه بعضُ الورثة، تمَّ العفوُ وسقط القصاصُ ولم تَجبْ إلّا الدِّيَة.

﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: فليكُن اتِّباعٌ، أو: فالأمرُ اتِّباعٌ، وهذه توصيةٌ للمَعْفُوِّ عنه والعافي جميعًا؛ يعني: فلْيَتَّبع الوليُّ القاتلَ بالمعروف بأنْ لا يُعَنِّفَ به ولا يطالِبَه إلا مُطَالبَةً جميلةً، ولْيُؤدِّ إليه القاتلُ بدلَ الدَّم أداءً بإحسانٍ بأنْ لا يَمْطُلَه ولا يَبْخَسَهُ.

---

صار هذا المعنى مفهومًا منه، فلذلك نكّره. وهذا الجواب على تقدير أن يقال: الواجب[1] هو القَوَد.

وهنا جوابٌ آخر وهو أن يقال: إنّما يَرِد السؤال إذا كان هو القَوَد فقط، فحينئذٍ يقال: "القَوَد لا يتبعَّض"، فلا يبقى لقوله: "شيء" فائدةٌ، أمّا إذا كان مجموعُ حقّه[2] إمّا القودَ وإمّا المالَ كان مجموع حقِّه متبعِّضًا؛ لأنّ له أن يعفوَ عن القَوَد دون المال وله أن يعفوَ عن الكلّ، فلمّا كان الأمر كذلك جاز أن يقول: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ﴾.[3]

قوله: (فليكن اتّباعٌ) يريد أنّ قوله: ﴿ٱتِّبَاعٌۢ﴾ مرفوع لأنّه إمّا فاعلُ فعلٍ محذوف، أي: فليكن، أي: ليقع وليحصل اتّباعٌ وإمّا خبرُ مبتدأ محذوف، أي: فالأمر اتّباعٌ.

قوله: (وهذه توصية)، يعني أنّ قوله تعالى: ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ متعلّق بالعافي والمعفوِّ عنه، عن ابن عبّاس / والحسن وقتادة [٢٠٣ظ]
ومجاهد.[4] فقوله: (وليؤدِّ) عطف على قوله: (فليتَّبِع)، والمعنى: فعلى العافي وهو وليّ المقتول اتّباع بالمعروف في المطالبة بالدية، وهو ترك التشدُّد على القاتل في طلب الدية، وعلى المعفوِّ عنه وهو القاتل تأديةُ المال إلى العافي بإحسان. أَمَر الله تعالى أن يطلُب بالمعروف ويتّبع الحقَّ الواجب له مِن غير أن يُطالبه بالزيادة أو يكلّفه[5] ما لم يُوجِبه الله أو يُشدِّد عليه. كلّ هذا تفسير المعروف.

---

١ ن: الجواب.

٢ ر + متبعضها.

٣ مِن قوله "والجواب أنّ تنكير الشيء يُفيد فائدة عظيمة" إلى هنا في تفسير الرازي، ٥/٥٧-٥٨ (البقرة، ٢/١٧٨).

٤ انظر: جامع البيان للطبري، ٣/١٠٤-١٠٦ (البقرة، ٢/١٧٨).

٥ ن ر + منه، ر + بالإحسان.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكمُ المذكورُ من العفوِ والدِّيَة ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ لأن أهلَ التوراة كُتب عليهم القصاصُ البتَّةَ وحُرِّم العفوُ وأخذُ الدية، وعلى أهلِ الإنجيل العفوُ وحُرِّم القصاصُ والدِّيةُ، وخُيِّرت هذه الأمَّة بينَ الثلاث: القصاصِ والدِّيةِ والعفوِ؛ توسعةً عليهم وتيسيرًا.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ التخفيفِ، فتجاوَزَ ما شُرع له: من قتلِ غيرِ القاتل، أو القتْلِ بعد أخذ الدِّية، فقد كان الوليُّ في الجاهلية يؤمِّنُ القاتلَ بقبوله الدِّيةَ ثم يَظْفَرُ به فيَقْتُلُه.

﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: نوعٌ من العذاب شديدُ الألم في الآخرة.

وعن قَتادةَ: العذابُ الأليمُ: أنْ يُقتَلَ لا محالة ولا تُقْبَلَ منه ديةٌ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا أُعافي أحدًا قَتَلَ بعد أَخْذِه الديةَ».

## ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ كلامٌ فصيحٌ لِمَا فيه من الغرابة، وهو أن القصاصَ قَتْلٌ وتَفْويتٌ للحياة، وقد جُعل مكانًا وظَرفًا للحياة، ومن إصابَة محزِّ البلاغة بتعريفِ القصاصِ وتنكير الحياة؛ لأن المعنى: ولكم في هذا الجنس من الحُكم الذي هو القصاصُ حياةٌ عظيمةٌ، ..........................

---

وأَمَر المطلوب منه بالإحسان في الأداء وهو ترك المَطل والتسويف. وقيل: هما على المعفوِّ عنه، فإنّه يتّبع عفوَ العافي بمعروف ويؤدّي ذاك المعروف إليه بإحسان.[1]

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾... إلخ.

قول المصنِّف: (﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾)[2] حكايةُ لفظِ القرآن في محلّ المبتدأ. وقوله: (كلامٌ فصيح) خبرُه، وبيَّن فصاحته بما فيه مِن الغرابة ومن إصابة المحزّ.

قوله: (أو نوع مِن الحياة) عطف على قوله: (حياة عظيمة)، يريد أنّ التنكير

---

[1] القول في تفسير الرازي، ٥٩/٥ (البقرة، ١٧٨/٢). [2] ر - إلخ. قول المصنِّف: (﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾).

وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحدِ الجماعةَ، وكم قَتَل مُهَلهِلٌ بأخيه كُليبٍ حتّى كاد يُفْني بكرَ بن وائل، وكان يُقْتَل بالمقتول غيرُ قاتله فتثورُ الفتنةُ ويقع بينهم التناحُر، فلما جاء الإسلام بشَرْع القصاص كانت فيه حياةٌ أيُّ حياةٍ، أو نوعٌ من الحياةِ وهي الحياةُ الحاصلةُ بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل؛ لأنّه إذا همَّ بالقتل فعَلم أنه يُقتصُّ منه فارْتَدَع سَلِمَ صاحبه من القتل وسَلِمَ هو من القَوَد، فكان القصاص سببَ حياةِ نَفْسَين.

وقرأ أبُو الجوزاء: "ولكم في القَصَصِ حياةٌ"؛ أي: فيما قُصَّ عليكم من حُكْم القتل والقِصاص.

---

في قوله: ﴿حَيَوٰةٌ﴾ يجوز أن يكون للدلالة على التعظيم، وأن يكون للدلالة على[1] التنويع. وقوله: (**وكان[2] يُقتل**) عطفٌ على قوله: (**كانوا يقتلون**).

قوله: (**بالارتداع**) متعلّق بقوله: (**الحاصلة**). وقوله: (**لوقوع**) متعلِّق بقوله: "الارتداع". وقوله: (**من القاتل**) متعلِّق بـ(**الاقتصاص**) وقوله: (**لأنّه**) متعلِّق بقوله: "الحاصلة".

قوله: (**فعَلِم**) عطف على قوله: (**همّ**). وقوله: (**فارتدع**) عطف على قوله: "عَلِم". وقوله: (**سَلِم**) جواب (**إذا**).

قوله: (**وقرأ أبو الجوزاء: "وَلَكُمْ في القَصَصِ حَيَاةٌ"**)[3] هي[4] شاذّة.

**قال الإمام:**

> اتّفق علماء البيان على أنّ هذه الآية في الإيجاز مع جَمْع المعاني بالغةٌ إلى أعلى الدرجات، وذلك لأنّ العرب عبّروا عن هذا المعنى بعبارات كثيرة، كقولهم: "قتلُ البعض إحياءٌ للجميع"،[5] وقولِ آخرين: "أكثِروا القتل ليَقِلّ القتلُ"، وأجودُ الألفاظ المنقولة عنهم في هذا الباب قولهم:

---

[1] ن ر – التعظيم، وأن يكون للدلالة على.
[2] ن ر – وكان.
[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي الجوزاء. **شواذ القرآن** لابن خالويه، ص ١٩.
[4] ن – هي.
[5] ورد بلفظ "بعض القتل إحياءٌ للجميع" في **مجمع الأمثال** للميداني، ١/١٠٥.

وقيل: "القَصصُ" القرآن؛ أي: ولكم في القرآن حياةٌ للقلوب؛ كقوله تعالى: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى ٥٢/٤٢] ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال ٤٢/٨].

---

"القتلُ أنفى للقتل"، ثمّ إنّ لفظ القرآن أفصحُ، وبيانُ التفاوت مِن وجوه:

أحدُها أنّ قوله تعالى:[١] ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ أخصرُ مِن الكلّ؛ لأنّ قوله: ﴿وَلَكُمْ﴾ لا يدخُل في هذا الباب، إذ لا بدّ في الجميع مِن تقدير ذلك لأنّ قول[٢] القائل: "قتلُ البعض إحياءٌ للجميع" لا بدّ فيه مِن تقدير مثله، وكذا في قولهم: "القتلُ أنفى للقتل"، وإذا ثبت ذلك فنقول: قوله: ﴿فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ عشرةُ أحرف وقولهم: "القتلُ أنفى للقتل" أربعةَ عشرَ.

وثانيها أنّ قولهم: "القتلُ أنفى للقتل" ظاهرُه يقتضي كونَ الشيء سببًا لانتفاء نفسه وهو محالٌ، وقوله: ﴿فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ ليس كذلك؛ لأنّ المذكور هو نوع مِن القتل وهو[٣] القِصاص، ثمّ ما جعله سببًا لمطلق الحياةِ لأنّه ذَكَر الحياة منكّرة؛ بل جعله سببًا لنوع مِن أنواع الحياة.

وثالثها أنّ قوله: "القتل أنفى للقتل" فيه تكرير للفظ القتل وليس قوله: ﴿فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ كذلك.

ورابعها أنّ قول القائل: "القتلُ أنفى للقتل" لا يفيد إلّا الردعَ عن القتل، وقوله: ﴿فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ يُفيد الردع عن القتل[٤] وعن الجرح وغيرِهما، فهو أجمع للفوائد.

وخامسها أنّ نفي القتل مطلوب مِن حيث إنّه يتضمّن حصول الحياة، وأمّا الآية فإنّها تدلّ على حصول الحياة وهو مقصود أصليّ فكان هذا أولى.

وسادسها أنّ القتل ظلمًا قتلٌ مع أنّه لا يكون نافيًا للقتل؛ بل سبب / زيادة القتل، وإنّما النافي لوقوع القتل هو القتل المخصوص وهو القِصاص، فظاهرُ قولهم باطلٌ، وأمّا الآية فهي صحيحة ظاهرًا وتقديرًا.[٥] [٢٠٤و]

---

١ د − تعالى.

٢ ر − ﴿وَلَكُمْ﴾ لا يدخُل في هذا الباب، إذ لا بدّ في الجميع مِن تقدير ذلك لأنّ قول.

٣ ن ر + في.

٤ ر − وقوله: ﴿فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ يُفيد الردع عن القتل.

٥ انظر: تفسير الرازي، ٥/٦٠-٦١ (البقرة، ١٧٩/٢)؛ ونهاية الإيجاز للرازي، ص ٢١٥-٢١٦.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؛ أي: أَرَيْتُكم ما في القِصاص من استبقاءِ الأرواح وحفظِ النفوس ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: تعملون عَمَل أهلِ التَّقوى في المحافظةِ على القصاص والحكمِ به، وهو خطابٌ له فَضْلُ اختصاصٍ بالأئمَّة.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ١٨٠﴾

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: إذا دنا منه فظهَرتْ أَمَاراتُه.

﴿خَيْرًا﴾: مالًا كثيرًا؛ عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلًا أرادَ الوصيَّةَ وله عيالٌ وأربعُ مئة دينار، فقالت: ما أَرَى فيه فَضْلًا.

وأراد آخَرُ أن يُوصِي فسألَتْه: كم مالُك؟ فقال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عيالُك؟ قال: أربعةٌ، قالت: إنّما قال الله ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ وإنَّ هذا لشيءٌ يسير فاتْرُكْه لعيالك.

---

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أشار المصنِّف بقوله: (أرأيتكم)... إلخ، إلى أنّ "لعلّ" متعلِّق بمحذوف، أي: أعلمتُكم وبيَّنت لكم ما في القِصاص مِن حفظ النفوس لعلّكم تُحافظون على القِصاص، ثمّ قال: "ولهذا الخطابِ مزيدُ اختصاصٍ بالأئمّة"، أي: الولاة والحكام؛ لأنّهم يمكنهم إجراء القِصاص واستيفاؤه دون كلّ أحد[١] مِن الناس.

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

هذا هو الحكم الخامس.

ليس المراد مِن قوله: ﴿حضر أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ معاينةَ الموت؛ لأنّه في هذا الوقت يكون عاجزًا عن الإيصاء؛ بل المراد حصولُ أمارة الموت، أي: أسبابِه ومقدِّماته مِن العِلَل والأمراض المَخوفة.

---

[١] ن ر: واحد.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّ مولًى له أراد أن يُوصِي وله سبعُ مئة، فمنعه وقال: قال الله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ والخيرُ هو المال، وليس لك مالٌ.

و﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ فاعل ﴿كُتِبَ﴾، وذُكِّر فعلُها للفاصل، ولأنها بمعنى: أن يوصِي، ولذلك ذُكِّرَ الراجع في قوله تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾.

والوصيَّةُ للوارثِ كانت في بَدْء الإسلام فنُسخَتْ بآية المواريث، وبقوله عليه الصلاة والسلام: «إنَّ الله أَعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه أَلَا لا وصيَّة لِوارثٍ»، وبِتَلقِّي الأمَّة إيَّاه بالقبول حتى لَحِق بالمتواتر وإن كان من الآحاد؛ لأنَّهم لا يتلقَّوْنَ بالقبول إلا الثَّبت الذي صحَّت روايتُه.

وقيل: لم تُنسخ، والوارثُ يُجْمع له بين الوصيَّة والميراث بحُكم الآيتين.

---

قوله: (و﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ فاعلُ ﴿كُتِبَ﴾) اعلم أنّه مفعول ما لم يسمَّ فاعله أقيمَ مُقام الفاعل لكنّ مفعولَ ما لم يُسمَّ فاعله عند المصنِّف فاعلٌ، فلذلك قال: هو فاعل ﴿كُتِبَ﴾، ولذا حدَّ الفاعل في **المفصّل** بما يدخل فيه مفعول ما لم يُسمّ فاعله، فقال: «هو ما كان المسندُ إليه مِن فعل أو شبهه مقدّمًا عليه»،[1] ولذا لم يذكره في المرفوعات، وقد صرَّح بذلك في بعض فصول **المفصّل** وهو قوله: وتضاف الصفة إلى فاعلها، كقولك: "معمور الدار" و"مؤدَّب الخُدّام".[2]

قوله: (**وذُكّر فعلُها**)، يعني: ذُكِّر الفعل المسند إلى ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ مع أنّ ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ مؤنّث لوجهين: **الأوّل** الفصل بين الفعل[3] والوصيةِ، فإنّ الكلام لمّا طال كان الفاصل بين المؤنّث والفعل كالعِوض مِن تاء التأنيث، والعرب تقول: "حضرَ القاضيَ امرأةٌ" فيُذكِّرون؛ لأنّ "القاضي" فصَلَ بين الفعل وبين "المرأة".[4] **والثاني** أنّ ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ بمعنى "أن يُوصيَ"، ولكون الوصيّة بمعنى "أن يُوصيَ" ذُكِّر الضمير في قوله: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾.

---

[1] **المفصَّل** للزمخشري، ص ٣٨.
[2] انظر: **المفصَّل** للزمخشري، ص ٢٩٣.
[3] ر – المسند إلى ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ مع أنّ ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ مؤنّث لوجهين: الأوّل الفصل بين الفعل.
[4] انظر: تفسير الرازي، ٦٤/٥ (البقرة، ١٨٠/٢).

وقيل: ما هي بمخالِفةٍ لآيةِ المواريث، ومعناها: كُتب عليكم ما أوصى به الله من توريث الوالدين والأقربين من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ [النساء ١١/٤]، أو كتب على المحتضَر أن يوصي للوالدين والأقربين بتوفير ما أَوصى به الله لهم عليهم، وأَنْ لا يُنقَص من أنصبائهم.

---

واعلم أنّ في رفع ﴿ٱلۡوَصِيَّةُ﴾ وجهًا آخرَ لم يذكُره المصنِّف، وهو أن يكون مبتدأ و﴿لِلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾ الخبر، وتكون الجملة في[1] موضع رفع بـ﴿كُتِبَ﴾، كما تقول: "قيل: عبدُ الله قائم"، فقولُك: "عبدُ الله قائم" جملةٌ مِن مبتدأ وخبر في موضع رفع بـ"قيل".

قوله: (**وقيل: ما هي بمخالِفة لآية المواريث**)، أي: هذه الآية ليست بمخالفة لآية المواريث. ولهذا الوجه تقديران:[2]

**الأوّل** أنّ معنى هذه الآية كُتب عليكم ما أوصى به الله وهو توريث الوالدين والأقربين، فكأنّه قيل: فُرِض عليكم[3] أن تُراعوا وتُحافظوا على ما أوصى الله تعالى به في قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ [النساء ١١/٤]، فـ"مِن" في قول المصنِّف (**مِن توريث الوالدين**) بيانُ ما أوصى و"مِن" في قوله: (**مِن قوله تعالى**) يجوز أن تكون للابتداء متعلِّقًا إمّا بقوله: (**كُتب**) أو بقوله: (**أوصى**)،[4] ويجوز أن يكون في الكلام حذفٌ، أي: هذا المعنى مأخوذ مِن قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾، فإنّه تعالى لمّا قال هناك ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ عُلم أنّ المراد بالوصيّة في هذه الآية هو تلك الإيصاء.[5]

والتقدير[6] **الثاني** أنّ معنى الآية: كُتب على المريض الذي احتضره الموت أن يُوصيَ لأجل الوالدين والأقربين، بأن يوفِّر عليهم ما أوصى الله به لهم، وبأن لا ينقص مِن أنصبائهم شيء.

---

[1] ر - في.

[2] ن ر: تقريران.

[3] ن ر - ما أوصى به الله وهو توريث الوالدين والأقربين، فكأنّه قيل: فُرِض عليكم.

[4] ن ر - و"مِن" في قوله: (مِن قوله تعالى) يجوز أن تكون للابتداء متعلِّقًا إمّا بقوله: (كُتب) أو بقوله: (أوصى).

[5] هامش د: هو تلك الوصية. خ [اختصارًا مِن "نسخة"].

[6] ن: والتقرير.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بالعدل، وهو أن لا يُوصي للغنيِّ ويَدَعَ الفقير ولا يتجاوزَ الثُّلث.

﴿حَقًّا﴾ مصدرٌ مؤكِّد؛ أي: حَقَّ ذلك حقًّا.

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾: فمَن غَيَّرَ الإيصاءَ عن وجهه إنْ كان موافِقًا للشرع من الأوصياء والشهودِ.

---

قوله تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

/ اعلم أنّه تعالى لمّا ذَكَر أمرَ الوصيّة ووجوبَها وعظَّم أمرَها أتبعَه بما يجري مجرى الوعيد في تغييرها. [٢٠٤ظ]

قوله: (مِن الأوصياء) بيان (مَن غيّر).[١] اعلم أنّ الضمير في قوله: ﴿بَدَّلَهُۥ﴾ عائدٌ إلى ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾، مع أنّ الضمير مذكّر و﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾[٢] مؤنّث، فذكروا فيه وجوهًا: أحدها أنّ ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ بمعنى "الإيصاء" ودالّة[٣] عليه، كقوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾ أي: وعظٌ، والتقدير: فمن بدّل ما قاله الميّت أو ما أوصى به أو ما سمعه عنه. وثانيها الضمير راجع إلى الحُكم[٤] والفَرْض، والتقدير: فمن بدّل الأمر المقدَّم ذِكرُه؛ وثالثُها أنّ الضمير عائدٌ إلى ما أوصى به الميّت، فلذلك ذكَّره[٥] وإن كانت ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ مؤنّثة؛ ورابعُها أنّ الضمير راجع[٦] إلى معنى الوصية وهو "قولٌ"[٧] أو "فعلٌ"؛ وخامسها أنّ تأنيث ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ ليس بالحقيقيّ، فيجوز أن يرجع إليها ضميرُ الذكور.[٨]

---

١ ن – بيان (مَن غيّر).

٢ ر – بيان (مَن غيّر) اعلم أنّ الضمير في قوله: ﴿بَدَّلَهُۥ﴾ عائدٌ إلى ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾، مع أنّ الضمير مذكّر و﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾.

٣ ر: دال.

٤ ر: حكم.

٥ ر – وثالثُها أنّ الضمير عائدٌ إلى ما أوصى به الميّت، فلذلك ذكَّره.

٦ د ر – راجع. | وفي هامش ن: ظ [اختصارًا مِن "الظاهر"].

٧ ن: ترك.

٨ مِن قوله "اعلم أنّ الضمير في قوله: ﴿بَدَّلَهُۥ﴾" إلى هنا في تفسير الرازي، ٦٩/٥ (البقرة، ١٨١/٢).

﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾ وتَحقَّقه ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾: فما إثمُ الإيصاء المغيّر أو التَّبديل إلّا على مبدِّليه دون غيرهم من المُوصِي والموصَى له؛ لأنهما بريئان من الحَيْف.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: وعيدٌ للمبدِّل.

﴿فَمَنْ خَافَ﴾: فمَن توقَّع وعَلِم، وهذا في كلامهم شائعٌ يقولون: أخاف أَنْ تُرْسِلَ السَّماء، يريدون التَّوقُّعَ والظنَّ الغالبَ الجارِيَ مجرَى العلم.

﴿جَنَفًا﴾: مَيْلًا عن الحقِّ بالخطأ في الوصيَّة.

﴿أَوْ إِثْمًا﴾: أو تَعَمُّدًا لِلحَيْف.

---

وهذا[١] مذهب بعضِ النحويّين، ونُقل مثلُه عن المصنِّف في قوله في **الأنموذج**: «الكلمةُ: مفردٌ».[٢]

قوله تعالى: ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾ «يدلُّ على أنّ[٣] الإثم إنّما يثبُت بشرط أن يكون المبدِّل قد عَلِم ذلك؛ لأنّه لا معنى للسماع لو لم يقع العِلم به، فصار إثبات سماعه كإثبات عِلمه».[٤] وإليه أشار المصنِّف بقوله: (﴿**سَمِعَهُۥ**﴾ **وتحقَّقه**)، فيجوز أن يكون معنى كلام المصنِّف أنّ قوله: "وتحقَّقه" مقدَّر حُذف للعِلم به؛ لِما مرّ، ويجوز أن تكون "الواو" في "وتحقَّقه" للعطف الذي يكون للبيان،[٥] فكأنّه قال: المرادُ بالسماع التحقُّق إطلاقًا للملزوم وإرادةً للّازم.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ﴾ اعلم أنّ كلمة "إنّما" للحصر، والضميرُ مِن قوله: ﴿إِثْمُهُۥ﴾ عائدٌ إمّا إلى الإيصاء المغيَّر لدلالة[٦] الوصيّة مع قوله: ﴿بَدَّلَهُۥ﴾ عليه، وإمّا إلى التبديل، والمعنى: فما إثمُ ذلك الإيصاء المغيَّر، أو فما إثمُ ذلك التبديل إلّا على الذين بدّلوه.

---

١ يعني الوجه الخامس مِن الوجوه المذكورة.
٢ ن: ينفرد، ر: مفردة. | **الأنموذج** للزمخشري، ص ١٥.
٣ ن ر - أنّ.
٤ **تفسير الرازي**، ٥/٦٩ (البقرة، ٢/١٨١).
٥ ر - للبيان.
٦ ر: لدلالته.

**﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الموصَى لهم وهم الوالدان والأقربون بإجرائهم على طريق الشرع.**

**﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ حينئذٍ؛ لأنَّ تبديلَه تبديلُ باطلٍ إلى حقٍّ. ذُكر مَن يُبدِّل بالباطِل ثم مَن يبدِّل بالحق ليُعلم أن كلَّ تبديلٍ لا يُؤثِّم.**

**﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾**

**﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: ...........................**

---

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾... إلخ.

هذا هو الحكم السادس.

"الصيام" مصدر "صام"، كـ"القيام" مِن "قام". وأصلُه في اللغة: الإمساكُ عن[١] الشيء والتركُ له، ومنه قيل للصمت: "صوم"؛ لأنّه إمساك عن الكلام، قال تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم ٢٦/١٩]، هذا[٢] معنى الصوم في اللغة. وأمّا في الشريعة فهو: الإمساك مِن طلوع الفجر إلى غروب الشمس عن المفطِّرات حالَ العِلم بكونه صائمًا مع اقتران النيّة.[٣]

قوله: ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ قال الزَّجّاج: موضع ﴿كَمَا﴾ نصبٌ على المصدر، «المعنى: فُرِض عليكم فرضًا كالذي فُرِض على[٤] مَن قبلكم».[٥] «وقال ابن الأنباريّ: يجوز أن يكون في موضع نصب[٦] على الحال مِن ﴿ٱلصِّيَامُ﴾، يراد بها: كُتب عليكم الصيامُ مشبَّهًا ومماثلًا بما كُتب على الذين مِن قبلكم».[٧]

ثمّ اعلم أنّ العلماء اختلفوا في هذا التشبيه على وجوه:

---

[١] ر: على.

[٢] ر - هذا.

[٣] مِن قوله "الصيام مصدر صام" إلى هنا في تفسير **الرازي**، ٧٤/٥ (البقرة، ١٨٣/٢).

[٤] ر + الذين.

[٥] **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٢٥١/١.

[٦] ر - نصب.

[٧] **البسيط** للواحدي، ٥٥٨/٣ (البقرة، ١٨٣/٢).

على الأنبياء والأمم من لدُنْ آدمَ إلى عهدكم، قال عليٌّ رضي الله عنه: أوَّلهم آدمُ، يعني: أنَّ الصوم عبادةٌ قديمةٌ أصليَّةٌ ما أَخْلى الله أمَّةً من افتراضها عليهم، لم يفرضها عليكم وحدكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بالمحافظة عليها وتعظيمها لأصالتها وقِدَمِها، أو: لعلكم تتَّقون المعاصيَ لأن الصائم أظلفُ لنفسه وأَرْدَعُ لها من مُواقَعةِ السوء، كما قال عليه الصلاة والسلام: «فعليه بالصَّوم فإنَّ الصوم له وِجَاءٌ»، أو: لعلكم تَنْتظِمون في زُمْرةِ المتَّقين لأن الصوم شِعارُهم.

وقيل: معناه: أنه كصومهم في عددِ الأيام وهو شهرُ رمضان، كتب على أهل

---

**أحدُها** أنّه عائد إلى أصل إيجابِ الصوم،[1] يعني: هذه العبادة كانت مكتوبة واجبةً (**على الأنبياء والأمم مِن لدن آدمَ عليه السلام إلى عهدكم**)، ما أخلى الله تعالى[2] أمّة مِن إيجابها عليهم، لا يفرضها عليكم وحدَكم. وفائدةُ هذا الكلام أنّ الصوم عبادة قديمة أصيلة[3] فعليكم بالمحافظة عليها. فعلى ما ذَكَره المصنّف أوّلًا كأنّ قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ متعلّق بمحذوف، أي: بيّنا قِدَمها وأصالتها لعلّكم تتّقون بالمحافظة عليها لقِدَمها، أو متعلّق بقوله: ﴿كُتِبَ﴾،[4] أي: كُتب لعلّكم / تتّقون المعاصي. يقال: "ظَلَفَ[5] نفسَه عن الشيء يظلِفها ظَلْفًا"،[6] أي: منعها مِن أن تفعله وتأتيه،[7] قال عليه السلام: «يا معشرَ الشُّبان مَن استطاع منكم الباءةَ فلينكِح، ومَن لم يستطع (**فعليه بالصوم، فإنّ الصوم له وِجاء**»).[8] والمَباءة: المنزل، والباءة لغة فيها،[9] ومنه سُمّي النِّكاح باءً وباءةً؛ لأنّ الرجل يتبوّأ مِن أهله، أي: يستمكن منها، كما يتبوّأ مِن داره، والوِجاء بالكسر: رضُّ عروق البيضتين حتّى يكون شبيهًا بالخِصاء.[10] [٢٠٥و]

١ هذا الوجه في البسيط للواحدي، ٣/٥٥٧.
٢ ر - تعالى.
٣ ن ر: أصلية.
٤ ن ر - ﴿كُتِبَ﴾.
٥ ن: ظلفت، ر - ظلف.
٦ ن ر - يظلفها ظلفًا.
٧ ن ر - وتأتيه.
٨ بلفظ قريب في صحيح البخاري، ٧/٣ (٥٠٦٥)؛ وصحيح مسلم، ٢/١٠١٩ (١٤٠٠).
٩ ر: لعرفتها.
١٠ انظر: الصحاح للجوهري، «وجأ».

الإنجيل فأصابهم مُوتَانٌ فزادوا عشرًا قبله وعشرًا بعده، فجعلوه خمسين يومًا.

وقيل: كان وقوعه في البردِ الشديد والحرِّ الشديد، فشقَّ عليهم في أسفارهم ومعايشهم، فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يومًا كفَّارةً لتحويله عن وقته.

وقيل: الأيَّام المعدوداتُ: عاشوراءُ وثلاثةُ أيامٍ من كلِّ شهرٍ، كُتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامُها حين هاجر، ثم نُسخَتْ بشهر رمضان.

وقيل: كُتب عليكم كما كُتب عليهم أن يتَّقوا المُفطِرَ بعد أن يُصلُّوا العشاء وبعد أن ينامُوا، ثم نُسخ ذلك بقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ الآية.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾

ومعنى ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾: مُؤقَّتاتٍ بعددٍ معلومٍ، أو: قلائلَ؛ كقوله: ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف ١٢/٢٠]، وأصلُه: أن المال القليل يُقدَّرُ بالعدد ويُتَحَكَّرُ فيه، والكثيرَ يُهال هَيْلًا ويُحثَى حَثْيًا.

---

والوجه الثاني أنّ التشبيه يعود إلى وقت الصوم وإلى قَدْره.[١] ثمّ القائلون بهذا ذكروا وجوهًا كما ذكَرَه المصنِّف.

والوجه الثالث أنّ وجه التشبيه أنّه يحرُم الطعامُ والشراب والجماع بعد النوم، كما كان ذلك حرامًا على سائر الأمم.

و(المُوتان) بالضمّ: موتٌ يقع على الماشية.

قوله: (ويتحكَّر)، أي: يتضيَّق، وقال في مجمل اللغة: «الحُكرة: حبسُ الطعام إرادةَ غلائه».[٢]

قوله: (يُهال) هِلتُ الدقيق في الجِراب، أي: صببتُه مِن غير كيل.

---

[١] الوجه في جامع البيان للطبري، ٣/١٥٣ (البقرة، ٢/١٨٣)؛ والبسيط للواحدي، ٣/٥٥٧.

[٢] مجمل اللغة لابن فارس، ١/٢٤٦، «حكر».

وانتصابُ ﴿أَيَّامًا﴾ بـ﴿ٱلصِّيَامُ﴾؛ كقولك: نويتُ الخروجَ يومَ الجمعة.

﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: أو راكبَ سفرٍ.

﴿فَعِدَّةٌ﴾: فعليه عدَّةٌ، وقرئ بالنَّصب بمعنى: فليَصُمْ عِدَّةً، وهذا على سبيل الرُّخصة.

وقيل: مكتوبٌ عليهما أن يفطرا ويصوما عدَّةً ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

واختُلف في المرض المبيح للإفطار:

فمِن قائلٍ: كلُّ مرضٍ؛ لأن الله تعالى لم يَخُصَّ مرضًا دون مرضٍ كما لم يخصَّ سفرًا دون سفرٍ، فكما أن لكلِّ مسافرٍ أن يُفطر فكذلك لكلِّ مريض.

وعن ابن سيرين: أنه دُخل عليه في رمضان وهو يأكُلُ فاعتَلَّ بوجع إِصْبعه.

وسُئل مالكٌ عن الرجل يصيبُه الرَّمَد الشديد أو الصُّداع المضِرُّ وليس به مرضٌ يُضْجعُه فقال: إنه في سعةٍ من الإفطار.

ومن قائلٍ: هو المرضُ الذي يَعْسُر معه الصوم ويزيد فيه؛ لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

وعن الشافعي رضي الله عنه: لا يفطر حتَّى يَجْهده الجهدَ غيرَ المحتَمَل.

واختُلف أيضًا في القضاء؛ فعامَّةُ العلماء على التخيير، وعن أبي عبيدةَ بن الجرَّاح

---

قوله: (وانتصاب ﴿أَيَّامًا﴾ بـ﴿ٱلصِّيَامُ﴾) يعني: هو نصبٌ على الظرف، كأنَّه قيل: كُتب عليكم الصيام في أيَّام. وقيل: منصوب بإضمار فعل، أي: فصوموا أيَّامًا.[١]

قوله: (يَجْهَده الجَهْدَ) الجهد مفعول مطلق. وقوله: (غيرَ المُحتَمَل) صفة "الجَهْد".

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ[٢] فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾.

ولنذكُر القراءاتِ التي ذَكَرها ثمَّ نشرع في التفسير.

اعلم أنَّ القراءة المشهورة المتواترة هي ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ بضمِّ "الياء" وتخفيف "الطاء" المكسورة، والباقية شواذ.

---

١ الوجه في تفسير الرازي، ٧٧/٥ (البقرة، ١٨٤/٢). ٢ ر + بضمّ "الياء" وتخفيف "الطاء" المكسورة.

رضي الله عنه: إن الله تعالى لم يُرخِّص لكم في فِطْره وهو يريد أَنْ يشقَّ عليكم في قضائه، إن شئتَ فواتِرْ وإن شئتَ ففرِّق.

وعن عليٍّ وابن عمر والشعبي وغيرهم رضي الله عنهم: أنه يُقضَى كما فات متتابعًا.

وفي قراءة أُبيّ رضي الله عنه: "فعدَّةٌ من أيّامٍ أُخرَ متتابعاتٍ".

فإن قلتَ: فكيف قيل: ﴿فَعِدَّةٌ﴾ على التنكير، ولم يُقَل: فعدَّتُها؛ أي: فعدَّةُ الأيام المعدودات؟

قلتُ: لمّا قيل: ﴿فَعِدَّةٌ﴾ والعِدَّة بمعنى المعدود فأُمر بأنْ يصوم أيّامًا معدودةً مكانها، عُلم أنه لا يُؤثَرُ عددٌ على عددها، فأغنى ذلك عن التعريف بالإضافة.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾: وعلى المُطيقين للصيام الذين لا عذرَ بهم إنْ أفطروا.

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾: نصفُ صاعٍ من بُرٍّ أو صاعٌ من غيره عند أهل العراق، وعند أهل الحجاز: مُدٌّ، وكان ذلك في بَدْء الإسلام: فُرِضَ عليهم الصَّومُ ولم يتعوَّدوه، فاشتدَّ عليهم، فرُخِّص لهم في الإفطار والفدْيَة.

وقرأ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنه: "يُطَوَّقُونه" تفعيلٌ من الطَّوْقِ، إما بمعنى الطاقةِ أو القلادَة؛ أي: يكلَّفُونه أو يُقلَّدونَه ..........................................

---

قوله: (قرأ ابن عبّاس رضي الله عنه:[1] "يُطَوَّقونَه")[2] بضمّ "الياء" وتخفيف "الطاء" وفتح "الواو" المشدّدة.

قوله: (أي: يُكلَّفونه) هذا على تقدير أن يكون مِن الطَّوْق بمعنى الطاقة، يقال: "طوَّقتُك الشيءَ" كلفتُكه.[3]

قوله: (ويُقلَّدونه) هذا على تقدير أن يكون مِن الطَّوْق بمعنى القلادة.

---

[1] د ر - رضي الله عنه.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس وعائشة ومجاهد وسعيد بن المُسيَّب وطاووس وسعيد بن جُبير وعكرمة وأيوب السختياني وعطاء. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٩؛ المُحتسَب لابن جنّي، ١/١١٨؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٨٣؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ٤٨٨.

[3] ن: كلفته.

ويقالُ لهم: صُومُوا.

وعنه: "يتَطوَّقُونه" بمعنى: يتكلَّفونَه أو يتَقلَّدونَه.

و: "يَطَّوَّقُونَه" بإدغام التاء في الطاء.

---

قوله: (ويقال لهم: صُوموا) كالتفسير لقوله: "يُقلَّدونه"،[1] فهو مِن العطف الذي يكون للبيان.

قوله: (وعنه: "يَتَطوَّقُونَهُ")،[2] أي: عن ابن عبّاس رضي الله عنه:[3] "يَتَطوَّقُونَهُ"، هو مِن باب "التفعُّل"، والأوّل مِن باب التفعيل،[4] فلهذا كان متعدِّيًا إلى واحد والأوّل إلى اثنين.

قوله: (بمعنى يَتكلَّفونه) فيكون مِن الطَّوْق بمعنى الطاقة.

قوله: (أو يَتقلَّدونه) فيكون مِن الطَّوْق بمعنى القلادة.

قوله: (و"يَطَّوَّقُونَهُ")[5] بفتح "الياء" وتشديد "الطاء" و"الواو"، أصله "يَتطوَّقونه" أُدغِمت "التاء" في "الطاء"، فيحتمل[6] المعنيين.

قوله: (و"يُطَيَّقُونَهُ")[7] بضمّ "الياء" وفتحِ "الطاء" المخفّفة وتشديدِ "الياء" المفتوحة، وأصله "يُطَيْوَقونه" بضمّ "الياء" وفتح "الطاء" المخفّفة[8] بعده ياء ساكنة وبعد "الياء" واوٌ مفتوحة، فاجتمعت "الواو" و"الياء" وسبقت إحداهما بالسكون فقُلب "الواو" ياء وأُدغمت.

---

١ ر: يقدرونه.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن عطاء عن ابن عبّاس ومجاهد. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٩؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٨٣.

٣ د ر – رضي الله عنه.

٤ ن: الإفعال.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن مجاهد وابن عبّاس وعكرمة. المُحتسَب لابن جنّي، ١/١١٨؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٨٣؛ المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ٤٨٨.

٦ ر: فيحمل.

٧ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس ومجاهد. انظر: المُحتسَب لابن جنّي، ١/١١٨؛ والمغني في القراءات للنّوْزاوازي، ٤٨٨.

٨ ن ر – وتشديدِ "الياء" المفتوحة، وأصله "يُطَيْوَقونهُ" بضمّ "الياء" وفتح "الطاء" المخفّفة.

و: "يُطَيَّقونَه"، و: "يَطَّيَّقونه" بمعنى: يتطيَّقونه، وأصلُهما: يُطَيْوَقُونه ويَتَطَيْوَقونه، على أنّهما من فَيْعَلَ وتَفَيْعَلَ من الطَّوْق، فأُدْغِمت الياءُ في الواو بعد قَلْبها ياءً؛ كقولهم: تَديَّر المكان، و: ما بها دَيَّار.

وفيه وجهان:

---

قوله: (و"يَطَّيَّقُونَه")[1] بفتح "الياء" وتشديد "الطاء" المفتوحة وبعدها "الياء" المفتوحة المشدّدة، وأصله "يَتطيَّقونه"، وإليه أشار بقوله: (بمعنى يَتطيَّقونه) فقُلب "التاء" طاء وأُدغم، وأصل "يَتطيَّقونه" "يَتطَيْوَقونه"، والحاصلُ أنّ هذا هو الأصل قُلب "الياء" واوًا وأُدغم فصار[2] "يَتطيَّقونه" قُلب[3] "التاء" طاء فصار "يطَّيَّقونه"، فهنا لف ونشر.

قوله: (على أنّهما)، أي: "يُطَيَّقُونه" بضمّ "الياء" وتخفيف "الطاء" وفتح "الياء" المشدّدة، و"يَطَّيَّقونه" بفتح "الياء" وتشديد "الطاء" و"الياء". / قال ابن جنّي: «أمّا عين الطاقة فواو لقولهم: "لا طاقةَ لي به"[4] و"لا طَوْق لي"»،[5] قال ابن جنّي: «وعليه "يَطَّوَّقونه" فهو "يَتفعَّلونه"، كقولك:[6] "يَتجشَّمونه"، أي: يَتكلَّفونه».[7] قال الواحديّ: «يقال: أطاق يُطيق إطاقةً وطاقةً، كما يقال: "أطاع يُطيع إطاعةً وطاعةً"، والطاعةُ والطاقةُ اسمان يُوضَعان موضعَ المصدر».[8] [٢٠٥ظ]

واعلم أنّ العلماء اختلفوا في المراد بقوله: ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ على ثلاثة أقوال:

**الأوّل** وهو قول أكثر المفسّرين أنّ المراد مِن قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ المُقيم الصحيحُ، فخيّره الله تعالى[9] أوّلًا بين[10] هذين، ثمّ نُسِخ ذلك وأوجِب الصوم عليه معيّنًا،

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس ومجاهد وعكرمة. **المُحتسَب** لابن جنّي، ١١٨/١؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ٤٨٨.
[2] ن ر – وأصله "يَتطيَّقونه"، وإليه أشار بقوله: (بمعنى يَتطيَّقونه) فقُلب "التاء" طاء وأُدغم، وأصل "يَتطيَّقونه" "يَتطَيْوَقونه"، والحاصلُ أنّ هذا هو الأصل قُلب "الياء" واوًا وأُدغم فصار.
[3] ر: قلبت.
[4] ر: بهم.
[5] **المُحتسَب** لابن جنّي، ١١٨/١.
[6] ن: كقولهم.
[7] **المُحتسَب** لابن جنّي، ١١٨/١.
[8] **الوسيط** للواحدي، ٢٧٤/١ (البقرة، ١٨٤/٢).
[9] د – تعالى.
[10] ن ر – بين.

أحدهما: نحوُ معنى ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾.

والثاني: يُكَلَّفونَه أو يتكلَّفونه على جَهْدٍ منهم وعُسْرٍ، وهم الشيوخُ والعجائزُ، وحُكم هؤلاء الإفطار والفِدْيةُ، وهو على هذا الوَجْه ثابِتٌ غير منسوخ، ويجوز أن يكون هذا معنى ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾؛ أي: يصومونه جَهْدَهم وطاقتهم ومبلغَ وُسْعهم.

---

قال ابن عبّاس رضي الله عنه:[١] كان في[٢] ابتداء إيجاب الصوم مَن شاء صام ومَن شاء أفطر وافتدى بالطعام، وهو مُدّ واحد،[٣] وهو مذهب الشافعيّ رضي الله عنه.[٤]

القول الثاني أنّ هذه الآية نزلت في الشيخ الهَرِم، وقالوا في تقريره: إنّ "الوُسْع" فوق الطاقة، فالوُسْعُ اسم لمَن كان قادرًا على الشيء على وجه السهولة، وأمّا "الطاقة" فهي اسم لمَن كان قادرًا على الشيء مع الشدّة والمشقّة. فقوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾، أي: يَقدِرون على الصوم مع الشدّة والمشقّة.[٥] وإلى هذا القول أشار المصنِّف بقوله: **(ويجوز أن يكون)**... إلخ، وأشار بقوله: **(هذا)** إلى الوجه الثاني مِن الوجهين المذكورَين للقراءات الشاذّة، وهو قوله: **(يُكلَّفونه أو يَتكلَّفونه)**.

قوله: **(جُهدَهم وطاقتَهم)** حال.

قوله تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾.

فيه ثلاثة أوجه: **أحدُها أن يُطعِم مسكينًا وأكثرَ، والثاني أن يُطعم المسكين الواحدَ أكثرَ** مِن القدر الواجب، **والثالث قاله الأزهريّ**: مَن صام مع[٦] الفدية.[٧] والضمير، أي: قوله تعالى: ﴿فَهُوَ﴾ يجوز أن يعود إلى التطوُّع فيكون المعنى فالتطوُّع أخيَرُ،[٨] أي: أولى له.

---

١ د ر – رضي الله عنه.
٢ ن ر – في.
٣ ن – وهو مدّ واحد.
٤ د – رضي الله عنه.
٥ ن ر – فقوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾، أي: يقدِرون على الصوم مع الشدّة والمشقّة.
٦ ن: من.
٧ الأوجه الثلاثة في تفسير الرازي، ٨٨/٥ (البقرة، ١٨٤/٢).
٨ ن: خير.

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فزاد على مقدار الفدية.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾: فالتطوع أخيرُ له، أو: الخير.

وقرئ: ﴿فَمَن يَطَّوَّعْ﴾ بمعنى: يتطوَّع.

﴿وَأَن تَصُومُوا﴾ أيُّها المطيقون أو المطوَّقون، وحمَلْتم على أنفسكم وجهدْتُم طاقتَكم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الفدية وتطوُّع الخير.

ويجوز أن ينتظِم في الخطابِ المريضُ والمسافِرُ أيضًا، وفي قراءة أبيّ: "والصِّيامُ خير لكم".

---

قوله: (وقرئ: "فَمَنْ يَطَّوَّعْ")[١] قراءة شاذّة.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

فيه وجوه: أحدُها أن يكون هذا خطابًا مع الذين يُطيقونه فقط، فيكون التقدير: وأن تصوموا أيُّها المُطيقون أو المُطوَّقون على اختلاف القراءتين وتحمّلتُم المشقَّة فهو خير لكم من الفدية. والثاني أنّ هذا خطاب مع كلّ مَن تقدّم ذِكرهم، أعني المريض والمسافرَ والذين يُطيقونه. وهذا أَولى؛ لأنّ اللفظ عامّ، ولا يلزم مِن اتصاله بقوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾[٢] أن يكون حُكمه مختصًّا بهم؛ لأنّ اللفظ عامّ ولا منافاة في رجوعه إلى الكلّ، فوجب الحُكم بذلك.[٣] الثالث أن يكون قوله: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ عطفًا على أوّل الآية، فالتقدير: كُتب عليكم الصيامُ وأن تصوموا خيرٌ لكم.[٤]

قوله: (في قراءة أبيّ: "وَالصِّيامُ خَيْرٌ")[٥] قراءة شاذّة.

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ٤٨٩.

[٢] ن ر - وهذا أَولى لأنّ اللفظ عامّ ولا يلزم مِن اتصاله بقوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾.

[٣] ر + فوجب.

[٤] ن ر - عطفًا على أوّل الآية، فالتقدير: كُتب عليكم الصيامُ وأن تصوموا خيرٌ لكم. | مِن قوله "فيه وجوه: أحدُها أن يكون هذا خطابًا" إلى هنا في تفسير الرازي، ٨٨/٥ (البقرة، ١٨٤/٢).

[٥] قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ بن كعب. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ٤٨٩.

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾

"الرَّمضَان": مصدرُ رَمِضَ: إذا احترق من الرَّمْضاء، فأُضيف إليه الشهرُ وجُعل علَمًا، ومُنع الصرفَ للتعريف والألفِ والنون؛ كما قيل: ابنُ دأيةَ، للغُراب، بإضافة الابن إلى دأيةِ البَعِير لكثرةِ وقوعه عليها إذا دَبِرَتْ.

**فإنْ قلتَ**: لمَ سُمِّي ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾؟

**قلتُ**: الصومُ فيه عبادةٌ قَدِيمَةٌ، فكأنَّهم سمَّوه بذلك لارْتماضِهم فيه من حَرِّ الجوع ومُقاساةِ شدَّته؛ كما سمَّوه ناتقًا لأنَّه كان يَنْتِقُهم؛ أي: يُزْعِجُهم إِضْجارًا بشدَّته عليهم.

وقيل: لمَّا نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سمَّوها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهرُ أيامَ رَمَضِ الحرِّ.

**فإنْ قلتَ**: فإذا كانت التسمية واقعةً مع المضاف والمضاف إليه جميعًا، فما وجهُ ما جاء في الأحاديث من نحوِ قوله عليه الصلاة والسلام: ..............

---

قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾.

قوله: **(كما قيل: ابن دَأْيَة)** تبيين وتقرير[1] لكون شهر رمضانَ عَلَمَ الجنسِ لا عَلَمَ الشخصِ.

قوله: **(إذا دَبِرتْ)** يقال: "دَبِر البعير" بالكسر و"أدبَره القَتَب" إذا عَقَره، والدَّأْيُ[2] مِن البعير: الموضع الذي تقع ظَلِفَة الرَّحْل، أي: خشباته.[3]

قوله: **(مِن الرمضاء)** وهو حَرُّ الحجارة. قال الشاعر:

---

[1] ر - وتقرير.
[2] ر: الدابر.
[3] انظر: **الصحاح** للجوهري، «دأي».

«مَن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا»، «مَن أدركَ رمضانَ فلم يُغْفَرْ له».

قلتُ: هو من باب الحذف لأمنِ الإلباس؛ كما قال:

بما أعْيَا النِّطَاسِيَّ حِذْيَمَا

أراد: ابن حذيم.

---

فهل لكمُ فيما إليَّ فإنّني طبيبٌ (بما أعيا النّطاسيّ حِذْيَما)[1]

التنطُّس: المبالغة في[2] التطهُّر،[3] وكلّ مَن أدقَّ النظرَ في الأمور[4] واستقصى عِلمها فهو متنطِّسٌ، يقال منه: رجل نَطِسٌ وقد نطِسَ بالكسر نَطَسًا، ومنه / قيل للمتطبِّب: "نِطِّيس" مثل "فِسِّيق"، و"نِطاسيّ" أيضًا بكسر "النون".[5] قال [٢٠٦و] أبو عُبيد: «ويروى "النَّطاسيّ" بفتح النون».[6] و"حِذْيَم" بكسر "الحاء" المهملة وسكون "الذال" المعجمة وفتح "الياء" اسم رجل. قيل: المعنى: هل لكم عِلمٌ وبصيرة فيما يرجع نفعه وفائدته إليَّ؟ ثمّ أعرَض عن مشاورتهم وقال: إنّني أعلَمُ وأعرَفُ بحالي منكم، فإنّني بصير بما يُعيي النّطاسيّ ابن حِذْيَم. وقيل: المعنى: هل لكم رغبةٌ فيما هو منسوب إليَّ؟ ثمّ حضّهم على الرغبة فيما عنده فقال: إنّني طبيب وعالم بأشياءَ يعجِز عنه هذا الطبيب. و"الفاء" في "فإنّني" تدلّ على أنّ المعنى الثاني أظهرُ. وإنّما حذف الشاعرُ الابن في هذه الصورة لأنّه ما[7] كان يلتبس على المخاطَبين بهذا الكلام، لأنّ ابن حِذْيَم كان طبيبًا معروفًا عندهم.[8]

---

[1] البيت لأوس بن حجر في ديوانه، ص ١١١؛ وهو له في الألفاظ لابن السِّكّيت، ص ٣٩٩؛ وما يجوز للشاعر في الضرورة للقزّاز القيرواني، ص ٣٢١؛ وبلا عزو في جمهرة اللغة لابن دريد، ١٣٢٧/٣؛ والزاهر لابن الأنباري، ٣٣١/١.

[2] ر – المبالغة في.

[3] ر: الطهر.

[4] ن ر – في الأمور.

[5] انظر: الصحاح للجوهري، «نطس».

[6] ر – قال أبو عُبيد: «ويروى "النَّطاسيّ" بفتح النون». | غريب الحديث لأبي عبيد، ١٣٣/٤؛ ونقل ذلك عنه الجوهري في الصحاح، «نطس».

[7] ر: ربّما.

[8] يُضرب بطبّه المثل: "أطبُّ من ابن حذيم". انظر: مجمع الأمثال للميداني، ٤٤١/١.

وارتفاعُه على أنه مبتدأ خبرُه: ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾، أو على أنه بدلٌ من ﴿ٱلصِّيَامُ﴾ في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ أو على أنه خبرُ مبتدأ محذوف.

وقرئ بالنصب على: صوموا شهرَ رمضان، أو على الإبدال من ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾، أو على أنه مفعولُ: ﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾.

ومعنى: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾: ابتُدئ فيه إنزالُه، وكان ذلك في ليلةِ القَدْر.

---

قولـه: **(وارتفاعُـه)** القـراءة المشـهورة المتواتـرة برفـع ﴿شَهۡرُ﴾، وقـرئ فـي الشواذّ بالنصب.[1]

أمّا بالرفع[2] ففيه وجوه: **الأوّلُ** أنّه مبتدأ خبرُه ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾، كقولك: "زيدٌ الذي في الدار"، **الوجهُ الثاني** أنّه بدل مِن الصِّيام، والمعنى: كُتب عليكم شهرُ رمضان، **والثالث** قال الفرّاء والأخفش: إنّه خبرُ مبتدأ محذوف، كأنّه قيل: هي، أي: الأيّام المعدودات[3] شهرُ رمضان.[4] فقوله:[5] ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾ مع مبتدئه تفسيرٌ للأيّام المعدودات وتبيينٌ لها.[6]

وأمّا النصب فمِن[7] وجوه[8] ذَكَرها المصنِّف، ثالثها أنّه مفعول ﴿أَن تَصُومُواْ﴾، واعتُرض على هذا الوجه بأنّه على هذا التقدير يصير النظم: وأن تصوموا شهرَ[9] رمضان الذي أنزل فيه القرآنُ خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون، فيلزم الفصلُ بين "أن" وما في حيّزه[10] بالأجنبيّ وهو خبرُ المبتدأ وقولُه: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، وهو غير جائز؛ لأنّ "أن" مع ما بعدها بمنزلة الموصول مع صلته.[11]

قوله: **(ومعنى ﴿أُنزِلَ﴾)** اعلم أنّ في تفسير ﴿أُنزِلَ﴾ قولين:

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن عاصم في رواية، وأبي حَيْوَة ومجاهد وابن مِقْسَم وابن مُحيصن والزَّعفراني وشهر بن حَوشَب. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٩؛ **المغني في القراءات** للنَّوزاوازي، ص ٤٨٩.

٢ ن: الرفع.

٣ ن – أي: الأيّام المعدودات.

٤ انظر: **معاني القرآن** للفرّاء، ١/١١٢؛ و**معاني القرآن** للأخفش، ١/١٧١.

٥ ر – أي: الأيّام المعدودات شهرُ رمضان. فقوله.

٦ مِن قوله "أمّا بالرفع ففيه وجوه" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ٥/٩٠ (البقرة، ٢/١٨٥).

٧ ن: فممّن.

٨ ن ر – وجوه.

٩ ن ر – شهر.

١٠ ر: خبره.

١١ انظر: **تفسير الرازي**، ٥/٩٠ (البقرة، ٢/١٨٥).

وقيل: أُنزل جملةً إلى سماء الدنيا، ثم نُزِّل إلى الأرض نُجومًا.

وقيل: أُنزل في شأنه القرآنُ، وهو قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾؛ كما تقول: أُنزل في عُمَر كذا وفي عليّ كذا، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «نَزلَتْ صحُفُ إبراهيم أوَّلَ ليلةٍ من رمضان، وأُنزلَت التوراة لستٍّ مَضَيْنَ، والإنجيلُ لثلاثَ عشرةَ، والقرآنُ لأربعٍ وعشرين».

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ﴾ ﴿هُدًى﴾ ﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾ نَصْبٌ على الحال؛ أي: أُنزل وهو هدايةٌ للناس إلى الحقّ، وهو آياتٌ واضحاتٌ مكشوفاتٌ ممّا يَهْدي إلى الحق ويفرِّق بين الحقّ والباطل.

---

**الأوّل** هو اختيار الجمهور أنّ الله تعالى أنزل **القرآن** في رمضان. وهنا سؤال وهو أنّ **القرآن** ما[1] نُزِّل على محمّد عليه السلام[2] دفعةً واحدة[3] وإنّما نزِّل في مدّة ثلاث وعشرين سنة منجّمًا مبعّضًا، وكما نَزَل بعضه في رمضان نَزَل بعضه في سائر الشهور، فما معنى تخصيص إنزاله برمضان؟ والجوابُ مِن وجهين:

**الأوّل** أنّ **القرآن** أُنزل في ليلة القدر جملةً إلى السماء الدنيا، ثمّ نُزِّل إلى الأرض نجومًا، وإنّما جرت الحال على هذا الوجه لِما عَلِمه الله تعالى مِن المصلحة على هذا الوجه، فإنّه لا يبعد أن يكون للملائكة الذين هم سكان السماء الدنيا مصلحةٌ في إنزال ذلك إليهم،[4] وأمّا الحكمة في إنزال **القرآن** على النبيّ عليه السلام منجّمًا مفرّقًا فسيجيء إن شاء الله تعالى في سورة الفرقان[5] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان ٢٥/٣٢].

**والجواب الثاني** أنّ المراد منه أنّه ابتُدئ إنزاله ليلةَ القدر مِن شهر رمضان، وهو قول محمّد بن إسحاق.

---

١ في هامش د: نفي.
٢ ن: صلّى الله عليه وسلّم.
٣ ن – واحدة.
٤ ن ر + إذا كان في ذلك مصلحة لجبريل عليه السلام، فإنّه هو المأمور بالإنزال والتأدية.
٥ ر: القرآن.

**فإن قلتَ**: ما معنى قوله: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ بعد قوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾؟

**قلتُ**: ذَكر أوّلًا أنه هدًى ثم ذَكر أنه بيناتٌ من جُملة ما هدَى به اللهُ وفرَّق به بين الحق والباطل من وَحْيه وكتبه السماويَّة الهاديةِ الفارقةِ بين الهدى والضلال.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فمَن كان شاهدًا؛ أي: حاضرًا مقيمًا غيرَ مسافرٍ في الشهر فليَصُمْ فيه ولا يُفْطِرْ.

و﴿ٱلشَّهْرَ﴾ منصوبٌ على الظرف، وكذلك الهاء في ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾، ولا يكون مفعولًا به كقولك: شهدتُ الجمعة؛ ........................................

---

واعلم أنّ الجواب الأوّل لا يُحتاج فيه إلى تحمُّل شيء مِن المجاز، وهنا[١] يُحتاج؛ لأنّه لا بدّ على هذا الجواب مِن حَمْل القرآن على بعض أجزائه.

والقول الثاني في تفسير معناه: أُنزل في فضله. وقال ابن الأنباري: أُنزِل في إيجاب صومه على الخلق القرآنُ، كما تقول: / "أنزل الله في الزكاةَ كذا آية"، [٢٠٦ظ] تريد في إيجابها، و"أُنزِل في الخمر كذا آية"، تريد في تحريمها.[٢]

قوله: (ما معنى قوله: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ بعد قوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾؟) حاصل الجواب عنه أنّه تعالى ذَكر أوّلًا أنّه هدى، ثمّ الهدى[٣] على القسمين تارة[٤] يكون هدًى بيّنًا جليًّا وتارة[٥] لا يكون كذلك، والقسم الأوّل لا شكّ أنّه أفضل، فكأنّه قيل: هو هدًى، لا بل هو البيّن مِن الهدى والفارقُ بين الحقّ والباطل، فهذا مِن باب ما يُذكَر الجنسُ ويُعطَف عليه نوعُه لكونه أشرف أنواعه، والتقدير كأنّه قيل: هذا هدًى هذا بيّن مِن الهدى[٦] هذا بيّنات مِن الهدى. لا شكّ أنّ هذا غايةُ المبالغة.

قوله: (مِن وحيه) بيان ما هَدَى به.

قوله: (و﴿ٱلشَّهْرَ﴾ منصوب على الظرف) هنا قولان:

---

[١] ر + يحتمل.

[٢] مِن قوله "اعلم أنّ في تفسير ﴿أُنزِلَ﴾ قولين" إلى هنا في تفسير الرازي، ٥/٩١-٩٢ (البقرة ٢/١٨٥).

[٣] ر: الذي.

[٤] ر: أن.

[٥] و: زيادة.

[٦] ن - هذا بيّن مِن الهدى، ر - لا بل هو... بيّن مِن الهدى.

لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ أَنْ يُيَسِّر عليكم ولا يُعَسِّرَ، وقد نفى عنكم الحرجَ في الدِّين، وأمَرَكم بالحنيفيَّة السَّمْحَةِ التي لا إِصْرَ فيها، ومن جُملة ذلك ما رخَّصَ لكم فيه من إباحة الفِطْر في السَّفَر والمرض، ومن النّاس مَن فَرَضَ الفطرَ على المريضِ والمسافر حتَّى زَعَم أن مَن صام منهما فعليه الإعادةُ.

وقرئ: ﴿اليُسُر﴾ و﴿العُسُر﴾ بضمتين.

الفعلُ المعلَّل محذوفٌ مدلولٌ عليه بما سبَق، تقديره: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ شَرَعَ ذلك، يعني: جملةُ ما ذُكر

---

أحدُهما أنّ مفعول ﴿شَهِدَ﴾ محذوف؛ لأنّ المعنى: فمَن شهِد منكم البلدَ أو بيتَه، بمعنى: لم يكن مسافرًا. وقوله: ﴿ٱلشَّهۡرَ﴾ انتصابه على الظرف،[1] وليس ﴿ٱلشَّهۡرَ﴾ مفعولًا به، كما أنّ "يومَ الجمعة" مفعولٌ به في قولك: "شهدتُ الجمعةَ"؛ بل هو ظرف كما في قولك: "ضربتُ يومَ الجمعة".

والأَولى في تقرير هذا القول أن تقول: ليس في الكلام حذفٌ؛ بل قوله تعالى: ﴿شَهِدَ﴾ بمعنى حضر، أي: كان مقيمًا غيرَ مسافر، كما أشار إليه المصنِّف، فيكون مِن إجراء المتعدّي مُجرى اللازم، وله نظائرُ كثيرة.

والقول الثاني أنّ الشهر هو مفعول به، كأنّه قيل: "مَن شاهد الشهر بعقله ومعرفتِه فليَصمه"، وهو كما يقال: "شهدتُ عصرَ فلان" و"أدركتُ زمانَ فلان".[2] ثمّ استدلّ المصنِّف على ما اختاره بقوله: (لأنّ المقيم)... إلخ، يعني أنّ قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ﴾ احترازٌ عن المسافر، فلو كان الشهر مفعولًا به لم يصحّ بهذا اللفظ الاحتراز عنه، لأنّ المسافر شاهد، أي: حاضر للشهر، أي: مُشاهِد له بعقله ومعرفته كما علمتَ.

قوله تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾... إلخ.

قوله: (الفعلُ المعلّل محذوفٌ) نظيره في حذف الفعل المعلّل لدلالة ما قبله عليه قولُه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾

---

١ انظر: تفسير الرازي، ٥/٩٥ (البقرة، ٢/١٨٥). ٢ انظر: تفسير الرازي، ٥/٩٥ (البقرة، ٢/١٨٥).

من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمرِ المرَخَّصِ له بمراعاةِ عدَّةِ ما أفطر فيه ومِن الترخيص في إباحة الفطر.

فقولُه: ﴿لتكملوا﴾ علّةُ الأمر بمراعاة العدَّة ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ﴾ علّةُ ما عُلم من كيْفيَّة القضاء والخروجِ عن عُهدة الفِطر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ علةُ الترخيص والتيسير.

وهذا نوعٌ من اللفِّ لطيفُ المسلك لا يكاد يَهتدي إلى تبيُّنه إلا النَّقَّابُ المحدَّثُ من علماء البيان، وإنما عُدِّي فعلُ التكبير بحرفِ الاستعلاء لكونه مضمَّنًا معنى الحمد؛ كأنَّه قيل: ولتكبِّروا الله حامدين على ما هداكم.

ومعنى ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: وإرادةَ أَنْ تشكروا.

وقرئ: ﴿ولتُكمِّلوا﴾ بالتشديد.

**فإن قلتَ**: هل يصحُ أن يكون ﴿وَلِتُكْمِلُواْ﴾ معطوفًا على علَّةٍ مقدَّرة؛ كأنَّه قيل: لتَعْلموا ما تعملون ولتُكملوا العدَّة، أو على ﴿ٱلْيُسْرَ﴾ كأنَّه قيل: يريد الله بكم اليسرَ ويريد بكم لتكملوا؛ كقوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ﴾ [الصف ٨/٦١]؟

**قلتُ**: لا يَبْعُد ذلك، والأوَّلُ أَوْجَهُ.

**فإن قلتَ**: ما المراد بالتكبير؟

**قلتُ**: تعظيمُ الله والثناء عليه.

وقيل: هو تكبيرُ يوم الفطر.

وقيل: هو التكبيرُ عند الإهْلال.

---

[الأنعام ٧٥/٦]، أي: وليكون مِن الموقنين أريناه.

قوله: **(النَّقَّابُ)** وهو الذي ينقِّب عن الأمور، أي: يفتِّش. و**(المُحدَّث)** الذي ينطق المَلَك على لسانه كأنَّه يُحدِّثه.

قوله: **(عند الإهلال)**، أي: عند رؤية الهلال يقال: "أهَلّوا الهلالَ واستهلُّوه"، أي: رفعوا أصواتهم عند رؤيته، ثمّ قيل: "أُهِلَّ الهلالُ واستُهِلَّ" مبنيًّا للمفعول فيهما إذا أُبصر. وأمّا القراءة فقد قرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿ولتكمِّلوا﴾ بتشديد "الميم"

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ تمثيلٌ لحاله في سهولة إجَابَته لمن دعَاه وسُرْعَةِ إنْجاحه حاجةَ مَن سأله بحالِ مَن قرُبَ مكانه فإذا دُعي أسرعَتْ تَلْبِيَته، ونحوُه: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق ٥٠/١٦]، وقولُه عليه الصلاة والسلام: «هو بينكم وبين أعناق رواحِلِكم».

وروي: أنَّ أعرابيًا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أَقريبٌ رَبُّنَا فنُناجِيَه أم بعيد فنُناديَه؟ فنزلت.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ إذا دعوتُهم للإيمان والطاعة كما أني أُجيبُهم إذا دعَوني بحوائجهم.

وقرئ: "يَرشَدون"، و: "يَرشِدون"، بفتح الشين وكسرِها.

---

والباقون بالتخفيف.[١] و"أفعَلَ" و"فعَّل" يتعاقبان في أكثر الأحوال، كما ذكرنا في "وصّى" و"أوصى".

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾... إلخ.[٢]

قوله: (﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾) حكاية لفظ القرآن في محلّ المبتدأ. وقوله: (تمثيل)، أي: تشبيهُ خبره. و"اللام" في قوله: (لحاله) و"الباء" في قوله: (بحال) متعلِّقان بقوله: "تمثيل". وقوله: (في سهولة إجابته)... إلخ، وجه التشبيه. وإنّما قال: "تمثيل" ولم / يقل: "تشبيه"؛ لأنّ التشبيه إذا كان وجهُه وصفًا غيرَ حقيقيّ وكان منتزعًا مِن عدّة أمور خُصّ باسم التمثيل. [٢٠٧و]

قوله: (قرئ:[٣] "يَرْشُدُون" بفتح "الشين" وكسرها)[٤] هما شاذّتان، والقراءة المتواترة بضمّ "الشين".

قوله: (رُوِيَ أنّ[٥] أعرابيًا) هذا إشارة إلى سبب النزول. واعلم أنّه ليس المراد

---

١ انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٢٦.
٢ ن - إلخ.
٣ ن ر - قرئ.
٤ بالفتح مروية عن أبي السّمّال، وبالكسر مرويّة عن ابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٨٤.
٥ ر - أنّ.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

كان الرجل إذا أَمسى حَلَّ له الأكلُ والشربُ والجماعُ إلى أنْ يصلِّيَ العشاءَ الآخرة أوْ يرقُدَ، فإذا صلَّى أو رَقد ولم يُفطر حرُم عليه الطعامُ والشراب والنساء إلى القابلة، ثم إن عمرَ رضي الله عنه واقع أهلَه بعد صلاة العشاء الآخرة، فلمَّا اغتسل أخذ يبكي ويلومُ نفسَه، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله، إني أَعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطِئةِ، وأَخْبَره بما فعَل،

---

مِن هذا القربِ القربُ بالحيِّز والمكان؛ بل المراد منه القُرب بالعِلم والحفظ والرحمة والتجاوز، فقول المسلمين: "إنّه تعالى بكلّ مكان" يُريدون به التدبير والحفظَ والحراسة.[١]

قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ قرأ أبو عمرو وورش عن نافع بإثبات "الياء" فيهما في الوصل والباقون بحذفها،[٢] فالأوّل على الأصل والثاني على التخفيف.

قوله: (﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾) أجاب واستجاب بمعنًى، قال كعبُ الغَنَوي:

وداعٍ دعا يا مَن يُجيب إلى[٣] النَّدى فلم يَستجبه عند ذاك مُجيبُ[٤]

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾... إلخ.

قوله في حديث عمرَ: («نفسي هذه الخاطئةِ»)[٥] "هذه" صفة "نفسي" و"الخاطئة" صفة "هذه".

---

١ انظر: تفسير الرازي، ١٠٣/٥ (البقرة، ١٨٦/٢).

٢ انظر: النشر لابن الجزري، ١٨٢/٢.

٣ ر: دعوة.

٤ البيت لكعب في الأصمعيّات للأصمعي، ص ٩٦؛ والنوادر لأبي زيد، ص ٢١٨؛ والأمالي للقالي، ١٥١/٢.

٥ جامع البيان للطبري، ٢٣٧/٣ (البقرة، ١٨٧/٢)؛ معالم التنزيل للبغوي، ٢٠٦/١ (البقرة، ١٨٧/٢).

فقال عليه الصلاة والسلام: «ما كنتَ جديرًا بذلك يا عمر» فقام رجالٌ فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء، فنزلت.

وقرئ: "أَحَلَّ لكم ليلةَ الصيام الرَّفَثَ"، أي: أَحَلَّ اللهُ.

وقرأ عبد الله: "الرُّفُوثُ"، وهو الإفصاح بما يجبُ أن يكنَّى عنه كلفظ النَّيك، وقد أَرْفَثَ الرجلُ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أَنشد وهو مُحْرِم:

وهــنَّ يَـمْـشِـينَ بنا هَمِيسا إنْ تَصْـدُقِ الطَّيـرُ نَنِـكْ لَمِيسا

---

قوله: (قرئ: "أَحَلَّ")، أي:[1] مبنيًّا للفاعل ونصب "الرَّفَثَ".[2] هذه القراءة، وقراءة[3] عبد الله[4] شاذّتان.

قوله: (وهو الإفصاح)، أي: الرَّفَث التصريح بما يجب ألّا يُصرَّح به. قال الليث: الرَّفَث: أصله قولُ الفُحش،[5] يقال: "رَفَث في كلامه[6] يرفُث" إذا تكلّم بالقبيح، و"أرفَث" بمعناه،[7] وأنشد ابن عبّاس رضي الله عنه[8] مُحرِمًا:

(وهُــنّ يـمـشـينَ بنـا هَـميسا إن تصـدُقِ الطير نَنِـكْ لَميسَـا)[9]

والمشيُ الهميس: الخفيُّ. و"هنّ" كنايةٌ عن العِيس.[10] "إن تصدق"،[11] أي: في العِيافة والطِّيَرة. ونَنِكْ: فعل مضارع للمتكلِّم[12] مع غيره، وهو مجزوم لأنّه جواب الشرط. و"لَميس" اسم صاحبته. يعني: العيافةُ تُبشِّر بلقاء المحبوبة ووصلِها.

---

١ ر – أي.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن نُعيم بن ميسرة وعُبيد بن عُمير واليماني. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٤٩٣.

٣ ر: قرأ.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ وابن مسعود. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٨٤؛ المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٤٩٣.

٥ انظر: العين المنسوب للفراهيدي، ٤٠٢/٤ «رفث».

٦ ن: كلام.

٧ انظر: الصحاح للجوهري، «رفث».

٨ د ر – رضي الله عنه.

٩ ما عرفتُ قائله. والرجز بلا عزو في المصنَّف لابن أبي شيبة، ٣١٠/٣ (١٤٤٩٢)؛ ورسائل الجاحظ، ٩٢/٢؛ وجامع البيان للطبري، ٤٥٨/٣ (البقرة، ١٨٧/٢)؛ وجمهرة اللغة لابن دريد، «رفث»؛ والصحاح للجوهري، «رفث»؛ والفائق للزمخشري، ١١٤/٤؛ والنهاية لابن الأثير، ٢٤١/٢.

١٠ ن: العيش.

١١ ر – إن تصدُقِ الطير نَنِكْ لَميسَا والمشيُ الهميس: الخفيُّ. و"هنّ" كنايةٌ عن العِيس إن تصدق.

١٢ ن: متكلِّم.

فقيل له: أَرَفَثْتَ؟! فقال: إنَّما الرَّفَثُ ما كان عند النساء.

وقال الله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ [البقرة ١٩٧/٢] فكنّى به عن الجمَاع؛ لأنّه لا يكاد يخلو من شيءٍ من ذلك.

**فإن قلتَ:** لم كُني عنه هنا بلفظِ الرَّفَث الدالِّ على معنى القبحِ بخلافِ قوله: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء ٢١/٤] ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ [الأعراف ١٨٩/٧] ﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾ [البقرة ١٨٧/٢] ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء ٤٣/٤] ﴿دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ [النساء ٢٣/٤] ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ﴾ [البقرة ٢٢٣/٢] ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة ٢٣٧/٢] ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ [النساء ٢٤/٤] ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ [البقرة ٢٢٢/٢]؟

**قلتُ:** استهجانًا لِمَا وُجد منهم قبلَ الإباحة؛ كما سمَّاه اخْتيانًا لأنفسهم.

**فإن قلتَ:** لم عُدِّي الرَّفَثُ بـ﴿إِلَىٰ﴾ والحالُ أن يعدَّى بالباء؟

---

(**فقيل له**)، أي: لابن عبّاس. والهمزة في (**أرَفَثْتَ**) للاستفهام بمعنى الإنكار، أي: لِمَ رَفَثْتَ وأنت محرم، فقال رضي الله عنه: («**إنَّما الرَّفَث**») ما يُتكلَّم به («**عند[1] النساء**»)[2] مِن معاني الإفضاء.

قوله: (**وقال الله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾**) مِن تتمّة كلام ابن عبّاس رضي الله عنه.[3]

قوله: (**فكنّى**) عطف على جملة قوله: "**وهو الإفصاح**"... إلخ.

قوله: (**لأنّه**)، أي: لأنّ الجماع لا يخلو عن شيء مِن الرَّفَث، يعني: الرَّفَث مِن لوازم الجماع، فإذا أُطلِق الرَّفَث وأُريدَ الجماع يكون كناية.

قوله: (**بخلاف قوله: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ﴾**)... إلخ، إشارةٌ إلى تسعة ألفاظ وردَت في[4] القرآن[5] كنايةً عن الجماع.

---

[1] ر – عند.

[2] بلفظ قريب في المصنَّف لابن أبي شيبة، ٣١٠/٣ (١٤٤٩٢)؛ وجامع البيان للطبري، ٤٥٨/٣ (البقرة، ١٨٧/٢)؛ والفائق للزمخشري، ١١٤/٤.

[3] د ر – رضي الله عنه.

[4] ن – في.

[5] ن: بالقرآن.

**قلتُ**: لتضمينه معنى الإفضاء، لمّا كان الرجلُ والمرأةُ يعتنِقان ويشتمِل كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه في عناقه شبِّه باللباس المشتمِل عليه، قال الجَعْديُّ:

إذا ما الضَّجِيعُ ثَنَى عِطْفَها تَثَنَّتْ فكانَتْ عليه لباسَا

**فإن قلتَ**: ما موقعُ قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾؟

**قلتُ**: هو استئنافٌ كالبيان لسببِ الإحلال، وهو أنَّه إذا كانت بينكم وبينهنَّ مثلُ هذه المخالَطة والملابَسة قلَّ صبرُكم عنهنَّ وصعُب عليكم اجتنابُهن، فلذلك رُخِّص لكم في مباشرتهن.

﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾: تَظْلمونها وتَنْقُصون حظَّها من الخير، والاختيانُ من الخيانة كالاكتساب من الكَسْب فيه زيادةٌ وشدة.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ حين تبتُم مما ارتكبتُم من المحظور.

---

قوله: (لمّا[1] كان الرجل) هذا إشارة إلى بيان وجهِ تشبيه الزوجين باللباس، وهو أنّه لمّا كان الرجل والمرأة يتعانقان[2] فينضمّ جسد كلّ واحد منهما إلى جسد صاحبه حتّى يصير كلُّ واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه سُمّي كلّ واحد منهما لباسًا.[3] قال الربيع: «هنّ فراشٌ لكم وأنتم لحافٌ لهن».[4]

قوله: (شُبّه) جواب "لمّا". قال الشاعر:

(إذا ما الضجيعُ ثنى عِطفَها تثنّتْ فكانتْ[5] عليه[6] لِباسا)[7]

و"الضجيع": مَن يضاجعك في فراشك. و"ثنى" مِن ثنيتُه، أي: عطفتُه. "تثنّت"، أي: انعطفت. معناه: إذا ثنى الضجيع عِطْف ضجيعته إليه انعطفت / الضجيعةُ وكانت لباسًا عليه. [٢٠٧ظ]

---

[1] ن: ما.

[2] ر: يتعاقبان.

[3] **الوسيط** للواحدي، ٢٨٦/١ (البقرة، ١٨٧/٢).

[4] **جامع البيان** للطبري، ٢٣٢/٣ (البقرة، ١٨٧/٢)؛ **معالم التنزيل** للبغوي، ٢٠٧/١ (البقرة، ١٨٧/٢).

[5] ر: فكأنّه.

[6] ر: قال.

[7] البيت للنابغة الجعدي في **ديوانه**، ص ١٠٠، وفيه «جيدها» مكان «عِطفها»؛ وهو له في **الصحاح** للجوهري، «لبس»؛ **والغريبين** للهروي، ١٦٧٠/٥.

﴿وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: واطلبوا ما قسَم الله لكم وأثبتَ في اللوح من الولد بالمباشرة؛ أي: لا تباشروا لقضاءِ الشهوة وحدها، ولكن لابتغاءِ ما وضَع الله له النكاحَ مِن التناسُل.

وقيل: هو نَهْيٌ عن العَزل؛ لأنه في الحرائر.

وقيل: وابتغوا المحلَّ الذي كتبَه الله لكم وحَلَّلَه، دون ما لم يَكتب لكم من المحلِّ المحرَّم.

وعن قتادة: ﴿وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ من الإباحة بعد الحَظْر.

وقرأ ابنُ عباس رضي الله عنهما: "واتَّبِعوا".

---

«وإنّما وحّد اللباس بعد قوله: ﴿هُنَّ﴾ لأنّه يجري مَجرى المصدر، و"فِعال" مِن مصادر "فاعَل"، وتأويله: هنّ مُلابِسات لكم».[1]

قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قال الإمام: تقديرُه: تبتُم فتاب عليكم وعفا عن ذنوبكم.[2] وقال الواحدي: «المعنى عاد عليكم بالرخصة وعفا عنكم ما فعلتم قبل هذا».[3]

قوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ هذا أمرُ إباحة، واتّفق المفسّرون على أنّ المراد بالمباشرة في هذه الآية الجماع؛ لأنّ السبب في هذه الرخصة كان وقوعه مِن القوم، ولأنّ الرفث المتقدِّم ذِكرُه لا يراد به إلّا الجماع.

قوله: (عن قتادة) إلى قوله: (بعد الحظر)، يعني: قال هذا للتأكيد، أي: فالآن باشروهنّ وابتغوا هذه المباشرة التي كتبها الله لكم بعد أن كانت محرَّمة عليكم.

قوله: (وقرأ ابن عبّاس: "واتّبِعُوا")[4] مِن الاتّباع هذه القراءة وقراءة الأعمش[5] شاذّتان.

---

١ البسيط للواحدي، ٦٠٢/٣ (البقرة، ١٨٧/٢).

٢ انظر: تفسير الرازي، ١١٦/٥ (البقرة، ١٨٧/٢).

٣ الوسيط للواحدي، ٢٨٦/١ (البقرة، ١٨٧/٢).

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس والحسن وابن قرّة وابن مِقسَم. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٨٤؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٩٣.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود والأعمش. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٨٤؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٩٣.

وقرأ الأعمش: "وأتُوا".

وقيل: معناه: واطلبوا ليلةَ القدْر، وما كتَبَ الله لكم من الثواب إن أصَبْتُمُوها وقُمْتُمُوها، وهو قريبٌ من بِدَعِ التفاسير.

﴿ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ﴾: أوّلُ ما يَبْدُو من الفجر المعترِضِ في الأفق كالخيط الممدود. و﴿ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾: ..............................................

---

قوله: (معناه: واطلبوا ليلة القدر) قال معاذ بن جبل وابن عبّاس في رواية أبي الجوزاء، يعني: اطلبوا ليلةَ القدر (وما كتب الله لكم فيها مِن الثواب إن وجدتموها).[١] وجمهور المحقِّقين استبعدوا هذا الوجه، وكأنّ المصنِّف إنّما قال: (هو قريب[٢] مِن بِدَعِ التفاسير)، ولم يقل: "هو مِن بِدَعِ التفاسير"؛ لإمكان أن يقال في وجهه: إنّ الإنسان ما دام مشتغلًا بطلب الشهوة واللذة لا يمكنه أن يتفرّغ للطاعة والعبوديّة والحضور، أمّا إذا قضى وطرَه وصار فارغًا عن طلب الشهوة يمكنه أن يتفرّغ للعبوديّة، فتقدير الآية: فالآن باشروهنّ حتّى تتخلّصوا مِن تلك الخواطر المانعة عن الإخلاص في العبوديّة، وإذا تخلّصتم منها فابتغوا ما كَتَب الله لكم مِن الإخلاص والعبوديّة[٣] في الصلاة والذِّكر والتسبيح والتهليل وطلبِ ليلة القدر.[٤]

قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ الفائدةُ في ذكرهما أنّ تحريم[٥] الأكل والشرب وتحريمَ الجماع بالليل بعد النوم لمّا تقدَّم احتيج في إباحة كلّ واحد منهما إلى دليل خاصّ يزول به التحريم، فلو اقتصر على قوله: ﴿فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾ لم يُعلم بذلك زوال تحريم الأكل والشرب، فقُرن إلى ذلك قوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ لتتمّ الدلالة على الإباحة.

---

[١] بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٢٤٧/٣ (البقرة، ١٨٧/٢)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢٠٧/١ (البقرة، ١٨٧/٢).

[٢] ر: قرب.

[٣] ن ر - وإذا تخلّصتم منها فابتغوا ما كَتَب الله لكم مِن الإخلاص والعبوديّة.

[٤] من قوله: "قال معاذ" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ١١٧/٥ (البقرة، ١٨٧/٢).

[٥] ر: يحرّم.

ما يمتَدُّ معه من غَبَش الليل، شُبّها بخيطين أبيضَ وأسودَ؛ قال أبو دُؤَاد:

فلمّا أضاءتْ لنا سُدْفةٌ ولاحَ من الصُّبح خَيْطٌ أنارا

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ بيانٌ لـ﴿ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾ واكتُفي به عن بيانِ ﴿ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾؛ لأنَّ بيانَ أحدهما بيانٌ للثاني.

ويجوز أن تكون ﴿مِنَ﴾ للتبعيض؛ لأنه بعضُ الفجر وأوَّلُه.

---

قوله: (غَبَش) الغَبَش بالتحريك البقيّة مِن الليل. وقيل: ظلمةُ آخر الليل.

(قال أبو دُؤاد:

فلمّا أضاءَتْ لنا سُدفةٌ ولاح مِن الصُّبح خيطٌ أنارا)[1]

«قال الأصمعي: السُّدفة والسَّدفة في لغة نجد: الظُّلمة، وفي لغة غيرهم: الضوء. وهو[2] مِن الأضداد، وكذلك السَّدَف بالتحريك. وقال أبو عبيد: وبعضُهم يجعل السُّدفة اختلاط الضوء والظُّلمة معًا كوقت ما بين طلوع الفجر والإسفار».[3] وقوله: "أنارا" جواب "لمّا"، والغرضُ مِن إيراد البيت تشبيهُ بياض الصبح بالخيط.

قوله: (ويجوز أن تكون "مِن" للتبعيض) عطف على جملة (قوله). وقوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ بيان للخيط الأبيض.

اعلم أنّ العلماء اختلفوا، فقال بعضهم ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ للتبيين، كأنّه قيل: الخيط الأبيض[4] الذي هو الفجر، وقال بعضهم: للتبعيض لأنّ المعتبر بعضُ الفجر لا كلّه.[5] فقوله: (لأنّه)، أي: لأنّ الخيط الأبيض بعضُ الفجر وأوّله لِما عرفتَ أنّه المشبَّه بالفجر.

---

١ البيت لأبي دؤاد الإيادي في ديوانه، ص ١١٠؛ والأصمعيّات للأصمعي، ص ١٩٠؛ وهو له في الألفاظ لابن السِّكِّيت، ص ٢٩٧؛ وجامع البيان للطبري، ٢٥٩/٣ (البقرة، ١٨٧/٢)؛ والصحاح للجوهري، «خيط».

٢ ن ر − وهو.

٣ ن ر: للإسفار. | الصحاح للجوهري، «سدف».

٤ ن ر − اعلم أنّ العلماء اختلفوا، فقال بعضهم ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ للتبيين، كأنّه قيل: الخيط الأبيض.

٥ القولان في تفسير الرازي، ١١٩/٥-١٢٠ (البقرة، ١٨٧/٢).

**فإن قلتَ**: أهذا من بابِ الاستعارةِ أم من بابِ التشبيه؟

---

قوله: (**أهذا مِن باب الاستعارة أم مِن باب التشبيه؟**) اعلم أنّ التشبيه يستدعي مشبَّهًا ومشبَّهًا به / واشتراكًا بينهما مِن وجه وافتراقًا مِن آخر.[١] لكن ليس الواجب ذِكرَ كلمة التشبيه؛ بل إذا قلتُ: "زيدٌ أسد" واكتفيتَ بذِكر الطرفين عُدّ تشبيهًا، ولا ذِكرَ المشبّه لفظًا، بل إذا كان محذوفًا كما إذا قلتَ:[٢] "أسدٌ وأيُّ أسد"[٣] جاعلًا المشبَّه به خبرًا مفتقرًا إلى المبتدأ كفى. وإنّما الواجب في التشبيه إذا تُرِك المشبَّه ألّا يكون بحيث لا يدلُّ عليه شيء، كما إذا قلتَ: "عندي أسدٌ" و"رأيتُ أسدًا" و"نظرتُ إلى أسد"، فإنّه لا يعدُّ تشبيهًا، فوجودُ طرفَي التشبيهِ يمنع عن حَمْل الكلام على غير التشبيهِ. إذا عرفتَ ذلك ظهر لك أنّ نحو قولك: "رأيت بزيد أسدًا" و"لقيني منه أسدٌ" و"إن أردتَ أسدًا[٤] فعليك بفلان" تشبيهاتٌ.[٥] [٢٠٨و]

ثمّ اعلم أنّ الاستعارة: أن تذكُر أحد طرفَي التشبيه وتُريد به الطرف الآخر مدَّعيًا دخول المشبَّه في جنس المشبَّه به دالًا على ذلك بإثباتك للمشبَّه ما يخصُّ المشبَّه به، كما تقول: "رأيتُ أسدًا" وأنت تريد به الشجاع مدَّعيًا أنّه مِن جنس الأُسود، فتُثبت للشجاع ما يخصُّ المشبَّه به وهو اسم جنسه، مع سدّ طريق التشبيه بإفراده في الذِّكر.[٦]

ولا بدّ فيها مِن نَصْب قرينة مانعة عن إرادة الهيكل المخصوص، نحو قولك: "في الحمّام" أو "يرمي" أو "يتكلّم".

فظهر لك مِن هذا أنّ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ مِن باب التشبيه حيث بُيِّنا بقوله: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ ولولا ذلك لكانا مِن الاستعارة.

---

١ انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٣٩.
٢ ر: قلنا.
٣ ن - وأيّ أسد.
٤ ن ر: بفلان.
٥ انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٦٣.
٦ مِن قوله "اعلم أنّ التشبيه يستدعي مشبَّهًا ومشبَّهًا به" إلى هنا في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٧٧.

**قلتُ**: قوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ أخرجه من بابِ الاستعارة؛ كما أن قولكَ: "رأيتُ أسدًا" مجازٌ، فإذا زدتَ: "من فلان" رجعَ تشبيهًا.

**فإن قلتَ**: فلِمَ زِيدَ ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ حتى كانَ تشبيهًا، وهلا اقتُصر به على الاستعارة التي هي أبلغُ من التشبيه وأَدْخلُ في الفصاحة؟

---

قوله: (فلِمَ زِيد ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾؟) تقرير السؤال أن يقال: إنّ أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة[1] للمعاني مُطبِقون على أنّ المجاز أبلغُ مِن الحقيقة وأنّ الاستعارة أقوى مِن التصريح بالتشبيه:

أمّا أنّ المجاز أبلغُ مِن الحقيقة[2] فلأنّ[3] مبنى المجاز على الانتقال مِن الملزوم إلى اللازم، فأنت في قولنا: "رعيتُ الغيث" ذاكرًا لملزوم النبت[4] مُريدًا به لازمه بمنزلة مدَّعي الشيء ببيّنة، فإنّ وجود الملزوم شاهدٌ لوجود اللازم، لامتناع انفكاك الملزوم مِن اللازم، وفي قولنا: "رعيتُ النبت" مدَّعٍ للشيء لا ببيّنة.

والسببُ[5] في أنّ[6] الاستعارة أقوى مِن التصريح بالتشبيه أمران: **أحدُهما** أنّ في التصريح[7] بالتشبيه[8] اعترافًا بكون المشبَّه به أكمَلَ مِن المشبَّه في وجه التشبيه، وإذا عدلت إلى الاستعارة حكمتَ بأنّ المستعار له مِن جنس المستعار منه، فيكونان متساويين فيما هو وجهُ التشبيه فيكون أبلغَ. **والثاني** أنّ في ترك التصريح بالتشبيه إلى الاستعارة التي هي مجاز مخصوصُ الفائدةَ التي سمعتَ في المجاز آنفًا مِن دعوى الشيء ببيّنة.[9]

وإذا كانت الاستعارة أبلَغَ فلِمَ زِيد لفظٌ وعُدِل به عن الأبلغ إلى غير الأبلغ؟

---

[1] ن ر: الصناعة.
[2] ن ر – وأنّ الاستعارة أقوى مِن التصريح بالتشبيه أمّا أنّ المجاز أبلغُ مِن الحقيقة.
[3] ن: لأنّ.
[4] ن: وهو الغيث.
[5] ر + أن.
[6] ر + في.
[7] ر – التصريح.
[8] ر: التشبيه.
[9] مِن قوله "إنّ أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة" إلى هنا في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٥٢٣.

**قلتُ: لأن مِن شرط المستعار أن يدلَّ عليه الحالُ أو الكلامُ، ولو لم يُذْكر ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ لم يُعْلم أن الخيطين مستعاران، فزيد ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فكان تشبيهًا بليغًا، وخرج من أن يكون استعارة.**

**فإن قلتَ: فكيف الْتَبَس على عديِّ بن حاتم مع هذا البيان حتى قال: عَمِدتُ إلى عقَالَين أبيضَ وأسودَ فجَعلتُهما تحتَ وسَادِي، فكنتُ أقُوم من الليل فأنظر إليهما فلا يتبيَّن لي الأبيضُ من الأسود، فلمَّا أصْبحتُ غَدوتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتُه، فضحك وقال: «إنْ كان وسَادُك لعريضًا» -وروي: «إنَّك لعريضُ القفا»- «إنَّما ذاك بياضُ النهار وسوادُ الليل»؟**

**قلتُ: غَفَلَ عن البيان ولذلك عَرَّضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاهُ؛ لأنه ممَّا يُسْتَدلُّ به على بلاهة الرجل وقلَّةِ فِطْنَتِه، وأنشدتْني بعضُ البَدَويات لبدويّ:**

---

فأجاب المصنِّف عن هذا السؤال بأنّه إنّما عُدل إليه لفوات شرط الاستعارةِ وهو القرينة، على ما مرّ.

ثمّ أورد سؤالًا آخرَ وهو أنّه لمّا بيّن بهذا الوجه فكيف التبس على عديّ؟ فأجاب بأنّه كان قليل الفِطنة، ولذلك قال عليه السلام: (**«إن كان وسادُك لَعريضًا»**).[1] وهذا مِن باب الكناية.

والكناية: تركُ التصريح بذِكر الشيء إلى ذِكر ما يلزمه ليُنتقل مِن المذكور إلى المتروك، كما تقول: "فلانٌ طويل النِّجاد" ليُنتقل منه[2] إلى ملزومه وهو طول القامة، وذلك قد يكون واضحًا كهذا المثال، وقد يكون خفيًّا كما في قولهم: "عريضُ القفا"، فإنّه كناية / عن الأبله، و"عريضُ الوسادة" كناية عن هذه الكناية.[3] [٢٠٨ظ]

---

١ بلفظ قريب في صحيح البخاري، ٢٦/٦ (٤٥٠٩)؛ وصحيح مسلم، ٧٦٦/٢ (١٠٩٠).

٢ ن – مِن المذكور إلى المتروك، كما تقول: "فلانٌ طويل النِّجاد" ليُنتقل منه.

٣ مِن قوله "والكناية: تركُ التصريح" إلى هنا في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٥١٢، ٥١٤.

عَرِيضُ القَفَا مِيزَانُهُ فِي شِمَالِهِ قَدِ انْحَصَّ مِن حَسْبِ القَرَارِيطِ شَارِبُهْ

**فإن قلتَ: فما تقول فيما رُوي عن سهلِ بن سعدٍ الساعديّ: أنَّها نزلت ولم ينزِل ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فكان رجالٌ إذا أرادوا الصوم رَبَطَ أحدهم في رِجْله الخيط**

---

قال الشاعر:

**(عريضُ القفا مِيزانُه في شمالِهِ قد انحصّ مِن حَسْبِ القراريطِ شاربُهْ)**[١]

"ميزانه في شماله" كناية عن البَلَه أيضًا؛ لأنّ المِيزان يُرفَع باليمين. و"انحصّ"، أي: انحسر وانجرد، وإنّ المُحاسِب إذا أمعَن في الحساب وتفكّر فيه عضّ على شفته وشاربه. و"القراريط" جمع القِيراط، وهو: نصف دانق.[٢]

قوله: **(فما تقول فيما رُوي عن سهل؟)** وجهُ هذا السؤال أن يقال: روايةُ سهل تدلُّ على أنّ قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ لم يكن مُنزَلًا مع قوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾.[٣] فلم يكن حينئذٍ تشبيهًا وهو ظاهر، ولا استعارة لفقد شرطها وهو[٤] القرينة.

يدلُّ عليه أنّ العلماء قد شرطوا في الاستعارة بالتصريح أن يكون الشبَه[٥] بين المستعار له والمستعار منه جليًّا بنفسه ومعروفًا سائرًا بين الأقوام، وإلّا خرجت الاستعارة عن كونها استعارةً، ودخلت في باب التعمية والإلغاز، كما إذا قلتَ: "رأيتُ عُودًا مَسقيًّا[٦] أوانَ[٧] الغرس" وأردتَ إنسانًا مؤدّبًا في صباه، أو قلتَ: "رأيتُ إبلًا مئة لا تجِد فيها راحلةً"[٨] وأردت الناس.[٩]

---

١ ما عرفتُ قائله، ولا وقفتُ عليه فيما سبق **الكشّاف** مِن المظانّ. ونقل الطِّيبيُّ أنّ البدويّة التي أنشدت الزمخشري هذا البيت هي أمّ كردس خادم الزمخشري. انظر: **فتوح الغيب**، ٣/٢٥١.

٢ **الصحاح** للجوهري، «قرط».

٣ انظر حديث سهل في **صحيح البخاري**، ٣/٢٨ (١٩١٧).

٤ ر: وهي.

٥ ر: المشبّه.

٦ ن ر: مقيمًا.

٧ ر: وأن.

٨ إشارة إلى الحديث المشهور، وروايته في **صحيح البخاري** ٨/١٠٤ (٦٤٩٨): «إنّما الناس كالإبل المئة، لا تكاد تجد فيها راحلةً».

٩ مِن قوله "يدلُّ عليه أنّ العلماء قد شرطوا" إلى هنا في **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٤٩٧.

الأبيض والخيط الأسود، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبيَّنا له، فنزل بعد ذلك ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فعلموا أنه إنّما يعني بذلك الليل والنهار.

وكيف جاز تأخير البيان وهو يُشبه العبثَ حيث لا يُفهم منه المرادُ، إذ ليس باستعارةٍ لفَقْدِ الدلالة، ولا بتشبيهٍ قبل ذكرِ الفجر، فلا يُفهم منه إذن إلا الحقيقةُ وهي غيرُ مرادة؟

قلتُ: أمّا مَن لم يجوِّز تأخيرَ البيان -وهم أكثر الفقهاء والمتكلّمين، وهو مذهبُ أبي عليٍّ وأبي هاشم- فلم يصحَّ عندهم هذا الحديث، وأمّا مَن يجوِّزُه فيقول: ليس بعبثٍ؛ لأن المخاطَب يَسْتفيدُ منه وجُوبَ الخطاب ويَعزم على فعله إذا استوضَحَ المراد به.

﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ قالوا: فيه دليلٌ على جواز النيّة بالنَّهار في صومِ رمضان، وعلى جواز تأخير الغُسل إلى الفجر، ..............................

---

قوله: (وكيف جاز؟) عطف على قوله: "فما تقول؟". وأجاب المصنِّف عنه[1] بأنّ بعضهم لا يُثبِت ولا يُصحِّح هذا الحديث، وبعضُهم يُثبِته، ويقول: تفيد الآية قبل نزول ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فائدةً إجماليّة، وذلك قد يكون مطلوبًا لأغراض، منها ظهورُ مراتب العلماء بحسب إدراكاتهم وأذهانهم، إلى غير ذلك مِن الفوائد كما في المتشابِهات.

قوله: (قالوا: فيه)، أي: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ دليلٌ على[2] جواز النيّة بالنهار في صوم رمضان، وعلى جواز تأخير الغُسل إلى الفجر. وجهُ دلالته على جواز النيّة بالنهار وتأخيرِ الغُسل أنّه ذكر ﴿ثُمَّ﴾ بعد قوله: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾. وللمجيب عنه أن يقول: المذكور بعد ﴿ثُمَّ﴾ هو الإتمام لا[3] الصوم نفسه، وإذا كان إتمام الصوم متأخِّرًا فلِمَ قلتُم إنّه يلزم أن يكون النيّة جائز التأخير أو الغُسل جائز التأخير؟

---

[1] ر - عنه.
[2] ر: إلى.
[3] ن ر: و.

وعلى نفي صوم الوصال.

﴿عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾: معتكِفون فيها، والاعتكافُ: أَنْ يَحْبِسَ نفسَه في المسجد يتعبَّد فيه، والمراد بالمباشرة: الجماع؛ لِمَا تقدَّم من قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ... فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾.

وقيل: معناه: ولا تُلامسوهنَّ لشهوة، والجماعُ يُفسد الاعتكاف وكذلك إذا لَمَس أو قبَّل فأَنزل، وعن قتادة: كان الرجلُ إذا اعتكف خرج وباشر امرأتَه ثم رجع إلى المسجد، فَنَهاهم الله عن ذلك.

وقالوا: فيه دليلٌ على أن الاعتكافَ لا يكون إلّا في مسجدٍ، وأنه لا يَختصُّ به مسجدٌ دون مسجدٍ.

---

نعم قوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾ يدلُّ على جواز تأخير الغُسل لا قوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ﴾.

قوله: **(وعلى نفي صومِ[1] الوصال)** لأنّه جَعَل غاية الصوم الليل، فإذا دَخَل الليل لم يبقَ الصوم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾.

**الحكم السابع مِن الأحكام المذكورة في هذه السورة الاعتكافُ.[2]**

قال الشافعي رضي الله عنه:[3] الاعتكاف اللغويّ: ملازمة المرء الشيءَ وحبسُه نفسَه عليه بِرًّا كان أو إثمًا، قال تعالى: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف ١٣٨/٧]، والاعتكاف الشرعيّ: المكث في بيت الله تعالى تقرُّبًا إليه.[4] وحاصلُه راجع إلى تقييد اسم الجنس بالنوع بسبب العُرف، وهو مِن الشرائع القديمة، قال تعالى: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ [البقرة ١٢٥/٢].[5]

---

١ ر – صوم.

٢ ر: والاعتكاف.

٣ د – رضي الله عنه.

٤ انظر هذا التعريف بلفظ جدّ قريب في بحر المذهب للروياني، ٣١٤/٣.

٥ مِن قوله "قال الشافعي رضي الله عنه" إلى هنا في تفسير الرازي، ١٢٢/٥ (البقرة، ١٨٧/٢).

وقيل: لا يجوز إلّا في مسجدِ نبيٍّ، وهو أحدُ المساجد الثلاثة.

وقيل: في مسجدٍ جامعٍ، والعامَّةُ على أنَّه في مسجدِ جماعةٍ.

وقرأ مجاهدٌ: "في المسجد".

﴿تِلْكَ﴾ الأحكام التي ذكرتْ ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾: فلا تَغْشَوْها.

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ مع قوله: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ٢/٢٢٩]؟

---

قوله: (وهو أحد المساجد الثلاثة) هي المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد النبيّ عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ لا يجوز أن تكون تلك إشارة إلى حكم الاعتكاف فقط؛ لأنّ الحدود جَمْع،[1] / ولم يذكر تعالى في الاعتكاف إلّا [٢٠٩و]
حدًّا واحدًا وهو تحريم المباشرة؛ بل هو إشارة إلى كلّ ما تقدّم مِن أوّل آية الصيام إلى هنا على ما سبق، وإليه أشار المصنِّف بقوله: (الأحكامُ التي ذُكِرت).

قال الليث: حدّ الشيء مقطعه ومنتهاه،[2] ويقال للبوّاب: حدّاد؛ لأنّه يمنع الناس مِن الدخول. وحدُّ الدار: ما يمنع غيرَها مِن الدخول فيها. وحدود الله: ما يُمنع مِن مخالفتها والمتكلّمون يسمُّون الكلام الجامع المانع: حدًّا. وسُمّي الحديد حديدًا[3] لِما فيه مِن المنع. وكذا إحداد المرأة؛ لأنّها تُمنع مِن الزينة.[4]

إذا عرفتَ الاشتقاق فنقول: المرادُ مِن حدود الله تعالى محدوداته، أي: مقدّراته التي قدّرها بمقاديرَ مخصوصة وصفات مضبوطة.

قوله: (كيف قيل) وجه السؤال أن يقال: إنّه تعالى قال في آية أخرى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة ٢/٢٢٩]، وقال في آية المواريث: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ [النساء ٤/١٤]، وفي آية أخرى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾

---

١ ن ر – جمع.

٢ ن ر + قال الأزهري: ومنه يقال للمحروم: محدود؛ لأنّه ممنوع عن الرزق.

٣ ر – حديدًا.

٤ انظر: تفسير الرازي، ١٢٤/٥ (البقرة، ١٨٧/٢).

**قلتُ**: مَن كان في طاعة الله والعملِ بشرائعه فهو متصرِّف في حيّز الحقّ فَنُهي أن يتعدّاه؛ لأن مَن تعدّاه وقع في حيّز الباطلِ، ثـمّ بُولـغ في ذلك فنُهي أن يَقربَ الحدَّ الذي هو الحاجزُ بين حيّزي الحق والباطل لئلا يُدانيَ الباطِلَ، وأن يكونَ في الواسطة متَباعِدًا عن الطرف فضلًا أَنْ يَتخطّاه؛ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ لكلِّ مَلِكٍ حِمًى، وحِمَى الله محارِمُه، فمَن رتَع حولَ الحمى

---

[البقرة ٢/٢٢٩] فكيف الجمع بينهما؟[١] وذَكَر المصنف الجواب مِن وجهين:

**الأوّل** وهو الأحسن الأقوى هو الذي أشار إليه[٢] بقوله: (**مَن كان في طاعة الله والعملِ**)... إلخ.

قوله: (**ثمّ بُولغ**) عطف على قوله: (**فنُهي**). وقوله: (**وأن يكون**) عطف على (**ألّا يُدانى**)، أي: لئلا يُدانى، ولأن يكون في واسطة حيّز الحقّ مُتباعدًا عن الطرف الذي هو الحاجز.

قوله: (**فضلًا**) متعلِّق بقوله: (**أن يُقرب**)، أي: فنُهي أن يُقرب[٣] فضلًا أن يتخطّاه.

والوجه **الثاني** أنّ الأحكام المذكورة فيما قبل وإن كانت كثيرة إلّا أنّ أقربها إلى هذه الآية إنّما هو قوله: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ﴾، وقبل هذه الآية ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾، وذلك يُوجِب حرمةَ الأكل والشرب في النهار، وقبل هذه الآية قوله: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ وهو يقتضي تحريمَ مواقعةِ غير[٤] الزوجة والمملوكة، وتحريمَ مواقعتهما في غير المأتى، وتحريمَ مواقعتهما في الحيض والنفاس والعدَّة والردّة، وليس فيه إلّا إباحة الشرب والأكل والوقاع في الليل، فلمّا كانت الأحكام المتقدّمة أكثرُها تحريمات لا جرمَ غُلّب جانب التحريم، فقال: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَا﴾، أي: تلك الأشياء التي مُنعتم عنها، أي: مُنعتم عنها بمنع الله تعالى ونهيه فلا تقربوها.[٥]

---

١ ن: بينها.
٢ ر - إليه.
٣ ن ر - أي: فنُهي أن يُقرب.
٤ ر - غير.
٥ ن ر - أي: تلك الأشياء التي مُنعتم عنها، أي: مُنعتم عنها بمنع الله تعالى ونهيه فلا تقربوها. | مِن قوله "والوجه الثاني أنّ الأحكام المذكورة" إلى هنا في تفسير الرازي، ١٢٥/٥ (البقرة، ١٨٧/٢).

يوشكُ أَنْ يقع فيه»، فالرَّتْعُ حولَ الحمى وقِرْبانُ حيّزِه واحدٌ.

ويجوز أن يريد بحُدود الله: محارمَه ومناهِيَه خصوصًا؛ لقوله: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ وهي حدودٌ لا تُقرب.

---

قوله: (خصوصًا)، أي: أُريدَ بالحدود المحرَّمات خاصّة.

قوله: (لقوله:[1] ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾) بيان أنّ المراد بالحدود المحرَّمات.

قوله: (وهي حدود)، أي: المحارم حدود لا تُقرب.

وهنا جواب ثالث لم يذكره المصنف وهو أنّ معنى[2] قوله: ﴿لَا تَقْرَبُوهَا﴾ لا تتعرَّضوها بالتغيير كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ [الأنعام ١٥٢/٦].[3]

واعلم أنّ في هذه الآية سؤالًا آخرَ لم يذكره المصنِّف، وهو أنّ قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ إشارةٌ إلى كلّ ما تقدَّم، والأمور المتقدِّمة[4] بعضُها إباحةٌ وبعضها[5] حظرٌ، فكيف قال في الكلّ: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾؟ وجوابه أيضًا مِن هذه الوجوه التي مرّت.[6]

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

فيه وجوه: الأوّل أنّ المراد به:[7] كما يبيّن ما أمركم به ونهاكم عنه في هذا الموضع كذلك يبيّن سائر أدلته على دينه وشرعه. وثانيها قال أبو مسلم: المراد بالآيات الفرائضُ التي بيّنها، / كما قال في ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾، ثمّ فسّر الآيات بقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ [النور ١/٢٤-٢]، إلى سائر ما بيّنه مِن أحكام الزنا، فكأنّه قال تعالى: كذلك يبيّن الله للناس ما شرعه لهم ليتّقوه بأن يعملوا بما ألزم. وثالثها يحتمل أن يكون المراد به أنّه سبحانه وتعالى[8] لمّا بيّن أحكام الصوم [٢٠٩ظ]

---

[1] ن ر – لقوله.

[2] ن ر – هو أنّ معنى.

[3] هذا الوجه عن أبي مسلم الأصفهاني في تفسير الرازي، ١٢٤/٥ (البقرة، ١٨٧/٢).

[4] ن: المقدّمة.

[5] ن ر – إباحة وبعضها.

[6] الكلام بلفظ قريب في تفسير الرازي، ١٢٤/٥ (البقرة، ١٨٧/٢).

[7] ن: أنّه.

[8] ن ر – وتعالى.

﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨﴾

﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم﴾: ولا يأكل بعضكم مالَ بعضٍ ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾: بالوجه الذي لـم يُبِحْهُ اللهُ ولَم يَشْرَعْه.

﴿و﴾ لا ﴿تُدْلوا بها﴾: ولا تُلقوا أمرها والحكومةَ فيها ﴿إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ﴾

---

على الاستقصاء في هذه الألفاظ القليلة بيانًا شافيًا وافيًا[1] قال بعده: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾، أي: مِثلُ هذا البيان الوافي الواضح الكامل هو الذي يُذكَر للناس، والغرضُ منه تعظيم حال البيان وتعظيمُ رحمته على الخلق في ذِكره مثلَ هذا البيان لكي يتقوا ما حرَّم الله ومَنَع منه.[2]

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ﴾... إلخ.

هذا هو الحكم الثامن.

واعلم أنّه ليس المراد مِن قوله: ﴿لَا تَأۡكُلُوٓاْ﴾ الأكل خاصّة؛ لأنّ غير الأكل مِن التصرُّفات كالأكل في هذا الباب، لكنّه لمّا كان المقصود الأعظم مِن المال إنّما هو الأكل وقعَ التعارُف فيمن ينفق ماله أن يقال: "أكَلَه"، فلهذا السبب عبّر الله تعالى عنه بالأكل.[3] والمراد بالباطل ضدّ الحقّ. قال الواحديّ: «والأكلُ بالباطل على وجهين: أحدُهما أن يكون على جهة الظلم نحو الغصب والخيانة والسرقة، والثاني على جهة الهُزء واللعب، كالذي يُؤخذ في القمار والملاهي ونحو ذلك».[4]

ومعنى الإدلاء في اللغة: إرسال الدلو وإلقاؤها في البئر، يقال: "أدليتُ دلوي أُدليها"، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥ﴾ [يوسف ١٩/١٢]، ثمّ جُعل كلّ إلقاء قولٍ أو فعل إدلاءً،[5] يقال للمحتجّ: "أدلى بحجّته"، كأنّه يُرسلها ليصل إلى مراده

---

١ ن ر – وافيًا.

٢ مِن قوله "فيه وجوه: الأوّل أنّ المراد به" إلى هنا في تفسير الرازي، ١٢٥/٥ (البقرة، ١٨٧/٢).

٣ انظر: تفسير الرازي، ١٢٧/٥ (البقرة، ١٨٨/٢).

٤ الوسيط للواحدي، ٢٨٩/١ (البقرة، ١٨٨/٢).

٥ ر: إذ لا.

بالتحاكُم ﴿فَرِيقًا﴾: طائفةً ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾: بشهادةِ الزُّور، أو باليمين الكاذبة، أو بالصُّلح مع العلم بأنَّ المقضِيَّ له ظالم.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال للخَصْمين: «إنَّما أنا بشرٌ وأنتم تختصِمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون أَلْحنَ بحجَّته مِن بعضٍ فأَقْضِيَ له على نحو ما أَسْمعُ منه، فمَن قضيتُ له بشيءٍ من حقِّ أخيه فلا يأخذَنْ منه شيئًا

---

كإدلاء المستقي الدلو[١] ليصل إلى[٢] مطلوبه مِن الماء، و"فلان يدلي إلى الميت بقرابة أو رحم" إذا كان يُنسَب إليه فيَرِث منه بتلك النسبة طلبَ المُستقي الماءَ بالدلو.

وفي تشبيه الرّشوة بالإدلاء وجهان: أحدُهما أنّ الرِّشوة رشاءُ الحاجة، فكما أنّ الدَّلْو المملوء مِن الماء يصل مِن البعيد إلى القريب بواسطة الرِّشاء فالمقصود البعيد يصير قريبًا بسبب الرِّشوة، الثاني أنّ الحاكم بسبب أخذ الرِّشوة يمضي في ذلك الحكم مِن غير تثبت كمُضيِّ الدَّلْو في البئر بسبب الرِّشاء.[٣]

و"الباء" في قوله: ﴿بِهَا﴾ يجوز أن تكون للتعدية، ويجوز أن تكون للسببيّة: فإن كان للتعدية فالمضاف محذوف، وهو يحتمل معنيين: الأوّل لا تلقوا أمرها والحكومة فيها، وهو الذي ذَكَره المصنِّف أوّلًا، والثاني أن يكون[٤] التقدير لا تُلقوا بعضها إلى الحكّام، وهو الذي ذكره المصنِّف ثانيًا. وإن كان "الباء" للسببيّة فمعنى ﴿تُدْلُواْبِهَا﴾ تتقرّبون وتتوصّلون بتلك الأموال إلى الحكام ليحكموا لكم، ولم يذكر المصنِّف هذا الوجه، وذَكَره[٥] الواحديّ.[٦]

قوله عليه السلام: («أَلْحَنُ»)،[٧] أي: أفطَنُ، واللَّحَن بالتحريك الفِطنة[٨]

---

[١] ر + وفي تشبيه الرشوة.

[٢] ن ر – إلى.

[٣] مِن قوله "ومعنى الإدلاء في اللغة: إرسال الدلو" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ٥/١٢٧-١٢٨ (البقرة، ٢/١٨٨)؛ وأكثره في **الوسيط للواحدي**، ١/٢٨٩ (البقرة، ٢/١٨٨).

[٤] ر – يكون.

[٥] ن: وذكر.

[٦] انظر: **الوسيط للواحدي**، ١/٢٨٩ (البقرة، ٢/١٨٨).

[٧] **صحيح البخاري**، ٩/٢٥ (٦٩٦٥)؛ **صحيح مسلم**، ٣/١٣٣٧ (١٧١٣).

[٨] ر: الفطرة.

فإنَّ ما أَقْضِي له قطعةٌ من النار» فبكيا وقال كلُّ واحدٍ منهما: حقِّي لصاحبي، فقال: «اذْهبا فتوخَّيا ثم استَهِمَا ثم ليُحلِّلْ كلُّ واحد منكما صاحبَه».

وقيل: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَا﴾: وتُلقوا بَعْضَها إلى حُكام السُّوء على وجه الرُّشْوة.

و"تُدْلوا" مجزومٌ داخلٌ في حكم النهي، أو منصوب بإضمار "أَنْ" كقوله: ﴿وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ﴾ [البقرة ٤٢/٢].

﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنكم على الباطل، وارتكابُ المعْصِيَة مع العلمِ بقُبحها أَقْبحُ، وصاحبُه أحقُّ بالتوبيخ.

**﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩﴾**

---

وقد لَحِن بالكسر، يقال: توخَّيت مرضاتك، أي: تحرَّيت وطلبت، والمعنى توخَّيا رضاكما. و"الاستهام":[١] الاقتراع.

قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾.[٢]

الحكم **التاسع**. قال الإمام:

نُقل عن ابن عبّاس رضي الله عنهما[٣] أنَّه قال: «ما كان قوم أقلّ سؤالًا مِن أمّة محمّد عليه السلام سألوه عن أربعةَ عشرَ حرفًا فأُجيبوا».[٤] وأقول: ثمانية منها في سورة البقرة: **أوّلها** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة ١٨٦/٢]، / **وثانيها** هذه الآية، والستة الباقية بعد في سورة البقرة، فالمجموع **ثمانية** في هذه السورة، **والتاسعة** قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡ﴾ [المائدة ٤/٥]، **والعاشرة** في "الأنفال": ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِ﴾ [الأنفال ١/٨]، **والحادي عشرَ** في "بني إسرائيل": ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء ٨٥/١٧]، **والثاني عشرَ** في "الكهف": ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِ﴾ [الكهف ٨٣/١٨]، **والثالث عشرَ** في "طه": ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ﴾ [طه ١٠٥/٢٠]، [٢١٠و]

---

١ ر: الاستفهام.

٢ ن + هذا هو؛ ر − ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾.

٣ د ر − رضي الله عنهما.

٤ ما وقفتُ عليه فيما بين يديّ مِن المصادر السابقة على تفسير الرازي.

................................................................................

والرابع عشر في "والنازعات": ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [النازعات ٤٢/٧٩].

ولهذه الأسولة ترتيب عجيبٌ: اثنان منها في الأوّل في شرح المبدأ، **فالأوّل** قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ [البقرة ١٨٦/٢] **هذا سؤال عن الذات، والثاني** قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة ١٨٩/٢]، **وهذا سؤال عن صفة الخلقة والحكمة في جَعْل الهلال على هذا الوجه. واثنان منها في الآخر في** شرح المعاد: أحدهما قوله تعالى:[١] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ [طه ١٠٥/٢٠]، والثاني ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات ٤٢/٧٩].

**ونظير هذا أنّه ورد في القرآن سورتان أوّلهما ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: إحدهما في النصف الأوّل وهو السورة الرابعة مِن سور النصف الأوّل، فإنّ أوّلها الفاتحة وثانيها البقرة وثالثها آل عمران ورابعها النساء. وثانيهما في النصف الثاني مِن القرآن، وهو أيضًا السورة الرابعة مِن سور النصف الثاني، أوّلها مريم وثانيها طه وثالثها الأنبياء ورابعها الحجّ. ثمّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ في النصف الأوّل مشتمل على شرح المبدأ، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ﴾** [النساء ١/٤]، **و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الذي في النصف الثاني مشتمل على شرح المعاد، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ﴾** [الحج ١/٢٢]. **فسبحان مَن له في هذا القرآن أسرارٌ خفيّة وحِكَم[٢] مطويّة لا يعرفها إلّا الخواصّ مِن عباده.**[٣]

قال الواحديّ: «الأهلّة جمع هِلال، وهو غرّة[٤] القمر حين يراها الناس، سُمّيت هلالًا لأنّ الناس يُهلّون بذِكر الله وبذِكرها حين يَرون، أي: يرفعون أصواتهم».[٥] قال **الإمام**: يقال له: "هِلال" لليلتين مِن أوّل الشهر ولليلتين مِن آخر الشهر، وسُمّي[٦] ما بينَ قمرًا.[٧] وقال الجوهريّ في **الصحاح**: «الهلال: أوّل ليلة والثانية والثالثة».[٨] وكذا قال الهرويّ في **الغريبين**.[٩] وأحمد بن الفارس في **المجمَل**.[١٠]

---

١ د ر – تعالى.
٢ ن ر: وعلوم.
٣ انظر: **تفسير الرازي**، ١٢٩/٥ (البقرة، ١٨٩/٢).
٤ ر: عن.
٥ **الوسيط** للواحدي، ٢٨٩/١ (البقرة، ١٨٩/٢).
٦ ن ر: ويُسمّى.
٧ انظر: **تفسير الرازي**، ١٣٠/٥ (البقرة، ١٨٩/٢).
٨ **الصحاح** للجوهري، «قرط».
٩ انظر: **الغريبين** للهروي، ١٩٣٧/٦.
١٠ انظر: **مجمل اللغة** لابن فارس، ٨٩٢/١، «هلل».

رُوي: أن معاذ بن جبل وثعلبةَ بن غَنْمٍ الأنصاريَّ قالا: يا رسولَ الله! ما بالُ الهلال يَبْدُو دقِيقًا مثلَ الخيط، ثم يزيدُ حتى يمتلئَ ويستَوِيَ، ثم لا يزالُ يَنْقُص حتى يعودَ كما بَدأ، لا يكون على حالةٍ واحدةٍ؟ فنزلت.

﴿مَوَٰقِيتُ﴾: مَعَالِمُ يُوَقِّتُ بها الناسُ مزارعهم ومتاجرهم، ومحالَّ ديونهم، وصَوْمَهم وفِطرَهم، وعِدَدَ نسائهم، وأيامَ حَيْضهنَّ، ومُدَدَ حملهنَّ، وغيرَ ذلك، ومعالمُ للحج يُعرَفُ بها وَقْتُه.

---

قوله: (رُوي أنّ معاذ بن جبل)... إلخ، هذا بيان سبب النزول. قال الواحديّ: 'قال معاذ بن جبل: يا رسول الله إنّ اليهود يغشانا ويُكثرون مسألتنا عن الأهِلّة، فأنزل الله تعالى هذه الآية'.[١] وقال قتادة: ذُكر لنا أنّهم سألوا نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم[٢] لم خُلقت هذه الأهلّة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾'».[٣] قال الإمام:

واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ ليس فيه بيان أنّهم عن أيّ شيء سألوا، لكنّ الجواب كالدالّ على موضع السؤال؛ لأنّ قوله: ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ يدلّ على أنّ سؤالهم كان عن[٤] وجه الفائدة والحكمة في تغيُّر الأهِلَّة في النقصان والزيادة، فصار القرآن والخبرُ مطابقين في أنّ السؤال كان عن[٥] هذا المعنى.[٦]

وإذا ثبت أنّ القوم[٧] إنّما سألوا عن الحكمة في اختلاف أحوال القمر فنقول: إنّ الله تعالى ذَكَر وجه الحكمة فيه وهو قوله: ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾، وذُكر هذا المعنى في آية أخرى وهي قوله: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس ٥/١٠]، / وقال في آية ثالثة: [٢١٠ظ]
﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الإسراء ١٢/١٧].

---

١ **معالم التنزيل** للبغوي، ٢١١/١ (البقرة، ١٨٩/٢).

٢ د: عليه السلام.

٣ **الوسيط** للواحدي، ٢٨٩/١-٢٩٠ (البقرة، ١٨٩/٢). وما رواه قتادة في **جامع البيان** للطبري، ٢٨٠/٣ (البقرة، ١٨٩/٢).

٤ ر: على.

٥ ر: على.

٦ ر – المعنى. | **تفسير الرازي**، ١٢٩/٥-١٣٠ (البقرة، ١٨٩/٢).

٧ ر + هو قوله: ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾.

**كان ناسٌ من الأنصار إذا أَحرموا لم يَدْخُل أحدٌ منهم حائطًا ولا دارًا ولا فُسْطَاطًا من بابٍ، فإن كان من أهل المدر نَقَبَ نَقْبًا في ظَهْر بيته منه يدخل ويخرج، أو يتَّخذ سُلَّمًا يَصْعد فيه، وإن كان من أهل الوَبَر خرج من خَلفِ الخِباء، فقيل لهم: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ بتحرُّجكم من دخول الباب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ برُّ ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ ما حَرَّمَ الله.**

---

وتفصيل القول فيه أنّ تقدير الزمان بالشهور فيه منافعُ بعضها يتّصل بالدِّين وبعضُها بالدنيا، أمّا ما يتّصل منها بالدِّين فكثيرةٌ: منها الصوم، قال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة ١٨٥/٢]، **وثانيها** الحجّ، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة ١٩٧/٢]، **وثالثها** عدّة المتوفى عنها زوجها، قال تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة ٢٣٤/٢]، **ورابعها** النذور التي تتعلّق بالأوقات، **وخامسها** فضائل الصوم في أيّام لا تُعلم إلّا بالأهلّة، وأمّا ما يتّصل منها بالدنيا فهو كالمُداينات والإجارات والمواعيد ومدّة الحمل والرَّضاع، كما قال تعالى:[١] ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف ١٥/٤٦]، وغيرها. وكلُّ ذلك ممّا لا يسهل ضبط أوقاتها إلّا عند وقوع الاختلاف في شكل القمر.

ثمّ إنّ ذلك وإن كان يمكن تقديره بالسَّنة التي هي عبارة عن دورة[٢] الشمس وبأجزائها، مثل أن يقول: كلفتُكم بالطاعة الفلانيّة في أوّل السَّنة أو نصفها أو ربعها أو ثمنها أو ثلثها أو سدسها أو تسعها أو عشرها، وهكذا سائر الأجزاء، ويمكن تقديرها بالأيّام مثل أن يقول: كلفتُكم بالطاعة الفلانيّة في اليوم الأوّل مِن السنة أو بعد خمسين يومًا مِن[٣] أوّل السَّنة، إلّا أنّ[٤] إحصاء الأهلّة أيسرُ مِن إحصاء الأيّام والأجزاء على الوجه الذي مرّ؛ لأنّ الأهلّة اثنا عشر شهرًا والأيّامُ والأجزاء كثيرةٌ. ومِن المعلوم أنّ تقسيم جملة الزمان إلى السنين ثمّ تقسيم كلّ سنة إلى الشهور ثمّ تقسيم الشهور إلى الأيّام[٥] ثمّ تقسيم كلّ يوم إلى الساعات

---

١ د ر – تعالى.
٢ ن: دور.
٣ ر – من.
٤ ن – أنّ.
٥ ر – ثمّ تقسيم الشهور إلى الأيّام.

........................................................................................

ثمّ تقسيم كلّ ساعة إلى الأنفاس أقربُ إلى الضبط وأبعَدُ عن الخبط، ولهذا قال[1] تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة ٣٦/٩]. وهذا كما أنّ المصنِّف يراعي حُسن الترتيب، يقسِّم تصنيفه إلى الكتب، ثمّ كلُّ كتاب إلى أبواب، ثمّ كلُّ باب إلى فصول، ثمّ كلّ فصل إلى المسائل، فكذا هنا.[2]

هذا حاصلُ ما ذكروه في هذا الموضع.

وأنا[3] أقول:[4] الأصوبُ أن يقال: هذا مِن[5] باب الأسلوب الحكيم، وهو قسم مِن أقسام إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر.

فإنّ لإخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر أساليبَ متفنّنة، إذ ما مِن مقتضى كلام ظاهريّ إلّا ولهذا النوع مَدخَل فيه بجهة مِن جهات البلاغة، ولكلّ مِن تلك الأساليب عِرقٌ في[6] البلاغة وليس فيها مثل الأسلوب الحكيم، وهو قسمان: **الأوّل** تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب، **والثاني** تلقّي السائل بغير ما يتطلّب.

مثال الأوّل قول الشاعر:

أتتْ تشتكي عندي مُزاولةَ القِرى    وقد رأتِ الضِّيفانَ ينحون منزلي
فقلتُ كأنّي ما سمعتُ كلامَها    همُ الضيف جِدّي في قِراهم وعجّلي[7]

وحاصلُ المعنى أنّ امرأته أتته تشتكي عنده مِن معالجة الطبخ وترتيب الطعام للضيفان متوقِّعةً منه أن يخفِّف عنها ويَعذِرها عن بعض ذلك ولا يأمرها به، فأعرض الرجل عن كلامها وشكايتها، فكأنّه لم يسمع كلامها، وأقبل عليها قائلًا: قد جاء الضيفان فجدِّي في أمر قِراهم مِن الطبخ وترتيب الطعام وعجِّلي في ذلك.

---

١ ر + الله.
٢ انظر: تفسير الرازي، ١٣٢/٥-١٣٣ (البقرة، ١٨٩/٢).
٣ ن: وأمّا.
٤ ن: القول.
٥ ن - مِن.
٦ ن ر: مِن.
٧ مِن قوله "فإنّ لإخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر" إلى هنا في مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٤٣٥. وما وقفتُ على قائل البيتين. وهما بلا عزو في مفتاح العلوم، ص٤٣٥؛ والإيضاح للقزويني، ص ١٦٣.

**فإن قلتَ**: ما وجهُ اتصاله بما قبله؟

**قلتُ**: كأنّه قيل لهم عند سُؤالهم عن الأهلّة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها: معلومٌ أنّ كلَّ ما يفعلُه الله عزَّ وعلا لا يكون إلّا حكمةً بالغةً ومصلحةً لعباده، فَدَعُوا السؤالَ عنه وانظروا في واحدةٍ تفعلونها أنتم مما ليس من البرِّ في شيءٍ وأنتم تحسبونها بِرًّا.

ويجوز أن يُجْرى ذلك على طريقِ الاستطراد لمّا ذُكر أنّها مواقيتُ للحجِّ؛ لأنّه كان من أفعالهم في الحج.

---

ومثالُ **الثاني**، وهو تلقّي السائل بغير ما يتطلّب، قولُه تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾. كانوا يقولون / في السؤال: «ما بال [٢١١و]
الهلال يبدو دقيقًا مثل الخيط ثمّ يتزايد قليلًا قليلًا حتّى يمتلئ ويستوي، ثمّ لا يزال ينقص حتّى يعود كما بدأ؟».[١] فأجيبوا بأنّها مواقيت للناس. وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة ٢/٢١٥]. سألوا عن بيان ما[٢] ينفقون. فأجيبوا ببيان المَصرِف.

وحاصل هذا القسم أنّه يُنزَّل سؤال السائل منزلة سؤال غير سؤاله، لإرادة التنبيه للسائل بألطف وجه على أنّه قد تعدّى عن موضع سؤالٍ لائق[٣] بحاله وأهمّ[٤] إلى آخرَ لا يهمّه.[٥]

---

[١] بلفظ قريب في أسباب النزول للواحدي، ص ٥٦، ومعالم التنزيل للبغوي ٢١١/١ (البقرة، ١٨٩/٢)، وتفسير الرازي ١٢٩/٥ (البقرة، ١٨٩/٢). وقال عنه الزَّيلعيُّ في تخريج أحاديث الكشّاف ١١٨/١: «غريب»، وذهب ابن حَجَر في العجاب في بيان الأسباب، ص ٢٦٩، إلى تضعيفه بقوله: «وقد تواردَ مَن لا يدَ لهم في صناعة الحديث على الجزم بأنّ هذا كان سبب النزول مع وهاء السَّندِ فيه، ولا شعورَ عندهم بذلك، بل كادَ يكونُ مقطوعًا به لكثرة مَن ينقلُه مِن المُفسِّرين وغيرهم».

[٢] ن: ماذا.

[٣] ن: لا يليق.

[٤] ر: وأنتم.

[٥] مِن قوله "ومثالُ الثاني، وهو تلقّي السائل" إلى هنا في مفتاح العلوم ٤٣٥-٤٣٦.

ويحتمِلُ أن يكون هذا تمثيلًا لتَعْكِيسهم في سُؤالهم، وأن مَثَلَهم فيه كمَثَلِ مَن يَترِكُ بابَ البيت ويدخلُه من ظهره، والمعنى: ليس البرُّ وما ينبغي أن تكونوا عليه بأنْ تُعَكِّسُوا في مسائلكم، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ برُّ ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ ذلك وتجنَّبَه ولم يَجسر على مِثْله.

---

وإلى هذا المعنى أشار المصنِّف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾، حيث[1] قال: (**يحتمل أن يكون هذا تمثيلًا لتعكيسهم في سؤالهم، وأنّ مَثَلهم فيه كمثل مَن يترك باب البيت ويدخله مِن ظهره**). وسنقرِّر زيادةَ تقرير إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْحَجِّ﴾ قد مرّ أنّ الأهلّة مواقيتُ لكثير مِن العبادات، فإفراد الحجّ لا بدّ فيه مِن فائدة، ولا يمكن أن يقال: تلك الفائدة هي أنّ مواقيت الحجّ لا تُعرَف إلّا بالأهلّة، قال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة ١٨٥/٢]، وقال عليه السلام: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»،[2] وأحسنُ الوجوه فيه ما ذكره القفّال،[3] وهو أنّ إفراد الحجّ بالذِّكر إنّما كان لبيان أنّ الحجّ مقصورٌ على الأشهر التي عيَّنها الله تعالى لفرض الحجّ، وأنّه لا يجوز نقلُ الحجّ مِن تلك الأشهر إلى أشهر[4] أخرَ، كما كانتِ العرب تفعل ذلك بالنسيء.[5]

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾... إلخ.

اختلف المفسِّرون في سبب نزول هذه الآية، فقال عامّة أهل التفسير: «إنّ أهل الجاهليّة وفي أوّل الإسلام إذا أحرَمَ الرجل لم يدخُل أحد منهم»،[6] إلى آخرَ ما ذَكَر المصنِّف. و"الحائط": البستان، وأصله ما أحاط به. و"الفُسطاط": بيت مِن شَعر. وهذا الوجه ذكره الواحديُّ في **الوسيط**، والإمام في **الكبير**. روى البخاري ومسلم

---

١ ر - حيث.

٢ صحيح البخاري، ٢٧/٣ (١٩٠٩)؛ صحيح مسلم، ٧٦٢/٢ (١٠٨١).

٣ ن ر + رحمه الله تعالى.

٤ ن: شهر.

٥ مِن قوله "قد مرّ أنّ الأهلّة مواقيتُ" إلى هنا في تفسير الرازي، ١٣٤/٥ (البقرة، ١٨٩/٢).

٦ الكلام في الوسيط للواحدي، ٢٩٠/١ (البقرة، ١٨٩/٢)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢١٢/١ (البقرة، ١٨٩/٢)؛ وتفسير الرازي، ١٣٤/٥ (البقرة، ١٨٩/٢).

ثم قال: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾؛ أي: وباشِرُوا الأمورَ من وجوهها التي يجب أن تُباشَرَ عليها ولا تُعَكِّسُوا.

---

عن البراء أنّه قال: «كانتِ الأنصارُ إذا حجُّوا فجاءوا لا يدخلون مِن أبواب بيوتهم، ولكن مِن ظهورها، فجاء رجل فدخل مِن قِبَل بابه، فكأنّه عُيِّر بذلك، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾».[١]

قوله: (فما وجهُ اتصاله بما قبله؟) وجهُ السؤال أن يقال: إنّ القوم سألوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٢] عن الحكمة في نور القمر، فذكر الله تعالى الحكمة في ذلك، وهي قوله: ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾، فأيّ تعلّق بين بيان الحكمةِ في اختلاف نورُ القمر وبين هذه القصّة؟

أجاب عن هذا السؤال مِن وجوه:

**الأوّل** أنّهم لمّا[٣] سألوا عن الحكمة في اختلاف حال الأهلّة قيل لهم: اتركوا السؤال عن هذا الأمر الذي لا يعنيكم، وارجعوا إلى ما البحث عنه أهمّ لكم، فإنكم تظنّون أنّ إتيان البيوت عن ظهورها برٌّ، وليس الأمر[٤] كذلك. وإلى هذا الوجه أشار المصنِّف بقوله: (معلومٌ)... إلخ، فقوله: (أنّ كلّ)... إلخ،[٥] مبتدأ. وقوله: "معلوم" خبرُه، والجملةُ مقول (قيل).

والجواب **الثاني** أنّ الله تعالى لمّا ذكر أنّ الحكمة في اختلاف أحوال الأهلّة جَعْلُها مواقيتَ للناس والحجّ، وكان هذا الأمر مِن الأشياء التي اعتبروها في الحجّ، لا جرمَ تكلّم الله تعالى فيه، وإليه أشار المصنِّف بقوله: (ويجوز)... إلخ. و(الاستطراد) مأخوذ مِن استطراد الشخص الذي يَتْبَع الصيد كالظبي مثلًا ليَرميَه، فيرى في الطريق أرنبًا أو وحشًا آخرَ أو طيرًا فيرميه، / ثم يَتْبَع الذي كان يَتْبَعه أوّلًا. فقوله: (لما) بكسر "اللام" وتخفيف "الميم"، ويجوز فتح "اللام" وتشديد "الميم" فيكون ظرفًا لقوله: (يُجرى). [٢١١ظ]

---

١ صحيح البخاري، ٨/٣ (١٨٠٣)؛ صحيح مسلم، ٢٣١٩/٤ (٣٠٢٣).

٢ د: عليه السلام.

٣ ن - لمّا.

٤ ن - الأمر.

٥ ن ر - فقوله: (أنّ كلّ)... إلخ.

والمراد: وجوبُ توطينِ النفوس ورَبْطِ القلوب على أن جميعَ أفعالِ الله حكمةٌ وصوابٌ، من غير اختلاجِ شبهةٍ ولا اعتراضِ شكٍّ في ذلك حتى لا يُسأَلُ عنه؛ لِمَا في السؤال من الاتِّهامِ بمقارفةِ الشكّ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء ٢١/٢٣].

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾

المقاتَلةُ في سبيل الله: هو الجهادُ لإعلاءِ كلمة الله وإعزازِ الدِّين.

---

الجواب الثالث أنّ[١] هذا إشارة إلى أنّهم قد عكسوا في سؤالهم، فيكون قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ مِن الأسلوب الحكيم. وقد مرّ تحقيقه.

وهنا جواب رابع لم يذكره المصنِّف، وهو أنّه تعالى إنّما أوصَل قوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ بقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾؛ لأنّه إنّما اتّفق وقوع القصّتين في وقت واحد، فنزلت الآية فيهما معًا في وقت واحد ووَصَل أحد الأمرين بالآخر.

وأمّا القراءة فقرأ ورش وحفص وأبو عمرو ﴿البيوت﴾ و﴿بيوت﴾ و﴿بيوتكم﴾ بضمّ[٢] "الباء حيث وَقَع، والباقون بكسرها.[٣]

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾... إلخ.

الحكم العاشر ما يتعلّق بالقتال.

قوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، أي: في طاعته، وإنّما أُطلِق السبيل وأُريدَ به الطاعة؛ لأنّ الطاعة[٤] تُوصِل إلى المقصِد الكلّي وهو رضا الله تعالى، كما أنّ السبيل يُوصِل إلى المقصد، وفسّر المصنِّف السبيلَ هنا بالجهاد؛ لأنّ المراد هنا الطاعة المخصوصة، وهو الجهاد.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ فيه وجوه:

---

١ ر: إلى.
٢ ر - بضم.
٣ انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٢٦.
٤ ن - لأنّ الطاعة.

﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾: الذين يناجزونكم القتالَ دون المحاجِزين، وعلى هذا يكونُ منسوخًا بقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة ٩/٣٦].

---

**الأوّل** وهو قول ابن عبّاس رضي الله عنه[١] المراد منه: الذين يقاتلونكم إمّا على وجه الدفع عن الخصم أو على وجه المقاتلة ابتداءً لا على وجه الممانعة.[٢] وهو المراد بقوله: (**يُناجزونكم القتالَ**) والمُناجَزة في الحرب[٣] هو: المبارزة والمقاتلة.[٤] والمُحاجَزة: الممانعة. يقال: حَجَزه[٥] يحجُزه حَجْزًا، أي: منعه،[٦] وفي المثل: «إن أردتَ المُحاجَزة فقَبْلَ المُناجَزة».[٧]

قوله: (**وعلى هذا يكون منسوخًا**) قال الإمام:

> مِن الناس مَن قال: هذه الآية منسوخة، وذلك لأنّ هذه الآية دلّت على أنّ الله تعالى أوجب قتالَ المقاتلين ونهى عن قتال غير المقاتلين، بدليل أنّه قال: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾، ثمّ قال بعده: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ هذا القدْرَ ولا تقتلوا مَن لا يُقاتلكم، فثبت أنّ هذه الآية مانعةٌ مِن قتال غير المقاتلين، ثمّ قال بعد ذلك: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾، فاقتضى هذا حصولَ الإذن[٨] في قتال مَن لم يُقاتل، فتكون منسوخةً.[٩]

ثمّ قال الإمام:

> ولقائل أن يقول: مُسلَّم أنّ هذه الآية دالّة على الأمر بقتال مَن يُقاتلنا، لكنّ الحُكم ما صار منسوخًا. أمّا قوله: "إنّها دالّة على المنع مِن قتال مَن لا يقاتلنا"[١٠] فهذا غيرُ مسلَّم؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ يحتمل وجوهًا سوى ما ذكرتُم، كالمنع عن الابتداء في الحرم بالقتال، وعن قتال مَن له عهدٌ، وعن قتل النساء والصبيان.[١١]

---

١ د – رضي الله عنه.
٢ بمعناه في **جامع البيان** للطبري، ٣/٢٩١ (البقرة، ٢/١٩٠)؛ و**معالم التنزيل** للبغوي، ١/٢١٣ (البقرة، ٢/١٩٠).
٣ ر: الجواب.
٤ ر: المقابلة.
٥ ن – والمُحاجَزة: الممانعة. يقال: حَجَزه.
٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «حجز».
٧ ر: المحاجزة. | **مجمع الأمثال** للميداني، ١/٤٠؛ **المستقصى** للزمخشري، ١/٣٤٥؛ **الصحاح** للجوهري، «حجز».
٨ في مطبوع **تفسير الرازي**: الأوّل.
٩ **تفسير الرازي**، ٥/١٣٨ (البقرة، ٢/١٩٠).
١٠ ن ر – لكنّ الحُكم ما صار منسوخًا. أمّا قوله: "إنّها دالّة على المنع مِن قتال مَن لا يقاتلنا".
١١ انظر: **تفسير الرازي**، ٥/١٣٨-١٣٩ (البقرة، ٢/١٩٠).

وعن الربيع بن أنسٍ رضي الله عنه: هي أوَّلُ آيةٍ نزلت في القتال بالمدينة، فكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقاتِلُ مَن قاتَلَ ويكُفُّ عمَّن كَفَّ.

---

وأنا أقول: ما ذكره الإمام غيرُ وارد؛ لأنّ معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ على الوجه الذي نحن فيه هو المنع عن ابتداء القتال، وأمّا المعاني الأخر فلا تتعلّق بهذا الوجه، كما يتحقّق إن شاء الله تعالى.

قال الإمام:

> ما السبب في أنّ الله تعالى أمر أوّلًا بقتال مَن لم يُقاتل، ثمّ في آخر الأمر أذِن في قتالهم سواءٌ قاتلوا[1] أو لم يُقاتلوا؟ قلنا: لأنّ في أوّل الأمر كان المسلمون قليلين، وكان الصلاح استعمالَ الرِّفق واللين والمجاملة، فلمّا قويَ الإسلام وكثُر الجَمْع وأقام مَن أقام منهم على الشِّرك بعد ظهور المعجزات وتكرُّرها عليهم حالًا بعد حال حصل اليأس مِن إسلامهم فلا جرمَ أمرَ الله تعالى بقتالهم على الإطلاق.[2]

قوله: (وعن الربيع) اعلم أنّ[3] في سبب / نزول هذه الآية قولين: الأوّل [٢١٢و] قال الربيع وابن زيد: هذه أوّل آية نزلت في القتال، فلمّا نزلت كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[4] يُقاتل مَن قاتله، ويكفُّ عن قتال مَن تَرَكه، وبقيَ هذه الحالة إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة ٩/٣٦].[5]

وأنا أقول: لمّا كان هذا[6] القول في سبب النزول موافقًا للوجه الأوّل في تفسير الآية ذَكَره المصنِّف عَقيبه وتَرَك الوجه الثاني ليذكره عَقيب بقيّة الأقوال. ثمّ اعلم أنّ ما نقلناه قبل عن الإمام يدلُّ على أنّه منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾، وما ذكرناه هنا نقلًا عنه أيضًا يدلُّ على أنّه منسوخ

---

١ ن: قاتلوهم.

٢ انظر: تفسير الرازي، ١٣٩/٥ (البقرة، ١٩٠/٢).

٣ ر - أنّ.

٤ د: عليه وسلّم.

٥ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٢٨٩/٣-٢٩٠ (البقرة، ١٩٠/٢)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢١٣/١ (البقرة، ١٩٠/٢).

٦ ن - هذا.

**أو: الذين يناصِبونكم القتالَ، دون مَن ليس مِن أهلِ المناصَبة من الشيوخ والصِّبيان والرُّهبان والنِّساء.**

**أو: الكفرةَ كلَّهم؛ لأنَّهم جميعًا مضادُّون للمسلمين قاصدون لمقاتَلتهم، فهم في حُكم المقاتِلة قاتَلوا أو لم يقاتِلوا.**

**وقيل: لمَّا صَدَّ المشركون رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عامَ الحُديبيَة وصالَحوه ....................................**

---

بقوله تعالى: ﴿ٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة ٩/٥]، وما ذكره المصنِّف[١] يدلّ على أنّه منسوخ بقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ[٢] كَآفَّةً﴾.

قوله: **(أو الذين يُناصبونكم)** عطف على قوله: **(الذين[٣] يُناجزونكم)**. وهذا هو الوجه الثاني، أي: قاتلوا مَن له أهليّةُ القتال سوى مَن جَنَح للسَّلم، قال الله[٤] تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ [الأنفال ٨/٦١]، وسوى الشيوخ والصبيانِ والنساء[٥] والرهبان.

قوله: **(أو الكفَرةَ كلَّهم)** عطفٌ أيضًا عليه. وهذا هو الوجه الثالث.

قال الإمام: «واعلم أنّ القول الأوّل أقربُ؛ لأنّ ظاهر قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ يقتضي كونهم فاعلين للقتال، فأمّا المستعدُّ للقتال أو المستحلُّ له قبل إقدامه فإنّه لا يُوصَف بكونه مقاتلًا إلّا على سبيل المجاز».[٦]

قوله: **(وقيل: لمّا صدّ المشركون)**... إلخ، هذا هو القول الثاني في سبب النزول: وهو أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٧] خَرَج مِن المدينة إلى مكّة ليعتمر، فلمّا بلغ الحُديبِيَة -وهو موضع كثير الشجر والماء- صدّهم المشركون عن دخول البيت، فأقام شهرًا لا يقدِر على ذلك، ثمّ صالحوه على أن يرجع ذلك العام

---

١ ن + رحمه الله.

٢ ر – وما ذكره المصنّف يدلّ على أنّه منسوخ بقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

٣ ن – يُناصبونكم عطف على قوله: الذين.

٤ ن ر – الله.

٥ ر + والصبيان.

٦ انظر: تفسير الرازي، ١٣٨/٥ (البقرة، ١٩٠/٢).

٧ د: عليه السلام.

**على أن يَرْجع مِن قابلٍ فيُخْلُوا له مكّةَ ثلاثةَ أيام، فَرجَع لعمرة القضاء، خاف المسلمون أنْ لا تَفيَ لهم قريشٌ ويصدُّوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام، وكرهوا ذلك، نزلت وأُطلِقَ لهم قتالُ الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهرِ الحرام، ورُفع عنهم الجُناحُ في ذلك.**

---

ويعود إليهم في العام القابل ويتركون مكّة ثلاثة أيّام حتّى[1] يطوف وينحر الهدي ويفعل ما شاء، فرضي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[2] بذلك وصالحهم عليه وعاد إلى المدينة، وتجهّز في السنة القابلة ورجع لعمرة القضاء، ثمّ خاف أصحابه مِن قريش ألّا يفوا بالوعد ويصدّهم عن المسجد الحرام وأن يُقاتلوهم، وكانوا كارهين لقتالهم في الشهر الحرام وفي الحَرَم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات وبيّن لهم كيفيّة المقاتلة إن احتاجوا إليها.[3]

قوله: **(فيُخلوا)**، أي: يتركوا، عطف على **(يرجِعَ)**.

قوله: **(فرَجَع)** الفاء فصيحة، وفيه حذفٌ، أي: فرضيَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[4] وصالَحهم وعاد وتجهّز ورجع كما ذكر.

قوله: **(لعمرة القضاء)** اعلم أنّه إذا أُحصِر الشخص وتحلّل فلا يلزمه قضاءُ ما أحرَم به حجًّا كان أو عمرةً خلافًا لأبي حنيفةَ،[5] لنا أنّ الذين صُدُّوا مع النبيّ عليه السلام بالحُديبِية كانوا ألفًا وأربع مئة، والذين اعتمروا معه في عُمرة القضاء كانوا نفرًا يسيرًا ولم يأمر الباقين بالقضاء، وإن كان ما أحرَم به فرضًا بقيَ في ذمّته كما كان، كما لو شَرَع في صلاة ولم يتِمّها[6] تبقى في ذمّته.

قال الإمام: «**خرج النبيُّ عليه السلام[7] بأصحابه لإرادة الحجّ فنزل بالحديبِيَة**».[8]

---

[1] ن ر – حتّى.

[2] د: عليه السلام.

[3] من قول: "القول الثاني" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ١٣٧/٥-١٣٨ (البقرة، ١٩٠/٢)؛ وهو برواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس في **معالم التنزيل** للبغوي، ٢١٣/١ (البقرة، ١٩٠/٢).

[4] د: عليه السلام.

[5] انظر: **المبسوط** للسرخسي، ١٠٦/٤-١٠٧؛ و**بدائع الصنائع** للكاساني، ١٧٥/٢.

[6] ر: يتمّها.

[7] ن: صلّى الله عليه وسلّم.

[8] ر: الحديبية. | **تفسير الرازي**، ١٣٧/٥ (البقرة، ١٩٠/٢).

﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ بابتداءِ القتال، أو بقتالِ مَن نُهيتُم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهدٌ، أو بالمُثْلة، أو بالمفاجأة من غير دعوةٍ.

﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١﴾

﴿حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾: حيث وجدتُموهم في حِلٍّ أو حرم، والثَّقْفُ: ..........

---

وأقول: هذا سهوٌ، فإنّه عليه السلام إنّما خرج للعمرة لا للحجّ، فإنّه عليه السلام ما خرج للحجّ بعد الهجرة غيرَ حجة الوداع؛ لأنّه عليه السلام كان مشغولًا بحرب أعداء الله وإظهارِ الدِّين، لكن اعتمر لأنّ خَطْبها أيسَر، إذ لم يكن لها موسم معيَّن يجتمع[١] الأعداء لصدِّه عن البيت، وكان ممكنًا في بعض يوم، مع[٢] أنّه عليه السلام يترقّب الأمر، فأُمِر بها دونه.

[٢١٢ظ] قوله: / (﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ بابتداء القتال) متعلِّق بالوجه الأوّل، يعني[٣] إذا كان المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾: الذين يُناجزونكم فالمراد بالاعتداء المنهيِّ عنه هو الابتداء بالقتال.

قوله: (أو بقتال مَن نُهيتم) إلى قوله: (عهدٌ) متعلِّق بالوجه الثاني، وهو أن يكون المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾: الذين يُناصبونكم.

قوله: (أو بالمُثلة) متعلِّق بالوجه الأخير، أي: إذا كان المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ الكفرةَ كلُّهم، فالمراد بالاعتداء[٤] المُثلة. وقوله: (أو بالمفاجأة) متعلِّق بالوجه الأخير أيضًا، ولا يبعد أن يتعلَّق قوله: "بالمُثلة" بجميع الوجوه، فيكون لمنع النسخ وجهٌ كما ذَكَر الإمام.

قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾، أي: حيث وجدتموهم وأخذتموهم،

---

١ ر + فيه.
٢ ر - مع.
٣ ن - يعني.
٤ ن ر - بـ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾: الذين يُناصبونكم. قوله: (أو بالمُثلة) متعلِّق بالوجه الأخير، أي: إذا كان المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ الكفرةَ كلُّهم، فالمراد بالاعتداء.

وجُودٌ على وجه الأَخْذِ والغلبَةِ، ومنه: رجل ثَقْفٌ: سريع الأَخْذ لأقرانه، قال:

فـإمَّـا تَـثْـقَـفُـونـي فـاقـتُـلـونـي     فـمَـن أَثْـقَـفْ فـليس إلـى خـلـودِ

﴿مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾؛ أي: من مكّةَ، وقد فعَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمَن لَمْ يُسْلِمْ منهم يومَ الفتح.

---

يقال: "ثقفنا فلانًا في موضع كذا"، أي: أخذناه.[١] قال الشاعر:

فـإمّـا تـثـقَـفـونـي فـاقـتـلـونـي     فـمَـن أثـقَـف فـليس إلـى خـلـودِ[٢]

والمعنى: إن تدركوني أيُّها الأعداء وقدرتُم عليّ فاقتلوني، فإنّ مَن أُدركه فلا بقاءَ له، أي: لا أُحابيه؛ بل أقتله.

ثمّ نقول: الخطاب في قوله:[٣] ﴿ٱقْتُلُوهُمْ﴾ للنبيّ عليه السلام ومَن هاجر إليه، والضميرُ المفعول عائد إلى الذين أُمِر بقتالهم في الآية، وهم الكفّار مِن أهل مكّة فأمر الله تعالى بقَتْلهم حيث كانوا في الحِلّ والحرم والشهر الحرام.

وتحقيقُ القول أنّه تعالى أمر بالجهاد في الآية الأولى بشرط إقدام الكفّار على المقاتلة، وفي هذه الآية زاد في التكليف فأمر بالجهاد معهم سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا، واستثنى المقاتلة عند المسجد الحرام. قال الإمام: نُقل عن مقاتل أنّه قال: إنّ الآية المتقدِّمة على هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ منسوخةٌ بهذه الآية، وهذه الآية منسوخةٌ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، ثمّ تلك الآية منسوخة بقوله تعالى:[٤] ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾.[٥] ثمّ قال الإمام:

> وهذا الكلام ضعيفٌ، أمّا قوله: "إنّ قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ منسوخ بهذه الآية" فقد تقدّم إبطاله، وأمّا قوله: "إنّ هذه الآية

---

١ ر: أخذنا.

٢ البيت لخالد بن جعفر بن كلاب في الوحشيّات لأبي تمّام، ص ١٠١؛ والأغاني للأصفهاني، ٥٧/١١؛ وأمالي المرتضى، ٢١٢/١.

٣ ر - قوله.

٤ ر - ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، ثمّ تلك الآية منسوخة بقوله تعالى.

٥ انظر: تفسير الرازي، ١٤٠/٥ (البقرة، ١٩١/٢)؛ وهو بلفظ قريب في معالم التنزيل للبغوي، ٢١٤/١ (البقرة، ١٩١/٢).

**﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾؛ أي: المحنةُ والبلاء الذي يَنزل بالإنسان يتعذّبُ به أشدُّ عليه من القتل، وقيل لبعض الحكماء: ما أشدُّ من الموت؟ قال: الذي يُتمنَّى فيه الموتُ.**

**جعل الإخراج من الوطن من الفِتَن والمحنِ التي يُتمنّى عندها الموتُ، ومنه قولُ القائل:**

**لقتلٌ بحدِّ السَّيفِ أَهْونُ مَوْقِعًا على النَّفْسِ مِن قتلٍ بحدِّ فراقِ**

**وقيل: الفتنةُ عذابُ الآخرة: ﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذاريات ١٤/٥١].**

**وقيل: الشركُ أعظمُ من القتل في الحرَم، وذلك لأنّهم كانوا يَستعظِمون القتل في الحرم ويَعِيبونَ به المسلمين، فقيل: والشركُ الذي هُم عليه أشدُّ وأعظمُ مما يستعظِمونَه.**

---

منسوخة[١] بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾"، فهذا مِن باب التخصيص لا مِن باب النسخ وأمّا قوله: "إنّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ منسوخٌ بقوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾" فهو خطأ أيضًا؛ لأنّه لا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم، وهذا الحُكم ما نُسِخ؛ بل هو باقٍ، فثبت أنّ قوله ضعيف.[٢]

قوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ فيه وجوه: **أحدُها** أنّ المراد بالفتنة المِحنة والبلاء. وقوله: (**جُعل الإخراج**)... إلخ، استئنافُ كلام. والوجه **الثاني** أنّ المراد مِن الفتنة عذابُ الآخرة، وإطلاقُ اسم الفتنة على العذاب جائز، وذلك مِن إطلاق اسم السبب على المُسبَّب. وإلى هذا الوجه أشار بقوله: (**وقيل: الفتنةُ عذابُ الآخرة**) ثمّ استدلّ عليه بقوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذاريات ١٤/٥١]. والوجه **الثالث** أنّ المراد مِن الفتنة الشِّرك والكفر بالله.

قوله: (**وذلك أنّهم كانوا**) إشارة إلى سبب النزول. وقوله: (**فقيل**) بالفاء عطف على قوله: "كانوا".

---

١ ن - هذه الآية منسوخة.

٢ انظر: تفسير الرازي، ١٤٠/٥ (البقرة، ١٩١/٢).

ويجوز أن يراد: وفتنتُهم إيَّاكم بصدِّكم عن المسجد الحرام أشدُّ من قتلِكُم إيَّاهم في الحرم، أو من قتلِهِم إيَّاكم إنْ قتلوكم، فلا تبالوا بقتالهم.

وقرئ: ﴿ولا تَقْتُلوهم... حتَّى يَقْتُلوكم... فإنْ قَتَلوكم﴾ جُعل وقوعُ القتل في بعضهم كوقوعه فيهم، يقال: قَتَلْنَا بنو فلان، وقال:

فَــإنْ تَـقـتُـلـونـا نُـقَـتِّـلْـكُـمُ

---

الوجه الرابع أن يكون المراد: فتنتُهم إيّاكم بصدّكم عن المسجد الحرام أشدُّ مِن قتلكم إيّاهم لأنّهم يسعَون في المنع مِن العبوديّة والطاعةِ التي / ما خُلق الجنّ والإنس إلّا لها. الوجه **الخامس**: فتنتُهم إيّاكم بالصدّ عن المسجد الحرام أشدُّ مِن قتلهم إيّاكم إن قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم إيّاكم. [٢١٣و]

قوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ نُهُوا عن ابتدائهم بقتل أو قتال حتّى يبتدئ المشركون، فهذا بيان لبقاء هذا الشرط[١] في قتالهم في هذه البقعة خاصّة، وقد كان مِن قبل شرطًا في كلّ القتال وفي الأشهر الحرام.

قوله: (**وقرئ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ﴾**) اختلف القرّاء في إثبات الألف وطرحها في قوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ﴾ فقرأ حمزةُ والكسائيّ كلّه بغير ألف والباقون جميعَ ذلك بالألف،[٢] وهو في **المصحف** بغير ألف.[٣] يروى عن[٤] الأعمش قال لحمزة: أرأيت قراءتك إذا[٥] صار الرجل مقتولًا فبعد ذلك كيف يصير قاتلًا؟ فقال حمزة: إنّ العرب إذا قُتِل منهم قالوا: "قُتلنا" وإذا ضُرب منهم رجل قالوا: "ضُربنا".[٦] وإلى هذا المعنى أشار المصنّف بقوله: (**جُعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم**). قال أبو عليّ في **الحجّة**: المعنى:

---

١ ر – في.

٢ ر – والباقون جميعَ ذلك بالألف. | انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٢٧.

٣ ر – ألف.

٤ ن: أنّ.

٥ ن: إن.

٦ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٣/٢٩٧ (البقرة، ٢/١٩١)؛ وتفسير الرازي، ٥/١٤٢ (البقرة، ٢/١٩١).

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ عن الشرك والقتال؛ كقوله: ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال ٣٨/٨].

﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾؛ أي: شركٌ ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾: خالصًا ليس للشيطان فيه نصيبٌ.

﴿ٱنتَهَوۡاْ﴾ عن الشرك ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: فلا تَعْدوا على المنتهِينَ؛ لأن مقاتَلة المنتهينَ عدوانٌ وظلم، ..............................

---

فإن قتلوا بعضكم في الحرم فاقتلوا القاتل في الحرم، ومِثلُه قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران ١٤٦/٣]، أي: فما وهن الباقون لِما أصابهم في سبيل الله.[١]

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أشار الواحديّ إلى أنّه متعلّق بقوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾؛ لأنّه قال: «جزاءُ الكافرين أن يُقتلوا حيث وُجدوا».[٢]

قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ذكر المصنِّف في تفسيره ثلاثة أوجه:

**الأوّل** قوله: (فلا تَعْدُوا) يريد أنّ هذا الخبر في معنى الطلب. وفي كلام المصنِّف هنا حذف واختصار فكأنّ المصنِّف قال بعد قوله: "فلا تَعْدُوا[٣] على المُنتهين": إنّ المعنى لا تقتلوا المُنتهين عن الشِّرك، فذكر العدوان وأراد المقاتلة، ثـمّ بيَّن المصنِّف أنّ المعنى لا تقتلوا المُنتهين[٤] وأنّه تعالى ذَكَر العدوان وأراد المقاتلة بقوله: (لأنّ مقاتلة المنتهين عدوانٌ وظلم)، فقوله: "لأنّ" تعليل للمحذوف مِن كلام المصنِّف. ثـمّ إنّ هذا كناية؛ لأنّ قَتْل المُنتهين مستلزمٌ للظلم والعدوان،

---

[١] انظر: **الحجّة** للفارسي، ٢٨٦/٢.

[٢] **الوسيط** للواحدي، ٢٩٢/١ (البقرة، ١٩١/٢).

[٣] ر: تعتدوا.

[٤] ر – عن الشِّرك، فذكر العدوان وأراد المقاتلة، ثمّ بيَّن المصنِّف أنّ المعنى لا تقتلوا المُنتهين.

فوُضع قولُه: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ موضعَ: على المنتهِين.

أو: فلا تَظلموا إلّا الظالمين غيرَ المنتهِين، سَمَّى جزاء الظالمين ظلمًا للمشاكلة؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ [البقرة ١٩٤/٢].

أو أريدَ: أنّكم إنْ تعرَّضْتُم لهم بعد الانتهاء كنتُم ظالمين، فيُسَلَّطُ عليكم مَن يَعْدو عليكم.

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾

---

فيكون قد أطلق اللازم وأراد الملزوم. وقوله: **(فوُضع)** جوابُ شرط محذوف، فكأنّه قيل: إذا كان معنى[١] ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هو المُنتهين، فوُضِع قوله: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ موضعَ "على المنتهين". وبيان هذا الوضع[٢] أن يقول ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في معنى: "على غير الظالمين". وغيرُ الظالمين[٣] هم المنتهون. وعلى هذا الوجه يكون العدوان، أي: الظلم، بمعناه؛ لأنّ الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة.

الوجه **الثاني** قوله: **(أو فلا تظلِموا)**، يعني لا يكون العدوان، أي: الظلم بمعناه حينئذٍ؛ بل سُمّي جزاءُ الظلم ظلمًا[٤] مجازًا، ويكون قوله: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بمعناه، فلذا[٥] فسّره بقوله: **(غير المُنتهين)**.

الوجه **الثالث** قوله: **(أو أريدَ)**، يعني: إن انتهَوا فلا تتعرّضوا لهم لأنّكم إن تعرّضتم لهم بعد انتهائهم كنتُم[٦] ظالمين فيُسلِّط الله عليكم مَن يعدو عليكم.

قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾... إلخ.

[٢١٣ظ] اعلم أنّ الله تعالى / لمّا أباح القتالَ وكان ذلك منكرًا فيما بينهم ذَكَر في هذه الآية ما يُزيل ذلك، وفيه وجوهٌ ذَكَر المصنِّف أحدَها، وهو ما أشار إليه بقوله:

---

١ ن + قوله.
٢ ن: الموضع.
٣ ن – وغير الظالمين.
٤ ن ر – ظلمًا.
٥ ن: فكذا.
٦ ن ر – كنتم.

**قاتلَهم المشركون عامَ الحديبيَة في الشهر الحرام وهو ذو القَعدةِ، فقيل لهم عند خروجهم لعُمرة القضاء وكراهتِهم القتالَ وذلك في ذي القعدة: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾؛ أي: هذا الشهرُ بذلك الشهرِ، وهَتْكُه بهَتْكِه، يعني: تَهْتِكون حرمتَه عليهم كما هَتَكوا حرمتَه عليكم.**

---

**(قاتلهم المشركون)**... إلخ، فقوله: **(فقيل لهم)** عطف على قوله: "قاتلهم". وقوله: (﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ﴾) مقوله. ولم يذكر باقي الوجوه:

منها ما روي عن ابن عبّاس رضي الله عنه[1] ومجاهد والضحّاك: أنّ رسول الله عليه السلام[2] خَرَج عام الحديبِيَة للعمرة[3] وكان ذلك في ذي القعدة سنة ستّ مِن الهجرة، فصدّه أهل مكّة عن ذلك، ثمّ صالحوه على أن ينصرف ويعود في العام القابل حتّى[4] يتركوا له مكّة ثلاثة أيّام، فرجع رسول الله عليه السلام[5] في العام القابل وهو في ذي القعدة سنة سبع ودخل مكّة واعتمر، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[6] يعني: إنّك دخلتَ الحَرَم في الشهر الحرام، والقوم كانوا صدُّوك في السنة الماضية في هذا الشهر، فهذا الشهر بذاك الشهر.

ومنها ما رُوي عن الحسن: أنّ الكفّار سمعوا أنّ الله تعالى نهى الرسول عليه السلام عن أن يُقاتلهم في الأشهر الحرم فأرادوا مقاتلته، وظنّوا أنّه لا يقاتلهم، وذلك قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [البقرة ٢١٧/٢]، فأنزل الله تعالى هذه الآية لبيان الحكم في هذه الواقعة، فقال: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾،[7] أي: مَن استحلّ منكم مِن المشركين في الشهر الحرام فاستحلّوا منه.

---

١ د ر - رضي الله عنه.
٢ ن: صلّى الله عليه وسلّم، ر - عليه السلام.
٣ ر: لعمرة.
٤ ن ر - حتّى.
٥ ن: صلّى الله عليه وسلّم.
٦ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٣٠٦/٣-٣٠٧ (البقرة، ١٩٤/٢)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢١٤/١ (البقرة، ١٩٤/٢).
٧ ما وقفت عليه في مظانّه.

﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾، أي: وكلُّ حرمةٍ يُجرى فيها القصاصُ، مَن هَتَكَ حرمةً أيَّ حرمةٍ كانت اقْتُصَّ منه بأن تُهْتك له حرمةٌ، فحين هتَكوا حرمةَ شهرِكم فافعلوا بهم نحوَ ذلك ولا تُبالوا، وأكَّد ذلك بقوله: ﴿مَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في حالِ كونكم مُنْتَصِرِينَ ممَّن اعتَدى عليكم، فلا تَعْتَدُوا إلى ما لا يَحِلُّ لكم.

---

ومنها ما ذكره قوم مِن المتكلِّمين، وهو أنَّ الشهر الحرام لمّا لم يمنعكم عن الكفر بالله فكيف يمنعنا عن مقاتلتكم، فالشهر الحرام مِن جانبنا مقابَل بالشهر الحرام مِن جانبكم.

والحاصل في الوجوه الثلاثة أنّ[1] حُرمة الشهر الحرام لمّا لم تمنعهم عن الكفر والأفعال القبيحة، فكيف جعلوه سببًا في أن يمتنع في القتال مِن شرّكم وفسادكم.[2]

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ فالحرمات جمع حُرمة، وهو: ما مُنع مِن انتهاكه. والقِصاص: المساواة. إذا عرفتَ هذا ففي الآية تعود تلك الوجوه.[3] أمّا الذي ذكره المصنِّف فظاهر.

وأمّا الوجه **الأوّل** مِن البواقي فهو أنّ المراد بالحرمات: الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الإحرام. فقوله: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ معناه أنّهم لمّا أضاعوا هذه الحرمة في سنة ستّ فقد وُفقتُم حتّى قضيتموها على رغمهم في سنة سبع.

وأمّا على الوجه **الثاني** منها فهو أنّ المراد: إن أقدموا على مقاتلتكم فقاتلوهم أنتم أيضًا. قال الزجّاج: أعلَمَ[4] الله تعالى أنّه ليس للمسلمين أن ينتهكوا هذه الحرماتِ على سبيل الابتداء؛ بل على سبيل القِصاص.[5] وهذا القول أشبَهُ بما قبل هذه الآية وهو قوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾، وبما بعده وهو قوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾.

---

[1] ر - أنّ.

[2] مِن قوله "منها ما روي عن ابن عبّاس رضي الله عنه ومجاهد والضحّاك" إلى هنا في تفسير الرازي، ١٤٥/٥ (البقرة، ١٩٤/٢).

[3] انظر: تفسير الرازي، ١٤٥/٥ (البقرة، ١٩٤/٢).

[4] ن ر + أنّ.

[5] انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ٢٦٤/١.

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾

---

وأمّا على الوجه الثالث منها فقوله: ﴿ٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾، يعني:[1] حرمةُ كلّ واحد مِن الشهرين[2] كحرمة الآخر فهما مِثلان، والقِصاص[3] هو المثل، فلمّا لم تمنعكم حرمةُ الشهر مِن الكفر والفتنة[4] والقتال فكيف تمنعنا عن القتال.[5]

قال الواحديّ:

> قال الزجّاج: معناه: قتالُ الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام والحرماتُ قِصاص. قال ابن عبّاس رضي الله عنه:[6] يريد إن انتهكوا لكم حرمةً فانتهكوا / منهم مثل ذلك.[7] أعلَمَ[8] الله تعالى أنّ أمر هذه الحرمات قِصاصٌ لا يكون للمسلمين أن ينتهكوها على سبيل الابتداء، ولكن على سبيل القصاص، ويدلُّ على هذا المعنى قوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾، أي: ظَلَم فقاتَل، ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾، أي: جازُوه[9] باعتدائه، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بطاعته واجتناب معاصيه، واعلموا أنّ الله مع المتّقين بالعَون والنُّصرة.[10] [٢١٤و]

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ اختلف العلماء في "الباء" مِن ﴿بِأَيۡدِيكُمۡ﴾ على وجهين:

**الأوّل** أنّها زائدة،[11] ثمّ اختلف القائلون بهذا القولِ، فقال بعضهم: اليدُ هنا عبارة عن الجارحة المخصوصة، فالمعنى لا تُعطوا التَّهلُكة أيديكم فتأخذها.[12]

---

[1] ن ر: بغير.
[2] ر: الشهور.
[3] ن + حرمة.
[4] ن ر – والفتنة.
[5] مِن قوله "وأمّا الوجه **الأوّل** مِن البواقي فهو أنّ المراد" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ١٤٥/٥ (البقرة، ١٩٤/٢).
[6] د ر – رضي الله عنه.
[7] انظر: **جامع البيان** للطبري، ٣٠٥/٣-٣٠٦ (البقرة، ١٩٤/٢).
[8] ر + أنّ.
[9] ن ر: جاوزوه.
[10] **الوسيط** للواحدي، ٢٩٣/١ (البقرة، ١٩٤/٢).
[11] ذهب إلى ذلك الأخفش في **معاني القرآن**، ١٧٤/١، وهو في **معالم التنزيل** للبغوي، ١٩٥/١ (البقرة، ١٩٥/٢).
[12] ن ر: فتأخذوها.

الباء في ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ مزيدةٌ مثلُها في: «أعطَى بيده» للمُنْقاد، والمعنى: ولا تُقبِضوا التَّهْلكةَ أيديَكم؛ أي: لا تجعلوها آخذةً بأيديكم مالِكةً لكم.

وقيل: ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾: بأنفسكم.

وقيل: تقديره: ولا تُلقوا أنفسَكم بأيديكم، كما يقال: أهلك فلانٌ نفسَه بيده إذا تسبَّبَ لهلاكها.

والمعنى: النهيُ عن تركِ الإنفاق في سبيل الله لأنه سببُ الهلاك، أو عن الإسراف في النفقة حتى يُفْقِر نفسَه ويُضيعَ عيالَه، أو عن الاستقتال والإخطارِ بالنفس، أو عن تركِ الغزو الذي هو تَقويةٌ للعدو.

---

قوله: **(ولا تُقبِضوا)** تقبيضُ المال: إعطاؤه لمَن يأخذه.[١] وقال بعضهم: اليدُ هنا عبارة عن النفس.[٢] فقوله: **(وقيل: ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ بأنفسكم)** عطف على قوله: **(مثلها في "أعطى بيده")**.

الوجه **الثاني** أنّ "الباء"[٣] ليست بزائدة،[٤] وفي الكلام **حذفٌ**، أي: **لا تُلقوا** أنفسكم بأيديكم فـ"الباء"،[٥] مثلها في قولك: "ضربتُ بالسوط". فقوله: **(وقيل تقديره)**... إلخ، عطفٌ على قوله: **("الباء" في ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ مزيدةٌ)**.

قوله: **(والمعنى النهيُ)**... إلخ. اختلف المفسِّرون في المعنى: فمنهم مَن قال: إنّه راجع إلى النفقة، ومنهم مَن قال: إنّه راجع إلى[٦] غير النفقة.[٧]

أمّا الأوّلون فذكروا فيه وجوهًا: **الأوّل** أنّه نهى عن تركِ الإنفاق في سبيل الله لئلّا يستولي العدوّ عليهم فيُهلكَهم، فكأنّه قيل: إن كنتم مِن رجال الدِّين فأنفقوا في سبيل الله وفي طلب مرضاته، وإن كنتم مِن رجال الدنيا فأنفقوا في دَفْع الهلاك والضررِ عن أنفسكم. الوجهُ **الثاني** أنّه لمّا أمرَ بالإنفاق نهى عن إنفاق كلّ المال، فإنّ إنفاق كلّ المال يُفضي إلى التَّهْلُكة عند الحاجة الشديدة

---

١ ر: يأخذوه.

٢ انظر: **معالم التنزيل** للبغوي، ٢١٦/١ (البقرة، ١٩٥/٢)

٣ ن – الباء.

٤ ن: بمزيدة.

٥ هذا الوجه في **معالم التنزيل** للبغوي، ١٩٥/١.

٦ ر – النفقة، ومنهم مَن قال: إنّه راجع إلى.

٧ انظر هذه الأقوال في **جامع البيان** للطبري، ٣١٢/٣-٣٢٥؛ **والوسيط** للواحدي، ٢٩٣/١-٢٩٤.

ورُوي: أنّ رجلًا من المهاجرين حَمَلَ على صَفِّ العدوّ فصاحَ به النّاس: ألقى بيده إلى التهلُكة، فقال أبو أيوبَ الأنصاريُّ رحمه الله: نحن أعلمُ بهذه الآية، وإنما أُنزلت فينا، صحِبْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فنصَرْناه، وشهِدْنا معه المشَاهِدَ وآثَرْناه على أهالِينا وأموالنا وأولادنا، فلمّا فَشَا الإسلامُ وكثُر أهله ووضعَت الحربُ أَوْزارَها رجعنا إلى أهَالينا وأولادنا وأموالنا نُصْلحها ونقيم فيها، فكانت التهلكةُ الإقامةَ في الأهل والمال وتركَ الجهاد.

---

إلى المأكول والمشروب والملبوس، وكأنّ المراد منه ما ذكره في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان ٢٥/٦٧].

وأمّا ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قالوا: "المراد منه غير النفقة" فذكروا فيه وجوهًا: **الأوّل** المعنى النهيُ عن الاستقتال، أي: عن الاقتحام في الحرب وإيقاعِ النفس في الخطر، بحيث لا ترجون النفع ولا يكون لكم فيه إلّا قتل أنفسكم، فإنّ ذلك لا يحلّ، وإنّما يجب أن يقتحم إذا طَمِع في النِّكاية وإن خاف القتلَ، فأمّا إذا كان آيسًا مِن النِّكاية وكان الأغلب أنّه مقتول فليس له أن يُقدِم عليه. وهذا الوجه منقول عن البراء بن عازب.[١] ونُقل عن أبي هريرةَ أنّه قال في هذه الآية: هو الرجل يستقتل بين الصفَّين.[٢] **الثاني** أنّ المعنى النهي عن ترك الجهاد الذي هو تقوية للعدوّ[٣] وسببٌ لعذاب النار.[٤]

قوله: (**ورُوي أنّ رجلًا**)... إلخ، هذا إشارةٌ إلى ترجيح الوجه الثاني مِن هذين الوجهين على الأوّل منهما، فإنّ مِن الناس مَن طعن في الوجه الأوّل وقال: ذلك القتل غيرُ محرَّم، واحتجّ عليه بهذا الحديث المرويّ عن أبي أيّوب رضي الله عنه.[٥] ويمكن أن يجاب عنه بأنّا إنّما حرّمنا إلقاءَ النفس

---

١ ما وقفتُ عليه. والمرويّ عنه أنّها في الرجل يصيب الذنوب ثمّ يقول: لا توبة لي. انظر: **جامع البيان** للطبري، ٣/٣١٩-٣٢٠ (البقرة، ٢/١٩٥).

٢ انظر: **الكشف والبيان** للثعالبي، ٥/٦٥ (البقرة، ٢/١٩٥).

٣ ن ر: العدو.

٤ مِن قوله "اختلف المفسّرون في المعنى: فمنهم مَن قال" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ٥/١٤٧-١٤٩ (البقرة، ٢/١٩٥).

٥ د - رضي الله عنه. | الحديث في **سنن أبي داود**، ٤/١٦٦ (٢٥١٢)؛ و**سنن الترمذي**، ٥/٢١٢ (٢٩٧٢)؛ و**جامع البيان** للطبري، ٣/٣٢٢ (البقرة، ٢/١٩٥).

وحكَى أبو عليّ في **الحلبيّات** عن أبي عبيدةَ: التهلُكةُ والهلاكُ والهُلْكُ واحدٌ.

قال: فدلَّ هذا من قولِ أبي عبيدة على أن التهلُكة مصدر، ومثلُه ما حكاهُ سيبويه من قولهم: التَّضُرَّةُ والتَّسُرَّةُ، ونحوُها في الأعيان: التَّنْضُبَةُ والتَّنْفُلَةُ.

ويجوز أن يقال: أصلُها: التَّهْلِكة كالتجرِبة والتَّبْصِرة ونحوِهما على أنها مصدرٌ من هلَك، فأُبدلت من الكسرة ضمّةٌ كما جاء الجُوار في الجِوار.

---

في صفّ العدوّ إذا لم نتوقّع إيقاع نكاية فيهم، فأمّا إذا تُوقِّع فنحن[1] نُجوِّز ذلك، فلِمَ قلتُم: إنّه لا يوجد هذا المعنى في هذه الواقعة. ولم يذكر المصنِّف سوى هذين الوجهين.

قوله: (**الحلبيّات**) / اسم كتاب.[2] [٢١٤ظ]

قوله: (**قال: فدلّ**)، يعني: قال أبو عليّ: إنّه عُلم مِن قول أبي عبيدةَ أنّ التَّهْلُكة مصدر.[3] وقوله: (**مِن**) بيان (**هذا**).

قوله: (**التَّنْضُبة**) واحدةُ "التنضُب"، وهو" شجر. و"التتفُل": ولد الثعلب.

قوله: (**في الأعيان**) احترازٌ عن الصفة. قال سيبويه: لا نعلمه جاء صفة.[4]

قوله تعالى:[5] ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾ قال الإمام: فيه وجهان: **الأوّل** قال الأصمّ: أحسِنوا في فرائض الله، **والثاني** أحسنوا في الإنفاق على مَن يلزمكم مؤنته ونفقته، والمقصود منه أن يكون ذلك الإنفاق كما قال: لم يُسرفوا ولم يَقتروا، وهذا هو الأقرب لاتّصاله بما قبله.[6] قال الواحديّ: «قال ابن عبّاس رضي الله عنه:[7] أحسِنوا الظنّ بالله فإنّه يُضاعِف الثواب ويُخلِف لكم النفقة. وعلى[8] قول[9] أبي أيّوب: أحسِنوا، أي: جاهدوا في سبيل الله، والمجاهدُ محسنٌ».[10]

---

١ ر - فنحن.

٢ ر: كناية. | وهو كتاب لأبي عليّ الفارسي، مطبوع.

٣ انظر: **مجاز القرآن** لأبي عبيدة، ٦٨/١.

٤ انظر: **كتاب سيبويه**، ٢٧١/٤.

٥ ن ر - تعالى.

٦ انظر: **تفسير الرازي**، ١٤٩/٥ (البقرة، ١٩٥/٢).

٧ د ر - رضي الله عنه.

٨ ن ر: وعن.

٩ ن ر - قول.

١٠ **الوسيط** للواحدي، ٢٩٤/١ (البقرة، ١٩٥/٢).

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: ائتوا بهما تامَّين كاملَين بمناسكهما وشرائطهما

---

قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ الحجُّ في اللغة: القصد. وإنّما يقال: حجّ فلان الشيءَ إذا قصده مرّةً بعد أخرى وأدام الاختلاف إليه. قال في **الصحاح**: حجّ بنو فلان فلانًا إذا أطالوا الاختلاف إليه. والحِجّة بالكسر: السَّنة.[١] «وإنّما قيل لها: حِجّة؛ لأنّ الناس يحجُّون في كلّ سنة».[٢] وأمّا في الشرع «فالحجُّ: قصد الكعبة للنسك المعروف. والحِجّة بالكسر: المرّة، والقياس الفتح إلّا أنّه لم يُسمَع مِن العرب على ما حكاه ثعلب، يدلُّ على ذلك "ذو الحِجّة" لشهر الحجّ».[٣]

ثمّ إنّ قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ﴾ أمرٌ بالإتمام، وهل هذا الأمر مطلق أو مشروط؟

ذهب أصحابنا إلى أنّه مطلق، والمعنى: افعلوا الحجّ والعمرة على نعت الكمال والتمام،[٤] ومثلُه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة ١٨٧/٢]، أي: فافعلوا الصيام تامًّا إلى الليل. وقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة ١٢٤/٢]، أي: ففعلهنّ[٥] على سبيل التمام والكمال.

وذهب أبو حنيفة[٦] إلى أنّ هذا الأمر مشروط، والمعنى أنّ مَن شرع فيه فليتمّه. قالوا: ومِن الجائز ألّا يكون الدخول في شيءٍ واجبًا إلّا أنّه بعد الدخول فيه يكون إتمامه واجبًا.[٧]

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «حجج».

٢ **تفسير الرازي**، ١٥٠/٥ (البقرة، ١٩٦/٢).

٣ **المُغرِب** للمُطرِّزي، «حجج».

٤ انظر: **المجموع** للنووي، ٢٩٤/٨-٢٩٦.

٥ ر: فعلهنّ.

٦ ن + رضي الله عنه، ر: رحمة الله عليه.

٧ انظر: **المبسوط** للسرخسي، ١٠٦/٤-١٠٧؛ وبدائع الصنائع للكاساني، ١٧٥/٢-١٧٦.

لوجهِ الله تعالى من غير تَوَانٍ ولا نقصانٍ يقعُ منكم فيهما، قال:

وفائدة هذا الخلاف أنّ العمرة واجبةٌ عند أصحابنا[١] غيرُ واجبة عند أبي حنيفة.[٢] والمصنِّف[٣] اختار كون الأمر مطلقًا، لكن مَنَع كونه للوجوب بسبب قرينة خارجيّة. وسيجيء تقريره.

ثمّ اختلف العلماء في فائدة لفظ الإتمام، وإن لم يقل: حُجُّوا واعتمروا، على وجوه: **الأوّل** أنّه إشارة إلى أنّه ينبغي أن يكونا تامّين بمناسكهما... إلخ، والمناسك جمع مَنسك بفتح "السين" وكسرها، وهو مصدر ميمي مِن "نَسَك" إذا فعل العبادة، والمراد هنا أفعال الحجّ.

وأفعال الحجّ[٤] تنقسم إلى أركان وأبعاض وهيئات. فالأركان: ما لا يحصل التحلّل حتّى يأتي به، والأبعاض[٥] هي: الواجبات التي إذا تَرَك منها شيئًا يجب أن يُجبَر بالدم،[٦] والهيئات: ما لا يجب الدم على تاركها. وله شرائطُ. فالأركان خمسة: الإحرام، والوقوف بعَرَفة، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والحلق أو تقصير المرأة. وأمّا الأبعاض فالإحرام مِن المِيقات، والرميُ. وأمّا الهيئات فسائر أفعالها، كالمبيت بمُزدلفةَ ليلةَ النحر، والمبيتُ بمنى لياليَ التشريق. وأمّا شرائطها فكأن يكون الإحرام بالحجّ في أشهُره، وأن يكون الوقوف في وقته، وأن يكون ابتداء الطواف مِن أوّل الحَجَر الأسود محاذيًا بكلّ بدنه، إلى غير ذلك.[٧]

قوله: / (**لوجه الله تعالى**)،[٨] أي: خاليًا عن الرِّياء والسمعة غيرَ مَشُوب بشيء مِن الأغراض العاجلة كالتجارة وغيرها، ولمّا لم يكن الأمر في قوله تعالى: [٢١٥و]

١ انظر: المجموع للنووي، ٧/٣-٤.

٢ انظر: المبسوط للسرخسي، ٤/١٠٧؛ وبدائع الصنائع للكاساني، ٢/٢٢٦-٢٢٧.

٣ ر + رحمه الله.

٤ ن ر - وأفعال الحجّ.

٥ ن ر - وأبعاض وهيئات. فالأركان: ما لا يحصل التحلّل حتّى يأتي به، والأبعاض.

٦ ن ر + والهيئات ما لا يجب تحصيل التحلّل حتّى يأتي به؛ ر + والأبعاض هي الواجبات التي إذا ترك منها شيئًا يجب أن يجبر بالدم.

٧ مِن قوله "ثمّ إنّ قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ﴾ أمرٌ بالإتمام" إلى هنا في تفسير الرازي، ٥/١٥٠ (البقرة، ٢/١٩٦).

٨ ر - تعالى.

تـمـامُ الـحـجِّ أَنْ تَـقِـفَ الـمطـايَا    عـلـى خَـرْقـاءَ واضـعَـةَ الـلِّـثـامِ

جَعل الوقوفَ عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يَتِمُّ إلّا به.

وقيل: إتمامُهما: أن تُحْرِم بهما من دُوَيْرة أهْلك، رُوي ذلك عن عليّ وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم.

وقيل: أن تُفْرِدَ لكلِّ واحدٍ منهما سفرًا؛ كما قال محمد رضي الله عنه: حجَّةٌ كوفيةٌ وعمرةٌ كوفيةٌ أفضلُ.

وقيل: أن تكونَ النَّفقةُ حَلالًا.

وقيل: أن تُخْلِصُوهما للعبادة ولا تشوبُوهما بشيءٍ من التِّجارة والأغراض الدُّنيوية.

---

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ﴾ للوجوب عند المصنّف فسّر الإتمام بهذه الأمور. قال الشاعر:[١]

(تـمـامُ الـحـجِّ[٢] أن تقف المطايا    علـى خـرقـاءَ واضـعـةَ الـلِّـثـامِ)[٣]

والضمير مِن قوله: (جَعَل) للشاعر. وقوله: (الذي) صفة (بعض). والضميرُ مِن (به) عائدٌ إلى "الذي". و"اللثام": ما يُغطَّى به الشفَة مِن ثوب. و"الخرقاء": اسم محبوبة ذي الرُّمّة.

ونُقل عن بعض السلف الصالحين أنّه حجّ، فلمّا قضى نسكُه قال لصاحب له: هلُمَّ نُتمُّ حجّنا، ألم تسمع قول ذي الرُّمّة، وأنشد هذا البيت.

وحاصل المعنى أنّه كما قطع البوادي حتّى وصل إلى بيته، ينبغي أن يقطع أهواءَ النفس بقضاء الشهوة، ليفرُغ بالُه وتنقطع هواجسُ[٤] نفسه. ويقرُب منه[٥] ما في قوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة ١٨٧/٢]، عند مَن يفسّر الابتغاء بطلب ليلة القدر.

قوله: (وقيل إتمامهما)... إلخ، إشارة إلى باقي الوجوه في تفسير الإتمام،

---

١ ن – للوجوب عند المصنّف فسّر الإتمام بهذه الأمور. قال الشاعر.

٢ ر – للوجوب عند المصنّف فسّر الإتمام بهذه الأمور. قال الشاعر: تمامُ الحجّ.

٣ البيت لذي الرُّمّة في ملحق ديوانه، ص ١٩١٣؛ وهو له في الشعر والشعراء لابن قتيبة، ٥١٨/١.

٤ ر: هوا.

٥ ر – منه.

**فإن قلتَ**: هل فيه دليلٌ على وجوب العمرة؟

**قلتُ**: ما هو إلّا أمرٌ بإتمامهما، ولا دليلَ في ذلك على كونهما واجبَين أو تطوُّعَين، فقد يُؤمر بإتمامِ الواجب والتطوُّعِ جميعًا، إلّا أن تقول: الأمرُ بإتمامهما أَمْرٌ بأدائهما، بدليلِ قراءةِ مَن قرأ: "وأقيموا الحجَّ والعمرةَ"، والأمرُ للوجوب في أصله إلّا أن يدلَّ دليلٌ على خلافِ الوجوب كما دلَّ في قوله: ﴿فَٱصْطَادُوا۟﴾ [المائدة ٥/٢] ﴿فَٱنتَشِرُوا۟﴾ [الأحزاب ٣٣/٥٣] ونحوِ ذلك.

فيقالُ لك: فقد دلَّ الدليلُ على نفي الوجوب، وهو ما رُوي: أنَّه قيل: يا رسولَ الله، آلعمرةُ واجبةٌ مثلَ الحج؟ قال: «لا، ولكنْ أن تعتمرَ خيرٌ لك».

وعنه: «الحجُّ جهادٌ والعمرةُ تطوُّعٌ».

**فإن قلتَ**: فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إنَّ العمرةَ لقرينةُ الحجّ.

---

وهو ظاهر[1] قوله: **(فقد[2] يُؤمَر بإتمام الواجب)** كالتعليل لقوله: **(لا دليلَ في الأمر بإتمامهما على كونهما واجبين)**.

قوله: **(إلّا أن تقول)** مستثنًى مِن قوله: "لا دليلَ" إلّا هذا القول، وهو أن يقال: المرادُ بالإتمام الأداء والإتيان بهما بدليل قراءة بعضهم "وَأَقِيمُوا الحَجَّ والعُمْرَةَ للهِ"،[3] وهذا وإن كان قراءةً شاذّةً جاريةً مَجرى خبر الواحد لكنّه بالاتفاق صالحٌ لترجيح تأويل على تأويل. على أنّا نقول: اللفظ دلّ على وجوب الإتمام؛ لأنّ ظاهر الأمر للوجوب، فكان الإتمام واجبًا جزمًا، والإتمام مسبوقٌ بالشروع، وما لا يتمّ الواجب إلّا به وكان مقدورًا للمكلَّف فهو واجب، فيلزم أن يكون الشروع واجبًا في الحجّ والعمرة.

قوله: **(فيقالَ)** نصب عطف على قوله: "تقولَ". والحاصلُ أنّ المصنِّف تمسَّك بوجهين في أنّ الأمر هنا للندب لا للوجوب. وقال الإمام:

---

[1] ر: الظاهر.

[2] ر - فقد.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن علقمة وإبراهيم النخَعي. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٤٩٧.

وعن عمر رضي الله عنه: أن رجلًا قال له: إني وجدتُ الحجَّ والعمرةَ مكتوبَين عليَّ، أَهْللتُ بهما جميعًا، فقال: «هُدِيتَ لسُنَّةِ نبيِّكَ».

وقد نُظِمت مع الحجِّ في الأمر بالإتمام فكانَتْ واجبةً مثلَ الحجِّ.

قلتُ: كونُها قرينةً للحجِّ: أن القارنَ يَقرن بينهما، وأنهما يقترنانِ في الذكر، فيقال: حجَّ فلان واعتَمَر، والحجاجُ والعُمَّارُ، ولأنها الحجُّ الأصغر، ولا دليلَ في ذلك على كونها قرينةً له في الوجوب.

وأمَّا حديثُ عمرَ رضي الله عنه فقد فسَّر الرجلُ وبيَّن كونهما مكتوبين عليه بقوله: أَهْللتُ بهما، وإذا أَهلَّ بالعمرة وجبتْ عليه؛ كما إذا كبَّرَ بالتطوُّع من الصلاة، والدليلُ الذي ذكرنا أخرج العمرة من صِفة الوجوب ...............

---

الجوابُ مِن وجوه: أحدُها أنَّ ما ذكرتم أخبارُ آحادٍ فلا تعارض نصَّ القرآن، وثانيها لعلَّ العمرة ما كانت واجبة عندما ذَكَر رسول الله عليه السلام[1] تلك الأحاديث، ثمّ نزل بعدها قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾. وهذا هو الأقرب؛ لأنَّ هذه الآية نزلت في السنة السابعة مِن الهجرة، وأمّا حديث ابن المُنكدِر[2] فقالوا: راويه حجّاج بن أرطاةٍ وهو ضعيف.[3]

ثمَ ذَكَر المصنِّف ثلاثَ دلائل مِن جانب الشافعيِّ[4] على أنَّ الأمر للوجوب وأجاب عنها.

قوله: (وجبتْ[5] عليه كما إذا كبَّر بالتطوّع مِن الصلاة) هذا بخلاف مذهب الشافعيّ.[6]

قوله: (والدليل) جواب سؤال يَرِد على أجوبته، وهو أن يقال: لو لم تكن الآية للوجوب لَما دلّت على وجوب الحجّ؟ فأجاب بأنّها بالنسبة إلى الحجّ للوجوب وإلى العمرة للندب.

---

[1] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

[2] وحديثه: «يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحجّ؟ قال: لا، ولكن أن تعتمر خير لك». وهو في المصنَّف لابن أبي شيبة، ٢٢٣/٣ (١٣٦٤٦)؛ وسنن الدارقطني، ٣٤٩/٣ (٢٧٢٥).

[3] انظر: تفسير الرازي، ١٥٢/٥-١٥٣ (البقرة، ١٩٦/٢).

[4] ر + رضي الله عنه.

[5] ن ر: وجب.

[6] ر + رضي الله عنه.

فبقي الحجُّ وحده فيها، فهما بمنزلةِ قولك: صُمْ شهرَ رمضان وستَّةً من شوال، في أنك تأمرُه بفرضٍ وتطوُّعٍ.

وقرأ عليٌّ وابن مسعود والشعبيُّ رضي الله عنهم: "والعمرةُ لله" بالرفع؛

---

قوله: (فيها)، أي: في صفة الوجوب. هذا تقريرُ ما ذَكَره المصنِّف.

ولنا أحاديثُ كثيرة دالّة على الوجوب: منها ما أورده الجَوْزَقي في **المتّفق بين الصحيحين**: «أنّ جَبرئيل عليه السلام سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[1] عن الإسلام فقال: أن تشهد ألّا إله إلّا الله وأنّ محمّدًا رسول الله عليه السلام،[2] وأن تقيم الصلاة، وتُؤتيَ الزكاة، / وتصومَ رمضان وتحجَّ وتعتمرَ».[3] ومنها ما روى ابن سيرين عن زيد بن ثابت رضي الله عنه[4] أنّه عليه السلام قال: إنّ الحجّ والعمرة فريضتان لا يضرُّك بأيّهما بدأت.[5] ومنها ما روت عائشةُ بنت طلحةَ عن عائشةَ أمّ المؤمنين رضي الله عنها[6] قالت: «قلتُ: يا رسول الله، هل على النساء جهادٌ؟ فقال عليه السلام: عليهنّ جهادٌ لا قتالَ فيه، الحجُّ والعمرة».[7] [٢١٥ظ]

قوله: (وقرأ عليّ: "وَالعُمْرةُ لله"[8] بالرفع) هذه قراءة شاذّة، وقد يتمسَّك بها مَن ذهب إلى أنّ العمرة غير واجبة؛ لأنّ القراءة بالرفع تدلُّ على أنّهم قصدوا إخراجَ العمرة عن حُكم الحجّ في الوجوب. وهذا ضعيف؛ لأنّ قوله: "العمرةُ عبادة الله" لا ينافي وجوبها، وإلّا وقع التعارض بين القراءتين، وهو غير جائز. وأيضًا لمّا كان معنى قوله تعالى: "وَالعُمْرَةُ لله": والعمرةُ عبادة الله تعالى،[9]

---

١ د: عليه السلام.

٢ ن ر – عليه السلام.

٣ **الصحيح من الأخبار** للجوزقي، ص ٩-١٠.

٤ د – رضي الله عنه.

٥ بلفظ قريب في **المصنَّف** لابن أبي شيبة، ٢٢٤/٣ (١٣٦٦٠)؛ و**المستدرك** للحاكم، ٦٤٣/١ (١٧٣٠).

٦ د – رضي الله عنها.

٧ مِن قوله "ولنا أحاديثُ كثيرة دالّة على الوجوب" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ١٥٢/٥ (البقرة، ١٩٦/٢). وحديث عائشة رضي الله عنها في **مسند أحمد**، ١٩٨/٤٢ (٢٥٣٢٢)؛ و**سنن ابن ماجه**، ١٤٦/٤ (٢٩٠١).

٨ قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ بن أبي طالب وابن مسعود والشعبيّ، والكسائيّ عن أبي جعفر، ومحبوب والقزّاز عن أبي عمرو، والأصمعيّ عن نافع، والسُّدّيّ والحسن. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٩؛ **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٤٩٧.

٩ ن ر – تعالى.

**كأنهم قصدوا بذلك إخراجَها عن حُكم الحج وهو الوجوب.**

**﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ﴾ يقال: أُحصِرَ فلان، إذا منَعه أمرٌ من خوفٍ أو مرضٍ أوْ عجزٍ، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ٢٧٣/٢].**

**وقال ابن مَيّادَةَ:**

---

وَجَب أن تكون العمرة مأمورًا بها لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [البينة ٥/٩٨]، والأمر للوجوب.[١]

ولمّا لم تكن دلالة هذه القراءة الشاذّة على مذهبهم ظاهرة قال المصنِّف: **(كأنّهم قصدوا)**.

قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ﴾ قال أحمد بن يحيى: أصل الحصر والإحصار: الحبس، ومنه يقال للذي لا يبوح بسره: "حصِرٌ"؛ لأنّه حبس نفسه عن البوح. والحَصْر: احتباس الغائط.[٢] والحصير: المَلِك؛ لأنّه كالمحبوس في الحجاب، وهو في شعر لبيد:

جِـــنٌّ لـــدى بـــاب الـحـصـيـر قـيـامُ[٣]

والحصير: معروف، سُمّي به لانضمام بعض أجزائه إلى بعض تشبيهًا باحتباس الشيء مع غيره.

إذا عرفتَ هذا فنقول: اتّفقوا على لفظ الحصر أنّه مخصوص بمنع العدوّ إذا منعه عن مراده وضيَّق عليه، أمّا لفظ الإحصار فقد اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال: **الأوّل** أنّ لفظ الإحصار يفيد الحبس والمنع، سواءٌ كان بسبب العدوّ أو لا بسبب العدوّ، وهو قول الفرّاء.[٤]

**(قال ابن ميّادة:**

---

[١] انظر: تفسير الرازي، ١٥١/٥ (البقرة، ١٩٦/٢).

[٢] ر: الألفاظ.

[٣] في ديوانه، ص ٢٩٠. وأوّله:

ومـقـامـةٍ غُـلْـبِ الـرقـاب كـأنّـهـم

وهو له في الصحاح للجوهري، «حصر»؛ وبلا عزو في أمالي القالي، ٣٠٦/٢؛ وجمهرة اللغة لابن دريد، ٥١٤/١، «حصر»؛ والزاهر لابن الأنباري، ٤١٩/١.

[٤] مِن قوله "قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ﴾ قال أحمد بن يحيى" إلى هنا في تفسير الرازي، ١٥٧/٥ (البقرة، ١٩٦/٢). وكلام الفرّاء في معاني القرآن للفرّاء، ١١٨/١.

وما هَجرُ ليلى أن تكون تَباعدَت عليك ولا أَنْ أحصرَتْك شُغُولُ

وحُصر: إذا حَبَسه عدوٌّ عن المضيِّ أو سُجِنَ، ومنه قيل للمَحْبِس: الحصيرُ، وللمَلِكِ: الحصيرُ؛ لأنّه محجوبٌ، هذا هو الأكثر في كلامهم، وهما بمعنى المنع في كلِّ شيءٍ مثلَ: صَدَّه وأصَدَّه، وكذلك قال الفرَّاء وأبو عمرو الشيبانيُّ، وعليه قولُ أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم: كلُّ منعٍ عنده من عدوٍّ كان أو مرضٍ أو غيرِهما مُعتبَرٌ في إثباتِ حكمِ الإحصار.

---

**(وما هجرُ ليلى أن تكون تباعدت عليك ولا أن أحصرَتْك شُغولُ)**[١]

أي: ليس هجرُ الحبيب أن يبعُد منزله، ولا أن منعتك الأشغال[٢] عن الوصول إليه، وإنّما الهجرُ هو إعراضه عن اختيارٍ منه.

والقول **الثاني** وهو اختيار[٣] أبي عبيد وابن السِّكِّيت والزجّاج[٤] وابن قتيبة أنّه مختصّ بالمرض. والقول **الثالث** أنّه مختصّ بالمنع الحاصل مِن جهة العدوّ، وهو قول الشافعيّ رضي الله عنه.[٥]

قوله: **(هذا هو الأكثر)** إشارة إلى ما ذكر في معنى الحصر والإحصار.[٦]

قوله: **(وهما)** أي: "حُصِر" و"أُحصِر".

قوله: **(كلُّ منع)** مبتدأ. **(عنده)**، أي: عند أبي حنيفة. قوله: **(معتبَرٌ)** خبر المبتدأ.

وهذا الكلام شروع في فائدة البحث، فإنّها تظهر في مسألة فقهيّة، وهي أنّهم اتّفقوا على أنّ حُكم الإحصار عند حبس العدوّ ثابت، وهل يثبت بسبب المرض وسائر الموانع؟ قال أبو حنيفة:[٧] يثبت، وقال الشافعي:[٨] لا يثبت.[٩]

---

١ في ديوانه، ص ١٨٧. وهو له في **مقاييس اللغة** لابن فارس، ٧٢/٢، «حصر».

٢ ن ر – أي: ليس هجرُ الحبيب أن يبعُد منزله، ولا أن منعتك الأشغال.

٣ ن: قول.

٤ ر: ابن الزجّاج. | انظر: **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٢٦٧/١.

٥ د – رضي الله عنه. | انظر: **تفسير الرازي**، ١٥٧/٥ (البقرة، ١٩٦/٢).

٦ ر: الاختصار.

٧ ن ر + رحمه الله. | انظر: **المبسوط** للسرخسي، ١٠٧/٤؛

٨ ن + رحمه الله، ر + رضي الله عنه.

٩ انظر: **المجموع** للنووي، ٢٩٤/٨-٢٩٦.

..............................................................

وحجّة أبي حنيفة[١] أنّ أهل اللغة طائفتان: أحدُهما الذين قالوا: الإحصار مختصٌّ بالحبس الحاصل بسبب المرض فقط، وعلى هذا المذهب تكون هذه[٢] الآية نصًّا صريحًا في أنّ إحصار[٣] هذا المرض يُفيد هذا الحكم. والطائفة الثانية الذين قالوا: الإحصارُ اسم[٤] الحبس، سواءٌ كان بسبب المرض أو بسبب العدوّ. وعلى هذا القول / نقول:[٥] فالله تعالى علّق الحكم على مسمّى الإحصار، فوجب أن يكون الحكم ثابتًا عند[٦] حصول الإحصار، سواءٌ حصل بالعدوّ أو بالمرض. وأمّا على القول الثالث[٧] وهو أنّ[٨] الإحصار اسم للمنع الحاصل بالعدوّ فهذا باطل باتّفاق أهل اللغة، وبتقدير ثبوته فنحن نقيس المرض على العدوّ بجامع دَفْع الحرج، وهذا قياس جليّ ظاهر. فهذا تقرير قول أبي حنيفة. [٢١٦و]

وأمّا تقرير مذهب[٩] الشافعيّ[١٠] فهو أنّا ندّعي أنّ المراد بالإحصار في هذه الآية منعُ العدوّ فقط، والرِّوايات المنقولة عن أهل اللغة مُعارَضة بالرواية المنقولة عن[١١] الشافعيّ،[١٢] فإنّه مِن أكابر أئمّة اللغة، حتّى إنّ أئمّة اللغة كالأصمعيّ وغيره يروون اللغة عنه، ومُعارَضة[١٣] أيضًا بالروايات المنقولة عن ابن عبّاس وابن عمرَ رضي الله تعالى عنهم،[١٤] ولا شكّ أن قولهما أَولى لتقدُّمهما على الأدباء في معرفة اللغة وفي معرفة تفسير القرآن. ثمّ إنّا نؤكّد هذا[١٥] القول[١٦] بوجوه:

الأوّل أنّ الإحصار "إفعال" مِن الحَصْر، و"الإفعال" يجيء للتعدية نحو "أذهبتُ زيدًا"، وللتعريض نحو: "أبعتُ الشيءَ"، وللصيرورة نحو "أغَدّ البعيرُ"،

---

١ ن + رحمه الله.
٢ ر: فيه.
٣ ن ر: إضمار.
٤ ر - اسم.
٥ ن - ر سواءٌ كان بسبب المرض أو بسبب العدوّ. وعلى هذا القول نقول.
٦ ن: عنه.
٧ ن ر - حصول الإحصار، سواءٌ حصل بالعدوّ أو بالمرض. وأمّا على القول الثالث.
٨ ن - أنّ.
٩ ر: قول.
١٠ ر + رضي الله عنه.
١١ ر + الإمام.
١٢ ر + رضي الله عنه.
١٣ ن ر: ومعارضته.
١٤ د - رضي الله تعالى عنهم.
١٥ ر: هذه.
١٦ ر: الأقوال.

............................................................

أي: صار ذا غُدَّة، وبمعنى "وجدتُه بصفة كذا" نحو "أحمدتُ الرجل"، أي: وجدتُه محمودًا، وبمعنى السلب نحو "أشكيتُه"، أي: أزلتُ شِكايته، وبمعنى الثلاثيّ نحو: "قِلتُ البيعَ وأقلتُه". والإحصارُ لا يمكن للتعدية ولا للتعريض ولا للسلب بالاتّفاق فوَجَب حمله إمّا على الصيرورة أو على الوجدان أو[1] معنى الثلاثيّ، فيصير المعنى أنّهم صاروا محصورين أو وُجدوا محصورين. واتّفق أهل اللغة على أنّ المحصور هو الممنوع بالعدوّ لا بالمرض، فوجب أن يكون معنى الإحصار هو[2] أنّهم[3] صاروا ممنوعين بالعدوّ أو وُجدوا ممنوعين بالعدوّ وذلك يؤكِّد مذهبنا.

**الثاني** أنّه تعالى قال بعد هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾، فعطف عليه المريض، فلو كان المُحصَر متناولًا للمريض لزِم التكرار، وهو خلاف الأصل.

**الثالث** قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ ولفظ الأمن إذا كان مطلقًا فإنّما يُستعمل في الخوف عن العدوّ لا في المرض، فإنّه إنّما يقال في المرض: "شُفي وعُوفي" ولا يقال: "أَمِن" إلّا مع القيد، نحو" أَمِن المريض مِن الهلاك". وإذا ثبت هذا فنقول: لا يمكن قياس منع المرض عليه، وبيانه مِن وجهين:

**الأوّل** أنّ كلمة "إن" شرط عند أهل اللغة، وحُكم الشرط انتفاءُ المشروط عند انتفائه ظاهرًا، فهذا يقتضي ألّا يثبت الحكم إلّا في الإحصار الذي دلّت الآية عليه، فلو أثبتنا هذا الحكم في غيره[4] قياسًا لزم أن يكون الفرع المبنيّ على الأصل مبطِلًا لحكم الأصل، فيكون نسخًا لحُكم النصّ لا قياسًا.

**الثاني** أنّ الإحرام شُرع لازمًا لا يحتمل الإبطال قصدًا، ألا يُرى أنّه إذا جامع حتّى فسد حجّه لم يخرج مِن إحرامه ولا يجوز له التحلُّل، وكذا لو فاته الحجّ

---

[1] ر + على.
[2] ر – هو.
[3] ر: هم.
[4] ر: غير.

**وعند مالكٍ والشافعي رضي الله عنهما: منع العدوِ وحده، وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَن كُسِرَ أو عَرَجَ فقد حَلَّ، وعليه الحجُّ من قابلٍ».**

---

حتّى لزمه القضاء، وإنّما جاز ذلك في الإحصار بالعدوّ؛ لأنّ المحصَر بالعدوّ خائف مِن القتل إن أقام، فإذا رجع فقد تخلّص مِن خوف القتل،[1] وأمّا المرض فليس كالعدوّ؛[2] لأنّ المرض ليس كالعدوّ، / لأنّ المريض لا يستفيد بتحلُّله [٢١٦ظ] ورجوعه أمنًا مِن مرضه.[3]

قوله: (وعن النبيّ عليه السلام: «مَن كُسِر أو عَرَج فقد حلّ»)[4] هذا استدلال منه على أن حكم المرض حكمُ العدوّ. وجوابه أنّ أئمّة الحديث ذكروا أنّ إسناده ضعيف.

على أنّا نقول: إنّ هذا الحديث متروك الظاهر، فإنّ مذهب المتمسِّك بهذا الحديث أنّ المُحصَر ليس له أن يحلّ حتّى يبلغ الهديُ مَحِلَّه، وعنده أنّ مَحِلَّه مكانُه الذي يجب أن يُنحر به وهو الحَرَم، فكيف يقول: فقد حلّ ولم يبلغ الهديُ مَحِلَّه؛ فلا بدّ له أن يقول:[5] المعنى فقد حلّ له أن يحِلَّ، أو يقول: المعنى المقاربة، أي: قرُب له ذلك، كقولك: "بلغ البلدَ" لمَن قرُب، وإذا كان كذلك فنحن نقول: يحتمل أن يكون المراد بالحديث المريضَ الذي شرَط في الإحرام أنّه إن مرِض فقد حلّ، فإنّ ذلك المريض يتحلّل عندنا بنفس المرض. ثمّ اعلم أنّ "عَرَج" بفتح "الراء"، يقال: "عَرَج" إذا أصابه شيء في رجله فمشى مشيةَ[6] العُرجان وليس بخلقة، وإذا كان ذلك خلقةً قلتَ: "عَرِج" بالكسر.

قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾ «قال القفّال في الآية إضمارٌ، والتقدير:

---

[1] ن ر - إن أقام، فإذا رجع فقد تخلّص مِن خوف القتل.

[2] ن ر: بالعدوّ.

[3] مِن قوله "وهذا الكلام شروع في فائدة البحث" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ٥/١٥٧-١٦٠ (البقرة، ٢/١٩٦).

[4] **مسند أحمد**، ٥٠٨/٢٤ (١٥٧٣١)؛ **سنن أبي داود**، ٢٥٤/٣ (١٨٦٢)؛ **سنن الترمذي**، ٢٦٨/٣ (٩٤٠). وضعّفه البغوي في **مصابيح السنّة**، ٢٩١/٢، ونقل ذلك عنه الطِّيبيُّ في **فتوح الغيب**، ٢٧٧/٣.

[5] ن ر: يعود.

[6] ن: مشيَ.

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: فما تيسَّر منه، يقال: يَسُر الأمرُ واسْتَيْسر؛ كما يقال: صعُبَ واستَصعبَ، والهديُ: جمعُ هَدْيَةٍ؛ كما يقال في جَدْيَة السَّرْج: جَدْيٌ.

وقرئ: "من الهديّ" بالتشديد جمع هَدِيَّةٍ كمطيَّةٍ ومَطِيّ، يعني: فإن مُنِعْتم من المضي إلى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة فعليكم إذا أردتم التحلُّلَ ما استَيْسَرَ من الهدي من بعيرٍ أو بقرةٍ أو شاةٍ.

**فإن قلتَ**: أين ومتى يُنحر هَدْيُ المُحصَرِ؟

**قلتُ**: إن كان حاجًّا فبالحرم متى شاء عند أبي حنيفة رضي الله عنه، يُبعَثُ به ويُجعل للمبعوث على يده يومَ أَمَارٍ، وعندهما: في أيام النحرِ، وإن كان معتمرًا فبالحرم في كلِّ وقتٍ عندهم جميعًا.

---

فحللتم فما استيسر، وهو كقوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة ١٨٤/٢]، أي: فأفطر فعِدَّةٌ».[1]

قوله: (جَدْية السَّرْج) الجَدْية[2] بتسكين "الدال":[3] شيء محشوّ تحت دَفتي السرج والرحل، وهما جَدْيتان.

قوله: (**أين ومتى؟**) يعني: في أيّ مكان وأيّ زمان؟ وأجاب عن المكان بقوله: (**فبالحَرَم**)، وعن الزمان بقوله: (**متى شاء**). وبيان ذلك سيجيء.

قوله: (**للمبعوث على يده**)، أي: للشخص الذي بُعث الهديُ على يده.[4]

قوله: (**يوم أَمارٍ**) الأمار والأمارة: الوقت والعلامة، يريد: أنّه يقول للمبعوث على يده: "انحرْ يوم كذا" فإذا جاء ذلك اليوم وغَلَب على ظنّه أنّه نَحَر فحينئذٍ يتحلَّل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ قال الإمام: في الآية حذفٌ؛ لأنّ الرجل لا يتحلَّل ببلوغ الهدي مَحِلَّه؛ بل لا يحصل التحلُّل إلّا بالنحر، فتقدير الآية: حتى يبلغ الهديُ ويُنحرَ، فإذا نُحِر فاحلقوا.

---

[1] **تفسير الرازي**، ١٦٠/٥ (البقرة، ١٩٦/٢).
[2] ن ر: هي.
[3] ن ر - بتسكين "الدال".
[4] ن ر - أي: للشخص الذي بُعث الهديُ على يده.

و"ما استيسر" رَفعٌ بالابتداء؛ أي: فعليه ما استَيْسَر، أو نَصْبٌ على: فاهْدُوا ما استَيْسَر.

﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ﴾ الخطابُ للمُحصَرين؛ أي: لا تُحِلُّوا حتّى تعلموا أنَّ الهدي الذي بَعَثْتُموه إلى الحرم بلغ ﴿مَحِلَّهُۥ﴾؛ أي: مكانَه الذي يجب نحرُه فيه، ومَحِلُّ الدَّيْن: وقتُ وجوب قضائه، وهو ظاهر على مذهبِ أبي حنيفة رضي الله عنه.

**فإن قلتَ:** فإن النبيَّ صلى الله عليه وسلم نحر هَدْيَهُ حيث أُحصِرَ؟

**قلتُ:** كان مُحْصَرُه طرفَ الحديبيَة الذي إلى أسفلِ مكةَ وهو من الحرم، وعن الزهريِّ: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديَهُ في الحرم.

وقال الواقديُّ: الحديبيةُ هي طرفُ الحرم على تسعة أَميالٍ من مكة.

---

ثمّ اختلف العلماء: فقال الشافعي:[١] يُراق دم الإحصار لا في الحرم؛ بل حيث حُبِس. وقال أبو حنيفة:[٢] لا يجوز ذلك إلّا في الحرم.

ومنشأ الخلاف البحثُ في تفسير هذه الآية، فقال الشافعي:[٣] المَحِلّ في هذه الآية اسم للزمان الذي حصل فيه التحلُّل. وقال أبو حنيفة: إنّه اسم للمكان. احتجّ الشافعي[٤] بأنّه عليه السلام أُحصِر بالحديبِيَة ونَحَر بها، والحديبِيَة ليست مِن الحَرَم.[٥] وقال أصحاب أبي حنيفة: إنّه عليه السلام إنّما أُحصِر في طرف الحديبِيَة الذي هو أسفل مكّة، وهو مِن الحَرَم.[٦]

وأجاب القفّال في تفسيره عن هذا الجواب فقال:[٧] الدليل على أنّ نحر ذلك الهدي ما وقع في الحَرَم قولُه تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ [الفتح ٢٥/٤٨]، فبيّن تعالى أنّ الكفّار منعوا النبيّ عليه السلام عن إبلاغ الهَدْي مَحِلّه الذي كان يريده، فدلّ على أنّهم نحروا ذلك الهَدْي في غير الحَرَم.[٨]

---

١ ر + رضي الله عنه.

٢ ر + رحمه الله.

٣ ر + رضي الله عنه.

٤ ر + رضي الله عنه.

٥ انظر: **المجموع** للنووي، ٢٩٨/٨-٢٩٩.

٦ انظر: **المبسوط** للسرخسي، ١٠٧/٤؛ و**بدائع الصنائع** للكاساني، ١٧٨/٢.

٧ ن ر − مكّة، وهو مِن الحَرَم. وأجاب القفّال في تفسيره عن هذا الجواب فقال.

٨ انظر: **تفسير الرازي**، ١٦١/٥ (البقرة، ١٩٦/٢).

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾: فمَن كان به مرضٌ يُحوِجه إلى الحلق ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ وهو القُمَّل أو الجراحةُ، فعليه إذا احتَلق فديةٌ ﴿مِّن صِيَامٍ﴾ ثلاثةِ أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ على ستّة مساكين لكلِّ مسكين نصفُ صاع من بُرٍّ ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ وهو شاةٌ.

وعن كَعْب بن عُجْرَةَ: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «لعلَّك أذاكَ هَوَامُّك؟» قال: نعم يا رسول الله، قال: «احْلِق رأسَك وصُمْ ثلاثةَ أيامٍ، أو أَطعِم ستَّةَ مساكين، أو انْسُكْ شاةً»، وكان كعبٌ يقولُ: فيَّ نزلت هذه الآية.

وروي: أنَّه مرَّ به وقد قَرِحَ رأسُه فقال: «كفَى بهذا أذًى» وأمرهُ أن يَحْلِقَ ويُطعِمَ أو يصوم.

والنُّسُكُ مصدرٌ، وقيل: جمع نَسِيكةٍ، وقرأ الحسن: "أو نُسْكٍ" بالتخفيف.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ الإحصارَ، يعني: فإذا لم تُحْصَروا وكنتم في حالِ أمنٍ وسَعةٍ.

﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾؛ أي: استَمْتَع ﴿بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ ..........

---

قوله: (وقرأ الحسن: / "نُسْكٍ"[1] بالتخفيف)، أي: بإسكان "السين"، وهي قراءة شاذّة. [٢١٧و]

قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾... إلخ.

«قال ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما:[2] أي: مِن العدوّ أو كان حجٌّ ليس فيه عدوّ».[3] ومعنى التمتُّع: التلذُّذ، يقال: تمتَّع بالشيء إذا تلذَّذ به.[4] والمتاع: كلّ شيء يُتمتّع به. والتمتُّع بالعُمرة إلى الحجّ: هو أن يُحرِم بالعمرة في أشهر الحجّ ويأتي بأعمال العمرة، ثمّ بعد الفراغ مِن العمرة يُحرم بالحجّ مِن مكّة في تلك السنة.[5]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن السُّلمي والزُّهري والأشهب والحسن ونُعيم بن ميسرة. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٩؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٨٦؛ المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٤٩٨.

٢ د - رضي الله تعالى عنهما.

٣ الوسيط للواحدي، ٢٩٩/١ (البقرة، ١٩٦/٢). وانظر: جامع البيان للطبري، ٣٤٦/٣ (البقرة، ١٩٦/٢).

٤ ن - به.

٥ انظر: تفسير الرازي، ١٦٥/٥ (البقرة، ١٩٦/٢).

**واستمتاعُه بالعُمرةِ إلى وقت الحج: انتفاعُه بالتقرُّب بها إلى الله تعالى قَبْل الانتفاعِ بتقرُّبه بالحج.**

**وقيل: إذا حلَّ من عُمرته انتفَع باستباحة ما كان محرَّمًا عليه إلى أنْ يُحرِم بالحج.**

**﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: هو هديُ المتعة، وهو نُسكٌ عند أبي حنيفةَ رضي الله عنه ويأكلُ منه، وعند الشافعيِّ رضي الله عنه: .............................**

---

قوله: **(واستمتاعه)** اختلف العلماء في تمتُّعه، أي: استمتاعه بالعمرة: فقال بعضهم: معناه هو أنّه[١] "انتفع بالتقرُّب بالعمرة إلى الله تعالى قبل أن ينتفع بتقرُّبه بالحجّ" إلى الله تعالى. وقيل: معناه أنّه "إذا حلّ مِن عمرته فقد انتفع باستحلال ما كان حرامًا عليه كاللبس والتطيُّب والمباشرة إلى أن أحرم بالحجّ"، فكأنّه لا يتمتّع بالعمرة ولكنّه يتمتّع بمحظورات الإحرامِ بسبب إتيانه بالعمرة. وقيل: معناه أنّه لمّا لم يعُد للإحرام بالحجّ إلى الميقات فقد انتفع بترك الإحرام مِن المِيقات، وهنا أيضًا لم ينتفع بنفس العمرة.[٢]

قوله: **(هو نُسك)** قال أبو حنيفةَ: دم التمتُّع دم نُسك، فيجوز أن يأكل منه. وقال الشافعي: هو دمُ جبرانِ الإساءة، فلا يجوز أن يأكل منه. حجّة الشافعي[٣] أنّ التمتُّع حصل[٤] فيه خَلَل فوجب أن يكون الدم دم الجُبران،[٥] أمّا بيان حصول الخَلَل فيه فلِما رُوي أنّ عثمانَ رضي الله تعالى عنه[٦] كان ينهى عن المتعة، فقال له عليّ:[٧] عمدتُ إلى رخصة بسبب الحاجة والغربة.[٨] وذلك يدلُّ على حصول نقص[٩] فيه.[١٠] **الثاني** أنّه تعالى سمّاه تمتُّعًا، والتمتُّع عبارة عن التلذُّذ والانتفاع، ومبنى العبادة على المشقة، فدلّ على أنّه حصل في كونه عبادة نوعُ خَلَل،

---

١ ن ر – أنّه.
٢ انظر هذه الأقوال في معالم التنزيل للبغوي، ٢٢٣/١ (البقرة، ١٩٦/٢).
٣ ر + رضي الله عنه.
٤ ن ر – حصل.
٥ ر: جبر.
٦ د – رضي الله تعالى عنه.
٧ ن ر – كان ينهى عن المتعة، فقال له عليّ.
٨ ما وقفت عليه فيما سبق تفسير الرازي مِن المظانّ.
٩ ن: أنقص.
١٠ ن: منه.

يجري مَجرى الجنايات ولا يأكلُ منه، ويَذْبَحُه يوم النحر عندنا، وعنده: يجوز ذَبْحه إذا أحرم بحَجَّته.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهديَ ﴿فـ﴾ عليه ﴿صيامُ ثلاثةِ أيامٍ في الحجّ﴾؛ أي: في وقته،

---

وإذا ثبت حصولُ الخَلَل[١] في هذا الحجّ وَجَب جعلُ[٢] الدم دمَ جبرانٍ[٣] لا دمَ نسُك لينجبر الخلل.[٤]

قوله: (ويذبحه) اعلم أنّ وقت وجوب الدم بعدما أحرم بالحجّ لأنّ "الفاء" في قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ يدلّ على أنّه وَجَب عَقيب التمتُّع ويُستحَبّ يوم النحر، فلو ذبح بعدما أحرم بالحجّ جاز؛ لأنّ التمتُّع قد تحقّق. وعند أبي حنيفةَ لا يجوز. وأصلُ هذا أنّ دم التمتُّع[٥] عندنا دم جبران[٦] كسائر دماء الجبرانات،[٧] وعنده دمُ نُسك كدم الأضحية فيختصّ بيوم النحر.[٨]

قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ المعنى أنّ المتمتّع إن وجد الهدي فذاك وإن لم يجده فبيّن الله تعالى بدله مِن الصيام.

قوله تعالى:[٩] ﴿فِى ٱلْحَجِّ﴾ مذهب الشافعي[١٠] أنّ المعنى في وقت الاشتغال بالحجّ،[١١] ومذهب أبي حنيفةَ[١٢] أنّ المعنى في وقت الحجّ، أي: في أشهر الحجّ بعد[١٣] إحرام العمرة، سواءٌ أحرَم بالحجّ أو لم يُحرِم.[١٤]

ويتفرّع عليه مسألة فقهيّة، وهي أنّ المتمتّع إذا لم يجد الهديَ لا يصحُّ صومه

---

١ ر – حصول الخلل.

٢ ر – جعل.

٣ ر: جبر.

٤ مِن قوله "قال أبو حنيفةَ: دم التمتُّع دم نُسك" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ١٦٦/٥ (البقرة، ١٩٦/٢).

٥ ن ر – قد تحقّق. وعند أبي حنيفةَ لا يجوز. وأصلُ هذا أنّ دم التمتُّع.

٦ ر: جبر.

٧ ر: الجبر.

٨ الكلام بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ١٦٧/٥ (البقرة، ١٩٦/٢). وانظر: **المبسوط** للسرخسي، ٢٦/٤؛ **والمجموع** للنووي، ١٧٦/٧.

٩ ن – تعالى.

١٠ ر + رضي الله عنه.

١١ انظر: **تفسير الرازي**، ١٦٧/٥ (البقرة، ١٩٦/٢)؛ **والمجموع** للنووي، ١٣٢/٧.

١٢ ر + رحمه الله.

١٣ ر: يوم.

١٤ انظر: **المبسوط** للسرخسي، ١٨١/٤؛ **وبدائع الصنائع** للكاساني، ١٧٣/٢-١٧٤.

**وهو أَشْهُره ما بين الإحرامين: إحرامِ العمرة وإحرامِ الحجّ، وهو مذهبُ أبي حنيفة رحمه الله، والأفضلُ أن يصومَ يومَ التَّروية وعَرَفَةَ ويومًا قبلهما، وإن مضَى هذا الوقتُ لم يُجزئه إلَّا الدَّم عندنا، وعند الشافعي رحمه الله: لا يصام إلَّا بعدَ الإحرام بالحجِّ؛ تمسُّكًا بظاهر قوله: ﴿فِي ٱلْحَجِّ﴾.**

---

بعد إحرام العمرة قبل إحرام[1] الحجّ. وقال أبو حنيفة: يصحُّ. والظاهرُ قول الشافعي؛[2] لأنّ ما قبل الإحرام بالحجّ ليس بوقت للهدي الذي هو أصل، فكذا لا يكون وقتًا للصوم الذي هو بدله اعتبارًا لسائر الأصول والأبدال. وتحقيقُه أنّ البدل حالَ عدم الأصل يقوم مقامه، فيصير في الحكم كأنّه الأصل، فلا يجوز أن يحصل في وقت لو وُجد الأصل لم يجز.[3]

إذا عرفتَ هذا فنقول: اتّفقوا على أنّه يجوز بعد الشروع في الحجّ إلى يوم النحر. والأصحُّ أنّه لا يجوز يوم النحر ولا[4] / أيّام التشريق، لقوله عليه السلام: «لا تصوموا في هذه الأيّام».[5] والمستحبُّ أن يصوم أيّام الحجّ، بحيث يكون يومَ عَرَفة مُفطرًا.[6] [٢١٧ظ]

قوله: (**والأفضل أن يصوم يوم التروية**)... إلخ، وهذا مذهب أبي حنيفة. والتروية سقيُ الماء بقدر زوال العطش، والتروية أيضًا التفكُّر، سُمّي اليوم الثامن مِن ذي الحجّة يومَ التروية؛ لأنّ إبل الحُجّاج[7] رَويت في هذا اليوم بعد عطشها في الطريق. وقيل: لأنّ إبراهيمَ عليه السلام رأى في المنام ثامن ذي الحجّة أنّه ذبح إسماعيلَ عليه السلام[8] وجعل اليوم الثامن يُروّي، أي: يتفكّر في رؤياه أنّه كيف يصنع، وفي التاسع عرَف، وفي العاشر اشتغل بذبح ولده عليه[9] السلام.

---

١ ن ر - العمرة قبل إحرام.

٢ ر + رضي الله عنه.

٣ انظر: **المبسوط** للسرخسي، ١٨١/٤؛ و**بدائع الصنائع** للكاساني، ١٦٩/٢؛ و**المجموع** للنووي، ١٩١/٧-١٩٢.

٤ ن ر: إلّا.

٥ بلفظ قريب في مسند أحمد، ٦٢/٣ (١٤٥٦).

٦ مِن قوله "ويتفرّع عليه مسألة فقهيّة" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ١٦٧/٥-١٦٨ (البقرة، ١٩٦/٢).

٧ ر: الحاجّ.

٨ د ر - عليه السلام.

٩ ن ر: عليهما.

﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ بمعنى: إذا نفرتُم وفرَغْتُم من أفعال الحجِّ عند أبي حنيفة رحمه الله، وعند الشافعيّ رحمه الله: هو الرجوعُ إلى أهاليهم.

وقرأ ابنُ أبي عبلة: "وسبعةً" بالنصب عطفًا على محلّ ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ وكأنه قيل: فصيامُ ثلاثةَ أيامٍ؛ كقوله: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا﴾ [البلد ٩٠/١٤].

**فإن قلتَ: فما فائدةُ الفذلكة؟**

---

قال المطرِّزي[١] في **المُغرِب**: روَّأتُ في الأمر ترويةً فكَّرتُ فيه ونظرتُ، ومنه يوم التروية. وأصلُها الهمز، وأخذُها مِن الرؤية خطأ، ومن الرِّيّ[٢] منظور فيه.[٣]

قوله تعالى: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ اختلف العلماء في المراد مِن الرجوع، ويتفرَّع عليه أنّه إذا صام الأيّام السبعة بعد الفراغ مِن الحجّ وقبل الوصول إلى بيته لا يُجزئه عند الشافعي ويجزئه عند أبي حنيفة.[٤]

قوله: (**وقرأ ابن أبي عبلة بالنصب**)،[٥] هي قراءة شاذّة.

قوله تعالى:[٦] ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ يعني الثلاثة والسبعة عشرةٌ.[٧]

قوله: (**ما فائدة الفذلكة؟**) اعلم أنّ الفذلكة مأخوذة[٨] مِن قول الحُسّاب بعد التفصيل:[٩] "فذلك كذا"، وهذا الكلام إشارةٌ إلى اعتراض الملاحدةِ مِن وجهين مع الجواب:

الاعتراض[١٠] **الأوّل** قالوا: مِن المعلوم بالضرورة أنّ الثلاثة والسبعة عشرةٌ،[١١] فذِكره يكون إيضاحًا للواضح. والعلماء ذكروا لهذا الاعتراض أجوبة:

---

١ ر: الطرزي.

٢ ر: الراي.

٣ انظر: **المُغرِب** للمطرِّزي، «حصر».

٤ ر + رضي الله عنه. | الكلام بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ١٦٨/٥ (البقرة، ١٩٦/٢). وانظر: **المبسوط** للسرخسي، ١٨١/٤؛ **وبدائع الصنائع** للكاساني، ١٧٣/٢-١٧٤؛ **والمجموع** للنووي، ١٣٢/٧.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٨٦.

٦ ن - تعالى.

٧ ن: عشر.

٨ ن ر: مأخوذ.

٩ ر: التفضل.

١٠ ر: للاعتراض.

١١ ن: عشر.

**قلتُ**: الواوُ قد تجيءُ للإباحة في نحوِ قولك: جالِسِ الحسنَ وابنَ سيرين، ألَا ترى أنه لو جالسهما جميعًا أو واحدًا منهما كان ممتثِلًا، ففُذْلِكَتْ نفيًا لتوهُّم الإباحة.

---

الجواب **الأوّل** أنّ "الواو" في قوله تعالى:[١] ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ ليس نصًّا قاطعًا في الجمع؛ بل قد تكون "الواو" بمعنى "أو" كما في قوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾، وكما في قولك: "جالِسِ الحَسَن وابن سيرين"، أي:[٢] جالس هذا أو هذا، فالله تعالى ذَكَر قوله: ﴿عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ إزالةً لهذا الوهم.

الجواب **الثاني** أنّ التوكيد طريقة مشهورة في كلام العرب، كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج ٤٦/٢٢]،[٣] وقال: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام ٣٨/٦]. والفائدةُ فيه أنّ الكلام الذي يعبَّر عنه بالعبارات الكثيرة ويُعرَف بالصفات الكثيرة أبعدُ مِن السهو والنسيان مِن الكلام الذي يُعبَّر عنه بالعبارة الواحدة، فالتعبيرُ عنه بالعبارة[٤] الكثيرة يدلُّ على كونه في نفسه مشتملًا على مصالحَ كثيرة ولا يجوز الإخلال بها، أمّا إذا عُبّر عنه بعبارة واحدة فإنّه لا يعلم منه كونه مصلحةً مهمّة لا يجوز الإخلال بها،[٥] وإذا كان التوكيد[٦] مشتملًا على هذه الحكمة كان ذِكره في هذا الموضع دالًّا على أنّ رعاية هذا العدد في هذا الموضع مِن المهمّات التي لا يجوز إهمالها البتّة.[٧]

وهذان الوجهان هما اللذان ذكرهما المصنِّف.

الوجه **الثالث** أنّ قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ يحتمل أن يكون المراد منه أن يكون الواجب بعد الرجوع أن يكمل صيام سبعة أيّام

---

١ د - تعالى.

٢ ر: أو.

٣ ن ر - كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾.

٤ ر + الواحدة والتعبير عنه بالعبارات.

٥ ن ر - بها، أمّا إذا عُبّر عنه بعبارة واحدة فإنّه لا يعلم منه كونه مصلحةً مهمّة لا يجوز الإخلال بها.

٦ ر - التوكيد.

٧ مِن قوله "الاعتراض **الأوّل** قالوا: مِن المعلوم" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ١٦٨/٥-١٦٩ (البقرة، ١٩٦/٢).

وأيضًا فائدةُ الفذلكةِ في كلِّ حساب: أن يُعلمَ العددُ جملةً كما عُلِم تفصيلًا؛ ليُحاط به من جهتين فيتأكَّد العِلمُ، وفي أمثال العرب: «عِلْمانِ خيرٌ من عِلْم»، وكذلك ﴿كَامِلَةٌ﴾ تأكيدٌ آخرُ، وفيه زيادةُ توصيَةٍ بصيامها، وأنْ لا يُتَهاوَنَ بها ولا يُنقَصَ من عددها؛ كما تقول للرجل إذا كان لك اهتمامٌ بأمرٍ تأمرُه به، وكان منك بمنزلٍ: اللهَ اللهَ لا تُقصِّرْ.

---

على معنى أنّه يُحسَب مِن[١] هذه السبعة تلك الثلاثة المتقدِّمة حتّى يكون الباقي عليه بعد الرجوع مِن الحجّ أربعة سوى تلك الثلاثة المتقدِّمة، ويحتمل أن يكون المراد منه أن يكون الواجب بعد الرجوع سبعةً سوى تلك الثلاثة المتقدِّمة، فهذا الكلام محتمل لهذين الوجهين، فإذا قال بعده: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ/ كَامِلَةٌ﴾ زال [٢١٨و] هذا الإشكال، وبيَّن أنّ الواجب بعد الرجوع سبعةٌ سوى تلك الثلاثة المتقدِّمة.[٢]

قوله: **(وكذلك ﴿كَامِلَةٌ﴾ تأكيدٌ)**... إلخ، إشارةٌ إلى الاعتراض **الثاني** للملاحدة مع جوابه. وتقريرُ الاعتراض أنّ قوله: ﴿كَامِلَةٌ﴾ يُوهِم وجودَ عشرة غيرِ[٣] كاملة في كونها عشرة وذلك محالٌ، وتقريرُ الجواب مِن وجوه: **الأوّل** تأكيد بعد تأكيد، وفائدتُه ما مرّ.

قوله: **(وفيه زيادةُ توصية)** هذا[٤] الجواب **الثاني**،[٥] وتقريرُه: أنّ اللفظ وإن كان خبرًا لكنّ المعنى أمرٌ، والتقدير: فليكن تلك الصياماتُ صياماتٍ كاملةً؛ لأنّ الحجّ المأمور به حجّ تامّ على ما قال: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾. وهذه الصيامات جُبرانات عن الخَلَل الواقع في[٦] ذلك الحجّ، فلتكن هذه الصيامات صياماتٍ كاملةً حتّى يكون جابرًا للخَلَل[٧] الواقع في ذلك الحجّ الذي يجب أن يكون تامًّا كاملًا، والمراد بكون هذه الصياماتِ كاملةً ما ذكرنا في بيان كون الحجّ تامًّا، وإنّما عدل عن لفظ الأمر إلى لفظ الخبر لأنّ التكليف بالشيء إذا كان متأكِّدًا جدًّا

---

[١] ر – من.
[٢] مِن قوله "الوجه الثالث أنّ قوله تعالى" إلى هنا في تفسير الرازي، ١٦٩/٥ (البقرة، ١٩٦/٢).
[٣] ر – غير.
[٤] ن + هو.
[٥] ن – الثاني.
[٦] ر: و.
[٧] ر: التحلل.

وقيل: ﴿كَامِلَةٌ﴾ في وقوعها بدلًا من الهَدْيِ.

وفي قراءةِ أبيّ: "فصيام ثلاثةِ أيام متتابعاتٍ".

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى التمتُّع عند أبي حنيفةَ وأصحابه، لا متعةَ ولا قرانَ لحاضري المسجد الحرام عندهم، ومَن تمتَّعَ منهم أو قَرَن كان عليه دمٌ وهو دمُ جنايةٍ لا يأكلُ منه، وأمَّا القارنُ والمتمتّع من أهل الآفاق فدمُهما دمُ نُسُك يأكلان منه.

---

فالظاهر دخول المكلَّف به في الوجود، فلهذا السبب جاز أن يُجعَل الإخبار عن الشيء بالوقوع كنايةً عن تأكُّد الأمر به[1] ومبالغةِ الشرع في إيجابه.[2]

قوله: (**وقيل**: ﴿كَامِلَةٌ﴾) هذا هو الجواب **الثالث**، وتقريرُه: أنّ المعتاد أن يكون البدل أضعفَ حالًا مِن المُبدل، كما في التيمُّم مع الماء، فالله تعالى بيَّن أنّ هذا البدل ليس كذلك؛ بل هو كامل في كونه قائمًا مقامَ المبدل، فيكون الفاقد للهدى المتحمِّل لكلفة الصوم ساكنَ النفس إلى ما حصل له مِن الإجزاء[3] الكامل مِن عند الله تعالى. وتظهر هنا فائدة ذِكر العشرة مِن وجه آخرَ، وهو أنّه إنّما أتيَ به لصحّة التوصُّل به إلى قوله: ﴿كَامِلَةٌ﴾ لأنّه لو قال: "تلك كاملة" جُوِّز أن يراد به الثلاثة المفردة عن السبعة أو السبعة المفردة عن الثلاثة، فلا بدّ في هذا مِن ذِكر العشرة. ثمّ إنّ بيان الكمال يحتمل وجهين: **الأوّل** أنّها كاملة في أنّ ثواب صاحبها كامل مثل ثواب مَن يأتي بالهدي مِن القادرين عليه، **والثاني** أنّها كاملة في أنّ حجّ المتمتّع إذا أتى بهذا الصيام يكون كاملًا مثل حجّ مَن لم يأتِ بهذا التمتُّع.[4]

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أقربُ الأمور المذكورة ذِكر ما يلزم المتمتّع مِن الهَدْي وبدلِه، وأبعد منه ذِكر تمتُّعهم، فلهذا السبب اختلفوا:

---

[1] ن ر - به.

[2] مِن قوله: "أنّ اللفظ" إلى هنا في تفسير الرازي، ١٧٠/٥ (البقرة، ١٩٦/٢).

[3] ن: الأجر؛ ر: الجزاء.

[4] مِن قوله: "أنّ المعتاد" إلى هنا في تفسير الرازي، ١٦٨/٥-١٦٩ (البقرة، ١٩٦/٢).

وعند الشافعيّ رحمه الله: إشارةٌ إلى الحُكم الذي هو وجوبُ الهدي أو الصيام، ولم يوجِب عليهم شيئًا.

وحاضِرُو المسجد الحرام: أهلُ المواقيت فمَن دونها إلى مكةَ عند أبي حنيفة

---

فقال الشافعي:[١] إنّه راجع إلى الأقرب وهو أنّ[٢] لزوم الهَدْي وبدلِه على المتمتّع إنّما يكون إذا لم يكن المتمتّع مِن حاضري[٣] المسجد الحرام، فأمّا إذا كان مِن أهل الحرم فإنّه لا يلزمه الهَدْي ولا بدله، وذلك لأنّ عند الشافعي هذا الهَدْي إنّما لزم الآفاقيّ،[٤] لأنّه[٥] كان مِن الواجب[٦] عليه أن يُحرِم عن الحجّ مِن المِيقات، فلمّا أحرَم مِن المِيقات عن العمرة، ثمّ أخّره[٧] عن الحجّ لا[٨] مِن المِيقات فقد حصل هناك الخَلَل، فجُعل مجبورًا بهذا الدمّ، والمكيّ لا يجب عليه أن يُحرِم[٩] مِن الميقات، فإحرامه على طريق التمتُّع لا يُوقِع خَلَلًا في حجّه فلا جرمَ[١٠] لا يجب عليه الهَدْيُ ولا بدله.

وقال أبو حنيفة:[١١] إنّ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾[١٢] إشارة إلى الأبعد، وهو ذِكر التمتُّع، وعنده لا متعةَ ولا قِران لحاضر المسجد الحرام، ومَن تمتّع أو قارَن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه.

حجّة الشافعي[١٣] أنّ قوله: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ / عامّ يدخل فيه الحَرَميّ. [٢١٨ظ]
وأيضًا أنّ[١٤] الله تعالى شرع القِران والمُتعة لنسخ ما كان عليه أهل الجاهليّة في تحريمهم العمرة في أشهر الحجّ، والنسخُ يثبُت في حقّ[١٥] الناس كافّة.

واختلف العلماء في المراد بـ﴿حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: فقال مالك:[١٦] هم أهل مكّة وأهل ذي طُوًى. وقال أبو حنيفة: أهل المواقيت، وهي ذو الحُليفة

---

١ ر + رضي الله عنه.
٢ ن – أنّ.
٣ ر: حاضر.
٤ ن ر: إلّا في.
٥ ن ر: الآية.
٦ ن ر – الواجب.
٧ ن ر: أحرم.
٨ ن ر – لا.
٩ ن + عليه.
١٠ ن: يحرم.
١١ ن ر + رحمه الله.
١٢ ن ر – ﴿ذَٰلِكَ﴾.
١٣ ن + رحمه الله؛ ر + رضي الله عنه.
١٤ ن ر: إن شاء.
١٥ ن ر – حقّ.
١٦ ن + رحمه الله؛ ر + رضي الله عنه.

رحمه الله، وعند الشافعي رحمه الله: أهلُ الحرم ومَن كان من الحرم على مسافةٍ لا تُقصَر فيها الصلاة.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في المحافظةِ على حدوده وما أمَرَكم به ونهاكم عنه في الحجِ وغيره ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لمن خالَفَ؛ ليكون علمُكم بشدَّة عقابه لطفًا لكم في التَّقوى.

﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾

أي: وقتُ الحج ﴿أَشۡهُرٞ﴾؛ كقولك: البَرْدُ شهران، ..........................

---

والجُحفة ويَلَمْلَم وقَرَن وذات عِرق. وقال الشافعيّ:[1] هم الذين يكونون على أقلَّ مِن مسافة القَصْر مِن مكّة، فإن كانوا على مسافة القَصْر فليسوا مِن الحاضرين، لأنّ الحاضر ضدّ المسافر، فكلُّ مَن لم يكن مسافرًا كان حاضرًا. ولمّا كان حُكم السفر إنّما يثبت في مسافة القصر فكلُّ مَن كان دون مسافة القَصْر لم يكن مسافرًا وكان حاضرًا.[2]

قوله: (على مسافة) اختلف النُّسخ هنا: ففي بعضها بإثبات لفظ "لا" قبل "على" وحذفها قبل (تُقصَر)، هكذا "لا على مسافة تُقصَر". وفي بعضها بالعكس، هكذا "على مسافة لا تُقصَر".

قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾ مِن المعلوم بالضرورة أنّ الحجّ ليس نفس الأشهر، فلا بدّ هنا[3] مِن تأويل، وفيه وجوه: أحدُها أنّ التقدير "وقتُ الحجّ أو "أشهرُ الحجّ أشهرٌ". والثاني أنّ التقدير "الحجُّ حجّ أشهر"، أي: لا حجّ إلّا في هذه الأشهر، لا يجوز في غيرها، كما كان أهل الجاهليّة يستجيزونها في غيرها مِن الأشهر، فحُذف المصدر المضاف إلى الأشهر.

---

[1] ن + رحمه الله؛ ر + رضي الله عنه.

[2] مِن قوله: "أقرب الأمور المذكورة" إلى هنا في تفسير الرازي، ١٧١/٥-١٧٢ (البقرة، ١٩٦/٢).

[3] ر - هنا.

والأشـهُرُ المعلومـات: شـوالٌ وذو القعـدة وعشـرُ ذي الحجـة عنـد أبـي حنيفـة رحمـه الله، وعنـد الشـافعي رحمـه الله: تسـعُ ذي الحجـة وليلـةُ يـوم النحـر، وعنـد مالـك رحمـه الله: ذو الحجـة كلُّـه.

**فإن قلتَ**: ما فائدةُ توقيت الحج بهذه الأشهر؟

---

**والثالث** يمكن تقرير معنى الآية مِن غير إضمار، وهو أن يقال: جعل الأشهر نفسَ الحجّ لمّا كان الحجّ فيها، كقولهم: "ليلُه قائمٌ ونهارُه صائم".[١]

قوله: **(والأشهرُ المعلومات)**... إلخ، أجمع المفسِّرون على أنّ شوال وذا القعدة مِن أشهر الحجّ، واختلفوا في ذي الحجّة:[٢] فقال أبو حنيفةَ:[٣] العشر الأوّل مِن ذي الحجّة مِن أشهر الحجّ، واحتجّوا عليه بوجهين: **الأوّل** أنّ مِن المفسّرين[٤] مَن زعم أنّ يوم الحجّ الأكبر يوم النحر، **والثاني** أنّ يوم النحر وقت لركن مِن أركان الحجّ، وهو طواف الزيارة. وقال الشافعي:[٥] التسعة الأولى مِن ذي الحجّة مع ليلة النحر مِن أشهر الحجّ؛ لأنّ الحجّ يفوت بطلوع الفجر يوم النحر والعبادة لا تكون فائتة مع بقاء وقتها. وقال عروةُ بن الزبير: إنّ ذا الحجّة بكليّته مِن أشهر الحجّ، وإليه ذهب مالك. واحتجّا عليه بوجهين: **الأوّل** ذِكر "الأشهر" بلفظ الجمع وأقلّه ثلاثة. وجوابه ما ذَكَر[٦] المصنِّف. **الثاني** أنّ أيّام النحر يُفعل فيها بعضُ ما يتّصل بالحجّ وهو رميُ الجِمار، والمرأةُ إذا حاضتْ فقد تؤخِّر الطواف الذي لابدّ منه إلى انقضاء أيّام بعد العشر. والجواب أنّ رمي الجمار يفعله الإنسان وقد حلّ بالحَلْق والطواف وتجرّد مِن إحرامه، فكأنّه ليس مِن أعمال الحجّ، والحائض إذا طافت بعده فكأنّه في حُكم القضاء لا في حُكم الأداء.[٧]

---

١ مِن قوله: "مِن المعلوم بالضرورة" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ١٧٣/٥ (البقرة، ١٩٧/٢).

٢ ر: القعدة.

٣ ن + رحمه الله.

٤ ر: العشرين.

٥ ر + رضي الله عنه.

٦ ر: ذكره.

٧ مِن قوله: "أجمع المفسِّرون" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ١٧٣/٥-١٧٤ (البقرة، ١٩٧/٢).

**قلتُ**: فائدتُه أن شيئًا من أفعال الحج لا يصحُّ إلا فيها، والإحرامُ بالحج لا ينعقد أيضًا عند الشافعيّ في غيرها، وعند أبي حنيفة ينعقد إلا أنه مكروه.

**فإن قلتَ**: فكيف كان الشهران وبعضُ الثالث أَشْهُرًا؟

---

قوله تعالى: ﴿مَعْلُومَٰتٌ﴾ فيه وجوه: **الأوّل** أنّ الحجّ إنّما يكون في السنة مرّة واحدة في أشهر معلومات مِن شهورها، وليس كالعمرة التي يُؤتى بها في السنة مرارًا، وأحوالهم في معرفة تلك الأشهر على ما كانوا علموه[1] قبل نزول هذا، والشرع لم يأتِ على خلاف ما عرفوا وإنّما جاء مقرِّرًا له. **الثاني** المراد بها معلوماتٌ ببيان الرسول عليه السلام. **الثالث** المراد بها[2] أنّها مؤقّتة / في [٢١٩و] أوقات معيّنة، لا يجوز تقديمها ولا تأخيرها، لا كما يفعله الذي أُنزل فيهم ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة ٩/٣٧].[3] وسنقرّر معناه إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ معنى "فرض" في اللغة: ألزَمَ وأوجَبَ. يقال: "فرضتُ عليك كذا"، أي: أوجبتُه. واعلم أنّ في هذه الآية حذفًا، والتقدير "فمَن ألزَم نفسه فيهنّ الحجّ"، والمرادُ بهذا الفرضِ ما به يصير المُحرِم مُحرِمًا، إذ لا خلافَ في أنّه لا يصير حاجًّا[4] ومُحرِمًا[5] إلّا بفعل يفعله، فيخرج عن أن يكون حلالًا ويحرم عليه الصيد والطيب والنساء واللبس إلى غير ذلك، ولأجل[6] تحرُّم[7] هذه الأمور عليه سُمّي مُحرِمًا لأنّه فعل ما حرَّم به هذه الأشياء على نفسه، ولهذا السبب أيضًا سُمّيت البقعة حرامًا لأنّه يحرُم بالكَون فيها ما لولاه لكان لا يحرُم. فقوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ يدلُّ على أنّه لا بدّ للمُحرِم مِن فعل يفعله لأجله يصير حاجًّا ومُحرِمًا. ثمّ اختلف الفقهاء في أنّ ذلك الفعل ما هو:

---

١ ر: عملوه.
٢ ن ر – معلوماتٌ ببيان الرسول عليه السلام. الثالث المراد بها.
٣ مِن قوله: "فيه وجوه" إلى هنا في تفسير الرازي، ٥/١٧٤ (البقرة، ٢/١٩٧).
٤ ر: المحرم.
٥ ر + إذ لا خلاف.
٦ ر: ولا.
٧ ن: تحريم.

**قلتُ**: اسم الجمع يشترِكُ فيه ما وراء الواحد، بدليلِ قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم ٦٦/٤] فلا سؤال فيه إذن، وإنما كان يكون موضعًا للسؤال لو قيل: ثلاثةُ أشهرٍ معلومات.

وقيل: نُزِّلَ بعضُ الشهر منزلةَ كلِّه؛ كما يقال: رأيتُك سنةَ كذا، أو: على عهدِ فلان، ولعل العهد عشرون سنةً أو أكثرُ، وإنما رآه في ساعةٍ منها.

**فإن قلتَ**: ما وجهُ مذهبِ مالكٍ، وهو مرويٌّ عن عُروةَ بن الزبير؟

---

قال الشافعي:[١] إنّه ينعقد الإحرام بمجرّد النيّة مِن غير حاجة إلى التلبية لظاهر قوله عليه السلام: «لكلّ امرئ ما نوى»،[٢] ولأنّ ابتداء الحجّ كفّ عن المحظورات، فيصحّ الشروع فيه بمجرّد النيّة كالصوم، وإنّما احتيج للشروع في[٣] الصلاة إلى التكبير لدليل خارجيّ، وهو قوله عليه السلام: «وتحريمُها التكبير».[٤]

وقال أبو حنيفةَ: لا يصحُّ الشروع في الإحرام بمجرّد النيّة حتّى ينضمّ إليها التلبية أو سَوق الهدي، لِما روى أبو منصور الماتريدي في **تفسيره** عن عائشةَ رضي الله عنها[٥] أنّها قالت: «لا يُحرم إلّا مَن أهلَّ أو لبّى»،[٦] ولأنّ الحجّ عبادة لها تحليل[٧] وتحريم، فلا يُشرع فيه بنفس النيّة كالصلاة.[٨]

قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ «قال الحسن: المراد مِن الرَّفَث كلّ ما يتعلّق بالجماع، فالرَّفَث باللسان ذِكرُ المجامعة وما يتعلّق بها، والرَّفَث باليد اللمسُ والغمز، والرَّفَث بالفرج الجماعُ».[٩] وقال عطاء عن ابن عبّاس: «هو التعريض بذِكر الجماع».[١٠] قال أبو عليّ في **الحجّة**:

---

١ ر + رضي الله عنه.

٢ **صحيح البخاري**، ٦/١ (١)؛ **صحيح مسلم**، ١٥١٥/٣ (١٩٠٧).

٣ ن – في.

٤ **مسند أحمد**، ٢٩٢/٢ (١٠٠٦)؛ **سنن أبي داود**، ٤٥/١ (٦١)؛ **سنن الترمذي**، ٨/١ (٣).

٥ د – رضي الله عنها.

٦ انظر: **تأويلات القرآن** للماتريدي، ٣٩٩/١ (البقرة، ١٩٧/٢).

٧ ن: تحلُّل.

٨ مِن قوله: "معنى فرض" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ١٧٥/٥-١٧٦ (البقرة، ١٩٧/٢).

٩ **تفسير الرازي**، ١٧٧/٥ (البقرة، ١٩٧/٢).

١٠ ن ر – وقال عطاء عن ابن عبّاس: «هو التعريض بذِكر الجماع». | **جامع البيان** للطبري، ٤٥٨/٣ (البقرة، ١٩٧/٢).

**قلتُ: قالوا: وجهه: أن العمرة غيرُ مستحبَّةٍ فيها عند عمرَ وابنِ عمرَ رضي الله عنهما، فكأنّها مُخلَصَةٌ للحج لا مجالَ فيها للعمرة.**

---

ينبغي أن يكون مراده بذِكر الجماع مع النساء، لأنّ التعريض يقتضي معرَّضًا له، ولأنّه قد رُوي عنه أنّه كان يطوف بالبيت، وينشد:

وهـنّ يـمـشـينَ بـنـا هَـمـيسا إن تـصـدقِ الـطـير نَـنِـكْ لَميسا[١]

فقيل له: أترفُث؟ فقال: ليس هذا برفث إنّما الرفث مراجعةُ النساء الحديثَ بذِكر الجماع.[٢]

وقيل: الرفث هو قول الخنا والفُحش.[٣] واحتجُّوا عليه بالخبر واللغة: أمّا الخبر فقوله عليه السلام: «إذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفُث ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمه فليقُل: إنّي صائم»،[٤] ومعلوم أنّ الرفث هنا لا يحتمل إلّا قول الخنا والفُحش. وأمّا اللغة فقال أبو عبيدة:[٥] «﴿لَا رَفَثَ﴾، أي: لا لَغَا مِن الكلام».[٦] واللغا: التكلُّم بما لا ينبغي، تقول: "لَغِيتَ تَلْغى" مثل "لَقِيتَ تلقى".

وأمّا "الفسوق" فاعلم أنّ "الفِسق" و"الفُسوق" واحدٌ، وهما مصدران لـ"فسَق يفسُق"، وقد ذكرنا فيما قبل أنّ الفِسق[٧] هو" الخروج عن الطاعة. واختلف المفسِّرون: فأكثر المحقِّقين حملوه على كلّ المعاصي، قالوا: لأنّ اللفظ صالح للكلّ ومتناول له، والنهيُ / عن الشيء يُوجِب الانتهاء عن جميع أنواعه، وهذا متأكّد بقوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف ١٨/٥٠]، وذهب بعضُهم إلى أنّ المراد بعض الأنواع، ثمّ ذكروا وجوهًا: **الأوّل** أنّ المراد منه السِّباب، واحتجُّوا عليه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات ٤٩/١١]، وبقوله عليه السلام: «سِبابُ المسلم فسوق»،[٨] [٢١٩ظ]

---

١ مضى بتخريجه في سورة البقرة، ٢/٢٨٧.

٢ انظر: **الحجّة** للفارسي، ٢/٢٨٨. ومضى الحديث بتخريجه في سورة البقرة، ٢/٢٨٧.

٣ انظر: **جامع البيان** للطبري، ٣/٤٦٩ (البقرة، ٢/١٩٧).

٤ بلفظ قريب في **صحيح البخاري**، ٣/٢٤ (١٨٩٤)؛ و**صحيح مسلم**، ٢/٨٠٦ (١١٥١).

٥ ر: عبيد.

٦ **مجاز القرآن** لأبي عبيدة، ١/٧٠.

٧ ن ر - و"الفُسوق" واحدٌ، وهما مصدران لـ"فسَق يفسُق"، وقد ذكرنا فيما قبل أنّ الفِسق.

٨ **صحيح البخاري**، ١/١٩ (٤٨)؛ **صحيح مسلم**، ١/٨١ (١١٦).

وعن عمر رضي الله عنه: أنه كان يَخْفِقُ الناسَ بالدُّرَّةِ وينهاهم عن الاعتمار فيهنَّ.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّهُ قال لرجل: إنْ أطَعْتَني انتظرتَ حتى إذا أهلَلْتَ المحرَّم خرجتَ إلى ذاتِ عرقٍ فأهللتَ منها بعُمرةٍ.

وقالوا: لعلَّ من مذهب عُروةَ جوازَ تأخير طوافِ الزيارة إلى آخر الشهر.

﴿مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾: معروفاتٌ عند الناس لا يُشكِلْنَ عليهم، وفيه: أن الشرعَ لم يأت على خلاف ما عرفوه، وإنَّما جاء مقرِّرًا له.

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ﴾: فمَن ألزمه نَفْسَه بالتلبية أو بتقليدِ الهَدْيِ وسَوْقِهِ عند أبي حنيفةَ رحمه الله، وعند الشافعي رحمه الله بالنيَّة.

﴿فَلَا رَفَثَ﴾: فلا جماعَ لأنَّه يُفسده، أو: فلا فُحْشَ من الكلام.

﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: ولا خروج عن حدود الشريعة.

---

والثاني أنّ المراد منه الإيذاءُ والإيحاش، قال تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ﴾ [البقرة ٢/٢٨٢]، **والثالث** قال ابن زيد هو الذبح للأصنام،[1] فإنّهم كانوا في حجّهم يذبحون لأجل الأصنام، **والرابع** قال ابن عمرَ: إنّه العاصي في قَتْل الصيد وغيره ممّا يمنع الإحرامُ منه،[2] **والخامس** أنّ الفسق هو الجماع ومقدّماته على سبيل الزنا، **والسادس** قال محمّد بن جرير الطبري: الفسوق هو العزم على الحجّ إذا لم يعزِم على تَرْك محظوراته.[3]

وأمّا "الجدال" فهو "فِعال" مِن الجَدْل الذي هو الفَتْل، يقال: "زِمام مجدول" و"جديل"، أي: مفتول، والجديل: اسم للزِّمام؛ لأنّه لا يكون إلّا مفتولًا. وسُمّيت المخاصمة مجادلةً لأنّ كلّ واحد مِن الخصمين يروم أن يَفتُل صاحبه عن رأيه.[4]

---

١ انظر: **جامع البيان للطبري**، ٤٧٥/٣ (البقرة، ١٩٧/٢).

٢ انظر: **جامع البيان للطبري**، ٤٧٣/٣ (البقرة، ١٩٧/٢).

٣ انظر: **جامع البيان للطبري**، ٤٧٦/٣ (البقرة، ١٩٧/٢).

٤ هنا في د موضع بياض صحيح. وفي هامشها: قال مجد الدِّين تلميذ صاحب الحاشية: جَمَع صاحب الحاشية إلى هذا الموضع، وبعده إلى آخر الكشّاف جمعتُ مِن حاشيته. | ن ر + وذكر المفسّرون وجوهًا. | مِن قوله: "وقيل الرفث" إلى هنا في **تفسير الرازي**، ١٧٧/٥-١٧٨ (البقرة، ١٩٧/٢).

وقيل: هو السُّباب والتنابزُ بالألقاب.

﴿وَلَا جِدَالَ﴾: ولا مراءَ مع الرفقاء والخدم والمُكَارِين.

وإنَّما أمر باجتناب ذلك -وهو واجبُ الاجتناب في كلِّ حال- لأنَّه مع الحجِ أسْمَجُ؛ كلُبس الحرير في الصَّلاة، والتطريبِ في قراءة القرآن.

والمرادُ بالنفي: وجوبُ انتفائها، وأنها حقيقةٌ بأنْ لا تكون.

وقرئ المنفيَّاتُ الثلاثة بالنصب وبالرفع، وقرأ أبو عمرٍو وابن كثير الأوَّلَين بالرفع والآخِرَ بالنصب؛ لأنهما حملا الأوَّلَين على معنى النهي؛ كأنه قيل: فلا يكونَنَّ رَفَثٌ ولا فسوقٌ، والثالثَ على معنى الإخبارِ بانتفاء الجدال؛ كأنه قيل: ولا شكَّ ولا خلافَ في الحج، وذلك أن قريشًا كانت تُخالفُ سائرَ العرب فتقفُ بالمشعر الحرام وسائرُ العرب يقفون بعرفة، وكانوا يقدِّمون الحجَّ سنةً ويؤخِّرونه سنةً وهو النَّسيء، ......................................

---

قوله: (أسمَجُ)، أي: أقبَحُ.

قوله: (والتطريبِ) التطريبُ في الصوت: مدُّه وتحسينه.

قوله: (وقرئ المنفيّات الثلاث بالنصب)،[١] أي: بالفتح، سبعةٌ.[٢]

قوله: (وبالرفع) شاذّ.[٣]

وقوله: (وقرأ أبو عمرو) سبعة.[٤]

وقوله: (بالنصب)، أي: بالفتح.

قوله: (وكانوا)، أي: قريش.

قوله: (وهو النسيء) النسيء "فعيل" بمعنى مفعول مِن قولك: "نسأتُ الشيء" فهو منسوء إذا أخَّرتَه، ثمّ يُحوَّل "منسوء" إلى "نسيء" كما يحوَّل "مقتول"

---

١ قرأ بها نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم وخلف. النشر لابن الجزري، ٢/٢١١.

٢ وفي هامش د: أي: قراءة سبعة.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن شيبة وابن مِقسَم. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٤٩٨.

٤ انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢١١.

فرُدَّ إلى وقتٍ واحدٍ، ورُدَّ الوقوفُ إلى عرفةَ، فأخبر الله تعالى أنّه قد ارتفع الخلاف في الحج.

واستُدلَّ على أن المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم: «مَن حجَّ ولم يرفُث ولم يفسُقْ خرجَ كهَيْئةِ يومَ ولدَتْه أمُّه» وأنّه لم يذكرِ الجدال.

---

إلى[1] "قتيل"، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾. وذلك أنّهم كانوا إذا صدروا مِن منى يقوم[2] رجل مِن كنانة فيقول: "أنا الذي لا يردُّ لي[3] قضاءٌ"، فيقولون: "أنسئنا شهرًا"، أي: أخِّر[4] عنّا حرمة المحرَّم واجعلها[5] في صفر؛ لأنّهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يُغِيرون فيها، لأنّ معاشهم كان مِن الغارة، فيُحلّ لهم المحرَّم.[6]

كان أهل الجاهليّة يُنسئون الحجّ في كلّ عامين مِن شهر إلى آخر ويجعلون الشهر الذي أنسئوا فيه ملغًى، فتكون تلك السنة ثلاثةَ عشرَ شهرًا ويتركون العام الثاني على ما كان عليه الأوّل، سوى أنّ الشهر الملغى في الأوّل لا يكون ملغًى في العام الثاني، ثمّ يصنعون في العام الثالث صنيعهم[7] في الأوّل، ويتركون الرابع على ما تركوا عليه العام الثاني، وعلى هذا تمام الدور، فيستدير حجُّهم في كلّ خمس وعشرين سنة إلى الشهر الذي بدأ منه، ولهذا تخبَّط[8] عليهم حساب السنة، وكانت السنة التي حجّ فيه الرسول عليه السلام حجّةَ الوداع هي السنة التي كان الحجّ فيها في ذي الحجّة، فقال عليه السلام: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يومَ خلق الله السمواتِ والأرضَ اثنا عشر شهرًا»،[9] يعني أنّ حساب السنة قد استقام ورجع إلى الأصل الموضوع يومَ خلق الله السموات والأرض.

---

١ ن ر: أو.

٢ د ر: يقول.

٣ د ر: يردّني. | وما أثبتُّ هو الموافق لِما في مطبوع **الصحاح**، والأليق بالسياق.

٤ ر: أخرنا.

٥ ن: واجعلنا.

٦ من قوله: "النسيء فعيل" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «نسأ».

٧ ر: ضيعتم.

٨ ر: اختلط.

٩ **صحيح البخاري**، ٦٦/٦ (٤٦٦٢)؛ **صحيح مسلم**، ١٣٠٥/٣ (١٦٧٩).

﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾: حثٌّ على الخير عقيبَ النهي عن الشرِّ، وأن يستعملوا مكان القبيحِ من الكلام الحَسنَ، ومكان الفسوقِ البِرَّ والتقوى، ومكانَ الجدال الوِفاقَ والأخلاقَ الجميلة، أو جُعِل فعلُ الخير عبارةً عن ضبطِ أنفسهم حتى لا يوجَدَ منهم ما نُهوا عنه، وينصرُه قولُه تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي: اجعلوا زادكم إلى الآخرةِ اتِّقاءَ القبائح فإنَّ خيرَ الزاد اتِّقاؤها.

وقيل: كان أهلُ اليمن لا يتزوَّدون، ويقولون: نحن متوكِّلون ونحن نَحُجُّ بيتَ الله أفلا يُطْعِمُنا؟ ..........................

---

وقوله: «السنة اثنا عشر شهرًا» تأكيد في إبطال أمر النسيء، فإنّهم كانوا يجعلون السنة الأولى مِن كلّ سنتين ثلاثةَ عشرَ شهرًا كما مرّ.[1] وقول المصنِّف: (**يقدِّمون الحجّ سنةً ويؤخِّرون سنةً**) محمولٌ على ما ذكرنا؛ لأنّ في بعض[2] هذه الأحوال يقع قبل ذي الحجّة، أي: قبل وقت الحجّ، وفي بعضها يقع بعدها.

[٢٢٠و] قوله: (**حثٌّ على الخير**) إلى قوله: (**الأخلاق الجميلة**) يعني يجوز / أن يكون المراد بالنهي في ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ فعل الضدّ، ويكون ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ بيانه.[3]

قوله: (**أو جُعل فعلُ الخير**)... إلخ، يعني يجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾... إلخ، كفُّ النفسِ، ويكون ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ بيانه.[4] تأمّل فيه وفي قول المصنِّف: (**وينصرُه**)... إلخ، فإنّه كلام حسن دقيق. وقوله: (**وأن يستعملوا**)[5] هذا عطف على قوله: "الخيرِ" وهو بيان "الخير"... إلخ، ومثلُه كثيرٌ، ومنه ما قال المُطرّزيّ في **المُغرِب**: التماثيل هو التصاوير، وأمّا قولهم: ويُكره التصاوير والتماثيل فالعطف[6] للبيان.[7]

---

[1] من قوله: "كان أهل الجاهلية" إلى هنا بلفظ قريب في **الميسر في شرح مصابيح السنّة** للتوربشتي، ٢/٦٢٥-٦٢٦.
[2] ن ر - بعض.
[3] ن: بيانيّة.
[4] ن: بيانيّة.
[5] ن ر: سيعلموا.
[6] ن ر + فيه.
[7] انظر: **المُغرِب** للمطرزي، «مثل».

فيكونون كَلًّا على الناس، فنزلت فيهم، ومعناه: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ واتَّقوا الاستطعامَ وإِبْرامَ الناس والتثقيلَ عليهم ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

﴿وَٱتَّقُونِ﴾: وخافوا عقابي ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يعني: أن قضيَّة اللُّبِّ تقوى اللهِ، ومَن لم يتَّقِه من الألبَّاء فكأنَّه لا لُبَّ له.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨﴾

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾: عطاءً منه وتفضُّلًا، وهو النَّفعُ والرِّبحُ بالتجارة، وكان ناسٌ من العرب يَتأثَّمونَ أن يتَّجروا أيَّامَ الحج، وإذا دخل العشرُ كفُّوا عن البيع والشراء فلم يَقُم لهم سُوقٌ، ويُسَمُّون مَن يخرج بالتِّجارة: الدَّاجَّ، ويقولون: هؤلاء الدَّاجُّ وليسوا بالحاجِّ.

---

قوله: "وينصره" لأنَّ التقوى مِن الوقاية، وهو ضبط النفس.

قوله: (كَلًّا)، أي: ثِقلًا وعِيالًا.

قوله: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ يعني ما تكفُّون[1] به وجوهكم عن السؤال وأنفسكم عن الظلم.

قوله: (يتأثَّمون)، أي: يتحنَّثون ويتحرَّجون في أن يتَّجروا،[2] والمراد بتحنُّث الإثم في تجارتهم أنَّهم كانوا لا يتَّجرون لئلَّا يقعوا في الإثم بالتجارة،[3] لظنِّهم أنَّ التجارة لا تجوز للحاجّ. وتحقيقه أنَّه ضمَّن يتأثَّمون معنى يتحنَّثون، أي: يتحنَّثون التجارة متأثِّمين.

قوله: (الداجُّ) «الداجّ: الأعوان والمكّارون»،[4] «قال أبو عبيدة: الداجّ: الذين يكونون مع الحاجّ، مثل الأجير والجمّالين والخدم وأشباههم. قال الأصمعيّ: إنّما قيل لهم: داجّ، لأنّهم يدجُّون على الأرض، أي: يدبُّون».[5]

---

١ ن: تقون؛ ر: يكون.

٢ ر: يتخذوا.

٣ ر: في التجارة.

٤ الصحاح للجوهري، «دجج».

٥ ر: يدكون. | غريب الحديث لأبي عبيد، ٢٧٥/٥.

وقيل: كانت عُكاظٌ ومَجَنَّةُ وذُو المَجازِ أسْواقَهم في الجاهليَّة يتَّجرون فيها في أيَّام الموسِم، وكانت معايشُهم منها، فلمَّا جاء الإسلام تأثَّموا، فرُفع عنهم الجناحُ في ذلك وأُبيح لهم، وإنما يُباح ما لم يَشغَلْ عن العبادة.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلًا قال له: إنَّا قومٌ نُكرِي في هذا الوجه، وإنَّ قومًا يزعمون أنْ لا حجَّ لنا! فقال: سأل رجلٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم عمَّا سألتَ فلمْ يَرُدَّ عليه حتَّى نزل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ فدعا به فقال: «أنتم حُجاجٌ».

وعن عمر رضي الله عنه أنَّه قيل له: هل كنتُم تكرهون التجارةَ في الحج؟ فقال: وهل كانت معايشُنا إلَّا من التجارة في الحج؟!

وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: "فضلًا من ربِّكم في مواسمِ الحج".

﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾: في أن تبتغوا.

﴿أَفَضْتُم﴾: دفعتُم بكثرةٍ، وهو من إفاضةِ الماءِ: وهو صبُّهُ بكثرةٍ، وأصله: أفضتُم أنفسَكم، فتُركَ ذكرُ المفعول كما تُرك في: دفعوا من موضع كذا وصبُّوا، وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه: صبَّ في دَقْرَانَ ..........................

---

قوله: (في هذا الوجهِ)، أي: في وجه مكّة، أي: في جانبها وجهتها.[1]

قوله: (فقال)، أي: ابن عمرَ.

قوله: (فلم يردّ عليه)، أي: لم يُجبه.

قوله: (كما تُرك في "دفعوا")، أي: إبلهم.

قوله: (صبّ في دَقْران)، أي: صبّ النبيّ[2] عليه السلام نفسه في دقران، وهو موضع، قال في المُغرِب: «فلمّا انصبّت قدماه في الوادي، أي: استقرّتا، مستعار مِن انصباب الماء».[3]

---

[1] ر: أو جهتها.
[2] ن: الذي.
[3] المُغرِب للمطرزي، «صبب».

وهو يَخْرِشُ بعيرَه بِمِحْجَنِه. ويقال: أفاضوا في الحديث وهضَبوا فيه.

و﴿عَرَفَٰتٍ﴾ عَلَمٌ للموقف سُمِّي بجَمْعٍ كأذْرِعاتٍ.

**فإن قلتَ**: هلا مُنعت الصرفَ وفيها السببان: التعريفُ والتأنيثُ؟

**قلتُ**: لا يخلو التأنيثُ: إمَّا أن يكون بالتاء التي في لفظها، وإما بتاءٍ مقدَّرة كما في "سعادَ"، فالتي في لفظها ليست للتأنيث وإنما هي مع الألِفِ التي قبلَها علامةُ جمعِ المؤنَّث، ولا يصحُّ تقدير التاء فيها لأن هذه التاءَ -لاختصاصها بجمع المؤنَّث- مانعةٌ من تقديرها؛ كما لا تُقدَّرُ تاءُ التَّأنيث في "بنتٍ" لأن التاء التي هي بدلٌ من الواو -لاختصاصِها بالمؤنَّث- كتاءِ التأنيث فأبَتْ تقديرَها.

---

قوله: (وهو)، أي: النبيّ.

قوله:[1] («يخرِش بعيره»)،[2] أي: يُحكُّه بعُصيَّته، خَرْشُ البعير أن يضربه بالمِحجن، ثمّ يجتذبه[3] وهو قريب مِن الخَدْش، أراد أنّه أسرع السير في إفاضته.

قوله: (وهضبوا فيه)، أي: خاضوا فيه ودخلوا فيه.[4] يقال: "هضب القوم في الحديث واهتضبوا"، أي: أفاضوا فيه وارتفعت أصواتهم. يقال: "اهضِبوا يا قوم"، أي: تكلَّموا، وهو مِن قولهم: "هضَبتهم السماء"، أي: مَطَرتهم. كما أنّ "أفاض" في الحديث مِن إفاضة الماء. والهَضْبة: المَطْرة، والجمعُ هِضَبٌ، مثل "بدرة وبِدَرٍ".[5]

قوله: (كـ"أذرِعات") عَلَم هضبات بالشام.

قوله: (علامةُ جمعِ المؤنَّث) والسبب المانع للصرف هو التأنيث المجرَّد، وهذه "التاء" ليست كذلك لأنّه علامة جمع المؤنَّث، فيكون منصرفًا. وغيرُ المصنِّف يقول:[6] هو[7] غيرُ منصرِف[8] والتنوين فيه تنوين المقابلة لا تنوين التمكُّن، فلا يمتنع دخوله[9] غيرَ المنصرف.

---

١ ن + وهو.
٢ المصنّف لابن أبي شيبة، ٢٤٦/٣ (١٣٨٨٣).
٣ ر: يحديه.
٤ ن ر – ودخلوا فيه.
٥ انظر: الصحاح للجوهري، «هضب».
٦ ر: بقوله.
٧ ن ر – هو.
٨ ن ر: المنصرف.
٩ ر: دخول.

**وقالوا: سمِيت بذلك لأنها وُصفت لإبراهيم عليه السلام، فلمَّا أبصرَها عرَفها.**

**وقيل: إن جبريلَ عليه السلام حين كان يدورُ به في المشاعر أَرَاه إيَّاها فقال: قد عرفتُ.**

**وقيل: الْتَقَى فيها آدمُ وحوَّاءُ عليهما السلام فتعارَفا.**

**وقيل: لأن الناس يتعارفون فيها.**

**والله أعلم بحقيقة ذلك.**

**وهي من الأسماء المرتجَلة؛ لأن العَرَفَةَ لا تُعْرَفُ في أسماء الأجناس إلّا أن تكون جمعَ عَارِفٍ.**

**وقيل: فيه دليلٌ على وجوب الوقوف بعرفةَ؛ لأنَّ الإفاضة لا تكون إلَّا بعده، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «الحجُّ عرفة، فمَن أدْركَ عَرَفَةَ فقد أدرك الحجَّ».**

---

قوله: (**وهي مِن الأسماء المرتجَلة**)، أي: العَرَفات[١] مِن الأعلام المرتجلة لا مِن الأعلام المنقولة بأن يقال: العَرَفات جمع عَرَفة، فنُقلت[٢] وجُعلت علمًا، "لأنّ العَرَفة لا تُعرَف في أسماء الأجناس".[٣] وقوله: (**إلّا أن تكون جمعَ "عارف"**) هي متعلِّق بقوله: "هي مِن الأسماء المرتجَلة"، لأنّك إذا جَعَلت "عَرَفة" جمع "عارف" يكون "العَرَفات"[٤] مِن الأعلام المنقولة لا المرتجلة. ولا يجوز أن يُجعَل هذا الاستثناء[٥] متعلِّقًا بقوله: (**لأنّ العرفة لا تعرف في أسماء الأجناس**) إذ يبقى الحكم بارتجال "عَرَفات" مطلقًا / غيرَ مستثنى منه ولا يستقيم. والتحقيقُ أنّه استثناء مفرَّغ [٢٢٠ظ]
منصوب المحلّ على الحال، أي: هي مِن الأعلام المرتجَلة في جميع الأحوال إلّا حالَ كون "عَرَفة" جمع "عارف". وقوله: "**إلّا أن تكون جمع عارف**"، أي: إلّا أن تكون "عَرَفة" جَمْع "عارف" ثمّ جُمع "عَرَفة" على "عَرَفات".

قوله: (**وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة**) وجهُ الاستدلال أن نقول:

---

١ ن: عرفات.
٢ ر: فيقلب.
٣ ن: أجناس.
٤ ن: عرفات.
٥ ن ر: إلّا سببًا.

﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات، وقيل: بصلاة المغرب والعشاء.

و﴿ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ﴾: قُزَحُ، وهو الجبل الذي يقفُ عليه الإمام وعليه المِيقَدة.

وقيل: المشعر الحرام: ما بين جبلي المزدلفة مِن مَأْزِمَيْ عرفة إلى وادي مُحَسِّرٍ، وليس المأزمان ولا وادي محسِّر من المشعر الحرام.

---

يُفهم مِن قوله: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم﴾ وجوبُ الإفاضة؛ لأنّ لفظ ﴿إِذَا﴾ يدلُّ على أنّ المذكور بعده[١] أمرٌ متحقِّق لا بدّ منه، فكأنّه قيل: بعد فراغكم[٢] مِن الإفاضة[٣] مِن عَرَفات التي لا بدّ منها ولا كلامَ في تحقُّقها اذكروا الله تعالى. والإفاضةُ مِن عَرَفات لا تكون إلّا بعد الوقوف بعرفات فوجب أن يكون الوقوف بعرفة[٤] واجبًا. أو نقول: قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ يدلُّ على وجوب الوقوف بمُزدلفة، وعلى وجوب تأخيره عن الإفاضة، والإفاضةُ لا تكون إلّا بعد الوقوف، فيكون الوقوف بعرفة واجبًا. أو نقول: هو مِن الخبر بمعنى الطلب.

قوله: (**وقيل بصلاة**[٥] **المغرب والعشاء**)، أي: بجمع التأخير.

قوله: (**و﴿ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ قُزح**) المَشعر الحرام: جبل بالمزدلفة، واسمه قُزح، يقف عليه الإمام وعليه المِيقَدة.[٦]

قوله: (**المِيقَدة**)[٧] هي موضع يُوقَد فيه النار في الجاهليّة.

قوله: (**مِن مأزِمي عرفة**) «المأزِم: كلُّ طريق ضيّق بين جبلين، وموضع الحرب أيضًا مأزِمٌ. ومنه سُمّي الموضع الذي بين المَشعر وبين عَرَفة مأزمين. الأصمعيّ: المأزم[٨] في سندٍ، مضيّقٌ[٩] بين جَمْع وعَرَفة. وفي الحديث 'بين المأزمين'».[١٠]

---

١ ر – بعده.
٢ ن ر: فراقكم.
٣ ن ر – مِن الإفاضة.
٤ ر: بعرفات.
٥ ر: لصلاة.
٦ ن ر: المقيدة.
٧ ن ر: المقيدة.
٨ ر: مأزم.
٩ ر: ضيق.
١٠ **الصحاح** للجوهري، «أزم». والحديث في **مصنّف عبد الرزاق**، ٢٥٤/٩ (٢١٩٠٠).

والصحيح: أنَّه الجبل؛ لِمَا رَوى جابر رضي الله عنه: أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم لمَّا صلَّى الفجرَ -يعني: بالمزدلفة- بِغَلَسٍ ركب ناقتَه حتى أتى المشعر الحرام فدَعا وكبَّر وهَلَّلَ ولم يَزَلْ واقفًا حتّى أسفرَ.

وقوله تعالى: ﴿عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ معناه: مما يلي المشعر الحرام قريبًا منه، وذلك للفَضْل كالقُرْب من جَبَلِ الرحمة، وإلّا فالمزدلفةُ كلُّها موقفٌ إلَّا وادي مُحَسِّرٍ، أو جُعِلت أعْقَابُ المزدلفة -لكونها في حكم المشعر ومتصلةً به- عند المشعر.

والمشعر: المَعْلَم؛ لأنه مَعلَمٌ لعبادةٍ، ووُصِفَ بالحرام لحرمته.

---

قوله: (والصحيح أنه الجبل)، أي: كما ذكرنا أوّلًا، لا ما بين الجبلين كما ذكرنا ثانيًا.

قوله: (لمّا صلّى الفجر)، أي: يوم العيد.

قوله: (بغلس) الغَلَس ظلمة آخر الليل.

قوله: (حتّى أسفر)[1] فهذا دلَّ[2] على أنّ المراد بالمَشعر الحرام الموضع الذي يقف فيه الإمام.

قوله: (مِن جبل الرحمة) جبل[3] عَرَفات[4] يُسمّى جبل الرحمة.

قوله: (وإلّا فالمزدلفة)، أي: وإن لم يحمل على الأفضليّة لا يستقيم المعنى؛ لأنّ جميع المزدلفة موقف.

قوله: (أعقابُ)، أي: أطراف.

قوله: (عند المَشعَر) مفعول ثانٍ لـ(جُعلت).

قوله: (والمشعر: المَعلَم)، أي: سُمّي بالمَشعَر لأنّه مَعلَم للحجّ والصلاة والمُقام والمَبيت به، والدعاءُ عنده مِن سنن الحجّ.

---

[1] ن ر: استقر.
[2] ن: دليل.
[3] ن + في.
[4] ن: العرفات.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه: أنّه نَظرَ إلى الناس ليلةَ جَمْعٍ فقال: لقد أدركتُ الناسَ هذه الليلةَ لا ينامون.

وقيل: سُمِّيت المزدلفةَ وجَمْعًا: لأنَّ آدم اجتمع فيها مع حوَّاء عليهما السلام وازدلفَ إليها؛ أي: دَنا منها.

وعن قتادة: لأنه يُجمع فيها بين الصلاتين.

---

قوله: (وعن ابن عبّاس رضي الله عنه[1] «أنّه نظر»)[2] بيان الحرمة.

قوله: («ليلةَ جَمْع») أضاف الليلة إلى اسم ذلك المكان، أي: الليلة التي كانوا فيها بمزدلفة.

قوله: (بين الصلاتين)، أي: المغرب والعشاء.

قوله تعالى: ﴿مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ قال في الكواشي:

﴿مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ أي: مِن عَرَفات. والمراد بـ﴿ٱلنَّاسُ﴾ جميعُ[3] الناس إلّا الحُمس، أو إبراهيمُ عليه السلام وحدَه، أو آدمُ عليه السلام. وقرئ: "النَّاسِ"[4] بكسر "السين"، أي: الناسي،[5] اكتفي بالكسرة عن "الياء". والمرادُ آدمُ عليه السلام؛ لأنّه عُهد إليه فنسي. وفي هذا دليل على أنّ الإفاضة[6] مِن عَرَفات كانت في شريعتهما فعلى هذا في الكلام تقديمٌ وتأخير، وتكون هذه الآية مقدَّمةً على ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾ معطوفةً على الإحرام، كأنّه قال: أحرِموا كما أمركم الله، ثمّ أفيضوا أو "ثمّ" بمعنى "الواو"، أي: وأفيضوا. أو المرادُ الإفاضة[7] مِن المزدلفة إلى منى، فعلى هذا المرادُ بـ﴿ٱلنَّاسُ﴾ الحُمسُ، ويكون الخطاب لجميع المسلمين، فلا / يكون في الكلام تقديم ولا تأخير.[8] [٢٢١و]

هذا كلامه في الكواشي.

---

[1] د - رضي الله عنه.
[2] الكشف والبيان للثعلبي، ٥/٢٠٠ (البقرة، ٢/١٩٨).
[3] ر: جمع.
[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن القُورسي والأنطاكي عن أبي جعفر. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٥٠٠.
[5] ر: الناسِ.
[6] ر: الإضافة.
[7] ر: للإضافة.
[8] انظر: تفسير الكواشي، ٥٤ظ.

ويجوز أن يقال: وُصفت بفعل أهلها لأنهم يَزدلفون إلى الله تعالى؛ أي: يتقرّبون بالوقوف فيها.

﴿كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ "ما" مصدريّة أو كافّة، والمعنى: اذكروه ذكرًا حسنًا كما هداكم هداية حسنة أو: اذكروه كما علّمكم كيف تذكرونه لا تَعْدِلوا عنه.

﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾: من قبل الهدى.

﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: الجاهلين، لا تعرفون كيف تَذكرونه وتعبدونه، و"إنْ" هي المخفَّفة من الثقيلة، واللام هي الفارقة.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩﴾

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ﴾: ثم لتَكُنْ إفاضَتُكم ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ ولا تكُنْ من المزدلفة، وذلك لِمَا كان الحُمْسُ عليه من الترفُّعِ على الناس والتعالي عليهم،

---

وأنا أقول: أراد بقوله: "معطوفة على الإحرام"[1] أنّها معطوفة على ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾، أي: أوجب على نفسه بالإحرام.

قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾، أي: مِن عرَفات. وقوله: (ولا تكن)، أي: الإفاضة.

قوله: (وذلك)، أي: الأمر بالإفاضة مِن حيث أفاض الناس إنّما كان للترفُّع الذي كان عليه[2] الحُمس.

قوله: (الحُمس) قريش وكنانة. الأحمس: المكان الصلب، والأحمس: المكان الصلب، والأحمس أيضًا: الشديد الصلب في الدين والقتال. وإنّما سمّيت قريش وكنانةُ حُمسًا لتحمُّسهم، أي: لتشدُّدهم في دينهم،[3] لأنّهم كانوا لا يستظِلّون أيّام منى ولا يدخلون البيوت مِن أبوابها، ولا يسلئون السمن، ولا يلقطون الجَلّة. يقال: "سلأتُ السَّمنَ واستلأتُه" وذلك إذا طُبخ وعُولج حتّى خلص.

---

[1] ر: حرام.

[2] ن ر: على.

[3] انظر: جمهرة اللغة لابن دريد، ٥٣٤/١ «حمس».

وتعظُّمِهم عن أن يُسَاوُوهم في الموقف، وقولِهم: نحن أهلُ الله وقُطّانُ حَرَمه فلا نَخرج منه، فَيَقِفون بِجَمْعٍ وسائرُ الناس بعرفات.

**فإن قلتَ**: فكيف موقعُ ﴿ثُمَّ﴾؟

**قلتُ**: نحوُ موقعِها في قولك: أَحسِنْ إلى الناس ثم لا تُحْسِنْ إلى غيرِ كريمٍ، تأتي بـ"ثُمَّ" لتفاوُتِ ما بين الإحسانِ إلى الكريم والإحسانِ إلى غيره وبُعْدِ ما بينَهما، فكذلك حين أمرهم بالذِّكر عند الإفاضة من عرفات قال: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟﴾، لتفاوُتِ ما بَيْن الإفاضتين ..........................................

---

قال في **المُغرِب**: «قوله: "حلف لا يأكل زُبدًا فسُلي سمنًا"، أي: صُنع واستعماله في دهن السِّمسِم ممّا لم أجده».[١] والجَلَّة بالفتح: البعرة.[٢]

قوله: (**بـ"جَمْع"**)، أي: بالمزدلفة.

قوله: (**قلت: نحو موضعها**)[٣] مشكلٌ، وإنّما يكون ما ذَكَره حسنًا واضحًا لو كان قد قال تعالى: فإذا أفضتُم فاذكروا الله، مِن غير ذِكر عرفات، فحينئذٍ كنّا نقول: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾، فأتي بـ﴿ثُمَّ﴾ لتفاوت ما بين الإفاضتين الإفاضةِ مِن عَرَفات والإفاضةِ مِن غير عَرَفات، كما في المثال الذي أورده. وأمّا إذا قيَّد[٤] الإفاضة أوّلًا بعَرَفات فكيف يستقيم ما ذَكَره، فإنّ حاصله يرجع إلى قولك: فإذا أفضتم مِن عَرَفات فاذكروا الله، ثمّ أفيضوا مِن عَرَفات. فتأمَّل يتبيَّن لك ما قلنا.

ويمكن أن يقال: أشار أوّلًا إلى وجوب الإفاضة مِن عَرَفات، ثمّ ذَكَر ذلك صريحًا لتأكيد الأمر فيه وأتى بـ﴿ثُمَّ﴾ إفادةً لزيادة المبالغة، وذلك لأنّ الحُمس لمّا كانوا يخالفون ذلك وتقرَّر ذلك في طباعهم وأَلِفوه وضَروا[٥] به ناسب المقام زيادةَ تأكيد ومبالغة.

---

١ **المُغرِب** للمطرزي، «سلأ».
٢ ر: البقرة.
٣ ن ر: موقعها.
٤ ن ر: قيل.
٥ ر: وصرحوا.

وأنَّ إحداهما صوابٌ والثانيةَ خطأٌ.

وقيل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ وهم الحُمْسُ؛ أي: من المزدلفةِ إلى مِنًى بعد الإفاضة من عرفات.

وقرئ: "من حيث أفاض الناسِ" بكسر السين؛ أي: الناسي، وهو آدمُ عليه السلام؛ من قوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه ٢٠/١١٥] يعني: أن الإفاضة من عرفاتٍ شَرْعٌ قديمٌ فلا تُخالِفوا عنه.

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾ من مخالفتِكم في الموقِف ونحوِ ذلك من جاهليَّتِكم.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾؛ أي: فإذا فرَغْتُم من عباداتكم الحجِّيَّةِ ونفرتُم ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾: فأكثِروا ذكرَ الله وبالِغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيّامهم، وكانوا إذا قضَوا مناسكَهم وقفوا بين المسجدِ بمنًى وبين الجبل فيُعدِّدون فضائلَ آبائهم ويذكرون محاسن أيَّامهم.

﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ في موضعِ جرٍّ عطفٌ على ما أُضيف إليه الذِّكر في قوله: ﴿كَذِكْرِكُمْ﴾ كما تقول: ..............................

---

قوله: (وأنّ إحداهما صواب)، أي: الإفاضة مِن عَرَفات.

قوله: (والثانية خطأ)، أي: الإفاضة مِن المزدلِفة.

قوله: (وقيل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ﴾)... إلخ، و﴿ٱلنَّاسُ﴾ على التفسير **الأوّل** للجنس وعلى **الثاني** للعهد. قوله: (شرعٌ قديم) هذا على القراءة بكسر "السين".

قوله: (وأيّامهم) المراد بالأيّام الوقائعُ والحروب.

قوله: (﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ في موضع جرّ عطفٌ)... إلخ. في قوله هذا نظرٌ؛ لأنّه يلزم العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجارّ، كما أنّه اعترض

كذكرِ قريشٍ آباءَهم أو قومٍ أشدَّ منهم ذكرًا، أو في موضع نصبٍ عطفٌ على ﴿ءَابَآءَكُمْ﴾ بمعنى: أو أشدَّ ذكرًا من آبائكم، على أن ﴿ذِكْرًا﴾ من فعلِ المذكور.

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ معناه: أكثِروا ذكرَ الله ودعَاءهُ، ......................

---

على مَن قرأ: ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامِ﴾ [النساء ١/٤] بالجرّ.[١] ويمكن أن يجاب عنه بأن بعض النحويين فرّقوا بين أن يكون المجرور مجرورًا بالإضافة أو بحرف الجرّ، فجوّز في الأوّل دون الثاني. وقوله: ﴿ذِكْرًا﴾ تمييز.

قوله: (أو قومٍ)، أي: كذِكر قوم.

قوله: ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ مِن آبائكم، أي: كذِكركم شيئًا أشدّ هو[٢] مِن جهة الذِّكر مِن آبائكم، فـ﴿ذِكْرًا﴾ تمييزٌ مِن إسناد ﴿أَشَدَّ﴾ إلى مذكور، فـ"ذِكر" مصدر وُضع موضعَ المذكور.

قوله: (مِن فِعل المذكور) بيان ذلك أن نقول: قولك: "ذَكَر" بفتح "الذال" فعل الذاكر، يعني: شأنه وحقّه أن يُنسَب إلى الذاكر، إذ هو المبنيّ للفاعل، وأمّا "ذُكر" بضمّ "الذال" فهو فِعل المذكور، يعني: حقُّه أن يُنسَب إلى المذكور، أي: المفعول، ولذلك يقال له: "المبنيّ للمفعول". قال رضي الله عنه:[٣] المصدر[٤] يأتي مِن "فُعِل" / كما يأتي مِن "فَعَل"، كقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ [الروم ٣/٣٠]،[٥] [٢٢١ظ]
المعنى: مِن بعد كونهم مغلوبين، فكذلك قوله: ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ معناه: أو قومًا أبلغَ في كونهم مذكورين بمعنى: أو أشدّ ذكرًا مِن آبائكم، على أنّه مِن صفة المفعول، أي: أشدّ ذِكرًا مِن آبائكم، أي: يكون المصدر مِن "ذُكِر" لا مِن "ذَكَر".

قوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ "الفاء" في قوله:[٦] ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ للسببيّة وفاء السببيّة قد تدخل على الحُكم وقد تدخل على الوصف، وهنا دخل على الوصف فتأمّل. وقوله تعالى: ﴿ءَاتِنَا﴾ مفعوله محذوف.

---

١ قرأ بها حمزة. النشر لابن الجزري، ٢٤٧/٢.
٢ ن ر – هو.
٣ د: حمه الله.
٤ ن ر – المصدر.
٥ انظر: المفصّل للزمخشري، ص ٢٨١.
٦ ن – قوله.

فإنّ الناس مِن بينِ مُقِلٍّ لا يَطلب بذكر الله إلا أغراضَ الدنيا، ومُكثِرٍ يَطلب خيرَ الدارين، فكونوا من المكثِرين.

﴿ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا﴾: اجعَلْ إيتاءنا -أي: إعطاءَنا- في الدنيا خاصةً.

﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾؛ أي: مِن طلَبِ خلاقٍ وهو النصيب.

أو: ما لهذا الداعي في الآخرة من نصيبٍ لأن همَّهُ مقصورٌ على الدنيا.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾

والحسنتان: ما هو طَلِبَةُ الصالحين في الدنيا من الصحة والكَفافِ والتوفيق في الخير، وطَلِبَتُهم في الآخرة من الثواب.

---

قوله: (فإنّ الناس مِن بين مُقِلّ)، أي: الناس واقعون بين مقلّين ومكثرين، و"مِن" فيه إمّا زائدة أو للابتداء كما في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم ٣٠/٤]، أي: إنّهم إمّا طالبون للقليل، وهم الذين مطلوبهم الدنيا فقط، وإمّا طالبون للكثير وهم الذين يطلبون خير الدنيا والآخرة، فسمّى طالب الدنيا والآخرة مكثرًا: إمّا مِن قولهم: "أكثرَ الرجل مالَه"، أي: جعله كثيرًا، قال عليه السلام: «أكثروا ذِكرَ هادم اللذات»،[1] فإنّ مَن طلب الكثير فكأنّه جَعَل خيره كثيرًا. وإمّا مِن قولهم: "أكثرَ الرجلُ": كثُر ماله، فكأنّ مَن طَلَب الكثيرَ يكثُر ماله. وكذا سمّى المصنِّف طالب الدنيا مِقلًّا، أي: مقترًا، أي: فقيرًا، مِن "أقلَّ الرجلُ" افتقر، فكأنّ مَن يكون طالبًا قليلًا يكون قليل المال، وإمّا مِن "أقلَّ الرجلُ"، أي: طَلَب القليل، أو جَعَل ماله قليلًا. لكنّي لم أرَ "أقلَّ" بهذا المعنى الثاني.

قوله: (والكَفاف) «الكَفاف بالفتح هو: مِن الرزق والقوت ما يكفي، وهو ما يكفُّ عن الناس وأغنى، وفي الحديث: 'اللّهمّ اجعل رِزقَ آل محمّد كفافًا'».[2]

---

[1] سنن ابن ماجه، ٣٢٦/٥ (٤٢٥٨).

[2] الصحاح للجوهري، «كفف». والحديث في صحيح ابن حبّان، ٢٥٤/١٤ (٦٣٤٣).

وعن عليّ رضي الله عنه: الحسنة في الدنيا: المرأة الصالحة، وفي الآخرة: الحوراء، وعذاب النار: امرأةُ السوء.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الداعون بالحسنتين ﴿لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ﴾؛ أي: نصيبٌ من جنسِ ما كسبوا من الأعمال الحسنةِ، وهو الثواب الذي هو المنافعُ الحسنة، أو: من أجلِ ما كسبوا؛ كقوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ﴾ [نوح ٧١/٢٥].

أو: لهم نصيبٌ ممّا دعَوا به نعطيهم منه ما يَستوجبونه بحسَب مصالحهم في الدنيا واستحقاقِهم في الآخرة، وسمّي الدعاءُ كسبًا لأنه من الأعمال، والأعمالُ موصوفةٌ بالكَسْب: ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى ٤٢/٣٠].

ويجوز أن يكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ للفريقين جميعًا، وأن لكلِّ فريق نصيبًا من جنسِ ما كسبوا.

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾: يوشكُ أن يُقيمَ القيامةَ ويحاسبَ العباد، فبادِروا إكثارَ الذِّكر وطلبَ الآخرةِ.

أو وَصَف نفسَه بسرعةِ حسابِ الخلائق على كثرةِ عددِهم وكثرةِ أعمالهم؛ ليدلَّ على كمالِ قدرته ووجوبِ الحَذَرِ منه، وروي: أنه يحاسب الخلقَ في قَدْرِ حَلَبِ شاة، وروي: في مقدار فُوَاقِ ناقة، وروي: في مقدار لَمْحة.

---

قوله: (مِن الأعمال الحسنة) بيانُ (ما).

قوله: (أو مِن أجل ما كسبوا)، أي: عمِلوا.

قوله: (ممّا دعَوا به)، أي: لهم بعضُ ما سألوه بالدعاء.

قوله: (وسُمّي الدعاء كسبًا) هذا على الوجه الأخير، و"مِن" على هذا الوجه للتبعيض وعلى الأوّلَين للابتداء.[1]

قوله: (في قَدْر حَلْب شاة)، أي: مدّة ما تُحلَب فيها.

قوله: (فُواق ناقة) «الفُواق والفَواق: ما بين الحلبتَين مِن الوقت؛ لأنّها[2] تُحلَب

---

[1] ن: الابتداء.

[2] ن: فإنّها.

﴿وَاذْكُرُواْ اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

الأيام المعدودات: أيام التَّشريق، وذكر الله فيها التكبيرَ في أدْبار الصلوات وعند الجمار، وعن عمر رضي الله عنه: أنه كان يكبّر في فُسْطاطه بمنًى فيكبّر مَن حَوْله حتّى يكبّر الناس في الطريق وفي الطّواف.

﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ فمَن عَجِل في النَّفْرِ، أو: استعجل النَّفْر. وتعجَّل واستعجل: يجيئان مطاوِعَين بمعنى عَجِلَ، يقال: تَعجَّل في الأمر واستعجل، ومتعدِّيين يقال: تَعجَّلَ الذهابَ واستعجله، والمطاوعةُ أوْفَقُ ............................

---

ثمّ تُترك سُويعةً يرضعها الفصيل لتدُرّ[١] ثمّ تُحلَب. يقال: ما أقام عنده إلّا فُواقًا. وفي الحديث: 'العيادةُ قَدْر فُواق ناقة'»[٢].

قوله: (في فسطاطه) «الفسطاط بيت مِن شَعر، وفيه لغات "فُسْطاط" و"فُسَّاط" و"فُسْتاط"، وكَسْر "الفاء" لغة فيهنّ»[٣].

قوله: (حتّى يكبّر) بمعنى "إلى أن".

قوله: (فمَن عَجِل) فهو لازم. وقوله: (في النفر) يقال: "نفرتِ الدابة نفورًا ونِفارًا"، و"نفر الحاجّ[٤] نفرًا". ويومُ النفر الأوّل هو: اليوم الثاني مِن أيّام التشريق، ويوم النفر الثاني هو: اليوم الثالث مِن أيّام التشريق؛[٥] لأنّ بعض الناس ينفِرون في اليوم الثاني، والبعضُ الآخر ينفِرون في اليوم الثالث.

قوله: (وتعجّل)... إلخ، ابتداءُ كلام مِن المصنِّف لبيان أنّ "تعجَّل" جاء لازمًا ومتعدِّيًا.

قوله: (والمطاوعة أوفَقُ)، أي:[٦] المطاوعة ههنا أوفَقُ لقوله: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ لأنّه لازم.

---

١ ن ر: لتنذر.

٢ الصحاح للجوهري، «فوق». والحديث في شعب الإيمان للبيهقي، ٤٣٢/١١.

٣ الصحاح للجوهري، «فسط».

٤ ر – نفر الحاجّ.

٥ ر – ويوم النفر الثاني هو: اليوم الثالث مِن أيّام التشريق.

٦ ر: إلى.

لقوله تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ كما هي كذلك في قوله:

قد يُــدْرِكُ المتأنِّي بعضَ حاجته   وقد يكون من المستعجِلِ الزَّلَلُ

لأجل المتأنِّي.

﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ بعدَ يوم النحر: يومِ القرِّ -وهو اليوم الذي يسمِّيه أهلُ مكّةَ: يومَ الرؤوس- واليومِ بعدَه، ينفرُ إذا فَرغَ من رَمي الجِمَار كما يفعل الناسُ اليومَ، وهو مذهبُ الشافعي رحمه الله ويُروى عن قتادة، وعند أبي حنيفة رحمه الله وأصحابه: يَنفِرُ قبل طلوع الفجر.

﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ حتى رمى في اليوم الثالث، والرميُ في اليوم الثالث يجوزُ تقديمه على الزوال عند أبي حنيفة رحمه الله، وعند الشافعيِّ رحمه الله: لا يجوز.

**فإن قلتَ**: كيف قال: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ عند التعجُّل والتأخُّر جميعًا؟

**قلتُ**: دلالةً على أن التعجُّل والتأخُّر مُخَيَّرٌ فيهما؛ كأنه قيل: فتعجَّلوا أو تأخَّروا.

**فإن قلتَ**: أليس التأخُّرُ بأفضل؟

**قلتُ**: بلى، ويجوز أن يقع التخييرُ بين الفاضل والأفضلِ كما خُيِّر المسافر بين الصومِ والإفطار، وإن كان الصوم أفضلَ.

---

قوله: (**كما هي**)[١] أوفَقُ في قوله. وقوله: (**لأجل المتأنّي**)، أي: كما هي كذلك لأجل المتأنّي يعني قابل المستعجل بالمتأنّي، فكما أنّ المتأنّي لازم كذا المستعجل لازم.

قوله: (**بعد يوم النحر**) صفة (**يومين**).[٢] وقوله: (**يوم القَرّ واليوم**[٣] **بعده**) بيان "يومين". وقوله: (**ينفِر**) جملة مبيِّنة لوقت النفر. وقوله: "يوم القرّ" سُمّي يومَ القَرّ لاستقرار الناس فيه. وقوله: (**يوم الرءوس**) لأنّه يأكلون فيه رءوس الأضاحي.

/ قوله: (**قلتُ: بلى، ويجوز أن يقع التخيير**)... إلخ، وإنّما جاز التخيير بين الفاضل والأفضل؛ لأنّه لا حرجَ ولا منعَ مِن ترك الأفضل والإتيانِ بالفاضل، [٢٢٢و]

---

١ ر + كذلك، أي: كما هي.

٢ ر: يوم.

٣ ن ر: يوم.

وقيل: إن أهل الجاهلية كانوا فريقين: منهم مَن جعل المتعجِّل آثمًا، ومنهم مَن جعل المتأخِّر آثمًا، فَوَرَدَ القرآن بنفي المأثم عنهما جميعًا.

﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾؛ أي: ذلك التخييرُ ونفيُ الإثم عن المتعجِّل والمتأخِّر لأجلِ الحاجِّ المتَّقي؛ لئلا يتخالجَ في قلبه شيءٌ منهما فيَحسِبَ أن أحدهما يَرْهَقُ صاحبَه آثامٌ في الإقدام عليه؛ لأن ذا التقوى حَذِرٌ متحرِّزٌ من كلِّ ما يَريبُه، ولأنه هو الحاجُّ على الحقيقة عند الله.

ثم قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ليَعبأ بكم.

ويجوزُ أن يراد: ذلك الذي مرَّ ذكرُه من أحكام الحجِّ وغيرِه لمن اتَّقى؛ لأنه هو المنتفِعُ به دون مَن سواه؛ كقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ [الروم ٣٠/٣٨].

**﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾**

---

غايتُه أنَّ الثواب في الأفضل أكثر، وهو قريب مِن قوله تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ [المؤمنون ٢٣/٦٢]، أي: لا يكلِّف الله تعالى إلّا بما فيه سَعة للمكلَّف ورَفاهية وليس عليه في الإتيان به مشقَّة؛ بل هو سَهْل سَمْح مثل الفرائض الخمس في اليوم والليلة، فلا حرجَ عليه في ألّا[1] يأتي بصلاة مِن النوافل المؤقَّتة وغير المؤقَّتة، لكن مَن أتى بشيء منها يزيد ثوابه ويرتفع بسببه درجاته، ولا يخفى علينا ذلك ولا يضيع ما أتى زائدًا على الواجب، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [المؤمنون ٢٣/٦٢]، أي: لا ينقص شيء مِن ثواب أعمالهم.

قوله: (منهما)، أي: مِن التعجيل والتأخير.

قوله: (يَرهَق) رهِقه بالكسر يَرهَقه رَهَقًا: غشِيه. وقوله: (آثام) الآثام جزاءُ الإثم. قال تعالى: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان ٢٥/٦٨].

---

[1] ر: لا.

﴿مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾؛ أي: يَرُوقُكَ ويَعْظُمُ في قلبك، ومنه: الشيءُ العجيب: الذي يَعظُمُ في النفس.

وهو الأَخْنَسُ بن شَرِيقٍ، كان رجلًا حُلْوَ المنطق إذا لقيَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ألَانَ له القولَ وادَّعى أنه يحبُّهُ وأنه مسلمٌ، وقال: يعلمُ اللهُ أني صادقٌ.

وقيل: هو عامٌّ في المنافقين، كانت تَحْلَوْلي ألسنتُهم وقلوبُهم أمرُّ من الصَّبر.

**فإن قلتَ**: بمَ يتعلَّق قوله: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؟

**قلتُ**: بالقول؛ أي: يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا؛ لأنَّ ادِّعَاءَهُ المحبَّةَ بالباطل يَطلب به حظًّا من حظوظ الدنيا، ولا يريد به الآخرة كما يراد بالإيمان الحقيقيِّ والمحبةِ الصادقةِ للرسول صلى الله عليه وسلم، فكلامُه إذًا في الدنيا لا في الآخرة.

ويجوز أن يتعلق بـ﴿يُعْجِبُكَ﴾؛ أي: قولُه حُلْوٌ فصيحٌ في الدنيا فهو يعجبُك، ولا يعجبُك في الآخرة لِمَا يَرْهَقُهُ في الموقف من الحُبْسَةِ واللُّكْنَةِ، أو لأنَّه لا يؤذَنُ له في الكلام، فلا يتكلَّمُ حتى يُعجبَك كلامُه.

﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ﴾؛ ..........................................

---

قوله: **(العجيب)** العجبُ: ما خرج عن حدّ القياس ويتعاظم قدرُه عند الناس.

قوله:[1] **(تَحْلَولي)** يقال:[2] "حَلى الشيء يحلو حلاوةً" و"احلولى" مثله، وقد عدّاه حُميد بن ثَور بقوله:

فلمّا أتى عامان بعد انفصالِهِ    عن الضَّرع واحلولى دِماثًا يَرودُها[3]

الدَّمِث: المكان اللين ذو رمل والجمع دِماث.

قوله: **(لأنّ ادّعاءه)** متعلِّق بالمحذوف الذي يتعلّق به "الباء" مِن **(بالقول)**، أي: يتعلّق بالقول لأنّ قوله: **(يطلب)** خبر "أنّ".[4]

---

[1] ن ر – (العجيب) العجبُ: ما خرج عن حدّ القياس ويتعاظم قدرُه عند الناس.

[2] ر – يقال.

[3] في ديوانه، ص ٢٦٨؛ وهو له في كتاب سيبويه، ٧٧/٤؛ والصحاح للجوهري، «حلا».

[4] ن ر: أنّه.

أي: يحلف ويقول: اللهُ شاهدٌ على ما في قلبي من محبّتك ومن الإسلام، وقرئ: "ويَشْهدُ اللهُ على ما في قلبه"، وفي مصحف أبيّ: "ويَسْتَشْهِدُ اللهَ".

﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾: وهو شديدُ الجدال والعداوة للمسلمينَ.

وقيل: كان بينه وبين ثَقيفٍ خصومةٌ، فبيَّتهم ليلًا وأهلك مواشِيَهم وأحرق زروعهم.

والخصام: المخاصمة، وإضافةُ الألدِّ بمعنى "في" كقولهم: ثَبْتُ الغَدَر، أو جُعل الخصام ألَدَّ على المبالغة.

وقيل: الخصام: جمعُ خصمٍ كصَعْبٍ وصِعَابٍ، بمعنى: وهو أشد الخصومِ خصومةً.

---

قوله: (ويقول) بيان[1] (يحلِف)، فإنّ قوله: (الله شاهدٌ) حلِفٌ.

قوله: (بينه)، أي: بين أخنَس بن شَريق.

قوله: (وإضافة الألدّ) بمعنى "في". رجل ألدّ بيّن اللَّدَد، وهو: الشديد الخصومة. و"الألدّ" صفة مشبَّهة على الوجه **الأوّل والثاني**، واسم التفضيل على الوجه[2] **الثالث**. وقوله: (ثَبْتُ الغَدَر) يقال: "فلان ثَبْتُ الغَدَر"،[3] أي: ثابت في الغَدَر، وهو: الأخاقيق، يُضرب للثابت في الخطوب. واللُّخقوق: شقٌّ في الأرض كالوِجار. وفي الحديث «أنّ رجلًا كان واقفًا مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[4] فوَقَصت[5] به ناقته في أخاقيق جِرذان».[6] «قال الأصمعيّ: إنّما هو "لَخاقيق" والواحد "لُخقوق"، وهو: شقوق الأرض».[7] والوِجار: سَرَب الضَّبُع.

قوله: (على المبالغة)، أي: الإضافة لفظيّة، فتكون الإضافة إلى الفاعل، أي: "ألدُّ خِصامُه"، ثمّ أضيف، كقولك: "حسنُ الوجهِ" في "حسنٌ الوجهُ".[8]

---

[1] ن ر – (ويقول) بيان.

[2] ن – الوجه.

[3] ن – يقال: "فلان ثَبْتُ الغَدَر". | أي: ثابت في قتال أو كلام. يقال ذلك للرجل إذا كان لسانه يثبت في موضع الزلل والخصومة. انظر: **الصحاح** للجوهري، «خقق».

[4] د: عليه السلام.

[5] ن: وقصت.

[6] **الصحاح** للجوهري، «خقق».

[7] **غريب الحديث** لأبي عبيد، ٣/١٧٥؛ ونقله عنه الهروي في **الغريبين**، ٢/٥٧٨.

[8] ن: وجهه.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾

وإذا تولى عنك وذهب بعد إلانةِ القول وإحْلاءِ المنطق ﴿سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ كما فعَل بثقيف.

وقيل: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾: وإذا كان واليًا فعَل ما يفعلُه ولاةُ السُّوء من الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل.

وقيل: يُظهِر الظلمَ حتى يمنعَ اللهُ بشؤم ظُلمهِ القَطْرَ فيَهْلِك الحرثُ والنسل.

وقرئ: "ويَهْلِكُ الحرثُ والنسلُ" على أنَّ الفعل للحرث والنسل، والرفعَ للعطف على ﴿سَعَىٰ﴾.

وقرأ الحسن بفتح اللام، وهي لغةٌ، نحو: أبى يأبَى.

ورُوي عنه: "ويُهلَك" على البناء للمفعول.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ من قولك: أخذتُهُ بكذا: إذا حمَلْتَه عليه وألْزمْتَه إيَّاه؛ أي: حملتْهُ العزَّةُ التي فيه وحميَّةُ الجاهليَّة على الإثم الذي يُنهَى عنه، وألزَمتْه ارتكابَه وأن لا يُخَلِّيَ عنه ضرارًا ولجاجًا، أو على ردِّ قول الواعظ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾

﴿يَشْرِى نَفْسَهُ﴾: يبيعُها؛ أي: يبذلُها في الجهاد.

وقيل: يأمر بالمعروف وينهَى عن المنكرِ حتى يُقتل.

---

قوله: **(وإذا تولّى عنك)**، أي: أعرض.

قوله: **(والرفع)**، أي: في ﴿يُهْلِكَ﴾.

قوله: **(بفتح اللام)**[١] على أنَّ الفعل للحرث والنسل أيضًا.

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن حُميد وابن محيصن، والبَزيّ عن ابن كثير، وابن مِقسَم والحسن. **المغني في القراءات** للنُّوزاوازي، ص ٥٠١.

وقيل: نزلت في صهيبِ بن سنان، أراده المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفرًا كانوا معه، فقال لهم: أنا شيخٌ كبير؛ إن كنتُ معكم لم أنفعْكم، وإنْ كنت عليكم لم أضرَّكم، فخلُّوني وما أنا عليه وخذوا مالي، فقَبلوا منه مالَه وأتى المدينة.

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ حيث كلَّفَهم الجهادَ فعرَّضَهم لثواب الشهداء.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٢٠٨﴾

﴿ٱلسِّلۡمِ﴾ بكسر السين وفتحها، وقرأ الأعمش بفتح السين واللام.

وهو: الاستسلامُ والطاعة؛ أي: استسلِموا لله وأطيعوه ﴿كَآفَّةً﴾ لا يُخْرِجْ أَحَدٌ منكم يَدَه عن طاعته.

وقيل: هو الإسلام، والخطاب لأهل الكتاب لأنَّهم آمنوا بنبيِّهم وكتابهم، أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم.

---

قوله: (وقيل: نزلت في صُهيب) إلى آخره، وعلى هذا لا يكون يشري بمعنى يبيع؛ بل بمعنى يشتري.

قوله: (فعرّضهم) التعريض للأمر[1] هو النصب له.

قوله: (وهو الاستسلام)، أي: السِّلْم والسَّلَم.

قوله: (﴿كَآفَّةً﴾ لا يخرج)... إلخ، على هذا الوجه ﴿كَآفَّةً﴾ حال عن "الواو" في ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ بمعنى جماعة، كأنّهم كفُّوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم.

قوله: (والخطاب) إلى قوله: (بألسنتهم) متعلّق بالوجه الثاني دون الأوّل؛ لأنّ المؤمنين يجوز أن يؤمروا بالاستسلام دون الإسلام، وهذا مبنيّ على أنّ الإيمان هو الإسلام، وأمّا مَن قال: «الإيمان: تصديق الرسول عليه السلام في جميع ما عُلِم مجيئه به»،[2] فلا يحتاج هنا إلى تأويل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾

---

[1] ر: الأمر.

[2] ر – به. | ما وقفتُ عليه فيما بين يديّ مِن المظانّ.

ويجوز أن يكون ﴿كَآفَّةً﴾ حالًا من ﴿ٱلسِّلۡمِ﴾ لأنها تؤنَّث كما تؤنَّثُ الحرب، قال:

السِّلْمُ تأخُذُ منها ما رَضِيتَ به والحربُ تكفيكَ من أنفاسِها جُرَعُ

على أن المؤمنين أُمروا بأنْ يدخلوا في الطاعات كلِّها، وأنْ لا يَدخلوا في طاعةٍ دون طاعة، أو في شُعَبِ الإسلام وشرائعهِ كلِّها وأن لا يُخِلُّوا بشيءٍ منها.

وعن عبد الله بن سلَامٍ: أنَّه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيمَ على السَّبتِ، وأن يقرأ من التوراة في صلاته من الليل.

و﴿كَآفَّةً﴾ من الكفِّ؛ كأنهم كُفُّوا عن أن يَخرج منهم أحدٌ باجتماعهم.

﴿فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٠٩﴾

﴿فَإِن زَلَلۡتُم﴾ عن الدخول في السلم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾؛ أي: الحججُ والشواهدُ على أن ما دُعيتُم إلى الدخول فيه هو الحقُّ ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالبٌ لا يُعْجِزُه الانتقامُ منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يَنتقمُ إلَّا بحقٍّ.

---

بالتأويلين المذكورين، وإنّما يحتاج إليه في مثل / ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء ٤/١٣٦] فتأمّل. [٢٢٢ظ]

قوله: (ويجوز أن تكون ﴿كَآفَّةً﴾) عطف على قوله: (لا يخرج أحد)؛ لأنّه في معنى قولك: "حال عن الضمير في ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾" وعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين.

قوله: (في الطاعات كلِّها) هذا على تقدير أن يكون المراد بالسِّلم الاستسلام والطاعة.

قوله: (أو في شُعَب الإسلام) هذا على تقدير أن يكون المراد بالسِّلم الإسلام.

قوله: (وعن عبد الله بن سَلَام) هو سبب النزول.

قوله: («على السَّبت»)[١] هو مصدر قولك:[٢] "سَبَتت اليهود سَبْتًا" إذا عظّمت سَبْتها.

قوله: (كفّوا أن يخرج)، أي: كفّوا الخروجَ بسبب اجتماعهم.

---

١ انظر: أسباب النزول للواحدي، ص ٦٨. ٢ ن ر: قوله.

ورُوي أن قارئًا قرأ: "غفورٌ رحيم" فَسَمِعَهُ أعرابيٌّ فأنكره ولم يقرأ القرآن، وقال: إن كان هذا كلامُ الله فلا يقول كذا الحكيم، لا يَذكُر الغفرانَ عند الزَّلَل لأنّه إغراءٌ عليه.

وقرأ أبو السَّمَّالِ: "زَلِلْتُم" بكسر اللام، وهما لغتان نحو: ضَلَلْتُ وضلِلْت.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

إتيانُ اللهِ: إتيانُ أمرِه وبأسِه؛ كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل ٣٣/١٦] ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعراف ٤/٧]، ويجوز أن يكون المأتيُّ به محذوفًا بمعنى: أن يأتيهم الله ببأسه، أو: بنَقِمَتِه؛ للدلالة عليه بقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾.

﴿فِى ظُلَلٍ﴾: جمع ظُلَّةٍ وهي ما أَظَلَّكَ، وقرئ: "ظِلالٍ"، وهي جمع ظُلَّةٍ كقُلَّةٍ وقِلالٍ، أو جمعُ ظِلّ.

وقرئ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالرفع؛ كقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنعام ١٥٨/٦]، وبالجرّ عطفًا على ﴿ظُلَلٍ﴾ أو على ﴿ٱلْغَمَامِ﴾.

**فإن قلتَ**: لِمَ يأتيهم العذاب في الغمام؟

**قلتُ**: لأنَّ الغمامَ مظنَّةُ الرحمة، فإذا نزَل منه العذابُ كان الأمرُ أفظعَ وأهولَ؛

---

قوله: (ولم يقرأ القرآن) حال، أي: لم يكن قارئًا للقرآن.[1]

قوله: (كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل ٣٣/١٦]، ﴿جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾ [الأنعام ٤٣/٦]) في ذكر[2] الآيتين للاستشهاد[3] لفّ ونشر.

قوله: (بقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾)، أي: بقوله تعالى قبل ذلك.

قوله: (أو جمع ظِلّ) كـ"قِدْح وقِداح".

قوله: (بالجرّ)[4] شاذّ.

---

١ ن: القرآن.

٢ ن: ذكره.

٣ ن: الاستشهاد.

٤ قرأ بها أبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢٢٧/١.

لأن الشرَّ إذا جاء من حيث لا يُحتسَبُ كان أَغَمَّ؛ كما أن الخيرَ إذا جاء من حيث لا يُحتَسَبُ كان أسرَّ، فكيف إذا جاء الشرُّ من حيث يُحتَسَبُ الخيرُ؟ ولذلك كانت الصاعقةُ من العذاب المستفظَع؛ لمجيئها من حيث يُتوقَّعُ الغيثُ.

ومن ثـمَّ اشتدَّ على المتفكِّرين في كتاب الله قولُه تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر ٣٩/٤٧].

﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: وأُتِمَّ أمرُ إهلاكهم وتدميرِهم وفُرِغَ منه.

وقرأ معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه: "وقضاءُ الأمر" على المصدر المرفوع عطفًا على ﴿الملائكةُ﴾.

وقـرئ: ﴿تَرجِعُ﴾ و: ﴿تُرْجَعُ﴾ علـى البنـاء للفاعـل والمفعـول بالتأنيـث والتذكير فيهما.

﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾

﴿سَلْ﴾: أمرٌ للرَّسول عليه الصلاة والسلام، أو لكلِّ أحد، وهـذا السؤال سؤالُ تقريعٍ كما يُسْأل الكفرةُ يومَ القيامة.

﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتُهم، أو: من آيةٍ في الكتب شاهدةٍ على صحَّة دين الإسلام.

و﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾: آياته، وهي أجَلُّ نعمةٍ من الله؛ لأنَّها أسبابُ الهدى والنجاةِ من الضَّلالة، وتبديلُهم إياها: أنَّ الله تعالى أظهرها لتكونَ أسبابَ هداهُم فجعلوها أسبابَ ضلالتهم؛ كقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة ٩/١٢٥]، أو حرَّفوا آياتِ الكتب الدالَّةَ على دين محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

---

**قوله: (أسَرُّ) مِن قولهم: "سَرَّه". و(أغمُّ) مِن قولهم: "غمَّه فاغتمَّ".**

**قولـه: (أنّ الله)... إلخ، هذا على تقدير أن يكون المراد بالآية معجزاتهم. وقولـه: (أو حرَّفوا) على تقدير أن يكون المراد بالآية ما في كتبهم مِن الدلائل**

**فإن قلتَ:** ﴿كَمْ﴾ استفهامية أم خبرية؟

**قلتُ:** تَحتمِل الأمرين، ومعنى الاستفهام فيها للتقرير.

**فإن قلتَ:** ما معنى ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾؟

**قلتُ:** معناه: مِن بَعدِ ما تمكَّنَ من معرفتها أو عَرَفَها؛ كقوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة ٧٥/٢]؛ لأنّه إذا لم يتمكّن من معرفتها أو لم يَعرفها فكأنّها غائبةٌ عنه.

وقرئ: "ومن يُبدِل" بالتخفيف.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾

المزَيِّنُ هو الشيطان؛ زَيَّنَ لهم الدنيا وحَسَّنَها في أعينهم بوساوسه، وحَبَّبها إليهم فلا يريدون غيرَها. ويجوز أن يكون الله تعالى قد زَيَّنها لهم بأَنْ خَذَلهم

---

الشاهدة على صحّة دين الإسلام. و"التبديل": تصيير الشيء[١] على غير ما كان عليه.

قوله: (للتقرير) لأنّ النبيّ عليه السلام كان عالمًا بتلك الأحوال بإعلام الله إيّاه، فلا يكون المراد مِن الاستفهام أن يعلمه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٢] مِن جهتهم، فإنّه كان معلومًا له، فالمراد[٣] مِن الأمر بهذا السؤال أن يجعلهم مقرّين بسبب هذا السؤال، فالوجه أن نقول: معنى التقرير أن يُجعَلوا مقرّين بنزول الآيات عليهم.

قوله: (لأنّه) متعلّق بقوله: (معناه)، كأنّه قيل: عُني لأنّه.

قوله:[٤] (ويجوز أن يكون الله قد زيّنها) "أن يكون الله" مرفوعًا اسم[٥] "يكون" والخبرُ "قد زيّنها". ويجوز أن يكون في "يكون" ضمير هو اسمه، و"الله" منصوبًا خبرُه،

---

١ ر: النبي.
٢ د: عليه السلام.
٣ ر – له فالمراد.
٤ ر – (لأنّه) متعلّق بقوله: (معناه)، كأنّه قيل: عُني لأنّه قوله.
٥ ر + مِن.

حتى استَحْسَنوها وأَحَبُّوها، أو جُعِلَ إمهالُ المزيِّن تزيينًا، ويدلُّ عليه قراءةُ مَن قرأ: "زَيَّنَ للَّذين كفروا الحياةَ الدنيا" على البناء للفاعل.

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ كان الكفرةُ يسخرون من المؤمنين الذين لا حظَّ لهم في الدنيا كابن مسعودٍ وعمَّارٍ وصُهَيبٍ رضي الله عنهم وغيرِهم؛ أي: لا يريدون غيرَها، وهم يسخرون ممَّن لا حظَّ له فيها أو ممَّن يَطلب غيرَها.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لأنهم في علِّيين من السماء وهم في سجِّينٍ من الأرض.

أو حالُهم عَالِيَةٌ لحالهم لأنهم في كرامةٍ وهم في هَوانٍ.

أو هم عالُونَ عليهم متطاوِلون يضحكون منهم كما يَتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويَرون الفضل لهم عليهم: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين ٣٤/٨٣].

---

و"قد زيّنها" جملة مستأنَفة لبيان التزيين. وقوله: **(أو جُعل)** عطفًا على "قد[١] زيَّنها". وهذا الوجه أحسَنُ.

وقوله: **(أو جُعل إمهال المزيّن تزيينًا)** المزيِّن هو الشيطان، ولمّا أمهله الله تعالى فكأنّه، أي: الله تعالى زيَّن. والحاصلُ أنّ التزيين مِن الله تعالى إمّا بأن[٢] خذلهم أو بأنّه أمهل المزيِّن وهو الشيطان.

قوله: **(أي: لا يُريدون غيرها)** هو معنى تزيين الدنيا لهم، أي: الكفّار لا يريدون غيرَ الدنيا.

قوله: **(ممَّن لا حظَّ)**... إلخ، هو معنى قوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾. وقوله: **(فيها)** أي: الدنيا. وقوله: **(غيرَها)**، أي: الدنيا.

قوله: **(لحالهم)** "اللام" في "لحالهم" مثلُها في "ضاربٌ لزيد".

قوله: (**﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين ٣٤/٨٣]**) هذا **استشهاد للوجه الأخير**.

---

[١] ن ر: أن.

[٢] ن ر: أن.

﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾: بغيرِ تقديرٍ، يعني: أنه يُوسِّعُ على مَن تُوجِبُ الحكمةُ التَّوسعةَ عليه كما وَسَّعَ على قارونَ وغيرِه، فهذه التَّوسِعَةُ عليكم من جهةِ الله لِمَا فيها من الحكمة، وهي استِدْراجُكُم بالنعمة، ولو كانت كرامةً لكان أولياؤه المؤمنون أحقَّ بها منكم.

**فإن قلتَ**: لمَ قال: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾؟

**قلتُ**: ليُرِيَكَ أنه لا يَسْعَدُ عنده إلّا المؤمنُ المتَّقي، وليكون بَعثًا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك.

**﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾**

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾: متَّفِقِينَ على دِينِ الإسلام.

---

قوله: (**فهذه التوسعة**) مبتدأ (**مِن جهة**) خبره، أو "مِن" متعلّق بـ"التوسعة" (**لِما**) خبرٌ. والأوّل أولى لمطابقته للفظ التنزيل.

قوله: (**فإن قلتَ: لِمَ قال: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾**)... إلخ، معنى السؤال أنّ المناسب "والذين آمنوا" للنظر إلى قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، أو المناسب "مِن الذين اتّقوا" للنظر إلى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾. وتحقيقُ الجواب أنّ هؤلاء الكافرين كانوا يسخرون مِن المؤمنين مِن غير تفرقة بين المتّقين منهم وغير المتّقين؛ لأنّهم لم يكونوا يعلمون مَن المتّقي وغير المتّقي، فإنّ التقوى في القلب لا يعلمه إلّا الله، وإنّما يكون فوق الكفّار المتقون مِن المؤمنين لا غيرُ / المتّقين [٢٢٣و]
كالمنافقين والمُرابين،[١] فلذا أطلَق في الأوّل وقيّد في الثاني.

قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾.

---

١ ن: المرائين.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ يريد: فاختلفوا فبَعَث الله، وإنّما حُذف لدلالةِ قوله: ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ عليه، وفي قراءةِ عبد الله: "كان الناسُ أمّةً واحدةً فاختلفوا فبَعث الله" والدليلُ عليه قولُه عزَّ وعلا: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْۚ﴾ [يونس ١٠/١٩].

وقيل: كان الناسُ أمةً واحدةً كفّارًا فبعث الله النبيّين فاختلفوا عليهم، والأولُ الوجهُ.

**فإن قلتَ**: متى كان الناسُ أمةً واحدةً متّفقين على الحق؟.

**قلتُ**: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان بين آدمَ وبين نوحٍ عليهما السلامُ

---

الأمّة: هم القوم المجتمعون على شيء واحد يقتدي بعضهم ببعض.

قوله: (عليه)، أي: على المحذوف.

قوله:[١] **(وفي قراءة عبد الله)**... إلخ، أشار أوّلًا بقوله: **(وإنّما حُذف)**... إلخ، إلى[٢] القرينة[٣] الدالّة على المحذوف، ثمّ أشار[٤] إلى أنّه لا بدّ مِن تقدير هذا المحذوف بقوله: **(وفي[٥] قراءة عبد الله: "كان الناس")**.[٦] وقوله: **(والدليل عليه)**، أي: على الحذف.

قوله: **(وقيل: كان الناس أمّة واحدةً كفّارًا)** اعلم أنّه لا بدّ على هذا الوجه أيضًا مِن تقدير "فاختلفوا" لقوله تعالى: ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ﴾، لكن على[٧] هذا الوجه يقدَّر "فاختلفوا" بعد قوله: ﴿مُنذِرِينَ﴾ فتأمّل. وإليه أشار المصنِّف بقوله: **(فبعث الله النبيّين فاختلفوا عليهم)**.

قوله: **(والأوّل الوجهُ)**[٨] يؤيّده[٩] السؤال والجواب الآتي.

قوله: **(وبين نوح)** الوجهُ ألّا يكون "بين"؛ لأنّه يقتضي متعدِّدًا، لكنّه في أكثر النُّسخ كذلك، فكأنّه كرّره للتأكيد.

---

١ ر - (عليه)، أي: على المحذوف. قوله.
٢ ر - إلى.
٣ ر: للقرينة.
٤ ن ر + أولًا بقوله: وإنّما حذف.
٥ ر: ومن.
٦ ما وقفت عليها فيما بين يديّ مِن كتب القراءات.
٧ ن - على.
٨ ن: أوجه.
٩ ر: يريد.

عشرةُ قرونٍ على شريعةٍ من الحقِّ فاختلفوا.

وقيل: هم نوحٌ عليه السلام ومَن كان معه في السفينة.

﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يريد الجنسَ، أو: مع كلِّ واحدٍ منهم كتابَه.

﴿لِيَحْكُمَ﴾ اللهُ، أو الكتابُ، أو النبيُّ المنزلُ عليه.

﴿فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾: من الحقِّ ودِينِ الإسلام الذي اختلفوا فيه بعدَ الاتفاق.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾: في الحقِّ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: إلّا الذين أوتوا الكتاب المنزلَ لإزالةِ الاختلاف؛ أي: ازدادوا في الاختلاف لمّا أُنزل عليهم الكتابُ، وجعلوا نزولَ الكتاب سببًا لشدَّة الاختلاف واستحكامِه.

﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾: حسدًا بينهم وظلمًا؛ لحِرْصهم على الدنيا وقلَّةِ إنصافٍ منهم.

و﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ بيانٌ لِمَا اختلفوا فيه؛ أي: فهدى اللهُ الذين آمنوا للحقِّ الذي اختلَف فيه مَن اختلَف.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾

﴿أَمْ﴾ منقطعةٌ، ومعنى الهمزةِ فيها: التقريرُ، وإنكارُ الحسبان واستبعادُه.

---

قوله: (لإزالة) "اللام" في "لإزالة" متعلِّق بقوله: (أوتوا) أو بـ(المُنزَل).[١]

قوله: (أي: ازدادوا) فسَّر المصنِّف قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ بقوله: "ازدادوا"، أي: ما ازداد[٢] الاختلاف فيه، وإنّما فسّره بالازدياد؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ دالٌّ على اختلاف سابق، فتعيَّن أن يكون ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ﴾ بمعنى ازداد[٣] الاختلاف،[٤] فتأمّل.

---

١ ن: بالنزول؛ ر: بالنزل.

٢ ن ر: ازدادوا.

٣ ن ر: ازدياد؛ وفي هامش د: ازدياد. خ [اختصارًا مِن "نسخة"].

٤ ر: لا اختلاف.

لمَّا ذَكر ما كانت عليه الأممُ من الاختلافِ على النبيّين بعد مجيءِ البيّنات -تشجيعًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبرِ مع الذين اختَلفوا عليه من المشركين وأهلِ الكتاب وإنكارِهم لآياته وعداوتهم له- قال لهم على طريقة الالتفات التي هي أبلغ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ﴾.

و"لمَّا" فيها معنى التوقُّعِ، وهي في النفي نظيرةُ "قد" في الإثبات، والمعنى: أنّ إتيانَ ذلك متوقَّعٌ منتظَرٌ.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ﴾: حالُهم التي هي مَثَلٌ في الشدَّة.

و﴿مَسَّتۡهُمُ﴾ بيانٌ للمَثَل، وهو استئنافٌ كأنَّ قائلًا قال: كيف كان ذلك المثَل؟ فقيل: ﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ﴾.

﴿وَزُلۡزِلُواْ﴾: وأُزْعِجوا إزعاجًا شديدًا شبيهًا بالزَّلزلة بما أصابهم من الأهوال والأفزاع.

﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾: إلى الغايةِ التي قال الرسولُ ومَن معه فيها: ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾؛

---

قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ﴾.

خاطَب به النبيّ والمؤمنين بعد ما ذُكر مِن اختلاف الأمم على الأنبياء... إلخ.

قوله: (**قال لهم**)، أي: للنبيّ والمؤمنين، أي: يطلبون دخول الجنّة بسهولة.

قوله:[1] (**نظيرة "قد" في الإثبات**) كقول المؤذن: "قد قامت الصلاة"، أي: كما أنّ في "قد" معنى التوقع، أي: لا بدّ مِن متوقَّع في الإثبات كذلك في (**لمّا**) معنى التوقّع، أي: طلب وقوع الفعل في النفي.

قوله: (**أن إتيان[2] ذلك**)، أي: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ﴾.

قوله: (**بما أصابهم**) متعلِّق بقوله: (**زُلزلوا**) أو (**أزعجوا**).

قوله: (**ومَن معه فيها**)، أي: في تلك الأهوال[3] والأفزاع. وفيه نظرٌ.

---

[1] ن ر – (قال لهم)، أي: للنبيّ والمؤمنين، أي: يطلبون دخول الجنّة بسهولة. قوله.
[2] ن ر: إثبات.
[3] ن: الأحوال.

أي: بلغ بهم الضررُ والضجرُ ولم يبقَ لهم صَبْرٌ حتى قالوا ذلك، ومعناه: طلبُ النصرِ وتَمَنِّيهِ واستطالةُ زمانِ الشدَّة.

وفي هذه الغايةِ دليلٌ على تَنَاهي الأمر في الشدَّة وتماديهِ في العِظَمِ؛ لأنَّ الرُّسل لا يُقَادَرُ قَدْرُ ثباتهم واضطرابِهم وضَبْطِهم لأنفسهم، فإذا لم يبقَ لهم صَبْرٌ حتى ضجُّوا كان ذلك الغايةَ في الشدة التي لا مَطْمَحَ وراءها.

﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ على إرادة القول، يعني: فقيل لهم ذلك إجابةً لهم إلى طَلِبَتهم من عاجل النصر.

وقرئ: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ﴾ بالنصب على إضمار "أنْ" ومعنى الاستقبالِ لأنَّ "أنْ" عَلَمٌ له، وبالرفع على أنه في معنى الحال؛ كقولك: شربتِ الإبلُ حتى يجيءُ البعيرُ يجرُّ بطنَه، إلّا أنّها حالٌ ماضيةٌ محكيَّة.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥﴾

فإن قلتَ: ..........................................

---

والأَولى أن نقول: الضميرُ عائد إلى "التي" لئلّا يبقى الموصول بلا عائد، أي: قالوا في شأن تلك الغاية؛ لأنهم لم يقولوا: متى نصر الله؟ إلّا عند بلوغ الغاية.

قوله: (لا يُقادَر)، أي: لا يُعارَض ولا يُقابَل.

قوله: (إلى طَلِبتهم) الطَّلِبة بكسر "اللام" ما طلبتَه مِن شيء. وقوله: (مِن عاجل) بيان "الطَّلِبة".

قوله: (وبالرفع[1] على أنّه في معنى الحال) فالأوّل حكاية المستقبل، والثاني حكاية الحال الماضية.

قوله: (إلّا أنّها) يعني في الآية بخلاف ما[2] في المثال، فإنّ القائل كان يقوله حال مجيء البعير.

---

[1] قرأ بها نافع. النشر لابن الجزري، ١/٢٢٧.
[2] ن ر - ما.

كيف طابَقَ الجوابُ السؤالَ في قوله: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم﴾ وهم قد سَألوا عن بيانِ ما ينفقون، وأُجيبوا ببيانِ المصرِف؟

قلتُ: قد تضمَّنَ قولُه: ﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ بيانَ ما ينفقونه، وهو كلُّ خير، وبُني الكلام على ما هو أهمُّ وهو بيانُ المصرِف؛ لأنَّ النفقة لا يُعتَدُّ بها إلَّا أن تقعَ موقعها، قال:

إن الصَّنيعةَ لا تكونُ صَنيعةً    حتى يُصابَ بها طريقُ المَصْنَعِ

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه جاء عمرو بن الجَمُوح وهو شيخٌ هِمٌّ وله مالٌ عظيم فقال: ماذا ننفقُ من أموالنا وأين نضعها؟ فنزلت.

وعن السُّدي: هي منسوخةٌ بفرض الزكاة.

وعن الحسن: هي في التطوُّع.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ من الكراهة، بدليلِ قوله: ............................

---

قوله: (المَصنَع)[1] هو محلّ الصنيعة، أو مصدر ميميّ.

قوله: (شيخ هِمٌّ)[2] الهِمُّ الشيخ الفاني، والمرأة هِمَّة.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ «قال الفرَّاء: الكُره بالضمّ: المشقَّة. يقال: "قمتُ على كُره"، أي: على مشقّة. قال: ويقال: "أقامني فلان على كَره" بالفتح إذا أكرهك عليه. قال: وكان الكسائيّ يقول: الكَره والكُره لغتان».[3]

قوله: (مِن[4] الكراهة)، أي: لا مِن الإكراه.

---

[1] مِن بيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه في زيادات ديوانه، ص ٤٩٣.

[2] بلفظ قريب في أسباب النزول للواحدي، ص ٦٩؛ والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر، ص ٣٤٤-٣٤٥.

[3] ر: بمعنى. | الصحاح للجوهري، «كره».

[4] ن ر - قوله: مِن.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾ ثمّ إمّا أن يكون بمعنى الكراهة على وضعِ المصدر موضعَ الوصف مبالغةً؛ كقولها:

فـإنّـمـا هـي إقـبـالٌ وإدْبـارُ

كأنه في نفسِه كراهةٌ لفَرْطِ كراهتهم له.

وإمّا أن يكون فُعْلًا بمعنى مفعولٍ كالخُبْز بمعنى المخبوز؛ أي: وهو مكروهٌ لكم.

وقرأ السُّلمي بالفتح على أن يكون بمعنى المضموم كالضُّعْفِ والضَّعْفِ، ويجوز أن يكون بمعنى الإكراهِ على سبيلِ المجازِ كأنهم أُكرِهوا عليه لشدَّة كراهتهم له ومشقَّتِه عليهم، ومنه قولُه تعالى: ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗا﴾ [الأحقاف ١٥/٤٦].

وعلى قوله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾ [البقرة ٢١٦/٢] جميعُ ما كُلِّفوه، فإنّ النفوس تكرهُه وتَنْفِرُ عنه وتحبُّ خلافَه.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ ما يُصلحُكم وما هو خير لكم ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

---

قوله: (ثمّ إمّا أن يكون) أي: الكُره بمعنى الكراهة، أي:[١] المصدر. وقوله: (على وَضْع المصدر) وهو الكُره (موضعَ الوصف)، أي: المكروه.

قوله: (فإنّما هي إقبالٌ وإدبارُ).

لكنّها رتعتْ حتّى إذا ادّكرت "فـإنّـمـا هـي إقـبـال وإدبـارُ"[٢]

قوله: "ادّكرت" يعني تذكّرت تلك الناقة فصيلَها الذي ذُبح وجُعل في جلده التبن فصار بَوًّا.

قوله: (ويجوز أن يكون)، أي:[٣] الكَره بالفتح.

قوله: (وعلى قوله: ﴿وَعَسَىٰٓ﴾) أي: وعلى نسق قوله تعالى، يعني أنّ جميع / ما كُلِّف به الناس على طريق قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ﴾، ثمّ بيَّن هذا المعنى بقوله: (فإنّ النفوس)... إلخ. [٢٢٣ظ]

---

١ ر: أو.

٢ ن ر - لكنّها رتعت حتّى إذا ادّكرت فإنّما هي إقبال وإدبار. | البيت للخنساء، وسبق تخريجه في سورة البقرة، ١٧٧/٢.

٣ ر - أي.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾

بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن جحش على سَرِيَّةٍ في جمادى الآخرة قبل قتالِ بدرٍ بشهرين ليترصَّدَ عِيرًا لِقُرَيشٍ فيها عمرو بنُ عبد الله الحَضْرميُّ وثلاثةٌ معه، فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العيرَ وفيها من تجارة الطائف، وكان ذلك أوَّلَ يومٍ من رجبٍ وهم يظنُّونه من جمادى الآخرة، فقالت قريش: قد استحلَّ محمَّدٌ الشهرَ الحرام، شهرًا يَأمَنُ فيه الخائفُ ويَبْذَعِرُّ فيه الناسُ إلى معايشهم، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العِيرَ، وعظُمَ ذلك على أصحاب السريَّة وقالوا: ما نَبرحُ حتى تَنْزِلَ تَوبَتُنا، وردَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم العيرَ والأُسارى.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لمَّا نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة.

---

قوله: **(على سريَّة)**،[١] أي: واليًا عليها.

قوله: **(قبل قتال بدر بشهرين) على رأس[٢] سبعةَ عشرَ شهرًا مِن مقدَمه عليه السلام[٣] المدينة.**

قوله: **(قد استحلَّ)** بطريق التشنيع.

قوله: **(ويَبذعِرُّ)، أي: يتفرَّق، فوقف رسول الله عليه السلام،[٤] أي: وقف النبيّ عليه السلام[٥] لأمر الغنيمة.**

قوله: **(توبتُنا)، أي: قَبول[٦] توبتنا.**[٧]

---

١ انظر: **أسباب النزول** للواحدي، ص ٧٠.
٢ ر – رأس.
٣ د + عليه السلام.
٤ ن ر – عليه السلام.
٥ ن ر – عليه السلام.
٦ ر – قبول.
٧ ر: قبوتنا.

والمعنى: يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام.

و﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدلُ الاشتمال من ﴿ٱلشَّهْرِ﴾، وفي قراءة عبد الله: "عن قتالٍ فيه" على تكرير العامل؛ كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف ٧/٧٥].

وقرأ عكرمةُ: "قَتْلٌ فيه قل قَتْلٌ فيه كبيرٌ"؛ أي إثمٌ كبيرٌ.

وعن عطاء: أنّه سُئل عن القتال في الشهر الحرام فحلَف بالله: ما يحلُّ للنَّاسِ أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتَلوا فيه، وما نُسخَتْ.

وأكثر الأقاويل على أنها منسوخةٌ بقوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾.

﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مبتدأٌ، و﴿أَكْبَرُ﴾ خبرُه، يعني: وكبائرُ قريش مِن صَدِّهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، وكفرِهم بالله، وإخراجِ أهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مما فعلَتْه السَّرِيَّةُ من القتال في الشهر الحرام على سبيلِ الخطأ والبناءِ على الظنِّ.

﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾: الإخراج أو الشرك.

﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: عطفٌ على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ..........

---

قوله: (بقوله تعالى: ﴿ٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة ٩/٥]). قوله: "﴿ٱقْتُلُواْ﴾" لفظ المصنِّف والقرآن ﴿فَٱقْتُلُواْ﴾ بـ"الفاء".

قوله: (﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ عطفٌ على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) قال رحمه الله: فإن قلتَ: كيف صحَّ[١] العطف قبل الفراغ مِن المعطوف عليه، وقد منعوا مِن ذلك؟ قلتُ: ﴿كُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ في معنى الصدِّ عن سبيل الله، فاتّحادهما هو الذي سوَّغ ذلك، كأنّه لا فصلَ، وكأنّه قال: صدٌّ عن سبيل الله والمسجد الحرام. ووجهٌ آخرُ وهو أنّ موضع ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ عقيب قوله: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ إلّا أنّه قُدّم لفرط العناية عليه كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص ١١٢/٤]، كان مِن حقّ الكلام أن يقال: "ولم يكن أحدٌ كفوًا له" لكن قُدِّم لفرط العناية، فكذا ههنا.

---

[١] ن: يصحّ.

ولا يجوز أن يُعطف على الهاء في ﴿بِهِۦ﴾.

**فإن قلتَ**: كيف صحَّ العطفُ قبل الفراغ من المعطوفِ عليه وقد مَنَعوا ذلك؟

**قلتُ**: ﴿وَكُفْرُۢ بِهِۦ﴾ في معنى الصدِّ عن سبيل الله، واتحادُهما هو الذي سوَّغ ذلك كأنَّه لا فصلَ، وكأنَّه قيل: وصدٌّ عن سبيل الله والمسجدِ الحرام، هذا وجه.

والوجه الثاني: أن موضع قوله: ﴿وَكُفْرُۢ بِهِۦ﴾ عقيب قوله: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ إلا أنه قدِّم لِفَرْط العناية عليه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ كان مِن حقِّ الكلام أن يقال: ولم يكن أحد كفوًا له، إلا أنَّه قيل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ﴾ فقدِّم قوله: ﴿لَّهُۥ﴾ لفَرْطِ العناية، فكذا هاهنا.

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ إخبارٌ عن دوام عداوةِ الكفار للمسلمين، وأنهم لا ينفكُّون عنها حتى يردُّوهم عن دينهم.

و﴿حَتَّىٰ﴾ معناها التعليلُ؛ كقولك: فلانٌ يعبد الله حتى يدخلَ الجنة؛ أي: يقاتلونكم كي يردُّوكم.

و﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ استبعادٌ لاستطاعتِهم؛ كقول الرجل لعدوِّه: إنْ ظَفِرْتَ بي فلا تُبْقِ عليَّ، وهو واثقٌ بأنَّه لا يظفَر به.

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ﴾: ومَن يَرْجِعْ عن دِينه إلى دِينهم ........................

---

حاصل هذا السؤال يعود إلى أنَّه لا يجوز الفصل بين المعطوف عليه[١] المجرور وبين ما عُطف عليه، بدليل امتناع "غلامُ زيدٍ ذاهبٌ وعمرٍو" بالجرّ، وإذا ثبت أنَّه لا يجوز الفصل بينهما يكون المعطوف على المجرور مِن تتمّته، فيكون ﴿وَٱلْمَسْجِدِ﴾ مِن تتمّة ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهو صلة المصدر، أعني ﴿صَدٌّ﴾ فيكون العطف على ﴿صَدٌّ﴾ قبل[٢] تمامه، فكيف جاز ذلك؟

قوله: (**ولا يجوز أن يُعطَف على الهاء في ﴿بِهِۦ﴾**)[٣] لفساد المعنى وعدمِ إعادة الخافض.

---

١ ر – عليه.
٢ ن ر – قبل.
٣ ن ر – في ﴿بِهِۦ﴾.

ويُطاوِعُهم على ردِّه إليه ﴿فَيَمُتْ﴾ على الردَّة ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ لِمَا يَفُوتُهم بإحداثِ الردَّة مما للمسلمين في الدنيا من ثمراتِ الإسلام، وباستدامتِها والموتِ عليها من ثواب الآخرة، وبها احتجَّ الشافعيُّ رحمه الله على أن الرِّدَّة لا تُحبِطُ الأعمال حتّى يموتَ عليها، وعند أبي حنيفةَ رحمه الله أنّها تُحْبِطها وإنْ رجع مسلمًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ رُوِي أن عبدَ الله بن جحشٍ وأصحابَه حين قَتلوا الحضرميَّ ظنَّ قوم أنهم إنْ سَلِموا من الإثم فليس لهم أَجْرٌ، فنزلَتْ.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ ..........................................

---

قوله: (على ردِّه إليه) هذا مِن حذف الفاعل وإضافة الردّ إلى مفعوله، أي: يُطاوعهم على ردِّهم إيّاه إلى دينهم، وجُعل قوله: ﴿يَرْتَدِدْ﴾ مطاوعًا لقوله: ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾.

قوله: (ممّا للمسلمين) بيان لِما يفوتهم.

قوله: (مِن ثمرات الإسلام) بيان "ما" في "ممّا للمسلمين". و"ثمرات الإسلام" كالغنيمة والفيء.

قوله: (وباستدامتها)، أي: باستدامة الرِّدّة، أي: يفوتهم ثمرات الإسلام بإحداث الرِّدّة وثوابُ الآخرة باستدامة الردّة والموت عليها.

قوله: (مِن ثواب الآخرة) بيان "ما" في (لِما يفوتهم).[١]

قوله: (حتّى يموت عليها) لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾.

قوله: (وعند أبي حنيفة[٢] أنها)... إلخ، لظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة ٥/٥].

---

[١] ن ر - في (لِما يفوتهم).
[٢] ن + رحمه الله.

عن قتادة: هؤلاء خيارُ هذه الأمّة، ثم جعلهم الله أهلَ رَجاءٍ كما تسمعون، وإنّه مَن رجا طَلَب ومَن خاف هرب.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾

نزلت في الخمر أربعُ آيات: نزلت بمكة ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل ٦٧/١٦] فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال، ثم إنَّ عمر ومعاذًا ونفرًا من الصحابة قالوا: يا رسول الله! أَفْتِنا في الخمر فإنها مَذهَبَةٌ للعقل مَسْلَبَةٌ للمال، فنزلت: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فشربها قومٌ

---

قوله: (عن قتادة: هؤلاء)... إلخ، أشار قتادةُ إلى أنّ العبد يكون راجيًا لا جازمًا بالثواب ولا قانطًا، ويكون خائفًا لا آمنًا معتمدًا على الطاعة، ثمّ ذَكَر قتادةُ فائدة الخوف والرجاء فقال: (مَن رجا)، أي: مَن رجا طلب الثوابَ بطاعته، فإنّه لو لم يرجُ وقَنِط ترك الطاعة. ثمّ قال: (ومَن خاف)، أي: مَن خاف عقاب الله تعالى (هرب)[١] عن العقاب بترك الذنوب.

قوله: (﴿سَكَرًا﴾ [النحل ٦٧/١٦]) فكأنّ[٢] فيه إشارة إلى قبحه[٣] شرعًا لذِكر الرّزق الحسن في مقابلته.

قوله: (فشربها قوم) وإنّما شربها حينئذٍ قوم وترك آخرون لِما رأوا مِن شِبه التخيير المناسب للإباحة،[٤] حيث ذُكر في الشُّرب الإثم وفي ذلك أيضًا المنفعة، ففهموا أنّ الإثم والمنفعة يتعارضان، فبقيَ أصل الإباحة، لكنّ الإباحة إنّما تكون لو لم يكن فيه رجحان الإثم، وقد رجّح بقوله: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾، وكأنّهم لمّا لم يفهموا التحريم لم يتركوه.[٥]

---

[١] جامع البيان للطبري، ٦٦٨/٣ (البقرة، ٢١٩/٢)؛ تفسير ابن أبي حاتم، ٣٨٨/٢ (البقرة، ٢١٩/٢).
[٢] ر – فكأن.
[٣] وفي هامش د: أي: النبيذ والخمر.
[٤] ن ر: الإباحة.
[٥] ن ر + ثم لم يتركوه.

وتركها آخرون، ثم دَعَا عبدُ الرحمن بن عَوْفٍ ناسًا منهم فشربوا وسَكِروا فأمَّ بعضُهم فقرأ: "قل يا أيها الكافرون أعبدُ ما تَعبدون" فنزلت: ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء ٤/٤٣] فقلَّ مَن يشربها، ثم دَعَا عِتْبانُ بنُ مالكٍ قومًا فيهم سعد بن أبي وَقاصٍ، فلمَّا سكروا افتخروا وتناشدوا حتى أنشد سَعْدٌ شِعْرًا فيه هجاءُ الأنصار، فَضربَه أنصاريٌّ بِلَحْيِ بعيرٍ فشجَّهُ مُوضحةً، فشكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر رضي الله عنه: اللّٰهمَّ بيّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة ٥/٩٠-٩١]، فقال عمر رضي الله عنه: انتهينا يا رب.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: لو وقعَتْ قطرةٌ في بئرٍ فبُنِيَت مكانَها منارةٌ لم أؤذِّن عليها، ولو وقعَتْ في بَحْرٍ ثم جَفَّ ونبتَ فيه الكلأُ لم أَرْعَهُ.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: لو أدخَلْتُ أُصبعي فيه لم تَتْبَعْني.

وهذا هو الإيمان حقًّا، وهم الذين اتَّقَوا اللهَ حقَّ تُقاته.

---

[٢٣٤و] / قوله: (ناسًا منهم)، أي: مِن الصحابة.

قوله: (فقلَّ مَن يشربها)، يعني: تَرَكها كثيرون محافظة على الصلوات حيث مُنِعوا منها مع السُّكر، وكان يشربها قليلٌ منهم في غير أوقات الصلاة؛ لأنَّ المنع لم يكن مطلقًا؛ بل مختصًّا[١] بأوقات الصلاة، وكانوا يُراعون على منطوق اللفظ ومفهومه.

قوله: (وعن عليّ رضي الله عنه: لو وَقَعت)... إلخ، قول عليّ رضي الله عنه[٢] امتثالٌ لقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾، فإنّه لمّا أمر بالاجتناب قال: (لم أؤذِّن)، (لم أرعَه).[٣]

قوله: (لم تَتْبعني)، أي: أقطعُها.

قوله: (وهذا) أي: هذا الذي ذكرنا مِن حالهم، حيث لم يكونوا يجتنبونها ما دامت حلالًا، وإذا حُرِّمت اجتنبُوها اجتنابًا كليًّا، فإنّهم كانوا تابعين للشريعة

---

١ ن ر – بل مختصًّا.

٢ ن – رضي الله عنه.

٣ ما وقفتُ عليه فيما بين يديّ مِن المظانّ.

والخمر: ما غلا واشتدَّ وقَذَفَ بالزَّبَدِ من عصيرِ العنب، وهو حرام، وكذلك نقيعُ الزبيب والتمرِ الذي لم يُطبخ، فإن طُبخ حتى ذهبَ ثلثاه ثم غلا واشتدَّ ذهب خُبثُهُ ونَصيبُ الشيطان، وحلَّ شربُه ما دون السُّكر إذا لم يَقْصِدْ بشُرْبه اللهوَ والطربَ عند أبي حنيفة رحمه الله.

وعن بعض أصحابه: لَأنْ أقولَ مرارًا هو حلالٌ أحبُّ إليَّ من أنْ أقولَ مرَّةً هو حرام، ولأنْ أخِرَّ من السماء فأتقطَّعَ قِطَعًا أحبُّ إليَّ مِن أن أتناولَ منه قَطْرةً.

وعند أكثرِ الفقهاءِ هو حرامٌ كالخمر، وكذلك كلُّ ما أَسْكرَ من كلِّ شرابٍ.

وسُمِّيت خمرًا لتغطيتِها العقلَ والتمييز؛ كما سُمِّيت سَكَرًا لأنها تَسْكُرهما؛ أي: تَحْجُزهُما، وكأنَّها سُمِّيت بالمصدر من خَمَره خَمْرًا: إذا سَتره؛ للمبالغة.

والميسر: القِمار، مصدرٌ من يَسَرَ؛ كالموْعِد والمَرْجع من فِعْلهما، يقال: يَسَرْتُهُ: إذا قَمرْتَه، واشتقاقه من اليُسْر؛ لأنه أخذُ مالِ الرجل بيُسرٍ وسهولةٍ من غيرِ كدٍّ ولا تعب، أو من اليسار ..........................................

---

في التحليل والتحريم والإباحة والمنع، دون هوى النفس ومُشتهى الطبع وقيلِ الناسِ وإضاعةِ[1] المال.

قوله: (وكذلك نقيعُ الزبيب) النقيع شرابٌ يتَّخذ مِن زبيب يُنقع في الماء مِن غير طبخ.

قوله: (وعن بعض أصحابه)... إلخ، كأنّه قال: أقول:[2] هو[3] حلال، لكنّي لا أشربه.[4]

قوله: (للمبالغة) ووجهُ المبالغة أنّه جُعل عينَ السَّتر.

قوله:[5] (إذا قمرْتَه)، أي: غلبتَه في القمار.

قوله: (بيسر وسهولة) فكأنّه موضع اليسر والسهولة.

---

[1] ن: واضعة.
[2] ن ر + أي.
[3] ن ر: المطبوخ.
[4] ن: أشرب به؛ ر: أشرب منه.
[5] ن ر - (للمبالغة) ووجهُ المبالغة أنّه جُعل عين السَّتر قوله.

**لأنه سَلْبُ يساره.**

**وعن ابنَ عباس رضي الله عنهما: كان الرجل في الجاهلية يُخاطر على أهْله وماله، قال:**

**أقـول لـهـم بـالـشِّـعْـب إذ يَـيْـسِـرُونـنـي**

---

قولـه: (**لأنّـه سَـلْبُ يسـاره**)،[١] أي: سَـلْب يسـار الرجُـل[٢] وهـو المقمـور. ولا يجوز أن يقال: لأنّه تحصيل يِسار الرجُل وهو القامر؛ لأنّهم ما كانوا يأخذون مال المقمور لأنفسهم؛ بل كانوا يدفعون ما يأخذون بالقمار إلى الفقراء ولا يأكلون منه.

قولـه: (**يُخاطر**) الخَطَر: الإشراف على الهلاك، ومنه الخَطَر[٣] لِما يُتراهن[٤] عليه.

قوله:

**(أقــول لهــم بالشِّــعب إذ ييسِــرونني)**

تمامه:

ألـم تعلمـوا أنّـي ابـن فـارس زَهْـدمِ[٥]

"ييسرونني"، أي: يقتسمونني كما يُقتسَم أعضاء الجزور في الميسر، أراد أنّهم أخذوا فِداءَه فاقتسموا،[٦] فكأنّهم اقتسموا[٧] نفسه. وزَهْدم: اسم فرس، أصله فرخ البازي، سُمّي به الفرس لسرعته. وفي **المطلع**: "ألم تيأسوا" مكان "ألم تعلموا"، وهو لغة النَّخَع، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الرعد ٣١/١٣]، أي: أفلم يعلم. ذَكَر المصنّف تمامه في سورة الرعد:[٨]

ألـم تيـأسـوا أنّـي ابـن فـارس زَهْـدمِ

---

١ ر: بشارة.

٢ ر: لرجل.

٣ ن ر: حظر.

٤ ن: يراهن.

٥ البيت لسحيم بن وثيل في **البصريات** للفارسي، ٥٨٧/١؛ و**الصحاح** للجوهري، «يسر».

٦ ر: فاقتسموه.

٧ ر: أقيموا.

٨ في تفسير الرعد، ٣١/١٣.

أي: يفعلون بي ما يَفعل الياسرون بالميسور.

**فإن قلتَ**: كيف صفةُ الميسِر؟

**قلتُ**: كانت لهم عشرةُ أقداح وهي: الأَزْلام والأقْلام: الفَذُّ والتَّوْأمُ والرَّقيبُ والحِلْسُ والنافِسُ والمُسبلُ والمعلَّى والمنيحُ والسَّفِيحُ والوَغْدُ، لكلِّ واحد منها

---

قوله: **(الياسرون)**، أي: الغالبون في القمار. و**(الميسور)** هو: المغلوب في القمار.[١] فهما مِن قولك: يَسَرْتُه، أي: غلبته بالقمار.

قوله: **(وهي الأزلام)**، يعني أنّ الأزلام اسم جنس للأقدح[٢] العشرة، وكذلك **(الأقلام)**.[٣] ثمّ عدّها المصنّف بقوله: **(الفذُّ)**. ونظمَها بعضهم، فقال:

وأقــداحُ أزلامِ الـقـمـارِ عـديـدةٌ ببيتين منـهـا مُـسـبِـلٌ وسـفـيـحُ
وفـذٌّ وحِـلـسٌ والـمُـعـلّـى ونـافـسٌ رقـيـبٌ ووغـدٌ تـوأمٌ ومَـنـيـحُ[٤]

واعلم أنّ إيراد المصنِّف الأقداح بطريق النثر خير مِن إيرادها منظومة كما فَعَل بعضهم، لِما في نثره مِن الترتيب الدالّ على نصيب كلّ واحد منها، إذ نصيب **الأوّل** واحد ونصيب **الثاني** اثنان **إلى السابع** الذي نصيبه سبعة. نعم نظمُ غير صاحب النصيب حَسَن. إذا أرادوا أن ييسروا اشتروا جزورًا نسئة[٥] ويُضرَب للسبعة الياسرين[٦] ليُعلم مَن يجب عليه الثمن، ثمّ ينحرونه قبل أن ييسروا، ويقسمونه عشرة أقسام، وهو قول أكثر الأئمّة. وقال الأصمعيّ: ثمانيةً وعشرين سهمًا. ولو كان كما قال لم يظهر الفوز والغُرم، لاحتمال[٧] أن يخرج لكلّ مِن السبعة الياسرين قِدْح مِن / اللاتي لها نصيب إلى أن يستغرق الجميعَ الثمانية والعشرين، فيفوز الجميع بالأنصباء ولا يظهر مَن عليه الغُرم. [٢٢٤ظ]

فأمّا على ما ذَهَب إليه الأكثر فإذا ضرب القِداح وخَرَج الفذُّ[٨] وله نصيب واحد أَخَذ صاحبه عُشرًا مِن أعشار الجزور وسَلِم مِن الغُرم واعتزل القومَ،

---

[١] ر: بالقمام.
[٢] ن ر: الأقداح.
[٣] ر: الأزلام.
[٤] ما وقفت على قائلهما فيما بين يديّ مِن المظانّ.
[٥] ن: نسيئة.
[٦] ر: الياسرون.
[٧] ر: لا اجتماع.
[٨] ر: القدح.

نصيبٌ معلومٌ من جزورٍ ينحرونها ويُجَزِّؤونها عشرةَ أجزاءٍ، وقيل: ثمانيةً وعشرين، إلّا لثلاثةٍ وهي المنيح والسَّفيح والوَغْدُ، ولبعضهم:

لـــيَ فـــي الـــدنـــيـــا ســـهـــامٌ لـــيـــس فـــيـــهـــنَّ ربـــيـــحُ
وأسَـــامِـــيـــهـــنَّ وغـــدٌ وســـفـــيـــحٌ ومَـــنـــيـــحُ

للفذِّ سَهْمٌ، وللتوْأم سَهْمان، وللرَّقيب ثلاثةٌ، وللحِلْس أربعةٌ، وللنافس خمسةٌ، وللمُسْبل ستَّةٌ، وللمُعَلَّى سبعةٌ، يجعلونها في الرِّبَابَةِ -وهي خريطةٌ- ويضعونها على يديْ عَدْلٍ، ثم يُجَلْجِلُها ويُدْخِل يده فيُخْرِجُ باسم رجلٍ رجل قِدْحًا منها، فمَن خرج له قِدْحٌ من ذوات الأنصباء أخذَ النصيبَ الموسومَ به ذلك القِدْحُ، ومَن خرجَ له قِدْحٌ مما لا نصيبَ له لم يأخذ شيئًا وغُرِّمَ ثَمَنَ الجزور كلَّهُ.

---

وإن كان الذي خرج أوّلًا التوءم أخذ صاحبه عُشرين مِن أعشار الجزور وسَلِم مِن غُرم الثمن واعتزل، وكذلك كلُّ خارج منها إلى[1] المُعلّى، فإنّ صاحبه يأخذ مِن الأعشار حظَّ قِدْحه ويعتزل، ثمّ يعيد العَدْل[2] الإجالة ثانية، ثمّ يُخرِج سهمًا، فإن خَرَج بعد الفذّ التوأم أخذ صاحبه سهمين وسَلِم واعتزل، وإن كان الرقيب أَخَذ ثلاثة أسهم على هذا يُجيلها مرّة بعد أخرى ويُخرِج في كلّ مرّة سهمًا إلى أن يستغرق الأجزاء العشرة مِن الجزور، وغَرِم الذين لم[3] تخرج سهامُهم، ويظهر الفوز والغُرم، فإن فَضَلت حِصَص[4] السهام على أعشار[5] الجزور كما إذا خرج أوّلًا المعلّى ثمّ المُسبِل، فهذا ثلاثةَ عشرَ نصيبًا أخذ صاحب المعلَّى سبعةً مِن الأعشار وصاحبُ المُسبِل الثلاثةَ وغَرِم له الذين لم تخرُج سهامهم قيمةَ ثلاثة أعشار مع ثمن الجزور بقدر سهامهم.[6] وقس على هذا. وجميعُ ذلك إذا خرج له قِدْح مِن ذوات الأنصباء، فإن خرج له قدح ممّا لا نصيب له فقد ذُكِره في هذا الكتاب.

---

١ ن: إلا.
٢ ن: العديل.
٣ ر: ثمّ.
٤ ن: خصص.
٥ ر: اعتبار.
٦ ن ر - قيمةَ ثلاثة أعشار مع ثمن الجزور بقدر سهامهم. | ومن قوله: "فإذا ضرب القداح" إلى هنا نقله بلفظ قريب عن **المطلع الطيبيّ في فتوح الغيب**، ٣/٣٥٧.

وكانوا يدفعون تلك الأنصباءَ إلى الفقراء ولا يأكلون منها، ويفتخِرون بذلك ويَذُمُّونَ مَن لم يَدخل فيه ويُسمُّونه: البَرَمَ.

وفي حُكْم الميسر: أنواعُ القمار من النَّرد والشَّطْرنج وغيرهما.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «إيَّاكم وهاتين الكعبتين المشؤومتين فإنهما مِن مَيسرِ العَجَم».

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أن النَّرْد والشَّطْرنج من الميسر.

وعن ابن سيرينَ: كلُّ شيءٍ فيه خَطَرٌ فهو من الميسر.

والمعنى: يسألونك عمَّا في تعاطيهما، بدليلِ قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿وَإِثْمُهُمَا﴾: وعقابُ الإثم في تعاطيهما ﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ وهو الالتذاذُ بشُرْب الخمر والقمار، والطَّربُ فيهما، والتوصُّلُ بهما إلى مصادَقات الفتيان ومُعَاشَراتهم والنَّيْلِ من مطاعمهم ومشاربهم وأُعطياتهم، وسَلْبُ الأموال بالقمار والافتخارُ على الأبْرام.

وقرئ: ﴿إثمٌ كثيرٌ﴾ بالثاء.

وفي قراءة أُبيّ: "وإثمُهما أقربُ".

ومعنى الكثرة: أن أصحابَ الشُّرب والقمار يقترفون فيهما الآثامَ من وجوهٍ كثيرة.

﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ نقيضُ الجَهْدِ، ..........................................

---

قوله: (وعقابُ الإثم) يريد[1] أنّ المضاف محذوف؛ لأنّ الإثم لا يصحُّ أن يكون في مقابلة النفع؛ بل إنّما يكون في مقابلة العقاب النفعُ.

قوله: (نقيضُ الجَهْد) «جَهَده حَمله فوق طاقته مِن باب "مَنَع". ومنه قول عمرَ: 'يَجْهَد نفسَه'. وقول سعد: 'أو رجل يَجْهَد أن يحمل سلاحه مِن الضعف'،

---

[1] ر: يزيل.

**وهو أن ينفقَ ما لا يَبلغُ إنفاقُه منه الجَهْدَ واستفراغَ الوُسع، قال:**

**خُـذِي العَفْوَ مِنِّي تستديمي مَوَدَّتي**

**ويقال للأرض السَّهلة: العفو.**

**وقرئ بالرفع والنَّصب.**

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: **أنَّ رجلًا أتاه ببيضةٍ من ذهبٍ أصابَها في بعض المغازي فقال: خُذها منِّي صدقَة، فأعرَضَ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه من الجانبِ الأيمن فقال مثلَه، فأَعرض عنه، ثم أتاه من الجانبِ الأيسرِ فأَعرض عنه، فقال: «هاتها» مُغْضَبًا،** ..........................

---

على حذف المفعول، وتقديره: يَجهد[1] نفسَه، أي: يُكلِّفها مشقَّةً في حمل السلاح. والجهد والمجهود: المشقَّة، ورجل مجهود».[2]

قوله: **(وهو أن يُنفق)** هو عائد إلى إنفاق العفو، أي: إنفاق العفو أن يُنفق الشخص.[3] فالضمير في "يُنفق" يعود إلى الشخص المُنفِق، وفي **(إنفاقه)** إلى **(ما)**، وفي **(منه)** إلى ما عاد إليه الضمير في "يُنفق". وقوله: "منه"[4] متعلِّق بقوله: **(يبلغ)**. فكأنّه قال: لا يبلغه. و"مِن" للابتداء أو للتبعيض.

قوله:

**(خُـذي العفوَ منّي تستديمي مودّتي)**

تمامه:

ولا تنطقي في سَورتي حين أغضبُ[5]

---

١ ر - أن يحمل سلاحه مِن الضعف، على حذف المفعول، وتقديره: يَجَهد.

٢ **المغرب** للمُطرِّزي، «جهد».

٣ ن ر - هو عائد إلى إنفاق العفو، أي: إنفاق العفو أن يُنفق الشخص.

٤ ر + الضمير.

٥ مختلف في نسبته: فهو لشُريح القاضي في **الوحشيّات** لأبي تمام، ص ١٨٥؛ ولعامر بن عمرو البكاء في **الحماسة البصريّة** للبصري، ٢/٧٠؛ ولأسماء بن خارجة في **الدرّ الفريد** لابن أيدمر، ٦/١٤٦؛ ولأبي الأسود الدؤلي في المشكوك به مِن ملحق ديوانه، ص ٣٨١؛ **والأشباه والنظائر** للخالديّين، ١/١٠١؛ وهو بلا عزو في **الصحاح** للجوهري، «عفا».

فأخذها فَخَذَفَهُ بها خَذْفًا لو أصابه لَشَجَّهُ أو عَقَره، ثم قال: «يجيءُ أحدكم بماله كلِّه يَتصدَّق به ويجلس يتكفَّفُ الناس! إنَّما الصدقةُ عن ظهر غنًى».

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٢٠﴾

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾: إمَّا أن يتعلَّق بـ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ فيكون المعنى: لعلكم تتفكرون فيما يتعلَّق بالدارَيْن فتأخذون بما هو أصلحُ لكم كما بيَّنتُ لكم أن العَفْوَ أصلحُ من الجَهْد في النفقة، أو تتفكرون في الدارين فتُؤْثِرون أبقاهُما وأكثرَهما منافع.

ويجوز أن يكون إشارةً إلى قوله: ﴿وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾ لتتفكَّروا في عقاب الإثم في الآخرة والنفعِ في الدنيا، ..........

---

قوله: "حين" بدل مِن قوله: "في سَورتي"، وهو ظرف "تنطقي".[1]

قوله: (فخَذَفه بها)[2] يقال: "خَذَفه بالحصى" و"حَذَفه بالعصى".

قوله: (أو عَقَره)، أي: جرحه فهو عقيرٌ، و"قوم عَقْرى" مثل "جَريح وجَرحى".

قوله: («يتكفَّف») استكفَّ وتكفَّف بمعنى، وهو أن يمدّ كفَّه يسأل الناس.

قوله عليه السلام: («عن ظهر غنًى»)[3] يعني أن يكون له مُعتمَدٌ كظهر يَعتمِد[4] عليه، ونكَّر غنًى، أي: غنًى ما إمَّا بالمال أو بالحال كأبي بكر رضي الله عنه.

قوله: (كما بيَّنتُ لكم) تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في قوله:[5] ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾.

قوله: (أو تتفكَّرون في الدارين) وعلى هذا الوجه لا يكون حذف مضاف عن ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ بخلاف الوجه الأوَّل، إذ تقديره: متعلِّقات الدنيا والآخرة.

قوله: (ويجوز أن يكون إشارةً) هذا عطف / على قوله: "كما بيَّنتُ"؛ [٢٢٥و]
لأنَّه كان المراد منه أنَّ قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى أنَّ العفو أصلح، فقال هنا:

---

١ ر: تنطق.

٢ ن: فيها.

٣ سنن أبي داود، ٣/١٠٤-١٠٥ (١٦٧٣)؛ صحيح ابن حبّان، ٨/١٦٦ (٣٣٧).

٤ ن - كظهر يَعتمِد.

٥ د: قولك؛ ر + تعالى.

**حتى لا تختاروا النفعَ العاجلَ على النجاة من العقاب العظيم.**

**وإمّا أن يتعلق بـ﴿يُبَيِّنُ﴾ على معنى: يُبَيِّنُ لكم الآياتِ في أمرِ الدارين وفيما يتعلّق بهما لعلّكم تتفكّرون.**

---

"ويجوز أن يكون إشارة إلى قوله: ﴿وَإِثْمُهُمَا﴾"، أي: كما بيَّنتُ أنّ إثمهما أكبر. فاسمُ "يكون" ضميرٌ يعود إلى قوله:[١] ﴿كَذَٰلِكَ﴾، والحاصل أنّ المعنى يُبيِّن الله آياته بيانًا مثلَ ذلك البيان، وذلك البيان يجوز أن يكون إشارة إلى أنّ العفو أصلحُ أو أولى أنّ إثمهما أكبر. وقوله: (**على النجاة**) إشارةٌ إلى أنّ[٢] جزاء ترك المحرَّمات هي النجاة مِن العقابِ الذي يلحق بمباشرتها[٣] والإتيانِ بها.

اعلم أنّ تخلّل قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾... إلخ، بين قوله تعالى: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ وبين ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾... إلخ، لِفائدة جليّة[٤] ومناسبة سنيّة، وهو أنّ المشركين لمّا كانوا يصرفون ما يحصل مِن[٥] المَيْسر[٦] إلى الفقراء ويعدُّون ذلك مِن باب الخيرات والمَبرّات ومَنَعهم الله تعالى عن ذلك إشارةً إلى أنّ المُعتبر في باب الخيرات[٧] أن يكون بالعفو والسهولةِ لا بالجهد والحُزونة، والمَيْسر مِن قبيل ما يحصل به التأذّي ويشُقّ على الميسور ما يبذل في ثمن الجزور، وأمّا ما يعطيه الياسر فليس مِن ماله فلا خيرَ فيه، فظهر ممّا ذكرنا أنّ حمل الإشارة في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ على قوله: ﴿إِثْمُهُمَا﴾ أحسن وأنبل، فتأمّل.

قوله: (**وأمّا أن يتعلّق**)، أي: قوله: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ فهو عطف على قوله: (**إمّا أن يتعلّق**). وقوله: (في أمر الدارين) هو مثل قوله: (**أوّلًا في الدارين فتوثرون أبقاهما وأكثرهما نفعًا**). وقوله: (**وفيما يتعلّق بهما**) هو مثل قوله أوّلًا: (**فيما يتعلّق بالدارين فتأخذون بما هو أصلحُ لكم**).

---

١ ن ر - ﴿وَإِثْمُهُمَا﴾، أي: كما بيَّنتُ أنّ إثمهما أكبر. فاسمُ "يكون" ضميرٌ يعود إلى قوله.

٢ ن ر - العفو أصلحُ أو أولى أنّ إثمهما أكبر. وقوله: (على النجاة) إشارةٌ إلى أنّ.

٣ ن: مباشرتها.

٤ ن: جليلة.

٥ ن - مِن.

٦ ن: بالميسر.

٧ ن ر - ومَنَعهم الله تعالى عن ذلك إشارةً إلى أنّ المُعتبر في باب الخيرات.

لمّا نزلتْ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء ٤/١٠] اعتزلوا اليتامى وتحامَوْهم وتركُوا مخالطتَهم والقيامَ بأموالهم والاهتمامَ بمصالحهم، فَشَقَّ ذلك عليهم وكاد يُوقِعُهم في الحرج، فقيل: ﴿إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾؛ أي: مداخلتُهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خيرٌ من مُجانبتهم ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ وتعاشروهم ولم تجانبوهم ﴿فَـ﴾هم ﴿إخوانُكم﴾ في الدين ومِن حقِّ الأخِ أن يخالط أخاه.

وقد حُملت المخالَطةُ على المصاهَرة.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾؛ أي: لا يخفَى على الله مَن داخَلهم بإفسادٍ وإصلاحٍ، فيجازيَه على حَسَب مداخَلَته، فاحذروه ولا تتحرَّوا غيرَ الإصلاح.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾: لحمَلكم على العَنَتِ وهو المشقَّةُ، وأَحرَجَكم فلمْ يُطلِقْ لكم مداخلتَهم.

وقرأ طاوُسٌ: "قل إصلاحٌ إليهم"، ومعناه: إيصالُ الصلاح إليهم.

---

ثمّ إنّ المصنِّف قدَّم هنا[١] تفسير قوله: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ على قوله: ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ ليظهر تعلّقه بقوله: ﴿يُبَيِّنُ﴾، وأنّ قوله: ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ غير مقيَّد به. وفائدةُ توسيط قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ على التفسير الأخير بين العامل وهو ﴿يُبَيِّنُ﴾ ومعموله وهو ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ في لفظ القرآن الإشارةُ إلى الاعتناء بشأن التفكُّر، فتأمَّل فيه وتفكَّر ليتضحَ لك المعنى.

قوله: **(وتحامَوهم)** تحاماه[٢] الناس، أي: توقَّوه واجتبوه.

قوله: **(خيرٌ مِن[٣] مجانبتهم)** يعني أنّ قوله تعالى:[٤] ﴿خَيْرٌ﴾ هنا اسم التفضيل.

قوله: **(على المصاهرة)** مِن "صَهَر الحَجَر" إذ أدناه مِن نفسه، يقال: "صاهرتُ إليهم" إذا تزوَّجتَ فيهم.

قوله: **(ولا تتحرَّوا)**، أي: لا تطلبوا.

قوله: **(وأحرجكم)**، أي: أوقعكم في الحَرَج وهو المشقَّة.

---

[١] ر: ههنا.
[٢] ن: محاماة.
[٣] ن ر - خير مِن.
[٤] ر - تعالى.

وقرئ: "لَعْنَتَكم" بطرح الهمزة وإلقاءِ حركتها على اللام، وكذلك "فلاثم عليه".

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: غالبٌ يقدر على أن يُعْنِتَ عباده ويحرجَهم، ولكنَّه ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يكلِّف إلا ما يتَّسعُ فيه طاقتُهم.

﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾

﴿وَلَا تَنكِحُواْ﴾ وقرئ بضمِّ التاء؛ أي: لا تتزوَّجوهُنَّ، أو: لا تُزوِّجوهنَّ.

و﴿ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾: الحربيَّاتُ، والآية ثابتةٌ.

وقيل: ﴿ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾: الكتابيَّات والحربيَّات جميعًا؛ لأن أهلَ الكتاب من أهل الشرك؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة ٩/٣٠-٣١] وهي منسوخةٌ بقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة ٥/٥]، وسورةُ المائدة كلُّها ثابتةٌ لم يُنسخ منها شيء قط، وهو قولُ ابنِ عباس رضي الله عنهما والأوزاعيّ.

ورُوي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعَثَ مَرْثَد بن أبي مَرْثَدٍ الغَنَوِيَّ إلى مكَّة ليُخرِج منها ناسًا من المسلمين، وكان يَهوَى امرأةً في الجاهلية اسمها عَنَاق، فأتَتْه وقالت: ألا نَخْلو؟ فقال: وَيْحكِ! إنَّ الإسلام حال بيننا،

---

قوله: ("لَعْنَتَكُمْ")[١] أُسقِط في الكتابة ما أُسقِط في القراءة في طرح "الهمزة" فقط.

قوله: (والآية ثابتة)، أي: غير منسوخة.

قوله: (بقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ [النساء ٤/٢٤])، أي: الحرائر والعفائف.

قوله: (وروي أنّ رسول الله عليه السلام)[٢] سبب النزول.

---

[١] ر: أحنتكم. | قراءة شاذّة، مرويّة عن اليزيدي. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٢٠.

[٢] ن: صلّى الله عليه وسلّم؛ ر - عليه السلام.

فقالت: فهل لك أن تتزوج بي، قال: نعم، ولكن أَرْجعُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمِرُه، فاستأمَرَهُ فنزلت.

﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ﴾: ولَامرأةٌ مؤمنةٌ حرَّةً كانت أو مملوكةً، وكذلك ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ﴾ لأنّ الناس كلَّهم عبيدُ الله وإماؤه.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ ولو كان الحالُ أن المشركةَ تعجبُكم وتحبُّونها، فإن المؤمنةَ خيرٌ منها مع ذلك.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى المشركات والمشركين؛ أي: ﴿يَدْعُونَ﴾ إلى الكفر فحقُّهم أن لا يُوالَوْا ولا يصاهَرُوا ولا يكونَ بينهم وبين المؤمنين إلّا المناصبةُ والقِتالُ.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾ يعني: وأولياء الله وهم المؤمنون يَدْعون إلى الجنة ﴿وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾ وما يُوصِلُ إليهما، فهم الذين تجبُ موالاتُهم ومصاهرَتُهم وأنْ يؤثِروا على غيرِهم.

---

قوله: (فنزلتْ)،[١] أي: الآية.

قوله: (وكذلك ﴿وَلَعَبْدٌ﴾)، أي: هو شامل للحرّ والمملوك.

قوله: (لأنّ الناس كلّهم عبيدُ الله) هذا إشارةٌ إلى تعليل صحّة تفسيرِ الأَمة بالمرأة حرّةً أو مملوكةً وتفسيرِ العبد بالرجل حُرًّا كان أو مملوكًا.

قوله: (ألّا يُوالوا) الموالاة ضدّ المعاداة.

قوله: (إلّا المُناصَبة) يقال: "ناصبتُه الحربَ" مناصبةً.

قوله: (وأن يُوثَروا على غيرهم)[٢] قال الإمام برهان الدِّين المطرِّزي: الصواب وألّا يُوثَر عليهم غيرُهم.[٣] وفي نسخة الصمصام: "وألّا يُوثروا على غيرهم"، فيحتمل أن تكون "لا" زائدة كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف ١٢/٧]، يعني: لمّا وقع لفظة "لا" ههنا في نُسَخ الكشّاف. والمعنى إنّما يستقيم / بدونها، [٢٢٥ظ]

---

[١] ن ر: نزلت.

[٢] قال الطِّيبي في فتوح الغيب، ٣٦٥/٣: «صحّ بغير "لا" من نسخة المعزّي». ثمّ أورد كلام المطرِّزي، وما جاء في نسخة الصمصام.

[٣] الظاهر من السياق أن ذلك مذكور على هامش نسخته من الكشّاف.

﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾: بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي يُستحَقُّ به الجنّةُ والمغفرة.
وقرأ الحسن: "والمغفرةُ بإذنه" بالرفع؛ أي: والمغفرةُ حاصلةٌ بتيسيره.

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾

﴿ٱلۡمَحِيضِ﴾ مصدر، يقال: حاضتْ محيضًا؛ كقولك: جاء مَجيئًا وبات مَبيتًا.

---

فالوجه أن نقول: زادها صاحب **الكشّاف** ههنا كما في ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ﴾ هي زائدة، وفائدةُ زيادتها تأكيدُ مضمون الجملة.

قوله: (**بتيسير الله**) إنّما فسّر قوله تعالى: ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ بقوله: "بتيسيره"؛ لأنّه[1] لا يستقيم أن يقول: "إنّ الله يدعو بإذنه"، وحاصل المعنى أنّ الله تعالى يدعو الناس إلى الجنّة بإذنه لهم في الطاعات والأعمال الصالحة، وإذنُه تعالى للعباد عبارةٌ عن تيسيره وتوفيقه وبعثِ الرسل وإنزالِ الكتب.

وهذه **الحاشية** غير منقّحة. والصواب أن يقول: لمّا فسّر قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ﴾ بقوله: (**أولياء الله**) فسّر قوله تعالى: ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ بقوله: "بتوفيقه للعمل". وفي هذا أيضًا بحثٌ؛ إذ لا يستقيم أن يكون المعنى: "وعبادُ الله يدعو إلى الجنّة بتيسير الله تعالى وتوفيقه للعمل"، فتأمّل.

وأظنُّ أنّ الأَولى ألّا يقدَّر المضاف على ما قُدِّر، ويقال: "والله[2] يدعو إلى الجنّة بتوفيقه وتيسيره للعمل" أو يقدَّر المضاف كما قدِّر، لكن لا يُفسَّر قوله تعالى: ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ على ما فسّره؛ بل يقال: "وعباد الله يدعون إلى الجنّة بإذن الله لهم في هذه[3] الدعوة"، فإنّه لولا أنّ الله تعالى أَذِنَ[4] لهم[5] في هذه الدعوة لَما ساغ لهم هذه الدعوة.[6] وأحمدُ الله على التوفيق.

---

١ ر: بأنّه.
٢ ن + تعالى.
٣ ن – هذه.
٤ ن ر: أذنهم.
٥ ن ر – لهم.
٦ ن + إليه.

﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾؛ أي: الحيض شيءٌ يُستَقْذَرُ ويُؤذي مَن يَقْرَبُه نفرةً منه وكراهةً له. ﴿فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾: فاجتنبوهن، يعني: فاجتنبوا مُجامَعَتهنَّ.

رُوي: أنَّ أهل الجاهلية كانوا إذا حاضتِ المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فُرُشٍ ولم يساكنوها في بيتٍ كفِعل اليهود والمجوس، فلمَّا نزلَتْ أخذ المسلمون بظاهر اعتزالهنَّ فأخرجوهنَّ من بيوتهم، فقال ناسٌ من الأعراب: يا رسول الله! البردُ شديد والثيابُ قليلة، فإن آثرناهنَّ بالثياب هلك سائر أهل البيت، وإن استأثَرْنا بها هلكَت الحُيَّضُ، فقال عليه الصلاة والسلام: «إنَّما أُمرتُم أن تعتزلوا مجامَعتهنَّ إذا حِضْنَ، ولم يأمُركم بإخراجهنَّ من البيوت كفِعْل الأعاجم».

وقيل: إن النصارى كانوا يجامعونهنَّ ولا يبالون بالحيض، واليهودَ كانوا يعتزلونهن في كلِّ شيء، فأمرَ اللهُ سبحانه بالاقتصاد بين الأمرين.

وبين الفقهاء خلافٌ في الاعتزال: فأبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله يوجبان اعتزال ما اشتَمَل عليه الإزارُ، ومحمد بن الحسن لا يوجبُ إلا اعتزالَ الفرج.

ورَوى محمّدٌ حديثَ عائشة رضي الله عنها: أنَّ عبد الله بن عمر سألها:

---

قوله: (يستقذر) القذر ضدّ النظافة قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ قال محيي السنّة:[1] «فإن قيل: لِمَ قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ وهو ممّا لا يَشكُّ فيه أحد. قيل: الأذى هو المكروه الذي ليس بشديد كقوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾[2] [آل عمران ١١١/٣]، وقوله: ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ [النساء ١٠٢/٤]، فالمعنى أنّه أذى يسير يُعتزل موضعه لا غيرُ ولا يتعدّى إلى سائر بدنها فيُجتنب[3] ويُخرج مِن البيوت كفعل اليهود والمجوس».[4]

قوله: (وروى محمّد) يعني روى محمّد بن الحسن الحديثين، ثمّ قال: هذا مذهب أبي حنيفة،[5] ثمّ ذكر الحديث الثالث عن عائشةَ تقوية لمذهبه. فقوله:

---

[1] ر + رحمه الله.
[2] ن ر + هو المكروه.
[3] ر: فليجيب، ن: فلا تجنب.
[4] شرح السنّة للبغوي، ١٢٤/٢.
[5] ن + رحمه الله.

**هل يباشِرُ الرجلُ امرأته وهي حائض؟ فقالت: تشدُّ إزارَها على سَفِلَتِها ثم ليباشِرْها إن شاء.**

**وما روى زيد بن أسلم: أنَّ رجلًا سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم: ما يَحِلُّ لي من امرأتي وهي حائضٌ؟ قال: «لتَشُدَّ عليها إزارَها ثم شأنَكَ بأعلاها».**

**ثمّ قال محمد: وهذا قولُ أبي حنيفةَ رحمه الله، وقد جاء ما هو أرخَصُ من هذا عن عائشةَ رضي الله عنها: أنها قالت: يجتنِبُ شِعَارَ الدَّمِ وله ما سوى ذلك.**

**وقرئ: ﴿يَطَّهَّرنَ﴾ بالتشديد؛ أي: يتطهَّرن، بدليلِ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، وقرأ عبد الله: "حتى يتطهَّرن"، و: ﴿يَطْهُرْنَ﴾ بالتخفيف.**

---

(**وقد جاء**)... إلخ، مقول[١] قول محمّد بن الحسن، قاله تقوية لمذهب[٢] نفسه.

قوله: (**هل يباشر؟**)، أي: يمسُّ بشرتها ليس المراد الجماع.

قوله: (**على سَفِلَتها**) السافِلة: المقعدة والدبر. والسَّفِلة بكسر "الفاء" قوائم البعير.

قوله: (**ثمّ قال**)، أي: محمّد بن الحسن.

قوله: (**وقد جاء**)، أي: وقال محمّد قد جاء.

قوله: (**شعارَ الدم**)[٣] قال رضي الله عنه:[٤] يجوز أن يريد بشِعار الدم الخرقةَ والإزارَ ويجعلَه كناية عن العضو لملابسته لها، ويجوز أن يريد بشِعار الدم عَلَم الدم وهو الفرج الذي يخرج منه الدم،[٥] وهذا أنسبُ للفظ الحديث.

قوله: (**بدليل**) بيان وجه القراءة بالتشديد.

قوله: (**﴿يَطْهُرْنَ﴾**)[٦] عطف على قوله: (**يَطَّهَّرْنَ**)[٧] وقراءة عبد الله "**يَتَطَهَّرْنَ**"[٨] فقط.

---

١ ن ر: منقول.

٢ ن ر – لمذهب.

٣ سنن الدارمي، ٦٢٦/١ (١٠٨٠).

٤ ن: رحمه الله.

٥ الكلام بلفظ قريب في **المغرب** للمُطرّزي، «شعر».

٦ قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وعامر وأبو جعفر ويعقوب وحفص. **النشر** لابن الجزري، ٢٢٧/٢.

٧ قرأ بها حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر. **النشر** لابن الجزري، ٢٢٧/٢.

٨ قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ بن كعب. **المغني في القراءات** للنُّوزاوازي، ص ٥١٢.

والتطهُّر: الاغتسالُ، والطُّهر: انقطاعُ دم الحيض، وكلتا القراءتين ممّا يجب العملُ به:

فذهب أبو حنيفةَ رحمه الله إلى أنَّ له أَنْ يَقْرَبها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدمِ وإنْ لم تغتسلْ، وفي أقلِّ الحيض لا يَقْرَبُها حتى تغتسلَ أو يمضيَ عليها وقتُ صلاةٍ كامل.

وذهب الشافعيُّ رضي الله عنه إلى أنه لا يَقْرَبُها حتى تطْهُرَ وتتطهَّر فتجمعَ بين الأمرين، وهو قولٌ واضحٌ، ويعضده قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾.

﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾: مِن المأتى الذي أمرَكَم الله به وحَلَّلَهُ لكم وهو القُبُل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ ممّا عسَى يَنْدُر منهم من ارتكابِ ما نُهوا عنه من ذلك.

﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾: المتنزِّهين عن الفواحش.

أو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾: الذين يُطهِّرون أنفسَهم بطُهْرَةِ التوبة مِن كلِّ ذنبٍ، ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ من جميع الأقذار؛ كمجامعة الحائض والطاهر قبلَ الغُسل، وإتيانِ ما ليس بمباحٍ، وغيرِ ذلك.

---

قوله: **(وكلتا القراءتين ممّا يجب العمل به)** لأنّهما مِن السبع المتواترة.

قوله: **(وهو قول واضح)** إنّما قال المصنِّف لقول الشافعيّ: هو قول واضح لأنّ في قول أبي حنيفة تكلُّفًا[1] لا يدلّ عليه اللفظ مِن الحمل على الحالين ومِن تقدير مضيّ وقت الصلاة وإقامتِه مقام الاغتسال. قال محيي السنّة رحمه الله[2] في **شرح السُّنة**: «﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ يعني حتّى ينقطع دمهنّ ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ يعني اغتسلن بالماء[3] فأتوهنّ مِن حيث أمركم الله».[4]

قوله: **(مِن ذلك)**، أي: مِن القربان قبل الطُّهر أو التطهُّر أو الإتيان / مِن غير المَأتى المأمور. [٢٢٦و]

---

١ ن ر: تكلف.
٢ د – رحمه الله.
٣ ن: الماء.
٤ شرح السنّة للبغوي، ٢/١٢٤.

﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٢٣﴾

﴿حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾: مواضعُ حرثٍ لكم، وهذا مجازٌ؛ شبَّهَهُنَّ بالمَحارث تشبيهًا لِمَا يُلقَى في أرحامهنَّ من النُّطَف -التي منها النَّسلُ- بالبُذور.

وقوله تعالى: ﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ تمثيلٌ؛ أي: فأْتوهنَّ كما تأتون أراضيَكم التي تريدون أنْ تحرثوها من أيِّ جهةٍ شئتُم، لا تُحظَرُ عليكم جهةٌ دون جهةٍ، والمعنى: جامِعوهنَّ من أيِّ شقٍّ أردتُم بعد أن يكون المأتَى واحدًا وهو موضعُ الحرث.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾ ﴿مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ ﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ من الكناياتِ اللطيفة والتعريضات المُستحسَنة، ............

---

قوله: (مجازٌ)، أي: مجاز بالنقصان؛ لأنّ معنى ﴿حَرۡثٞ﴾ موضع حَرْثٍ، وإذا ثبت أنّه مجاز بالنقصان فإذا ذُكر ذلك المضاف وقيل: "موضع حرث"[1] يكون تشبيهًا بحذف حرفه.

قوله: (تمثيل) فالتمثيل باعتبار تشبيه المجموع مِن إتيان قُبل المرأة أنّى شاء بمجموع إتيان الأراضي التي يراد حرثها، فإنّ وجه الشبه إذا كان مجموعًا مأخوذًا مِن الأمور يُسمّى تمثيلًا، وأمّا الكناية والتعريض كما يذكره فباعتبار المفردات بأن يكنى بالإتيان عن الوِقاع إلى غير ذلك، يعني لم يصرِّح بِذِكر ذلك، فالمراد الكناية اللغوية، يعني: لا يريد إطلاقَ اللازم وإرادةَ الملزوم؛ بل تَرْكَ التصريح بذِكر الشيء.

واعلم أنّه لا معنى لِما ذُكر في الحاشية مِن أنّ المراد الكناية اللغوية، وهو تركُ التصريح بذِكر الشيء، وذلك لأنّ التفاوت في وضوح الدلالة بالزيادة والنقصان لا يمكن في الدلالة الوضعيّة؛ بل إنّما يكون في الدلالة[2] العقليّة، وذلك إمّا بالنقل مِن اللازم إلى الملزوم أو بالعكس، فيكون إمّا مجازًا أو كناية.

---

[1] ن: حيث.

[2] ر - الوضعيّة بل إنّما يكون في الدلالة.

وهذه وأشباهُها في كلام الله تعالى آدابٌ حَسَنة على المؤمنين أن يتعلَّموها ويتأدَّبوا بها ويتكلَّفوا مثلَها في محاوراتهم ومكاتَباتهم.

وروي: أن اليهود كانوا يقولون: مَن جامَعَ امرأتَه وهي مُجَبِّيَةٌ من دُبرها في قُبلها كان ولدُها أحولَ، فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «كذبت اليهودُ» ونزلت.

﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْۚ﴾ ما يجب تقديمُه من الأعمال الصالحة، وما هو خلافُ ما نهيتُكم عنه.

وقيل: هو طلب الولد.

وقيل: التسميةُ على الوطء.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فلا تَجترِئوا على المناهي ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ﴾ فتزوَّدوا ما لا تَفتَضِحُون به.

﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ المستوجِبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفِعْلِ الحسنات.

**فإن قلتَ**: ما موقعُ قوله: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ مما قبله؟

**قلتُ**: موقعُه موقع البيان والتوضيحِ لقوله: ﴿فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ يعني: أن المأتَى الذي أمركم الله به هو مكانُ الحرث، تَرجَمةً له وتفسيرًا،

---

قوله: **(وهي مُجَبِّيَة)** «التجبية تكون في حالين: **أحدهما**[1] أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم، **والآخر** أن ينكبّ على وجهه[2] باركًا، وهو السجود»،[3] مِن قولهم: "جبى الخراج" جَمَعه؛ لأنّ فيها جمعًا بين الأعضاء.

قوله: **(ونزلت)**، أي: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾.

قوله: **(وقيل: التسمية)**، أي: يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم" عند الوطء.

قوله: **(ترجمةً)** مفعول له مِن **(قوله)** يعني أمّا الترجمة والتفسير فلأنّه[4] عُلم

---

[1] د: إحداهما.
[2] ن ر + قال أبو عبيدة.
[3] **الصحاح** للجوهري، «جبا».
[4] ن ر: ولأنّه.

**أو إزالةً للشبهة ودلالةً على أن الغرضَ الأصيلَ في الإتيانِ هو طلبُ النسلِ لا قضاءُ الشهوة، فلا تأتوهنَّ إلا مِن المأتَى الذي يتعلَّقُ به هذا الغرضُ.**

**فإن قلتَ:** ما بال ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ **جاء بغيرِ واوٍ ثلاثَ مراتٍ، ثمّ مع الواو ثلاثًا؟**

**قلتُ:** كأنَّ **سؤالَهم عن تلك الحوادث الأُوَلِ وقعَ في أحوالٍ متفرِّقة، فلم يُؤتَ بحرف العطف لأن كلَّ واحدٍ من السؤالات سؤالٌ مبتدأ، وسألوا عن الحوادث الأُخَرِ في وقتٍ واحدٍ فجيءَ بحرف الجمع لذلك؛ كأنّه قيل: يجمعون لك بين السؤالِ عن الخمر والميسر والسؤالِ عن الإنفاق والسؤالِ عن كذا وعن كذا.**

---

مِن قوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أنّ[1] المراد بـ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ هو القُبل، وأمّا إزالة الشُّبهة فلاشتباه أنّ[2] الغرض مِن الإتيان قضاءُ الشهوة أو التوالد فبيَّن بقوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أنّ الغرض التوالد.

قوله: **(جاء بغير واو ثلاث مرّات، ثمّ مع الواو ثلاثًا)**: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة ٢/٢١٥]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة ٢/٢١٧]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة ٢/٢١٩]؛ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة ٢/٢١٩]،[3] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [البقرة ٢/٢٢٠]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة ٢/٢٢٢].

فالثلاثةُ الأخيرة التي فيها "الواو" مع الأخير ممّا ليس فيه[4] "الواو"،[5] أعني[6] قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ كأنّها جُمعت فلذلك قال: **(يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر)...**[7] إلخ. وقوله: "بين السؤال عن الخمر والميسر" جعل الثلاثة التي بعده معه واحدًا.[8]

قوله: **(عن كذا)**، أي: اليتامى. وقوله: **(وعن[9] كذا)**، أي: المحيض.

---

[1] ن – أنّ.
[2] ر + المراد.
[3] ر + ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾.
[4] ن: و.
[5] ر – فيه "الواو".
[6] ر: عنى.
[7] ر – كأنّها جُمعت فلذلك قال: (يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر).
[8] ن ر: واحد.
[9] ن ر – وعن.

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٤﴾

"العُرْضَةُ": فُعلةٌ بمعنى مفعولٍ كالقُبْضَة والغُرْفَة، وهي اسمُ ما تَعْرِضُه دون الشيء، من عَرَضَ العودَ على الإناء فيَعْتَرِضُ دونه ويصيرُ حاجزًا ومانعًا منه، تقول: فلانٌ عُرْضةٌ دون الخير.

والعُرْضةُ أيضًا: المعَرَّضُ للأمر، قال:

فـلا تـجعـلـوني عُـــرْضَـــةً لـلّـوائـم

---

قوله: (تعرِضُه) بالضمّ والكسر.

قوله: (عُرضةٌ) دون الخير، أي: حاجز ومانع، وتفسيره بالمعروض أَولى مِن تفسيره بالعارض، ليُطابق كلام المصنِّف وأمّا مَن فسَّره بالعارض[1] فمقصوده[2] بيانُ حاصل المعنى لا تفسيرُ اللفظ أخذًا مِن (عَرَض العودَ على الإناء) و"السيفَ على فخذه"،[3] كما ذكره المصنِّف. فقوله:[4] "تعرِضُه"، أي: تجعله دونه ليكون مانعًا عنه، ومعناه بالفارسيّة "در پيش چيزى داشته".

قوله: (فلانٌ عُرضةٌ)، أي: عارض مانع.

قوله: (والعُرضة أيضًا: المُعرَّض) المعرَّض للأمر، أي: المنصوب له، يقال: "فلان عُرضة للناس"[5] لا يزالون يقعون فيه، وجعلت فلانًا عُرضة لكذا، أي: نصبتُه[6] له.

قوله:

(فــلا / تجعلونـــي عُرضـــة للوائـــم)[7] [٢٢٦ظ]

أي: نُصبةً.

---

[1] ن ر - أَولى مِن تفسيره بالعارض، ليُطابق كلام المصنِّف وأمّا مَن فسَّره بالعارض.

[2] ر: في صورة.

[3] ن ر: وجهه.

[4] ن: بقوله.

[5] ن ر: الناس.

[6] ن: نصبةً.

[7] ما عرفتُ قائله. وذكَر الطِّيبي صدره في فتوح الغيب، ٣/٣٧٥، وهو:

دعوني أنُحْ وَجْدًا كنَوْح الحمائم

وهو في حاشية الكشّاف للتفتازاني، ١١٧ظ.

ومعنى الآيةِ على الأولى: أنَّ الرجل كان يَحْلِفُ على بعضِ الخَيْرات: من صلةِ رَحِمٍ، أو إصْلاحِ ذاتِ بَيْنٍ، أوْ إحسانٍ إلى أحدٍ، أو عبادةٍ، ثم يقول: أخافُ الله أنْ أحنثَ في يميني، فيتركُ البِرَّ إرادَةَ البِرِّ في يمينه، فقيل لهم: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾؛ أي: حاجزًا لِمَا حلفتُم عليه.

وسمِّيَ المحلوفُ عليه يمينًا لتلبُّسه باليمين؛ كما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سَمُرَةَ: «إذا حَلَفْتَ على يمينٍ فرأيتَ غيرها خيرًا منها فأتِ الذي هو خيرٌ وكفِّر عن يمينك»؛ أي: على شيءٍ مما يُحلَف عليه.

---

قوله: (على الأولى)، أي: على أنّها "فُعْلة" بمعنى "مفعول". فقوله: "على الأولى"، أي: على اللغة الأولى، وهي أن تكون العُرضة فُعلة بمعنى مفعول.[١]

قوله: (على بعض الخيرات)، أي: يحلف على أن يترك ذلك الخير ولا يأتي به البتّة.

قوله: (أو عبادة) عطف المصنّف قوله: "عبادة" على (صلة) أو على "بعض الخيرات"؛ لأنّه أراد بالخيرات الإحسان إلى الناس وبالعبادة طاعة الله تعالى مِن غير أن يكون فيها إحسان إلى الناس كالصلاة والصوم والحجّ.

قوله: (فيترك البرَّ)، أي: الخيرَ. البِرُّ: الصلاح. وقيل: الخير. وقوله: (إرادةَ البرِّ)، أي: الصدق في اليمين.

قوله: («على يمين»)، أي: على ما يتعلّق به اليمين، وهو مِن إقامة المصدر مُقامَ المفعول، سُمّي المحلوف عليه يمينًا لأنّها بمعنى الحَلِف وجارية مَجراه، ألا تراك تقول: "حَلَف يمينًا" كما تقول: "حَلَف حَلْفًا"، فهو راجع إلى تسمية المفعول بالمصدر، كالصيد، أي: المَصيد. والدليل على ذلك أنّه قال في الحديث: "«فرأى غيرَه[٢] خيرًا»"، أي: غير[٣] المحلوف عليه. وقوله: («فأتِ الذي هو خير»)[٤] "أتى" و"جاء" يستعملان متعدّيين.

---

١ ن ر – فقوله: "على الأولى"، أي: على اللغة الأولى، وهي أن تكون العُرضة فُعلة بمعنى مفعول.
٢ ن ر: خيره.
٣ ر: عين.
٤ مسند أحمد، ٢٢١/٣٤ (٢٠٦١٦)؛ سنن أبي داود، ١٧٣/٥ (٣٢٧٧)؛ سنن الترمذي، ١٥٨/٣ (١٥٢٩).

وقوله: ﴿أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ﴾ عطفُ بيانٍ لـ"أيمانكم"؛ أي: للأمور المحلوفِ عليها التي هي البرُّ والتقوى والإصلاحُ بين الناس.

**فإن قلتَ:** بم تعلَّقت اللامُ في ﴿لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾؟

**قلتُ:** بالفعل؛ أي: ولا تجعلوا الله لأيمانكم بَرْزخًا وحجازًا، ويجوز أن يتعلق بـ﴿عُرْضَةً﴾ لِمَا فيها من معنى الاعتراض؛ بمعنى: لا تجعلوه شيئًا يَعترِض البِرَّ، من: اعترضَني كذا.

ويجوز أن تكون اللام للتعليل، ويتعلَّقُ ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ بالفِعْل أو بالعُرضةِ؛ أي: ولا تجعلوا الله لأَجْلِ أيمانكم به عُرضةً لأَنْ تَبرُّوا.

---

قوله: (**قلتُ: بالفعل، أي: ولا تجعلوا الله**) فصار ﴿تَجْعَلُواْ﴾ متعدِّيًا إلى ثلاثة بسبب "اللام".

قوله: (**يعترض البرَّ**)، أي: الخيرَ. وقوله: (**مِن "اعترضني"**)، أي: منعني.[1]

قوله: (**ويجوز أن يكون**)، أي: إذا كان "اللام" للتعليل يكون قوله: ﴿عُرْضَةً﴾[2] مفعولًا ثانيًا و﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ مفعولًا ثالثًا[3] بواسطة حرف الجرّ، ثمّ حُذف حرف الجرّ؛ لأنّ حذفها مع "أن" قياسٌ مستمر، أو يكون ﴿عُرْضَةً﴾ مفعولًا ثانيًا و﴿أَن تَبَرُّواْ﴾[4] متعلِّقًا بها، وقوله: ﴿لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ على التقديرين مفعول له.[5] والمعنى: لا تجعلوا[6] الله حاجزًا عن الخير[7] لأجل حَلِفكم، فـ"الأيمان" على هذا جمع اليمين بمعنى المصدر وليس بمعنى المحلوف عليه، ودلَّ لفظ المصنِّف على هذا حيث قال: لأجل أيمانكم به. وقوله: (**ويجوز أن يكون**) عطفًا على جملة قوله: (**فقيل لهم**)... إلخ.

قوله: (**وتتعلّق ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾**) وفي الأوّل عطف بيان.

---

[1] ن ر: معنى.
[2] ن: معرضة.
[3] ر: بالباء.
[4] ر + منقطعًا.
[5] ن ر - له.
[6] ن ر - لا تجعلوا.
[7] ن + أي.

ومعناها على الأخرى: ولا تجعلوا الله معرَّضًا لأيمانكم فتبتذِلوه بكثرة الحَلِف به، ولذلك ذمَّ مَن أنزل فيه: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم ١٠/٦٨] بأشنعِ المذامِّ، وجعَل الحلَّافَ مقدِّمتَها، و﴿أَن تَبَرُّوا﴾ علةٌ للنهي؛ أي: إرادةَ أنْ تبرُّوا وتتَّقوا وتصلحوا؛ لأن الحلَّاف مُجترِئٌ على الله غيرُ معظِّمٍ له، فلا يكون بَرًّا متَّقيًا، ولا يثقُ به الناسُ فلا يُدخِلونه في وساطتِهم وإصلاحِ ذاتِ بينهم.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾

"اللَّغوُ": الساقطُ الذي لا يُعتدُّ به من كلامٍ وغيره، ولذلك قيل لِمَا لا يُعتَدُّ به في الدِّيَة من أولاد الإبل: لَغْوٌ.

واللغوُ من اليمين: الساقط الذي لا يُعتَدُّ به في الأيمان، وهو الذي لا عَقْدَ معه.

---

قوله: (فتبتذلوه) ابتذالُ الثوب وغيرِه: امتهانُه.

قوله: (أي: إرادة أن تبرُّوا) وإنّما قدَّر "إرادة" ليتحقَّق شرط حذفِ "اللام"، أي: المقارنة، فإنّ المقارن لعدم الجعل عُرضةً هو إرادة البرّ والتقوى والإصلاح لا البرّ والتقوى والإصلاح.

وأنا أقول: يجوز ألّا يقدّر" إرادة" ويكون الحذف، لأنّ حذف[1] الجارّ مع "أن" قياس مستمر، وظاهر كلام المصنِّف يدلُّ على أنّ المراد بالإرادة إرادةُ الله تعالى، وهي علّة نهي الله، أي: نهاكم إرادةَ. ثمّ إنّ تقدير الإرادة لتكون فعلًا لفاعل الفعل المعلّل، فيتحقَّق شرط حذف "اللام"، ويجوز أن يكون الحذف لِما ذكرنا قبلُ. ويجوز أن يكون المراد بالإرادة إرادةَ العبد، فإنّ قوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً﴾ في معنى: كفُّوا أنفسكم عن جعله عُرضةً، والإرادة صالحة لكونها علّة الكفّ.

قوله: (لا[2] عقدَ معه)، أي: لا عزمَ معه.

---

[1] ر: الحذف.

[2] ن: ألا.

والدليلُ عليه: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة ٨٩/٥].

﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ واختلف الفقهاء فيه:

فعند أبي حنيفة وأصحابه: هو أن يحلف على الشيء يظنُّه على ما حَلَفَ عليه ثم يظهر خلافهُ.

وعند الشافعي رحمه الله: هو قول العرب: لا واللهِ، و: بلى والله، مما يؤكِّدون به كلامَهم ولا يخطر ببالهم الحَلِف، ولو قيل لواحد منهم: سَمِعتُك اليومَ تحلِفُ في المسجد الحرام، لأنكر ذلك، ولعله قال: «لا والله» ألفَ مرَّةٍ.

وفيه معنيان:

**أحدهما**: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ﴾؛ أي: لا يعاقبُكم بلغوِ اليمين الذي يَحلفه أحدُكم بالظَّنِّ، ﴿وَلَٰكِن﴾ يعاقبُكم ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾؛ أي: اقترفَته من إثم القصدِ إلى الكذب في اليمين، وهو أن يحلف على ما يَعلم أنَّه خلافُ ما يقوله وهي اليمينُ الغَمُوسُ.

**والثاني**: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ﴾؛ أي: لا يُلْزِمكُم الكفَّارة بلغوِ اليمين الذي لا قصدَ معه،

---

قوله: **(والدليل عليه)**، أي: على أنّه الذي لا عقدَ معه. استدلّ المصنِّف على أنّ المراد بلَغوِ اليمين هو الذي لا عقدَ معه بقوله تعالى في المائدة: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا / عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة ٨٩/٥] وبقوله[١] ههنا ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾. [٢٢٧و]

قوله: **(وفيه معنيان)**، أي: في قوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾... إلخ.

قوله: **(بالظنّ)** وإن ثبت فيه الكفّارة باتّفاق الإمامين.

قوله: **(اقترفته)** الاقترافُ: الاكتساب.

قوله: **(وهي[٢] اليمينُ[٣] الغموس)** فإنّه مؤاخَذ به بمعنى معاقَب وإن لم تجب به الكفّارة عند أبي حنيفة.

---

[١] ن: وكقوله.
[٢] ر: وهو.
[٣] ن ر - اليمين.

﴿وَلَٰكِن﴾ يُلزِمُكم الكفَّارة ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، أي: بما نوَتْ قلوبكم وقصدَتْ من الأيمان، ولم يَكنْ كَسْبَ اللِّسان وحدَه.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ حيث لم يؤاخِذْكم باللغو في أيمانكم.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾

قرأ عبد الله: "آلَوا من نسائهم"، وقرأ ابن عباس: "يُقْسِمون من نسائهم".

فإن قلتَ: كيف عُدِّيَ بـ﴿مِن﴾ وهو معدًّى بـ"على".

---

قوله: (﴿وَلَٰكِن﴾ يُلزِمكم الكفّارة)، فإنّ المؤاخذة بمعنى لزوم الكفّارة متحقِّقة فيها وإن لم يتحقَّق العقاب، كما إذا حَلَف على يمين فرأى غيرها خيرًا[١] فكفَّر وأتى الذي هو خير، وكما إذا حَلَف بالظنّ. ثمّ اعلم أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ إذا فسِّر بقوله: يُلزِمكم الكفّارة باليمين التي نوتْ قلوبكم وجب على مذهب أبي حنيفةَ تفسيره بالحَلِف بالظنّ الذي بان خلافه وبما رأى غيره خيرًا فكفَّر[٢] وفَعَل الخير، لا باليمين الغموس. وأمّا على مذهب الشافعيّ فيجوز أن يُفسَّر بهما وباليمين الغموس[٣] أيضًا.[٤]

وتقرير كلام المصنِّف أن نقول: قوله: (أحدهما)... إلخ، إشارة[٥] إلى[٦] أنّ المراد بالمؤاخذة[٧] في قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾ و﴿يُؤَاخِذُكُم﴾ هو الإثمُ، كما هو مذهب أبي حنيفةَ. وقوله: (والثاني) إشارة إلى أنّ المراد بالمؤاخذة لزوم الكفّارة كما هو مذهب الشافعيّ[٨] كالحَلِف بالظنّ وكاليمين الغموس.

قوله: (كيف عُدِّي؟)، أي: ﴿يُؤْلُونَ﴾ أو كلّ واحد مِن الفعلين. وقوله: (وهو)،[٩] أي: ﴿يُؤْلُونَ﴾ أو كلّ واحد مِن الفعلين.

---

١ ر + منها.
٢ ن ر: فكفّ.
٣ ر - وأمّا على مذهب الشافعي فيجوز أن يُفسَّر بهما وباليمين الغموس.
٤ انظر: تفسير الرازي، ٨٢/٦ (البقرة، ٢/٢٢٥).
٥ ن ر: بإشارة.
٦ ن ر - إلى.
٧ ن: بالمؤاخذ.
٨ ر + رضي الله عنهما.
٩ ر - (وهو).

**قلتُ**: قد ضُمِّنَ في هذا القَسَم المخصوصِ معنى البُعْد؛ فكأنَّهُ قيل: يَبْعُدون من نسائهم مُولِينَ، أو: مُقسِمين.

ويجوز أن يراد: لهم من نسائهم تربُّص أربعةِ أشهرٍ، كقولك: لي منك كذا.

والإيلاء من المرأة أن يقول: والله لا أقربُكِ أربعةَ أشهرٍ فصاعدًا، على التقييد بالأشهر، أو: لا أقربك على الإطلاق، ولا يكون فيما دونَ أربعةِ أشهرٍ إلا ما يُحكى عن إبراهيم النخعيّ.

وحكمُ ذلك: أنه إذا فاء إليها في المدَّة بالوطء إنْ أَمْكَنه، أو بالقول إنْ عجزَ: صحَّ الفيء وحَنِثُ القادرُ ولزمتهُ كفَّارة اليمين ..........................

---

قوله:[1] **(ويجوز أن يراد: لهم مِن نسائهم)**، أي: للمؤمنين مِن نسائهم تربُّص أربعة أشهر، فيتعلَّق ﴿مِن﴾ بـ"لهم"، يعني يكون قوله: ﴿تَرَبُّصُ﴾ مبتدأ خبرُه ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾، و﴿مِن﴾ متعلّق بالجارّ والمجرور لا بالصلة، أي: تربُّص أربعة أشهر[2] حاصلٌ وثابتٌ لهم مِن نسائهم، و﴿مِن﴾ تكون للابتداء فقوله: "لهم" عبارة عن قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾، وَضَع المصنِّف الضمير موضعَ الموصول مع صلته ليظهر تعلُّق ﴿مِن﴾ بالجارّ والمجرور وأنّه غيرُ متعلِّق بالصلة؛ لأنّ الضمير لا يتعلَّق به حرف الجرّ لأنّ الضمير لا يعمل.

قوله: **(والإيلاء مِن المرأة)** عدّاه بـ﴿مِن﴾ كما في قوله تعالى: ﴿يُؤْلُونَ مِن نِّسَآبِهِمْ﴾.

قوله: **(فيما دون أربعةِ أشهر)** يدلُّ على أنّ الإيلاء يصحُّ في أربعة أشهر، وهو مذهب أبي حنيفةَ، وكذا قوله: "أربعة أشهر" يدلُّ عليه دلالة ظاهرة.

قوله: **(وحكمُ ذلك)**، أي: الإيلاء.

قوله: **(وحَنِث القادر)** لأنّه وطئ في مدّة حَلَف ألّا يطأ فيها، والفيء بالوطئ موجِب للكفّارة فحَسْب.[3]

---

[1] ن - (وهو)، أي: ﴿يُؤْلُونَ﴾ أو كلَ واحد مِن الفعلين. قوله.

[2] ن ر - فيتعلّق ﴿مِن﴾ بـ"لهم"، يعني يكون قوله: ﴿تَرَبُّصُ﴾ مبتدأ خبرُه ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾، و﴿مِن﴾ متعلّق بالجارّ والمجرور لا بالصلة، أي: تربُّص أربعة أشهر أربعة أشهر.

[3] ر: فحنث.

ولا كفَّارةَ على العاجز، وإنْ مضتِ الأربعةُ بانت بتطليقةٍ عند أبي حنيفة رحمه الله، وعند الشافعيِّ رضي الله عنه: لا يصحُّ الإيلاء إلَّا في أكثر من أربعة أشهر، ثمّ يُوقَفُ المُولي: فإمَّا أن يَفيءَ وإمَّا أن يطلِّق، وإن أبى طلَّقَ عليه الحاكمُ.

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءُو﴾: فإن فاؤوا في الأشهر، بدليل قراءة عبد الله: "فإن فاؤوا فيهن".

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يغفرُ للمُولِين ما عسى يُقْدِمون عليه مِن طلب ضرارِ النساء بالإيلاء -وهو الغالبُ، وإن كان يجوز أن يكون على رضًا منهنَّ إشفاقًا منهنَّ على الولد من الغَيْلِ، أو لبعض الأسباب- لأجل الفَيئة التي هي مثلُ التوبة.

﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾

﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ فتربَّصوا إلى مضيِّ المدَّة.

---

قوله: (ولا كفارة على العاجز) لأنّه ما وطئ فلم يحنث.

قوله: (عند أبي حنيفةَ) متعلِّق[1] بقوله: "والإيلاء مِن المرأة"... إلخ.

قوله: (ثمّ يُوقَف)، أي: بعد مضيّ أربعة أشهر.

قوله: (فإمّا أن يفيء وإمّا أن يطلِّق)، أي: يطالب بالطلاق أو الفيئة.

قوله: (فإن فاءوا في الأشهر) هذا يوافق مذهب أبي حنيفةَ.

قوله: (ما عسى) مفعول (يغفر).[2]

قوله: (مِن الغِيل) أو مِن العلوق قبل تمام مدّة الرضاع للأوّل. ويقال لمثله: مِغيال.[3]

قوله: (أو لبعضٍ) عطف على (إشفاقًا).

قوله: (﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ فتربّصوا) فسّر قوله: ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ﴾ بقوله: "فتربّصوا"؛

---

[1] ن - متعلق.
[2] ن: يغتسل؛ ر: يغيل.
[3] ن: معنيان.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وعيدٌ على إصرارهم وتركِهم الفَيئةَ.

وعلى قول الشافعي رحمه الله معناه: ﴿فَإِن فَآءُو﴾ ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ﴾ بعد مضيِّ المدَّة.

**فإن قلتَ**: كيف موقعُ الفاء إذا كانت الفَيئةُ قبل انتهاءِ مدَّةِ التربُّص؟

**قلتُ**: موقعٌ صحيحٌ؛ لأن قوله: ﴿فَإِن فَآءُو﴾ ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ﴾ تفصيلٌ لقوله: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ والتفصيل يَعْقُب المفصَّلَ؛ كما تقول: أنا نَزيلُكم هذا الشهرَ، فإن أحمدتُكم أقمْتُ عندكم إلى آخره، وإلا لم أُقِمْ إلَّا رَيْثَما أَتَحَوَّلُ.

**فإن قلتَ**: ما تقول في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وعَزْمُهم الطلاق ممَّا يُعلَم ولا يُسمَع؟

**قلتُ**: الغالبُ أن العازمَ للطلاق وتركِ الفيئة والضِّرار لا يخلو من مُقاولةٍ

---

لأنَّه يقع الطلاق[1] بمُضيِّ المدّة عند أبي حنيفةَ.

قوله: (**بعد**) تنازَع فيه (**فاءوا**) / و(**عزموا**). وعند أبي حنيفةَ يجوز قبله. [٢٢٧ظ]

قوله: (**فإن قلتَ: كيف موقع الفاء؟**)[2] هذا مِن طرف الشافعيّ، أي: فإنّ "الفاء" يقتضي الانتهاء؛ لأنّه للتعقيب، فكيف يصحُّ ما هو مذهب أبي حنيفةَ؟ فإن الفيء عنده في الأشهر الأربعة.

قوله: (**والتفصيلُ يعقب المفصَّل**) هذا كافٍ في التعقيب.

قوله: (**أنا نَزيلكم**) نَزَل به ضيف ونَزَل عليه وهو نزيله، أي: ضيفه، وهم نزلاؤه.

قوله: (**أحْمَدتُكم**)، أي: وجدتُكم محمودًا.

قوله:[3] (**إلّا ريثما**)، أي: قدرًا ما رَأْث، أي: أبطأ ريثًا، وقولهم: "أمهلتُه ريثما فعل كذا"، أي: ساعةَ فَعَله. وفي **مقامات الحريري**: «ريثما[4] خلَع نعلَيه وغسل رجلَيه».[5]

---

١ ن ر - فتربّصوا فسّر قوله: ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ﴾ بقوله: "فتربّصوا"؛ لأنّه يقع الطلاق.

٢ ن ر - الفاء.

٣ ن ر - أي: ضيفه، وهم نزلاؤه قوله: (أحْمَدتُكم)، أي: وجدتُكم محمودًا. قوله.

٤ ر - فعل كذا"، أي: ساعةَ فَعَله. وفي مقامات الحريري: «ريثما.

٥ **مقامات الحريري**، ص ٢٣.

ودَمْدَمةٍ ولا بدَّ له من أن يُحدِّثَ نفسَه ويُناجِيَها بذلك، وذلك حديثٌ لا يَسمعه إلا اللهُ كما يسمعُ وسوسة الشيطان.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٨﴾

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ أراد: المدخولَ بهنَّ مِن ذواتِ الأقراء.

**فإن قلتَ**: كيف جازت إرادتُهن خاصةً واللفظُ يقتضي العموم؟

**قلتُ**: بل اللفظُ مطلَقٌ في تناوُلِ الجنس، صالحٌ لكلِّه وبعضِه، فجاء في أحدِ ما يَصْلُحُ له كالاسم المشترك.

---

قوله: **(ودَمْدَمة)** الدمدمة: الكلام الخفيُّ، وكذلك الدندنة.[1]

قوله:[2] **(أراد المدخولَ بهنّ)** فإنّ غير المدخول بها[3] وغيرَ ذوات الأقراء حكمها خلاف ذلك.

قوله: **(واللفظ يقتضي العموم)**، أي: لفظ ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ يقتضي العموم لأنّه يتناول كل مطلَّقة مِن المدخول بهنّ وغيرِ المدخول بهنّ.

قوله:[4] **(بل اللفظ مُطلَق)** وذلك لأنّ ﴿ٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ صالحةٌ للمطلَّقات المدخولاتِ، وللمطلَّقات الغير المدخولاتِ، وللمطلَّقات[5] ذوات الأقراء، وللمطلقات ذوات الأشهر، وللمطلقات الحوامل، وما يمتاز بسببه كلّ واحدة مِن تلك الجموع عن[6] الأخرى بمنزلة المشخِّصات[7] المميِّزة للأفراد، فنسبة المطلَّقات

---

[1] نسب الطِّيبي هذا المعنى إلى **الحواشي**. والظاهر أنّه يريد حواشي **الكشّاف**. ثمّ قال: ولم نجد في كتب اللغة الدمدمة في الميم. انظر: **فتوح الغيب**، ٣٨٥/٣. قلت: الدمدمة في كتب اللغة: الغضب، والكلام الذي يزعج الرجل. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «دمم».

[2] ر - (ودَمْدَمة) الدمدمة: الكلام الخفيُّ وكذلك الدندنة. قوله.

[3] ر: بهنّ.

[4] ن - قوله.

[5] ر: المطلقات.

[6] ر: غير.

[7] ن: المتشخّصات.

**فإن قلتَ:** فما معنى الإخبارِ عنهنَّ بالتربُّص؟

**قلتُ:** هو خبرٌ في معنى الأمر، وأصلُ الكلام: ولْيَتربَّصِ المطلَّقاتُ، وإخراجُ الأمر في صورة الخبر تأكيدٌ للأمر وإشعارٌ بأنّه مما يجبُ أن يُتلقَّى بالمسارعةِ إلى امتثاله، فكأنَّهنَّ امتثلْنَ الأمرَ بالتَّربُّص فهو يُخبر عنه موجودًا، ونحوُه قولُهم في الدعاء: "رحمكَ الله"، أُخرج في صورة الخبرِ ثقةً بالاستجابة كأنَّما وُجِدَتِ الرحمةُ فهو يخبرُ عنها، وبناؤه على المبتدأ مما زادَه أيضًا فضلَ تأكيد، ولو قيل: وتتربَّص المطلقاتُ، لم يكن بتلك الوَكَادة.

**فإن قلتَ:** هلَّا قيل: يتربَّصْنَ ثلاثةَ قروءٍ؛ كما قيل: ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾، وما معنى ذكرِ الأنفس؟

**قلتُ:** في ذِكر الأنفُس تهييجٌ لهنَّ على التربُّص وزيادةُ بعثٍ؛ لأنّ فيه ما يَستَنكِفْنَ منه فيَحْملُهنَّ على أنْ يتربَّصنَ، ..............................

---

إلى هذه الجموع كنسبة الإنسان إلى زيد وبكر وعمرو، فكما أنّ الإنسان مُطلَق بالنسبة إلى أفراده فكذا المطلَّقات بالنسبة إلى هذه الجموع، وهذا لا[١] ينافي كون ﴿ٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ عامًا، فإنّ عمومها باعتبار آخر وهو النظر إلى كلّ واحدةٍ واحدةٍ[٢] مِن الأفراد التي يصدق عليها أنّها مطلّقة كهذه المطلّقة المدخولة وتلك المطلّقة[٣] المدخولة، فالمطلّقات بالنظر إلى كلّ واحدة مِن مطلّقةٍ مطلّقةٍ عامّ في مطلَّقات كلّ نوع، أي: المدخولة وغيرها وباعتبار[٤] الجمعية المشتركة بين الجموع مُطلَق، أي: بين جمعِ المطلّقة المدخولة وجمعِ المطلّقة[٥] الغير المدخولةِ وجمعِ المطلّقة ذوات الأقراء وجمعِ المطلّقة ذوات الأشهر.[٦]

قوله:[٧] (لأنّ فيه)، أي: في ذِكر "الأنفس" إشارة إلى أنّ أنفسهنّ مائلة إلى الرجال،

---

[١] ن: إلا.

[٢] ر - واحدة.

[٣] ر + الغير.

[٤] ن ر - مطلّقةٍ عامّ في مطلّقات كلّ نوع، أي: المدخولة وغيرها وباعتبار.

[٥] ن ر - المدخولة وجمعِ المطلّقة.

[٦] ر + قوله: (وذلك)، أي: بيانُ أنّ في ذِكر الأنفس ما يستنكفنَ.

[٧] ن + (وذلك)، أي: بيانُ أنّ في ذِكر الأنفس ما يستنكفنَ قوله.

وذلك أن أنفُس النساء طوامِحُ إلى الرجال، فأُمِرْن أن يَقْمَعْنَ أنفُسَهنَّ ويَغْلِبْنَها على الطموح، ويُجْبِرْنَها على التَّربُّصِ.

والقروءُ: جمع قُرْءٍ أو قَرْءٍ، وهو الحيضُ بدليلِ قولِه صلى الله عليه وسلم: «دَعي الصلاةَ أيّامَ أَقْرائِكِ»، وقولِه صلى الله عليه وسلم: «طلاقُ الأَمَةِ تطليقتان وعِدَّتُها حَيْضتان» ولم يَقُلْ: طُهْران، وقولِهِ تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾ [الطلاق ٦٥/٤] فأقام الأشهُرَ مقام الحيض دون الأطْهار، ولأن الغَرَضَ الأصيل في العِدَّة استبراءُ الرَّحِمِ، والحيضُ هو الذي تُستَبْرَأُ به الأرحام دون الطُّهر، ولذلك كان الاستبراءُ من الأمَة بالحيضة.

ويقال: أَقْرَأَت المرأةُ: إذا حاضَتْ، وامرأةٌ مُقرِئٌ.

وقال أبو عمرو بن العلاء: دفَع فلانٌ جاريتَه إلى فلانةَ تُقرِّئها؛ أي: تمسِكُها عندها حتى تحيضَ للاستبراء.

---

ولا شكَّ أنّ هذا ممّا يستحيين ويستنكفن منه، فتكون فيه مبالغةٌ[١] لحملهنّ على التربّص، و"الباء" للتعدية، أي: يُصيِّرن أنفسهن متربّصةً ثلاثةَ قروء.[٢]

قوله: (وذلك)، أي: بيانُ أنّ في ذِكر الأنفس ما يستنكفنَ.[٣]

قوله: (طوامحُ)، أي: نواظرُ.

قوله: (يقمعنَ) قمعتُه[٤] وأقمعتُه بمعنى، أي: قهرتُه.

قوله: (يَغلبنَها)، أي: يَغلب النساءُ الأنفسَ[٥] على الطموح، أي: يُذهبن الطموحَ ويُبعدنه عن أنفسهن. ومنه "لا تذهب به تُغلَبُ عليه"،[٦] أي: يُؤخذ منك قهرًا.

قوله:[٧] (بالحيضة) بالإجماع.

---

١ ن ر - مبالغةٌ.
٢ ن - ثلاثة قروء.
٣ ن ر - ثلاثةَ قروء قوله: (وذلك)، أي: بيانُ أنّ في ذِكر الأنفس ما يستنكفنَ.
٤ ر: قميعة.
٥ ن + أنفسهنّ.
٦ انظر: شرح المفصّل لابن يعيش، ٥٠/٧.
٧ ر - قوله.

**فإن قلتَ**: فما تقولُ في قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق ١/٦٥]، والطلاقُ الشرعيُّ إنما هو في الطهر؟

**قلتُ**: معناه: مُستقبِلاتٍ لعدَّتهن؛ كما تقول: لقيتُه لثلاثٍ بَقِينَ من الشهر، تريد: مستقبِلًا لثلاثٍ، وعدتُهنَّ الحِيَضُ الثلاثُ.

**فإن قلتَ**: فما تقولُ في قول الأعشى:

لِمَا ضَاعَ فيها من قُروءِ نِسَائكا

---

قوله: **(فما تقول في قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾**[1] **[الطلاق ١/٦٥] والطلاق الشرعي إنّما هو**[2] **في الطهر؟)** فيكون المعنى "فطلِّقوهنّ لطهرهنّ". قال الشافعيّ:[3] "اللام" في ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ بمعنى "في"،[4] كما في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء ٤٧/٢١]، أي: في يوم القيامة. وإذا كان المعنى "فطلقوهنّ في زمان عدّتهنّ" وَجَب أن يكون زمان العِدّة هو الطُّهر؛ لأنّا أُمِرنا بالطلاق في الطُّهر لا في الحيض؛ بل نُهينا عن[5] / الطلاق في الحيض. [٢٢٨و]

قوله: **(معناه مستقبلات لعدّتهنّ)** فيكون المعنى في الآية "مستقبلات لحيضهنّ"، واستقبال الحيض إنّما يتحقّق إذا كانت في الطُّهر؛ لأنّها لو كانت في الحيض لا يقال: إنّها مستقبلة للحيض.

قوله: **(لثلاث بقينَ)** "اللام" للاختصاص.

قوله:

**(لِما ضاع فيها مِن قروء نسائكا)**[6]

أفي كلّ عامٍ أنت جاشمُ غزوةٍ تشدُّ لأقصاها عزيمَ عزائكا

---

١ ن ر – (فما تقول في قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾.

٢ د – هو.

٣ ر + رضي الله عنه.

٤ انظر: **تفسير الرازي**، ٩٥/٦ (البقرة، ٢٢٨/٢).

٥ وقع ههنا في د تعليقات استغرقت لوحين كاملين، ثمّ اتّصل الكلام بعد ذلك مع اتّصال الترقيم.

٦ البيتان للأعشى في ديوانه، ص ٩١؛ وهما له في **جامع البيان** للطبري، ١٠٠/٤ (البقرة، ٢٢٨/٢)؛ و**غريب الحديث** لابن قتيبة، ٢٠٥/١؛ و**المُغرِب** للمطرّزي، «قرأ»؛ والعجز محلّ الشاهد له في **البسيط** للواحدي، ٢١٠/٤ (البقرة، ٢٢٨/٢).

**قلتُ: أراد: لِمَا ضاع فيها من عِدَّةِ نسائك؛ لشُهرةِ القُروء عندهم في الاعتداد بهنَّ؛ أي: من مدَّةٍ طويلةٍ كالمدَّةِ التي تَعتدُّ فيها النساءُ، استطال مدَّةَ غيبته عن أهله**

---

مُـــورِّثَـــةٍ مــــالًا وفــــي الــحـــيِّ[1] رفـعــةً

الجاشم: المتكلِّف. والعزاء: الصبر.

وجهُ السؤال أن يقال: "مِن" بيان "ما"، أي: أنت جاشم لِما ضاع في الغزوة، ثمّ بيَّن ما ضاع بقوله: "مِن قروء"، والحيضُ لا يوصف بالضياع؛ لأنّهن لا يُجامَعن في الحيض، فيكونَ المراد بالقروء[2] الأطهار.

وأجاب بوجهين: الأوّل أنّ القُرء بمعنى الحيض، فأطلق القُرء، أي: الحيض وأراد العِدّة مجازًا لشهرة القروء،[3] أي: الحيض عندهم في الاعتداد بهنّ. الثاني أنّ المراد بالقُرء الوقت، يقال: جاء لقرئه ولقارئه، أي: لوقته الذي كان يرجع[4] فيه، ويقال: هبَّت الريح لقُرئها ولقارئها، أي:[5] لوقتها أنشد القتبيّ:

يـــا ربَّ مـــولـــى حـــاســـدٍ مـــبـــاغـــض

عـــلـــيّ ذي ضـــغـــن وضـــــبٍّ فـــارض

لـــــه قــــــروء[6] كــــقــــروء[7] الــحـــائـــض[8]

«أي: لهذا الضغن أوقات يهيج فيها ويشتدّ كهيج دم المرأة في أوقات حيضها».[9] وضبّ فارض، أي: ضغن قديمٌ.

قوله: "مورثةٍ مالًا" صفة غزوة.

**قوله: (لشهرة) بيان جواز إطلاقِ القرء على العدّة. وقوله: (أي: مِن مدّة طويلة)**

---

[1] ر: الحجة.
[2] ر: بالقرء.
[3] ن ر: القرء.
[4] ر - يرجع.
[5] ر: أو.
[6] د: قرء.
[7] د ن: كقرء.
[8] الرجز بلا عزو في **الحيوان** للجاحظ، ٦٧/٦؛ وغريب الحديث لابن قتيبة، ٢٠٦/١؛ وجامع البيان للطبري، ٨٢/٢ (البقرة، ٦٨/٢)؛ والبسيط للواحدي، ٢١٠/٤ (البقرة، ٢٢٨/٢)؛ والمُغرِب للمطرّزي، «قرأ».
[9] **المُغرِب** للمطرّزي، «قرأ».

كلَّ عامٍ لاقتحامه في الحروب والغارات، وأنه يمرُّ على نسائه مدَّةٌ كمدَّة العِدَّة ضائعةً لا يُضاجَعْنَ فيها.

أو أراد: من أوقاتِ نسائك، فإن القُرْءَ والقارئَ جاءا في معنى الوقت، ولم يُرِد لا حيضًا ولا طهرًا.

**فإن قلتَ:** فعلامَ انتصب ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾؟

**قلتُ:** على أنه مفعولٌ به؛ كقولك: المحتكِرُ يتربَّص الغَلَاءَ؛ أي: يتربَّصْنَ مضيَّ ثلاثةِ قروءٍ، أو على أنَّهُ ظرفٌ؛ أي: يتربَّصْن مدَّةَ ثلاثةِ قروءٍ.

**فإن قلتَ:** لم جاء المميَّز على جمعِ الكثرة دون القلَّة التي هي الأَقْراء؟

**قلتُ:** يتَّسعون في ذلك فيستعملونَ كلَّ واحد من الجمعَين مكانَ الآخر

---

بيان أنّ المراد بالعدّة المدّة الطويلة. ثمّ اعلم أنّ هذا الذي ذَكَره تمحُّل ولا يوافقه قوله: "ضاع"، فإنّ ذلك يدلّ على أنّ المراد أنّك تتركهنّ ضائعة عن الاستمتاع والمباشرة في أيّام الطُهر التي هي أيّام الاستمتاع بالنساء وتشتغل بالأمور العظام، أي: يشغلك الجهاد عن استيفاء اللذّات.

قوله:[١] **(في معنى الوقت)** قال الهذليّ في معنى الوقت:

كرهتُ العَقر عَقر بني شُليل[٢] إذا هبَّت لقارئها الرياح[٣]

أي: لوقت[٤] معتاد.[٥]

قوله: **(أي: يتربّصن مُضيّ ثلاثة)** والمُضيّ ليس ظرفًا. وقوله: **(أي: يتربّصنَ مدّة)** والمدّة ظرف.

---

١ ن ر + أي: يتربصن مضى المدة ثلاثة والمضي ليس ظرفًا وقوله: أي: يتربّصن مدة والمدّة ظرف قوله.

٢ د ن: سَليل. | وأثبتُّ ما في مصادر تخريجه.

٣ البيت لمالك بن الحارث الهذلي في شرح ديوان الهذليّين للسُّكّري، ١/٢٣٩، وغريب الحديث لابن قتيبة، ١/٢٠٦؛ وجامع البيان للطبري، ٤/١٠٠ (البقرة، ٢/٢٢٨)؛ والأضداد لابن الأنباري، ص ٢٨. وفيها «شنئت» مكان «كرهت». وقال السُّكّريّ في شرحه: شُليل مِن بَجيلة، وهو جدّ جرير بن عبد الله البَجلي. لقارئها: لوقتها. العَقر: القصر، أو مكان.

٤ ر: وقت.

٥ ن: ميعاد.

لاشتراكهما في الجمعيّة، ألا ترى إلى قوله: ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ وما هي إلا نفوسٌ كثيرة.

ولعلَّ القروء كانت أكثرَ استعمالًا في جمع قَرْءٍ من الأقراء، فأُوثِرَ عليه تنزيلًا لقليلِ الاستعمال منزلةَ المُهْمَل، فيكون مثلَ قولهم: ثلاثةُ شُسوع.

وقرأ الزهري: "ثلاثةَ قُرُوٍ" بغيرِ همزٍ.

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ﴾ من الولدِ، أو من دمِ الحيض، وذلك إذا أرادت المرأة فراقَ زوجِها فكتمتْ حملَها لئلَّا يَنتظِرَ بطلاقها أن تضعَ، ولئلا يُشفِقَ على الولد فيتركَ تسريحها، أو كتمت حيضَها وقالت وهي حائض: قد طهرتُ، استعجالًا للطلاق.

ويجوز أن يراد: اللاتي يَبْغِينَ إسقاطَ ما في بطونهنَّ من الأجنَّة فلا يَعْترفنَ به ويَجْحَدْنَهُ لذلك، فجُعل كتمانُ ما في أرحامهن كنايةً عن إسقاطه.

﴿إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ تعظيمٌ لفعلهنَّ، وأنَّ مَن آمَنَ بالله وبعقابه لا يَجْترِئُ على مثله من العظائم.

والبُعولة: جمع بَعْلٍ، والتاءُ لاحقةٌ لتأنيث الجمع كما في الحُزونة والسُّهولة، ويجوز أن يراد بالبُعولة المصدرُ، من قولك: بَعْلٌ حَسَنُ البُعولَة، يعني: وأهلُ بُعولتِهنَّ.

---

قوله:[١] (ثلاثة شُسوع) قال المصنِّف[٢] في **المُفصَّل**: حقُّ مميّز العشَرة فما دونها أن يكون جمع قلّة إلّا عند إعواز جمع القلّة، كقولهم: "ثلاثة شُسوع" لفقد السماع في "أشسُع" و"أشساع" وقد روي عن الأخفش أنّه أثبت "أشسُعًا".[٣]

قوله: (لئلّا ينتظر) النَّظِرة بكسر "الظاء": التأخير، وأنظرتُه، أي: أخَّرتُه و"الباء" في (بطلاقها) للتعدية، أي: لئلّا يؤخِّر طلاقها للوضع أو إلى الوضع.

قوله: (كنايةً عن إسقاطه) الإسقاط يستلزم الكتمان فأُطلِق اللازم إرادةً للملزوم،[٤] فيكون كناية.

قوله: (وأنّ مَن آمن)، أي: تعظيم وإيذان أنّ مَن آمن.

---

[١] ن ر - (أي: يتربَّصن مُضيَّ ثلاثة) والمُضيّ ليس ظرفًا. وقوله: (أي: يتربّصنَ مدّة) والمدّة ظرف. قوله.

[٢] ر + رحمه الله.

[٣] انظر: **المفصَّل** للزمخشري، ص ٢٩٦.

[٤] ر: الملزوم.

﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: برجعتهنَّ، وفي قراءةِ أبيّ: "بِرِدَّتهنَّ".

﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: في مدةِ ذلك التربُّص.

**فإن قلتَ:** كيف جُعِلوا أحقَّ بالرجعةِ كأنَّ للنساء حقًّا فيها؟

**قلتُ:** المعنى: أن الرجل إن أراد الرجعةَ وأبَتْها المرأةُ وجَبَ إيثارُ قوله على قولها، وكان هو أحقَّ منها، لا أنَّ لها حقًّا في الرجعة.

﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ﴾ بالرَّجعةِ ﴿إِصْلَٰحًا﴾ لِمَا بينهم وبينهنَّ وإحسانًا إليهنَّ، ولم يريدوا مُضَارَّتَهنَّ.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾: ويجب لهنَّ من الحقِّ على الرجال مثلُ الذي يجبُ لهم عليهن.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الذي لا يُنْكَرُ في الشرع وعاداتِ الناس، فلا يُكلِّفنَهم ما ليس لهنَّ، ولا يكلِّفونهنَّ ما ليس لهم، ولا يُعنِّفُ أحدُ الزوجين صاحبَه.

والمراد بالمماثلة: مماثلةُ الواجبِ الواجبَ في كونه حسنةً لا في جنسِ الفعل، فلا يجب عليه إذا غسلَتْ ثيابَه أو خَبَزَتْ له أن يَفْعل نحوَ ذلك، ولكن يقابلُه بما يليقُ بالرجال.

﴿دَرَجَةٌ﴾: زيادةٌ في الحقِّ وفضيلةٌ، قيل: المرأة تَنالُ من اللَّذة مثلَ ما ينالُ الرجلُ، وله الفضيلةُ بقيامه عليها وإنفاقه في مَصالحها.

---

قوله: **(كأنَّ للنساء حقًّا فيها)**، أي:[١] كأنَّ للنساء حقًّا في الرجعة،[٢] حتَّى فضِّل الرجال عليهنّ فيها.[٣]

قوله: **(لا[٤] أنَّ لها حقًّا)**، يعني أنَّ "أحقّ" بمعنى "حقيق" هنا، وحاصله يعود إلى أنَّ المراد به[٥] التفضيل مطلقًا لا التفضيل على المضاف إليه، نحو قولهم: "هو أشعرُ أهل بلدته"، أي: شاعرهم.[٦]

١ ن - أي.
٢ ن ر - في الرجعة.
٣ ن ر - فيها.
٤ ن ر: إلا.
٥ ن - به.
٦ ن ر: شعارهم.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾

﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾ بمعنى: التطليق؛ كالسلامِ بمعنى التسليم؛ أي: التطليقُ الشرعيُّ تطليقةٌ بعد تطليقةٍ على التفريق دون الجمع والإرسالِ دفعةً واحدةً، ولم يُرِدْ بالمرَّتين التثنيةَ ولكنِ التكريرَ؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ [الملك ٦٧/٤]؛ أي: كرَّةً بعد كرَّةٍ، لا كرَّتين اثنتين، ونحوُ ذلك من التَّثاني التي يُراد بها التكريرُ قولُهم: لبَّيكَ وسَعْدَيكَ وحَنانَيْكَ وهَذاذَيْكَ ودَوالَيْكَ.

---

قوله: (على التفريق) بأن يُطلِّق في كلّ قُرء طلقةً دون الجمع بأن يُطلِّق في قُرء واحد ثلاثًا، فإنّه منهيّ كما[1] قال عليه السلام لابن عمرَ: إنّ مِن السُّنة[2] أن تستقبل الطُّهر استقبالًا فتُطلِّقها لكلّ قرء طلقة، فتلك العدّة التي[3] أمر الله أن تُطلَّق لها[4] النساء.[5]

[٣٢٨ظ] قوله: (وسَعدَيك) / المساعدة المعاونة والإسعاد الإعانة، وقولهم: "سَعدَيك"، أي: إسعادًا لك بعد إسعاد. وقوله: (وحنانيك) يقال: "حنَّ عليه حنانًا"، وقولهم: "حَنانَيك" معناه رحمةً بعد رحمة، أي: كلّما كنتُ[6] في رحمة منك اتّصلتْ برحمة منك أخرى، أي: حنّ عليّ حنانًا بعد حنان. وحاصل المعنى أنّ المتكلّم به يطلب الرحمة لنفسه. وقوله: (وهَذاذَيكَ)، أي: هذًّا بعد هذٍّ، أي: قطعًا بعد قطع. «الهَذُّ: الإسراع في القطع وفي القراءة، يقال: "هو يهُذُّ القرآن هذًّا" و"يهذُّ الحديث هذًّا"، أي: يسرده. وسكينٌ هذوذٌ: قطّاعٌ. الأصمعيّ: تقول للناس إذا أردتَ أن يكفُّوا عن الشيء: "هَجاجَيك وهَذاذَيك"».[7] وقوله: (ودَوالَيك) «تداولته الأيدي،

---

١ ن – منهي كما.

٢ ن: الصفة.

٣ ن ر – أن تستقبل الطُّهر استقبالًا فتُطلّقها لكلّ قرء طلقة فتلك العدّة التي.

٤ ن ر: وأمّا.

٥ بلفظ قريب في صحيح البخاري، ٤١/٧ (٥٢٥١)؛ وصحيح مسلم، ١٠٩٣/٢ (١٤٧١).

٦ ن ر – يقال: "حنَّ عليه حنانًا"، وقولهم: "حَنانَيك" معناه رحمةً بعد رحمة، أي: كلّما كنتُ.

٧ الصحاح للجوهري، «هذذ».

وقوله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ تخييرٌ لهم -بعد أن علَّمهم كيف يُطلِّقون- بَيْن أن يُمسِكوا النساء بحُسنِ العِشرةِ والقيام بواجبهن وبَيْن أن يُسرِّحوهن السَّراحَ الجميلَ الذي علَّمهم.

وقيل: معناه: ﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾ الرجعيُّ ﴿مَرَّتَانِ﴾ لأنّه لا رجعةَ بعد الثَّلاث ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾؛ أي: برَجعةٍ ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾؛ ..........................

---

أي: أخذته هذه مرّة وهذه مرّة. وقوله:[١] "دَوالَيك"، أي: تداولًا بعد تداول».[٢]

قوله: (والقيام بمَواجِبهنّ) المَواجِب جمع المَوْجِب، أي: موضع الوجوب، وهو الواجب، فالمرادُ بالمَواجِب الواجباتُ. وأضافها إليهنّ لأنّها حقّهنّ.

قوله: (السراحَ الجميلَ الذي علَّمهم)، أي: على التفريق دون الجمع. ثمّ اعلم أنّ موقع "الفاء" في قوله: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ﴾ بعد قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ على تقدير أن يفسَّر بالتكرير، قريبٌ مِن موقع "الفاء" في قوله: ﴿فَإِن فَآءُو﴾ إذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدّة التربُّص.

قوله: (وقيل: معناه الطلاق الرجعيّ) الأوّل تعليم الطلاق[٣] الشرعيّ مطلقًا، فيدخل تحته الرجعيّ، وهذا طلاق مقيَّد بالرجعة بيانٌ لعدد طلاق[٤] الرجعة بأنّه اثنان.[٥] ووجهُ "الفاء" على هذا التفسير ظاهر لتأخير الإمساك عن مرّتين. وقوله: (لأنّه لا رجعةَ) إذا كان المراد بقوله: ﴿مَرَّتَانِ﴾ التكرير، فوجهُ قوله: ﴿مَرَّتَانِ﴾ ظاهرٌ، وإذا كان المراد التثنية فكذلك، لأنّ المراد بالطلاق حينئذٍ الطلاق[٦] الرجعيّ، وهو مرّتان لأنّه لا[٧] رجعة[٨] بعد الثلاث. فقوله: "لأنّه" إشارةٌ إلى وجه قوله: ﴿مَرَّتَانِ﴾ على تقدير أن يراد بالطلاق الرجعيُّ.

قوله: "وقيل معناه الطلاق الرجعيّ"...[٩] إلخ؛ لأنّ "اللام" في قوله تعالى:

---

١ ن: مِن قولهم.
٢ الصحاح للجوهري، «دول».
٣ ر - الطلاق.
٤ ن ر: الطلاق.
٥ ر - بأنّه اثنان، ن: لبيان.
٦ ر: بالطلاق.
٧ ن - لا.
٨ ن: راجعة.
٩ ن ر - الطلاق الرجعي.

**أي: بأنْ لا يُراجعَها حتّى تَبينَ بالعِدَّة، أو بأنْ لا يُراجِعَها مراجعةً يريدُ بها تطويلَ العدَّةِ عليها وضِرارَها.**

**وقيل: بأن يطلِّقها الثالثةَ في الطُّهر الثالثِ.**

**وروي: أنّ سائلًا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين الثالثةُ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَٰنٍ﴾».**

**وعند أبي حنيفةَ وأصحابه: الجمعُ بين التطليقتين والثلاثِ بدعةٌ، والسنَّةُ أن لا يُوقِعَ عليها إلا واحدةً في طهرٍ لم يُجامِعْها فيه؛ لِمَا روي في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «إنَّما السنَّة أن تستقبِلَ الطُّهر استقبالًا فتُطلِّقَها لكلِّ قرءٍ تطليقةً».**

**وعند الشافعيِّ رحمه الله: لابأس بإرسال الثلاث، ..........................**

---

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ إمّا للجنس، يعني هذا الجنس مرّة بعد مرّة، والمراد تفريق الطلاق ونفيُ إرسالها كما هي السُّنة المتوارثة،[1] وإمّا للعهد وحينئذٍ يكون المراد بالطلاق الرجعيُّ لِما سبق مِن قوله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾، أي: برجعتهنّ، فيكون الطلاق المعلوم صفته مِن قبل مرّتين وهو الرجعيّ بلا مِرية.

قوله: **(حتّى تَبِين)** متعلِّق بقوله: **(لا يُراجعَها)** مِن حيث المعنى، كأنّه قال: "يتركها حتّى تبين".[2] وقوله: **(أو بألّا يراجعها)**، كما إذا طلّقها طلقة واحدة ثمّ راجعها للإمساك لا لتطويل العدّة، ثمّ اتّفق أن طلّقها لأمر عارض ولم يُراجعها حتّى بانت فذلك أيضًا مِن التسريح بإحسان. تأمّل فيه؛ إذ به يتبيَّن معنى قوله: "أو بألّا يراجعها مراجعةً يريد بها"، وقوله: "يريد بها" صفة "مراجعةً".

قوله: **(ورُوي أنّ سائلًا)**[3] هذا[4] الحديث مؤيِّد للوجه الأخير.

قوله: **(في طُهر لم يُجامعها)** لئلّا تطول العدّة.

---

[1] ن: المتوارثة. خ [اختصارًا مِن "نسخة"]؛ ر: المتواترة.

[2] ن ر – متعلِّق بقوله: (لا يُراجعَها) مِن حيث المعنى، كأنّه قال: "يتركها حتّى تبين".

[3] الحديث في تفسير ابن أبي حاتم، ٤١٩/٢ (البقرة، ٢٢٩/٢).

[4] ر: هو.

لحديثِ العَجلاني الذي لاعَنَ امرأتَه فطلَّقها ثلاثًا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يُنْكر عليه.

وروي أن جميلةَ بنتِ عبد الله بن أبيّ كانت تحت ثابت بن قيس بن شماسٍ وكانت تبغضه وهو يحبُّها، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، لا أنا ولا ثابتٌ، لا يجمعُ رأسي ورأسَه شيءٌ، والله ما أعيبُ عليه في دينٍ ولا خُلُقٍ ولكني أكرهُ الكفر في الإسلام، ما أُطيقُه بغضًا، إنِّي رفعتُ جانبَ الخبَاء فرأيتُه أقبلَ في عدَّةٍ، فإذا هو أشدُّهم سوادًا وأقصرُهم قامةٍ وأقبحهم وجهًا، فنزلت، وكان قد أَصْدقَها حَدِيقةً فاختلَعتْ منه بها، وهو أوَّلُ خُلْعٍ كان في الإسلام.

**فإن قلتَ**: لمن الخطاب في قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟﴾ إن قلتَ: للأزواج،

---

قوله: **(لحديث العَجلانيّ)** العَجلان[1] المستعجل، وبه سمِّيت القبيلة المنسوب إليها عُويمر[2] العَجلانيّ الذي نزلت[3] فيه آية اللِّعان.

قوله: («**لا أنا ولا ثابتٌ**»)، أي: لا نجتمع أنا وثابتٌ،[4] ثمّ زِيدت "لا"[5] لتأكيد النفي.

قوله: («**أكرهُ الكفر**»)،[6] أي: أكره كُفر العشير،[7] أي: الزوج. وفي الحديث: «إنكن تُكثرنَ اللعن وتكفرنَ العشير»،[8] يعني: الزوج؛ / لأنّه يُعاشرها وتُعاشره. [٢٢٩و]
وقال تعالى: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ [الحج ١٣/٢٢]. وقوله: **(في الإسلام)**، أي: في حال الإسلام. وقوله: **(ما أطيقه)** نافية. وقوله: («**بُغضًا**»)[9] تمييز، أي: ما أطيق بُغضه.

---

١ ر: العجلاني.
٢ ر – العَجلان المستعجل، وبه سمِّيت القبيلة المنسوب إليها عُويمر.
٣ ر: نزل.
٤ ن ر: أو ثابت.
٥ ن ر – لا.
٦ بلفظ قريب في مسند أحمد، ٤٣٢/٤٥ (٢٧٤٤٤)؛ وسنن أبي داود، ٥٤٤/٣ (٢٢٢٧)؛ وجامع البيان للطبري، ١٣٨/٤ (البقرة، ٢٢٩/٢).
٧ ر: العشر.
٨ صحيح البخاري، ٦٨/١ (٣٠٤)؛ صحيح مسلم، ٨٦/١ (١٣٢).
٩ الحديث في مسند أحمد، ٤٣٢/٤٥ (٢٧٤٤٤)؛ وسنن أبي داود، ٥٤٤/٣ (٢٢٢٧).

**لم يُطابقه قولُه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ وإنْ قلتَ: للأئمة والحكام، فهؤلاء ليسوا بآخذينَ منهنَّ ولا بمُؤتيهنَّ.**

**قلت: يجوز الأمران جميعًا: أن يكون أوّلُ الخطاب للأزواج وآخرُه للأئمة والحكام، ونحوُ ذلك غيرُ عزيز في القرآن وغيرِه، وأن يكونَ الخطاب كلُّه للأئمة والحكّام؛ لأنهم الذين يأمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافُع إليهم فكأنَّهم الآخذون والمؤتون.**

**﴿مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾: ممَّا أعطيتُموهنَّ من الصدقات.**

**﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: إلَّا أن يخاف الزوجان تَرْكَ إقامةِ حدودِ الله**

---

قولـه:[١] (**لـم يُطابقـه قولُـه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾**)؛ لأنّ الخطـاب فيـه (**للأئمّـة والحكّام**) بالاتّفاق.

قوله في الجواب: (**أن يكون أوّل الخِطاب للأزواج**) وعلى هذا[٢] خاطب[٣] الأزواج أوّلًا بقوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ﴾ ثمّ التفت وقال: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾، فكأنّه عدل بالخطاب عنهم إلى غيرهم وقال: إلّا أن يخاف الزوجان ألّا يقيما حدود الله فحينئذٍ يحلّ للزوج الأخذ، ثمّ قال تعالى مخاطبًا للولاة: فإن خِفتم أيُّها الولاة ألّا يقيما حدودَ الله، أي: ألّا يقيم الزوجان حدوَد الله فلا جناحَ على الزوجين في الإعطاء والأخذ. وإنّما خاطب الولاةَ أوّلًا ثمّ قال: لا جناحَ على الزوجين: إمّا ليَعلم الولاة ذلك الحكم ثمّ يُنبّهوا[٤] الزوجين ويُعلموهما ألّا جناح عليهما في ذلك، وإمّا ليَعلم الولاة ألّا جناحَ عليهما في ذلك فلا يمنعوهما عن ذلك؛ بل يحملوهما عليه. وقوله: "وأن يكون" ظاهر.

قوله: (**ونحو ذلك غير عزيز في القرآن**) مثل قوله تعالى حكاية عن عزيز مصر: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾ [يوسف ٢٩/١٢].

قوله: (**مِن الصدُقات**) جمع الصدُقة بضمّ "الدال".

---

١ ن ر – («بُغضًا») تمييز، أي: ما أطيق بُغضه. قوله.
٢ ن ر – هذا.
٣ ر: إحاطة.
٤ ن: بينوا.

فيما يلزمهما من مَواجب الزوجيّة؛ لِمَا يَحدث من نشوز المرأة وسوءِ خُلقها.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: فلا جناحَ على الرجل فيما أخَذ ولا عليها فيما أعطَتْ.

﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾: فيما فدَت به نفسَها واختَلعت به؛ من بذلِ ما أُوتِيَتْ من المهر، والخلعُ بالزيادة على المهر مكروهٌ، وهو جائزٌ في الحُكم.

ورُوي أن امرأةً نَشزَت على زوجها، فرُفعت إلى عمرَ رضي الله عنه،

---

قوله: (مِن مَواجِب الزوجيّة) المراد بمَواجِب الزوجيّة ما وَجَب عليه لها وعليها له فلذا أضاف إلى "الزوجيّة".

قوله: (فيما فدَتْ به نفسها) فسَّر قوله تعالى: ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ بقوله: "فيما فدت"...[1] إلخ، وبيَّن بقوله: (مِن بَذْل ما[2] أُوتيت)[3] أنّ المراد بـ﴿مَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ هو المهر الذي أخذَته مِن الزوج في مقابلة بُضعها، فالمعنى لا جناحَ في أن يُجعل المهر الذي أُخِذ مِن الزوج عِوضًا عن الخلع، فقولك: "افتدَت المرأة" و"فَدَت المرأة نفسَها" عبارتان عن[4] معبَّر واحد. ثمّ اعلم أنّ قوله: "مِن بذلِ ما أوتيت" يشير إلى أنّ المضاف محذوف في قوله: ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ﴾ والتقدير "في بذل ما افتدت".[5] ثمّ في قوله: "ما أوتيت مِن المهر" وقوله: (والخُلعُ)... إلخ، إشارةٌ إلى أنّ ما افتدَت به عامّ فيما أخذَته وهو المهر وفي غير المهر، ولكنّ الخُلع بالزيادة على المهر مكروه. ويجوز أن يكون المعنى المراد بما افتدت به هو المهر لذِكر ذلك بعد قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾... إلخ، وكان قد ذُكر أنّ الخُلع بأكثر مِن ذلك مكروه، ولذلك قيّد في القرآن به، ولكن جائز شرعًا.

قوله: "مِن بذل" بيان لقوله: ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ﴾ وهذا[6] يدلُّ على أنّ التقدير "في بذل ما افتدتْ"؛[7] لأنّ ما افتدت به هو المال فلا يصحُّ بيانه بالبذل.

قوله: (ورُوي) هذا بيانُ الجواز، ومثلُه البيع يوم الجمعة وقتَ النداء.

---

[1] ن ر: افتدت.

[2] ر - ما.

[3] ر: أثبت.

[4] ن ر: مِن.

[5] ر - والتقدير "في بذل ما افتدت".

[6] ن ر: وعلى.

[7] ر + به.

فأباتَها في بيتِ الزبل ثلاث ليالٍ ثم دعاها فقال: كيف وجدتِ مبيتَكِ؟ قالت: ما بتُّ منذ كنتُ عنده أقرَّ لعيني منهن! فقال لزوجها: اخلَعْها ولو بقُرطها. قال قتادة: يعني بمالها كلِّه.

هذا إذا كان النشوز منها، فإن كان منه كُره له أن يأخذ منها شيئًا.

وقرئ: ﴿إِلَّا أَنْ يُخافا﴾ على البناء للمفعول، وإبدالِ ﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾ من ألفِ الضمير، وهو من بدلِ الاشتمال كقولك: خِيفَ زيدٌ تَرْكُه إقامةَ حدودِ الله، ونحوُه: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء ٣/٢١]، وتعضدُه قراءةُ عبد الله: "إلَّا أنْ تَخافوا".

---

وحديثُ عمرَ يدلُّ على جواز الزيادة. وقوله: (أقرَّ)[١] اسم التفضيل.

قوله: («ولو بقُرطها»)[٢] هذا مبنيّ على قولهم: «خُذه ولو بقُرطَي مارِية»،[٣] كان فيهما دُرّتان ثمينتان قيمتهما أربعون ألف دينار، وهذا تمثيل[٤] فيما بينهم. ومارِية هذه هي[٥] جَدّة جَبَلَةَ بن الأيهم آخِر[٦] مَلِك مِن[٧] غسّان.

قوله: (قال قتادةُ: يعني: بمالها كلّه)[٨] والظاهر أنّه فسّر قوله:[٩] "بقُرطها" بمالها كلّه؛[١٠] لأنّ المرأة لا تبذُل / القُرط إلّا عند الضرورة[١١] والحاجة إلى بذله، وذلك [٢٣٩ظ] يكون بعد بَذْل ما مَلَك يمينها حتى[١٢] أدّت إلى بذل القُرط أيضًا. وهذا المعنى أظهرُ مِن قول مَن قال: هو مبنيّ على «خُذه ولو بقُرطي مارِية» فإنّ ذلك لا يناسب المقام.

قوله: (ونحوه)، أي: في وقوع المظهر بدلًا مِن المضمر المرفوع.

قوله: (ويعضده)، أي: قوله: ("أن يُخافا")[١٣] مجهولًا.

---

١ ن: أقرأ.

٢ ما وقفت عليه فيما سبق الكشّاف مِن المظانّ.

٣ **مجمع الأمثال** للميداني، ٢٣١/١.

٤ ن ر: التمثيل.

٥ ن ر – هي.

٦ ر + مَن.

٧ ر – مِن.

٨ ن: كلها.

٩ ن: بقوله.

١٠ ر – والظاهر أنّه فسّر قوله: "بقرطها" بمالها كلّه.

١١ ر + والظاهر أنّه فسّر قوله: "بقرطها" بمالها كلّه؛ لأنّ المرأة لا تبذل القرط إلّا عند الضرورة.

١٢ ن ر: إذا.

١٣ قرأ بها حمزة وأبو جعفر ويعقوب. **النشر** لابن الجزري، ٢٢٧/٢.

وفي قراءةِ أبيّ: "إلّا أنْ يَظُنَّا"، ويجوزُ أن يكون الخوفُ بمعنى الظنِّ، يقولون: أخافُ أن يكون كذا، و: أَفْرَقُ أن يكون، يريدون: أظنُّ.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الطلاقَ المذكورَ الموصوفَ بالتكرار في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ واستوفَى نِصابه، أو: فإن طلَّقها مرَّةً ثالثة بعد المرّتين.

﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ﴾: من بعدِ ذلك التطليقِ.

﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾: حتى تتزوَّج غيرَه، والنكاحُ يُسنَد إلى المرأة كما يُسنَد إلى الرجل كما التزوُّج، ويقال: فلانةُ ناكحٌ في بني فلان.

وقد تعلَّقَ مَن اقتصر على العقدِ في التحليلِ بظاهره، وهو سعيدُ بن المسيِّب، والذي عليه الجمهورُ أنّه لا بدَّ من الإصابة؛ لِمَا روَى عُروَةُ عن عائشة رضي الله عنها: أن امرأةَ رِفاعةَ جاءت إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقالت: إنَّ رِفاعةَ طلَّقني فبَتَّ طلاقي، وإن عبدَ الرحمنِ بنَ الزَّبِيرِ تزوَّجني وإنما معه مثلُ هُدْبةِ الثوب!

---

قوله: (الموصوف بالتكرار) هذا على التفسير الأوّل لقوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾.

قوله: (مرّة ثالثةً بعد المرّتين)[1] هذا على التفسير[2] الثاني.

قوله: (ويقال: فلانة ناكح في بني فلان)، أي: لها زوج منهم، هو كما يقال: "امرأة عاشق".

قوله: (وقد تعلّق)، أي: تمسَّك.

قوله: (وهو[3] سعيد بن المُسيَّب) هو مِن التابعين. قيل: رجع عن ذلك.

قوله: (ابن الزَّبِير) قال الإمام التُّورِبِشتيّ في شرح المصابيح: «أكثر[4] أهل النقل

---

[1] ن – هذا على التفسير الأوّل لقوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ قوله: (مرّة ثالثةً بعد المرّتين).

[2] ر – الأوّل لقوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ قوله: (مرّة ثالثةً بعد المرّتين) هذا على التفسير.

[3] ن ر – ناكح في بني فلان، أي: لها زوج منهم، هو كما يقال: "امرأة عاشق" قوله: (وقد تعلّق)، أي: تمسّك. قوله: وهو.

[4] ن ر – أكثر.

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أتريدينَ أنْ تَرْجِعي إلى رفاعةَ؟ لا، حتى تَذوقي عُسَيْلَتَهُ ويذوقَ عُسَيْلتَكِ».

ورُوي: أنها لبثتْ ما شاء الله ثم رجعتْ فقالتْ: إنَّه كان قد مسَّني، فقال لها: كذَبْتِ في قولكِ الأول فلن أُصَدِّقك في الآخَر، فلبثَتْ حتى قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتَتْ أبا بكرٍ رضي الله عنه فقالت: أأرجعُ إلى زوجي الأولِ؟ فقال: قد عَهِدْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين قال لكِ ما قال،

---

يفتحون "الزاي" ويكسرون "الباء" مِن الزَّبِير. وروى أبو بكر النيسابوريّ بضمّ "الزاي" وفتح "الباء". وكذا أخرجه محمّد بن إسماعيل الجعفي البخاري في **تاريخه**».[1]

قوله: (**فقالت: إنّه**)، أي: عبد الرحمن.

قوله: (**مسّني**)، أي: باشرني، يعني: عبد الرحمن بن الزَّبير.

قوله: (**فقال لها: «كذبت»**)... إلخ، إن قيل: إن كانت كاذبة في قولها الأوّل وجب أن تكون صادقة في الثاني، فكيف قال عليه السلام: «كذبتِ في الأوّل[2] فلن أصدِّقكِ في الثاني»؟ فجوابه أنّ معنى الحديث أنّكِ اعترفت بأنّكِ كنت كاذبة فلن يُعتمد على قولك ثانيًا، أو المعنى على الاستفهام، يعني: ما كنتِ كاذبة فيه؛ بل كنتِ صادقة فيه، فلا نصدِّقك في الثاني، وذلك لأنّه عليه السلام[3] عَلِم بالوحي أنّها كانت صادقة في الأوّل، أو المعنى أنّك وإن كنت كذبتِ[4] فقد اعترفتِ فلا نقبل رجوعك فقد حكم بكذبها، لكن لمّا كان ذلك اعترافًا لم يقبل رجوعها لكونها مأخوذة بإقرارها.

قوله: (**«عهدتُ»**)، أي: كنت حاضرًا عنده عليه السلام[5] حين قال[6] ذلك وسمعتُه؛ وذلك لأنّ العهد بمعنى اللقاء، فأطلِق العهد وهو اللقاء وأُريد ملزومه وهو الحضور والسماع، فيكون كناية، يقال: عَهِده بمكان كذا، أي: لقيَه، وإنّما قلتُ: هو كناية ولم أقل مجاز لأنّ المجاز ينافي إرادة الحقيقة، وههنا ليس كذلك.

---

١ **الميسر في شرح المصابيح** للتُّوربشتي، ٣/٧٧٦.

٢ ن – صادقة في الثاني، فكيف قال عليه السلام: كذبتِ في الأوّل.

٣ ن: صلّى الله عليه وسلّم.

٤ ن + فقد كذبت.

٥ ن: صلّى الله عليه وسلّم.

٦ ن – قال.

فلا تَرْجِعي إليه، فلمّا قُبِضَ أبو بكر رضي الله عنه قالت مثلَه لعمرَ رضي الله عنه، فقال: إن أتيتِني بعد مرَّتِكِ هذه لأَرْجُمَنَّكِ، فمنَعَها.

**فإن قلتَ**: فما تقولُ في النكاح المعقودِ بشرطِ التحليل؟

**قلتُ**: ذهب سفيانُ والأوزاعيُّ وأبو عبيدٍ ومالكٌ وغيرُهم إلى أنَّه غيرُ جائزٍ، وهو جائز عند أبي حنيفة رحمه الله مع الكراهة، وعنه: أنهما إن أَضْمَرا التحليلَ ولم يُصَرِّحا به فلا كراهة.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: أنه لعَنَ المحلِّلَ والمحلَّلَ له.

وعن عمرَ رضي الله عنه: لا أُوتَى بمحلِّلٍ ولا محلَّلٍ له إلا رجمتُهما.

وعن عثمانَ رضي الله عنه: لا، إلَّا نكاحَ رغبةٍ غير مُدالَسَةٍ.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾؛ أي: الزوج الثاني.

﴿أَن يَتَرَاجَعَا﴾: أن يرجعَ كلُّ واحدٍ منهما إلى صاحبه بالزَّواج.

﴿إِن ظَنَّا﴾: إن كان في ظنِّهما أنهما يُقيمان حقوقَ الزَّوجيَّة، ولم يقل: "إنْ عَلِما أنَّهما يقيمان"؛ لأن اليقين مُغيَّبٌ عنهما لا يَعلمُه إلَّا الله.

ومَن فَسَّرَ الظنَّ هاهنا بالعلم فقد وَهِمَ من طريق اللفظ والمعنى؛ ..........

---

قوله: (﴿فلا ترجعي﴾) مِن قول أبي بكر[1] وهو جواب عن قولها:[2] (**أأرجع؟**)، لكن قدَّم قوله: (﴿قد عهدتُ﴾)،[3] ثمّ بنى عليه الجواب بـ"الفاء".

قوله: (**لا إلّا نكاحَ رغبة**)، أي: لا أجوِّز إلّا نكاح رغبة، والمدالسة كالمخادعة، يقال: "فلانٌ لا يُدالِسُك"،[4] أي: لا يخادعك، ولا يُخفي عليك الشيء.

قوله: (**فقد وهِم**)، أي: غلط "وهِمت" بالكسر "في الحساب أوهَم وهمًا" إذا غلِطتَ فيه وسهوتَ، و"وهَمتُ في الشيء" بالفتح "أهِمُ وهمًا" إذا ذهب وهمُك إليه وأنت تريد غيره.

---

[1] ر + رضي الله عنه.

[2] د ن: قوله.

[3] هذه الزيادة مِن قوله: "ورُوي" في الكشف والبيان للثعلبي، ٦/٢٢٢ (البقرة، ٢/٢٣٠).

[4] ن - رغبة، أي: لا أجوِّز إلّا نكاح رغبة، والمدالسة كالمخادعة، يقال: "فلان لا يُدالِسُك".

لأنك لا تقول: علمتُ أَنْ يقومَ زيد، ولكن: علمتُ أنه يقوم، ولأنّ الإنسان لا يعلمُ ما في الغد وإنما يظنُّ ظنًّا.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾

﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ أي: آخِرَ عدّتهنّ وشارَفْن منتهاها، والأجلُ يقع على المدّة كلِّها وعلى آخرها، يقال لعُمرِ الإنسان: أجلٌ، وللموت الذي ينتهي به: أجلٌ، وكذلك الغايةُ والأمدُ، ..........

---

قوله: (لا تقول: علمتُ أن يقوم زيدٌ)[١] هو مِن طريق اللفظ؛ لأنّ التي تقع بعد العلم مخفَّفة مِن الثقيلة وليست الناصبة.

قوله: (ولأنّ الإنسان) هو مِن طريق المعنى.

قوله: (أي: آخر عدّتهنّ) فسّر قوله: ﴿أَجَلَهُنَّ﴾ بقوله: "آخر عدّتهنّ"، فصار المعنى: فبلغنَ آخر عدّتهنّ، ثمّ فسّر ﴿بَلَغْنَ﴾ بقوله: (شارفنَ). وقوله: "أي: آخر عدَّتهنّ" و"شارفن منتهاها" كان حقّ المصنِّف أن يقول في تفسير ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، أي: شارفن آخر عدّتهنّ ومنتهاها[٢] ليكون قوله: "شارفن" تفسيرَ ﴿بَلَغْنَ﴾ وقوله: "آخر عدّتهنّ ومنتهاها" / تفسيرَ ﴿أَجَلَهُنَّ﴾ لكن ما فعل كذلك؛ بل فسّر ﴿أَجَلَهُنَّ﴾ بـ"آخر عدّتهنّ" ثـمّ فسّر ﴿بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ بقوله: "شارفن منتهاها". [٢٣٠و]

قوله: (لِعُمر الإنسان) اعلم أنّه لمّا بيّن أنّ الأجل يطلق على المعنيين أشار إلى معنى آخر وهو أنّه يُطلَق العمر على المدّة التي يقع فيها العمر، وكذا يُطلق على الجزء الذي يقع فيه الموت.

قوله: (وكذلك الغايةُ والأمد)، أي: الغاية والأمد أيضًا يقعان على المدّة كلّها

---

١ ن – زيد.

٢ ن – كان حقّ المصنِّف أن يقول في تفسير ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، أي: شارفن آخر عدّتهن ومنتهاها.

**يقول النحويُّون: "مِن" لابتداء الغاية و"إلى" لانتهاء الغاية، وقال:**

**كـلُّ حـيٍّ مستكملٌ مـدَّةَ العُمْـ ـرِ ومُـودٍ إذا انـتـهـى أمـدُهْ**

**ويُتَّسَعُ في البلوغ أيضًا فيقال: بَلَغَ البلدَ: إذا شارفَه وداناه.**

---

وعلى آخرها، أمّا أنّهما يقعان على آخر المدّة فظاهر وأمّا أنّهما يقعان على المدّة كلِّها فكقول النحويّين: (**"مِن" لابتداء الغاية و"إلى" لانتهاء[1] الغاية**)،[2] فلو لم يُرَد بالغاية المدّة كلُّها[3] لا يصحُّ منهم هذان[4] الكلامان. هذا في الغاية. وأمّا في الأمد فكقول الشاعر: "**إذا انتهى أمدُه**"، أي: إذا انتهى مدّة عمره. وأوّله:

**(كـلُّ حـيّ مستكملٌ مـدّة العُمْـ ـر ومُـودٍ إذا انـتـهـى أمـدُه)**[5]

قوله: "**مُودٍ**"، أي: هالك مِن "أودى"، أي: هلك.

قوله: (**أيضًا**) يدلّ على أنّ إطلاق الأجل على أحد معنييه بطريق الاتّساع، فليُتأمَّل فيه كيف هو. والظاهر أنّه حقيقة في جميع المدّة، وأمّا في آخر المدّة فمجازٌ، يدلُّ عليه قول صاحب **الصحاح والمجمل**: «الأجل مدّة الشيء».[6] ويؤيّده[7] قول المصنِّف: (**ويتّسع في البلوغ أيضًا**)، حيث قال: "أيضًا"، فينبغي أن يكون الأجل في آخر المدّة مجازًا.

**قوله: (إذا شارفه)**، أي: قرُب منه، يقال: "شارفتُ الشيءَ". وقوله: **(وداناه)** كالبيان لقوله: "شارفه".

**قوله: (﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، أي: آخر عدّتهن وشارفن منتهاها)** فسّر قوله: **﴿أَجَلَهُنَّ﴾** بقوله: "آخر عدّتهن". وقوله: **﴿بَلَغْنَ﴾** بقوله: "شارفن"،[8] فالمعنى

---

١ ن: للانتهاء.

٢ ن – الغاية.

٣ ن – فكقول النحويّين: ("مِن" لابتداء الغاية و"إلى" لانتهاء الغاية)، فلو لم يُرَد بالغاية المدّة كلُّها.

٤ ن: هو.

٥ البيت للطِّرِمّاح بن حكيم في ديوانه، ص ١٣٩، وفيه «انقضى عدده» مكان «انتهى أمده»؛ وهو له في **جامع البيان** للطبري، ٥/٣٢٣ (آل عمران، ٣/٣٠)؛ و**الفائق** للزمخشري، ١/٥٨؛ و**المحرَّر الوجيز** لابن عطيّة، ١/٤٢١ (آل عمران، ٣/٣٠).

٦ **الصحاح** للجوهري، «أجل»؛ **مجمل اللغة** لابن فارس، ١/٨٨، «أجل».

٧ ن: ويريد.

٨ عاد الجاربردي إلى هذا الكلام بعد أن كان شرحه وشرح ما بعده، فالظاهر أنّه تكرار.

**ويقال: قد وصل، ولم يَصِل وإنما شارَفَ.**

**ولأنه قد عُلِمَ أنَّ الإمساك بعدَ تَقَضِّي الأجل لا وجهَ له؛ لأنها بعد تقضِّيه غيرُ زوجة له وفي غير عدَّةٍ منه، فلا سبيلَ له عليها.**

**﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ﴾: فإما أن يُراجِعَها من غيرِ طلبِ ضرارٍ بالمراجعة.**

**﴿أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ﴾: وإما أن يُخلِّيَها حتى تنقضيَ عدَّتُها وتَبِينَ مِن غيرِ ضِرارٍ.**

**﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا﴾ كان الرجل يطلِّق المرأةَ ..............................**

---

إذا شارفنَ منتهى العِدَّة، ثمّ حقّق أنّ المعنى هذا بأنّ الأجل يقع على آخر المدّة والبلوغ على المشارفة. ثمّ أشار بقوله: **(ولأنه قد عُلم)**... إلخ، إلى أنّه لا يصحّ الحمل على غير هذا المعنى، إذ لا يمكن أن يكون المعنى "إذا تقضّى الأجل[1] فأمسكوهنّ بمعروف أو سرّحوهنّ بمعروف"، فتعيَّن الحمل على ما ذُكر.[2] فقوله: "ولأنّه قد عُلم" عطفٌ مِن حيث المعنى على الجملة المذكورة قبل، وهو قوله: **(والأجلُ يقع على المدّة)**... إلخ، لأنّها في معنى التعليل، فكأنّه قال: إنّما فُسّر بلوغ الأجل بمشارفة المنتهى؛ لأنّ الأجل يقع على جميع المدّة وآخرِها، والبلوغَ على الوصول والمشارفة، ولا يمكن حَمْل الأجل على جميع المدّة والبلوغِ على الوصول؛ لأنّه لا يمكن الإمساك بعد تقضِّي الأجل، فتعيَّن الحمل على ما ذكرنا.

قوله: **(لا وجهَ له)** خبر **(أنّ)**.

قوله: **(أو سرّحوهنّ بإحسان)**، وفي نسخة **المُعزّي** ﴿بِمَعۡرُوفٍ﴾، وهو أصحّ؛ لأنّ لفظ القرآن ﴿بِمَعۡرُوفٍ﴾.

قوله تعالى: (﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ﴾) هو نهي عنه بعد الأمر بضدّه مبالغة، أي: لا تُراجعوهنّ.

قوله تعالى: (﴿ضِرَارٗا﴾) نصب على العلّة أو على الحال، أي: مضارِين[3] لتعتدوا، و"اللام" متعلِّقة بقوله: ﴿ضِرَارٗا﴾، والمراد تقييده.

---

[1] ر - الجعفي البخاري في تاريخه... إذا تقضّى الأجل.

[2] ن: ذكره.

[3] في هامش د: خف [اختصارًا مِن "خفيف"].

ويتركُها حتى يَقربَ انقضاءُ عدَّتها، ثم يراجعُها لا عن حاجةٍ ولكن ليُطوِّلَ العِدَّةَ عليها، فهو الإمساكُ ضرارًا.

﴿لِتَعۡتَدُواْ﴾: لتَظلِموهنَّ، وقيل: لتُلْجِئوهنَّ إلى الافتداء.

﴿فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾ بتعريضها لعقاب الله تعالى.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا﴾؛ أي: جِدُّوا في الأَخْذِ بها والعملِ بما فيها، وارْعَوهَا حقَّ رعايتها، وإلّا فقد اتَّخذتُموها هزوًا ولعبًا.

ويقال لمن لم يَجِدَّ في الأمر: إنَّما أنت لاعبٌ وهازئٌ.

ويقال: كنْ يهوديًا وإلّا فلا تلعبْ بالتوراة.

وقيل: كان الرجلُ يطلِّقُ ويُعتِقُ ويتزوَّج، ويقول: كنتُ لاعبًا.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «ثلاثٌ جِدُّهنَّ جدٌّ وهزلهنَّ جِدٌّ: الطلاقُ والنكاحُ والرَّجعةُ».

---

قوله: **(بتعريضها)** التعريض للشيء النصبُ له، و"الباء" سببيّة.

قوله: **(ويقال: كن يهوديًا)**... إلخ، كانوا يقولون لليهودي الذي لم يعمل بالتوراة حقَّ العمل: **(كن يهوديًا وإلّا فلا تلعب بالتوراة)**، أي: اعمل بالتوراة حقَّ العمل[1] وإلّا فاتركها رأسًا ولا تلعب بها.

قوله: **(وعن النبيّ عليه السلام: «ثلاثٌ جِدّهن جدّ وهزلهنّ جِدّ»)**[2] الحكمُ كما هو في الحديث بالاتفاق إلّا في النكاح، فإنّ الشافعيّ[3] لم يحكم بانعقاد نكاح الهازل، فلو طلَّق أو أعتق وقال: "كنتُ لاعبًا" أو "هازلًا" / لم ينفعه هذا اللفظ؛ بل[4] [٢٣٠ظ] لزمه[5] الطلاق والعتاق، وكذا جميع التصرُّفات. وإنّما خصّ هذه الثلاث بالذِّكر لأنّ أمرها أعظمُ وآكدُ. ثمّ اعلم أنّ هذا الحديث حديث غريب وليس بصحيح،

---

[1] ن ر – كن يهوديًا وإلّا فلا تلعب بالتوراة، أي: اعمل بالتوراة حقَّ العمل.

[2] ن ر – جِدّهن جدّ وهزلهنّ جِدّ. | سنن أبي داود، ٥١٦/٣ (٢١٩٤)؛ سنن الترمذي، ٤٨٢/٣ (١١٨٤).

[3] ر + رضي الله عنه.

[4] ر – بل.

[5] ر: على.

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام وبنبوّةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾: من القرآن والسُّنَّة، وذكرُها: مقابَلتُها بالشُّكر، والقيامُ بحقِّها.

﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾: بما أنزَل عليكم.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾

﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ إمّا أن يخاطَب به الأزواج الذين يَعْضُلون نساءَهم بعد انقضاء العِدَّة ظلمًا وقَسْرًا، ولحميَّة الجاهلية، لا يتركونهن يَتَزَوَّجْنَ مَن شِئْنَ من الأزواج، والمعنى: أن ينكحنَ أزواجهنَّ الذين يرغَبْنَ فيهم ويَصلحون لهنَّ، وإمّا أن يخاطَب به الأولياءُ في عضلهِنَّ أن يَرجِعْنَ إلى أزواجهن.

رُوي أنّها نزلت في مَعقِل بن يَسار حين عَضَلَ أُخْتَهُ أن تَرْجعَ إلى الزوج الأوَّل.

---

وليس مُجرى على إطلاقه لا في منطوقه ولا في مفهومه، أمّا المنطوق فإنّ النكاح لا ينعقد هزلًا، وأمّا في مفهومه فلأنّ[١] غيرَ هذه الثلاثة أيضًا ينعقد هزلًا كما ينعقد جِدًّا.

قوله: (والمعنى) يريد أنّه تعالى سمّاهم ﴿أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ مع أنّهم لم يَنكِحوا بعد؛ وذلك لرغبتهنّ فيهم ولصلاحهم لهنّ.

قوله: (وإمّا[٢] أن يخاطب به الأولياء) فعلى هذا الخطاب في ﴿طَلَّقْتُمُ﴾ للأزواج وفي ﴿لَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ للأولياء، وفي الأوّل الخطاب فيهما للأزواج. وأشار بقوله: (في عضلهنّ) إلى أنّ الخلاف إنّما هو في ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾. وهذا التفسير يوافق مذهب الشافعيّ؛ لأنّ النكاح عنده إنّما يصحُّ بالولي فيمكن للولي العضل.

قوله: (رُويَ أنّها) سبب النزول.

---

[١] ر: فإنّ.

[٢] ر – وإمّا.

وقيل: في جابر بن عبد الله حين عضَلَ بنتَ عمٍّ له.

والوجهُ: أن يكون خطابًا للناس؛ أي: لا يوجدْ فيما بينَكم عَضْلٌ؛ لأنَّه إذا وُجد بينهم وهم راضون كانوا في حُكم العاضلِين.

والعَضْلُ: الحبسُ والتضييقُ، ومنه: عَضَّلتِ الدجَاجةُ، إذا نَشِبَ بَيْضُها فلم يخرج، وأنشد لابن هَرْمةَ:

وإنَّ قَصَائدي لَكَ فاصطَنِعْني عقائلُ قدْ عُضِلْنَ عن النِّكاح

وبلوغُ الأجل على الحقيقة.

وعن الشافعيِّ رحمه الله: دلَّ سياقُ الكلامين عل افتراقِ البلوغين.

---

قوله: (أي: لا يُوجَدْ)[1] صحّ[2] بالجزم.

قوله: (ومنه عضّلتِ الدجاجة) وعضّلتِ المرأةُ تعضيلًا إذا نشِب الولد فلم يخرُج، وكذلك الشاة.[3] وقوله: (نشِب)، أي: علِق.

قوله:

(وإنّ قصائدي لكَ فاصطنعني عقائلُ قد عُضِلهنَّ[4] عن النكاح)[5]

اصطنعتُ فلانًا لنفسي. و"عقائل" خبر "إنّ"، وهي جمع "عقيلة"، والعقيلة: كريمة الحيّ. وقوله: "قد عُضِلهن"[6] صفة لها. يريد إنيّ لا أمدح بشعري غيرَك، وإنّما هو مختصّ بك، فارعَ حقّي واحفظني.

قوله: (على الحقيقة)، أي: ليس يحمل البلوغ على المشارفة كما في الآية الأولى.

قوله: (البلوغين) البلوغ الأوّل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ والثاني: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾.

---

١ ن: يؤاخذ.

٢ ن – صحّ.

٣ انظر: الصحاح للجوهري، «عضل».

٤ ن ر: عضلن.

٥ البيت لإبراهيم بن هرمة في ديوانه، ص ٨٦؛ وهو بلا عزو في البسيط للواحدي، ٢٩٣/٤ (البقرة، ٢٣٢/٢).

٦ ن ر: عضلن.

﴿إِذَا تَرَاضَوْا﴾: إذا تراضى الخُطَّاب والنساء.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بما يَحْسُن في الدِّين والمروءة من الشرائط.

وقيل: بمهرِ المثلِ، ومن مذهب أبي حنيفة رحمه الله: أنها إذا زوَّجَتْ نفسها بأقلَّ من مهرِ مِثْلِها فللأولياءِ أن يَعترِضوا.

**فإن قلتَ**: لمن الخطابُ في قوله: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾؟

**قلتُ**: يجوزُ أن يكون لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ولكلِّ أحدٍ، ونحوُه: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [المجادلة ٥٨/١٢].

﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ من أدناس الآثام.

وقيل: أزكى وأطهرُ: أفضلُ وأطيبُ.

---

قوله: (**والمروءة**): الإنسانية، ولك أن تُشدِّد فتقول: المروّة.

قوله:[1] (**ونحوُه**)، أي: نحو[2] قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ في أن خاطب الواحد، ثمّ عمّ بعده في الخطاب ما قاله تعالى في سورة المجادلة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المجادلة ٥٨/١٢]. وفي ﴿لَكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ التفاتٌ، وإلّا ينبغي أن يقول:[3] "لهم"؛ لأنّه بعدما خاطبهم بالأحكام المتقدّمة التفت فقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾، على أنّ الخطاب للنبيّ أو لكلّ أحد،[4] فالوجه بعد ذلك الغيبة، فكأنّه تعالى يقول: هذا الحكم يا محمّد خير لهم.

قوله: (**مِن أدناس الآثام**) متعلّق بـ﴿أَزْكَىٰ﴾ و﴿أَطْهَرُ﴾ بطريق التنازع،[5] وليس "مِن" هنا بالذي يُستعمل به أفعل التفضيل؛ بل هو معموله، فكأنّه قال: "يُزكيكم ويطهّركم مِن أدناس الآثام"، ثمّ إنّه فسّر ﴿أَطْهَرُ﴾ بوجهين: **الأوّل** بمعناه المشهور و**الثاني** بـ(**أطيب**).

قوله: (**وقيل: أزكى**) مِن زكى النبت.

---

[1] ن ر – (والمروءة): الإنسانية، ولك أن تُشدِّد فتقول: المروّة. قوله.
[2] ن ر – نحو.
[3] ن ر – أن يقول.
[4] ن ر: واحد.
[5] ن: الشارع.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ ما في ذلك من الزَّكاء والطُّهر وأنتم لا تعلمونه.

أو: والله يعلم ما تُسْتَصْلحون به من الأحكام والشرائع وأنتم تَجهلونه.

﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣﴾

﴿يُرۡضِعۡنَ﴾ مثلُ ﴿يَتَرَبَّصۡنَ﴾ [البقرة ٢٢٨/٢] في أنَّه خبرٌ في معنى الأمرِ المؤكَّد.

﴿كَامِلَيۡنِ﴾ توكيدٌ؛ كقوله تعالى: ﴿تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ [البقرة ١٩٦/٢]؛ لأنه ممَّا يُتَسامح فيه فتقول: أقمتُ عند فلانٍ حَوْلين، ولم تَستكمِلْهما.

وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: "أن يُكمِلَ الرَّضاعةَ".

وقرئ: "الرِّضاعةَ" بكسر الراء، و: "الرَّضعةَ".

و: "أنْ تَتِمَّ الرَّضاعةُ".

و: "أن يُتِمُّ الرَّضاعةَ" برفعِ الفعل تشبيهًا لـ﴿أَن﴾ بـ"ما" ......................

---

قوله: (توكيد)، أي:[1] صفةٌ توكيدًا.

قوله: (وقرأ ابن عبّاس رضي الله عنه[2] "أن يُكمِل الرضاعة")[3] مكان ﴿أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾.

قوله: (تشبيهًا لأنَ بما) كما شُبِهت "ما" بـ"أن" في قوله صلّى الله عليه وسلّم:[4] «أعمالكم عمّالكم، كما تكونوا يُولّى عليكم»،[5] فنُصب[6] "تكونوا" بـ"ما" فحُذف[7] "النون" كما يُنصب بـ"أن"، وهذا مثل قول الشاعر:

---

١ ن ر: أو.

٢ د - رضي الله عنه.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٩٢.

٤ د: عليه السلام.

٥ المقاصد الحسنة للسخاوي، ص ٥١٩-٥٢٠.

٦ ن: فنصبت.

٧ ر: حذف.

لتآخِيهما في التأويل.

**فإن قلتَ**: كيف اتَّصل قولُه تعالى: ﴿لِمَنۡ أَرَادَ﴾ بما قبله؟

**قلتُ**: هو بيانٌ لمن توجَّه إليه الحُكم؛ كقوله تعالى: ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [يوسف ٢٣/١٢]: ﴿لَكَ﴾ بيانٌ للمهيَّتِ به؛ أي: هذا الحكمُ لمن أراد إتمامَ الرَّضاعِ.

وعن قتادة: ﴿حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ﴾ ثمّ أنزل اللهُ اليُسْرَ والتخفيفَ فقال: ﴿لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾. أراد أنه يجوز النقصان، وعن الحسن: ليس ذلك بوقتٍ لا يُنْقَصُ منه بعد أن لا يكون في الفطام ضَرَرٌ.

وقيل: اللام متعلِّقة بـ﴿يُرۡضِعۡنَ﴾ كما تقولُ: أرضعَتْ فلانةُ لفلانٍ ولدَهُ؛ أي: يُرضِعن حولين لمن أراد أن يُتمَّ الرضاعة من الآباء؛ لأن الأبَ يَجِب عليه إرضاعُ الولد دون الأمِّ، وعليه أن يَتَّخذ له ظِئْرًا إلَّا إذا تطوَّعت الأمُّ بإرضاعه،

---

[٢٣١و] أن تقرأان على أسماءَ ويحكما مِنّي السلامَ وأن / لا تُشعِرا أحدا[١]

قوله: (**لتآخيهما في التأويل**) لأنّهما مصدريّان.

قوله: (**كقوله تعالى: ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾** [يوسف ٢٣/١٢]) «هيَّتَ به وهوَّتَ به، أي: صاح به ودعاه»،[٢] وقولهم: "هَيْت لك"، أي: هلُم لك، فمعنى "هَيْت" هلُمَّ،[٣] ثمّ قال: "لك"، أي: هذا الكلام لك.

قوله: (**ليس ذلك بوقت**)، أي: حولين كاملين بوقت، أي: بحدّ، يقال: وقّته فهو موقوت إذا بيّن للفعل وقتًا يُفعل فيه.

قوله: (**وقيل: "اللام" متعلِّقة**) فتكون ﴿لِمَنۡ أَرَادَ﴾[٤] على الوجه الثاني مفعولًا به[٥] بواسطة حرف الجرّ، وعلى الأوّل كان خبرَ مبتدأ محذوف.

---

[١] ما عرفت قائله. وهو بلا عزو في سرّ صناعة **الإعراب** لابن جنّي، ٥٤٩/١؛ و**المفصّل** للزمخشري، ص ٤٢٩؛ و**شرح الرضيّ على الكافية**، ٣٥/٤. وانظر تفصيل الكلام عليه في **خزانة الأدب** للبغدادي، ٤٢٠/٨-٤٢٨.

[٢] **الصحاح** للجوهري، «هيت».

[٣] ر: لهم.

[٤] ر: المراد.

[٥] ر - به.

وهي مندوبةٌ إلى ذلك ولا تُجبَر عليه، ولا يجوز استئجارُ الأمِّ عند أبي حنيفة رحمه الله ما دامت زوجةً أو معتدَّةً من نكاحٍ، وعند الشافعيِّ رحمه الله يجوز، فإذا انقضت عدَّتُها جاز بالاتفاق.

**فإن قلتَ**: فما بالُ الوالدت مأموراتٍ بأنْ يرضعنَ أولادهنَّ؟

**قلتُ**: إمَّا أن يكون أمرًا على وجه النَّدْب، وإما على وجه الوجوب: إذا لم يَقبلِ الصبيُّ إلا ثَدْيَ أمِّه، أو لم توجَدْ له ظئرٌ، أو كان الأبُ عاجزًا عن الاستئجار.

وقيل: أراد الوالدت المطلَّقات، وإيجابُ النفقة والكسوةِ لأَجْل الرَّضاع.

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾: وعلى الذي يولَد له وهو الوالد، و﴿لَهُۥ﴾ في محلِّ الرفع على الفاعليَّة نحو ﴿عَلَيْهِمْ﴾ في ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

**فإن قلتَ**: لم قيل: ﴿ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ دون: الوالد؟

**قلتُ**: ليُعلَم أن الوالدات إنَّما وَلَدْنَ لهم؛ لأن الأولاد للآباء ولذلك ينسبُون إليهم لا إلى الأمهات.

وأُنشد للمأمونِ بنِ الرشيد:

فإنَّما أمَّهاتُ الناس أَوْعيةٌ ... مستودعاتٌ وللآباء أبناءُ

فكان عليهم أن يَرْزُقُوهنَّ ويكسوهنَّ إذا أرضَعنَ ولدهم كالأَظآرِ، ..........

---

قوله: (**ولا تُجبر عليه**)، أي: لا تُجبر الأمُّ على الإرضاع.

قوله: (**فما بال الوالدات؟**)، أي: مع أنَّ الرضاع إنَّما يجب على الوالد لا على الوالدة.

قوله:

(**فإنَّما أمَّهات الناس**)[1] البيت

ويقرب منه قولُ مَن قال:

---

[1] ما عرفت قائله. وهو بلا عزو في عيون الأخبار لابن قتيبة، ٤/١١١؛ والتذكرة الحمدونيّة لابن حمدون، ٣/٤٣٨.

ألا ترى أنّه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى، وهو قولُه تعالى: ﴿وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان ٣١/٣٣]؟

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ تفسيرُه ما يَعقُبه، وهو أن لا يُكلَّفَ واحدٌ منهما ما ليس في وُسعه، ولا يتضارَّا.

وقرئ: "لا تَكَلَّفُ" بفتح التاء، و: "لا نُكلِّفُ" بالنون.

وقرئ: ﴿لا تُضارُّ﴾ بالرفع على الإخبار، وهو يحتمِلُ البناءَ للفاعل والمفعولِ، وأن يكون الأصل: "تُضارِرُ" بكسر الراء، و"تُضارَرُ" بفتحها.

وقرأ: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ بالفتح أكثر القرّاء.

وقرأ الحسن بالكسر على النهي، وهو محتمِلٌ للبناءين أيضًا، ويُبيِّنُ ذلك أنّه قرئ: "لا تضارَرْ"، و: "لا تضارِرْ" بالجزم وفتحِ الراء الأولى وكسرِها.

وقرأ أبو جَعْفر: "لا تُضَارْ" بالسكون مع التشديد على نيّة الوقف، وعن الأعرج:

---

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهنّ أبناءُ الرجال الأباعدِ[1]

قوله: (حيث لم يكن هذا المعنى) لأنّه لا أنساب يوم القيامة.

قوله: (وهو ألّا[2] يكلّف) مِن "كلّفه تكليفًا" أمره بما يشقّ.

قوله: (وقرئ "تَكَلَّفُ"[3] بفتح "التاء") مِن "تكلّف الشيء" تجشّمه، أي: لا تتكلّف. وقوله: (و"لا نُكَلِّفُ"[4] بـ"النون") ويقرأ في هذه القراءة "نفسًا".

قوله: (وأن يكون الأصل) بيانٌ لقوله: (يحتمل). وقوله: (ويُبيِّن ذلك) يعني أنّ هذه القراءات تحتمل البناء للفاعل والمفعول. فقوله: "ذلك" مفعول "يبيّن". وقوله: (أنّه) فاعله. قوله: (وعن الأعرج) هو نفي لا نهي، فسكونه لِنيّة الوقف.

---

[1] ر: بالأعداء. | ما عرفت قائله. وهو بلا عزو في غريب الحديث لابن قتيبة، ١/٢٣٠؛ والأشباه والنظائر للخالديّين، ١/٩٨؛ وشرح الرضيّ على الكافية، ١/٢٥٧. وانظر الكلام عليه في خزانة الأدب للبغدادي، ١/٤٤٤.

[2] ن: أن.

[3] ن ر: لا تكلف. | قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن بن صالح. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٥١٨.

[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن الشافعي والجُنيد بن عمرو العدواني عن ابن كثير، وأبي رجاء. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٥١٨.

"لا تُضارْ" بالسكون والتخفيف، وهو من ضارَه يَضِيرُه، ونوى الوقفَ كما نواه أبو جعفرٍ، أو اخْتَلَسَ الضمة فظنَّه الراوي سكونًا.

وعن كاتب عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: "لا تُضْرَرْ".

والمعنى: لا تُضارَّ والدةٌ زوجَها بسبب ولدها، وهو أنْ تعنِّفَ به وتطلبَ منه ما ليس بعَدْلٍ من الرزق والكسوة، وأن تشْغَلَ قلْبَهُ بالتفريط في شأن الولد، وأن تقول بعد ما ألِفها الصبيُّ: اطْلُبْ له ظئرًا، وما أشبهَ ذلك، ولا يُضارَّ مولودٌ له امرأتَه بسبب ولده، بأَنْ يمنعَها شيئًا مما وجَب عليه من رزقها وكسوتها، ولا يأخذه منها وهي تريدُ إرضاعَه، ولا يُكرهُها على الإرضاع.

وكذلك إذا كان مبنيًّا للمفعول فهو نهيٌ عن أنْ يُلْحَقَ بها الضِرارُ من قِبَل الزوج، وعن أن يُلحَقَ الضِرارُ بالزوج من قِبَلها بسبب الولد.

ويجوز أن يكون ﴿تُضَآرَّ﴾ بمعنى: تُضِرّ، وأن تكون الباء من صلته؛ أي: لا تُضِرّ والدةٌ بولدها، فلا تُسِيءُ غذاءَهُ وتعهُّدَه، ولا تُفرِّطُ فيما ينبغي له، ولا تدفعُه إلى الأبِ بعد ما أَلِفَها، ولا يُضِرّ الوالدُ به بأَنْ ينتزعَه من يدها، أو يُقصِّرَ في حقِّها فتُقَصِّرَ هي في حق الولد.

---

وقوله: ("لا تضارْ")[1] مِن "ضارَه يَضُوره ويَضِيره[2] ضَيْرًا وضَوْرًا"، أي: ضرَّه.

قوله: (والمعنى)، أي: على جميع القراءات المذكورة.

قوله: (ولا يأخذه) و(لا يُكرهها) يجوز فيهما الرفع عطفًا على قوله: (ولا يضارُّ)، ويجوز فيهما[3] النصب، فيكونان معطوفين على قوله: (يمنعها) فيكون "لا" فيهما زائدة لتأكيد النفي، وذلك للنفي الذي في قوله:[4] "ولا تُضارُّ".[5]

قوله: (فلا تُسيء) عطف على (لا تُضِرُّ) بطريق التفسير.

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن الهاشمي عن أبي جعفر. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٥١٨.

[2] ن: يضير.

[3] ن + الرفع عطفًا على قوله: (ولا يضارُّ)، ويجوز فيهما.

[4] ن ر - (يمنعها) فيكون "لا" فيهما زائدة لتأكيد النفي، وذلك للنفي الذي في قوله.

[5] في هامش د: بالرفع في الثلاثة في نسخة صمصام، وبالنصب في الأخيرين في نسخة مُعزّي.

**فإن قلتَ**: كيف قيل: ﴿بِوَلَدِهَا﴾ و: ﴿بِوَلَدِهِۦ﴾؟

**قلتُ**: لمّا نُهِيَتِ المرأةُ عن المضارَّة أُضيف إليها الولدُ استعطافًا لها عليه وأنه ليس بأجنبيّ منها، فمن حقّها أنْ تشفِقَ عليه، وكذلك الوالد.

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ وما بينهما تفسير للمعروف معترِضٌ بين المعطوفِ والمعطوفِ عليه، فكان المعنى: وعلى وارثِ المولودِ له مثلُ ما وجبَ عليه من الرزق والكسوة؛ أي: إن مات المولودُ له لزِمَ مَن يرثُه أن يقوم مقامَه في أن يرزقَها ويكسوَها بالشريطة التي ذُكرت من المعروف وتجنُّبِ الضِّرار.

وقيل: هو وارثُ الصبيِّ الذي لو مات الصبيُّ ورِثَهُ، واختلفوا: فعند ابن أبي ليلى: كلُّ مَن ورِثه، وعند أبي حنيفة رحمه الله: مَن كان ذا رَحِمٍ مَحْرَمٍ منه، وعند الشافعي رحمه الله: لا نفقةَ فيما عدا الوِلاد.

وقيل: مَن ورِثه من عصَبته مثلَ الجدِّ والأخِ وابن الأخ والعمّ وابن العمّ.

وقيل: المراد: وارثُ الأبِ وهو الصبيُّ نفسُه، وأنّه إن مات أبوه ووَرِثه وجبت عليه أُجرةُ رَضاعه في ماله إن كان له مالٌ، فإنْ لم يكن له مال أُجبرت الأمُّ على إرضاعه.

وقيل: ﴿على الوارث﴾: على الباقي من الأبوين، من قوله عليه الصلاة والسلام: «واجعَلْه الوارثَ منّا».

---

قوله: (كيف قيل)، يعني: لِمَ أضاف الولد تارةً إلى الأمّ وتارةً إلى الأب.

قوله: (ما وجب عليه)، أي: على المولود له.

قوله: (ذا رَحِم محرم)، أي: القرابة التي لا يجوز النكاح فيها.

قوله: (على إرضاعها) مضاف إلى الفاعل، أي: إرضاعها إيّاه.

قوله: (مِن قوله: «واجعله الوارث منا»)[1] الضمير في "مِن قوله" للنبيّ[2]

---

[1] ن ر - (على إرضاعها) مضاف إلى الفاعل، أي: إرضاعها إيّاه قوله: (مِن قوله: «واجعله الوارث منا»).

[2] ن ر - للنبيّ.

﴿فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا﴾ صادرًا ﴿عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا﴾ في ذلك، زادا على الحولَين أو نَقَصا، وهذه توسعةٌ بعد التحديد.

وقيل: هو في غايةِ الحولين لا يتجاوز.

---

عليه السلام،[١] وأوّل الدعاء المأثور: «اللّٰهمّ متِّعنا بأسماعنا وأبصارنا وأذهاننا وقوّتنا ما أحييتنا[٢] واجعله الوارث منّا»،[٣] أي: اجعل كلّ واحد مِن المذكورات في لزومه لنا مدّة[٤] الحياة كأنّه باقٍ بعد الموت.

قوله: (**في ذلك**)، أي: في الفصال. وقوله: (**زادا أو نقصا**) في محلّ الحال عن[٥] "هما" في ﴿عَلَيۡهِمَا﴾.

قوله: (**وقيل: هو في غاية الحولين**)، أي: الفِصال الذي نُفي عنه الجُناح إنّما هو الفِصال في أثناء الحولين لا الفصال قبل تمام الحولين وبعد تمام الحولين، إذا لا يُتجاوز بالإرضاع[٦] عن[٧] الحولين. ثمّ بيَّن المصنِّف هذا المعنى بقوله: (**لا يُتجاوز**)[٨] والفرقُ بين هذا الوجه والوجه **الأوّل** أنّه نفى الجُناح على الوجه **الأوّل** في الزيادة والنقصان جميعًا فيجوز الزيادة، وأما على الوجه **الثاني** فنفى الجناح في النقصان / دون الزيادة، يعني: ذُكر أنّه يجوز النقصان عن الحولين ولم يُذكَر أنّه يجوز الزيادة عليهما. والغايةُ هنا بمعنى جميع[٩] المدّة لا بمعنى آخرها، أي: في الحولين فكان الأظهر ألّا يأتي بلفظة غاية ليكون المعنى بيّنًا،[١٠] وإذ قد أتي بها فالوجه أن يقول: هي مِن إضافة العامّ إلى الخاصّ، فكأنّه قال في المدّة التي هي الحولان؛ لأنّ الغاية تكون بمعنى المدّة كما مرّ. قال الواحدي في **الوسيط**: ﴿فَإِنۡ أَرَادَا﴾ يعني الوالدين ﴿فِصَالًا﴾ فطامًا للولد قبل الحولين، والمعنى أنّهما إن تشاورا وتراضيا على الفطام قبل الحولين فلا بأس إذا كان الولد قويًّا.[١١] [٢٣١ظ]

---

١ ن ر + واجعله الوارث منا وأذهاننا وقوّتنا ما أحييتنا.
٢ ن ر – وأذهاننا وقوّتنا ما أحييتنا.
٣ سنن الترمذي، ٥/٥٢٨ (٣٥٠٢)؛ الدعاء للطبراني، ص ٥٣٥ (١٩١١).
٤ ن: هذه.
٥ ر – عن.
٦ ر: الإرضاع.
٧ ر: بعد.
٨ ر + الحولين.
٩ ن ر – جميع.
١٠ ر + وإذا.
١١ ر: قرنًا. | انظر: الوسيط للواحدي، ١/٣٤٢.

وإنَّما اعتُبر تراضيهما في الفصال وتشاوُرُهما: أمَّا الأبُ فلا كلامَ فيه، وأمَّا الأمُّ فلأنّها أحقُّ بالتربية وهي أعلمُ بحال الصبي.

وقرئ: "فإن أراد".

"استَرْضع": منقول من أَرْضَع، يقال: أرضعتِ المرأةُ الصبيَّ، واسترضَعْتُها الصبيَّ، فتُعَدِّيه إلى مفعولين؛ كما تقول: أنجحَ الحاجَةَ واستَنْجَحْتُه الحاجةَ.

والمعنى: أنْ تَسْترضعوا المراضعَ أولادَكم، فحُذف أحدُ المفعولَين للاستغناء عنه؛ كما تقول: استنجَحْتُ الحاجةَ، ولا تَذْكر مَن استنجَحْتَه، وكذلك حكمُ كلِّ مفعولَين لم يكن أحدُهما عبارةً عن الأول.

﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾ إلى المراضع ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾: ما أردتُم إيتاءه؛ كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة ٥/٦].

وقرئ: ﴿ما أَتَيْتُم﴾ مِن أَتَى إليه إحسانًا: إذا فعله، ومنه قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم ١٩/٦١]؛ أي: مفعولًا.

وروى شيبانُ عن عاصم: "ما أُوتيتُم"؛ أي: ما آتاكم الله وأَقْدَركم عليه من الأُجرة، ونحوُه: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد ٥٧/٧].

وليس التسليمُ بشرطٍ للجواز والصحة، وإنَّما هو نَدْبٌ إلى الأَوْلى، ويجوز أن يكون بَعْثًا على أن يكون الشيءُ الذي تُعطاه المُرضِعُ ..........

---

قوله: (فلا كلام فيه) لأنّ الإرضاع لأجله.

قوله: (فلأنّها أحقّ) لأنّ لها حقّ الحضانة.

قوله: (استرضع منقول مِن "أرضع") يعني أنّ "استفعل" يجوز أن يكون لطلب الثلاثي المجرّد ولطلب المزيد.

قوله: (أن تسترضعوا المراضعَ) يعني أنّ النقل إلى الاستفعال يقتضي زيادة مفعول.

قوله تعالى: (﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾ [المائدة ٥/٦])، أي: إذا أردتم القيام.

مِن أهنأ ما يكون؛ لتكون طيّبةَ النَّفْس راضيةً، فيعودَ ذلك إصلاحًا لشأن الصبيّ، واحتياطًا في أمره، فأُمِرَ بإيتائه ناجزًا يدًا بيدٍ؛ كأنّه قيل: إذا أدّيتم إليهنّ يدًا بيدٍ ما أَعطيتُموهنَّ.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ متعلّق بـ﴿سَلَّمْتُم﴾ أُمروا أن يكونوا عند تسليم الأجرة مستبشِري الوجوه، ناطقينَ بالقول الجميل، مطيِّبين لأنفُس المراضع بما أَمْكَن حتى يُؤمَنَ تفريطُهنَّ بقطعِ معاذيرهن.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ على تقديرِ حذفِ المضاف؛ أراد: وأزواجُ الذين يُتوفَّوْن منكم يتربَّصن.

وقيل: معناه: يتربَّصْنَ بعدهم؛ كقولهم: السَّمْنُ مَنَوَانِ بدرهمٍ.

---

قوله: (مِن أهنأ ما يكون) "ما" في "ما[1] يكون" نكرة بمعنى شيء، فالمراد بكونه أهنأ[2] أن يكون ناجزًا، فإنّه أحسن مِن أن[3] يكون نسيئة، وهو مِن قولهم: "هنأه الطعام"، وإنما كان النقد أهنأ؛ لأنّه سالم مِن غُصّة الانتظار والتقاضي.

قوله: (لتكون)، أي: المرضع.

قوله: (على تقدير حذف المضاف) لأنّ خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وهو ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ يقتضي ذلك لئلّا يبقى المبتدأ بلا راجع.

قوله: (وقيل: معناه) وعلى هذا لا يحتاج إلى حذف المضاف.

قوله: (السمنُ مَنَوان بدِرهم)، أي: منوان منه، فهو نظير قوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ بعدهم[4] في حذف الراجع مِن الجملة التي وقعت خبرًا لأنّه معلوم،

---

[1] ن ر - ما.

[2] د + أهنأ. خ [اختصارًا مِن "نسخة"].

[3] ر - أحسن مِن أن.

[4] ن: بعدتهن؛ ومِن نسخة في هامش ن: بعدهم.

وقرئ: "يَتوفَّوْن" بفتح الياء؛ أي: يَسْتَوفون آجالَهم، وهي قراءة عليّ رضي الله عنه، والذي يُحكى: أن أبا الأسود الدُّؤَليّ كان يمشي خلف جَنازةٍ، فقال له رجل: من المتوفِّي؟ بكسر الفاء، فقال: الله تعالى، وكان أحدَ الأسباب الباعثةِ لعليٍّ رضي الله عنه على أنْ أَمَرهُ بأن يضعَ كتابًا في النحو = تُناقِضُه هذه القراءة.

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾: يَعتدِدْن هذه المدةَ، وهي أربعةُ أشهرٍ وعشرةُ أيام.

وقيل: "عشرًا" ذهابًا إلى الليالي، والأيَّامُ داخلةٌ معها، ولا تَراهم قطُّ

---

وفي أنّه لا بدّ مِن راجع إلى[١] مذكور.

قوله: (تُناقضه) يريد به أنّ هذه الحكاية لم تثبت. ثم اعلم أنّه لا مناقضةَ بينهما، وإنّما ردّه[٢] لأنّ[٣] شرط حُسن التركيب أن يكون المتكلِّم به عالمًا بجهات حُسنه، وقد علم أبو الأسود الدؤلي أنّ السائل ليس عالمًا[٤] بذلك فردّه إشارة إلى أنّه لم يورد هذا التركيب على الوجه الذي يكسوه جزالة في المعنى وفخامة في اللفظ مِن إرادة معنى: والذين يستوفون مُدَد أعمارهم.

قوله: (ولا تراهم)، أي: لا ترى العرب يستعملون العدد بـ"التاء" ذاهبين إلى الأيّام؛ بل يستعملونه بغير "التاء" ذاهبين إلى الليالي، والأصل فيه أنّ التاريخ هو ضبط جزء معيَّن مِن الزمان بالعدد، والعرب أرّخت بالليالي لأنّ الشهر قمريٌّ ومبدأ ظهوره إلى الليالي أقرب، فبدأ بأوّل طلوعه عليهم وهو الليل، فالليل سابق النهار في دخول الشهر، فخصُّوا[٥] الليالِيَ بالذِّكر، ولو ابتدءوا بالنهار لزادوا يومًا أو نقصوا ليلة، فوجب الابتداء بالليل في[٦] عدّة[٧] الشهر، ثمّ اقتصروا في التاريخ بعدد الليالي دون ذِكر الأيّام لأنّه قد عُلم أنّ مع كلّ ليلة يومًا،

---

١ ن + أمر.

٢ ر + الآن.

٣ ن: لأنّه.

٤ ن + بجهات حسنه؛ ر – وقد علم أبو الأسود الدؤلي أنّ السائل ليس عالمًا.

٥ ر: فحصول.

٦ ر – في.

٧ ر: بعدة.

يستعملون التذكيرَ فيه ذاهبين إلى الأيام، تقول: صُمتُ عشرًا، ولو ذكّرتَ خرجتَ من كلامهم، ومن البيِّن فيه قولُه تعالى: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [طه ١٠٣/٢٠] ثمّ ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه ١٠٤/٢٠].

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: فإذا انقضتْ عدّتُهنّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأئمة وجماعةُ المسلمين ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من التعرُّض ..........................

---

والعلمُ بأنّ مع كلّ يوم[١] ليلةً[٢] وإن كان حاصلًا أيضًا إلّا أنّه كان يلزم منه ما قلنا. وبعضهم يقول: إنّ هذا مِن باب تغليب المؤنّث على المذكر. قالوا: وليس في العربيّة ما غُلِّب فيه المؤنّث على المذكّر إلّا هذا.[٣]

قوله: **(فيه)**، أي: في العدد. وقوله: **(ولو ذكّرتَ)** أي: لو قلتَ: "صمتُ عشرة".

قوله: **(ثمّ ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه ١٠٤/٢٠])** هذا دليل على أنّ المراد مِن ذلك العشر الأيّام وقاله ذهابًا إلى الليالي.

قوله: **(جماعة المسلمين)** إن نُصب[٤] فعلى أنّه منادى مضاف[٥] أو[٦] تابعُ مضافٍ، وإن رفع فلقولهم: التزموا رفعَ توابع صفةِ "أيّ" لأنّها توابع مُعرب. / ثمّ اعلم أنّ في كون "جماعة المسلمين" صفة "أيّ" نظرًا، إذ لا يوصف "أيّ" [٢٣٢و]
في النداء بالمضاف إلى المعرّف باللام، فلا يقال: "يا أيها غلام الرجل" قال في **المفصّل** في بحث المنادى: «"أيّ" يوصف بشيئين"[٧] بما فيه الألف واللام مقحَمة بينهما كلمة التنبيه، وباسم[٨] الإشارة كقولك: "يا أيّها الرجل" و"يا أيّهذا"».[٩]

قوله: **(مِن التعرُّض)** مِن العرضيّة؛[١٠] بل هو مطاوع لقوله: عرّضه[١١] للشيء،[١٢] أي: نصبتُه له لأنّ التعرُّض مطاوع التعريض.

---

١ ن – يوم؛ ر: ليلة.
٢ ر: يومًا.
٣ انظر تفصيل ذلك في: **كتاب سيبويه**، ٥٦٣/٣؛ **ومعاني القرآن** للفرّاء، ١٥١/١؛ **ومعاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٣١٦/١.
٤ ن: نصبت.
٥ ر – مضاف.
٦ ر: أي.
٧ ر: لتبيين.
٨ ر: وثانيهم.
٩ **المفصّل** للزمخشري، ص ٦٣.
١٠ ن ر: العرضة.
١١ ن: عرضت؛ ر: عرضته.
١٢ ن ر: الشيء.

للخُطّاب ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الذي لا ينكِرُه الشرع، والمعنى: أنهنّ لو فعلْنَ ما هو مُنكرٌ كان على الأئمّة أن يكفُّوهنّ، وإنْ فرّطوا كان عليهم الجُناح.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

﴿فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ﴾ هو أن يقول لها: إنّك لَجميلةٌ، أو: صالحةٌ، أو: نافقةٌ، ومن غَرَضي أنْ أتزوّج، وعسى الله أن يُيسِّر لي امرأةً صالحةً، ..............

---

قوله: (﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾) متعلِّق بقوله: (﴿فَعَلْنَ﴾) مثل "ضربتُ بالسوط".

قوله: (والمعنى) إن قيل: قد ذكر المصنِّف معنى قوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ﴾ إلى قوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فما معنى قوله: "والمعنى" إلى آخره. قلنا: يجوز أن يكون المراد "والمعنى المفهوم"، فإنّه لمّا فرغ مِن المعنى المنطوق ذكَر المفهوم. ويجوز أن يكون المراد "المعنى المقصود مِن الآية"، يعني أنّ ظاهر الآية وإن كان بيان رفع الجُناح عن الأئمّة فيما[١] ذُكر، لكنّ[٢] الغرض الأصليّ أنّ الواجب على الأئمّة[٣] منعهنّ عن التعرُّض للخطاب بالوجه[٤] المنكَر، فلو لم يمنعوهنّ مِن ذلك أثموا.

قوله: (وإن فرّطوا)، أي: الأئمّة.

قوله: (لَجميلةٌ)... إلخ، عطف الكلمتين[٥] الأُوليين بـ"أو" والأخريين بـ"الواو" لإرادة الجمع بين أحد الأُوَل مع الكلمتين الأخريين بأن يقول مثلًا: (إنّك لجميلة)،[٦] و(مِن غرضي أن أتزوّج، وعسى الله أن ييسِّر لي امرأة صالحة).

قوله: (أو نافقةٌ) مِن النفاق،[٧] أي: نفاق السلعة وهي رواجها.

---

١ ن: فيهما.
٢ ن - لكن.
٣ ر: الأمة.
٤ ر: للوجه.
٥ ر + الأخريين بأن يقول مثلًا إنّك لجميلة.
٦ ر - مع الكلمتين الأخريين بأن يقول مثلًا إنّك لجميلة.
٧ ن ر - مِن النفاق.

ونحوَ ذلك من الكلام المُوهِم أنّه يريد نكاحَها حتى تحبِس نفسَها عليه إنْ رغبَتْ فيه، ولا يُصرِّحُ بالنكاح، فلا يقول: إنّي أريد أن أنكحك، أو: أتزوَّجكِ، أو: أخطُبكِ.

وروى ابنُ المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت: دخل عليَّ أبو جعفر محمد بن عليّ وأنا في عِدَّتي فقال: قد علمتِ قرابَتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحقَّ جدِّي عليّ، وقِدَمي في الإسلام، فقلتُ: غفر الله لكَ! أتخْطبني في عِدَّتي وأنت يؤخذُ عنك؟! فقال: أوقد فعلتُ؟! إنَّما أخبرتُكِ بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي، وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمّ سلمةَ وكانت عند ابن عمِّها أبي سلمةَ فتُوفِّي عنها،

---

قوله: (إن رغبتْ) متعلِّق بقوله: (أن يقول).

قوله: (ولا يصرِّح)[١] بالرفع عطف[٢] جملة[٣] على جملة،[٤] وبالنصب عطف على "يقول". وكذا قوله: (فلا يقول) بالرفع والنصب.

قوله: (محمّد بن عليّ)، أي: الأصغر.

قوله: (أتخطبني؟)، أي: وقد شافهتَ عليّ، أي: صرَّحت.

قوله: (وأنتَ يُؤخَذ عنك!)، أي: العلمُ يؤخَذ عنك.

قوله:[٥] (فقال)، أي: أبو جعفر. وقوله: (أوَ قد فعلتُ؟) قال رضي الله عنه:[٦] الأوجهُ أن يكون بضمّ التاء، أي: "أوَ قد خطبتُ". وقيل معناه: "وقد أجبتِ بمثل هذا" على وجه الإنكار، فـ"التاء" مكسورة.

قوله: (قد دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)[٧] مِن كلام أبي جعفر.[٨]

---

[١] في هامش د: قوله: "ولا يُصرِّح" بالرفع نسخة الصمصام، وبالنصب نسخة معزّي، وعلى تقدير الرفع عطف جملة على جملة.

[٢] د + على.

[٣] ر: جميلة.

[٤] ر - على جملة.

[٥] ن - قوله.

[٦] د: رحمه الله.

[٧] د: عليه السلام.

[٨] ن ر + وهو محمّد بن الباقر.

**فلم يَزَلْ يذكر لها منزلتَه من الله وهو متحاملٌ على يده حتى أثَّرَ الحصير في يده من شدَّة تحامُله عليها، فما كانت تلك خِطْبَةً.**

**فإن قلتَ:** أيُّ فرقٍ بين الكناية والتعريض؟

**قلتُ:** الكنايةُ: أن تَذكر الشيء بغيرِ لفظه الموضوعِ له، كقولك: "طويل النجاد والحمائل" لطول القامة، و: "كثير الرماد" للمضياف.

والتعريضُ: أن تَذكر شيئًا تَدلُّ به على شيءٍ لم تذكُرْه، كما يقول المحتاجُ للمحتاجِ إليه: جئتُك لأُسلِّمَ عليك، ولأنظُر إلى وجهك الكريم. ولذلك قالوا:

---

قوله: **(فلم يزل[١] يذكر لها منزلته)** غرض النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٢] مِن[٣] ذِكر ذلك مع[٤] أمّ سلَمةَ بيانُ شرعيّة التعريض بالخِطبة وجوازِه، وإلّا لَما كان محتاجًا إلى ذِكر منزلته، فإنّ أمّ سلمة كانت راضية بالنبيّ عليه[٥] السلام مِن غير أن يذكر ذلك، وأيضًا ما كانت تعرف أمّ سلمة ذلك المعنى، وهو أنّه عليه السلام عازم على نكاحها، فأراد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٦] أن يذكر ذلك بطريق التعريض لتعلمَ فتحبس نفسها له ولا تنكح زوجًا غيره.

قوله: **(متحامِل)**، أي: متكئ.

قوله: **(فما كانت تلك خطبةً)**[٧] خطيئة[٨] **نسخة المعزّي**.[٩]

قوله: **(الكناية: أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له)** ليس الغرض منه تعريف الكناية وإلّا لورد أنّه غير مانع لدخول المجاز فيه؛[١٠] بل المراد التفرقة بينها وبين التعريض، وأمّا التفرقة بينها وبين المجاز فظاهر قد عُلم في موضع آخر.

---

١ ر – يزل.

٢ د: عليه السلام.

٣ ر: مع.

٤ ن ر – مع.

٥ ن + الصلاة و.

٦ د: عليه السلام.

٧ جامع البيان للطبري، ٢٦٧/٤ (البقرة، ٢/٢٣٥).

٨ ر: خطبته.

٩ ر: العربي.

١٠ ر + الدخول المجاز فيه الدخول.

وحسبُك بالتسليم منّي تقاضيا

وكأنّه إمالةُ الكلام إلى عُرضٍ يدلُّ على الغَرض، ويسمَّى: التلويح؛ لأنه يَلُوحُ منه ما يريده.

﴿أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾: أو سترتُم وأضمرتُم في قلوبكم فلم تذكُروه بألسنتكم لا معرِّضين ولا مصرِّحين.

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ﴾ لا محالةَ، ولا تنفكُّون عن النُّطق برغبتكم فيهنَّ ولا تصبرون عنه، وفيه طَرَفٌ من التوبيخ كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة ٢/١٨٧].

**فإن قلتَ**: أين المستدرَكُ بقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾؟

**قلتُ**: هو محذوفٌ لدلالةِ ﴿سَتَذۡكُرُونَهُنَّ﴾ عليه، تقديره: عَلِم الله أنكم ستذكرونهنَّ فاذكروهن ولكنْ لا تواعدوهنَّ سرًّا.

---

قوله:

**(وحسبُك بالتسليم منّي تقاضيا)**[١]

أوّله:

أروح بتسليمٍ عليك وأغتدي

قوله: **(وكأنّه)**، أي: التعريض.

قوله: **(إلى عُرض)**، أي: جانب.

قوله: **(ولا تنفكّون)**[٢] وفي بعض النُّسخ "ولا تنكفّون". انكفَّ، أي: امتنع.[٣] وانفكَّ عن كذا، أي: زال عنه. وانكفّت الدابّة عن وثاقها، أي: زالت عنه.

[٢٣٢ظ] قوله: / **(برغبتكم)** "الباء" في برغبتكم متعلِّق بالنطق.

قوله: **(ممّا يُسرّ)**، أي: يُخفى.

---

[١] البيت للفرزدق في الأشباه والنظائر للخالديّين، ١/٩٣؛ وليس في ديوان الفرزدق؛ وهو لتوبة بن الحُميّر في الحماسة البصرية للبصري، ٢/١٧٧؛ وبلا عزو في الكامل للمبرّد، ١/٢٢٥.

[٢] ن: يتفكرن.

[٣] ن ر: أنفع.

**والسرُّ وقَع كنايةً عن النكاح الذي هو الوَطْءُ؛ لأنه ممّا يُسَرُّ، قال الأعشى:**

**ولا تقْربَنْ جارةً إن سرَّها عليك حرامٌ فانْكِحَنْ أو تأبَّدا**

**ثمّ عبَّر به عن النكاح الذي هو العقدُ لأنه سبب فيه كما فُعل بالنكاح.**

**﴿إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ وهو أن تُعرِضوا ولا تُصرِّحوا.**

**فإن قلتَ: بمَ يتعلَّق حرف الاستثناء؟**

**قلتُ: بـ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ﴾؛ أي: لا تواعدوهنَّ مواعدةً قطُّ ..................**

---

قوله:

**(ولا تقربنّ جارةً إنّ سِرَّها عليك حرامٌ فانكحنْ أو[1] تأبّدا)[2]**

الشاهد فيه أنّ "السرّ" بمعنى الوطء. وأمّا "النكاح" في البيت فبمعنى العقد. قال في **المُغرِب**: أصل النكاح الوطء، ثمّ قيل للتزوج: نكاح؛ لأنّه سبب الوطء المباح. قال الأعشى:

فانكحنْ أو تأبَّدا

أي: فتزوَّج أو توحَّش وتعفَّف،[3] أي: اعتزل النساء ما لم يكن حلالًا، كأنّك وحشيّ لا تدري ما النكاح. وأصل "تأبّدا" تأبّدن، أُبدِل نون التوكيد بالألف في الوقف. والتأبُّد: التوحُّش.[4] وقوله: **(ثمّ عبَّر به)**، أي: بالسرّ. وقوله: **(سببٌ فيه)**، أي: في النكاح الذي هو الوطء.[5]

قوله: **(أي: لا تُواعدهنّ مواعدةً قطُّ)**... إلخ، أي: هو مستثنى مِن مصدر ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ﴾، أي: لا تُواعدهنَّ مواعدةً، أو مِن مفعولٍ به بواسطة لِتُواعدوهنّ، أي: لا تواعدوهنَّ[6] بشيء إلّا[7] بأن تقولوا. وعلى الوجهين يكون الاستثناء مفرَّغًا،

---

[1] ر: أي.

[2] البيت للأعشى في ديوانه، ص ١٣٧؛ وهو له في **إصلاح المنطق** لابن السِّكِّيت، ص ٢١؛ **والمُغرِب** للمطرزي، «نكح».

[3] انظر: **المُغرِب** للمطرزي، «نكح».

[4] ر + وقيل.

[5] ن: الوطئ.

[6] ر - أي: هو مستثنى مِن مصدر ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ﴾، أي: لا تواعدهنَّ مواعدةً أو مِن مفعول به بواسطة لتواعدوهنّ، أي: لا تواعدوهنَّ، ن - مواعدةً، أو مِن مفعولٍ به بواسطة لِتُواعدوهنّ، أي: لا تواعدوهنَّ.

[7] ن ر - إلا.

**إلَّا مواعدةً معروفةً غيرَ منكرةٍ؛ أو: لا تواعدوهنَّ إلَّا بأن تقولوا؛ أي: لا تواعِدوهنَّ إلا بالتَّعْريض.**

**ولا يجوز أن يكون استثناءً منقطعًا من ﴿سِرًّا﴾؛ لأدائه إلى قولك: لا تواعدوهنَّ إلَّا التعريضَ.**

---

والمعنى على **الأوّل**: لا تواعدوهنَّ العقدَ مواعدةً قطُّ إلّا[1] مواعدةً معروفة، وهو التعريض دون التصريح،[2] وعلى **الثاني**: لا تواعدوهنَّ العقدَ بوجه مِن الوجوه إلّا بأن تقولوا. ثمّ فسّر الوجهين بقوله: (**أي: لا تواعدوهنّ إلّا بالتعريض**) لأنّ المعروف ما يكون بطريق التعريض. ثمّ اعلم أنّه يكون الجارُّ محذوفًا مِن "أن" على الوجه الثاني، أي: إلّا بأن، بخلاف الوجه الأوّل.

قوله: (**ولا يجوز أن يكون استثناءً منقطعًا مِن ﴿سِرًّا﴾ لأدائه**)... إلخ، وذلك لأنّ شرط الاستثناء المنقطع أن يكون الحكم المذكور للمستثنى منه منتفيًا عن المستثنى، نحو "ما جاء القوم إلّا حمارًا" أو "جاء القوم إلّا حمارًا" ففي المثال **الأوّل** يكون المجيء المنفيُّ المنتسب إلى القوم مثبتًا[3] للثاني، أي: "جاء الحمار"، وفي المثال **الثاني** يكون المجيء المثبت للأوّل منتفيًا عن الثاني، أي: "ما[4] جاء الحمار"،[5] وإذا ثبت ذلك فلو كان ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ استثناء عن ﴿سِرًّا﴾ يكون المعنى على لا تواعدوهنّ إلّا التعريضَ كما ذَكَره.

هذا تقرير كلام المصنِّف. وفيه نظر؛ لأنّ ما ذَكَره ليس شرطًا في الاستثناء المنقطع؛ بل شرط الاستثناء المنقطع أحد الأمرين وهو أن يكون الحكم الأوّل منتفيًا عن الثاني كما في قولك: "ما جاء القوم إلّا حمارًا" و"ما جاء زيد إلّا عمرًا"، أو أن يكون المستثنى حكمًا آخرَ له مخالفةً بوجه، مثل "ما زاد إلّا ما نقص"، أي: ما زاد لكن النقصان حاصل.

وإذا عرفتَ ذلك فلو قلنا في الآية: ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ﴾ مستثنى مِن ﴿سِرًّا﴾

---

[1] ن: أي.
[2] ر + وهو.
[3] ر: مبيّنًا.
[4] ر - ما.
[5] ن - وفي المثال الثاني يكون المجيء المثبت للأوّل منتفيًا عن الثاني، أي: "ما جاء الحمار".

وقيل: معناه: ﴿لَا تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ جماعًا، وهو أن يقول لها: إن نكحتُكِ كان كيت وكيت، يريد ما يجري بينهما تحت اللِّحاف ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ يعني: من غيرِ رَفَثٍ ولا إفحاشٍ في الكلام.

وقيل: ﴿لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾؛ أي: في السرّ، على أن المواعَدةَ في السرّ عبارةٌ عن المواعَدة بما يُستَهْجَنُ؛ لأن مسارَّتهنَّ في الغالب بما يُستَحْيا من المجاهَرة به.

---

ليكون المعنى: "لا تواعدُهنّ سرًّا"، لكن القول المعروف جائز غير ممنوع لاستقام المعنى، وهذا المعنى مذكور في أصول ابن الحاجب حيث قال: ولا بدّ لصحَّته، أي: لصحة المستثنى المنقطع مِن مخالفة في نفي الحكم، أو في أنّ المستثنى حكم آخرُ له مخالفةٌ بوجه مثل "ما زاد إلّا ما نقص".[1] وقوله: (إلّا التعريضَ) والتعريض غير موعود.[2]

قوله: (وقيل: معناه)... إلخ، هذا عطف مِن حيث المعنى على قوله: (والسرّ وقع[3] كنايةً عن النكاح)... إلخ، لأنّ حاصله أنّ السرّ كناية عن الوطء، ثمّ وقع عبارة عن العقد، فيكون المعنى "لا تواعدُهنّ عقدَ النكاح" على الوجه الأوّل، وعلى / هذا الوجه يكون المعنى "لا تواعدُهنّ جماعًا". والصواب أنّه عطف على قوله: (ثمّ عُبِّر) فكأنّه قيل: عُبِّر به ههنا عن العقد، وقيل: بل معناه هو الجماع،[4] فيكون المعنى: لا تُواعدوهنّ النكاح أو الوطء مواعدةً إلّا مواعدةً معروفة أو بوجه إلّا أن تقولوا، ويكون متعلِّقَ الاستثناء على الوجهين المذكورين. [٢٣٣و]

قوله: (وقيل: ﴿لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: في[5] السرّ)[6] عطف على قوله: "والسرُّ وقع كناية"... إلخ، فإنّ ﴿سِرًّا﴾ في هذا الوجه ليس كناية عن شيء؛ بل الكناية في هذا الوجه إنّما هي في مجموع قوله: ﴿لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾.

قوله: (على أنّ المواعدة في السرّ)، أي: بناء على أنّ المواعدة.

---

[1] انظر: المختصر لابن الحاجب، ص ٧٩٢-٧٩٣.
[2] ن ر - كما ذكره هذا... والتعريض غير موعود.
[3] ن: واقع.
[4] ن: الجماج.
[5] ن ر - في.
[6] ن ر: سر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: هو أن يتواثقا أن لا تتزوَّج غيره.

﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ مِن عَزَمَ الأمْرَ وعَزَمَ عليه، وذِكرُ العزم مبالَغةٌ في النهي عن عقدة النكاح في العِدَّة؛ لأن العزم على الفعل يتقدَّمه، فإذا نُهيَ عنه كان عن الفعل أنهى، ومعناه: ولا تعزموا عقدَ عقدةِ النكاح.

وقيل: معناه: ولا تَقْطَعوا عقدةَ النكاحِ، وحقيقةُ العزم: القطعُ، بدليل قوله عليه السلام: «لا صيامَ لمن لم يَعْزِمِ الصيامَ من الليل»، ورُوي: «لمن لم يَبِتَّ الصيامَ».

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ يعني: ما كُتِبَ وفُرِضَ من العِدَّة.

﴿يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من العزم على ما لا يجوز ﴿فَٱحْذَرُوهُ﴾ ولا تَعْزِموا عليه.

﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لا يعاجلُكم بالعقوبة.

**﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾**

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: لا تَبِعَةَ عليكم من إيجاب مهرٍ.

---

قوله:[1] (ومعناه: ولا تعزموا عقدَ عقدة النكاح) عقدتُ الحبل عقدًا. و[2]العُقدة موضع العقد.

قوله: (وقيل معناه: ولا تقطعوا) والتقدير: لا تقطعوا عقدَ عقدة النكاح، أي: لا تجزموا[3] عقدَ عقدة النكاح، فلا بدّ مِن تقدير العقد على الوجهين.

قوله تعالى: ﴿أَجَلَهُۥ﴾ الأجل هنا بمعنى آخر المدّة.

قوله: (مِن إيجاب مهر) بيان (تبعة) لقوله[4] بعد ذلك: (الجناح تبِعة المهر)، أي: لا يجب المهر على مَن طلّق قبل الدخول، إلّا إن كان قد سمّى المهر في العقد،

---

١ ن ر - (على أنّ المواعدة في السرّ)، أي: بناء على أنّ المواعدة. قوله.

٢ ن + وهي.

٣ ن: تحرموا.

٤ ر - ﴿أَجَلَهُۥ﴾ الأجل هنا بمعنى آخر المدّة قوله: (مِن إيجاب مهر) بيان تبعة لقوله.

﴿إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾: ما لم تجامعوهن.

﴿أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: إلا أن تفرضوا لهن فريضةً، أو: حتى تفرضوا.

وفَرْضُ الفريضة: تسميةُ المهر، وذلك أن المطلَّقة غيرَ المدخولِ بها إن سمِّي لها مهرٌ فلها نصفُ المسمَّى، وإن لم يسمَّ لها مهرٌ فليس لها نصفُ مهرِ المثلِ، ولكن المتعةُ.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾

والدليل على أن الجناح تَبِعَةُ المهر قولُه: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ فقوله: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ إثباتٌ للجُناح المنفيِّ ثمَّة.

---

أو حتّى كان قد سمّى المهر في العقد،[1] ويشير بهذا الكلام إلى أن "أو" بمعنى "إلّا أن" أو "إلى أن". واعلم أنّ الأظهر أنّ "أو" هنا بمعناه المشهور، وهو أحد الأمرين، وتحقيق المعنى على هذا أنّ "أو" في الإثبات يفيد أحدَ الأمرين وفي النفي نفيَ كلّ واحد منهما، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان ٧٦/٢٤]، فيكون المعنى أنّه إذا لم يُسمَّ المهر في العقد بأن كانت المرأة مفوّضة ولم يدخل بها الزوج لا يجب المهر عليه. وهذا تحقيق يفيد في كثير مِن المواضع، مِن جملتها قوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام ١٥٨/٦]، وقد أهمل المصنّف هذا التحقيق هنالك أيضًا، ونحن بيّناه هناك بتوفيق الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ «"ما" مصدريّة والزمان محذوف، تقديره: في زمن ترك مسّهن،[2] أو شرطيّة».[3] ذكره في الكواشيّ. ولي في جواز كونها شرطيّة نظرٌ.

---

١ ن ر - أو حتى كان قد سمّى المهر في العقد.

٢ ر: منهن.

٣ تفسير الكواشي، ٦٤/ظ.

والمتعةُ: دِرْعٌ ومِلحفَةٌ وخِمار على حسب الحال عند أبي حنيفة، إلا أن يكون مهرُ مثلها أقلَّ من ذلك، فلها الأقلُّ من نصفِ مهر المثل ومن المتعة، ولا ينقص من خمسةِ دراهمَ؛ لأنّ أقل المهر عشرةُ دراهم فلا ينقص من نصفها.

و﴿ٱلْمُوسِعِ﴾: الذي له سعةٌ، و﴿ٱلْمُقْتِرِ﴾: الضيّق الحال.

و﴿قَدَرُهُۥ﴾: مقدارُه الذي يُطيقه؛ لأن ما يُطيقه هو الذي يَختصُّ به، وقرئ بفتح الدال، والقدْر والقَدَر لغتان.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال لرجل من الأنصار تزوَّجَ امرأةً ولم يسمِّ لها مهرًا ثم طلَّقها قبل أن يمسَّها: «أَمَتَّعْتَها؟» قال: لم يكن عندي شيء، قال: «مَتِّعها بقلنسوتك».

وعند أصحابنا رحمهم الله: لا تجبُ المتعةُ إلّا لهذه وحدها، وتُستحبُّ لسائر المطلَّقات ولا تجبُ.

﴿مَتَـٰعًا﴾ تأكيدٌ لـ"متِّعوهنَّ" بمعنى: تمتيعًا ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الذي يَحْسُنُ في الشرع والمروءة.

﴿حَقًّا﴾ صفةٌ لـ﴿مَتَـٰعًا﴾؛ أي: متاعًا واجبًا عليهم، أو: حُقَّ ذلك حقًّا.

﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: على الذين يُحسِنون إلى المطلَّقات بالتمتيع، وسمَّاهم قبل الفعل محسِنين كما قال صلى الله عليه وسلم: «مَن قتَل قتيلًا فله سَلَبَهُ».

﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ يريد المطلقات.

**فإن قلتَ:** أيُّ فرقٍ بين قولك: الرجالُ يَعْفُونَ، والنساءُ يَعْفُونَ؟

---

قوله:[١] **(فلا ينقص مِن نصفها)**، أي: نصف العشرة.[٢]

قوله: **(لأنّ أقلّ المهر عشرةُ دراهم)**، أي: عنده.

قوله:[٣] **(إلّا لهذه وحدَها)** وهي المطلَّقة الغير الممسوسة التي لم يُسمَّ لها مهر.

---

١ ن ر + (لأنّ أقل المهر عشرة دراهم)، عنده. قوله. ٣ ن ر − (لأنّ أقل المهر عشرة دراهم)، عنده. قوله.
٢ ن + عشرة.

**قلتُ: الواو في الأوّل ضميرُ هم والنونُ عَلَمُ الرفع، والواوُ في الثاني لامُ الفعل والنونُ ضمير هنَّ، والفعل مبنيٌّ لا أثر في لفظه للعامل، وهو في محل النصبِ، و﴿يَعْفُوَا﴾: عطفٌ على محله.**

**و﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾: الوليُّ، يعني: إلا أن تعفوَ المطلَّقاتُ عن أزواجهنَّ فلا يُطالِبْنَهُم بنصف المهر، وتقول المرأة: ما رَآني ولا خَدَمْتُهُ ولا استَمْتَع بي فكيف آخُذُ منه شيئًا؟! أو يعفوَ الوليُّ الذي يلي عقدَ نكاحهن، وهو مذهب الشافعيِّ رحمه الله.**

**وقيل: هو الزوج، وعفوُه: أن يَسوق إليها المهرَ كَمَلًا، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله.**

**والأوّلُ ظاهرُ الصحة، وتسميةُ الزيادةَ على الحقِّ عفوًا فيها نظرٌ، إلَّا أن يقال:**

---

قوله: **(في الأوّل)**، أي: "الرجال يعفون" و**(هم)**، أي: الرجال. وقوله: **(هنّ)**، أي: النساء.

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾[1] قال المطرّزيّ في **المُغرِب**: «قوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ فالعفو يستعار للتجافي عن الحقِّ وطلبه، كما في قوله عليه السلام: 'عفونا لكم عن صدقة الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرِّقة'.[2] و﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾: الزوج. وقيل: الوليّ. وقد أُنكر كما أُنكر تفسير العفو بالإعطاء».[3]

**قوله: (وهو مذهب الشافعيّ)، أي: قديمًا.**

**قوله:[4] (والأوّل ظاهر الصحّة)** لأنّ العفو ممّا يطابق عليه.

**قوله: (وتسمية الزيادة)**، أي:[5] على الثاني.

---

١ ن ر – وهم، أي: الرجال وقوله: (هنّ)، أي: النساء قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾.

٢ بلفظ قريب في مسند أحمد، ٢/٢٨٢ (٩٨٤)؛ وسنن الترمذي، ٢/٩ (٦٢٠).

٣ ن ر: بالإغضاء. | **المُغرِب** للمطرزي، «عفو».

٤ ر: والظاهر.

٥ ر – أي.

كان الغالب عندهم أن يَسوقَ إليها المهرَ عند التزوُّج، فإذا طلَّقها استحَقَّ أن يطالبَها بنصفِ ما ساق إليها، فإذا تَركَ المطالبةَ فقد عفا عنها.

أو سمَّاه عفوًا على طريقِ المشاكَلة، كما قال الشاعرُ:

يَبْنِي الرجالَ وغيرُه يبني القُرَى شَتَّان بَيْنَ قُرًى وبَيْنَ رجالِ

لمَّا كان بناءُ القرى صحيحًا كان بناءُ الرجال عليه صحيحًا.

وعن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ: أنه تزوَّج امرأةً وطلَّقها قبل أن يدخل بها، فأكمل لها الصَّدَاق وقال: أنا أحقُّ بالعفو.

وعنه: أنه دخل على سعد بن أبي وقَّاص فعرض عليه بنتًا له فتزوَّجها، فلمَّا خرج طلَّقها وبعث إليها بالصَّداق كَمَلًا، فقيل له: لِمَ تزوَّجتها؟ فقال: عرضَها عليَّ فكرهتُ ردَّه، قيل: فلمَ بَعثْتَ بالصَّداق كَمَلًا؟ قال: فأين الفضلُ؟

و﴿ٱلْفَضْلَ﴾: التفضُّل؛ أي: ولا تنسَوْا أن يتفضَّل بعضُكم على بعضٍ وتَتَمرَّؤوا ولا تَستَقْصوا.

وقرأ الحسن: "أو يَعفُو الذي" بسكون الواو، وإسكانُ الواوِ والياءِ في موضع النصب تشبيهٌ لهما بالألف لأنهما أختاها.

وقرأ أبو نَهيكٍ: "وأن يَعْفُوا" بالياء.

---

قوله: (فإذا طلّقها)، أي: غير المدخول بها.[1]

قوله: (وتتمرّءوا)، أي: تصيروا أصحابَ مروءة.[2]

قوله: (وإسكان[3] "الواو" و"الياء") مثالُ إسكان[4] "الياء"[5] قولُ الشاعر:

يا باري القوس بريًا ليس تحكمه لا تُفسِد القوسَ أعطِ القوسَ باريها[6]

قوله: (وقرأ "وأن يعفوا")[7] مكان ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ﴾.

---

١ ن – بها.

٢ ن: ثروة.

٣ ن: وإشكال.

٤ ر: إشكال.

٥ ن ر – الياء.

٦ ما عرفت قائله. وهو بلا عزو في **البصائر والذخائر** للتوحيدي، ١/١٣؛ و**مجمع الأمثال** للميداني، ٢/١٩.

٧ قراءة شاذّة مرويّة عن أبي نَهيك والأعرج والشعبي. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٩٤.

وقرئ: "ولا تنسِوا الفضلَ" بكسر الواو.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾؛ أي: الوسطى بين الصلوات، أو: الفُضلى، من قولهم للأفضل: الأوسطُ، وإنَّما أُفرِدَتْ وعُطفت على ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ لانفرادها بالفضل، وهي صلاةُ العصر، وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال يومَ الأحزاب: «شَغَلونا عن الصلاة الوسطى صلاةِ العصر مَلَأَ الله تعالى بيوتهم نارًا» وقال عليه الصلاة والسلام: «إنها الصلاةُ التي شُغل عنها سليمانُ بنُ داود عليهما السلام حتّى توارتْ بالحجاب».

وعن حفصةَ أنها قالت لمن كتَب لها المصحف: إذا بلغتَ هذه الآية فلا تكتُبْها حتى أُمليَها عليك كما سَمِعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها، فأملَتْ عليه: "والصلاةِ الوُسطى صلاةِ العصر".

---

[٢٣٣ظ] قوله: / (يوم الأحزاب) هو اليوم الذي أحاط الكافرون فيه بالمدينة، وإنّما قال صلّى الله عليه وسلّم:[١] («شغلونا»)؛[٢] لأنّ صلاة العصر فاتتهم لاشتغالهم ذلك اليوم بالخندق حول المدينة.

قوله: («حتّى توارت»)،[٣] أي: حتّى توارت الشمس بالحجاب، يعني غابت الشمس، فهي[٤] على هذا صلاة العصر أيضًا.

قوله: (عن[٥] حفصة أنها)... إلخ، هي بنت عمر رضي الله عنهما،[٦] والكاتب رافع مولى[٧] عمر،[٨] وكان يكتب المصاحف. يجوز أن يكون النبيّ عليه السلام بيّنها في[٩] قراءته فتوهّمت حفصةُ أنّها[١٠] مِن القرآن، وأيضًا فما يكون مِن أمثال ذلك لا يكون قرآنًا، لأنّ القرآن ما ثبت تواترًا، وهو مِن الآحاد.

---

١ د: عليه السلام.

٢ بلفظ قريب في صحيح البخاري، ٤٣/٤ (٢٩٣١)؛ وصحيح مسلم، ٤٣٧/١ (٦٢٧).

٣ تفسير عبد الرزاق، ١٦٥/٢ (ص، ٣٤/٣٨).

٤ ن ر: فهو.

٥ ر: وهي.

٦ د - رضي الله عنهما.

٧ ر: قول.

٨ نقل الطِّيبيُّ ذلك عن الزمخشري في حاشية الكشّاف. انظر: فتوح الغيب، ٤٤٣/٣.

٩ ن ر: قد.

١٠ ن ر: أنّه.

وروي عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم: "والصلاةِ الوسطى وصلاةِ العصر" بالواو، فعلى هذه القراءةِ يكون التخصيص لصلاتين: إحداهما الصلاةُ الوسطى: إمَّا الظهرُ وإما الفجرُ وإما المغربُ على اختلاف الرواياتِ فيها، والثانية: العصر.

وقيل: فضلُها لِمَا في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: هي صلاةُ الظهر؛ لأنها في وَسَطِ النهار، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلِّيها بالهاجرة، ولم تكن صلاةٌ أشدَّ على أصحابه منها.

وعن مجاهد: هي الفجر؛ لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل.

---

قوله: (يكون[١] التخصيص لصلاتين) ويمكن في قراءتهما أيضًا ألّا يكون "وَصَلاةُ العَصْرِ"[٢] مغايرًا للصلاة الوسطى في المعنى؛ بل يكون كالبيان أورداها بـ"الواو" وذكراها تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ فظنَّ السامع أنهما ذكراها بمعنى أنّها مِن القرآن ولم يكن المراد ذلك؛ بل التفسير والبيان كما ذكرنا.

قوله: (بالهاجرة) الهَجْر والهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحرّ، يقول منه: هجَّر النهار،[٣] قال امرؤ القيس:

فدعْها وسلِّ الهمَّ عنك بجسرةٍ ذَمولٍ إذا صار النهار وهَجَّرا[٤]

يقال: سلّى عنه الهمَّ، أي: كشفه، وانسلى عني الهمُّ وتسلّى بمعنًى، أي: انكشف.[٥] والجَسْرة بالفتح: العظيم مِن الإبل وغيره، والأنثى جَسْرة.[٦] والذَّمُول: الناقة المُسرعة. والذَّميل: سرعة السير. ويقال: صام النهار، أي: انتصف.[٧]

---

[١] ر – يكون.

[٢] قراءة شاذّة مرويّة عن عائشة وابن عبّاس رضي الله عنهما. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٢٢.

[٣] ر + هجرًا سلى عنه الهمّ. | انظر: الصحاح للجوهري، «هجر».

[٤] البيت في ديوان امرئ القيس، ص ١٦٣؛ وهو له في الصحاح للجوهري، «هجر».

[٥] انظر: الصحاح للجوهري، «سلا».

[٦] انظر: الصحاح للجوهري، «جسر».

[٧] ن ر + كان.

وعن قَبِيصَةَ بن ذُؤَيْبٍ: هي المغرب؛ لأنّها وِتْرُ النهار، ولا تُنقص في السفر من ثلاث.

وقرأ عبد الله: "وعلى الصلاةِ الوُسْطَى".

وقرأت عائشة رضي الله عنها: "والصلاةَ الوسطى" بالنصب على المدح والاختصاص.

وقرأ نافع: "الوُصْطَى" بالصاد.

﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ في الصلاة ﴿قَٰنِتِينَ﴾: ذاكرِينَ الله في قيامكم، والقنوتُ: أن تَذْكُرَ الله قائمًا.

وعن عكرمةَ: كانوا يتكلّمون في الصلاة فنُهوا.

وعن مجاهدٍ: هو الرُّكود وكفُّ الأيدي والبصر.

ورُوي: أنهم كانوا إذا قام أحدهم إلى الصلاة هابَ الرحمنَ أن يَمُدَّ بَصَرَهُ أو يَلْتفِتَ أو يُقلِّبَ الحَصَا، أو يُحدِّثَ نفسَه بشيءٍ من أمور الدنيا.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: فإن كان بكم خوفٌ من عدوّ أو غيره ﴿فَرِجَالًا﴾: ............

---

قوله: (وعن عكرمةَ) فعلى هذا كان معنى ﴿قَٰنِتِينَ﴾ ذاكرين الله تعالى بالقراءة والأذكار غير متكلّمين.

قوله: (وعن مجاهد: هو الركود)[1] رَكَد الماء ركودًا، أي: سكن، وكذلك[2] الريح[3] والسفينة، وكلُّ راكدٍ ثابت. فعلى ما ذكر مجاهد هو ألّا يتحرّك في الصلاة ولا يعبث بيده ولا ينظر إلى غير موضع السجود. وقوله: (ورُوي)... إلخ، يؤيّد ما ذَكره مجاهد.

---

١ انظر: جامع البيان للطبري، ٣٨٢/٤ (البقرة، ٢٣٨/٢). ٣ د ر: الرمح.
٢ ن: وكذا.

فصلُّوا راجلِينَ، وهو جمعُ راجلٍ كقائمٍ وقيام، أو رَجُلٍ يقال: رَجُلٌ رَجُلٌ؛ أي: راجل.

وقرئ: "فَرُجالًا" بضم الراء، و: "رُجَّالًا" بالتشديد، و: "رَجْلًا".

وعند أبي حنيفة رحمه الله: لا يصلُّون في حال المشي والمُسايَفة ما لم يُمْكِنِ الوقوفُ.

وعند الشافعي رحمه الله: يصلُّون في كلِّ حالٍ، والراكب يُومِئ ويَسقط عنه التوجُّهُ إلى القبلة.

---

قوله تعالى: ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ تخيير. وقوله:[1] (فصلّوا راجلين) إنّما حُذف "صلُّوا" لدلالة ﴿قُومُواْ﴾ عليه، أي: قوموا راكدين ثابتين إن لم تخافوا فإن خفتم فرجالًا. وهو شديد الملاءمة لتفسير مجاهد. فظهر أنّه متعلِّق بقوله: ﴿وَقُومُواْ﴾ لا بقوله: ﴿حَٰفِظُواْ﴾، فتأمّل. فإنّ قوله: ﴿حَٰفِظُواْ﴾ أمر بالمحافظة على الصلاة مطلقًا، وقوله: ﴿قُومُواْ﴾ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ تفصيل حال الأمن والخوف.

قوله: (يقال: رَجُل رجُل)،[2] أي: راجِلٌ. ومثله قول الشاعر:

أمَا أُقاتل عن ديني على فرسي ... أو هكذا رجلًا إلّا بأصحابي[3]

وقوله:

ما زلتَ تحسِبُ كلّ شيء بعدهم ... خيلًا تكرُّ عليهمُ ورجالا[4]

قوله: (ورُجّالًا بالتشديد) كـ"جاهل وجُهّال".

قوله: (ورَجْلًا)[5] كـ"صاحب وصَحْب".[6]

قوله: (والمسايفة) المضارَبة بالسيف.

---

[1] ن ر + (وروي)... إلخ.

[2] ضُبطت الجيم في مطبوع الكشّاف وكثير من أصوله بالضمّة، وكأنّ تحتها كسرةً في النسخة د من حاشية الجاربردي. في مخطوط الكشّاف نسخة آية صوفيا (٢٤٦)، ١٣٤و: ضبطت الجيم بالكسرة والضمّة، وكتب فوقها "معًا" وتحتها "صح". وكُتب في هامشها: وفي نسخة المصنِّف جُعل على الضمّة "صح" مثل ما تراه.

[3] البيت لحيي بن وائل المازني. ومضى تخريجه والكلام عليه في تفسير سورة البقرة، ٨/٢.

[4] البيت لجرير في ديوانه، ٥٣/١؛ وهو له في شرح أبيات المغني للبغدادي، ١٠١/٥؛ وبلا عزو في ديوان المعاني للعسكري، ١٩٥/١.

[5] ر: ورجالًا.

[6] ر: وصحاب.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾: فإذا زال خوفكم ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ من صلاةِ الأمن.

أو: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾ فاشكروا الله على الأمنِ واذكُروه بالعبادة ﴿كَمَا﴾ أحسنَ إليكم بما ﴿عَلَّمَكُم﴾ من الشرائع وكيف تصلُّون في حالِ الخوف وفي حالِ الأمن.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٤٠﴾

تقديرُه فيمَن قرأ ﴿وَصِيَّةٌ﴾ بالرفع: ووصيةُ الذين يُتوفَّون -أو: وحُكمُ الذين يُتوفَّون- وصيَّةٌ لأزواجهم، أو: والذين يُتوفون أهلُ وصيَّةٍ لأزواجهم.

وفيمَن قرأ بالنصب: والذين يُتوفون يوصون وصيَّةً؛ كقولك: إنَّما أنت سَيْرَ البريد، بإضمار: تسيرُ، أو: وأُلزِمَ الذين يُتوفَّون وصيَّةً، وتدلُّ عليه قراءةُ عبد الله:

---

قوله: (أو وحُكمُ الذين) المراد واحد مِن الأحكام الخمسة الشرعية التي هي الوجوب والندب والحرمة والكراهة والإباحة. وأضيف إليهم لأنّها كانت واجبة عليهم في الأوّل.

قوله: (وفيمَن قرأ بالنصب)،[1] أي: وتقديره فيمَن قرأ.

قوله: (كقولك: إنما أنت سيرَ البريد) إنّما شبَّهه المصنِّف بقولك: "إنّما أنت سيرَ البريد" لا بقولك: "إنّما أنت سيرًا" لأنّ ﴿وَصِيَّةً﴾ لمّا تقيَّدت بقوله: ﴿لِّأَزۡوَٰجِهِم﴾ صارت للنوع، وهذا ظاهر إذا كان ﴿لِّأَزۡوَٰجِهِم﴾ صفة ﴿وَصِيَّةً﴾،[2] وأمّا إذا كانت متعلِّقة بالفعل المحذوف فهو موضع تأمّل. ويمكن أن يقال

[٢٣٤و] حينئذٍ: / قيدُ الفعل قيدٌ للمصدر.

قوله: (أو وأُلزِم الذين يُتوفون وصيةً) "الذين" مفعول "يتوفَّون" مفعول أوّل، وقوله: "وصيّةً" مفعول ثان لـ"أُلزم".

---

[1] قرأ بالنصب أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص، وقرأ الباقون بالرفع. النشر لابن الجزري، ٢/٢٢٨.

[2] ن ر - لما تقيّدت بقوله: ﴿لِّأَزۡوَٰجِهِم﴾ صارت للنوع وهذا ظاهر إذا كان لأزواجهم صفة وصية.

"كُتِبَ عليكم الوصيةُ لأزواجكم متاعًا إلى الحول" مكانَ قوله: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصيةً لأزواجهم متاعًا إلى الحول﴾.

وقرأ أبيٌّ: "متاعٌ لأزواجهم متاعًا".

وروي عنه: "فمتاعٌ لأزواجهم".

و﴿مَتَٰعًا﴾ نصبٌ بالوصيَّة، إلَّا إذا أَضمرتَ "يوصون" فإنه نصبٌ بالفعل.

وعلى قراءةِ أبيّ ﴿مَتَٰعًا﴾ نصبٌ بـ"متاعٌ" لأنه في معنى التَّمتيع؛ كقولك: الحمدُ لله حمدَ الشاكرين، و: أعجبني ضربٌ لك زيدًا ضربًا شديدًا.

و﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ؛ كقولك: هذا القولُ غيرَ ما تقول، ............

---

قوله: (وقرأ أبيّ "متاعٌ")[١] مكان "وصيةٌ".

قوله: (و﴿مَتَٰعًا﴾ نصب بالوصية) مذهب المبرّد أنّه يُعمل المصدر إعمال الفعل، وسيبويه لا يعمله، ولكن يُضمِر فعلًا في هذه المواضع.[٢] وقوله: و﴿مَتَٰعًا﴾ نصب بالوصية، هذا على تقدير رفع "وصية"، وعلى تقدير نصبه[٣] إذا قلنا تقديره "وألزم الذين". وقوله: (إلّا إذا أَضمرتَ "يوصون") هذا على تقدير نصب "وصية" إذا قلنا تقديره "يوصون وصيّة".

قوله: (كقولك: الحمد لله حمد الشاكرين)... إلخ، ذكر مثالين: **الأوّل** لعمل[٤] المصدر في المفعول المطلق، **والثاني**[٥] للعمل في المفعول به، أو **أحدهما** للعمل باللام **والثاني** بغير اللام.

قوله: (و﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ مصدر مؤكِّد) لمّا ذُكر[٦] أنّهم يوصون لأزواجهم ما يُمتَّع به حولًا دلّ على أنّهنّ لا يخرجن، فأكّد ذلك بقوله: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾، تقديره "يُمسَكن في البيوت إمساكًا غيرَ إخراج"، وإذا كان مصدرًا فتقديره "لا يُخرَجْن إخراجًا"،

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبيّ بن كعب. **المغني في القراءات** للنُّوْزاوازي، ص ٥٢٥.

٢ انظر تفصيل مذهبيهما في **شرح الرضيّ على الكافية**، ١/٣٤٠-٣٤١.

٣ ر: نصب.

٤ ر: العمل.

٥ ر: الباقي.

٦ ر: ذكرنا.

**أو بدلٌ من ﴿مَتَـٰعًا﴾، أو حالٌ من الأزواج؛ أي: غيرَ مُخرَجاتٍ.**

**والمعنى: أنَّ حقَّ الذين يُتوفَّون عن أزواجهم أنْ يُوصُوا قبل أن يُحتضَروا بأن تُمتَّعَ أزواجُهم بعدهم حولًا كاملًا؛ أي: يُنفَقُ عليهن من تركته، ولا يُخرجن من مساكنهنَّ، وكان ذلك في أول الإسلام ثم نُسخت المدةُ بقوله: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة ٢/٢٣٤].**

**وقيل: نُسخ ما زاد منه على هذا المقدار، ونُسخت النفقةُ بالإرث الذي هو الرُّبع والثمنُ.**

**واختلف في السكنى؛ فعند أبي حنيفة وأصحابه: لا سُكنى لهن.**

---

ثمّ حُذف الفعل فصار لا إخراجًا، فوُضع "غير"[1] موضعَ "لا"، فصار "غيرَ إخراجٍ".

قوله: (أو بدلٌ) مشكِلٌ إذ ليس بدلَ الكلّ ولا البعض ولا بدلَ الاشتمال،[2] إذ لا بدّ مِن ضمير عائد إلى المبدل منه ولا ضميرَ هنا، ويمكن أن يقال: "هو بدل الكلّ". ومعنى ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ غيرَ ذي إخراج بحذف المضاف، والمراد مِن "غير ذي إخراج" ذو إسكان وإلزام للبيت بحيث لا تخرج، وسُمّي المتاع بـ"ذي إسكان"؛ لأنّه بسببه تسكن البيت وتلزمه ولا تحتاج إلى الخروج.

قوله: (قبل أن يُحتَضروا) إشارة إلى أن لا اعتبار للوصية بعد أن صار الشخص محتضَرًا، كما لا اعتدادَ بشيء مِن تصرفاته وإسلامه وكفره.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ أي: فإن خرجنَ بعد الحول فلا جناحَ عليكم فيما فعلن في أنفسهن مِن التزيُّن والتعرُّض للخُطّاب، وأمّا أنّ المراد مِن الخروج هو الخروج بعد الحَول فيُعلم مِن "الفاء" في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾. وقال في المطلع:[3] فإن خرجنَ بعد الحَول أو قبله بعذر فلا جناحَ عليكم يا أولياء الميّت فيما فعلن في أنفسهنّ مِن التزيُّن والتعرُّض للخُطّاب مِن معروف ممّا ليس بمنكَر[4] شرعًا.

---

[1] ر – غير.
[2] ر: اشتمال.
[3] ر: المطالع.
[4] ن ر: يمكن.

﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من التزيُّن والتعرُّض للخُطَّاب ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾: مما ليس بمنكَرٍ شرعًا.

**فإن قلتَ**: كيف نَسخت الآيةُ المتقدِّمةُ المتأخِّرةَ؟

**قلتُ**: قد تكون الآيةُ متقدِّمةً في التلاوة وهي متأخِّرة في التنزيل كقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة ٢/١٤٢] مع قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة ٢/١٤٤].

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌ﴾ عَمَّ المطلَّقات بإيجاب المتعةِ لهنَّ بعدَ ما أوجبها لواحدةٍ منهنَّ، وهي المطلَّقةُ غيرُ المدخول بها، وقال: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ كما قال ثمَّة: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وعن سعيد بن جبير وأبي العالية والزُّهريِّ: أنها واجبةٌ لكلِّ مطلقة.

وقيل: قد تناولت التمتيعَ الواجبَ والمستحَبَّ جميعًا.

وقيل: المراد بالمتاع: نفقةُ العِدَّة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تقريرٌ لمن سَمِعَ بقصَّتهم ..............................

---

قوله: (**في التلاوة**) يعني في **المصحف** والكتابة في **المصحف**.[1]

قوله: (**كقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ﴾ [البقرة ٢/١٤٢]**) ﴿سَيَقُولُ﴾ متقدِّم في التلاوة متأخِّر في النزول.

قوله: (**قد تناولت**)، أي: الآية.

---

[1] ر – والكتابة في المصحف.

من أهل الكتاب وأخبارِ الأوّلين، وتعجيبٌ من شأنهم، ويجوزُ أن يخاطَبَ به مَن لم يَرَ ولم يَسْمَع؛ لأن هذا الكلام جَرى مَجرى المثل في معنى التعجيب.

رُوي: أنَّ أهل داوَرْدانَ -قريةٌ قِبَلَ واسطٍ- وقع فيهم الطاعونُ، فخرجوا هاربين، فأماتهم الله ثم أحياهم؛ ليَعْتَبِروا ويعلموا أنه لا مَفَرَّ من حُكم الله تعالى وقضائه.

وقيل: مرَّ عليهم حِزْقيلُ بعد زمانٍ طويلٍ وقد عريَت عظامُهم وتفرَّقت أوْصالُهم، فلوَّى شِدْقَهُ وأصابعَه تعجُّبًا ممَّا رأى، فأُوحيَ إليه: نادِ فيهم: أن قوموا بإذن الله، فنَادَى فنظر إليهم قيامًا يقولون: سبحانك اللّهم وبحمدك لا إله إلا أنت.

وقيل: هم قومٌ من بني إسرائيل دَعَاهم مَلكهم إلى الجهاد فهَربوا حذرًا من الموت، فأماتهم الله ثمانيةَ أيَّام ثم أحياهم.

﴿وَهُمۡ أُلُوفٌ﴾ فيه دليلٌ على الألوفِ الكثيرة، واختلف في ذلك فقيل: عشرة، وقيل: ثلاثون، وقيل: سبعون.

ومن بِدَع التفاسير: ﴿أُلُوفٌ﴾: متآلفون؛ جمع آلِف كقاعدٍ وقُعود.

**فإن قلتَ**: ما معنى قوله: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾؟

**قلتُ**: معناه: فأماتهم، وإنما جيءَ به على هذه العبارةِ ......................

---

قوله: (وأخبار الأوّلين) الظاهر أنّ قوله: "وأخبار" عطف على (الكتاب)، أي: مِن أهل أخبار الأوّلين، أي: التواريخ.

قوله: (وقيل: مرّ عليهم حِزْقيل) مرّ عليه إذا كان ميّتًا ومرَّ به إذا كان حيًّا. قال في **الصحاح**: لا فرقَ بين "مرّ عليه" و"مرّ به".[١] و"حِزْقيل" نبيّ. وقوله: (فلوى)، أي: حرَّك.

قوله: (فيه دليلٌ) لأنّ الألوف جمع الكثرة.

قوله: (فقيل: عشرة) فعلى هذا يكون جمع الكثرة استعمل في موضع القلّة.

قوله: (ومِن بدع التفاسير)، أي: ليس بمرويّ عن الثِّقات.

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «مرر».

للدلالة على أنهم ماتوا مِيتةَ رَجلٍ واحدٍ بأمر الله تعالى ومشيئته، وتلك ميتةٌ خارجةٌ عن العادة كأنّهم أُمرُوا بشيءٍ فامتثلوه امتثالًا من غير إباءٍ ولا توقُّف؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس ٨٢/٣٦] وهذا تشجيعٌ للمسلمين على الجهاد والتعرُّضِ للشهادة، وأنّ الموت إذا لم يكن منه بدٌّ ولم ينفعْ منه مَفرٌّ فأولَى أن يكون في سبيل الله.

﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ حيث يُبصِّرُهم ما يَعتبِرون به ويَستبصِرون كما بصَّرَ أولئك وكما بصَّركم باقتصاصِ خبرِهم، أو: لذو فضل على الناس حيث أحيا أولئك ليَعتبروا فيفوزوا، ولو شاء لتركهم مَوتَى إلى يوم البعث.

والدليل على أنه ساقَ هذه القصَّةَ بعثًا على الجهاد: ما أَتْبعه من الأمر بالقتال في سبيل الله.

---

قوله: **(للدلالة)** وجهُ الدلالة على هذا المعنى أنّ قوله تعالى: ﴿مُوتُواْ﴾ خطاب للجماعة، فلا بدّ أن يكون هذا الخطاب مع الجميع معًا، وإذا خاطب تعالى الجميع معًا بهذا الكلام فلا بدّ أن يموتوا / معًا امتثالًا لأمره النافذ واقتداره، [٢٣٤ظ]
فشبَّه إماتتهم معًا في حالة واحدة بخطابهم معًا بهذا الكلام، وهذا بخلاف[١] ما لو قيل: "أماتهم"، فإنّه لو قيل كذا لَما كان فيه دلالة على هذا المعنى؛ لأنّه[٢] إخبار عن إماتتهم، فكان يحتمل أن يميتهم معًا أو متراخيًا موتُ بعضهم عن آخر. ثمّ قال المصنِّف: **(وتلك ميتة)** إشارةٌ إلى فائدة الإخبار عن هذه الحالة بهذا الوجه.

قوله: **(وأنّ الموت)** عطف على **(تشجيعٌ)** وفي هذا الكلام حذفٌ، أي: وبيانُ أنّ الموت، أو وإشارة إلى أنّ الموت... إلخ.

قوله: **(فأولى)** جواب[٣] **(إذا)**.

قوله: **(أو لذو فضل على الناس حيث)**... إلخ، و"اللام" على **الأوّل** للجنس وعلى **الثاني** للعهد.

---

[١] ر: الخلاف.
[٢] ر: فإنّه.
[٣] ر: جوابه.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (244)﴾

﴿سَمِيعٌ﴾ يسمع ما يقوله المتخلِّفون والسابقون ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء.

﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245)﴾

إقراض الله مَثَلٌ لتقديم العمل الذي يُطلب به ثوابُه.

والقرض الحسن: إما المجاهدةُ في نفسها، وإما النفقةُ في سبيل الله.

﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ قيل: الواحد بسبع مئة.

وعن السُّدي: ﴿كَثِيرَةً﴾ كثرةً لا يعلم كُنْهَها إلَّا الله.

﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾: يُوسِّع على عباده ويُقتِّر، فلا تبخلوا عليه بما وسَّع عليكم لا يُبدلْكم الضيقةَ بالسَّعة.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم على ما قدَّمتم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246)﴾

﴿لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾: هو يُوشَعُ أو شَمعونُ أو إشمويلُ.

---

قوله: (وهو[1] من وراء الجزاء)، أي: وهو يسوق الجزاء ويعطيه.

قوله: (إقراض الله) الإقراضُ: عبارة عن إعطاء عين على وجه طلبِ البدل مِن جنسه متى شاء.

---

[1] ن ر: أي.

﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا﴾: أنهِضْ للقتال معنا أميرًا نَصْدُرُ في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي إلى أمره.

طلبوا من نبيِّهم نحوَ ما كانَ يفعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من التأمير على الجيوش التي كان يجهِّزها، وَمِن أمرِهم بطاعته وامتثالِ أوامره.

وروي: أنه أمرَ الناسَ إذا سافروا أن يجعلوا أحدَهم أميرًا عليهم.

﴿نُّقَٰتِلۡ﴾ قرئ بالنون والجزم على الجواب، وبالنون والرفع على أنّه حالٌ أي: ابْعَثْه لنا مقدِّرين القتال، أو استئنافٌ كأنه قال لهم: ما تصنعون بالملك؟ قالوا: نقاتل.

وقرئ: "يقاتلْ" بالياء والجزم على الجواب، وبالرفع على أنّه صفةُ ﴿مَلِكٗا﴾ أي: ملكًا مقاتلًا.

وخبر ﴿عَسَيۡتُمۡ﴾: ﴿أَلَّا تُقَٰتِلُواْ﴾ والشرط فاصلٌ بينهما، والمعنى: هل قاربتُم أن لا تقاتلوا، يعني: هل الأمر كما أتوقَّعُه أنّكم لا تقاتلون؟ أرادَ أن يقول: عسيتُم أن لا تقاتلوا.

---

قوله: (بطاعته)، أي: بطاعة الأمير.

قوله: (روي أنّه)، أي:[1] النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[2]

قوله: (وبـ"النون" وبالرفع)[3] شاذّ.

قوله: (وقرئ "يُقاتلْ" بـ"الياء" والجزم)[4] شاذّ.

قوله:[5] (على أنّه صفة)، أو استئناف على ما مرّ.

قوله: (والمعنى) يعني أنّ المقصود مِن الكلام "هل قاربتم ألا تقاتلوا"، وإن كان مدلول اللفظ بحسب الوضع اللغويّ "هل أتوقَّع أنّكم قاربتم"... إلخ. ثم أشار بقوله: (أراد أن يقول) إلى أنّ المقصود كان يتمّ بقوله: (عسيتم ألّا تقاتلوا)، لكن أراد تقرير هذا المعنى بحرف الاستفهام.

---

[1] ر + أنّ.

[2] د: عليه السلام.

[3] قراءة شاذّة، غير منسوبة. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٥٢٧.

[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن السُّلمي. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٩٥.

[5] ن ر – (وبالنون وبالرفع) شاذ قوله: (وقرئ "يقاتل" بالياء والجزم) شاذ. قوله.

**بمعنى: أتوقَّعُ جُبْنَكم عن القتال، فأَدْخلَ ﴿هَلْ﴾ مستفهِمًا عمّا هو متوقَّعٌ عنده ومظنونٌ، وأراد بالاستفهام التقريرَ وتثبيتَ أن المتوقَّع كائنٌ وأنّه صائبٌ في توقُّعِه، كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان ١/٧٦] معناه التقرير.**

**وقرئ: ﴿عسِيتم﴾ بكسر السين، وهي ضعيفة.**

**﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ﴾: وأيُّ داعٍ لنا إلى ترك القتال، وأيُّ غرضٍ لنا فيه ﴿أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾؟**

---

قوله: **(يعني هل الأمر)**... إلخ، أي: هل الأمر أنكم لا تقاتلون عن قريب **(كما أتوقّعه)**. فقوله: **(أنكم)** بدلٌ عن الضمير في "أتوقّعه" أو بيانٌ له، ويجوز أن يكون بدلًا أو بيانًا لـ"ما".

"عسى" موضوع لرجاء دنوّ الخبر، لكن لا شبهةَ أنّ ترك مقاتلتهم ليس مرجوًّا لنبيّهم؛ بل هو إلى كونه مَخوفًا[١] أقرب، فكأنّ "عسى" موضوع لتوقّع دنوّ الخبر مرجوًّا أو مَخوفًا، كما قيل في "لعل": إنّه لتوقّع مرجوّ أو مَخوف. أو نقول: "لعلّ" موضوع للرجاء فاستُعمل في الخوف بطريق الاستعارة التهكميّة، فمعنى "عسيتم ألّا تقاتلوا": "أتوقّع دنوَّ تركِ مقاتلتكم"، فإذا دخل "هل" عليه يصير المعنى "هل أتوقّع منكم دنوّ ترك مقاتلتكم"، والمراد هل تتركون مقاتلتكم عن قريب. والاستفهامُ فيه للتقرير، فظاهرُه الاستفهام عن توقّعه دنوَّ تركهم القتال، والمرادُ الاستفهام عن دنوّ تركهم القتال بطريق التقرير، فهو ممّا هُجر فيه جانب اللفظ، كما في قولهم: "لا أُرينَّك ههنا"، فظاهره نهيُ المتكلِّم نفسَه عن رؤية المخاطب ههنا،[٢] والمرادُ نهيُ المخاطب عن الكون ههنا[٣] لئلّا يراه المتكلِّم، وهو معنى قولنا: هُجر فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى.

قوله: **(وأيُّ غرض)** هما عبارتان عن معبَّر واحد.

---

١ ن ر + إلى.

٢ ن: هنا.

٣ ن: هنا.

وذلك أن قوم جالوتَ كانوا يسكنون ساحِلَ بحر الرُّوم بين مصرَ وفلسطينَ، فأسَرُوا من أبناء ملوكهم أربعَ مئةٍ وأربعين.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ قيل: كان القليل منهم ثلاثَ مئة وثلاثةَ عشرَ على عددِ أهل بدر.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وعيدٌ لهم على ظُلمهم في القعود عن القتال وتركِ الجهاد.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾

﴿طَالُوتَ﴾ اسمٌ أعجميٌّ كجالوتَ وداودَ، وإنما امتَنَع من الصَّرْف لتعريفه وعُجمتِه، وزعموا أنَّه من الطُّول؛ لِمَا وُصف به من البَسطةِ في الجسم، ووزنُه إن كان من الطول: فعَلوت منه، أصله: طَوَلوت.

إلا أنَّ امتناعَ صَرْفه يدفعُ أن يكونَ منه، إلَّا أن يقال: هو اسم عبرانيٌّ وافقَ عربيًّا كما وافقَ حِنطًا: حِنطةً، و"بِشْمَا لَاهَا رخمانَا رخيمَا": بسم الله الرحمن الرحيم، فهو من الطُّول كما لو كان عربيًّا، ..................................

قوله: (وذلك) يعني أنّ إخراجهم كان بهذا الوجه.[١]

قوله: (زعموا أنّه)[٢] أي: أنّ طالوت.[٣]

قوله: (لِما وُصِف به) الضمير المستتر في "وُصِف" عائد إلى طالوت، والضمير في "به" إلى "ما". و(مِن) بيان "ما".

قوله: (هو اسم عبرانيّ)، أي: الطَّوْل اسم عبرانيّ.

قوله:[٤] (مِن الطُّول)، أي: فطالوت العَلَم العجميّ مِن "الطُّول"؛ لأنّ الطول ممّا اتفق فيه اللغتان على ما ذكرنا مِن التقرير.

قوله: (كما لو كان)، أي: طالوت اسمًا عربيًّا، فإنّه كان[٥] يكون مِن الطُّول

١ ن ر + قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ استثناء مِن قوله: ﴿تَوَلَّوْاْ﴾. | وجاء هذا الكلام تعليقًا في هامش د.
٢ ر – أنّه.
٣ ن: طالب.
٤ ن ر + فهو.
٥ ر – كان.

وكان أحدُ سَبَبَيْه العُجْمةَ لكونه عبرانيًا.

﴿أَنَّىٰ﴾ كيف ومن أين؟ وهو إنكارٌ لتملُّكه عليهم واستبعادٌ له.

فإن قلتَ: ما الفرقُ بين الواوين في ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ﴾ ﴿وَلَمْ يُؤْتَ﴾؟

قلتُ: الأولى للحال، والثانيةُ لعطفِ الجملة على الجملة الواقعةِ حالًا قد انتظمَتْهما معًا في حُكْم واوِ الحال، والمعنى: كيف يتملَّك علينا والحالُ أنه لا يستحِقُّ التملُّك لوجودِ مَن هو أحقُّ بالملك منه، وأنَّهُ فقير ولا بد للمَلِك من مالٍ يَعْتضِد به.

وإنّما قالوا ذلك لأن النبوَّةَ كانَتْ في سِبط لَاوي بنِ يعقوبَ عليه السلام، والمُلكَ في سِبط يهوذا، ولم يكن طالوتُ من أحد السِّبطين، ولأنه كان رجلًا سَقَّاءً أو دَبَّاغًا فقيرًا.

ورُوي: أنَّ نبيَّهم دعا الله تعالى حين طلبوا منه ملكًا، فأُتِيَ بعصًا يُقاسُ بها مَن يملّك عليهم، فلم يُساوِها إلَّا طالوتُ.

﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾ يريد: إن الله هو الذي اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم، ولا اعتراضَ على حكم الله تعالى، ثم ذكَر مصلحتين

---

[٢٣٥و] فكذا إذا كان عجميًا؛[١] لأنّ التقدير توافق اللغتين في الطُّول، فتأمّل فيه / فإنّه مع ظهوره دقيقٌ.

قوله: (وكان أحد سببَيه العُجمة) عطف على قوله: (فهو مِن الطُّول) وحاصل الكلام أنّ امتناع صرفه يمنع أن يكون مِن الطُّول دائمًا، إلّا أن يكون الطُّول ممّا اتفق فيه اللغتان، فحينئذٍ يكون طالوت مِن الطُّول ويكون أحد سببَيه العُجمة.

قوله: (قد انتظمتْهما)، أي: انتظمت "الواو" الثانيةُ الجملتين.

قوله: (وإنّما قالوا ذلك)، أي: قولهم: ﴿أَنَّىٰ﴾ إلى ﴿ٱلْمَالِ﴾.

قوله: (ولم يكن طالوت مِن أحد السِّبطين) وإنّما كان مِن سِبط بنيامين وهو أدْوَن الأسباط.

---

١ ن: أعجميًا.

أنفعَ مما ذكروا من النَّسب والمال وهما: العلمُ المبسوطُ والجسامَةُ.

والظاهرُ أن المراد بالعلم: المعرفةُ بما طلَبوه لأَجْله من أمر الحرب، ويجوز أن يكون عالمًا بالدِّيانات وبغيرها.

وقيل: قد أُوحي إليه ونُبِّئَ، وذلك أنَّ الملِك لا بدَّ أن يكون من أهل العلم، فإن الجاهل مُزْدرًى غيرُ منتفَعٍ به، وأن يكون جسيمًا يملأُ العينَ جهارةً؛ لأنَّه أعظمُ في النفوس وأهيَبُ في القلوب.

والبَسطة: السَّعةُ والامتداد.

ورُوي: أن الرجل القائم كان يمدُّ يده فينال رأسَه.

﴿يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: الملْكُ له غيرُ منازَعٍ فيه، فهو يؤتيه ﴿مَن يَشَآءُ﴾: مَن يَستصلحُه للملك.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ الفضلِ والعطاء يُوسِّع على مَن ليس له سعةٌ من المال ويُغنيه بعد الفقر ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يصطفيه للملك.

---

قوله: (بما طلبوه)، أي: المَلِك.

قوله: (بالديانات) هو جمع دِيانة، والدِّين الطاعة. ودانَ[١] له، أي: أطاعه، ومنه الدِّين والجمعُ الأديان. يقال: "دان بكذا دِيانة" و"يَدِين[٢] به"، فهو ديِّن ومُتديِّن. ودَيَّنتُ الرجل تديينًا إذا وَكَلتَه إلى دِينه.[٣]

قوله: (ونُبِّئ) نُبِّئ واستُنبِئ إذا جُعل نبيًّا.

قوله: (وذلك)، أي: العلم المبسوط والجسامة، أي: إعطاء[٤] ذلك لأنّ المَلِك.[٥]

قوله: (جَهارةً) يقال:[٦] «رجل جَهير بيِّن[٧] الجَهارة، أي: ذو منظر».[٨]

قوله: (لأنّه) أي: الجسيم.

---

١ ن: أدان.

٢ في مطبوع الصحاح: وتَدَيَّن.

٣ انظر: الصحاح للجوهري، «دين».

٤ ن: أعطى.

٥ لم يتمّ الكلام، لكنه يقصد: إلى آخر ما ذُكر.

٦ ن ر: بين.

٧ ن ر + يقال رجل.

٨ الصحاح للجوهري، «جهر».

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾

﴿ٱلتَّابُوتُ﴾: صندوق التوراة، وكان موسى عليه السلام إذا قاتَلَ قدَّمه، فكانت تَسكُن نُفوسُ بني إسرائيل ولا يَفِرُّون.

والسكينةُ: السكونُ والطمأنينة.

وقيل: هي صورةٌ ..........................

---

قوله: (والسَّكينة: السكون) وعلى هذا الوجه قيل للتابوت: "سَكينة"؛ لأنّه تسكُن بسبب تقديمه نفوسُهم، فكأنّه عين السكينة. فقوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ مثلُ[1] قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب ٢١/٣٣]، أي: رسولُ الله أسوةٌ حسنة،[2] وكقولهم: "في هذا الدرع[3] عشرة[4] أَمْناءٍ[5] حديدٍ"،[6] أي: هو عشرة أَمْناءِ حديدٍ.

قوله: (وقيل) عطف على قوله: "والسكينة: السكون" وعلى هذا الوجه الثاني معنى قوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ ظاهرٌ، أي: فيه ما تسكن إليه نفوسهم، وهي تلك الصورة. ويجوز أن يقال على الوجه الأوّل لمّا كان تسكن بسببه[7] نفوسهم قيل لهم: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾، لا على طريقة قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. قال في **الوسيط**: «قال الزجّاج: أي: فيه ما تسكنون إليه إذا أتاكم. وقال الحسن: جعل الله في التابوت سكينة تطمئنّ قلوبهم إليه».[8] وقوله: "والسكينة: السكون" بيانُ معنى السكينة لغةً. ثمّ[9] أشار إلى ما هو المراد بها ههنا بقوله: (قيل: هي صورة).

---

١ ر – لأنّه تسكُن بسبب تقديمه نفوسهم فكأنّه عين السكينة فقوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ مثل.

٢ ر – أي: رسول الله أسوة حسنة.

٣ ن: الزرع.

٤ ن ر – عشرة.

٥ الأمناء جمع المَنَا، هو: رطلان. **الصحاح** للجوهري، «منن».

٦ ن: جديدة.

٧ ن: بسبب.

٨ **الوسيط** للواحدي، ٣٥٨/١ (البقرة، ٢٤٨/٢).

٩ ر: في.

كانت فيه من زَبَرْجَدٍ أو ياقوتٍ لها رأسٌ كرأس الهِرِّ وذَنَبٌ كذنبه وجَنَاحَان، فتَئِنُّ فيَزِفُّ التابوت نحو العدوِّ وهم يمضون معه، فإذا استقرَّ ثَبتوا وسكنوا ونزل النصرُ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: كان لها وجهٌ كوجه الإنسان وفيها ريحٌ هفَّافةٌ.

﴿وَبَقِيَّةٌ﴾: هي رُضاضُ الألواح، وعصَى موسى عليه السلام وثيابُه، وشيءٌ من التوراة، وكان رفعه اللهُ تعالى بعد موسى عليه السلام، فنزلت به الملائكةُ تحملُه وهم ينظرون إليه، فكان ذلك آيةً لاصطفاء الله طالوتَ.

وقيل: كان مع موسى عليه السلام ومع أنبياءِ بني إسرائيل عليهم السلام بعده يستفتحون به، فلمَّا غَيَّرَتْ بنو إسرائيل غَلَبَهم عليه الكفَّار فكان في أرض جالوتَ، فلما أرادَ الله أن يُملِّكَ طالوتَ ..........................................

---

ولا يصحُّ أن يقال: قوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ مثل ﴿فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ﴾؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿وبقية﴾ يأبى ذلك، فتأمّل.[١] وقوله: "وقيل هي"، أي: السكينة. وقوله: (**كانت فيه**)، أي: في التابوت. وقوله: (**لها**)، أي: للسكينة.[٢]

قوله: (**فتئنّ**)، أي: السكينة، مِن "أنّ الرجل يئنّ أنينًا". وقوله: (**فيَزِفُّ**) زفَّ الظليم والبعير يَزِفّ بالكسر زفيفًا: أسرع. وزَفَّ القوم في مشيهم: أسرعوا.[٣] وقوله: (**معه**)، أي: مع[٤] التابوت.

وقوله: (**استقرّ**)، أي: التابوت. وقوله: (**هفّافة**) الريح الهفّافة: الساكنة الطيّبة. و"رُضاض الشيء": فُتاته. وكلّ شيء كسَّرتَه فقد رضضتَه.

قوله: (**وكان رفعه الله**)، أي: إلى[٥] السماء.

قوله: (**فكان ذلك آيةً لاصطفاء الله**)[٦] وفي هذا دلالةٌ على صحّة كرامات الأولياء، إن قلنا: لم يكن طالوت نبيًّا.

قوله: (**غلبهم عليه الكفّار**)، أي: غَصَبه الكفّار منهم.

---

١ ر + قوله تعالى.
٢ ن ر: السكينة.
٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «زفف».
٤ ر – مع.
٥ ن ر – إلى.
٦ ن + تعالى.

**أصابَهم ببلاءٍ حتى هلكتْ خمسُ مدائن، فقالوا: هذا بسبب التابوت بين أظهُرنا! فوضعوه على ثورين فساقَتهما الملائكةُ إلى طالوتَ.**

**وقيل: كان من خشب الشِّمْشَاد مموَّهًا بالذهب، نحوًا من ثلاثة أذرُع في ذراعين.**

**وقرأ أبيٌّ وزيد بن ثابت: "التابوه" بالهاء وهي لغةُ الأنْصار.**

**فإن قلتَ: ما وزنُ التابوت؟**

**قلتُ: لا يخلو من أن يكون فَعَلوتًا أو فاعولًا، فلا يكون فاعولًا لقلَّة نحو: سَلِسَ وقَلِقَ، ولأنه تركيبٌ غير معروفٍ فلا يجوز تركُ المعروف إليه، فهو إذن فعلوتٌ من التَّوب وهو الرجوع؛ لأنه ظرفٌ تُوضَع فيه الأشياءُ وتُودَعُه، فلا يزال يَرجع إليه ما يخرجُ منه، وصاحبُه يرجعُ إليه فيما يحتاج إليه من مُودَعَاته.**

**وأمَّا مَن قرأ بالهاء فهو فاعولٌ عنده، إلَّا فيمَن جَعَل هاءَهُ بَدلًا من التاء لاجتماعهما في الهمس، وأنهما من حروف الزيادة، .........................**

---

قوله: (**أصابهم ببلاء**)، أي: أصاب قوم جالوت.

قوله: (**ثورين**) الثور: الذَّكر مِن البقر، والأنثى ثَورة.

قوله: ("**التَّابُوه**"[١] بـ"**الهاء**") قال في **صحاح اللغة**: «التابوت: أصله تابُوَةٌ، مثل تَرْقُوَةٌ، وهو "فَعْلُوَة"، فلمّا سُكِّنت "الواو" انقلبت هاء التأنيث تاءً.[٢] قال القاسم بن معن: لم تختلف لغة قريش والأنصار في شيء مِن **القرآن** إلّا في "التابوت"، / فلغة قريش بـ"التاء" ولغة الأنصار بـ"الهاء"».[٣] **[٢٣٥ظ]**

قوله: (**لقلّةِ نحو "سَلِسَ"**)، أي: قلّ في كلام العرب لفظٌ[٤] فاؤه ولامه مِن جنس واحد. وقوله: (**غير معروف**)، أي: لم يُوجَد تركيب مِن تاء وباء[٥] وتاء.

قوله: (**فهو فاعول**)[٦] لأنّ "فَعْلُوَه" غير موجود، وأيضًا لا يلزم منه باب "سَلِس".

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن ثابت وأُبيّ، والمَلَطيّ عن أبي بكر. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٢٢؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٥٢٨.

٢ ر – تاء.

٣ **الصحاح** للجوهري، «توب».

٤ ر: بلفظ.

٥ ن ر – وباء.

٦ ر: فاعل.

ولذلك أُبدلت من تاء التأنيث.

وقرأ أبو السَّمَّالِ: "سَكِّينةٌ" بفتح السين والتشديد، وهو غريب.

وقرئ: "يحمله" بالياء.

**فإن قلتَ**: مَن آلُ موسى وآلُ هارونَ؟

**قلتُ**: الأنبياءُ من بني يعقوب عليه السلام بعدهما، لأنَّ عمران هو ابنُ قاهَثَ بنِ لَاوَى بنِ يعقوبَ عليه السلام، فكان أولادُ يعقوبَ عليه السلام آلَهما.

ويجوز أن يراد: ممَّا تركه موسى وهارون، ..............................

---

قوله: (**أُبدِلت**)، أي: "الهاء".

قوله: (**الأنبياءُ مِن بني يعقوب**)، يعني المراد مِن ﴿ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ الأنبياء الذين تولَّدوا مِن أبناء يعقوب بعد موسى وهارون.[١] فقوله: (**بعدهما**)[٢] يجوز أن يكون حالًا مِن "بني يعقوب"، أو[٣] مِن الضمير المستتر في "مِن بني يعقوب" العائد إلى الأنبياء.

قوله: (**لأنّ عمران**)، أي: لأنّ عمران الذي هو أبو موسى وهرون هو ابن قاهَث، وصوابه "عمران بن يَصهَر بن قاهَث"، يدلُّ عليه ما ذكره في آل عمران في تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران ٣/٣٣]. وأقول: لا يبعد أن يكون قد نسب عمران هنا إلى جدِّه عمدًا منه لا سهوًا، فإنّ مثل ذلك جائز. قال في **شرح السُّنة**: «ابن جُريج اسمه عبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج».[٤] وأنا أقول: مثله ابن أبزى. قال في **شرح السُّنة**: «ابن أبزى هو سعيد بن عبد الرحمن ابن أبزى».[٥] ويقرُب منه جعفر بن[٦] الصادق، فإنّه جعفر بن محمّد بن الصادق.

---

١ ر - ﴿هَٰرُونَ﴾ الأنبياء الذين تولدوا مِن أبناء يعقوب بعد موسى وهارون.

٢ ن ر: يقدمها.

٣ ر: أي.

٤ شرح السنة للبغوي، ١٠٠/٤.

٥ شرح السنة للبغوي، ٩٨/٤. | ر - قال في **شرح السُّنَّة**: ابن أبزى هو سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى.

٦ ن ر - ابن.

والآلُ مقحَمٌ لتفخيم شأنهما.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾

﴿فَصَلَ﴾ عن موضع كذا: إذا انفصل عنه وجَاوزه، وأصله: فَصَلَ نفسَه، ثمَّ كثُر محذوف المفعول حتى صار في حُكم غير المتعدِّي كـ: انْفَصَل، وقيل: فَصَل عن البلد فصولًا.

ويجوز أن يكون: فَصَله فَصْلًا وفَصَل فُصولًا، كوَقَف وصَدَّ ونحوَهما، والمعنى: انفصل عن بلده.

﴿بِٱلْجُنُودِ﴾ رُوي أنه قال لقومه: لا يخرجْ معي رجلٌ بَنَى بناءً لم يَفْرُغْ منه،

---

قوله: (والآل مُقحَم) قال رضي الله عنه:[١] إقحام "الآل"[٢] للتفخيم، كقول الواحد المُطاع: أمَرْنا ونَهَيْنا.

قوله: (وقيل: فصَل عن البلد) عطف على (صار)، أي: حتّى صار في حُكم اللازم واستُعمل استعمالَه في[٣] مجيء[٤] مصدره على طريقة مصدر[٥] اللازم. وقيل: فصل فُصولًا. ويظهر لك مِن هذا أنّ قوله: (ويجوز) ليس عطفًا على قوله: "وقيل" بل على جملة قوله: (وأصله فصَل)... إلخ. وأنّ قوله: "وقيل" ليس إشارة إلى الخلاف بذِكر وجه آخرَ؛ بل هو مِن تتمّة "صار".

قوله: "وَقَفتِ الدابّة وقوفًا ووقفتُها أنا" يتعدّى ولا يتعدّى.[٦] (صدّ) عنه يصُدّ صدودًا: أعرض. وصدَّه[٧] عن الأمر صدًّا: منعه.

---

١ د - رضي الله عنه.
٢ ن: آل.
٣ ن ر - في.
٤ ن ر: فجيء.
٥ ن ر - مصدر.
٦ انظر: الصحاح للجوهري، «وقف».
٧ ر: وصدّ.

ولا تاجرٌ مشتغِلٌ بالتجارة، ولا متزوِّجٌ بامرأةٍ لم يَبْنِ عليها، ولا أبتغي إلَّا الشابَّ النشيطَ الفارغ، فاجتمع إليه ممَّن اختار ثمانون ألفًا، وكان الوقتُ قَيْظًا، وسلكوا مفازةً فسألوا أنْ يُجريَ الله تعالى لهم نهرًا، فقال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾ بما اقترحتُموه من النَّهر، وهذا معنى قوله:

﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾: فمَن ابتدأ شُربه من النهر بأن كرَع فيه ﴿فَلَيْسَ مِنِّى﴾: فليس بمتَّصل بي ومتَّحدٍ معي، من قولهم: فلانٌ منّي؛ كأنَّه بعضُه لاختلاطهما واتحادهما.

ويجوز أن يراد: فليس من جملتي وأشياعي.

﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾: ومَن لم يَذُقْه، مِن طَعِمَ الشيءَ: إذا ذَاقَهُ، ومنه: طَعْمُ الشيء، لمذاقه، قال:

---

قوله: (لم[1] يَبنِ[2] عليها) قال:[3] يجوز "بنى بها" و"عليها" أفصح، لأنَّه كان مِن عادتهم إذا زُفَّت إليهم امرأة بنَوا قُبَّة عليها.

قوله: (قيظًا) قاظ يومُنا، أي: اشتدّ حرُّه. والقيظ: حَمارّة الصيف.

قوله: (فسألوا)، أي: عن طالوت.

قوله: (نَهرًا) قد ذكر أنّ "النَهَر" هو اللغة العالية.

قوله: (كَرَع فيه) كَرَع في الماء يكرع كروعًا إذا تناوله بِفيه مِن موضعه مِن غير أن يشرب بكفِّه ولا بإناء.

قوله: (فليس بمتَّصل بي)...[4] إلخ، اعلم[5] أنّ "مِن" على الوجهين اللذين ذكرهما في قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ مِنِّى﴾ للتبعيض كما قرَّره في قولهم: "فلان منّي"، لكن على الوجه الأوّل بطريق المبالغة، وعلى الوجه الثاني بحذف المضاف.

قوله:

---

[1] ن ر: ثم.
[2] ن: بنى.
[3] ر: قوله.
[4] ن - بي.
[5] ن ر - اعلم.

**وإن شئتُ لم أَطْعَمْ نُقاخًا ولا بَرْدَا**

**ألَا ترى كيف عطفَ عليه البَرْدَ وهو النوم؟ ويقال: ما ذُقْتُ غَمَاضًا.**

**ونحوُه من الابتلاء: ما ابتُلي به أهل أَيْلَةَ من تركِ الصيد مع إتيان الحيتان شُرَّعًا، بل هو أشدُّ منه وأصْعبُ.**

**وإنما عرَفَ ذلك طالوتُ بإخبارِ من النبيِّ، وإن كان نبيًّا -كما يُروى عن بعضهم- فبالوحي.**

---

**(وإن شئتِ لم أطعَم نُقاخًا ولا بَـرْدا)**[١]

أوّله:

فـإن شئـتِ حـرَّمـتُ الـنـسـاءَ سـواكـمُ

النُّقاخ: الماء العذب الذي ينقخ الفؤاد ببرده، أي: يكسِر العطش، ولو لم يكن الطَّعْم في البيت بمعنى الذَّوق لَما جاز العطف، إذ يصير المعنى "لم آكُل النوم"،[٢] وأمّا إذا كان بمعنى الذَّوق فمجاز[٣] لِما ذَكَر مِن أنّه يقال: "ما ذقتُ غُماضًا ولا بردًا"، أي: ولا نومًا. وإنّما قال: "سواكم" للتعظيم. والبَرْد: النوم، يقولون: "البرد يمنع البرد"، أي: البرودة تمنع النوم.

قوله: **(ويقال: ما ذُقتُ غُماضًا)** «يقال: ما اكتحلتُ غَماضًا ولا غِماضًا[٤] ولا غُمْضًا بالضمّ ولا / تغميضًا، أي: ما نمتُ».[٥] [٢٣٦و]

قوله: **(ونحوه)** مبتدأ، خبرُه **(ما ابتُلي)**.

قوله: **(بل هو أشدّ)**، أي: الابتلاء بالنهر أشدُّ مِن ابتلاء أهل أيلَة.

قوله: **(وإن كان نبيًّا)**، أي: طالوت.

---

[١] البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه، ص ٣٠٧. وهو للعَرجيّ في **الزاهر** لابن الأنباري، ١/١٩٧؛ و**الصحاح** للجوهري، «نقخ»؛ و**الوسيط** للواحدي، ١/٣٥٩. نقل ابن الأنباريّ في شرح البيت أنّ أبا العباس «قال: النُّقاخ: الشراب العَذْبُ، والبَرْد: النوم».

[٢] ن: اليوم.

[٣] د: مجاز.

[٤] ن - ولا غِماضًا.

[٥] **الصحاح** للجوهري، «غمض».

وقرئ: "بنَهْرٍ" بالسكون.

**فإنْ قلتَ**: ممَّ استُثنيَ قولُه: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ﴾؟

**قلتُ**: من قوله: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾ والجملةُ الثانيةُ في حكم المتأخِّرة، إلَّا أنها قدِّمت للعناية كما قدِّم: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ [المائدة ٦٩/٥].

ومعناهُ: الرخصةُ في اغتراف الغُرفة باليد دون الكروع، والدليل عليه قوله: ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ﴾؛ أي: فكرعوا فيه ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.

---

قوله: **(والجملة الثانية)**، أي: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ قوله: **(والمتأخِّرة)**، أي: مِن المستثنى، وهو قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ﴾.

قوله:[1] **(للعناية)**، أي: للعناية بترك شرب ماء النهر أصلًا، ولذا قيل: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾، أي: ومن لم يذقْه مبالغةً في تركه.

قوله: **(كما قُدِّم ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ [المائدة ٦٩/٥])** إذ القياسُ تأخير ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ عن خبر ﴿إِنَّ﴾ وهو قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾... إلخ، كما سيجيء بيانه.[2] قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة ٦٩/٥].

قوله: **(دون الكُروع)** أصل الكروع في الدابّة؛ لأنّها تشرب الماء بأكارعها،[3] ثمّ استُعمل في الآدمي مجازًا.

قوله:[4] **(والدليل عليه)**، أي: على أنّ الاستثناء متعلِّق بالجملة الأولى،[5] وذلك لأنّ قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ موافقٌ لقوله[6] تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ﴾، إذ يصير معنى الجملتين: فمَن كَرَع فيه فليس مني

---

[1] ن ر – (وإن كان نبيًّا)، أي: طالوت قوله: (والجملة الثانية)، أي: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ قوله: (والمتأخرة)، أي: مِن المستثنى وهو قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ﴾. قوله.

[2] ر + قوله.

[3] الأكارع جمع كُراع: مستدَقّ الساق. الصحاح للجوهري، «كرع».

[4] ن ر + مِن آمن.

[5] ن ر – أي: على أنّ الاستثناء متعلِّق بالجملة الأولى.

[6] ر: الله.

وقرئ: ﴿غَرفةً﴾ بالفتح بمعنى المصدر، وبالضمّ بمعنى المغروف.

وقرأ أبيّ والأعمش: "إلا قليلٌ" بالرفع، وهذا من مَيلهم مع المعنى والإعراضِ عن اللفظ جانبًا، وهو بابٌ جليلٌ من علم العربيّة، فلما كان معنى ﴿فَشَرِبُواْ مِنۡهُ﴾ في معنى: "فلم يُطيعُوه" حُمل عليه، كأنّه قيل: فلم يُطيعوه إلا قليلٌ منهم، ونحوُه قولُ الفرزدق:

وعضُّ زمانٍ يا بنَ مروانَ لم يَدَعْ    منَ المالِ إلّا مُسْحَتٌ أو مُجلَّفُ

كأنه قال: لم يَبْقَ من المالِ إلا مسحَتٌ أو مجلَّفٌ.

---

إلّا مَن اغترف، فكرعوا[1] فيه إلّا قليلًا.

قوله: (وقرئ ﴿غُرۡفَةَۢ﴾) بالفتح والضم سبعة.[2]

قوله: (وقرأ أُبيّ والأعمش: "إلّا قَليلٌ")[3] شاذّ.

قوله:

(لم يدَع    مِن المال إلّا مُسحَتٌ أو مُجلَّفُ)[4]

أوّله:

وعضُّ زمانٍ يا بن مروانَ[5] لم يَدَعْ

«مال[6] مسحوتٌ[7] ومُسحَتٌ، أي: مُذهَب».[8] «والمُجلَّف الذي أُخِذ مِن جوانبه.[9]

---

[1] ر: فكرهوا.

[2] قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الغين وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بضمّ الغين. **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٨٧؛ **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٣٠.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ وابن مسعود والأعمش. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٢٢؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٩٦.

[4] البيت للفرزدق في **ديوانه**، ٢/٥٥٦، وهو له في **غريب الحديث** للخطابي، ١/١٨٠، والرِّواية فيه «مُسحَتًا أو مُجلَّفُ»، وقال: «ويروى: إلّا مُسحَتٌ أو مُجلَّفُ»؛ وهو له في **الصحاح** للجوهري، «سحت»، «جلف». وللبيت غيرُ وجه في روايته وتأويله، وهو مِن مُشكل الإعراب وصعبه عند النُّحاة. انظر تفصيل ذلك في **خزانة الأدب** للبغدادي، ٥/١٤٤-١٥٣. | وقوله: «وعضُّ زمان يا بن مروان» مذكور في متن مطبوع **الكشّاف**، والظاهر مِن كلام الجاربردي أنّه ليس فيه. وهو غير مثبت فيما وقفتُ عليه من مخطوطات **الكشّاف**، ومُستدرَك في هوامشها.

[5] ن + وإن.

[6] ن: ما.

[7] ن ر: يستحوت.

[8] **الصحاح** للجوهري، «سحت».

[9] ن ر: جوابه.

وقيل: لم يبق مع طالوت إلا ثلاثُ مِئة وثلاثةَ عَشر رجلًا.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني: القليل.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يعني: الخلَّص منهم، الذين نصَبوا بين أعيُنهم لقاءَ الله وأيْقَنوه، أو الذين تَيقَّنوا أنهم يُستشهَدون عمَّا قريبٍ ويَلقَوْنَ الله، والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونُصوع البَصيرة.

وقيل: الضمير في ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ للكثير الذين ..............

---

قال أبو الغَوث: المُسحَت: المُهلَك. والمُجلَّف الذي بقي منه بقيّة».[1] روى الزمخشري هذا البيت في بعض المواضع مِن هذا الكتابِ هكذا:

إلّا مُســــــحتًا أو مجلَّـــــــفُ

ثمّ قال: هذا ممّا تحاكّت في إعرابه رُكب العلماء.[2]

قوله: (لم يبقَ مع طالوت إلّا ثلاثُ مئة وثلاثةَ عشرَ رجلًا) هؤلاء هم المذكورون قبلُ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ فإنّ المتولّين هم الشاربون والقليل هو القليل.

قوله: (يعني الخُلَّص) إنّما قال ذلك لأنّ كلّ القليل المجاوزين كانوا مؤمنين، لكن القائلين[3] منهم ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾ كانوا أقوى إيمانًا وأنصع بصيرة مِن القائلين منهم ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾.

قوله: (ونُصوعِ[4] البصيرة) النُّصوع: الخلوص والصفاء.

قوله: (وقيل: الضميرُ) عطف على محذوف قُبيل[5] قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ﴾، وهو أن يقال: الضمير في ﴿قَالُواْ﴾ للقليل، وإنّما حَذَفه المصنِّف للدلالة عليه؛ لأنّه[6] لمّا قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «جلف».

[2] انظر: **الكشّاف** للزمخشري، (طه، ٢٠/٦١). وعبارته فيه: «في بيت لا تزال الرُّكب تصطكّ في إعرابه».

[3] ر: القائل.

[4] ر: ويوضع.

[5] ن: قبل.

[6] ن: لو أنّه.

انخزلوا، و﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ هم القليل الذين ثبتوا معه، كأنّهم تقاوَلوا بذلك والنهرُ بينهما، يُظهِرُ أولئك عُذْرَهم في الانخزال، ويَردُّ عليهم هؤلاء ما يعتذرون به.

وروي: أنّ الغُرفةَ كانت تكفي الرجل لشربه وإداوته، والذين شربوا منه اسودَّت شفاهُهم وغَلَبَهم العطش.

وجالوتُ جبّارٌ من العمالِقَة ..............................

---

بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هم القليل، و﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾[١] هم الخُلَّص مِن القليل عُلِم[٢] أنّ الضمير في ﴿قَالُواْ﴾ للقليل، فكأنّه قال: الضمير في ﴿قَالُواْ﴾ للقليل، وقيل: الضمير في ﴿قَالُواْ﴾ للكثير.

ثمّ اعلم أنّه لم يُعطَف قوله تعالى:[٣] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ لكونه[٤] استئنافًا، فإنّ قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ مُوقِع للسؤال،[٥] وهو أن يقال: ماذا قال الخُلَّص مِن المجاوزين حين قال مَن لم يكن له قدمٌ[٦] صِدق منهم ما[٧] قال؟ فأجيب بقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾، أو يقال: ماذا قال المؤمنون المجاوزون حين سمعوا قول المُنخزِلين؟[٨] فقيل: (﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾).

[٢٣٦ظ] / قوله: (**يُستَشْهدون**)، أي: يُقتلون.

قوله: (**انخزلوا**) انخزل الشيء انقطع.[٩]

قوله: (**معه**)، أي: مع طالوت.

قوله: (**بذلك**)، أي: بقوله: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾... إلخ.

قوله: (**أولئك**)، أي: الكثير.[١٠] وقوله: (**هؤلاء**)، أي: القليل.

---

١ ن ر - ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هم القليل و﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾.
٢ السياق: لمّا قال... عُلِم...
٣ ن - تعالى.
٤ ر: لأنه.
٥ ن: السؤال.
٦ ر: قديم.
٧ ن ر - ما.
٨ المنخزلون، أي: المنقطعون. **الصحاح** للجوهري، «خزل».
٩ انظر: **الصحاح** للجوهري، «خزل».
١٠ ر: كثير.

من أولاد عِمْليق بن عاد، وكانت بيضته فيها ثلاثُ مئة رِطْلٍ.

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾

﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾: وهَبْ لنا ما نَثْبُتُ به في مَدَاحِضِ الحرب: من قوةِ القلوب، وإلقاءِ الرُّعب في قلب العدوّ، ونحوِ ذلك من الأسباب.

كان إيشَى أبو داودَ في عسكرِ طالوتَ مع ستّةٍ من بَنيهِ، وكان داودُ عليه السلام سابِعَهم وهو صغيرٌ يَرعَى الغنم، فأُوحي إلى أشْمويل أنَّ داود بن إيشَى هو الذي يقتُل جالوتَ، فطلبه من أبيه، فجاء وقد مرَّ في طريقه بثلاثةِ أحجار دعاهُ كلُّ واحدٍ منها أن يَحملَه، وقالت له: إنك تَقتُل بنا جالوتَ، فحَملها في مِخْلاته ورمَى بها جالوتَ فقتله، وزوَّجه طالوتُ بنتَه.

ورُوي أنَّه حَسَده وأراد قتله ثم تابَ.

---

قوله: (مِن أولادِ عِمليق) يجوز أن يكون بدلًا مِن[١] قوله:[٢] (مِن العمالقةِ) فـ"مِن" فيه للتبعيض كالأولى. ويجوز أن يكون "مِن أولاد عِمليق" بيانَ العمالقة، فـ"مِن"[٣] للبيان.

قوله: (بيضتُه[٤] فيها ثلاثمئة رطل) هو نحو قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب ٣٣/٢١]، أي: كان لكم رسول الله أسوةً حسنة.

قوله: (وكان داود) هو أبو سليمان عليهما السلام.[٥]

قوله: (إيشى) بالإمالة.[٦]

قوله: (فجاء) "الفاء" في "فجاء" فاءٌ فصيحة، أي: فذهب أبوه فأتى به فجاء.

قوله: (في مِخْلاته) الخَلا مقصورًا: الرَّطْب مِن الحشيش، الواحدة[٧] خَلاة. والمِخلاة: ما يُجعَل فيه الخلا لتأكله الدابّة منه.

---

١ ن: عن؛ ر: على.

٢ ر + مِن.

٣ ر − للتبعيض كالأول، ويجوز أن يكون "مِن أولاد عمليق" بيان العمالقة فـ"من".

٤ في هامش د: خوذ.

٥ د − عليهما السلام.

٦ ن ر + في الهمزة.

٧ ر: الواحد.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾

﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ في مشارق الأرض المقدَّسة ومغارِبِها، وما اجتمعَتْ بنو إسرائيل على ملكٍ قطُّ قبلَ داود.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: النبوة.

﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾: من صنعةِ الدُّروع، وكلامِ الطير والدوابِّ، وغيرِ ذلك.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾: ولولا أنّ الله يدفعُ بعضَ الناس ببعضٍ ويَكُفُّ بهم فسادَهم لغَلَب المفسِدون، وفسَدت الأرض، وبطلتْ منافعُها، وتعطَّلت مصالحُها من الحرث والنسل وسائرِ ما يَعْمُر الأرض.

وقيل: ولولا أن الله ينصرُ المسلمين على الكفّار لفسدتِ الأرضُ بِعَيثِ الكفّار فيها وقتلِ المسلمين.

أو: لو لم يَدْفعهم بهم لعمَّ الكفر ونزلَتْ السَّخْطة فاستُؤصل أهلُ الأرضِ.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ يعني: القصَصَ التي اقتصَّها: من حديث الألوف وإماتَتِهم

---

قوله: (وزوَّجه)، أي: داود.

قوله: (ولولا أنّ[1] الله[2] يدفع)...[3] إلخ، اعلم أنّه لا يختلف تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ في شيء مِن هذه الوجوه[4] الثلاثة، وإنّما يختلف تفسير قوله[5] تعالى: ﴿لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ على ما ذَكَره المصنِّف.

قوله: (يعني القِصص) بكسر "القاف" جمع قِصّة وبفتحها المصدر.

---

[1] ر – أن.
[2] ن + تعالى؛ ر: دفع.
[3] ر: الله.
[4] ر – الوجوه.
[5] ن: لقوله.

وإحيائهم، وتمليكِ طالوتَ وإظهارِه بالآية التي هي نزولُ التابوت من السماء، وغلبَةِ الجبابرة على يد صبيٍّ.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: باليقين الذي لا يَشكُّ فيه أهلُ الكتاب؛ لأنه في كتبهم كذلك.

﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ حيث تُخْبِر بها من غير أن تُعْرفَ بقراءةِ كتابٍ ولا سماعِ أخبارٍ.

﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾

﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ﴾ إشارةٌ إلى جماعةِ الرسل التي ذُكرت قصصُها في السورة، أو التي ثبت علمُها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ لِمَا أوجبَ ذلك من تفاضُلِهم في الحسَنات.

---

قوله: (وغلبةِ[١] الجبابرةِ) إضافة إلى المفعول، أي: غلبةِ طالوتَ[٢] الجبابرةَ بسبب صبيّ، فكما أنّ نزول التابوت آية فكذا الغلبة بسبب صبيّ[٣] آية. وفي بعض النُّسخ بالكسر،[٤] أي: "مِن إظهاره ومن غلبة"، وهذا هو الوجه؛ لأنّ آيته نزولُ التابوت ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾.

قوله: (على يد[٥] صبيّ) أراد به داود عليه السلام.

قوله: (ذلك) إشارة إلى التفضيل الذي فُهِم مِن قوله: ﴿فَضَّلۡنَا﴾. والضمير في (أوجب) عائد إلى (ما). وقوله: (مِن تفاضلهم)[٦] بيان "ما". الفضلُ عندنا بفضل الله

---

١ ضُبطت في د بالكسرة والضمّة. وفي هامش مخطوط الكشّاف (آيا صوفيا ٢٤٦)، ١٣٨ظ: «بالجرّ في نسخة المصنِّف».

٢ ن: الطالوت.

٣ ن: الصبي.

٤ وفي هامش د: يعني وفي بعضها بالرفع عطفًا على قوله: "نزولُ".

٥ ر: ذلك.

٦ ر: تفاضيلهم.

﴿مِنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾: منهم مَن فضَّلهُ الله بأن كلَّمه من غيرِ سفيرٍ وهو موسى عليه السلام.

وقرئ: "كَلَّمَ اللهَ" بالنصب.

وقرأ اليماني: "كالَمَ اللهَ" من المكالمة، ويدلُّ عليه قولُهم: كليمُ الله، بمعنى: مُكالِمُهُ.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾؛ أي: ومنهم مَن رفَعه الله على سائرِ الأنبياء، فكان بعد تفاوُتهم في الفضل أفضَلَ منهم بدرجاتٍ كثيرةٍ، والظاهرُ أنّه أراد محمدًا صلى الله عليه وسلم؛ لأنه هو المفضَّلُ عليهم حيث أُوتي ما لم يُؤتَه أحدٌ من الآيات المتكاثِرة المرتَقِيَة إلى ألفِ آيةٍ أو أكثرَ، ولو لم يُؤتَ إلا القرآنَ وَحْدَه لكفَى به فَضْلًا مُنيفًا على سائر ما أُوتي الأنبياءُ؛ لأنه المعجزةُ الباقيةُ على وجه الدهر دون سائر المعجزات.

وفي هذا الإبهامِ من تفخيمِ فَضْله وإعلاءِ قَدْره ما لا يَخْفَى؛ لِمَا فيه من الشهادةِ على أنّه العَلَمُ الذي لا يَشتَبِه، والمتميّز الذي لا يَلتَبِس، ويقال للرجل: مَن فعَل هذا؟ فيقول: ..................................

---

وعندهم[1] بفعل الحسنة.

قوله: (مِن غير سفير) السفير: الرسول بين القوم، والجمع سُفراء، مثل "فقيه وفُقهاء".

قوله: (وقرأ اليماني)[2] مخفَّف.

قوله: (هو المفضَّل عليهم) في "المفضّل" ضمير يعود إلى "اللام".

وقوله: "عليهم"،[3] أي: على الأنبياء. وقوله: (حيث) ظرف فيه معنى التعليل.

قوله: (وفي هذا الإبهام)، أي: ﴿رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾. و(مِن تفخيم) بيان (ما).[4]

قوله: (مَن فعل هذا؟)... إلخ، هذا إشارة إلى الفعل المعهود بين المتخاطبين.

---

[1] في هامش د: المعتزلة.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن اليماني. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٢٢.

[3] ن ر + بالتخفيف. | وجاء هذا الكلام تعليقا في هامش د.

[4] في هامش د: في قوله: (ما لا يخفى).

أحدُكم، أو: بعضُكم، يريد به الذي تُعُورِفَ واشتُهر بنحوه من الأفعال، فيكونُ أفخمَ من التصريح به وأَنْوَهَ بصاحِبِهِ.

وسُئل الحُطَيْئةُ عن أشعر الناس، فذكر زهيرًا والنابغة ثم قال: ولو شئتُ لذكرتُ الثالثَ، أراد نفسَه، ولو قال: ولو شئتُ لذكرتُ نفسي، لم يُفَخِّمْ أمرَه.

ويجوز أن يريد: إبراهيمَ ومحمدًا -عليهما السلام- وغيرَهما من أولي العزم من الرسل.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: كنَّا في المسجد نتذاكرُ فضلَ الأنبياء، فذكرنا نوحًا عليه السلام بطول عبادته، وإبراهيم عليه السلام بِخُلَّتِهِ، وموسى عليه السلام بتكليم الله إيَّاه، وعيسى عليه السلام برفعه إلى السماء، وقلنا: رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أفضلُ منهم: بُعثَ إلى الناس كافَّةً، وغُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وهو خاتم الأنبياء عليهم السلام، فدخل الرسولُ عليه السلام فقال: «فيمَ أنتم؟» فذكرنا له، فقال: «لا ينبغي لأحدٍ أن يكون خيرًا من يحيى بن زكريا عليهما السلام»، فذكر أنَّه لم يعملْ سيئةً قطُّ ولم يَهُمَّ بها.

**فإن قلتَ**: فلِمَ خَصَّ موسى وعيسى عليهما السلام من بين الأنبياء بالذِّكر عليهم السلام؟

---

والضمير مِن (به) يعود إلى **(أحدُكم أو بعضُكم)** ومِن **(بنحوه)** إلى قوله:[1] **(فيكون)**، أي: فيكون الإبهام أفخم مِن التصريح بذلك وأرفَع[2] بصاحب ذلك الفعل، ولا يخفى على أحد أنّ الإبهام الواقع في كلام[3] الله[4] تعالى لتعظيم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[5] أقوى وأفخم مِن الإبهام الواقع في كلام الناس لتعظيم أنفسهم.

قوله: **(مِن أولي العزم)** سيأتي بيانه في قوله تعالى: ﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف ٣٥/٤٦].

---

[1] ر + هذا قوله.

[2] ن ر: وارتفع.

[3] ر: كلامه.

[4] ر - الله.

[5] د: عليه السلام.

**قلتُ: لِمَا أُوتيا من الآيات العظيمة والمعجزاتِ الباهرة، ولقد بيَّن الله وجهَ التفضيلِ حيث جعَل التكليمَ من الفضل وهو آيةٌ من الآيات، فلمّا كان هذان النبيَّان قد أُوتيا ما أُوتيا من عظام الآيات خُصَّا بالذكر في بابِ التفضيلِ، وهذا دليلٌ بيِّنٌ أنَّ مَن زِيدَ تفضيلًا بالآيات منهم فقد فُضِّلَ على غيرِه.**

ولمّا كان نبيُّنا صلى الله عليه وسلم هو الذي أُوتيَ منها ما لم يُؤتَ أحدٌ في كثرتها وعِظَمها، كان هو المشهودَ له بإحْرازِ قصَبات الفضْل غيرَ مُدافِعٍ، اللّٰهمَّ ارزقنا شفاعتَه يومَ الدين.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مشِيئةَ إلجاءٍ وقَسْرٍ ..............................................

---

قوله: (منهم) حال مِن الضمير في (زِيد).

قوله: (في كثرتها) حال مِن الضمير المنصوب المحذوف مِن (يؤتَ)، أي: لم يُؤتَها، فكأنّه قيل: الآيات التي لم يُؤتَها أحد مستقرَّة في كثرتها.

قوله: (مشيئة قسرٍ وإلجاء)[1] اعلم أنّ أهل السُّنّة والجماعة لا يذكرون هذا القيد، وهو قوله: "مشيئة إلجاء وقسر"؛ لأنّ الله تعالى أراد اقتتالهم، لأنّ جميع الكائنات واقع[2] بإرادته[3] تعالى. وقوله: "مشية قسر وإلجاء" بناء على مذهب المعتزلة، فإنّ مذهبهم أنّ الله تعالى يريد تركهم القتال باختيارهم، لكنّهم لم يتركوا القتال باختيارهم؛ / بل قاتلوا باختيارهم، وزعموا أن ليس في هذا المعنى[4] خللٌ؛ لأنّ تركهم القتال[5] باختيارهم ليس داخلًا في القدرة فلا يلزم مِن مقاتلتهم نسبة العجز إليه تعالى شأنه.[6] وقالوا: لو شاء الله تعالى أن يُلجِئهم ويقسرهم على ترك القتالِ لتركوا، لكنّه لم يشأ ذلك، إذ لا تبقى معه فائدة التكليف. واعلم أنّ الاستدراك في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ يدلُّ دلالة صريحة على أنّه تعالى يريد اقتتالهم واختلافهم، [٢٣٧و]

---

١ في مطبوع **الكشّاف** وما راجعت من أصوله: إلجاء وقسر.
٢ في هامش ن: بمشيئة الله. ظ [اختصارًا مِن "الظاهر"].
٣ ن: وإرادته.
٤ ن – المعنى.
٥ ن: للقتال.
٦ ر – شأنه.

﴿مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ﴾ من بعد الرسل لاختلافهم في الدِّين وتَشَعُّبِ مذاهبهم وتكفيرِ بعضهم بعضًا.

﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾ لالتزامهِ دينَ الأنبياء ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ لإعراضه عنه.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ كرَّره للتأكيد ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من الخذلان والعصمة.

**﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾**

﴿أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ أرادَ: الإنفاقَ الواجبَ؛ لاتِّصال الوعيدِ به.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ لا تقدرون فيه على تدارُك ما فاتكم من الإنفاقِ؛ لأنه ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ حتى تبتاعوا ما تُنفِقونه ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ حتى يُسامِحَكم أخلَّاؤكم به، وإن أردتُم أن يُحَطَّ عنكم ما في ذمَّتكم من الواجب لم تجدوا شفيعًا يشفعُ لكم في حطِّ الواجبات؛ لأن الشفاعة ثَمَّ في زيادة الفضل لا غير.

---

فكلُّ الحوادث[1] بمشيئته وإرادته تعالى. ولكنَّ المصنِّف يبالغ في التمحُّل لترويج مذهبه الباطل، عفا الله عنه.

قوله: (لاختلافهم) اللام في "لاختلافهم" متعلِّق بـ ﴿ٱقْتَتَلَ﴾ مع قطع النظر عن حرف النفي.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ كرَّر المشيئة تأكيدًا لأمرها وتكذيبًا لمَن زعم أنّهم فعلوا ذلك مِن عند أنفسهم ولم يجرِ به قضاءٌ مِن الله ولا قَدَر فيكون ردًّا على المعتزلة.

قوله:[2] (لأنَّ الشفاعة ثَمَّ في زيادة الفضل لا غيرُ) وعند أهل السنّة

---

١ ن: حوادث.

٢ ن ر - تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ كرَّر المشيئة تأكيدًا لأمرها وتكذيبًا لمن زعم أنّهم فعلوا ذلك مِن عند أنفسهم ولم يجر به قضاء مِن الله ولا قدر فيكون ردًّا على المعتزلة قوله.

﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أراد: والتاركون الزكاةَ هم الظالمون، فقال: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ للتغليظ؛ كما قال في آخر آية الحج: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [البقرة ١٢٦/٢] مكانَ: ومَن لم يَحُجَّ، ولأنه جعَل تَرْكَ الزكاةِ من صفاتِ الكفّار في قوله تعالى: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت ٤١/٦-٧].

وقرئ: ﴿لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ بالرفع.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾

﴿ٱلۡحَيُّ﴾: الباقي الذي لا سبيلَ عليه للفناء، وهو على اصطلاحِ المتكلّمين: الذي يَصحُّ أن يَعلمَ ويَقْدِرَ.

و﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾: الدائمُ القيام بتدبيرِ الخلق وحِفظه، وقرئ: "القَيَّام" و: "القَيِّم".

"السِّنَة": ما يتقدَّم النومَ من الفُتور الذي يسمَّى النُّعَاسَ، قال ابنُ الرِّقاع العَامِليُّ:

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعاسُ فَرَنَّقَتْ ... في عينِهِ سِنَةٌ وليسَ بنائمِ

---

الشفاعة في الذنوب الكبيرة ليغفرها الله تعالى. قال عليه السلام: «شفاعتي لأهل الكبائر مِن أمّتي».[1]

قوله: (ولأنّه جعَل) فعلى هذا يكون مجازًا؛ لأنّ ترْك الزكاة مِن صفة الكفّار فقط[2] أطلق الملزوم وأراد اللازم.

قوله: (يصحّ) المراد بالصحّة نفيُ الاستحالة.

قوله:

(وَسْنانُ أقصَدَه النعاسُ فرنَّقتْ ... في عينه سِنَةٌ وليس بنائمِ)[3]

---

١ مسند أحمد، ٤٣٩/٢٠ (١٣٢٢٢)؛ سنن أبي داود، ١١٩/٧ (٤٧٣٩)؛ سنن الترمذي، ٢٠٣/٤ (٢٤٣٦).

٢ ن: فقد.

٣ البيت لعديّ بن الرِّقاع العاملي في ديوانه، ص ١٢٢؛ وهو له في مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٧٨/١؛ والوحشيّات لأبي تمّام، ص ١٩٤؛ وجامع البيان للطبري، ٥٣٠/٤ (البقرة، ٢٥٥/٢)؛ وأمالي القالي، ٢٢٨/١.

أي: لا يأخذُه نُعاسٌ ولا نومٌ، وهو تأكيدٌ للقيُّوم؛ لأن مَن جازَ عليه ذلك استحال أن يكون قيُّومًا.

ومنه حديثُ موسى عليه السلام: أنه سأل الملائكة -وكان ذلك من قومه كطلب الرؤيةِ-: أينام ربُّنا؟ فأوحى الله إليهم أن يُوقِظوهُ ثلاثًا ولا يتركوه ينام، ثمّ قال: خذ بيدكِ قارورتين مملوءتَيْن، فأخذهما، وألقى الله عليه النعاس فضرب إحداهما على الأخرى فانكسرتا، ثم أُوحي إليه: قل لهؤلاء إني أُمسك السماوات والأرض بقدرتي، فلو أخذني نومٌ أو نعاس لزالتا.

---

قبله:

لـولا الـحـيـاءُ وأنّ رأسـي قـد عتا فـيـه الـمـشـيـبُ لـزرتُ أمَّ الـقـاسـمِ
وكـأنّـهـا وَسْـط الـنـسـاء أعـارهـا عـيـنـيه أحـورُ مِـن جـآذر جـاسـمِ[١]

أقصَده السهم، أي: أصاب فقُتل مكانَه. ورنَّق الطائر: رفرف حول الشيء، أي: دار حوله ليقع عليه. وقيل: «رنَّق الطائر إذا خفَق بجناحيه في الهواء وثبَت ولم يطِر».[٢] والعُتوّ: مجاوزة الحدِّ. أي:[٣] لولا أنّي شِختُ وشاب رأسي لزرتُها. وقوله: "أحور" فاعل "أعار"، أي: ظبيٌ أحورُ. «قال أبو عمرو: الحَوَر:[٤] تَسوُّد العينُ كلِّها مِثلُ عين الظِّباء والبقر.[٥] قال: وليس في بني آدمَ حوَرٌ، وإنّما قيل: للنساء: حُورُ[٦] العِين؛ لأنّهن شُبّهن بالظباء والبقر».[٧] وجاسم: قرية بالشام.

قوله: (يُوقظوه)، أي: موسى.

قوله: (ثمّ قال)، أي: قال الله.[٨]

قوله: (نوم أو نعاس) قدَّم النوم في الحديث على النعاس؛ لأنّ السؤال كان عنه فقدِّم على ما هو القياس. ويرِد في خاطري أنّه قدَّم السِّنَة على النوم في الآية؛

---

١ ديوان عديّ بن الرِّقاع، ص ١٢٢. وفيه «عثا» مكان «عتا».

٢ الصحاح للجوهري، «رنق».

٣ ن - أي.

٤ ن: أحور.

٥ ر + وجاسم قرية بالشام.

٦ ر: الحور.

٧ الصحاح للجوهري، «حور».

٨ ن + تعالى.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ بيانٌ لملكوته وكبريائه، وأن أحدًا لا يتمالكُ أن يتكلَّم يومَ القيامة إلّا إذا أَذِنَ له في الكلام؛ كقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [النبأ ٣٨/٧٨].

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾: ما كان قبلهم وما يكون بعدهم، والضميرُ لـ"مَا في السموات والأرض" لأن فيهم العقلاءَ، أو لِمَا دل عليه ﴿مَن ذَا﴾ من الملائكة والأنبياء عليهم السلام.

﴿مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾: من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾: إلا بما عَلَّمَ.

الكرسيُّ: ما يُجْلَس عليه ولا يَفْضُل عن مقعد القاعد، وفي قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ﴾ أربعةُ أوجهٍ:

أحدها: أن كرسيَّه لم يَضِقْ عن السماوات والأرض لبَسْطَتِهِ وسَعته، وما هو إلا تصويرٌ لعظمته وتخييلٌ فقط، ولا كرسيَّ ثَمَّ ولا قعودَ ولا قاعدَ؛ كقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر ٦٧/٣٩] من غيرِ تصوُّر قَبْضةٍ وطيٍّ ويمين، وإنما هو تخييلٌ لعظمة شأنه وتمثيلٌ حسيٌّ، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الأنعام ٩١/٦].

والثاني: وَسِعَ علمُه، وسمِّي العلم كرسيًّا تسميةً بمكانه الذي هو كرسيُّ العالِم.

والثالث: وسع ملكُه، تسميةً بمكانه الذي هو كرسيُّ الملك.

والرابع: ما رُوي: أنه خلق كُرسيًّا هو بين يدي العرش دونه السماوات والأرض، وهو إلى العرش كأصغر شيءٍ.

---

لأنّه -والله أعلم- لا يذهب[١] الوهم إلى جواز النوم عليه، ويدلّ صريح العقل على امتناعه عليه، لكن يمكن أن يتوهَّم متوهِّم جواز السِّنَة فنفاها ثمّ ذكر النوم كالتتمَّة[٢] للكلام. وبالجملة ذِكرُ السِّنَة أهمّ فقدّمها.

قوله: (**كقوله تعالى**: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الأنعام ٩١/٦])، أي: هو تصوير لعظمته، أي: ما عظَّموه حقّ تعظيمه.

---

١ ر - يذهب.

٢ ر: كاسمه.

وعن الحسن رحمه الله: الكرسيُّ هو العرش.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾: ولا يُثْقِله ولا يَشُقُّ عليه ﴿حِفْظُهُمَا﴾: حفظُ السماوات والأرض.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ الشأنِ ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الملْكِ والقدرة.

**فإن قلتَ**: كيف ترتَّبتِ الجمل في آية الكرسي من غيرِ حرفِ عطف؟

**قلتُ**: ما منها جملةٌ إلا وهي واردةٌ على سبيل البيان لِمَا ترتبت عليه،

---

قوله: **(وعن الحسن)**[١] فإن قيل: ذَكَر أنّ في الكرسي أربعةَ أوجه، وقد ذَكَر خمسة أوجه؛ لأنّ ما ذُكر عن الحسن وجه آخرُ. قلنا: ليس وجهًا آخرَ مستأنفًا؛ بل هو كالتتمّة للوجه الرابع، وحاصلهما أنّ الكرسيّ جسم عظيم دونه السماوات والأرض، إمّا بين يدي العرش وإمّا هو العرش. ويمكن أن يقال: أراد بالوجوه الأربعةَ المختارة، ثمّ ذَكَر عن الحسن ولم / يعُدَّه مِن المختارات لاشتهار أنّ الكرسيّ غيرُ العرش. [٢٣٧ظ]

قوله: **(على سبيل البيان لِما ترتَّبت عليه)**،[٢] أي: جميعها كالبيان للجملة الأولى، وهو قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ كلّ واحد منها مِن وجه، وذلك لأنّه لمّا ذكر أنّ المتفرّد بالإلهيّة هو الله تعالى ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ كان[٣] في ضمن ذلك أنّه قائم بتدبير الخلق غيرُ ساهٍ ولا غافل عن شيء مِن مخلوقاته، مالكٌ لجميع الأشياء ذو الكبرياء والعظمة، عالمٌ بجميع الأشياء فبيَّن كلًّا مِن هذه المعاني بالجمل المذكورة بعد الجملة الأولى. هذا تقرير كلام المصنِّف.

وأنا أقول لمّا ذَكَر أنّه المتفرِّد بالإلهيّة قرَّر ذلك بأنّه الحيّ القيوم؛ لأنّه لا يصلح للإلهيّة[٤] إلّا مَن كان كذلك، ولمّا ذَكَر أنّه العالم بتدبير الخلق بيَّن أنّه لا يسهو ولا يغفل عنهم، ثمّ قرّر انتفاء السهو عنه بأنّ له ما في السماوات وما في الأرض، فلا تجوز الغفلة عليه كما مرَّ في حديث موسى، ولمّا ذَكَر أنّه له ما في السماوات والأرض

---

١ انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ١١٢/٧ (البقرة، ٢٥٥/٢).

٢ ر + الوجوه.

٣ ن ر - واحد منها مِن وجه وذلك لأنّه لمّا ذكر أنّ المتفرِّد بالإلهيّة هو الله تعالى ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ كان.

٤ ن: الإلهية.

**والبيانُ متَّحِدٌ بالمبيَّن، فلو توسَّطَ بينهما عاطِفٌ لكان كما تقول العرب: بين العصا ولحائها، فالأولى بيانٌ لقيامه بتدبير الخلق وكونه مُهَيْمنًا عليه غيرَ سَاهٍ عنه، والثانيةُ: لكونه مالكًا لِمَا يُدبِّره، والثالثة: لكبرياء شأنه، والرابعة: لإحاطته**

---

مِن الروح والمَلَك والجنّ والإنس مِن الأنبياء والمرسلين، أشار إلى أنّ هذه الخلائق مع كثرتها لا يقدرون على أن يشفعوا لأحد دون إذنه، كقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ [النجم ٢٦/٥٣]، ولمّا ذكر أنّه لا يقدر أحد على الشفاعة دون إذنه قرّر ذلك بأنّه يعلم مِن ظواهر المخلوقات وبواطنهم، ولا يعلم أحد شيئًا مِن ذلك إلّا ما علّمه الله،[١] فكيف يقدرون أنّ يشفعوا عنده لمَن[٢] يعلم تعالى ظاهره وباطنه أجمعُ وهم لا يعلمون، ثمّ قرّر ذلك العلم بسَعة علمه بجميع الأشياء، ولمّا ذَكَر علمه بهذا الوجه عطف عليه بيان قدرته بقوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾. اللّهمّ وفقنا للازدياد في العِلم والعمل.

قوله: **(لكان)** الضمير مِن "كان" يعود إلى ما دلّ عليه سياق الكلام، وهو الكلام أو[٣] القول.[٤] و"كان" بمعنى "صار". و"ما" في **(كما)** موصولة والعائد محذوف، أي: لصار[٥] الكلام مثلَ الشيء الذي تقول فيه العربُ هذا المَثَل.

قوله: **(«بين العصا ولحائها»)**[٦] يُضرَب هذا المثل لمَن دخل بين اثنين لا يليق بهما. و"اللحاء" ممدودًا: قِشر الشجر.

قوله: **(فالأولى)**، أي: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

قوله: **(والثانية)** ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

قوله: **(والثالثة)** ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ﴾.

قوله: **(والرابعة)** ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾.

---

١ ن: تعالى.

٢ ن ر – لمن.

٣ ن ر – أو.

٤ ن ر: وقوله.

٥ ن: صار.

٦ مجمع الأمثال للميداني، ٩٢/١؛ المستقصى للزمخشري، ١٧/٢.

بأحوال الخلق وعِلمه بالمرتَضَى منهم المستوجِبِ للشفاعة وغيرِ المرتَضَى، والخامسة: لسعَةِ علمه وتعلُّقِه بالمعلومات كلِّها، أو لجلاله وعِظَمِ قَدْرِهِ.

فإن قلتَ: لـمَ فُضِّلَتْ هذه الآيةُ حتى ورد في فضلِها ما ورد؛ منه قوله صلى الله عليه وسلم: «ما قُرِئتْ هذه الآية في دار إلَّا اهْتجَرَتْهَا الشياطين ثلاثينَ يومًا، ولا يدخلها ساحِرٌ ولا ساحِرةٌ أربعين ليلة، يا عليُّ عَلِّمها وَلَدَكَ وأهْلَك وجيرانكَ فما نزلت آيةٌ أعظمُ منها».

وعن عليٍّ رضي الله عنه: سمعتُ نبيَّكم صلى الله عليه وسلم على أعواد المنبر وهو يقول: «مَن قرأ آيةَ الكرسيِّ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ لـم يَمْنعه من دخول الجنَّة إلَّا الموتُ، ولا يواظِبُ عليها إلا صِدِّيقٌ أو عابدٌ، ومَن قرأها إذا أخذ مَضْجَعَهُ آمَنَهُ الله على نفسه وجاره وجارِ جارِه والأبياتِ حوله».

وتذاكَرَ الصحابة -رضوانُ الله عليهم- أفضلَ ما في القرآن، فقال لهم عليٌّ رضي الله عنه: أين أنتم عن آية الكرسي؟ ثم قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عليُّ، سيدُ البشر آدمُ عليه السلام، وسيدُ العرب محمدٌ صلى الله عليه وسلم ولا فخرَ، وسيِّدُ الفُرس سلمانُ رضي الله عنه، وسيِّدُ الروم صُهَيبٌ، وسيدُ الحبشة بلالٌ، وسيدُ الجبال الطورُ، وسيدُ الأيامِ يومُ الجمعة، وسيد الكلام القرآن، وسيدُ القرآن البقرةُ، وسيدُ البقرة آيةُ الكرسيِّ»؟

---

قوله: (والخامسة) ﴿وَسِعَ﴾.

قوله: («اهتجرَتْها»)[1] يقال: "هَجَر" إذا كان الفاعل مفردًا، و"اهتجر"[2] إذا كان جمعًا. فيه نظرٌ. والصواب أنَّ "اهتجر" للتصرُّف كـ"اكتسب".

قوله: («إلَّا الموت»)[3] كأنَّ الموت مانع وحاجز بينه وبين دخولها، فإذا وَقَع وانقضى ارتفع المانع ويدخل الجنَّة.

---

١ قال ابن حجر في الكافي الشاف، ص٢٢: «لم أجده».

٢ ن: وأهجر.

٣ بلفظ قريب في عمل اليوم والليلة لابن السُّنِّي، ص ١١١ (١٢٥)؛ والمعجم الكبير للطبراني، ١١٤/٨ (٧٥٣٢)؛ وشعب الإيمان للبيهقي، ٥٦/٤ (٢١٧٤).

**قلتُ:** لِمَا فُضِّلَت له سورةُ الإخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العُظمى، ولا مذكورَ أعظمُ من ربِّ العزة، فما كان ذكرًا له كان أفضلَ من سائر الأذكار، وبهذا يُعلم أن أشرفَ العلوم وأعلاها منزلةً عند الله علمُ أهلِ العدل والتوحيد، ولا يغرَّنك عنه كثرةُ أعدائه فـ:

إنّ الـعَـرَانـيـنَ تـلقاها مُـحَـسَّـدةً     ولـن تَـرى لِـلـئامِ الـنـاسِ حُـسَّـادا

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾؛ .........................................

---

قوله: (لِما فُضِّلت) اللام في "لِما" متعلِّق بمحذوف، أي: فُضِّلت آية الكرسي لِما فُضِّلت[1] له سورة الإخلاص.

قوله:

(فـإنّ الـعَـرانـيـن[2] تـلقـاها محسَّدةً)

تمامه:

ولـــن[3] تـــرى لـلـئـام الـنـاس حُـسّـادا[4]

"الفاء" في قوله: "فإنّ العرانين"[5] فاء **الكشّاف**،[6] وليس مِن البيت. عِرنين كلّ شيء: أوّله، وعَرانين القوم: سادتهم.[7]

---

[1] ن ر – اللام في "لما" متعلّق بمحذوف، أي: فُضِّلت آية الكرسي لما فُضِّلت.

[2] ن: القراءتين.

[3] ر: ولئن.

[4] البيت للمغيرة بن حَبناء في **الشكوى والعتاب** للثعالبي، ص ٨٢؛ وهو بلا عزو في **الوحشيّات** لأبي تمّام، ص ٢٦٥؛ **والموشّى** للوشّاء، ص ٤٤ **وأساس البلاغة** للزمخشري، «حسد». | وعجز هذا البيت مذكور في متن مطبوع **الكشّاف**، والظاهر مِن كلام الجاربردي أنّه ليس فيه. وهو غير مثبت في مخطوط **الكشّاف** آيا صوفيا (٢٤٦)، ومُستدرَك في هامشها.

[5] ن: القراءتين.

[6] يعني أنّها مزيدة فيه، وليست في أصل الشعر.

[7] ر: ساداتهم.

أي: لم يُجْرِ اللهُ أمرَ الإيمان على الإجْبار والقَسْر، ولكن على التمكين والاختيار، ونحوُه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس ٩٩/١٠]؛ أي: لو شاء لقَسَرهم على الإيمان ولكنَّه لم يفعل، وبنى الأمر على الاختيار.

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾: قد تميَّز الإيمانُ من الكفر بالدلائل الواضحة.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: فمَن اختار الكفرَ بالشيطان أو الأصنام والإيمانَ بالله.

﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ من الحبلِ الوثيقِ المحكَم المأمونِ انْفصامُها؛ أي: انقطاعُها، وهذا تمثيلٌ للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهَد المحسوسِ حتّى يتصوَّرُه السامع كأنَّه ينظرُ إليه بعينه فيُحْكِمُ اعتقادَه والتيقُّنَ به.

وقيل: هو إخبارٌ في معنى النهي؛ أي: لا تُكْرِهوا في الدِّين.

ثمَّ قال بعضهم: هو منسوخٌ بقوله: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة ٧٣/٩].

وقيل: هو في أهل الكتاب خاصَّةً؛ لأنهم حصَّنوا أنفسهم بأداء الجزية.

---

قوله: **(أي: لو شاء)** تفسير للآية[١] المستشهَدة.

قوله: **(تمثيل[٢] للمعلوم)** "اللام" في "للمعلوم"[٣] والباء في **(بالمُشاهَد)**[٤] متعلِّق بـ"التمثيل". و"الباء" في **(بالنظر)** / متعلِّق بـ"المعلوم". وقوله: **(حتّى يتصوّره)** غايةٌ للتمثيل وعلّة له، فالوجه النصب في "يَتصوَّر" و"يُحكِم" كما في "أسلمتُ حتّى أدخلَ الجنّة". وقوله: **(وقيل)** هو عطف على قوله: **(أي: لم يُجْرِ)** وكان ذلك إشارة إلى أنّه إخبار[٥] مَحْض. وقوله: **(هو)**، أي: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾. [٢٣٨و]

قوله: **(وقيل: هو في[٦] أهل الكتاب خاصّة)** فلا يكون منسوخًا.

---

١ ن: الآية.
٢ ر: تفسير.
٣ ن: للعلوم.
٤ ر: للمشاهدة.
٥ ن + وقوله: هو عطف على قوله: (أي: لم يُجْر) وكان ذلك إشارة إلى أنّه إخبار؛ ر: اختار.
٦ ن ر - في.

ورُوي: أنه كان لأنصاريٍّ من بني سالم بنِ عوفٍ ابنان، فتنصَّرا قبل أن يُبْعَثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثمَّ قَدِمَا المدينة، فلزِمَهما أبوهُما وقال: والله لا أَدَعُكما حتى تُسْلِما، فأبَيَا فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الأنصاريُّ: يا رسول الله! أيدخلُ بعضي النارَ وأنا أنظر؟! فنزلت فَخَلَّاهما.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: أرادوا أن يُؤمنوا، يَلْطُفُ بهم حتى يُخرجَهم بلطفه وتأييده من الكفر إلى الإيمان ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾؛ أي: صمَّموا على الكفرِ أمرُهم على عكس ذلك.

أو: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ﴾ المؤمنين ﴿يُخْرِجُهُم﴾ من الشُّبَهِ في الدِّين -إنْ وقعت لهم- بما يَهديهم ويوفِّقهم له مِن حلِّها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾ الشياطين ﴿يُخْرِجُونَهُم﴾ من نور البيِّنات التي تَظهرُ لهم إلى ظلماتِ الشكِّ والشُّبهة.

---

قوله: **(ورُوي)** سبب النزول، وهو يقوِّي الوجه الثاني.

قوله: **(أَمْرهم)** مبتدأ على عكس ذلك، خبره قوله: **(بما يهديهم له ويُوفِّقهم له)** فالضمير المستتر في "يهديهم ويُوفِّقهم"[1] عائد إلى الله تعالى، والعائد إلى "ما" محذوف مِن الأوّل لِما دلّ عليه قوله: "له".

والحاصل أنّه أعمل الثاني فحذف المفعول مِن الأوّل، ويمكن[2] أن يكون بالعكس. وحاصل المعنى أنّه تعالى يُخرجهم مِن الشُّبَه بأن هداهم لحل الشُّبه ووفقهم له، أي: لحلّ الشُّبه. فـ"الباء" في "بما" يتعلّق بـ"يخرجهم"، و"يهديهم[3] ويُوفِّقهم" تنازعا في[4] "له"؛ لأنّه يقال: "هدى له" و"هدى إليه" و"هداه". وقوله: **(مِن حلِّها)**، أي: مِن حلّ الشُّبه.

---

[1] ر - له فالضمير المستتر في يهديهم ويوفقهم.
[2] ن ر: ويكون.
[3] ر: وهداهم.
[4] ن - في.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعجيبٌ من مُحاجَّةِ نمروذَ في اللهِ وكفرِه به.

﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ متعلِّق بـ﴿حَآجَّ﴾ على وجهين:

**أحدهما**: حاجَّ لأنْ آتاه الله الملكَ، على معنى: أنَّ إيتاءَ الملك أبْطَره وأَوْرثَه الكِبرَ والعتوَّ فحاجَّ لذلك، أو على أنَّهُ وضعَ المحاجَّة في ربِّه موضعَ ما وجَب عليه من الشكر على أنْ آتاه الله الملكَ، فكأنَّ المحاجةَ كانت لذلك، كما تقول: عاداني فلانٌ لأني أحسنتُ إليه، تريد أنه عكَس ما كان يجبُ عليه من الموالاة لأجل الإحسان، ونحوُه قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة ٥٦/٨٢].

**والثاني**: حاجَّ وقتَ أن آتاه اللهُ الملك.

**فإن قلتَ**: كيف جاز أن يؤتي الله الملكَ الكافرَ؟

---

قوله: **(أو على أنّه وضَع المُحاجّة) الأوّل** علّة، **والثاني** غرض بطريق التهكُّم.

قوله: **(ونحوه قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ [الواقعة ٥٦/٨٢])**، أي: تجعلون جزاء رزقكم وشكرَ رزقكم[١] أنكم تكذبون، أي: تضعون التكذيب موضعَ الشكر على طريق التعكيس، أي: كان يجب عليكم أن تشكروا فما شكرتم؛ بل كذّبتم بدلَ الشكر.

قوله: **(والثاني حاجّ وقت أن أتاه الله)** "أن" مصدريّة في هذا الوجه، أي: وقتَ إيتاء المُلك، وفي الأوّل أيضًا[٢] مصدريّة، لكن على **الأوّل** بتقدير حذف "اللام" وفي **الثاني** بتقدير حذف المضاف.[٣]

---

١ ر - أي: تجعلون جزاء رزقكم وشكر رزقكم.
٢ ر - أيضًا.
٣ ر - المضاف.

**قلتُ**: فيه قولان: آتاه ما غلَب به وتسلَّط من المال والخدم والأتباع، وأمّا التغليبُ والتسليط فلا.

وقيل: ملّكه امتحانًا لعباده.

و﴿إِذْ قَالَ﴾ نصبٌ بـ﴿حَآجَّ﴾ أو بدلٌ من ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ﴾ إذا جُعل بمعنى الوقت.

﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ يريد: أعفي عن القتل وأقتُلُ، وكان الاعتراضُ عتيدًا ولكن إبراهيم صلوات الله عليه لمّا سَمِعَ جوابَه الأحمقَ لم يحاجَّهُ فيه، ولكن انتقل إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليَبْهتَه أوّلَ شيءٍ، وهذا دليلٌ على جواز الانتقال للمُجادِلِ من حجّةٍ إلى حجّةٍ.

وقرئ: "فَبَهَتَ الذي كفر"؛ أي: فَغَلَبَ إبراهيم -صلوات الله وسلامه عليه- الكافرَ.

وقرأ أبو حَيْوَةَ: "فَبَهُتَ" بوزن قَرُبَ.

---

قوله: (ما غَلَب)، أي: أسبابَ المُلك[1] والغَلَبة.[2]

قوله: (وأمّا التغليب والتسليط[3] فلا) لقوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء ١٤١/٤].

قوله: (وقيل: ملّكه)[4] هذا هو القول الثاني: ملّكه لقوله تعالى: ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران ٢٦/٣].

قوله: (نصبٌ بـ"حاجّ") إذا لم يُجعَل ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾[5] بمعنى الوقت.

قوله: (أُعفي) يقال: أعْفِني عن هذا الأمر، كأنّه قال: أترُك القتل وأقتُل.[6]

قوله: (وكان الاعتراض عتيدًا)،[7] أي: اعتراض إبراهيمَ على ما قال نُمرُوذ. والشيء العتيد: الحاضر المُهيّأ.

قوله: (ليَبهتَه) بهتَه بهتًا أخَذه بغتةً.

---

١ ن ر: ملكه.
٢ ن ر – والغلبة.
٣ ن ر – وأما التغليب والتسليط.
٤ ن ر – ملكه.
٥ ن – الله.
٦ ن: وانزل؛ ر: واترك.
٧ في هامش د: أي: حاضرًا مهيّئًا.

وقيل: كانت هذه المحاجّةُ حين كسَرَ الأصنامَ وسجَنَهُ نمروذُ ثمّ أخرجَهُ من السجن ليُحرِقَهُ، فقال له: مَن ربُّك الذي تدعو إليه؟ فقال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾.

﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾﴾

﴿أَوۡ كَٱلَّذِي﴾ معناه: أو أرأيتَ مثلَ الذي، فحذفَ لدلالة ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ عليه؛ لأن كلتيهما كلمةُ تعجيبٍ.

ويجوز أن يُحمل على المعنى دون اللفظ؛ كأنّه قيل: أرأيتَ كالذي حاجَّ إبراهيم، أو كالذي مرَّ على قرية، ..........................

---

قوله: (**معناه "أو أرأيتَ مثل الذي"**) إنّما لم يحمله على ظاهره بأن يكون عطفًا على "إلى" الذي بمعنى "ألم ترَ كالذي"؛ بل قُدِّر[1] "أرأيتَ"[2] على أحد[3] الوجهين، لأنّه لو حُمل على الظاهر وقيل التقدير: "ألم ترَ كالذي" لا يبقى موضعًا للتعجُّب منه؛ لأنّ "ألم ترَ" يفيد التقرير، ويكون خطابًا لمَن[4] رآه وسمع، كما مرّ في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة ٢/٢٤٦]، فيكون المعنى "قد رأيتَ مثله"، وإذا كان المعنى "إنّك قد رأيتَ مثلَه" لا يبقى فيه تعجيبٌ، ويكون نظيرَ الشيء الذي رآه، وأمّا إذا كان التقدير[5] "أرأيتَ[6] كالذي" فيكون المعنى[7] "ما رأيتَ مثلَه"، فيصلح للتعجيب، فظهر أنّه نشأ لزوم هذا التقدير والعدول عن الظاهر مِن "الكاف" في ﴿كَٱلَّذِي﴾، والدليل عليه أنّه لمّا جَعَل المصنِّف ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ في معنى "أرأيتَ" على أحد الوجهين قدّر "الكاف" هناك وقال: (**فكأنّه قيل: أرأيت كالذي حاجّ أو كالذي مرّ**)؛

[1] ن: قد.
[2] ن: أرت.
[3] ن - أحد.
[4] ن ر - لمن.
[5] ر: المعنى أنك.
[6] ر: قد رأيت.
[7] ن + إنّك.

والمارُّ كان كافرًا بالبعث وهو الظاهرُ؛ لانتظامه مع نمروذَ في سلكٍ، ولكلمةِ الاستبعاد التي هي: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ﴾.

وقيل: هو عُزيرٌ، أو الخَضِرُ، أراد أن يُعاينَ إحياء الموتى ليزدادَ بصيرةً كما طلبَه إبراهيم عليه السلام، وقوله: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ﴾ ..............................

---

وذلك لأنّ التعجُّب عن الشيء قد يكون بقولك: "ألم ترَ ذلك الشيء" ليكون المعنى "قد رأيتَه فتعجَّبْ"،[١] وبقولك: "أرأيتَ مثل ذلك الشيء" ليكون المعنى "ما رأيتَ مِثلَه فتعجَّبْ[٢] منه"، لا بقولك: "ألم ترَ مثلَه"؛ / إذ يصير المعنى "قد رأيتَ مثله" فلا يبقى موضعًا للتعجُّب. ويؤيِّد أنّ لزوم هذا التقدير والعدول عن الظاهر نشأ مِن الكاف ما ذَكَر بعضهم أنّ "الكاف" في[٣] ﴿كَٱلَّذِى﴾ زائدة،[٤] وهو عطف على ظاهر "إلى الذي"، كما نقل الشيخ الكواشيّ[٥] هذا المعنى حيث قال: ﴿أَوْ﴾ في ﴿أَوْ كَٱلَّذِى﴾ كـ﴿أَوْ﴾ في ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة ١٩/٢]، و"الكاف" منصوبة محلًّا بمحذوف، أي: "أرأيت مثلَ الذي" وحُذفت[٦] "أرأيتَ" لدلالة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ عليه لأنّها للتعجُّب. أو زائدة، أي: ألم ترَ إلى الذي حاجّ وإلى الذي مرّ.[٧] [٢٣٨ظ]

قوله: (**فحذف**)، أي: "أرأيتَ".

قوله: (**كلتيهما**)، أي: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ و"أرأيتَ".

قوله:[٨] (**أراد أن يُعاين**) الضمير مِن "أراد"[٩] و"يُعاين" يعود إلى أحد المذكورين.

قوله: (**كما طلبه**) "الكاف" صفة مصدر محذوف، والضمير يعود إلى الازدياد، أي: ليزداد ازديادًا مثلَ الازدياد الذي طلبه إبراهيمُ أو إلى العِيان، أي: عِيانًا مثل العِيان الذي طلبه إبراهيمُ ليزداد بصيرة.

---

١ ر: فتعجبت.
٢ ن – وبقولك: أرأيت مثل ذلك الشيء ليكون المعنى ما رأيت مثله فتعجَّب.
٣ ن ر – في.
٤ ذهب إلى ذلك الأخفش في معاني القرآن، ١٩٧/١.
٥ ن ر – الكواشي.
٦ ن: وحذف.
٧ انظر: تفسير **الكواشي**، ٧١ظ-٧٢و.
٨ ن ر – (فحذف)، أي: أرأيت قوله: (كلتيهما)، أي: ألم تر وأرأيت. قوله.
٩ ن: أعاد؛ ر: أعان.

اعترافٌ بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء، واستعظامٌ لقدرة المحيي.

والقرية: بيت المقدس حين خَرَّبَهُ بُخْتَنَصَّرُ، وقيل: هي التي خرج منها الألوف.

﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ تفسيره فيما بعدُ.

﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ بناءٌ على الظنّ.

رُوي: أنه مات ضحًى وبُعث بعد مئة سنة قبل غيبوبة الشمس، فقال قبل النظر إلى الشمس: ﴿يَوْمًا﴾، ثم التفتَ فرأى بقيّةً من الشمس فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

وروي: أن طعامه كان تينًا وعنبًا، وشرابُه عصيرًا أو لبنًا، فوجَدَ التين والعنبَ

---

قوله: (اعترافٌ بالعجز) على الوجه الثاني، وأمّا على الوجه الأوّل فكان استبعادًا.

قوله: (تفسيرُه فيما بعد) يعني سيجيء تفسيره[١] في سورة الحجّ، وفيه وجهان: أحدُهما أنّ معنى ﴿خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة، أي: جدرانها ساقطةٌ على عروشها، أي: على سُقوفها، يعني: سقطَت سقوفها ثمّ سقطت جدرانها على سقوفها. والثاني أنّ معنى ﴿خَاوِيَةٌ﴾: خالية. يقال: خَوِيَ، أي: خلِيَ، يعني: أنّ تلك القرية خالية ليس فيها أحد، وهي مستقِرَة على سُقوفها، أي: سُقوفها ما سقَطت لكنّها خاوية ليس فيها أحد مِن الناس.

قوله: (مات[٢] ضُحًى) وهو أوائل النهار، قال في الصحاح: ضَحْوة النهار بعد طلوع الشمس، ثمّ بعده الضحى، وهو حين تشرقَ الشمس،[٣] مقصورة[٤] تُؤنَّث وتُذكَّر، فمَن أنّث ذَهَب إلى أنّها جمع "ضحوة"، ومَن ذكّر ذَهَب أنّه اسم على "فُعَل" مثل "صُرَد ونُغَر"،[٥] ثمّ بعده الضَّحَاء ممدود مذكّر،[٦] وهو عند ارتفاع النهار الأعلى.[٧]

---

١ ر + فيما بعد.

٢ ن: لمات.

٣ ن ر + وهو.

٤ ن ر: مقصور.

٥ ن ر - تؤنّث وتذكَّر فمَن أنّث ذهب إلى أنّها جمع ضحوة ومَن ذكّر ذهب أنّه اسم على فُعَل مثل صُرَد ونُغَر.

٦ ن ر - مذكر.

٧ انظر: الصحاح للجوهري، «ضحا».

كما جُنِيا والشرابَ على حاله.

﴿لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾: لم يتغيَّر، والهاء أصليَّةٌ أو هاءُ سكت، واشتقاقُه من السَّنَة على الوجهين لأن لامَها هاءٌ أو واوٌ، وذلك أن الشيء يتغيَّر بمرور الزمان.

وقيل: أصله: "يتَسَنَّنْ" من الحمأ المسنون، فقُلبت نونُه حرفَ علَّة كـ: تقضّي البازي.

ويجوز أن يكون معنى ﴿لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾: لم تَمُرَّ عليه السِّنونَ التي مرَّت عليه، يعني: هو بحاله كما كان كأنَّه لم يَلبَث مئة سنةٍ.

---

قوله: (كما جُنيا) "ما" موصوفة "جُنيا" صفته، أي: كتين وعِنب[١] جُنيا تلك الساعة، وجنيتُ الثمرة أَجنيها جنًى واجتنيتُها[٢] بمعنًى.

قوله: (مِن السَّنة) وهذه إمّا أن يكون المحذوف "الواو" بدليل قولهم: "سنوات" أو الهاء أصليّة بدليل قولهم: "سانهتُ الأجير مُسانهةً".

قوله: (وذلك) إشارة إلى وجه اشتقاقه مِن "السَّنة".

قوله: (وقيل: أصله يتسنَّن) اجتمع ثلاث نونات فقُلبت الثالثة[٣] ياءً، ثمّ حُذفت "الياء" للجزم كما في "لم يخشَ".

قوله: (كـ"تقضّي") انقضّ الحائط: سقط. وانقضّ الطائر: سقط مِن الهواء بسرعة. ومنه انقضاضُ الكواكب، ولم يستعملوا منه "تفعَّل" إلّا مبدلًا، قالوا: "تقضّى" فاستثقلوا ثلاث ضادات،[٤] فأبدلوا مِن إحداهنّ ياء، كما قالوا: "تظنّى"[٥] مِن الظنّ، قال العجّاج:

تقضِّيَ البازي إذا البازي كَسَرْ[٦]

ويقال: "كَسَر الطائر" إذا ضمَّ جناحيه حين ينقضُّ.

---

١ ن: وغضب.

٢ ر - جنى واجتنيتُها.

٣ ن: الثانية.

٤ لأنّها في الأصل: تقضّض.

٥ أصله: تظنّن.

٦ في ديوانه، ص ٤٢. وهو بلا عزو شاهدًا على ما نحن فيه ههنا في معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ٣٤٣/١.

وفي قراءة عبد الله: "فانظر إلى طعامك وهذا شرابُك لم يتسنَّ".

وقرأ أبيٌّ: "لم يَسَّنَّهْ" بإدغام التاء في السين.

﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيف تفرَّقت عظامُه ونَخرَتْ، وكان له حمارٌ قد ربطه.

ويجوز أن يراد: وانظر إليه سالمًا في مكانه كما ربَطْتَه، وذلك من أعظم الآيات: أن يُعيشه مئة عام من غيرِ عَلَفٍ ولا ماءٍ كما حفِظ طعامه وشرابه من التغيُّر.

﴿وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ فَعَلْنا ذلك، يريد: إحياءَه بعد الموتِ وحِفظَ ما معه.

وقيل: أَتَى قومَه راكبَ حمارِه وقال: أنا عُزَيْرٌ، فكذَّبوه فقال: هاتوا التوراةَ، فأخذَ يهُذُّها هذًّا عن ظهر قلبه، وهم ينظرون في الكتاب فما خرَم حرفًا، فقالوا: هو ابنُ الله، ولم يقرأ التوراةَ ظاهرًا أحدٌ قبل عزير فذلك كونُه آيةً.

وقيل: رَجَعَ إلى منزله فرأى أولادَه شيوخًا وهو شابٌّ، فإذا حَدَّثهم بحديث قالوا: حديثُ مئة سنةٍ.

﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ﴾: هي عظام الحمار، أو عظام الموتى الذين تعجَّب من إحيائهم.

﴿كيف نُنْشِرُها﴾: كيف نُحييها، ..........................................

---

قوله: (ونخِرتْ) نَخِر الشيء بالكسر، أي: بلي وتفتَّت، ويقال: عظام نَخِرة.

قوله:[١] (يهذُّها)، أي: يقرؤها مسرعًا. والهذُّ: الإسراع.

قوله: (ظاهرًا) استظهر الشيء: حفظه وقرأه ظاهرًا.

قوله: (فذلك) إشارة إلى قراءة التوراة عن[٢] ظهر قلبه.

قوله: (﴿كَيۡفَ نُنشِرُهَا﴾)[٣] بضمِّ "النون" و"الراء"، مِن "أنشر الله الموتى" فنشروا: ظهروا. وهي في القراءة السبعة.

---

١ ن ر – ونخِرتْ نَخِر الشيء بالكسر، أي: بلي وتفتت ويقال: عظام نخرة. قوله.

٢ ن: على.

٣ قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو. السبعة لابن مجاهد، ص ١٨٩.

وقرأ الحسن: "نَنشُرها" من نَشَر الله الموتى بمعنى: أنشرَهم فنشَروا.

وقرئ بالزاي بمعنى: نحرّكها ونرفعُ بعضَها إلى بعضٍ للتركيب.

وفاعلُ ﴿تَبَيَّنَ﴾ مضمرٌ تقديرُه: فلمَّا تبيَّن له أن الله على كلِّ شيء قدير ﴿قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ فحُذف الأول لدلالة الثاني عليه؛ كما في قولهم: ضربني وضربتُ زيدًا.

ويجوز: فلمَّا تبيَّن له ما أَشكل عليه، يعني: أمرَ إحياء الموتى.

وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: "فلما تُبيِّن له" على البناء للمفعول.

وقرئ: ﴿قالَ اعْلَمْ﴾ على لفظ الأمر.

وقرأ عبد الله: "قيل اعْلَمْ".

فإنْ قلتَ: فإن كان المارُّ كافرًا فكيف يَسوغُ أن يُكلِّمه الله؟

قلتُ: كان الكلام بعد البعثِ ولم يكن إذ ذاك كافرًا.

---

قوله: (وقرأ[1] الحسن: "نَنشُرها")[2] شاذّ.

قوله: (وقرئ بـ"الزاء")، أي: بضمّ "النون" و"الزاي"،[3] مِن "الإنشاز والنشوز": التحرُّك والارتفاع. / وهو مِن السبعة أيضًا. [٢٣٩و]

قوله: (تقديره: فلمّا تبيَّن له أنّ الله على كلّ شيء قدير) هذا على تقدير أن يكون المارّ كافرًا.

قوله: (ويجوز: فلمّا تبيَّن له ما أشكَل) على تقدير أن يكون المارّ[4] عُزيرًا أو الخَضِر.

---

[1] ن + أبو.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس والحسن والمفضّل وأبي حَيْوَة والزعفرانيّ وأبان. **شواذ القراءات** للكرماني، ص ٩٨؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٥٣٧.

[3] قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم. **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٨٩.

[4] ر - كافرًا قوله: ويجوز فلمّا تبيَّن له ما أشكل على تقدير أن يكون المارّ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

﴿أَرِنِى﴾: بصِّرني.

**فإن قلتَ**: كيف قال له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ وقد علِم أنّه أثبتُ الناس إيمانًا.

**قلتُ**: ليُجيبَ بما أجاب به؛ ........................................

---

قوله: (**كيف قال؟**) تحقيق هذا الموضع أن نقول: معنى قوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾: أتسأل عن كيفيّة الإحياء ولم تُؤمن بالإحياء؟ فالاستفهام وإن كان داخلًا في التقدير على ذلك المحذوف لكنّه قد تعلّق بقوله: ﴿وَلَمْ تُؤْمِن﴾، فإذا تعلّق[١] الإنكار[٢] بقوله: ﴿لَمْ تُؤْمِن﴾ يلزم بيان إثبات الإيمان، أي: كيف تسأل عن الإحياء مع الإيمان به؟ فكأنّه لا إيمانَ لك به، فأجاب عليه السلام بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ لإيجاب النفي الذي هو في ظاهر اللفظ، أي: بلى آمنتُ. ثمّ قال عليه السلام: ﴿وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾، فهو استدراك عن محذوف، فكأنّه قال: ما سألتُ لعدم الإيمان، ولكن سألتُه[٣] ليطمئنّ قلبي. أو المعنى: ما سألتُ ليحصل لي الإيمان، ولكن سألتُ لتحصل لي طمأنينة القلب. و"الفاء" في ﴿فَخُذْ﴾ جواب شرط محذوف، أي: "إذا أردتَ الطمأنينة فخُذ". و"الفاء" في ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ للعطف على ﴿فَخُذْ﴾.

**واعلم أنّ الصواب أن يقول: الإنكار في ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ بمعنى "لِمَ كان" لا بمعنى "لم[٤] يكن"، فكأنّه قيل: كيف لا[٥] تُؤمن ولِمَ لا تُؤمِن بالإحياء حتّى احتجتَ إلى السؤال عن كيفيّة الإحياء فقال عليه السلام في الجواب: "بلى آمنتُ"، فظهر في "بلى" إيجاب النفي[٦] الذي في ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾. وهذا هو التحقيق، ويظهر منه معنى قول المصنِّف في السؤال: (كيف قال: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾) مع معنى قوله: (ليُجيب)... إلخ.**

---

١ ن ر – داخلًا في التقدير على ذلك المحذوف لكنّه قد تعلّق بقوله: (ولم تؤمن) فإذا تعلّق.
٢ ن: للإنكار.
٣ ن: سألت.
٤ ن ر – كان لا بمعنى لم.
٥ ر: لم.
٦ ن – النفي.

لِمَا فيه من الفائدةِ الجليلة للسامعين.

و﴿بَلَىٰ﴾ إيجابٌ لِمَا بعد النفي، ومعناه: بلى آمنتُ.

﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾: ليَزيد سكونًا وطمأنينةً بمُضامَّةِ علمِ الضرورةِ علمَ الاستدلال، وتظاهُرُ الأدلة أسكنُ للقلوب وأزيدُ للبصيرة واليقين، ولأن علم الاستدلال يجوز معه التشكيكُ، بخلافِ العلم الضروري، فأراد بطمأنينة القلب العلمَ الذي لا مجال فيه للتشكيك.

**فإن قلتَ**: بِمَ تعلَّقت اللام في ﴿لِّيَطْمَئِنَّ﴾؟

**قلتُ**: بمحذوفٍ تقديره: ولكن سألتُ ذلك إرادةَ طمأنينةِ القلب.

﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ قيل: طاوسًا وديكًا وغرابًا وحمامةً.

﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بضمِّ الصاد وكسرها بمعنى: فأَمِلْهُنَّ واضْمُمْهُنَّ إليك، قال:

ولكنَّ أطرافَ الرِّماح تَصُورُها

---

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ "لَمْ"[١] متى دخل على المضارع انقلب ماضيًا. و"الهمزة" للتقرير، تقديره: ما آمنتَ.

قوله: (مِن الفائدة الجليلة[٢] للسامعين) وهو أن يعلموا أنّه إنّما طلب ذلك للطمأنينة لا لأنّه لم يؤمن.

قوله: (بمُضامّة) المضامّة: ضمُّ الشيء إلى الشيء.

قوله:

(ولكنّ أطراف الرماح تصُورها)

أوّله:

وما صَيَدُ الأعناق فيهم جبلَّةٌ "ولكنّ أطراف الرماح تصُورُها"[٣]

---

[١] ر - لم.

[٢] د: الجليّة. خ [اختصارًا مِن "نسخة"].

[٣] ر - أوّله: وما صَيَد الأعناق فيهم جبلّةٌ ولكنّ أطراف الرماح تصورها. | البيت للفرزدق في ديوانه، ١/٢٧٥؛ وهو للأبيرد في مجاز القرآن لأبي عبيدة، ١/٨٤؛ وهو بلا عزو في جمهرة اللغة لابن دريد، «صور» ٢/٧٤٥، والأضداد لابن الأنباري، ص ٣٨، وصدره في المصادر السالفة:

وما تقبل الأحياء من حُبّ خِندِفٍ

وأمّا صدره الذي أورده الجاربردي ههنا فهو ›

وقال:

وفَـرْعٍ يَصيرُ الجيدَ وَحْـفٍ كأنّه    على اللِّيتِ قنْوانُ الكُرُوم الدوالِحُ

وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: "فصُرَّهنَّ" بضمِّ الصاد وكسرِها وتشديدِ الراءِ، من صَرَّه يَصُرُّه ويَصِرُّه: إذا جمعه، نحو: ضرَّه يضُرُّه ويَضِرُّه.

وعنه: "فصَرِّهنَّ" من التَّصْرِية وهي الجمع أيضًا.

﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ يريد: ثم جزِّئْهُنَّ وفرِّق أجزاءهنَّ على الجبال، والمعنى: على كلِّ جبلٍ من الجبال التي بحَضْرتك وفي أرضك.

قيل: كانت أربعةَ أَجْبُل، وعن السدِّي: سَبْعَةً.

﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ وقل لهنَّ: تعالينَ بإذن الله.

﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾: ساعياتٍ مُسرعاتٍ في طيرانهنَّ، أو في مشيهنَّ على أرجلهنَّ.

---

صاره يَصيره، أي: أماله، وكذا "صاره يَصُوره". قال الشاعر:

(وفـرعٍ يَصير الجِيدَ وَحْـفٍ كأنّه    على اللِّيت قِنوانُ الكروم الدوالحُ)[1]

الفـرع: الشَّـعْر التـامّ. ووَحْـف وواحـف، أي: كثيـر. والوَحْـف: الجنـاح الكثيـر الريـش. واللِّيـت بالكسـر: صفحةُ[2] العنـق، وهمـا ليتـان. والقِنـو: العنقـود. والدوالح:[3] المُثقَّلات.

قوله: (قرأ ابن عبّاس "فَصرَّهُنّ") بفتح "الراء".[4]

قوله: (مِن التصرية) صرَّيت الشاة تصرية إذا لـم تحلبها أيّامًا حتّى يجتمع اللّبن في ضَرعها.

---

< مذكور في فتوح الغيب للطِّيبي، ٥١٤/٣.

١ ن: الدوالج. | والبيت بلا عزو في الصحاح للجوهري، «صير»؛ والبسيط للواحدي، ٤٠٣/٤ (البقرة، ٢/٢٦٠). ولبعض بني سليم في معاني القرآن للفرّاء، ١٧٤/١؛ وجامع البيان للطبري، ٦٣٦/٤ (البقرة، ٢/٢٦٠).

٢ ن: صفة.

٣ ن: والدوالج.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس بكسر الصاد وبضمّها. المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٥٣٨-٥٣٩.

**فإن قلتَ**: ما معنى أمرِه بضمّها إلى نفسه بعد أن يأخذها؟

**قلتُ**: ليتأمّلها ويَعرفَ أشكالَها وهيئاتها وحُلَاها؛ لئلا تَلتبِس عليه بعد الإحياء، ولا يتوهَّمَ أنها غيرُ تلك، ولذلك قال: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾.

وروي: أنّه أُمر بأنْ يذبحَها ويَنْتِفَ ريشَها، ويُقطِّعَها ويفرِّقَ أجزاءها، ويَخلط ريشَها ودماءها ولحومَها، وأنْ يُمسِكَ رؤوسها، ثم أُمر أن يجعَل أجزاءها على الجبال على كلِّ جبلٍ رُبعًا من كلِّ طائر، ثم يصيحَ بها: تعالَين بإذن الله، فجعل كلُّ جزء يَطير إلى الآخر حتى صارت جُثَثًا، ثمّ أقبلن فانضَممْنَ إلى رؤوسهنَّ كلُّ جُثَّةٍ إلى رأسها.

وقرئ: ﴿جُزُؤًا﴾ بضمَّتين، و: ﴿جُزًّا﴾ بالتشديد، ووجهه أنه خُفِّفَ بطرح همزته ثم شُدِّدَ كما يُشدَّد في الوقف إجْراءً للوصل مَجرى الوقف.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾

---

قوله: **(ليتأمّلها)** الظاهر يقتضي أن نقول في جواب **(ما معنى أمْره؟)**: "معناه كذا وكذا"، لكنّه عدل إلى المعنى، فإنّ معنى قولك: "ما معنى أَمْره":[١] "لِمَ أَمَره"، فكأنّه قال:[٢] أمره ليتأمّلها.

قوله: **(وحِلاها)**[٣] جمع "حِليَة".

قوله: **(فجَعَل)**، أي: طفق.

قوله: **(إجراءً للوصل مجرى الوقف)**، ونحوه قول القائل:[٤]

مِـثْـلَ الـحـريـق وافـق الـقـصـبّـا[٥]

---

١ ر – معناه كذا وكذا لكنّه عدل إلى المعنى فإنّ معنى قولك: ما معنى أمره.

٢ ر – قال.

٣ ن: وحلالها. | جمع الحلية: حِلى وحُلى بالكسر والضمّ. **تاج العروس** للزَّبيدي، «حلي».

٤ ن ر – قول القائل.

٥ الرجز لربيعة بن صُبح في **سفر السعادة** للسخاوي، ٤٦، ٧٢٦؛ و**ضرائر الشعر** لابن عصفور، ص ٥٠؛ ولرؤبة بن العجّاج في ملحقات **ديوانه**، ص ١٦٩؛ وبلا عزو في **المسائل العسكريات** للفارسي، ص ١٠٧؛ و**المفصَّل** للزمخشري، ص ٤٨٠.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ لا بدَّ من حذف مضافٍ؛ أي: مَثَلُ نفقتهم ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾، أو: مَثَلُهم كمَثَلِ باذرِ حبَّة، والمُنبتُ هو الله ولكنَّ الحبَّة لمَّا كانت سببًا أُسند إليها الإنبات كما يُسنَد إلى الأرض وإلى الماء، ومعنى إنباتها سبعَ سنابل: أن تُخرِج ساقًا يتشعَّب منها سَبْعُ شُعَبٍ لكلِّ واحدةٍ سنبلةٌ، وهذا التمثيلُ تصويرٌ للأضعاف كأنَّها ماثلةٌ بين عيني الناظر.

**فإن قلتَ**: كيف صحَّ هذا التمثيلُ والممثَّلُ به غيرُ موجود.

**قلتُ**: بل هو موجود في الدُّخن والذُّرة وغيرهما، وربَّما فرَّخت ساقُ البُرَّةِ في الأراضي القويَّة المُغِلَّة فيبلغُ حَبُّها هذا المبلغَ، ولو لم يوجد لكان صحيحًا على سبيل الفَرْض والتقدير.

**فإن قلتَ**: هلَّا قيل: "سَبْعَ سُنْبُلاتٍ" على حقِّه من التمييز بجمعِ القلَّة؛ كما قال: ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾؟

**قلتُ**: هذا لِمَا قدَّمتُ عند قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ من وقوع أمثلة الجمع متعاورةً مواقعها.

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ أي: يضاعفُ تلك المضاعفةَ لمن يشاء لا لكلِّ منفِقٍ؛ لتفاوت أحوال المنفِقين، أو: يضاعِفُ سبعَ المئة ويزيدُ عليها أضعافَها لمن يَستوجب ذلك.

**﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾**

---

قوله: (والمُمثَّل)، أي: الممثل به.

قوله: (والذُّرةِ) الذُّرة حبٌّ معروف شبيهٌ بالدُّخن وأصله "ذُرْوٌ" أو / "ذُرَيٌ"، [٢٣٩ظ]
و"الهاء" عِوض.

قوله: (على حقِّه) حال مِن (سبع). والضميرُ مِن "حقِّه" يعود إلى "سبع"، أي: مستقرًّا على حقِّه، و(مِن التمييز) بيان "حقِّه".

"المنُّ": أَنْ يَعتدَّ على مَن أحسنَ إليه بإحسانه ويُرِيَهُ أنّه اصطنعَه وأوجب عليه حقًّا له، وكانوا يقولون: إذا صنعتُم صنيعةً فانْسَوها، ولبعضهم:

وإنَّ امرأً أسدَى إلي صنيعةً وذكَّرنِيها مَرَّةً لبَخِيلُ

وفي نوابغِ الكَلِم: «صنوانِ: مَن مَنَحَ سائلَه ومَنَّ، ومن مَنعَ نائلَه وضَنَّ».

وفيها: «طَعْم الآلاء أحلى من المنِّ، وهي أمرُّ من الألاء مع المنِّ».

و"الأذى": أن يتطاوَل عليه بسببِ ما أزلَّ إليه.

ومعنى ﴿ثُمَّ﴾: إظهارُ التفاوت بين الإنفاقِ وترك المنِّ والأذى، وأنَّ تركهما خيرٌ من نفس الإنفاق؛ كما جَعَل الاستقامةَ على الإيمان خيرًا من الدخول فيه

---

قوله: (إذا صنعتُم صنيعةً[1] فانسَوها) قال عليه السلام: «المِنّة تهدم الصنيعة».[2] وفي المثل: «تعداد المِنّة مِن ضعف المُنّة»،[3] أي: القوّة.

قوله: (ولبعضهم) أراد نفسه.

قوله: (وفي نوابغ[4] الكلم)[5] نوابغ الكلم كتاب للزمخشري.

قوله: (وفيها)، أي: في نوابغ الكلم.[6]

قوله: (طعمُ الآلاء) الآلاء النعم واحدها "ألًا" بالفتح.

قوله: (مِن الألاء)[7] بوزن "فعال": شجر حَسَن المنظر مُرُّ الطعم.

قوله: (ما أزلّ) مِن قولهم: "أزللتُ إليه نعمةً"، أي: أعطيتُه.

قوله: (ومعنى ﴿ثُمَّ﴾)، أي: في ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ﴾.

قوله: (إظهار التفاوت)، أراد تراخي المرتبة.

---

١ ن ر - صنيعة.

٢ لم أجده في مظانّه. وهو في المجالسة وجواهر العلم للدِّينوري، ٣/٧١ (٦٨٤).

٣ ما وقفتُ عليه فيما بين يديّ مِن كتب الأمثال. وهو في غرر الخصائص الواضحة للوطواط، ١/ ٣٢٤.

٤ ن: توابع.

٥ انظر: النعم السوابغ في شرح النوابغ للتفتازاني، ص ١٤١.

٦ ن ر - نوابغ الكلم كتاب للزمخشري قوله: (وفيها)، أي: في نوابغ الكلم.

٧ انظر: النعم السوابغ في شرح النوابغ للتفتازاني، ص ٢٠١.

بقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت ٤١/٣٠].

**فإن قلتَ:** أيُّ فرق بين قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ وقوله فيما بعدُ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة ٢/٢٧٤]؟

**قلتُ:** الموصولُ لم يُضمَّن هاهنا معنى الشرط، وضُمِّنه ثمةَ، والفرقُ بينهما من جهة المعنى: أن الفاء فيها دلالةٌ على أن الإنفاق به استُحِقَّ الأجرُ، وطرحُها عارٍ عن تلك الدلالة.

**﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾**

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: ردٌّ جميلٌ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: وعفوٌ عن السائل إذا وُجد منه ما يَثقلُ على المسؤول، أو: ونَيلُ مغفرةٍ من الله بسببِ الردِّ الجميل، أو: وعفوٌ من جهة السائل؛ لأنه إذا ردَّه ردًّا جميلًا عذَرَه.

﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ وصحَّ الإخبار عن المبتدأ النكرةِ لاختصاصه بالصفة.

﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ لا حاجة به إلى منفِقٍ يمُنُّ ويؤذي.

﴿حَلِيمٌ﴾ عن معاجلته بالعقوبة، وهذا سَخَطٌ منه ووعيدٌ له، ثم بالغَ في ذلك بما أتبعه بقوله:

**﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾**

---

قوله:[١] (بقوله:[٢] ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾[٣] [فصلت ٤١/٣٠])، أراد تراخي المرتبة.

قوله: (**أو وعَفوٌ مِن جهة السائل**)، أي: عفوٌ صادر عن السائل.

قوله: (**إذا ردّه**)، أي: السائل.

قوله: (**عَذَره**)، أي: عَذَر السائل المسئول.

---

[١] ن ر + إليه نعمة.

[٢] ن – بقوله.

[٣] ر – بقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ﴾؛ أي: لا تُبطِلوا صدقاتكم بالمنِّ والأذى كإبطالِ المنافق الذي ينفق ماله ﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ لا يريد بإنفاقه رضاء الله ولا ثوابَ الآخرة.

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ﴾ مَثَلُهُ ونَفَقَتَه التي لا يَنتفِعُ بها البتة بـ﴿صَفۡوَانٍ﴾: بحجرٍ أمْلَسَ عليه تُرابٌ، وقرأ سعيد بن المسيِّب: "صَفَوانٍ" بوزنِ كَرَوان.

﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾: مطرٌ عظيمُ القَطْر ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلۡدًا﴾ أَجْردَ نقيًّا من التراب الذي كان عليه، ومنه: صَلَدَ جبينُ الأصلع: إذا بَرَقَ.

﴿لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ كقوله: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان ٢٥/٢٣].

ويجوز أن تكون الكاف في محل النصب على الحال؛ أي: لا تُبطلوا صدقاتكم مماثِلِين الذي ينفق.

**فإن قلتَ**: كيف قال: ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ﴾ بعد قوله: ﴿كَٱلَّذِي يُنفِقُ﴾؟

**قلتُ**: أراد بـ"الذي ينفقُ" الجنسَ، أو: الفريقَ الذي يُنفق، ولأن "مَن" و"الذي" يتعاقبان فكأنَّه قيل: كمَن يُنفق.

---

قوله: (**كإبطال المنافق**) "الكاف" في محلّ النصب صفة مصدر محذوف.

قوله: (﴿**رِئَآءَ ٱلنَّاسِ**﴾)، أي: مُراءاة لهم بصدقته، وهو مفعول له.

قوله: (﴿**صَلۡدًا**﴾) حجر صلدٌ، أي: صلب أملسُ.

قوله تعالى: (﴿**لَّا يَقۡدِرُونَ**﴾)، أي: لا ينتفعون بما فعلوه رياءً، ولا يجدون ثوابه.

قوله: (**ويجوز**) عطف على قوله: "كإبطال" لأنّه إشارة إلى أنّه منصوب على المصدر.

قوله: (**على الحال**)، أي: مِن الفاعل.

قوله: (**فكأنّه قيل: كمَن ينفق**) وهي مشترك الدلالة، إذ يصحُّ إطلاقه على المفرد والتثنية والجمع.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: وليُثبِّتوا منها ببذلِ المالِ الذي هو شقيقُ الروح، وبَذْلُه أشقُّ شيءٍ على النفس على سائر العبادات الشاقَّة وعلى الإيمان؛ لأن النفس إذا رِيضَتْ بالتحامُل عليها وتكليفِها ما يَصْعب عليها ذَلَّت خاضِعَةً لصاحبها،

قوله: (وليُثبِّتوا)، أي: هو مفعول له لعطفه على قوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾.

قوله: (شقيق الروح)[١] إذا انشقّ الشيء بنصفين فكلٌّ منهما شقيق الآخر. ومنه قيل: "فلان شقيق فلان"، أي: أخوه.

قوله: (وبذله أشقُّ شيء)[٢] عطف على الصلة، فهو أيضًا صلة، يعني أنّك إذا فصّلت الأشياء شيئًا شيئًا يكون البذل أشقُّ[٣] مِن كلّ واحدٍ واحدٍ،[٤] كقولك:[٥] "زيدٌ أفضلُ رجل"، يكون المعنى تفضيله على جميع الرجال إذا فصّلت[٦] الرجال رجلًا رجلًا.

قوله: (على سائر العبادات) متعلِّق بقوله: "ليُثبِّتوا".

قوله: (لأنّ النفس)... إلخ، تعليل وبيان لقوله: "ليُثبِّتوا"... إلخ، وقوله: (فكان) كالنتيجة لهذا التعليل.

قوله: (بالتحامل عليها) يقال: "تحاملتُ على نفسي" إذا تكلّفت الشيء على مشقّة. فقوله: "بالتحامل عليها"، أي: بتكلُّف الأشياء الشاقّة. وتحقيقُه: حملُ الأشياء على النفس بتكلُّف. والتحامل في المشي:[٧] أن يتكلّفه على مشقّة وإعياء، يقال: "تحاملت في المشي".[٨] ومنه قولهم: "ربّما يتحامل الصيدُ ويطير"،

١ ر: الزوج.

٢ ر: بني.

٣ ن: أسوة.

٤ ن - واحد.

٥ ن: كقوله.

٦ ر - الأشياء شيئًا شيئًا يكون البذل أشقُّ مِن كلّ واحد واحد كقولك: زيد أفضل رجل يكون المعنى تفضيله على جميع الرجال إذا فصّلت.

٧ ن ر: الشيء.

٨ ن ر: الشيء.

**وقَلَّ طمعُها في اتِّباعه لشهواتها، وبالعكس، فكان إنفاق المال تثبيتًا لها على الإيمان واليقين.**

**ويجوز أن يراد: وتصديقًا للإسلام، وتحقيقًا للجزاء من أصل أنفسهم؛ لأنه إذا أَنفق المسلمُ مالَه في سبيل الله عُلم أن تصديقه وإيمانَه بالثواب من أصلِ نفسه ومن إخلاص قلبه.**

**و﴿مِنْ﴾ على التفسير الأول للتبعيض؛ مِثْلُها في قولهم: هَزَّ من عِطْفه، وحَرَّكَ من نشاطِهِ.**

**وعلى الثاني لابتداء الغاية؛ كقوله تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾** [البقرة ١٠٩/٢].

---

أي: يتكلَّف الطيرانَ. والتحامل أيضًا: الظلم، يقال: "تحامَل عليّ فلان" إذا لم يعدِل. وكلاهما مِن الحمل، إلّا أنّ الأوّل يحمِل نفسه على تكلُّف المشي،[١] والثاني يحمِل الظلمَ على الآخر.

قوله: (وبالعكس) عطف على خبر "أنّ"،[٢] أي: ولأنّ النفس مُلتبِسة بالعكس ممّا ذُكر، وهو أنّها إذا لم تُرَض ولم تُكلَّف صعُبت على صاحبها وقوِيَ طمعها في اتّباع صاحبه لشهواتها.

قوله: (ويجوز) عطف على قوله: "وليُثبِّتوا"... إلخ،[٣] ففسَّر هنا ﴿تَثْبِيتًا﴾ بـ(تصديقًا) و(تحقيقًا)؛ / لأنّ مَن صدّق الإسلام فقد ثبّته وحقّقه، ومَن ثبّته فقد صدّقه وحقّقه. [٢٤٠و]

قوله: (و﴿مِنْ﴾ على التفسير الأوّل للتبعيض) كأنّه تعدّى بغير واسطة، فيكون ظرفًا ملغًى، إذ الجارّ متعلِّق بـ﴿تَثْبِيتًا﴾.

قوله: (وعلى الثاني لابتداء الغاية)، أي: لا بدّ مِن الواسطة، فيكون ظرفًا مستقرًّا، ومعناه: تصديقًا حاصلًا مِن أنفسهم.

---

١ ن: الشيء.
٢ ر – أنّ.
٣ ن ر – لشهواتها قوله: (ويجوز) عطف على قوله: (وليثبتوا)... إلخ.

ويحتمِلُ أن يكون المعنى: وتثبيتًا من أنفسهم عند المؤمنين أنها صادقةُ الإيمان مخلِصَةٌ فيه، وتعضدُه قراءة مجاهد: "وتبيينًا من أنفسهم".

**فإن قلتَ**: فما معنى التبعيض؟

**قلتُ**: معناه: أن مَن بَذَل مالَه لوجهِ الله تعالى فقد ثبَّتَ بعضَ نفسه، ومَن بذل ماله وروحَه معًا فهو الذي ثبَّتها كلَّها: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾ [الصف ١١/٦١].

والمعنى: ومَثَلُ نفقةِ هؤلاء في زكائها عند الله ﴿كَمَثَلِ جَنَّةِۭ﴾ وهي البستان ﴿بِرَبۡوَةٍ﴾: بمكانٍ مرتفعٍ، وخصَّها لأن الشجر فيها أزكى وأحسنُ ثمرًا ﴿أَصَابَهَا وَابِلٞ﴾: مطرٌ عظيمُ القَطْرِ ﴿فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا﴾: ثمرتَها ﴿ضِعۡفَيۡنِ﴾: مثلَيْ ما كانت تُثمر

---

قوله: (**ويحتمل**)... إلخ، ﴿مِنۡ﴾ لابتداء الغاية لا للتبعيض.

قوله: (﴿**وَتُجَٰهِدُونَ**﴾ [الصف ١١/٦١]) استشهاد.

قوله: (**والمعنى: ومَثَلُ نفقةِ هؤلاء**) يعني أنّ المضاف محذوف.

قوله: (**في زَكائها**)، أي: في نمائها، يقال: "زكى الزرع" إذا نما.

قوله: (**أزكى**)، أي: أنمى.

قوله تعالى: (﴿**أُكُلَهَا**﴾) بضمّ "الكاف" وسكونها قُرئا في السبعة.[1]

قوله في تفسير ﴿ضِعۡفَيۡنِ﴾: (**مِثلَي ما كانت**) خلافُ ما هو المذكور في **كُتب الفقه** في مذهب الشافعيّ،[2] حيث ذكر أنّ ضِعف الشيء مثلاه وضعفيه ثلاثةُ أمثاله.[3] قال في **الصحاح**: «ذَكَر الخليل أنّ التضعيف أن يُزاد على[4] أصل الشيء فيجعل مثلين أو أكثر، وكذلك الإضعاف والمضاعفة. يقال: "ضعَّفتُ الشيء وأضعفتُه وضاعفتُه". وضِعف الشيء: مِثله. وضعفاه: مِثلاه.[5] وأضعافه: أمثاله.

---

١ قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائيّ بالضمّ والباقون بالسكون. السبعة لابن مجاهد، ص ١٩٠.

٢ ر + رضي الله عنه.

٣ انظر: **الأمّ** للشافعي، ١٨٩/٥؛ **والمهذَّب** للشيرازي، ٧٣٣/٣.

٤ ر - على.

٥ ن: مثلًا.

وقوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء ١٧/٧٥]، يعني: ضعف العذاب حيًّا وميّتًا. يقول: أضعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة».[١] قال المُطرّزي في المُغرِب: «عن أبي يوسف: "عليّ لفلان دراهمُ مضاعفةٌ"، فعليه ستة دراهم، وإن قال: "أضعاف مضاعفةٌ" فله عليه ثمانيةَ عشرَ،[٢] لأنّ أضعاف الثلاثة ثلاثةٌ ثلاثَ[٣] مرّات، ثمّ أضعفناها مرّة أخرى لقوله: "مضاعفة".[٤] وعن الشافعيّ: رجل أوصى فقال: "أعطوا فلانًا ضعفَ ما يصيب ولدي"، فقال: "يُعطى مثله مرّتين". ولو قال: "ضعفَي ما يصيب ولدي"[٥] يُنظر إن أصابه مئة أعطيتَه ثلاث مئة.[٦] ونظيره ما روى أبو عمرو عن أبي عبيدةَ في قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب ٣٣/٣٠]، قال: معناه يجعل الواحد ثلاثة، أي: تُعذّب ثلاثة[٧] أعذِبة.[٨] وأنكره الأزهريّ، وقال: هذا الذي يستعمله الناس[٩] في مجاز كلامهم[١٠] وتعارفهم، وإنّما الذي قال حُذّاق النحويّين: "إنّها تُعذّب مِثلي عذاب غيرها"؛ لأنّ الضِعف في كلام العرب: المِثل إلى ما زاد، وليست تلك الزيادة بمقصورة على مثلين، فيكون ما قاله أبو عبيدةَ صوابًا.[١١] وبهذا عرف أنّ ما قاله الفقهاء عُرفٌ عاميّ».[١٢]

ثم اعلم[١٣] أنّ تفسير "ضعفيه" على هذا: مثلين، لكن لمّا كان[١٤] في المِثلين إبهام،[١٥] إذ لا يُعلم أنّه مِثلا أيّ شيءٍ، قال: "مثلي[١٦] ما كانت تثمر"، أي: تثمر[١٧]

---

١ الصحاح للجوهري، «ضعف».

٢ ر – عشر.

٣ ن – مضاعفةٌ فله عليه ثمانية عشر، لأنّ أضعاف الثلاثة ثلاثةٌ ثلاثَ.

٤ انظر: عيون المسائل للسمرقندي، ص ٤٦٤-٤٦٥.

٥ ر – فقال: يُعطى مثله مرّتين، ولو قال: ضعفي ما يصيب ولدي.

٦ انظر: الأمّ للشافعي، ١٨٩/٥.

٧ ن – أي: تُعذّب ثلاثة.

٨ انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة، ١٣٦/٢.

٩ ر – الناس.

١٠ في هامش د: في مجاري كلامهم. خ [اختصارًا من "نسخة"].

١١ انظر: الزاهر للأزهري، ص ٣٧٣-٣٧٤.

١٢ ن: عام. | المُغرِب للمُطرّزي، «ضعف».

١٣ ر: قال.

١٤ ر: قال.

١٥ د ن ر: إبهامًا.

١٦ ن: بمثلي.

١٧ ر – أي: تثمر.

بسببِ الوابل ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: فمطرٌ صغيرُ القَطْر يكفيها؛ لِكَرم مَنْبِتها.

أو مُثِّل حالُهم عند الله بالجنَّة على الرَّبوة، ونفقتُهم الكثيرةُ والقليلةُ بالوابل والطلِّ، وكما أنَّ كلَّ واحدٍ من المطرَيْنِ يُضَعِّفُ أُكُلَ الجنَّةِ، فكذلك نفقتُهم كثيرةً كانت أو قليلةً -بعدَ أنْ يُطلَبَ بها وجهُ الله تعالى ويُبذَلَ فيها الوسعُ- زاكيةٌ عند الله زائدةٌ في زُلفاهم وحُسْنِ حالهم عنده.

وقرئ: "كمَثَلِ حبَّةٍ"، و: "بِربْوَةٍ" بالحركات الثلاث، و﴿أُكُلَهَا﴾ بضمَّتين.

**﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾**

---

قبل ذلك مِن السنين، أو تثمر لولا الوابل. هذا تقرير كلامه. ويحتمل: مِثلي ما كانت تثمر غيرُها مِن الجنان. وقوله: "ما كانت تثمر"،[١] أي: تثمره، فالعائد محذوف.

قوله: (لكرم منبتها)، أي: لحُسن منبتها. والكريم[٢] مِن كلِّ شيء: أحسنه.

قوله: (أو مثّل) عطف على "ومَثَل نفقة هؤلاء". قيل: على الوجه الثاني تشبيه المفرد بالمفرد،[٣] بخلاف الأوّل، أو مثَّل حالهم، أي: شبّه صفتهم، فالحال ههنا تفسير لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ﴾.[٤] وقوله: (بالجنة)، أي: بحال الجنة؛ لأنَّ المَثل شبّه في الآية / بالمَثل، والمَثل قد فسّره ههنا بالحال، فيكون معنى كلام المصنّف ههنا:[٥] [٢٤٠ظ] شبّه حالهم بحال الجنّة، لكنّه لم يصرِّح به المصنِّف لظهوره. ولمّا كان حالهم، أي: صفتهم مشبَّهًا بحال الجنّة،[٦] أي: بصفتها يكون مشبَّهين بالجنّة لا محالةَ، ثمّ أشار إلى أنّ المراد بالوابل والطلّ على هذا التفسير نفقتهم الكثيرة والقليلة. ثم اعلم أنّه لا يُحتاج في هذا التفسير إلى تقدير المضاف كما في الأوّل. فتأمّل.

قوله: (في زُلفاهم)، أي: قربهم.

---

١ ن – تثمر.
٢ ن ر: الكرم.
٣ ن ر – بالمفرد.
٤ ر – ﴿مَثَلُ﴾.
٥ ن: هنا.
٦ ر – لكنّه لم يصرِّح به المصنِّف لظهوره ولما كان حالهم، أي: صفتهم مشبَّهًا بحال الجنّة.

الهمزة في ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ للإنكار.

وقرئ: "له جنّات" و: "ذريّة ضِعَافٌ".

و"الإعصارُ": الريحُ التي تستدير في الأرض ثم تسطَعُ نحو السماء كالعمود، وهذا مَثَلٌ لمن يعملُ الأعمال الحسنةَ لا يبتغي بها وجهَ الله تعالى، فإذا كان يوم القيامة وَجَدَها مُحْبَطَةً، فيتحسَّرُ عند ذلك حسرةَ مَن كانت له جنّةٌ من أَبْهى الجنان وأَجْمعِها للثمار، فبلغَ الكِبَرَ وله أولادٌ ضِعافٌ والجنّةُ معاشُهم ومُنْتَعَشُهم فهلكت بالصاعقة.

وعن عمر رضي الله عنه: أنه سأل عنها الصحابة فقالوا: الله أعلم! فغَضِب وقال: قولوا نَعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس رضي الله عنه: في نفسي منها شيءٌ يا أمير المؤمنين، قال: قل يا ابن أخي ولا تَحقِرْ نفسك، قال: ضُرِبَ مثلًا

---

قوله: (وقرئ "لَهُ جَنَّاتٌ")[1] مكان ﴿لَهُۥ جَنَّةٌ﴾.

قوله: ("ضِعافٌ")[2] مكان[3] ﴿ضُعَفَآءُ﴾.

قوله: (تسطَعُ)، أي: ترتفع.

قوله: (أبهى) مِن "بَهي الرجل" بالكسر.

قوله: (معاشُهم) المَعاش اسم مِن العيش، وهو: الحياة. و(مُنتعَشهم)، أي: موضع انتعاشهم،[4] أي: صلاح عيشهم.

قوله: (وعن عمرَ رضي الله عنه)...[5] إلخ، هذا عطف على قوله: (وهذا مثل)... إلخ،[6] لأنّ "هذا" إشارة إلى وجه آخر. وقوله: (عنها)، أي: عن تلك الآية.

قوله: (ضُرب مثلًا) معناه هذا مَثَل ضربه الله تعالى فقال: أيودُّ أحدكم أن يكون عمرُه كلُّه لله تعالى، يعمل عمل أهل الخير وعمل أهل السعادة حتّى إذا كان

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن. شواذّ القراءات للكرماني، ص ١٠٠.

٢ قراءة شاذّة، غير منسوبة. المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٥٤٢.

٣ ن ر - (ضعافٌ) مكان.

٤ ر: لمعاشهم.

٥ د - رضي الله عنه.

٦ ن ر - هذا عطف على قوله: (وهذا مثل)... إلخ.

لعمل، قال: أيّ عملٍ؟ قال [ابن عباس: لعمل، قال عمر]: لرجلٍ غنيّ يعمل الحسنات، ثم بعث الله له الشيطانَ فعمل بالمعاصي حتى أغرَق أعمالَه كلَّها.

وعن الحسن رضي الله عنه: هذا مثلٌ قلَّ والله مَن يعقلُه من الناس، شيخٌ كبيرٌ ضعُف جسمه وكثرَ صِبيانهُ، أفقرُ ما كان إلى جنّته، وإنّ أحدكم والله أفقرُ

---

أحوَج ما يكون إلى أن يختم بعد عمله بخير حين فنيَ عمره واقترب أجله، يعمل عمل أهل الشقاوة وعمل أهل النار ويختم به عمله، فأفسد ذلك عملَه كلّه، كما لو كان لأحدهم جنّة مِن نخيل وأعناب... الآية، فأتاها نار فأحرقتها.

وقوله: (لِعمل)، أي: لصاحب عمل.

قوله:[١] (غُنيَ بعمل الحسنات)، أي: اهتمّ وصُرفت عنايته إليها.

قوله: («شيخٌ كبير») بيانُ المَثل: شيخٌ كبير مبتدأ، و(«أفقرُ ما كان») خبره، وهذا بيانُ المشبَّه به. ثمّ شرع في بيان المشبَّه بقوله: («وإنّ أحدكم»)... إلخ،[٢] وقوله: "أفقر ما كان":

إن رُوي بفتح[٣] "أفقر" فـ"شيخٌ" مبتدأ، "كبير" صفته، («ضعُف جسمه») خبره. و(«كثُر صبيانه»)[٤] عطف على الخبر، و"أفقر" ظرف "ضعُف" و"كثُر"، و"ما" مصدريّة، و"كان" تامّة، و(إلى) متعلِّق بـ"أفقر"، والوقت مقدَّر "قبل ما كان"، أي: "أفقرَ أوقات وُجودِه". ولمّا كان "أفقر" اسم التفضيل، وهو إذا أضيف إلى شيء يكون بمعناه يئول المعنى إلى قولك: "ضعُف في وقت أفقرِ أوقاته إلى جنّته"، وإسنادُ الفقر إلى الوقت يكون مجازًا، كما في "أخطَبُ ما يكون الأمير قائمًا".

وأمّا إن رُويَ بضمّ "أفقر" فـ"شيخ" مبتدأ، ما بعده صفته، و"أفقر" خبره، والمضاف[٥] محذوف مِن المبتدأ،[٦] والتقدير: "وقتُ شيخ كبير أفقرُ أوقاته إلى الجنّة". ويحتمل أن يقال: على تقدير ضمّه أيضًا: "شيخ" مبتدأ، ما بعده صفته،

---

١ ن ر – (ضُرب مثلًا)... عمل. قوله.
٢ ما وقفت عليه فيما بين يديّ ممّا سبق الكشّاف مِن المظانّ.
٣ ر – بفتح.
٤ ن ر + خبره.
٥ ر: مبتدأ.
٦ ر – المبتدأ.

**ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا.**

---

و"أفقر" خبر مبتدأ محذوف، والجملة خبر المبتدأ، أي:[١] "شيخٌ كبير ضَعُف جسمه وكثُر صبيانه، هذا الوقتُ أفقر أوقاته إلى الجنّة". وعلى تقدير الفتح "شيخ" مبتدأ، "أفقر" خبره، أي: حاصلٌ في أفقر أوقاته.

والأَولى أن يقال: "شيخ" خبر مبتدأ والمضاف محذوف منه، أي: "هذا مَثَلُ شيخ كبير"، فإنّه لمّا قيل: (**«هذا مَثَل»**)[٢] إلى قوله: (**«الناس»**)، فكأنّ سائلًا سأل وقال: هذا مَثَلُ مَن؟ فقيل: "هذا مَثَل شيخ" ثمّ حُذف المبتدأ والمضاف إلى الخبر. وقوله: "ضعُف" و"كثُر" صفتان لـ"شيخ"، وكذا "أفقر" بالرفع وهو مضاف إلى "ما" وهو نكرة بمعنى "شيء"، و"كان" تامّة صفته و"إلى" متعلِّق بـ"أفقر". وإن رُوي / "أفقر" نصبًا فهو حال مِن الضمير في "كثُر" أو "ضعُف". [٢٤١و]

واعلم أنّ في جميع الوجوه المذكورة في بيان قول الحسن نظرًا؛ بل كلّه خطأ، فالوجه هو ما كتبناه[٣] في آخر هذه الصفحة فاصفح عن[٤] غيره واعتمد[٥] عليه. اعلم أنّ الصواب في بيان قول الحسن[٦] أن نقول: "شيخ"[٧] مبتدأ ما بعده صفاته، و"أفقرُ" بالرفع خبره، و"ما" نكرة بمعنى "شيء"، و"كان" تامّة صفة "ما"، و"إلى" متعلِّق بـ"أفقر"، أي: الشيخ الموصوف بهذه الصفات الثلاثة أفقرُ إلى جنّته مِن جميع الأشياء، وإن قرئ "أفقرَ"[٨] بالفتح فكذا "شيخٌ" مبتدأ، ما بعده صفته، و"أفقرَ" ظرف في محلّ الخبر، و"ما" مصدريّة والزمان معه محذوف، أي: الشيخُ الموصوف حاصلٌ وواقعٌ في أفقر أوقاته إلى جنّته، ثمّ عطف على هذه الجملة جملة قوله: "وإن أحدكم"... إلخ، فـ"أفقرُ" خبر "إنّ"، و"ما" نكرة بمعنى "شيء"، و(**يكون**) صفة "ما"، و(**إلى**) متعلِّق بـ"أفقر"، و(**إذا**) ظرف "أفقر"، أي:

---

١ ن ر - أي.
٢ ن: مثله.
٣ ن: كتبنا.
٤ ن - عن.
٥ ن ر: واشهد.
٦ ر + رحمة الله عليه.
٧ ر - شيخ.
٨ ن ر - أي: الشيخ الموصوف بهذه الصفات الثلاثة أفقر إلى جنّته مِن جميع الأشياء وإن قرئ: "أفقر".

**فإن قلتَ:** كيف قال ﴿جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ ثم قال: ﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؟

قلتُ: النخيل والأعناب لمَّا كانا أكرمَ الشجر وأكثرَها منافعَ خصَّهما بالذكر، وجعَل الجنَّة منهما -وإن كانت محتويةً على سائر الأشجار- تغليبًا لهما على غيرهما، ثمَّ أردفهما ذكرَ كلِّ الثمرات.

ويجوز أن يريد بالثمرات: المنافعَ التي كانت تحصل له فيها؛ كقوله: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ [الكهف ١٨/٣٤] بعد قوله: ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ [الكهف ١٨/٣٢].

**فإن قلتَ:** علامَ عُطف قولُه: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾؟

قلتُ: الواو للحال لا للعطف، ومعناه: أن تكون له جنَّةٌ وقد أصابه الكبرُ.

وقيل: يقال: وَدِدْتُ أن يكون كذا، و: ودِدْتُ لو كان كذا، فحُمل العطف على المعنى؛ كأنَّه قيل: أيودُّ أحدكم لو كانت له جنَّةٌ وأصابه الكبرُ.

**﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾**

---

إنّ كلّ واحد منكم أفقرُ مِن جميع الأشياء إلى عمله حينَ انقطاعه عن الدنيا. وهذا هو الوجه لبيان هذا الكلام، لا[1] ما كُتب قبلَ ذلك مِن **الحواشي**.

قوله: (﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ [الكهف ١٨/٣٤])،[2] أي: ذهب وفضّة مِن منافعَ أخَرَ.

قوله: **(فإن قلتَ: علامَ عطف قوله: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾)**، أي: ﴿تَكُونَ﴾ مضارع ﴿وَأَصَابَهُ﴾ ماضٍ، فكيف جاز العطف عليه؟

قوله: **("الواو" للحال)** وذو الحال ﴿أَحَدُكُمْ﴾.

قوله: **(كأنّه قيل: أيودّ أحدكم لو كانت له جنّةٌ وأصابه الكبر)** فتكون "الواو" للعطف على ﴿أَن تَكُونَ﴾ بتأويل "لو كانت".

---

[1] ن ر – لا.

[2] ن: ثمن.

﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾: من جيادِ مكسوباتكم.

﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم﴾ من الحبِّ والثمر والمعادن وغيرها.

فإن قلتَ: فهلَّا قيل: "وما أخرجنا لكم" عطفًا على ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ حتى يشتمِل الطيِّبُ على المكسوبِ والمُخرَجِ من الأرض.

قلتُ: معناه: ومن طيِّبات ما أخرجنا لكم، إلَّا أنه حُذف لذكر الطيِّبات.

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ﴾: ولا تقصدوا المالَ الرديء ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾: تخصونه بالإنفاق، وهو في محلِّ الحال.

وقرأ عبد الله: "ولا تأمَموا"، وقرأ ابن عباس: "ولا تُيَمِّموا" بضمِّ التاء، ويَمَّمَه وتيمَّمه وتأمَّمه سواءٌ في معنًى: قصدِه.

﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾: وحالُكم أنكم لا تأخذونَه في حقوقكم ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾: إلا بأنْ تتسامحوا في أخذِه وتتَرخَّصوا فيه، من قولك: أَغْمَضَ فلانٌ عن بعضِ حقِّه، إذا غَضَّ بصَرَه، ويقال للبائع: أَغْمِضْ؛ أي: لا تَسْتَقْصِ كأنَّك لا تَبْصِر،

---

قوله تعالى: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ وَرَد في خاطري أنّ المراد بـ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ مالُ التجارة.

قوله: (وغيرِها)، أي: الرِّكاز.

قوله: (معناه)... إلخ، حاصلِ الجواب أنّه لو قيل: "وما أخرجنا" لكان "الطيبات" متعلِّقًا بالثاني بالتبعيّة، فأُريد تعلّقه به مستأنفًا، أي: بطريق الاستقلال،[١] فقيل: ﴿وَمِمَّا﴾،[٢] أي: "ومن طيِّبات".

قوله: (﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ تخصُّونه بالإنفاق) هذا التقديم للتخصيص والضمير في تخصُّونه يعود إلى الخبيث.

قوله: (وهو في محلّ الحال) الجملة حال مقدَّرة مِن الضمير في ﴿تَيَمَّمُوا۟﴾.

قوله: (وتترخَّصوا)، أي: لم تستقصوا، والرُّخصة في الأمر: خلاف التشديد فيه.

---

١ ن: الاستقبال؛ ر: بالاستقبال.   ٢ ن: وهما.

وقال الطِّرِمَّاحُ:

لَـم يَفُتْنَا بِالوترِ قومٌ وللضَّيْـ ـمِ رِجالٌ يرضَون بالإغمَاض

وقرأ الزهري: "تُغَمِّضُوا"، وأَغْمَض وغَمَّض بمعنًى.

وعنه: "تَغمُضُوا" بضم الميم وكسرها، من غَمَض يَغمُض ويَغْمِض.

وقرأ قتادة: "تُغْمَضُوا" على البناء للمفعول، بمعنى: إلَّا أن تُدْخَلُوا فيه وتُجْذَبُوا إليه، وقيل: إلَّا أنْ تُوجَدُوا مُغْمِضِين.

وعن الحسن رضي الله عنه: لو وجدْتُموه في السُّوق يباع ما أخذتُموه حتَّى يُهْضَمَ لكم من ثَمَنِهِ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا يتصدَّقون بحَشَفِ التمر وشِرارِهِ فنُهوا عنه.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾

---

وقد رخَّص له في كذا ترخيصًا فترخَّص هو فيه، أي: لم يستقصِ. والرُّخص: ضدّ الغلاء. وقد رخُص[1] السعرُ وأرخصه الله[2] فهو رخيص.[3]

قوله:

(لـم يُفُتْنا بالوِتر قَوم وللضَّيْـ ـم رجالٌ[4] يرضَونَ بالإغماض)[5]

"لم يَفُتْنا"، أي: لم يسبقنا. "بالوتر"، أي: بالحقد والثأر. "رجال"، أي: رجال غيرنا يرضون ونحن لا نرضى ضيمَ الغير.

قوله: (بمعنى إلّا أن تُدخلوا فيه) الظاهر أنّ قراءة قتادةَ[6] بطريق تضمين الإغماض معنى الإدخال والجذب.

---

[1] ر + الخبر.

[2] ن + تعالى.

[3] انظر: **الصحاح** للجوهري، «رخص».

[4] ن + أي: رجال.

[5] البيت للطِّرِمّاح بن حكيم في ديوانه، ص ١٧٦؛ وهو له في **المقاصد الشافية** للشاطبي، ١٠٠/٦.

[6] قراءة شاذّة، مرويّة عن قتادة وأبي مِجلز. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٥٤٣.

أي: ﴿يَعِدُكُمُ﴾ في الإنفاق ﴿ٱلْفَقْرَ﴾ ويقول لكم: إنَّ عاقبة إنفاقكم أن تفتقِروا.

وقرئ: "الفُقْرَ" بالضمّ، و: "الفَقَرَ" بفتحتين.

والوَعْدُ يُستعمل في الخير والشرّ، قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الحج ٢٢/٧٢].

﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: ويُغريكم على البُخل ومنعِ الصدقات إغراءَ الآمرِ للمأمور، والفاحشُ عند العرب: البَخِيل.

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ في الإنفاق ﴿مَّغْفِرَةً﴾ لذنوبكم وكفّارةً لها ﴿وَفَضْلًا﴾: وأنْ يُخْلِفَ عليكم أفضلَ مما أنفقتُم، أو: وثوابًا عليه في الآخرة.

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ﴾: يوفِّقُ للعلم والعمل به، والحكيم عند الله: هو العالم العامل.

وقرئ: ﴿ومَن يؤتِ الحكمةَ﴾ بمعنى: ومَن يؤتِهِ اللهُ الحكمةَ، وهكذا قرأ الأعمشُ.

و﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾ تنكيرُ تعظيمٍ؛ كأنّه قال: فقد أُوتي أيَّ خيرٍ كثيرٍ.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يريد: ..............................

---

قوله: (وقرئ "الفُقْرَ"[١] بالضمّ و"الفَقَرَ")[٢] كـ"البُخْل" و"البَخَل".[٣]

قوله: (و"الوعد" يستعمل في الخير والشرّ) قال الفرّاء: يقال: وعدتُه خيرًا ووعدتُه شرًّا،[٤] فإذا أسقطوا الخير والشرّ قالوا: في الخير "الوعد والعِدة" وفي الشرّ "الإيعاد والوعيد"، فإن أدخلوا "الباء" في الشرّ جاءوا بالألف واللام.[٥]

قوله: (عند الله)، أي: في عِلم الله تعالى وفي نفس الأمر.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حَيْوَة والزعفراني عن رَوح. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٥٤٤.

٢ قراءة شاذّة، غير منسوبة. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٥٤٤.

٣ ن: والبخيل.

٤ ن – شرًا.

٥ انظر: الصحاح للجوهري، «وعد».

الحكماءَ العُلَّامُ العُمَّال، والمراد به: الحثُّ على العمل بما تضمَّنت الآيُ في معنى الإنفاق.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ في سبيل الله أو في سبيل الشيطان ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ في طاعة الله أو في معصيته.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾: لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين يمنعون الصدقات، أو ينفقون أموالهم في المعاصي، أو لا يَفُون بالنذور، أو يَنْذُرون في المعاصي.

﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾: ممَّن ينصرهم من الله ويمنعُهم من عقابه.

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾

"ما" في ﴿نعما﴾ نكرةٌ غيرُ موصولةٍ ولا موصوفة، ومعنى ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾: فنِعْمَ شيئًا إبداؤها، وقرئ بكسر النون وفتحها.

﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ وتُصيبوا بها مصارفَها مع الإخفاء ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: فالإخفاءُ خيرٌ لكم، والمراد: ..................................

---

قوله: (العُلّام العُمّال) صفة كاشفة[1] للحكماء.[2]

قوله: (بما تضمّنت الآيُ) وما تضمّنته هو الإنفاق مِن / الطيّبات، وتركُ الخبيث، وألّا يكون فيه منٌّ ولا أذى ولا رياء ولا سُمعة. [٢٤١ظ]

قوله: (في سبيل الله) إلى قوله: (مُجازيكم عليه) يدلُّ على هذا التفصيل قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

قوله: (فنِعم شيئًا إبداؤها)، يعني: حُذف المضاف وأقيم المضاف إليه مُقامه.

---

[1] ر: كاملة.
[2] ر: للحكام.

**الصدقات المتطوَّعُ بها، فإن الأفضلَ في الفرائض أنْ يُجاهَر بها.**

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: صدقاتُ السرِّ في التطوُّع تَفضُلُ علانيتَها سبعينَ ضعفًا، وصدقةُ الفريضة علانيتُها أفضلُ من سرِّها بخمسةٍ وعشرينَ ضعفًا.

وإنّما كانت المجاهرةُ بالفرائض أفضلَ لنفي التُّهمة، حتّى إذا كان المُزكِّي ممَّن لا يُعرَفُ باليسار كان إخفاؤه أفضلَ، والمتَطوِّعُ إنْ أراد أن يُقتدَى به كان إظهارُه أفضلَ.

﴿ونُكَفِّر﴾ قرئ بالنون مرفوعًا عطفًا على محلِّ ما بعد الفاء، أو على أنَّه خبرُ مبتدأ محذوفٍ؛ أي: ونحن نُكفِّرُ، أو على أنَّه جملةٌ من فعلٍ وفاعلٍ مبتدأةٌ. ومجزومًا عطفًا على محلِّ الفاء وما بعده؛ لأنَّه جواب الشرط.

---

قوله: **(والمتطوِّع)** إلى قوله: **(أفضلَ)**[1] جملةٌ معطوفة على قوله: **(وإنّما كانت المجاهرة بالفرائض أفضلَ)** وليس عطفًا على اسم "كان" وخبره مِن قوله: **(حتّى إذا كان المزكّي)**؛ لأنّه ليس داخلًا في تلك الغاية، فتأمّل. والحاصل أنّ إبداء صدقة الفريضة وإخفاءَ التطوّع ليس أفضلَ مطلقًا؛ بل فيهما تفصيل.

قوله: **(ومجزومًا عطفًا على محلّ "الفاء" وما بعده)** ما بعد[2] "الفاء" في محلّ الرفع؛ لأنّ الفعل الواقع بعد "الفاء" يكون مرفوعًا لا مجزومًا، و"الفاء" مع ما بعده في محلّ الجزم؛ لأنّه لو لم يكن هناك فاء فالفعل المضارع يكون مجزومًا، وهو معنى قوله: **(لأنّه جواب الشرط)** وإنّما كان ما بعد "الفاء" مرفوعًا لكونه خبرًا لمبتدأ خاليًا عن الناصب والجازم.

قوله: **(أو على أنّه)** خبر مبتدأ محذوف، وعلى هذا الوجه **الثاني** تكون هذه الجملة عطفًا على محلّ ما بعد "الفاء" فيكون داخلًا في جزاء الشرط، وأمّا على الوجه **الثالث** للرفع فغيرُ داخل في جزاء الشرط؛ بل هو عطف على جملة قوله: ﴿إِن تُبْدُواْ﴾... إلخ، وهو معنى قوله: **(جملة مبتدأة)**.[3]

---

[1] ر + وأقيم المضاف.
[2] ن: بعده؛ ر - ما بعد.
[3] ن: مبتدأ.

وقرئ: ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياء مرفوعًا، والفعلُ لله تعالى أو للإخفاء.

و: "تُكفِّر" بالتاء مرفوعًا ومجزومًا، والفعلُ للصدقات.

وقرأ الحسن رضي الله عنه بالياء والنصب بإضمار "أنْ"، ومعناه: إنْ تخفوها يكنْ خيرًا لكم وأن يُكفِّر عنكم.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾: لا يجب عليك أن تجعلهم مَهْديِّين إلى الانتهاء

---

قوله: (﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بـ"الياء" مرفوعًا) وصوابه أن يكتب بعده: "ومجزومًا"، وكأنّ "مجزومًا"[1] سقط مِن الخطّ، فهنا أربع قراءات مِن السبعة وهي بـ"النون" و"الياء" غيبة مجزومًا ومرفوعًا،[2] وأمّا القراءات الثلاث التي ذكر بعدها فشاذّة.[3] ويدلُّ على هذا الذي ذكرناه كلام صاحب **الكواشي**.[4]

قوله: (**وأن يكفِر**) يعني أنّ قوله: ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ على هذا يكون معطوفًا على خبر المبتدأ، فنصب لكون المعطوف عليه اسمًا، أي: الإخفاء خيرٌ وتكفير[5] عنكم مِن سيئاتكم.

قوله: (**إلى الانتهاء**) متعلِّق بقوله: (**مهديِّين**)[6] فعداه بـ"إلى" كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى ٥٢/٤٢]. ثمّ إنّ هذه الآية تدلّ على أنّ الهداية هي الدلالة الموصلة إلى البُغية لا الدلالة، فإنّه يجب على النبيّ عليه السلام

---

١ ن ر – وكان مجزومًا.

٢ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر بالنون والرفع، وقرأ نافع وحمزة والكسائيّ بالنون وجزم الراء، وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء والرفع. **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٩١.

٣ **الأولى** بالتاء والرفع، مرويّة عن ابن عبّاس والجَحدري وكِرداب عن رُويس؛ والثانية بالتاء والجزم، مرويّة عن ابن عبّاس وشهر بن حَوشب والصرصري عن أبي بكر؛ والثالثة بالياء والنصب، مرويّة عن الحسن. **المغني في القراءات** للنَّوزاوازي، ص ٥٤٦-٥٤٧.

٤ انظر: **تفسير الكواشي**، ٧٣و.

٥ ر: ويكفر.

٦ ن ر: مهتدين.

عمَّا نُهوا عنه من المنِّ والأذى والإنفاق من الخبيث وغيرِ ذلك، وما عليك إلَّا أَنْ تُبلِّغَهم النَّواهيَ فحَسبُ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: يَلطُفُ بمن يَعلم أنَّ اللطفَ ينفعُ فيه، فينتهي عما نُهيَ عنه.

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾: من مالٍ ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾: فهو لأنفسِكم لا يَنتفِعُ به غيرُكم، فلا تَمُنُّوا به على الناس، ولا تُؤذُوهم بالتطاوُلِ عليهم.

﴿وَمَا تُنفِقُونَ﴾: وليست نفقتُكم إلا لابتغاءِ وجهِ الله ولطلبِ ما عنده، فما بالُكم تمنُّون بها وتنفقون الخَبيثَ الذي لا يوجَّهُ مثلُه إلى الله تعالى.

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ثوابُهُ أضعافًا مضاعفةً، ....................

---

الدلالة وإن لم تجب عليه الدلالة الموصلة إلى البُغية، ولذلك قال: "مهديّين[١] إلى[٢] الانتهاء".

قوله: (مِن المنّ) بيان (ما).

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ قال أهلُ السُّنّة: هذه الآية تدلّ على أنّ الهداية مِن الله[٣] وبمشيئته وأنّها تُخصّ بقوم دون قوم.[٤]

قوله: (يلطُف) فسّر المصنِّف قوله:[٥] ﴿يَهْدِى﴾ بقوله: "يلطف" وقولَه: ﴿مَن يَشَآءُ﴾ بـ(مَن يعلم)... إلخ، وكلا التفسيرين على مذهبه، وأمّا على مذهب أهل[٦] السُّنّة فاللفظان محمولان على ظاهرهما.[٧]

قوله: (مِن[٨] مال) يريد أنّ الخير هنا بمعنى المال، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات ٨/١٠٠]، أي: وإنّ[٩] الإنسان[١٠] لحب المال لبخيل.

---

١ ر – مهديين.
٢ ن – إلى؛ ر: بين.
٣ ن + تعالى.
٤ انظر: تفسير الرازي، ٨٣/٧.
٥ ن + تعالى.
٦ ر – أهل.
٧ انظر: تفسير الرازي، ٨٣/٧-٨٤.
٨ ن: بين.
٩ ن – أي: وإنّ.
١٠ ن: والإنسان.

فلا عُذر لكم في أن تَرْغَبُوا عن إنفاقه، وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها.

وقيل: حجَّت أسماءُ بنتُ أبي بكر رضي الله عنهما فأَتَتْها أمُّها تسألها وهي مشركةٌ، فأبَتْ أن تعطيَها شيئًا، فنزلت.

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: كانوا يتَّقون أن يَرضَخُوا لقراباتهم من المشركين.

ورُوي: أن ناسًا من المسلمين كانت لهم أَصْهارٌ في اليهود ورَضَاعٌ وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام، فلمَّا أسلموا كرهوا أن ينفعوهم.

وعن بعض العلماء: لو كان شرَّ خَلْقِ الله تعالى لكان لك ثوابُ نفقتك.

واختُلف في الواجب: فجوَّز أبو حنيفة رضي الله عنه صرفَ صدقةِ الفطر إلى أهل الذمَّة، وأباه غيرُه.

**﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾**

الجارُّ متعلِّق بمحذوف، والمعنى: اِعْمِدُوا للفقراء، أو: اجعلوا ما تنفقون للفقراء؛ كقوله تعالى: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ [النمل ١٢/٢٧]، ...........................................

---

قوله: (وأن يكون) عطف على قوله: (إنفاقه) أو على قوله: (أن[1] ترغبوا)، والأوّل[2] أظهر؛ بل الأوّل متعيِّن.

قوله: (وقيل: حجّت) سبب نزول ما تقدّم.

قوله: (فأتتها أمُّها)، أي: مِن البادية، وكان طلقها أبو بكر رضي الله عنه في الجاهليّة.

قوله: (أن يرضخوا) الرَّضْخ: العطاء القليل، يقال: رضختُ له رَضْخًا.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ [النمل ١٢/٢٧]) / أي: اذهب في تسع آيات، [٢٤٢و]

---

[1] ن ر: لا.

[2] ر: وإلا.

ويجوز أن يكونَ خبرَ مبتدأ محذوفٍ؛ أي: صدقاتُكم للفقراء.

و﴿ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: هم الذين أَحْصَرَهم الجهادُ ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ لاشتغالهم به ﴿ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ للكسب.

وقيل: هم أصحابُ الصُفَّة، وهم نحوٌ من أربعِ مئةِ رجُلٍ من مهاجري قريشٍ، لم يكن لهم مساكنُ في المدينة ولا عشائرُ، فكانوا في صُفَّةِ المسجد -وهي سَقِيفَتُه- يتعلَّمون القرآن بالليل ويَرضخُون النَّوى بالنهار، وكانوا يخرجون في كلِّ سريَّة بَعثَها رسول الله، فمَن كان عنده فَضْلٌ أتاهم به إذا أَمْسَى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: وقَفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا على أصحاب الصُفَّة فرأى فقرَهم وجهدَهم وطيبَ قلوبهم، فقال: «أبشِروا يا أصحابَ الصُفَّة فمَن بقي من أمّتي على النعت الذي أنتم عليه راضِيًا بما هو فيه فإنَّه من رُفقائي».

---

قال تعالى: ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾ [النمل ١٢/٢٧]، أي: اذهب في تسع آيات.[١]

قوله: **(وهي سقيفته)** السقيفة الصُفّة.

قوله: **(ويرضَحون)** الرضح مِثل الرضخ، وهو: كَسْر الحصى والنوى. كانوا يكسرون النوى ويأخذون عليه الأجرة ويصرفونها في النفقة. وقوله: **(النوى)** جمع نَواة التمر، وهو: عَظْمه الذي في[٢] داخله. يقال: "أكلتُ التمر ونَويتُ النوى[٣] وأنويته": رميتُ به. وكان العرب يكسرون النوى ويَدقُّونها ليأكله[٤] الإبل كالقَتّ والتبن وأنواع العلف.

قوله: **(في كلّ سريّة)** «السريّة: قطعة مِن الجيش، يقال: خيرُ السرايا أربع مئة رجل».[٥]

قوله: **(فضل)**، أي: فضل طعام.

---

١ ن ر – أي: اذهب في تسع آيات.

٢ ر: هو.

٣ ر + وأنوى.

٤ ن: يأكله.

٥ ن ر – يقال: خير السرايا أربع مئة رجل. | الصحاح للجوهري، «سرا».

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾: مستَغْنين من أَجْل تعفُّفهم عن المسألة.

﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾ من صُفْرَة الوجه ورثاثةِ الحالِ.

والإلحافُ: الإِلْحاح، وهو اللُّزوم وأَنْ لا يفارقَ إلَّا بشيء يُعطاهُ، من قولهم: لحَفَني من فَضْلِ لحافه؛ أي: أعطاني من فضل ما عندَه.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله يحبُّ الحَيِيَّ الحليمَ المُتَعفِّفَ، ويَبْغَضُ البَذِيَّ السَّائلَ المُلْحِفَ».

ومعناه: أنهم إن سألوا سألوا بتلطُّف ولم يُلِحُّوا.

وقيل: هو نَفْي السؤالِ والإلْحافِ جميعًا؛ كقوله:

علـى لاحِـــبٍ لا يُـهـتَـدى بـمَـنـاره

يريد: نَفيَ المنار والاهتداءِ به.

---

قوله: (مِن صُفرة) بيانُ سِيماهم.

قوله:[١] (ورَثاثة الحال)[٢] الرثُّ: الشيء البالي، يقال: "فلان رثّ الهيئة، وفي هيئته رثاثة"، أي: بذاذة.

قوله: (مِن فضلِ لِحافه) اللِّحاف: الغطاء.

قوله: (البذيّ) البَذاء بالمدّ: الفحش. وفلان بذيُّ اللسان، والمرأة بذيّة.[٣]

قوله:

(علـى لاحـبٍ لا يُـهـتَـدى بـمَـنـارِهِ)

تمامه:

إذا سـافَـه الـعُـود الـدِّيـافـيّ جَـرْجـرا[٤]

---

[١] ن ر – (مِن صغره) بيان سيماهم. قوله.

[٢] ن ر: الجمال.

[٣] انظر: **الصحاح** للجوهري، «بذا».

[٤] البيت لامرئ القيس في ديوانه، ص ٦٦، وفيه «النُّباطيّ» مكان «الدِّيافيّ»؛ وهو له في **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٣٥٧/١؛ **والزاهر** لابن الأنباري، ٥١١/١؛ **والخصائص** لابن جنّي، ٣٢١/٣.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾

﴿بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ يَعمُّون الأوقاتَ والأحوالَ بالصَّدقة لحرصهم على الخير، فكلَّما نزلت بهم حاجةُ محتاج عجَّلوا قضاءها ولم يُؤخِّروه، ولم يتعلَّلوا بوقتٍ ولا حال.

وقيل: نزلت في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه حين تصدَّقَ بأربعين ألفَ دينارٍ: عشرةً بالليل، وعشرةً بالنهار، وعشرةً في السِّرِّ، وعشرةً في العلانية.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في عليٍّ رضي الله عنه؛ ...........

---

وقيل: أوّله:

سَــــدا[١] بيـديـه[٢] ثــمّ أجّ بـسـيـره[٣]

اللَّحَب: الطريق الواضح، و"اللاحب" مثله، فاعل بمعنى مفعول، أي: ملحوب. وساف مِن السَّوف، وهو: الشمُّ. العُود: الجمل المُسِنّ. وجَرْجر، أي: صوّت. ودِياف: قرية يسكنها النبط، وهو: زارع العرب.

(نفيٌ للسؤال)، أي: لا يسألون أصلًا.[٤]

والسَّدْوُ: مدُّ اليد نحو الشيء، يقال: "سَدَت الناقة تَسْدو سَدْوًا"، وهو تذرُّعها في المشي واتّساع خَطْوها. وأجّ الظليم يؤجُّ أجًّا: عدا وله حفيفٌ[٥] في عَدْوه. و"المنار": الأعلام.

---

١ ن: سندًا.

٢ ن: نيده.

٣ ليست هذه الرواية في ديوانه، ص ٦٦، برواية الأصمعي، ولا في الروايات التي أوردها أبو سعيد السُّكَّري في شرحه على ديوان امرئ القيس، ص ٤٢٦-٤٢٧. وأوردها الطِّيبي على أنها مِن روايات هذا البيت في فتوح الغيب، ٥٤٠/٣. والظاهر أنّه صدر بيت لركّاض الدُّبيري، وذلك قوله:

سَــدا بـيـديـه ثــمّ أجّ بـسـيـره
كـأجّ الظليم مِن قنيص وكـالـبِ

كما جاء في غريب الحديث لابن قتيبة، ١٥١/٢؛ والصحاح للجوهري، «كلب».

٤ ن ر - وساف مِن السوف وهو الشمُّ العُود الجمل المسنُّ وجرجر، أي: صوَّت ودياف قرية يسكنها النبط وهو زارع العرب نفى للسؤال، أي: لا يسألون أصلًا. | هذه العبارة مقحمَة في أثناء شرح البيت بروايتيه، وكان حقُّها أن تأتيَ قبل البيت، بحسب ترتيب الكشّاف.

٥ ن: صيف.

لـم يملك إلَّا أربعة دراهم، فتصدَّق بدرهمٍ ليلًا وبدرهمٍ نهارًا، وبدرهمٍ سرًّا وبدرهمٍ علانيةً.

وقيل: نزلت في عَلْف الخيل وارتباطها في سبيل الله، وعن أبي هريرة رضي الله عنه كان إذا مرَّ بفرسٍ سمينٍ قرأ هذه الآيةَ.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾

﴿ٱلرِّبَوٰا۟﴾ كُتب بالواو على لغةِ مَن يفخِّم كما كُتِبَت الصلاة والزكاة وزيدَت الألف بعدها تشبيهًا بواوِ الجمع.

﴿لَا يَقُومُونَ﴾ إذا بُعِثوا من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ أي: المَصْروعُ.

وتخبُّطُ الشيطان من زَعمات العرب؛ يزعمون أن الشيطان يَخْبط الإنسانَ فَيُصْرَع.

---

قوله: (في عَلْفِ)[1] بسكون اللام مصدر.

قوله: (مَن يُفخِّم) المراد بالتفخيم هنا أن تنحوَ بها نحوَ "الواو"، إذ يصير اللفظ به أقوى في النطق. يقال: "فخُم الرجُل" بالضمّ "فخامةً"، أي: ضخُم. ورجل فخمٌ: عظيم القدر. والتفخيم: التعظيم. وتفخيم الحرف: ضدّ إمالته أيضًا. ومنطق فَخْم، أي: جَزْل.

قوله: (﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾) أي: الذي يُصرَع. وتخبَّطه الشيطان، أي: أفسده، أي: كالذي يُصرَع، فوضع قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ على زعمهم واعتقادهم، وإلّا فلا خَبْط ثمّة مِن الشيطان؛ بل ذلك مرضٌ يُحدِثه الله تعالى كسائر الأمراض.

[1] في هامش د: "عَلَف" أصحّ.

**والخَبْطُ: الضرب على غير استواءٍ كخَبْط العشواء، فوَرد على ما كانوا يَعتقدون.**

**والمسُّ: الجنونُ، ورَجُلٌ ممسوسٌ، وهذا أيضًا من زعماتهم، وأنّ الجنيَّ يمسُّه فيختلطُ عقلهُ، وكذلك "جُنَّ الرجل" معناه: ضَرَبَتْهُ الجنُّ.**

**ورَأَيْتُهم لهم في الجنِّ قصَصٌ وأخبار وعجائبُ، وإنكارُ ذلك عندهم كإنكارِ المشاهَدات.**

**فإن قلتَ**: بمَ يتعلَّق قوله: ﴿مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾؟

**قلتُ**: بـ﴿لَا يَقُومُونَ﴾؛ **أي: لا يقومون من المسِّ الذي بهم إلّا كما يقوم المصروعُ.**

**ويجوز أن يتعلَّق بـ﴿يَقُومُ﴾؛ أي: كما يقوم المصروعُ من جنونه.**

**والمعنى: أنهم يقومون يومَ القيامة** ..............................

---

قوله: **(كخَبْط العَشواء)** العشواء: الناقة التي لا تبصر أمامها، فهي تخبط بيديها كلّ شيء.

قوله: **(فوَرَد)**، أي: فورد قوله تعالى: ﴿يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾.

قوله: **(وأنّ الجنّي)** عطف على **(زَعَماتهم)**، فكأنّه قيل: "هذا مِن مزعوماتهم وهي أنّ الجنّ". والصواب أنّ قوله: "وأنّ الجنّي" عطف على هذا بطريق البيان، فكأنّه قال: "هذا"، أي:[١] مسّ الجنّي، "مِن زعماتهم". ولا يجوز أن يقال: هو عطف على "زعماتهم" بطريق البيان. يُعرَف بالتأمُّل.

قوله: **(وكذلك "جُنّ الرجل" معناه)** فكأنّه لذلك استعمل مجهولًا.

قوله: **(أي: لا يقومون)**... إلخ، فإنّ النفي إذا انتقض كان المعنى: يقومون مِن المسّ كما يقوم المصروع.

قوله: **(ويجوز أن يتعلّق بـ﴿يَقُومُ﴾)** اعلم أنّ الآية تدلّ في الوجه **الأوّل** على أنّهم يكونون مجنونين، فلذلك يقومون قيام المجانين، وأمّا على الوجه **الثاني** فيدلّ على أنّهم يقومون كالمجانين ولا يدلّ على كونهم / مجانين. [٢٤٢ظ]

---

١ ن: أن.

مُخَبَّلِينَ كالمصروعين، تلك سِيماهم يُعْرَفون بها عند أهل الموقف.

وقيل: الذين يخرجُونَ من الأجداث يُوفِضُون إلّا أَكَلَةَ الربا، فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين؛ لأنهم أكلوا الربا فأَرْباهُ الله في بطونهم حتى أثقلهم، فلا يقدرون على الإيفاض.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العقابُ بسبب قولهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾.

**فإن قلتَ:** هلَّا قيل: إنَّما الربا مثلُ البيعِ؛ لأنّ الكلام في الربا لا في البيع، فوجب أن يقال: إنهم شبَّهوا الربا بالبيع فاستحلُّوه، وكانت شُبْهتُهم أنهم قالوا: لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلّا درهمًا بدرهمين جاز، فكذلك إذا باع درهمًا بدرهمين.

---

قوله: (**مختبلين**) الخَبَل: الفساد،[1] بالتحريك.[2] وقد خَبَله وختَله إذا أفسد عقله أو عضوه. ورجل مُخبَّل، أي: قُطعت أعضاؤه.

قوله: (**يُوفِضون**)، أي: يسرعون. والوَفْض: العَجَلة. وأوفض واستوفض: أسرع.

قوله: (**فأرباه الله**)، أي: زاده.

قوله: (**بسبب قولهم**)، أي: بسبب أنّهم نظموا الربا في سِلك البيع واستحلُّوا استحلاله.

قوله: (**لأنّ الكلام**) "اللام" متعلِّق بـ"قيل".

قوله: (**فوَجَب**) مسبَّب عن هذا التعليل ونتيجة له، فكأنّ المصنِّف قال: كونُ الكلام في الربا يُوجِب أن يقال: شبّهوا الربا بالبيع، فلِمَ لم يقل في القرآن: إنّما الربا مثلُ البيع؟

قوله: (**وكانتْ شبهتُهم**) تقرير لقوله: "فوجب"... إلخ، الأصوب أن يقول: هذا بيان قوله: (**الكلام في الربا**).

---

[1] ن ر - الفساد.

[2] ن ر + الجنّ، يقال: به خبل، أي: به شيء مِن أصل الأرض.

**قلتُ:** جِيءَ به على طريق المبالغة، وهو أنه قد بلغَ مِن اعتقادهم في حِلِّ الربا أنهم جعلوه أصلًا وقانونًا في الحِلِّ حتى شبَّهوا به البيعَ.

وقوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ إنكارٌ لتسويتِهم بينهما، ودلالةٌ على أن القياس يَهْدِمه النصُّ لأنّه جَعل الدليلَ على بطلان قياسهم إحلالَ الله وتحريمَه.

﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: فمَن بلغَه وعظٌ من الله وزَجْرٌ بالنهي عن الربا ﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ فتبِع النهيَ وامتنَع ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾: فلا يُؤاخذ بما مضَى منه؛ لأنه أخَذَ قبل نزول التحريم.

﴿وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يحكُم في شأنه يومَ القيامة، وليس من أمره إليكم شيءٌ فلا تُطالبوه به.

﴿وَمَنۡ عَادَ﴾ إلى الربا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ وهذا دليلٌ بَيِّنٌ على تخليد الفُسّاق، ..........................................

---

قوله: (وهو)، أي: وجهُ هذه المبالغة وسببها أنّه، أي: أنّ الربا، قد بلغ مِن اعتقادهم في حِلّه أنّهم. فوضع المصنِّف الظاهر موضع الضمير. ونظيره قولهم:[1] "خرجتُ فرأيت القمر كوجه ليلى"، وكذا قوله:

رملٍ كأوراك العذارى[2]

قوله: (وقانونًا) قال في الصحاح: «القوانين: الأصول، الواحد قانون، وليس بعربيّ».[3] وأنا أقول: رأيت في بعض الكتب أنّ القانون: المِسْطر، بلغة السُّريانيّة.

قوله: (لأنّه جَعَل) تنازع فيه (إنكار) و(دلالة)، أي: لأنّ الله تعالى.

قوله:[4] (وهذا دليل على تخليد الفُسّاق) هذا على جهة التغليظ والتهديد دون التحقيق والتخليد عند أهل السُّنّة والجماعة، والمراد مِن العَود هو أن يعود

---

[1] ر: قوله.

[2] مِن بيت لذي الرُّمّة في ديوانه، ص ١١٣١، وهو بتمامه:
ورملٍ كأوراك العذارى قطعتُه
إذا جللتْه المُظلِمات الحنادسُ

[3] الصحاح للجوهري، «قنن».

[4] ن ر – لأنّه جَعَل تنازع فيه إنكار ودلالة، أي: لأنّ الله تعالى. قوله.

وذُكِّر فعْل الموعظة لأنّ تأنيثها غيرُ حقيقيّ، ولأنّها في معنى الوعظ.

وقرأ أُبيٌّ والحسن: "فمَن جاءَته".

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٢٧٧﴾

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: يَذهَبُ بِبَرَكَتِه ويُهلِكُ المالَ الذي يَدخل فيه، وعن ابن مسعود: الربا وإن كَثُر إلى قُلّ.

﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: ما يُتصدَّق به بأنْ يُضاعفَ عليه الثوابَ ويَزيدَ المالَ الذي أُخرِجَتْ منه الصَّدقةُ ويُبارِكَ فيه، وفي الحديث: «ما نقصَتْ زكاةٌ من مالٍ قط».

﴿كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ تغليظٌ في أمر الربا، وإيذانٌ بأنه مِن فِعْل الكفّار لا مِن فِعْل المسلمين.

---

إلى ما اعتقد مِن استحلال الربا وكونه حلالًا وقياسهم على البيع، وعلى هذا لا تصير الآية حجّة على تخليد الفُسّاق.[1]

قوله: (**لأنّ تأنيثها غير حقيقيّ**) مع الفاصل، وهو ضمير ﴿مَن﴾ في ﴿جَآءَهُۥ﴾.

قوله: (**إلى قُلّ**)، أي: ينتهي إلى قُلّ أو يؤدي إلى قُلّ. والقُلُّ والقِلّة مثل الذُّلّ والذِّلّة. يقال: "الحمد لله على القُلّ والكُثْر".[2] وأنشد الأصمعي:

وقد يقصُر القُلّ الفتى دون همِّهِ    وقد كان لولا القُلّ طلّاعَ أنجُدِ[3]

قوله: (**بأن يُضاعف**)... إلخ، يعني تكون فائدة الصدقة في الدنيا والآخرة.

قوله: (**تغليظ**) يريد أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿خَٰلِدُونَ﴾ التغليظ، ليَتطابق أوائل الكلام وأواخره.

---

١ انظر: **تفسير الرازي**، ١٠٢/٧.

٢ ن: والكثرة. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «قلل».

٣ البيت لعلقمة بن عَبَدة في ديوانه، ص ١٢٢، «يعقِل» مكان «يقصُر»؛ وهو له في **إصلاح المنطق** لابن السكيت، ص ٣٣؛ وبلا عزو في **الصحاح** للجوهري، «قلل».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨﴾

أَخذوا ما شرَطوا على الناس مِن الربا وبقيتْ لهم بقايا فأُمِروا أن يتركوها ولا يُطالِبوا بها.

رُوي: أنها نزلت في ثَقيفٍ، وكان لهم على قومٍ من قريش مالٌ، فطالبوهم عند المحلِّ بالمال والربا.

وقرأ الحسن: "ما بَقَى" بقلب الياء ألفًا على لغة طيِّئ.

وعنه: "ما بَقِيْ" بياءٍ ساكنة، ومنه قولُ جرير:

هو الخليفةُ فارضُوا ما رَضِي لكمُ ماضِي العزيمةِ ما في حُكْمِه جَنَفُ

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: إن صحَّ إيمانُكم، يعني: أن دليل صحَّة الإيمان وثباته امتثالُ ما أُمرتُم به من ذلك.

﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾

﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ﴾: فاعْلَموا بها، مِن أَذِنَ بالشيء: إذا علم به.

---

قوله: (ولا يُطالِبوا[1] بها)، أي: لا يُطالِبوا المديونين بها، و"الباء" للسببيّة. ويجوز أن تكون "الباء" زيادة في المفعول، أي: لا يطالبوا الربا، أي:[2] لا يطلبوها. وإنّما قال: "لم يُطالِبوا" مكان "لم يطلبوا" إشارة إلى مبالغتهم.

قوله: (عند المَحِلّ) مَحِلّ الدَّين أجله.

قوله: (بقَلْب "الياء" ألفًا)، أي: أبدل مِن الكسرة فتحة فانقلبت "الياء" ألفًا.

قوله:[3] (جَنَفُ)،[4] أي: مَيْل.

قوله: (مِن ذلك) بيانُ (ما) وهو إشارة إلى ترك الربا.

---

[1] ر: تطابقوا.

[2] ر – لا يطالبوا الربا، أي.

[3] ن ر – (بقلب الياء ألفًا)، أي: أبدل مِن الكسرة فتحة فانقلبت الياء ألفًا. قوله.

[4] ديوان جرير، ١/١٧٥.

وقرئ: ﴿فآذِنُوا﴾: فَأَعْلِموا بها غيرَكم، وهو من الأَذَنِ وهو الاستماع لأنه من طُرُقِ العلم.

وقرأ الحسن: "فَأَيْقِنُوا" وهو دليلٌ لقراءة العامة.

**فإن قلتَ**: هلا قيل: بحربِ الله ورسوله؟

**قلتُ**: كان هذا أبلغَ لأن المعنى: فأْذَنُوا بِنَوعٍ من الحرب عظيمٍ من عند الله ورسوله.

ورُوي أنها لمَّا نزلَتْ قالَتْ ثقِيفٌ: لا يَدَيْ لنا بحربِ الله ورسوله.

﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ من الارْتِباء ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ المديُونين بطلبِ الزيادة عليها ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالنقصان منها.

**فإن قلتَ**: هذا حُكمُهم إن تابوا، فما حُكمُهم لو لم يَتوبُوا؟

**قلت**: قالوا: يكون مالُهم فَيئًا للمسلمين.

ورَوى المفَضَّلُ عن عاصم: "لا تُظْلَمون ولا تَظْلِمُون".

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾: وإن وقع غريمٌ من غُرمائكم ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾؛ أي: ذُو إعسارٍ.

وقرأ عثمانُ رضي الله عنه: "ذا عُسْرة" على: وإن كان الغريمُ ذا عُسْرةٍ.

وقُرِئ: "ومَن كان ذا عِسرة".

---

قوله: **(وهو مِن الأَذَن)** يعني قولهم: "أَذِن بمعنى عَلِم"، مِن الأَذَن بمعنى الاستماع؛ لأنّ الاستماع طريق مِن طرُق العِلم.

قوله: **(وهو دليل)** لأنّه يناسب قوله: **(اعلموا)** لا لقوله: **(أعلِموا غيرَكم)**.

قوله: **(مِن الارتباء)** هو أَخْذ الربا.

قوله: **(عليها)**، أي: على رءوس أموالكم.

قوله: **(وإن وَقَع غريم)** يعني ﴿كَانَ﴾ تامّة، والموصوف محذوف.

﴿فَنَظِرَةٌ﴾: فالحكمُ أو فالأَمْرُ نَظِرَةٌ، وهي الإنظارُ.

وقرئ: "فَنَظْرَةٌ" بسكونِ الظاء، وقرأ عطاءٌ: "فناظِرُه" بمعنى: فصاحِبُ الحقِّ ناظِرُه؛ أي: مُنْتَظِرُه، أو: صاحبُ نَظْرَتِه على طريق النَّسب؛ كقولهم: مكان عاشبٌ وباقِلٌ، بمعنى: ذو عُشْبٍ وذُو بَقْلٍ.

وعنه: "فناظِرْه" على الأمر، بمعنى: فسامِحْه بالنَّظْرة ويَاسِرْهُ بها.

﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾: إلى يَسارٍ، وقرئَ بضمِّ السين؛ كمقبَرَة ومقبُرَةٍ، ومَشْرَقَةٍ ومَشْرُقَةٍ. وقرئَ بهما مضافينَ بحذف التاء عند الإضافة؛ كقوله:

وأَخْـلَـفُـوكَ عِـدَ الأمـرِ الـذي وعَـدُوا

---

قوله: (وهي[1] الإنظار) أنظرتُه: أخَّرتُه.

قوله: (أو صاحب نَظِرته)، أي: يجعل النظِرة حرفة لنفسه وعادتها وتوطّنها على ذلك.

[٢٤٣و] قوله: (عاشب) / هو مِثل قوله: "تامرٌ ولابنٌ" هما منسوبان إلى التمر واللبن.

قوله:[2] (ويياسره بها) ياسَره: ساهَله.

قوله:

(وأخلفـوك عِـدَ الأمـرِ الـذي وَعـدوا)[3]

أوّله:

إنّ الخليط أجـدُّوا البيـنَ فـانجردوا

قوله: "عِدَ الأمر"، أي: عِدَة الأمر، فحذف "الهاء" عند الإضافة. والخليط: المُخالِط، كالنديم بمعنى المُنادِم والجليس بمعنى المُجالِس، وهو واحد وجمع.

---

١ ن ر: وهو.

٢ ن ر - (أو صاحب نظرته)، أي: يجعل النظرة حرفه لنفسه وعادتها وتوطنها على ذلك قوله: (عاشب) هو مثل قوله: (تامرٌ ولابنٌ هما منسوبان إلى التمر واللبن. قوله.

٣ البيت للفضل بن العبّاس بن عتبة في لسان العرب لابن منظور، «غلب»؛ ونُسب إلى زهير في موضع مِن الصحاح للجوهري، «وعد»؛ وهو بلا عزو في معاني القرآن للفرّاء، ٢/٢٥٤ (الأنبياء، ٢١/٧٣)؛ وجامع البيان للطبري، ١٧/٣٢٤ (الأنبياء، ٢١/٧٣)؛ والخصائص لابن جنّي، ١/١٧٤؛ والصحاح للجوهري، «غلب»، «خلط».

وقولِهِ تعالى: ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الأنبياء ٧٣/٢١].

﴿وأَنْ تَصَّدَّقوا خيرٌلكم﴾ نَدْبٌ إلى أن يتصدَّقوا برؤوس أموالهم على مَن أعسرَ من غُرمائهم أو ببعضها؛ كقوله: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة ٢٣٧/٢].

وقيل: أُريد بالتَّصدُّق الإِنْظارُ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يحلُّ دَين رجلٍ مسلم فيُؤخِّرَه إلّا كان له بكلِّ يوم صدقةٌ».

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خيرٌ لكم فتعمَلوا به، جُعِل مَن لا يَعمل به وإنْ عَلِمه كأنَّه لا يعلمُه.

وقرئ: ﴿تَصَدَّقُواْ﴾ بتخفيف الصاد على حذفِ التاء.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾

﴿تُرْجَعُونَ﴾ قرئ على البناء للفاعل والمفعول.

وقرئ: "يُرْجَعون" بالياء على طريقة الالتفات.

وقرأ عبد الله: "تُرَدُّونَ"، ..........................................

---

انجردوا، أي: مضَوا[١] يقال: "انجرد بنا السير"، أي: امتدّ.

قوله: («فيُؤخِّرُه») قيل: فيُؤخِّره بالرفع أجود لمبالغة فيه، أي: فإنّه يُؤخِّره. وقوله عليه السلام: «إلّا كان»،[٢] أي: إلّا كان التأخير.[٣]

قوله: (فتعملوا به) جزم عطف على الشرط، أي: قوله: ﴿كُنتُمْ﴾، فكأنّه قيل: إن تعلموا فتعملوا.[٤] وقوله: (جُعل مَن لا يعمل) يعني المراد بقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُونَ﴾: تعملون، فصار المعنى: إن كنتُم تعملون[٥] بذلك يكنْ خيرًا لكم. لكن وُضع ﴿تَعْلَمُونَ﴾ موضع "تعملون"؛ لأنّ مَن لا يعمل بما عَلِم فكأنّه لا عِلمَ له.

---

١ ن + به.

٢ ما وقفتُ عليه في مظانّه، ولا فيما سبق الكشّاف مِن التفاسير.

٣ ن ر + فعلى هذا يكون صدقة بالنصب وعلى تقدير رفع صدقة يكون اسمه. | وجاء هذا الكلام تعليقًا في هامش د.

٤ ن: فتعلموا.

٥ ن: تعلمون.

وقرأ أُبيٌّ: "تَصِيرون".

وعن ابن عباس: أنها آخرُ آيةٍ نزل بها جبريلُ وقال: ضَعْها في رأس المئتين والثمانين من البقرة.

وعاشَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدًا وعشرين يومًا، وقيل: أحدًا وثمانين، وقيل: سبعةَ أيّام، وقيل: ثلاثَ ساعات.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾

﴿إِذَا تَدَايَنتُم﴾: إذا دَايَن بعضُكم بعضًا، يقال: داينتُ الرجلَ: إذا عاملتَه بدَينٍ مُعطيًا أو آخذًا؛ كما تقول: بايعتُه، إذا بِعْتَه أو باعَكَ، قال رُؤبة:

---

قوله: (وقرأ أُبيّ: "تَصِيرُونَ")[١] مكان ﴿تُرْجَعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ أي: توفَّر ما كسبت. قال ابن عبّاس:[٢] «يريد ثواب عملها خيرًا بخير وشرًّا بشرّ».[٣]

١ ن ر - أبيّ: ﴿تصيرون﴾. | قراءة شاذّة، مروية عن أُبيّ بن كعب. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٥٥٢.

٢ ن + رضي الله عنه.

٣ البسيط للواحدي، ٤/٤٨٣ (البقرة، ٢/٢٨١)؛ الوسيط للواحدي، ١/٣٩٩ (البقرة، ٢/٢٨١).

دايـنـتُ أَرْوَى والـديـونُ تُقْضَى فـمَـطَـلـتْ بـعـضًـا وأدَّتْ بـعضا

والمعنى: إذا تعامَلْتم بدينٍ مؤجَّلٍ فاكتبوه.

**فإن قلتَ**: هلَّا قيل: «إذا تداينتُم إلى أجلٍ مسمًّى»، وأيُّ حاجةٍ إلى ذكر الدين؟ كما قال: «داينتُ أَرْوَى» ولم يقل: بدَينٍ.

**قلتُ**: ذُكِر ليرجع الضميرُ إليه في قوله: ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ إذ لو لم يُذْكر لوَجَب أن يقال: فاكتبوا الدَّين، فلم يكن النظمُ بذلك الحُسنِ، ولأنه أَبْيَنُ لتنويع الدَّين إلى مؤجَّلٍ وحالّ.

**فإن قلتَ**: ما فائدة قوله: ﴿مُسَمًّى﴾؟

**قلتُ**: ليُعلَم أن مِن حقِّ الأجَل أن يكون معلومًا كالتوقيتِ بالسنَةِ والأشهر والأيَّام، ولو قال: إلى الحصاد، أو: الدياس، أو: رجوع الحاجّ، لم يَجز لعَدَم التسمية. وإنما أُمر بكتبةِ الدَّين لأن ذلك أوثقُ .............................

---

قولـه: **(داينتُ أروى)** البيت[1] "أروى": اسـم محبوبـة الشـاعر. والمَطْـل: مدافعة الدائن.

قوله: **(هلّا قيل)**،[2] أي: هلّا قيل كما قال رؤبة، **(ولم يقل)** رؤبة:[3] **(بدَين)**.

قوله: **(إذ لو لم يُذكَر)**... إلخ، فيه نظرٌ، إذ كان يجوز حينئذٍ أن يقال: فاكتبوه كقوله تعالى: ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة ٥/٨]. وهنا وجه آخرُ لم يذكره المصنِّف، وهو أنّه لو لم يقل: ﴿بِدَيْنٍ﴾ لزم حذف الموصوف وإقامة الصفة وهو ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مقامه، لأنّه صفة "دين"، والتقدير: بدينٍ مؤجّل إلى أجل مسمّى.

قوله: **(أو الدِّياس)** داس الشيء يدوسه دوسًا: ضربه برجله. وداس الطعام، أي: البُرّ والشعير ونحوَهما مِن الأطعمة يدوسه دِياسة: ضربها برجل الدواب حتّى ينداس، فينفصل منها التبن. والموضع مَداسَة.[4] والمِدوَس: ما يُداس به.[5]

---

١ الرجز للرؤبة بن العجّاج في ديوانه، ص ٧٩؛ وهو بلا عزو في كتاب سيبويه، ٢١٠/٤.

٢ ر - قيل.

٣ ر - ولم يقل رؤبة.

٤ ر: مداسته.

٥ انظر: الصحاح للجوهري، «دوس».

**وآمَنُ من النسيان، وأبعدُ من الجحود، والأمر للندب.**

**وعن ابن عباس رضي الله عنه: أن المراد به السَّلَم، قال: لمَّا حرَّم الله الربا أباح السَّلف.**

**وعنه: أشهَدُ أن الله تعالى أباحَ السلم المضمون إلى أجل معلوم في كتابه وأنزل فيه أطول آية.**

**﴿بِٱلۡعَدۡلِ﴾ متعلِّق بـ﴿كَاتِبٌ﴾ صفةٌ له؛ أي: كاتبٌ مأمون على ما يكتبُ، يكتبُ بالسوية والاحتياط، لا يزيد على ما يجب أن يكتبَ ولا ينقص.**

**وفيه: أن يكون الكاتبُ فقيهًا عالمًا بالشروط حتى يجيءَ مكتوبه مُعَدَّلًا بالشرع، وهو أمر للمتداينين بِتَخَيُّر الكاتب، وألَّا يَستكتِبوا إلَّا فقيهًا دَيِّنًا.**

---

قوله: **(وآمنُ مِن النسيان)** "مِن" في "مِن النسيان" صلة "آمنُ"، كما تقول: "آمنتُ منه". وأمّا "مِن" التي تستعمل بها "أفعل" التفضيل فمحذوف، أي: آمَن مِن عدم الكتابة. فقد جعل المصنِّف الأمن منسوبًا إلى الكتابة، وهو بالحقيقة لصاحب الحقِّ الذي يكتب.

قوله: **(وأبعدُ مِن الجحود)** "مِن" في "مِن الجحود" صلة "أبعدُ" نحو "مِن" في "بَعُد منه"، والتي يستعمل بها "أفعل" محذوف، أي: مِن عدم الكتابة. ثمّ إنّ إسناد بُعد الجحود إلى الكتابة يجوز أن يقال بطريق الحقيقة أو[1] المجاز، فتأمّل.

قوله: **(السَّلَف)**، أي: السلم.

قوله: **(متعلِّق بـ"كاتب")** المراد بالتعلُّق أن يكون متمِّمًا لِما يتعلَّق به، صفة كان أو خبرًا أو حالًا، كما يقال في النحو مثلًا "مررتُ بزيد": إنّ الباء متعلِّق بـ"مررت".

قوله: "بكاتب"[2] بالجرّ في **نسخة المصنِّف**، وبالرفع في **نسخة المعزِّي**.[3]

قوله: **(بتخيُّر الكاتب)** التخيُّر: الاختيار.

---

[1] ر: أي.

[2] ن ر – المراد بالتعلُّق أن يكون متمِّمًا لما يتعلَّق به صفة كان أو خبرًا أو حالًا كما يقال في النحو مثلًا مررت بزيد أنّ الباء متعلِّق بـ مررت قوله: بكاتب.

[3] ن: المغربي.

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾: ولا يمتنِعْ أحدٌ من الكُتَّاب، وهو معنى تنكيرِ ﴿كَاتِبٌ﴾.

﴿أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾: مثلَ ما علَّمه الله كتابةَ الوثائق، ولا يُبَدِّلُ ولا يُغَيِّر.

وقيل: هو كقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص ٢٨/٧٧]؛ أي: ينفع الناسَ بكتابته كما نفعَه الله بتعليمها.

وعن الشَّعبي: هي فرضُ كفايةٍ.

و﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ يجوز أن يتعلَّق بـ﴿أَن يَكْتُبَ﴾ وبقوله: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾.

**فإن قلتَ**: أيُّ فرق بين الوجهين؟

**قلت**: إن علَّقته بـ﴿أَن يَكْتُبَ﴾ فقد نُهي عن الامتناع من الكتابة المقيَّدة، ثم قيل له: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ يعني: فليكتب تلك الكتابةَ لا يَعْدِل عنها للتوكيد، وإن علَّقته بقوله: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ فقد نُهي عن الامتناع من الكتابة على سبيل الإطلاق ثمَّ أُمِر بها مقيَّدةً.

﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾: ولا يكنِ المُمْلي إلَّا مَن وجَب عليه الحقُّ؛ لأنَّه هو المشهودُ على ثباته في ذمَّته وإقراره به.

والإملاءُ والإملال لُغتان قد نطق بهما القرآن: ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الفرقان ٢٥/٥].

---

قوله: **(لا يَعدِل عنها)** يجوز بالرفع على الحال، أي: غير عادل وبالجزم عطفًا على **(فليَكتبْ)**.[١]

قوله: **(هو المشهود على ثباته)** ليس في المشهود ضمير؛ بل هو مستند إلى الجارّ والمجرور، والعائد إلى "اللام" هو الضمير في ذمّته، والضمير مِن "ثباته" / يعود إلى **(الحقّ)**، والضمير مِن **(إقراره)** يعود إلى "اللام"، ومِن **(به)** إلى "الحقّ". [٢٤٣ظ]

قوله: **(والإملاء والإملال لغتان)** الإملاء حجازيّة، والإملال تميميّة، ومعنى "الإملاء": قراءة الشيء أو تقريرُه ليكتبه السامع أو ليحفظه: أمّا الكتابة[٢] فكما في هذه الآية، وأمّا للحفظ[٣] فكما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً﴾ [الفرقان ٢٥/٥].

---

[١] ن ر + ومعناه قد نهى عن الكتابة.

[٢] ر: للكتابة.

[٣] ن: الحفظ.

﴿وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ﴾: من الحقّ ﴿شَيۡـٔٗاۚ﴾ والبخس: النقص، وقرئ: "شيًا" بطرح الهمزة، و: "شيًّا" بالتشديد.

﴿سَفِيهًا﴾: محجورًا عليه لتبذيره وجَهْله بالتصرف ﴿أَوۡ ضَعِيفًا﴾: صبيًّا أو شيخًا مُختلًّا.

﴿أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾: أو غيرَ مستطيعٍ للإملاء بنفسه لعِيٍّ به أو خَرَسٍ.

﴿فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ﴾: الذي يلي أمره: من وصيّ إن كان سفيهًا أو صبيًّا، أو وكيلٍ إن كان غيرَ مستطيع، أو تُرْجُمَانٍ يُمِلُّ عنه وهو يُصَدِّقه.

وقوله: ﴿أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ فيه: أنّه غير مستطيعٍ بنفسه ولكن بغيره، وهو الذي يُتَرجَمُ عنه.

﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ﴾: واطلبوا أن يشهدَ لكم شهيدان على الدَّين.

﴿مِن رِّجَالِكُمۡ﴾: من رجال المؤمنين، والحريَّةُ والبلوغُ شرطٌ مع الإسلام عند عامّة العلماء.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: لا تجوز شهادةُ العبد في شيء.

وعند شُريحٍ وابن سِيرينَ وعثمانَ البَتّيّ: أنها جائزة.

---

قوله: (**مُختلًّا**) اختلّ جسمه، أي: هُزِل.

قوله: (**إن كان غير مستطيع**) لعِيّ أو خَرَس.

قوله: (**فيه**) يعود إلى المبتدأ وهو قوله:[1] (**غير مستطيع بنفسه**) بدلالة (**هو**)، يعني إنّما أكّد الضمير المستتر بالبارز المنفصل[2] ليُفيد أنّ إملاله بنفسه غيرُ مقدور.

قوله: (**واطلبوا أن يشهد لكم**) والمطابق لظاهر اللفظ أن يقال: "أي: اطلبوا مِن الشهيدين الشهادة"، كما تقول:[3] معنى "استكتبَ زيدًا"، أي: طلب مِن زيد الكتابةَ.

قوله: (**وعثمان البتّي**) البتّيُّ: بيّاع البتِّ، وهو: الكساء الغليظ. وهو خليفة الحسن البصريّ. كتب إليه الإمام أبو حنيفة[4] كتاب **الرسالة في الكلام**.

[1] د ن + قوله.
[2] ن: المتصل.
[3] ن ر – كما تقول.
[4] ن ر + رحمه الله تعالى.

ويجوز عند أبي حنيفة رضي الله عنه شهادة الكفّار بَعضِهم على بعض على اختلاف الملل.

﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾: فإن لم يكن الشهيدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾: فليَشْهَدْ رجلٌ وامرأتان، وشهادةُ النساء مع الرجال مقبولةٌ عند أبي حنيفة رحمه الله فيما عدا الحدودَ والقصاص.

﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ﴾: ممن تعرفون عدالتَهم.

﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾: أن لا تهتديَ إحداهما للشهادة بأنْ تنساها، مِن ضَلَّ الطريق: إذا لم يهتدِ له، وانتصابُه على أنّه مفعول له؛ أي: إرادة أن تضِلَّ.

**فإن قلتَ**: كيف يكون ضلالُها مرادًا لله؟

---

قوله: **(وشهادةُ النساء)**... إلخ، شهادةُ النساء مقبولة عند الشافعيّ في المال فقط،[١] وعند أبي حنيفة مقبولة في جميع الأحكام إلّا فيما ذَكَر.[٢]

قوله:[٣] **(ممّن تعرفون عدالتَهم)** فيكون كناية؛[٤] لأنّ الرضا بالشهادة مِن لوازم معرفة العدالة، فكأنّه قيل: "ممّن تعرفون عدالتهم كائنين مِن جملة الشهداء ومِن بين الشهداء".[٥] و﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ﴾ صفة و﴿مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ حال.[٦]

قوله: **(وانتصابه)**، أي: انتصاب مَحلّ ﴿أَن تَضِلَّ﴾، وعامله محذوف، أي: أقمنا امرأتين مُقام رجل إرادةَ أن تضلّ، ومفعول ﴿تَضِلَّ﴾ محذوف، أي: تضِلّ[٧] إحداهما الشهادةَ.

قوله: **(كيف يكون؟)** يدل على أنّه جَعَله[٨] مفعولًا له لفعل[٩] محذوف، كأنّه قيل: "شرعنا ذلك أن تضلّ". وأنا أقول: لا يبعُد أن يكون مفعولًا له مِن معنى[١٠]

---

١ انظر: **المجموع** للنووي، ٢٠/٢٥٨.

٢ انظر: **المبسوط** للسرخسي، ١٦/١١٣-١١٥، ١٤٢-١٤٤؛ و**بدائع الصنائع** للكاساني، ٦/٢٨١-٢٨٢.

٣ ن ر - (وشهادة النساء)... إلخ، شهادة النساء مقبولة عند الشافعيّ في المال فقط وعند أبي حنيفة مقبولة في جميع الأحكام إلّا فيما ذكر. قوله.

٤ ر: كتابة.

٥ ن - ومن بين الشهداء.

٦ ن: قال.

٧ ن - ومفعول تضلّ محذوف، أي: تضلّ؛ ر - محذوف، أي: تضلّ.

٨ ن ر - جعله.

٩ ر - لفعل.

١٠ ن ر - معنى.

**قلتُ: لمّا كان الضلالُ سببًا للإذكار، والإذكارُ مسبَّبًا عنه، وهم ينزِّلون كلَّ واحدٍ من السبب والمسبَّب منزلةَ الآخر لالتباسهما واتصالهما= كانت إرادةُ الضلال المُسبَّبِ عنه الإِذْكارُ إرادةً للإذكار؛ فكأنّه قيل: إرادةَ أن تُذَكِّر إحداهما الأخرى إن ضَلَّتْ، ونظيرُه قولُهم: أَعدَدْتُ الخشبةَ أن يميلَ الحائط فأَدْعَمَه، و: أعدَدْتُ السلاحَ أن يجيءَ عدوٌّ فأَدفَعَه.**

**وقرئ: ﴿فتُذكر﴾ بالتخفيف والتشديد، وهما لغتان.**

**و: "فتُذَاكِر".**

**وقرأ حمزة: ﴿إِنْ تضِلَّ إحداهما﴾ على الشرط ﴿فتُذكِّرُ﴾ بالرفع والتشديد،**

---

﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾؛ لأنّه في معنى "فاستشهدوا رجلًا وامرأتين"، فكأنّه قيل: "فاستشهدوا رجلًا وامرأتين أن تضلَّ"، على المعنى الذي ذكره المصنِّف في الجواب، فتكون الإرادة المقدَّرة فعلَ المأمورين بالاستشهاد.

قوله: (**لمّا كان الضلال سببًا للإذكار**)... إلخ، تقريره أن يقول: التقدير "أقمنا امرأتين مُقام رجل إرادة أن تُذكِّر الشهادة إحداهما الأخرى عند ضلال الأخرى"، ثمّ قيل: "فتذكِّر"، فكأنّه قيل: "فتذكِّر إحداهما"، أي: تُعيد وتكرِّر التذكير؛ لأنّ المرأة قد تحتاج إلى تكرير التذكير. ففي قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ إقامة للسبب مقام المسبَّب. وأمّا قوله تعالى: ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ فهو على ظاهره مِن غير مجاز. فهذا تقرير كلام المصنِّف، وهو صحيح مستقيم كما ترى.

قوله: (**ونظيره قولهم: أعددتُ الخشبة**) إلى آخره، الغرضُ والمطلوب هو الدفع والدعم وليس مجيء العدوّ. يقال: "مال حائطه فدَعَمه بدِعامة" وهي كالعِماد يُسند إليه ليستمسِك به.

قوله: (**وقرأ حمزة: ﴿إن تَضِلَّ﴾**)... إلخ،[1] أي: إن تضلّ إحداهما فتذكِّرُ،

---

[1] قرأ بها حمزة. السبعة لابن مجاهد، ص ١٩٣؛ النشر لابن الجزري، ٢/٢٣٦.

كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة ٩٥/٥].

وقرئ: "أن تُضَلَّ إحداهما" على البناء للمفعول والتأنيث.

ومن بدَعِ التفاسير: ﴿فَتُذَكِّرَ﴾: فتجعلَ إحداهما الأخرى ذَكَرًا، بمعنى: أنَّهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكَرِ.

﴿إِذَا مَا دُعُواْ﴾ ليقيموا الشهادة، وقيل: ليُستَشْهَدُوا.

وقيل لهم: "شهداء" قبل التحمُّل تنزيلًا لِمَا يُشارِفُ منزلةَ الكائن.

وعن قتادة: كان الرجلُ يطوفُ في الحِوَاء العظيم فيه القومُ فلا يتبعه منهم أحدٌ، فنزلت.

كُنِّي بالسَّأَمِ عن الكسل؛ ..........................................

---

أي: فهي[1] تُذكِّرُ إحداهما الأخرى. والضمير -أعني قوله: "فهي"- للشهادة، أي: فالشهادة تُذكِّرها[2] إحداهما الأخرى.

قوله: / (كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة ٩٥/٥])، أي: فهو ينتقم الله منه، أي: فالعائد ينتقم الله منه. [٢٤٤و]

قوله: (وقيل لهم: شهداء) هذا على الوجه الثاني.

قوله: (في الحِواء العظيم) الحِواء: جماعة بيوت مِن الناس مجتمعة، والجمع الأحوِية.[3]

قوله: (كُنيَ بالسأم عن الكسل) اعلم أنّ السآمة كلال يعرِض للشخص مِن كثرة العمل، وليس المراد ههنا ذلك المعنى؛ لأنّ النهي متوجّهٌ سواء كان ذلك الشخص ممّن تكرّر منه الفعل أو[4] كان ذلك أوّل كتابته، فلذلك قال: "المراد به الكسل": وهو الامتناع عن الفعل الحَسَن مع القدرة عليه. ثمّ قال: (ويجوز) وهو عطف على قوله: "كُنيَ" وهو ظاهر. السآم والسأَم: المَلَال والضجر مِن كثرة الفعل،

---

[1] ر: فهو.
[2] ن: تذكر.
[3] ن: أحوية.
[4] ن: أي.

لأن الكسل صفة المنافق، ومنه الحديث: «لا يقول المؤمنُ كَسِلْتُ».

ويجوز أن يرادَ مَن كثرَتْ مُدايناتُه فاحتاج أن يكتبَ لكلِّ دَينٍ صغير أو كبير كتابًا، فربما مَلَّ كثرةَ الكتْب.

والضمير في ﴿تَكۡتُبُوهُ﴾ للدَّين أو الحقّ ﴿صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا﴾: على أيِّ حالٍ كان الحقُّ من صغر أو كبر.

ويجوز أن يكون الضمير للكتاب، وأن يكتبوه مختصرًا أو مشبعًا ولا يُخلُّوا بكتابته.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾: إلى وقته الذي اتَّفقَ الغريمان على تسميته.

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ إشارةٌ إلى ﴿أَن تَكۡتُبُوهُ﴾؛ لأنه في معنى المصدَر؛ أي: ذلكم الكَتْبُ.

﴿أَقۡسَطُ﴾: أعدلُ، مِن القِسْط ﴿وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾: وأعْونُ على إقامة الشهادة ﴿وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾: وأقربُ مِن انتفاء الريب.

---

أي: عُبِّر بالسأم دون الكسل؛ (لأنّ الكسل صفة المنافقين)، ولم يُعبَّر به لئلا يُطلق الكسل على المؤمنين. وقوله: (ويجوز) عطف على (كُنِيَ)، أي: يجوز أن يراد حقيقة السأم ولا يكون السأم كناية عن الكسل.

قوله: (وأن تكتبوه مختصرًا)... إلخ، فيه اختصار، أي: وأن يكون المعنى: أن تكتبوه مختصرًا أو مشبَعًا.

قوله: (ولا تُخِلُّوا) مِن "أخلَّ الرجل بمركزه"، أي: تَرَكه.

قوله: (أي: ذلكم الكَتْب) إنّما قال: "ذلكم الكَتْب" ولم يقل: "الكتابة" ليرجع اسمُ الإشارة المذكَّر إلى المذكَّر.

قوله تعالى: (﴿أَقۡسَطُ﴾) بمعنى أعدَل عند الله، أي: في حكمه. و(﴿وَأَقۡوَمُ﴾)، أي: أعوَن على إقامتها، وذلك أنّ الكتاب يُذكِّر الشهود شهادتَهم، فتكون شهادتُهم أقوَم مِن أن لو شهدوا على ظنّ ومَخِيلة.[١]

---

[١] ن ر - يكون المعنى... على ظنّ ومَخيلة.

**فإنْ قلتَ**: مِمَّ بُني أَفْعلا التفضيل؟ أعني: ﴿أَقْسَطُ... وَأَقْوَمُ﴾.

**قلتُ**: يجوز على مذهب سيبويه أن يكونا مبنيين من أقسطَ وأقامَ، وأن يكون ﴿أَقْسَطُ﴾ من قاسِطٍ على طريقةِ النَّسب، بمعنى: ذي قِسْط، و﴿أَقوَمُ﴾ من قويم.

وقرئ: "ولا يَسأمُوا أنْ يَكْتُبوه" بالياء فيهما.

**فإن قلتَ**: ما معنى ﴿تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾ وسواءٌ كانت المبايَعةُ بدَينٍ أو بِعَيْنٍ فالتجارةُ حاضرةٌ؟ وما معنى إدارَتِها بينهم؟

**قلتُ**: أريد بالتجارة ما يُتَّجر فيه من الأَبدال، ومعنى إدارتها بينهم: تعاطيهم إيَّاها يدًا بيد، والمعنى: إلَّا أنْ تَتبايَعوا بَيْعًا ناجزًا يدًا بيدٍ فلا بأس أنْ لا تكتبوا؛ لأنَّه لا يُتوهم فيه ما يُتوهم في التداين.

وقرئ: ﴿تجارةٌ حاضرةٌ﴾ بالرفع على "كان" التامّة، وقيل: هي الناقصةُ على أن الاسم ﴿تجارةٌ حاضرةٌ﴾ والخبرَ ﴿تُدِيرُونَهَا﴾.

---

قوله: (مِن القِسْط)، أي: اشتُقَّ مِن "القِسط" بالكسر "قاسط"، ثمّ اشتُقّ "أقسط" مِن "قاسط".

قوله: (مِن "أقسَط" و"أقام") نظيره قولهم: "هو أعطاهم للدينار والدرهم وأولاهم للمعروف". وقوله: (على طريقة النسب) وإنّما قال: "على طريقة النسب"؛ لأنّه لم يجئ مِن "القِسط" بالكسر بمعنى "العدل" فعلٌ ليكون "قاسط" اسم فاعل منه، وإنّما جاء "قاسط" منه بمعنى "ذي كذا". «القُسوط: الجَور والعدول عن الحقّ، وقد قَسَط يقسِط قسوطًا، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن ١٥/٧٢]. والقِسط بالكسر: العدل، تقول منه: "أقسط الرجل، فهو مقسِط"، قال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ [المائدة ٤٢/٥]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة ٤٢/٥]».[1]

قوله: (مِن[2] "قويم")، أي: مستقيم.

قوله: (ما يُتوهَّم)، أي: مِن الرَّيب.

---

[1] الصحاح للجوهري، «قسط».

[2] ن ر - مِن.

وبالنصب على: إلَّا أن تكونَ التجارةُ تجارةً حاضرةً؛ كبيت الكتاب:

بَني أسدٍ هل تعلمون بَلاءَنا إذا كان يومًا ذا كواكبَ أشْنَعَا

أي: إذا كان اليومُ يومًا.

﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ أَمْرٌ بالإشهاد على التبايُع مطلقًا ناجزًا أو كالِئًا؛ لأنه أحوطُ وأبعدُ ممَّا عسى يقع من الاختلاف.

ويجوز أن يرادَ: وأشهِدوا إذا تبايعتُم هذا التبايعَ، يعني: التجارةَ الحاضرةَ، على أنَّ الإشهاد كافٍ فيه دون الكتابة.

وعن الحسن: إن شاء أَشْهَدَ وإن شاء لم يُشْهِدْ.

وعن الضحاك: هي عَزِيمَةٌ من الله تعالى ولو على بَاقَةِ بَقْلٍ.

---

قوله: (على "إلَّا أن تكون التجارةُ") على إضمار اسم "كان".

قوله:

(بني أسدٍ هل تعلمون بلاءنا)[1] البيت.

"بلاءَنا"،[2] أي: قتالنا الشديد. واليوم الأشنع: هو اليوم الذي علا[3] شرُّه[4] وارتفع. ويقال لليوم الشديد: ذو الكواكب. ويقال في التهديد: «لأُرِيَنَّك الكواكب ظهرًا»،[5] و"يوم لا تَوارى كواكبُه"، و"يوم ذو كواكب". إذا كان شديدًا.[6]

قوله: (أو كالِئًا) كَلَأَ الدَّين، أي: تأخَّر، فهو كالئ. والكالئ: النسيئة.[7]

قوله: (هي عزيمة)،[8] أي: قضية الإشهاد عزيمة.

قوله: (ولو على باقة بَقْل) الباقة مِن البقل: حُزمة منه.

---

١ البيت لعمرو بن شأس في ديوانه، ص ٣١؛ وهو له في كتاب سيبويه، ١/٤٧.

٢ ر – البيت، بلاءنا.

٣ ن – علا.

٤ ن: عاشره.

٥ انظر: ثمار القلوب للثعالبي، ص ٣١١؛ ومجمع الأمثال للميداني، ٢/٤٥.

٦ ن – إذا كان شديدًا.

٧ ن: التشبيه.

٨ لم أقف عليه في مظانّه، ولا فيما سبق الكشّاف مِن التفاسير.

﴿وَلَا يُضَآرَّ﴾ يحتمِلُ البناءَ للفاعل والمفعول، والدليلُ عليه قراءةُ عمرَ رضي الله عنه: "ولا يضارِرْ" بالإظهار والكسر، وقراءةُ ابن عباس رضي الله عنهما: "ولا يُضارَرْ" بالإظهار والفتح.

والمعنى: نهيُ الكاتب والشهيد عن تركِ الإجابة إلى ما يُطلَب منهما، وعن التحريف والزيادة والنقصان، أو النهيُ عن الضرار بهما بأن يُعْجلا عن مُهِمّ ويُلَزَّا، أو لا يُعْطَى الكاتِب حقَّه من الجُعْل، أو يُحمَّل الشهيدُ مُؤنَةَ مجيئهِ من بلدٍ.

وقرأ الحسن: "ولا يُضارِّ" بالكسر.

﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾: وإن تُضارُّوا ﴿فَإِنَّهُۥ﴾: فإنَّ الضِّرار ﴿فُسُوقُۢ بِكُمْ﴾.

وقيل: وإن تَفعلوا شيئًا مما نُهِيتُم عنه.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾

﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: مسافرين.

وقرأ ابن عباس وأُبيٌّ رضي الله عنهما: "كتابًا"، وقال ابن عباس رضي الله عنهما:

---

قوله: (**والمعنى: نهيُ الكاتب**) على تقدير البناء للفاعل.

قوله: (**أو النهيُ عن الضِّرار بهما**)[١] على تقدير البناء للمفعول.

قوله: (**بأن**[٢] **يُعجلا**[٣] **عن مُهمّ**)، أي: يُبعِد عن مهمّهما. يقال: لزَّه،[٤] / أي: ألصقه. [٢٤٤ظ]

قوله: (**وقرأ ابن عبّاس وأُبيّ: "كِتابًا"**)[٥] مصدر "كَتَب".

---

١ ن: بينهما.

٢ ن - بأن.

٣ في هامش د: أي: الشاهدان.

٤ ر: لزقه.

٥ في هامش د: بمعنى كِتْبة. | قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس ومجاهد والحسن. **المغني في القراءات للنُّوزاوازي**، ص ٥٥٧.

أرأيتَ إن وَجَدْتَ الكاتب ولم تجد الصحيفة والدَّوَاةَ.

وقرأ أبو العالية: "كُتُبًا". وقرأ الحسن: "كُتَّابًا" جمع كاتب.

﴿فرُهُن﴾: فالذي يُسْتَوْثَقُ به رُهُنٌ.

وقرئ: ﴿فَرُهُنٌ﴾ بضمِّ الهاء وسكونها، وهو جمع رَهْنٍ كسَقْفٍ وسُقُفٍ، و: ﴿فَرِهَٰنٌ﴾.

فإن قلتَ: لم شُرِط السفرُ في الارتهان، ولا يختصُّ به سفرٌ دون حضرٍ، وقد رَهَنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم دِرْعَه في غير سفر؟

---

قوله: (أرأيتَ)، أي: أخبرني.

قوله: (ولم تجد الصحيفة والدواة)[١] كأنّ ابن عبّاس رضي الله عنه[٢] أشار بهذا القول إلى[٣] أنّ "كِتابًا" هنا أولى مِن "كاتبًا" ليشمل الجميع، أعني ما إذا لم يُوجد الكاتب أو الصحيفة أو الدواة.

قوله: (بضمّ "الهاء") سبعة،[٤] وسكونها شاذّ.[٥]

قوله: (وهو[٦] جمع "رَهْن") قال أبو عمرو: "رُهُن" بضمّتين جمع "رَهْن" كـ"سَقْف وسُقُف"، ثمّ يُخفَّف.[٧]

قوله: (و﴿فَرِهَٰنٌ﴾)، أي: قرئ ﴿فَرِهَٰنٌ﴾ سبعة.[٨] و"رِهان" جمع "رَهْن" نحو "حَبْل[٩] وحِبال"[١٠] و"بَغْل وبِغال" و"نَعْل ونِعال".[١١]

قوله: (وقد رَهَن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)[١٢] بيان عدم الاختصاص.

---

١ لم أقف عليه في مظانّه، ولا فيما سبق الكشّاف مِن التفاسير.

٢ د - رضي الله عنه.

٣ ن - إلى.

٤ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضمّ الراء والهاء. السبعة لابن مجاهد، ص ١٩٤؛ النشر لابن الجزري، ٢٣٧/٢.

٥ قراءة شاذّة، مروية عن الجَحدري، وقتادة، وعمرو بن عُبيد، وعبد الوارث، ومحبوب عن أبي عمرو، وأبي حاتم عن عاصم وابن كثير. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٥٥٧.

٦ ر - وهو.

٧ انظر: الصحاح للجوهري، «رهن».

٨ قرأ بها نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم. السبعة لابن مجاهد، ص ١٩٤؛ النشر لابن الجزري، ٢٣٧/٢.

٩ ر: جبل.

١٠ ر: وجبال.

١١ ن - ونعل ونعال.

١٢ د: عليه السلام.

**قلتُ:** ليس الغرضُ تجويزَ الارتهان في السفر خاصَّةً، ولكنَّ السفر لمَّا كان مظنَّةً لإعْواز الكَتْبِ والإشهادِ أُمِرَ على سبيل الإرشاد إلى حفظِ المال مَن كان على سفرٍ بأنْ يُقيم التوثُّق بالارتهان مقام التوثُّق بالكَتْب والإشهاد.

وعن مجاهدٍ والضحاك: أنهما لم يُجوِّزاه إلَّا في حال السفر أَخْذًا بظاهر الآية، وأما القبضُ فلا بدَّ من اعتباره، وعند مالك يصحُّ الارتهانُ بالإيجاب والقبولِ بدون القبض.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: فإن أَمِنَ بعضُ الدائنين بعضَ المديونين لحسنِ ظنِّه به.

وقرأ أُبيٌّ: "فإن أُومِنَ"؛ أي: آمنَه الناسُ، ووصَفوا المديونَ بالأمانة والوفاء والاستغناءِ عن الارتهان من مثله.

﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ حثٌّ للمديون على أن يكون عند ظنِّ الدائن به

---

قوله: **(وعند مالك يصحُّ)** يريد بالصحّة اللزوم؛ لأنّه بدون القبض يصحُّ، ولكن لزومه عند الجمهور بالقبض.[1]

قوله: **(فإن أمِن بعض الدائنين)**، أي: لم يَخَف خيانته وجحود الحقّ فلم يُشهِد.

قوله: **(وقرأ أُبيّ "فإن أُومِن"،[2] أي: آمَنه الناس)**، أي: فإن آمَن الناسُ ﴿بَعْضُكُم بَعْضًا﴾،[3] بأن **(وصفوا المديون)** عند الدائن **(بالأمانة والوفاء)** فالضمير في قوله: "آمَنه" لقوله: ﴿بَعْضُكُم﴾.

قوله: **(عند ظنّ الدائن)**، أي: يكون أمينًا كما ظنّه الدائن أمينًا. وتحقيقُه أنّ الدائن إذا ظنّه أمينًا يكون ظنّ الدائن مقارنًا لأمانته، فإذا كان هو عند الظنّ يكون عند الأمانة، وإذا كان عند الأمانة[4] كان الأمانة قائمة به، فيكون أمينًا،

---

[1] انظر: **أحكام القرآن** لابن العربي، ١/٣٤٣؛ و**تفسير القرطبي**، ٣/٤٠٧ (البقرة، ٢/٢٨٣).

[2] قراءة شاذّة، مروية عن أُبيّ بن كعب. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٥٥٧.

[3] ن ر - بعضًا.

[4] ن ر - وإذا كان عند الأمانة.

**وأَمْنِهِ منه وائتمانِه له، وأن يُؤَدِّيَ إليه الحقَّ الذي ائتَمَنَه عليه فلم يَرْتَهِنْ منه، وسَمَّى الدَّينَ أمانةً وهو مضمونٌ لائتمانه عليه بترك الارتهان منه.**

**والقراءةُ أَنْ تُنْطَقَ بهمزة ساكنةٍ -بعد الذال- أو ياءٍ، فتقول: "الَّذِئْتُمِنَ" أو "الَّذِيتُمِنَ"، وعن عاصمٍ أنه قرأ: "الَّذِتُّمِنَ" بإدغام الياء في التاء قياسًا على "اتَّسَر" في الافتعال من اليُسر، وليس بصحيح، لأن الياء منقلبةٌ عن الهمزة فهي في حكمِ الهمزة، و"اتَّزرَ" عاميٌّ، وكذلك "رُيًّا" في "رُؤْيَا".**

---

وهو معنى قوله: (وأَمْنِه)، أي: وعند أمنه، فإنّه إذا كان عند أمنه كان أمينًا.[1] ومنه قوله صلّى الله عليه وسلّم[2] حكاية عن الله تعالى: «أنا عند ظنّ عبدي بي»،[3] فإنّ العبد إذا ظنّ[4] رحمة الله كان ظنُّه مقارنًا للرحمة، فإذا كان تعالى عند ظنّ العبد كان عند الرحمة، أي: كان تعالى رحيمًا به. وأمّا معنى كونه عند أمنه فهو أن يكون أمينًا؛ لأنّه إذا كان أمينًا كان حافظًا لأَمْن الدائن ولائتمان الدائن، لأنّه إذا ظهر خيانته لا يأمنه الدائن ولا يأتمنه.

قوله: (وأن يؤدّيَ) عطف على قوله: (أن يكون).

قوله: (وهو)، أي: الدَّين مضمون.

قوله: (لائتمانه عليه)، أي: لائتمان الدائن المديون على الدَّين.

قوله:[5] (والقراءة)، أي: القراءة المشهورة.

قوله: (و"اتّزر" عاميّ) و"اتّزر" إذا كان مِن "الإزار" عاميّ، أي: لغة غير فصيحة، وأمّا إذا كان مِن "الوِزْر" ففصيح.

قوله:[6] (وكذلك "رُيًّا" في "رُؤْيَا") "ريّا" مِن "رُؤيا" عاميّ غير فصيح، بخلافه مِن "رَوِيَ" بأن يبنى منه "فُعْلى" فإنّه يكون فصيحًا.

---

[1] ن - وهو معنى قوله: (وأمنِه)، أي: وعند أمنه فإنّه إذا كان عند أمنه كان أمينًا.

[2] د: عليه السلام.

[3] صحيح البخاري، ١٢١/٩ (٧٤٠٥)؛ صحيح مسلم، ٢٠٦١/٤ (٢٦٧٥).

[4] ن - ظنّ.

[5] ر + على.

[6] ر - قوله.

﴿ءَاثِمٌ﴾ خَبر "إنَّ"، و﴿قَلْبُهُۥ﴾ رَفْعٌ بـ﴿ءَاثِمٌ﴾ على الفاعليَّة؛ كأنه قيل: فإنَّه يأثَمُ قلبه.

ويجوز أن يرتفع ﴿قَلْبُهُۥ﴾ بالابتداء، و﴿ءَاثِمٌ﴾ خبرٌ مقدَّمٌ والجملةُ خبرُ "إنَّ".

**فإن قلتَ**: هلَّا اقتصر على قوله: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ﴾، وما فائدةُ ذكر القلب والجملةُ هي الآثمةُ لا القلبُ وحده.

**قلتُ**: كتمانُ الشهادة: هو أن يُضمِرَها ولا يتكلَّمَ بها، فلمَّا كان إثمًا مقترَفًا بالقلب أُسنِد إليه؛ لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يُعمل بها أبلغُ، ألا تَراك تقول إذا أردتَ التوكيد: هذا مما أبصرَتْه عيني ومما سمعَتْه أُذُني وممَّا عرَفه قلبي.

ولأن القلب هو رئيس الأعضاء والمضْغةُ التي إن صَلَحَتْ صَلَح الجَسدُ كلُّه وإن فسَدَتْ فَسَد الجسدُ كلُّه؛ فكأنه قيل: فقد تمكَّن الإثمُ في أصل نفسه وملكَ أَشرفَ مكانٍ فيه.

ولئلَّا يُظنَّ أنَّ كتمانَ الشهادة من الآثام المتعلِّقة باللسان فقط، وليُعلم أنَّ القلب أصلُ مُتعَلَّقِه ومَعْدِنُ اقترافه، واللسانُ تُرجُمانٌ عنه.

ولأن أفعالَ القلوب أعظمُ من أفعال سائرِ الجوارح، وهي لها كالأصول التي تَتشعَّبُ منها، ألَا تَرى أنَّ أصل الحسنات والسيِّئات الإيمانُ والكفرُ وهما من أفعال القلوب، فإذا جُعِل كتمانُ الشهادة من آثامِ القلوب فقد شُهِد له بأنه من مَعاظمِ الذنوب.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أكبرُ الكبائر: الإشراكُ بالله؛ لقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة ٥/٧٢]، وشهادةُ الزُّور، وكتمانُ الشهادة.

وقُرِئ: "قلبَه" بالفتح؛ كقوله: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾.

---

قوله: (**أشرفَ مكانٍ فيه**)، أي: في أصل نفسه.

**قوله: (وقرئ "قَلْبَهُ"[١] بالفتح)، أي: "في قلبه" فحذف الجارّ وفتح.**

---

[١] قراءة شاذّة، مروية عن ابن أبي عبلة. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٥٥٩.

وقرأ ابن أَبِي عَبْلة: "أَثَّم قلبَه"؛ أي: جعَله آثِمًا.

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾

﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ يعني: من السوء ﴿يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾: لمن استوجَب المَغفرةَ بالتوبة ممَّا أظهَر منه أو أضمر ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: مَن استوجَبَ العقوبةَ بالإصْرار.

ولا يدخُل فيما يُخْفِيه الإنسانُ: الوَساوِسُ وحديثُ النفس؛ لأن ذلك مما ليس في وسعه الخُلوُّ منه، ولكنْ ما اعتَقَده وعزَم عليه، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّه تَلاها فقال: لئن أخَذَنا الله بهذا لنَهْلِكَنَّ! ثم بكى حتى سُمِعَ نشِيجُهُ،

---

قوله: (لمَن استوجب المغفرةَ) فسَّر المصنِّف قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ بقوله: "لمن استوجب"، وفيه عدول عن مذهب أهل السُّنّة والجماعة، فإنّهم يحملونه على ظاهره، ويقولون: إن شاء الله يغفر المؤمنين المذنبين تابوا أو لم يتوبوا. وكذا في قوله: "استوجب" عدول عن الصواب؛ لأنّ التائب يستحق المغفرة ولا يستوجبها، فإنّه لا يجب شيء على الله تعالى. والحاصلُ أنّ المصنِّف شَرَط في المغفرة التوبة، وهو خلاف مذهب أهل السُّنّة والجماعة، وأيضًا / أوجب على الله المغفرة [٢٤٥و]
عند التوبة، وهذا[1] أيضًا بخلاف مذهب أهل السُّنّة.[2]

قوله: (ممّا أظهر منه)، أي: ممّا أظهره منه، فالمستتر عائد إلى "مَن استوجب"، والمحذوف إلى "ما"، والضمير في "منه" عائد إلى (السوء). وقوله: "منه" بيان لـ"ما أظهر".

قوله: («نشيجُه») نَشَج الباكي ينشِج نشيجًا إذا غصّ بالبكاء في حلقه مِن غير انتحاب.

---

١ ن – خلاف مذهب أهل السُّنّة والجماعة وأيضًا أوجب على الله المغفرة عند التوبة وهذا.

٢ ر – والجماعة وأيضًا أوجب على الله المغفرة عند التوبة وهذا أيضًا بخلاف مذهب أهل السُّنّة. | انظر: الإرشاد للجويني، ص ٤٠٣؛ وتفسير الرازي، ١٣٧/٧ (البقرة، ٢٨٤/٢).

فذُكِر لابن عبَّاس فقال: يغفرُ الله لأبي عبد الرحمن، قد وَجَد المسلمون منها مثلَ مَا وجَد، فنزل ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ الآية.

وقرئ: ﴿فيَغْفِر... ويُعذب﴾ مجزومَين عطفًا على جواب الشرط، ومرفوعَيْن على فهو يغفرُ ويُعَذِّبُ.

**فإن قلتَ**: كيف يَقرأ الجازم؟

**قلتُ**: يُظهِرُ الراءَ ويُدْغِمُ الباء، ومُدْغِمُ الراءِ في اللام لاحِنٌ مُخْطِئٌ خطأً فاحشًا، وراويهِ عن أبي عَمْرٍو مخطئٌ مرتين؛ لأنه يَلحَنُ ويَنْسبُ إلى أعلم الناس بالعربيَّة ما يُؤذِنُ بجَهْلٍ عظيمٍ، والسببُ في نحو هذه الروايات قلَّةُ ضبط الرُّواة، والسببُ في قلَّة الضبط قلَّةُ الدراية، ولا يَضْبِطُ نحوَ هذا إلَّا أهلُ النحو.

---

قوله: (**لأبي عبد الرحمن**) أبو عبد الرحمن كنية عبد الله[1] بن عمرَ رضيَ الله تعالى عنهما.[2]

قوله: (**«منها»**)، أي: مِن الآية.[3]

قوله: (**«ما وَجَد»**)،[4] أي: أبو[5] عبد الرحمن.

قوله: (**ومرفوعَين**)[6] فيكون عطفًا على جملة قوله: ﴿إِن تُبْدُواْ﴾... إلخ. وقوله: (**مُخْطئ**) بيان لقوله:[7] (**لاحنٌ**). وقوله: (**مُخطئ خطأً فاحشًا**) أقول: المُخطِئ خاطئ لطعنه فيما ثبت صحتُه ونَقْله عمّن ثبت عصمتُه، وليس المخطَأ بمُخطئ؛ لأنّه إنّما ينقل ما ثبت عنده بالسند الصحيح المتّصل إلى النبيّ عليه السلام[8] المعصوم عن الغلط في مثله. والكلام المشبع فيه قد أمليناه على أصحابنا فيما تقدَّم. اعلم أنّ هذا كلام صحيح لو صحّ استناده إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم،[9]

---

[1] ر: الرحمن.

[2] د - رضي الله عنهما.

[3] ن: الولاية.

[4] الحديث بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ١٣٢/٥ (البقرة، ٢٨٤/٢)؛ وشعب الإيمان للبيهقي، ٥٠٩/١ (٣٢٤).

[5] ن: أي؛ ر - أبو.

[6] ن: ومن نوعين.

[7] ن ر - فيكون عطفًا على جملة قوله: ﴿إِن تُبْدُواْ﴾... إلخ، وقوله: (مخطئ) بيان لقوله.

[8] ن ر - عليه السلام.

[9] د: عليه السلام.

وقرأ الأعمش: "يَغفِرْ" بغير فاءٍ مجزومًا على البدل من ﴿يُحَاسِبْكُم﴾، كقوله:

متى تأتِنا تُلمِمْ بنا في ديارنا تجِدْ حَطبًا جَزلًا ونارًا تأجَّجا

ومعنى هذا البدلِ: التفصيلُ لجملةِ الحساب؛ لأنّ التفصيلَ أوضحُ من المفصَّل فهو جارٍ مَجرى ..........................................

---

لكنّ كلام المصنِّف في صحّة هذا الاستناد؛ لأنّه يقول: "ما ضبطه الراوي عن أبي عمرو". وهذا ليس ببعيد فيما هو مِن قبيل الأداء دون المكتوب بين دفتي **المصحف** المنقول تواترًا.

قوله:

**(متى تأتِنا تُلمِمْ بنا في ديارنا تجِدْ حطبًا جزلًا ونارًا تأجَّجا)**[1]

اعلم أنّ ظاهر كلام المصنِّف يدلُّ على أن "تجِدْ" بدل مِن "تُلمِمْ"، لأنّه أورده مثالًا للبدل مِن الجزاء، لكنّ الصواب أنّ "تُلمِمْ" بدل مِن "تأتِنا" و"تَجِد" هو الجزاء.

قوله: **(لأنّ التفصيل أوضح مِن المفصَّل)**، أي: أنّ قوله:[2] ﴿يُحَاسِبْكُم﴾ مُجمَل فصّله وبيّنه بقوله: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾، وإنّما بيّنه به،[3] لأنّ التفصيل أوضح مِن المفصَّل، وكان القياس أن يقول: "أوضح مِن المُجمَل" أو "مِن الإجمال"، لكن جَعَل ما وَقَع فيه ولأجله التفصيل مُفصَّلًا، فقال: "أوضح مِن المفصَّل". ثمّ إن أُريد بقوله: ﴿يُحَاسِبْكُم﴾ معناه الحقيقيّ فيكون قوله: ﴿يَغْفِرْ﴾ بدل الاشتمال، كقولك: "أحِبُّ زيدًا عِلمَه"، وإن أُريدَ به المُجازاة[4] فيكون قوله: ﴿يَغْفِرْ لِمَن يَشَآءُ﴾ بدل البعض، كقولك: "ضربتُ زيدًا رأسَه"، أو بدل الكلّ إذا عُطف عليه ﴿يُعَذِّبْ﴾.

---

[1] البيت لعُبيد الله بن الحُرّ الجُعفي في شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي، ٦٦/٢؛ وسرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، ٦٧٨/٢؛ وهو بلا عزو شاهدًا على البدليّة في كتاب سيبويه، ٨٦/٣. وانظر تفصيل الكلام عليه في خزانة الأدب للبغدادي، ٩٠/٩-٩٩.

[2] ن – قوله.

[3] ن ر – به.

[4] ر: المجاز.

بدلِ البعض من الكلِّ، أو بدلِ الاشتمال، كقولك: ضربتُ زيدًا رأسَه، و: أُحبُّ زيدًا عَقْلَه، وهذا البدل واقعٌ في الأفعال وقوعَه في الأسماء؛ لحاجةِ القبيلين إلى البيان.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ إنْ عُطف على ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ كان الضميرُ الذي التنوينُ نائبٌ عنه في ﴿كُلٌّ﴾ راجعًا إلى الرسولِ والمؤمنين؛ أي: كلُّهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورُسله من المذكورين، ووُقِف عليه، وإن كان مبتدأً كان الضمير للمؤمنين.

وَوُحِّدَ ضميرُ ﴿كُلٌّ﴾ في ﴿ءَامَنَ﴾ على معنى: كلُّ واحدٍ منهم آمَن، وكان يجوز أن يُجمع كقوله: ﴿وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل ٢٧/٨٧].

---

قوله: "لأنّ التفصيل"... إلخ، يحتمل أن يكون المعنى "الإتيانُ بالتفصيل بعد الإجمال أوضحُ وأبيَنُ للكلام مِن الإتيان به مفصَّلًا"؛ لأنّ فيه ذِكرَه مرّتين. وهذا لا شكَّ أنّه أظهر ممّا كتبنا[١] في **الحاشية** مِن الجانب الآخر. وهذا المعنى قد ورد في خاطر ولدي الأعزّ فرج الله، جَعَله الله[٢] مِن العلماء المتقنين[٣] والفضلاء المتدبِّرين بفضله وكرمه فإنّه أكرم الأكرمين.

قوله: **(بدلِ البعض)** ولا يبعد أن يقال: "هو بدل الكلّ"؛ لأنّ المجموع، أي: ﴿يَغۡفِرُ﴾ و﴿يُعَذِّبُ﴾ بدل.

قوله: **(مِن المذكورين)**، أي: كلّهم مِن المذكورين. وقوله: **(ووَقَف عليه)**،[٤] أي: على المؤمنين.

قوله: **(وإن كان)**، أي: ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

قوله: **(في[٥] ﴿ءَامَنَ﴾)** حال. وقوله: ﴿دَٰخِرِينَ﴾ [النمل ٢٧/٨٧]، أي: صاغرين.

١ ن ر: كتبناه.
٢ ن + تعالى.
٣ ن: المتقين.
٤ ن ر - (ووقف عليه).
٥ ن ر - في.

وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وكتابِه﴾ يريد القرآنَ أو الجنسَ، وعنه: الكتابُ أكثرُ من الكتب.

**فإن قلتَ:** كيف يكون الواحدُ أكثرَ من الجمع؟

**قلت:** لأنه إذا أُريدَ بالواحد الجنسُ -والجنسيَّةُ قائمةٌ في وحدانِ الجنس كلِّها- لم يخرج منه شيء، وأما الجمعُ فلا يدخلُ تحته إلا ما فيه الجنسيَّةُ من الجموع.

﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ يقولون: لا نفرِّق، وعن أبي عَمْرو: ﴿لا يُفرِّق﴾ بالياء على أنَّ الفعل لـ﴿كُلٌّ﴾.

وقرأ عبد الله: ﴿لا يُفرِّقون﴾.

و﴿أَحَدٍ﴾ في معنى الجمع؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة ٤٧/٦٩]، ولذلك دخل عليه ﴿بَيْنَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾: أجبنا.

﴿غُفْرَانَكَ﴾ منصوبٌ بإضمار فعله، يقال: غفرانَك لا كُفرانَك؛ أي: نستغفرك ولا نكفُرك.

وقرئ: "وكُتْبِه ورُسْلِهِ" بالسكون.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

"الوُسْع": ما يَسَعُ الإنسانَ ولا يَضِيق عليه ..........................

---

قوله: (كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة ٤٧/٦٩]) فإنّه لو لم يكن في معنى الجمع لقال "حاجز" دون ﴿حَٰجِزِينَ﴾، كما يقال: "ما مِن رجل عالم"، ولا يقال: "ما مِن رجل عالمين".

[٢٤٥ظ] قوله: (الوُسْع: ما يَسَع / الإنسان) فيكون المعنى "لا يكلّفه إلّا بشيء

ولا يَحْرَجُ فيه؛ أي: لا يكلِّفُها إلَّا ما يتَّسع فيه طوقُهُ ويتيسَّرُ عليه دون مَدَى الطاقة والمجهود، وهذا إخبارٌ عن عدله ورحمته؛ كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البقرة ١٨٥/٢] لأنه كان في إمكان الإنسان وطاقته أن يصلِّي أكثر من الخمس ويَصومَ أكثر من الشهر ويَحجَّ أكثر مِن حجَّةٍ.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلة: "وَسعَها" بالفتح.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾: ..................

---

يكون الإنسان فيه كما يكون الشخص في المكان الواسع"، يقال: "وَسِع المكانُ الشيءَ"، وكذا يقال: "وَسِع الشيءُ المكانَ"، ولا يقال: "في المكان".[1] ومعناه "وَسِعه المكانُ"، وذلك إذا لم يضِق عنه. ومنه قولُهم: "لا يسعُك أن تفعل كذا"، أي: "لا يجوز"، لأنّ الجائز موسّع غير مضيّق. وقولُ مَن قال: "إذا اجتمعوا في أكبر مساجدهم ولم يسَعوا فيه"، صوابُه "لم يسَعوه" بطرح "في". وإذا عرفتَ استعمالَي[2] "وَسِع" فاعلم أنّ الضمير مِن[3] (يَحْرَج)، أي: يضيق: يجوز أن يعود إلى ما في "ما يسع" ويكون قوله: (فيه) حالًا مِن هذا الضمير، أي: لا يَحْرَج ذلك الشيء حالَ كون الإنسان فيه، ويجوز أن يعود إلى "الإنسان"، أي: لا يضيق الإنسان كائنًا فيه. والأوّل هو الصواب.

قوله: (أي: لا يُكلِّفها)... إلخ، أي: لا يُكلِّفها إلّا ما يتّسع فيه طَوْقه غيرَ مدى الطاقة، أي: لا يُكلِّفها ما هو غايةَ طاقتها؛ بل إنّما يُكلِّفها[4] بما هو في طاقتها ووسعها.

قوله: (دون مدى الطاقة)، أي: لا يُكلِّفها غايةَ الطاقة والمجهود. وفي "دون" معنى المُجاوَزة كما مرّ تحقيقه،[5] فيئول المعنى إلى قولك:[6] يُكلِّفها ما يتّسع فيه طَوْقه ولا يكلّفها غايةَ طَوْقه ومجهوده.

---

[1] ن – المكان.
[2] ن ر: استعمال.
[3] ن ر + لا.
[4] ن ر – إلّا ما يتسع فيه طوقه غير مدى الطاقة، أي: لا يكلِّفها ما هو غاية طاقتها بل إنّما يكلِّفها.
[5] سبق تفصيله في سورة البقرة، ٢٣/٢.
[6] ر: أي.

**ينفعُها ما كَسَبت مِن خيرٍ، ويَضرُّها ما اكتسبتْ مِن شرٍّ، لا يؤاخَذُ بذنبها غيرُها، ولا يُثابُ غيرُها بطاعتها.**

**فإن قلتَ: لم خُصَّ الخيرُ بالكسب والشرُّ بالاكتساب؟**

**قلتُ: في الاكتساب اعتمالٌ، فلمَّا كانَ الشرُّ مما تشتهيه النفسُ وهي مُنجذِبةٌ إليه وأمَّارةٌ به، كانت في تحصيله أعملَ وأجَدَّ، فجُعلَت لذلك مكتسِبَةً فيه، ولمَّا لم تكن كذلك في باب الخير وُصِفَتْ بما لا دلالةَ فيه على الاعتمال.**

**أي: لا تؤاخذنا بالنسيان أو الخطأ إنْ فرَط منا.**

**فإن قلتَ: النسيان والخطأ متجاوَزٌ عنهما، فما معنى الدعاءِ بترك المؤاخَذة بهما؟**

**قلتُ: ذُكِر النسيانُ والخطأ والمراد بهما ما هما مسبَّبانِ عنه مِن التفريط والإغفال، ألَا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف ١٨/٦٣] والشيطانُ لا يَقْدر على فعل النسيان، وإنَّما يُوسوِسُ فتكون وسوسَتُه سببًا للتفريط**

---

قوله: (**ينفعها**)... إلخ، لأنَّ "اللام"[١] لاختصاص[٢] النافع، و"على" لِما يستعلي الشيءَ. وقوله: (**لا يؤاخَذ**)... إلخ، يعني أنّ التقديم[٣] أفاد الحصر.

قوله: (**اعتمالٌ**)، أي: اضطراب في العمل.

قوله: (**قلتُ: ذُكِر النسيان**)... إلخ، يعني المراد بالنسيان والخطأ التفريطُ والإغفال، فأطلِق المسبَّب وأُريد السبب، فإنّ التفريط والإغفال[٤] سبب الخطأ والنسيان.

قوله: (**مِن التفريط**) بيان (ما).

قوله: (**ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف ١٨/٦٣]**) فهنا[٥] أيضًا ذكر النسيان والمراد ما هو سببه مِن الوسوسة، أي: "وسوس إليَّ الشيطان"، وهو معنى "أنسانيهُ الشيطان".[٦]

---

١ ر: الكلام.

٢ ن: للاختصاص.

٣ ن + ثمة.

٤ ر – فأطلق المسبَّب وأُريد السبب فإنّ التفريط والإغفال.

٥ ن – فهنا.

٦ ر – وهو معنى "أنسانيه الشيطان".

الذي منه النسيان، ولأنهم كانوا متّقين الله حقَّ تُقاتِهِ فما كانت تَفْرطُ منهم فَرْطةٌ إلّا على وجه النسيان والخطأ، فكان وَصْفُهم بالدعاء بذلك إيذانًا ببَراءة ساحَتهم عمّا يؤاخَذون به؛ كأنّه قيل: إن كان النسيانُ والخطأ ممّا يُؤاخَذ به فما فيهم سببُ مؤاخَذةٍ إلّا الخطأ والنسيان، ويجوزُ أن يدعوَ الإنسانُ بما عَلِم أنّه حاصلٌ له قبلَ الدعاء مِن فضلِ الله؛ لاستدامته وللاعتداد بالنعمة فيه.

"الإِصْرُ": العِبْءُ الذي يأصِرُ حامِلَه؛ أي: يحبِسُه مكانَهُ لا يستقلُّ به لِثِقْلِه، استُعير للتكليف الشاقِّ من نحو قَتْلِ الأنفس وقطعِ موضعِ النجاسة من الجلد والثوبِ وغير ذلك.

وقُرِئَ: "آصارًا" على الجمع.

وفي قراءة أبيّ: "ولا تحمِّلْ علينا" بالتشديد.

**فإن قلتَ**: أيُّ فرقٍ بين هذه التشديدة والتي في ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا﴾؟

**قلتُ**: هذه للمبالغة في حَمَل عليه، وتلك لنَقْلِ حَمَله من مفعولٍ واحدٍ إلى مفعولين.

﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ من العقوبات النازلة بِمَن قَبْلَنا، طلبوا الإعفاءَ عن التكليفات الشّاقّة التي كُلِّفها مَن قبلَهم، ..............................

---

قوله: (**حقَّ تقاته**) التُّقاة:[١] التَّقِيّة، يقال: اتّقى تُقاة وتَقِيّة.

قوله: (**ويجوز أن يدعوَ الإنسان**)... إلخ، ويقرُب مِن هذا المعنى قول المتنبّي:

وهـذا دعـاءٌ لـو سكـتُّ كُفيتُـه لأنّـي سألـتُ الله فيك وقـد فعلْ[٢]

قوله: (**مِن نحو قَتْل الأنفس**) ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[٣] [البقرة ٢/٥٤].

قوله: (**مِن الجِلْد**) يعني جِلدَ الخُفّ والفَرْوة.

قوله: (**طلبوا الإعفاءَ عن التكليفات**)،[٤] أي: بقوله: ﴿لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ يقال:

---

[١] ن ر – التقاة.

[٢] في ديوانه، ص ٣٣٢.

[٣] ن ر – قوله: (مِن نحو قتل الأنفس ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾.

[٤] ن ر – عن التكليفات.

ثمّ عمّا نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها.

وقيل: المراد به الشاقُّ الذي لا يكادُ يُستطاعُ من التكاليف، وهذا تكريرٌ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾.

﴿مَوۡلَىٰنَا﴾: سيِّدنا ونحن عبيدُك، أو: ناصرنا، أو: متَوَلِّي أمورِنا.

﴿فَٱنصُرۡنَا﴾ فمِن حقِّ المولَى أن ينصُرَ عبيده، أو: فإنَّ ذلك عادتَك، أو: فإنَّ ذلك من أمورنا التي عليك تَوَلِّيها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا دعا بهذه الدعوات قيل له عند كلِّ كلمة: «قد فَعَلْتُ».

وعنه عليه الصلاة والسلام: «مَن قرأ الآيتينِ من آخِرِ سورةِ البقرة في ليلةٍ كَفَتَاهُ».

وعنه عليه الصلاة والسلام: «أُوتيتُ خواتيمَ سورةِ البقرة من كنزٍ تحت العرش لم يُؤتَهنَّ نبيٌّ قَبْلي».

---

"أعفِني مِن الخروج معك"، أي: دعني عنه واتركني.

قوله: (ثمّ عمّا نَزَل)، أي: بقوله: ﴿وَلَا تُحَمِّلۡنَا﴾. وقوله: (عليها)، أي: على التكليفات. وقوله: (به)، أي: بقوله: ﴿مَا لَا طَاقَةَ لَنَا﴾.

قوله: (الشاقّ الذي لا يكاد يُستطاع) هذا موافق لمذهب أهل السُّنّة والجماعة.[1]

قوله: (وهذا تكرير) يعني: على التفسير الثاني يكون هذا، أي: قوله: ﴿وَلَا تُحَمِّلۡنَا﴾ تكرارًا للمعنى المذكور بقوله: ﴿لَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَا﴾.

قوله: (﴿مَوۡلَىٰنَا﴾ سيّدنا ونحن)... إلخ، في هذا الكلام لفّ، أي: أنت سيّدنا ونحن عبيدك فانصرنا فمِن حقّ المولى أن ينصر عبيده، أو أنت (ناصرنا) فانصرنا[2] فإنّ ذلك عادتك، أو أنت (متولّي أمورنا) فانصرنا فإنّ ذلك مِن أمورنا التي عليك تولّيها.

---

[1] انظر: تفسير الرازي، ١٥٩/٧ (البقرة، ٢٨٦/٢).

[2] ر - فمن حقّ المولى أن ينصر عبيده أو أنت ناصرنا فانصرنا.

وعنه صلى الله عليه وسلم: «أنزل الله تعالى آيتين مِن كنُوز الجنَّة كتبهما الرحمنُ بيده قبلَ أن يَخلقَ الخلقَ بألفي سنةٍ، مَن قرأهما بعد العشاء الآخِرة أَجْزَأَتَاهُ عن قيام الليل».

**فإن قلتَ**: هل يجوز أن يقال: قرأتُ سورةَ البقرة، أو: قرأتُ البقرةَ؟

**قلت**: لا بأس بذلك، وقد جاء في حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم: «من آخِرِ سورة البقرة» و: «خواتيمَ سورة البقرة».

وعن عليٍّ رضي الله عنه: خواتيمُ سورة البقرةِ من كنْزٍ تحت العرش.

وعن عبد الله بن مسعود: أنه رمى الجمرة ثم قال: «من هاهنا والذي لا إلهَ غيرُه رمى الذي أُنْزِلَت عليه سورةُ البقرة».

ولا فرقَ بين هذا وبين قولك سورةُ الزُّخْرُف وسورة المُمْتَحَنةِ والمُجَادِلَة.

وإذا قيل: قرأتُ البقرة، لم يُشْكِل أنَّ المراد سورةُ البقرة؛ كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف ١٢/٨٢].

وعن بعضهم أنه كَرِهَ ذلك، وقال: يقال: قرأتُ السورة التي يُذْكر فيها البقرةُ.

وعن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم: «السورةُ التي يُذْكر فيها البقرةُ فُسْطَاطُ القرآن، فتعلَّموها فإنَّ تعلُّمها بَرَكةٌ وتركُها حسرةٌ ولن يستَطِيعَهَا البطلةُ»، قيل:

---

[٢٤٦و] قوله: (**قلتُ: لا بأسَ بذلك**)... / إلخ، حاصلُ الجواب أنّه قد ورد في الأحاديث وغيرِها "سورة البقرة" فكذا "البقرة"؛ لأنّه إذا قيل: "قرأتُ البقرة" عُلِم أنّ المراد "البقرة".

قوله:[١] («**فُسطاطُ القرآن**»)، أي: مدينتُه الجامعة. الفُسطاط: المدينة الجامعة.

قوله: («**ولن يستطيعها البَطَلَة**»)،[٢] أي: لا يستطيع البَطَلة أن يسحر قارئها،

---

١ ن ر – فكذا البقرة لأنه إذا قيل قرأت البقرة عُلِم أنّ المراد البقرة. قوله.

٢ بلفظ قريب في مسند أحمد، ٣٦/٥٣١ (٢٢١٩٣)؛ وصحيح مسلم، ١/٥٥٣ (٨٠٤)؛ والمعجم الكبير للطبراني، ٨/١١٨ (٧٥٤٢). وانظر: تخريج أحاديث الكشّاف للزَّيلَعي، ١/١٧٣.

ومَا البَطلَةَ؟ قال: «السَّحَرةُ».

والله أعلم بالصواب.

---

وهو مِن باب حذف المضاف والمضاف إليه، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه ٢٠/٩٦]، أي: مِن أثر حافرِ فرسِ الرسول.

تمّت سورة[١] البقرة[٢] بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه.[٣]

---

١ ن: السورة.

٢ ن – البقرة؛ ر – سورة البقرة.

٣ ن – وكرمه؛ ر – تعالى ومنّه وكرمه.

**Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları**
Yayın No. 1437
İSAM Yayınları 267
Klasik Eserler Dizisi 62


**TETİMMETÜ'L-KEŞŞÂF (HÂŞİYETÜ'L-ÇÂRPERDÎ ale'l-KEŞŞÂF)**
**Fahreddin el-Çârperdî**

**Cilt 2**

Tahkik
Ziyâüddin el-Kaliş, Muhammed İmâd el-Nabulsî

*Tetimmetü'l-Keşşâf (Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf)*
TDV İslam Araştırmaları Merkezi (İSAM)
Tahkik/Tenkitli Neşir Birimi ilmî kontrolünde hazırlanmıştır.

İcadiye-Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
Tel. 0216. 474 08 50
www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

**Editör** Okan Kadir Yılmaz
**İlmî kontrol** Mehmet Taha Boyalık, Abdurrahman Rıdvan Haraş
**İnceleme kısmı son okuma** Sait Kayacı (Arapça), Mustafa Demiray (Türkçe)
**Tashih** (Arapça) Abdulnasır Hakimi (İmla, İndeks ve Bibliyografya), Nour Alhila (İmla)
Ali Haydar Ulusoy (İmla ve İndeks), Azat Sarsanbaev (İmla)
(Türkçe) İsa Kayaalp (İmla), İsmail Özbilgin (Bibliyografya)
**Tasarım** Ali Haydar Ulusoy, İbrahim Dervişmüezzin (Uygulama),
Hasan Hüseyin Can (Kapak), Ramzi Haj Mustafa (Kapak Hattı)

Bu eser
TDV İslam Araştırmaları Merkezi'nin (İSAM)
İkinci Klasik Dönem Projesi
kapsamında yayımlanmıştır.

Bu kitap
İSAM Yönetim Kurulu'nun
27/12/2024 tarihli ve 2024/11 sayılı kararıyla basılmıştır.

Birinci Basım: İstanbul, Aralık 2024 m. / 1446 h.
ISBN 978-625-428-633-9 (Tk.)
978-625-428-635-3 (2. Cilt)

**Basım Yayın ve Dağıtım**
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No. 11
Yenimahalle/Ankara
Tel. 0312. 354 91 31 Faks. 0312. 354 91 32
bilgi@tdv.com.tr
Sertifika No. 48058

**Fahreddin el-Çârperdî**
**Tetimmetü'l-Keşşâf (Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf) [تتمة الكشاف (حاشية الجاربردي على الكشاف)]**
**/ Fahreddin el-Çârperdî ; tahkik Ziyâüddin el-Kaliş, Muhammed İmâd el-Nabulsî. İstanbul ;**
**Ankara : İslam Araştırmaları Merkezi (İSAM) ; Türkiye Diyanet Vakfı, 2024.**
**2. c. (756 s.) ; 24 cm. – (Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları ; 1437. İSAM Yayınları ; 267. Klasik Eserler Dizisi ; 62)**

**Dizin ve kaynakça var.**
**ISBN 978-625-428-633-9 (Tk.) 978-625-428-635-3 (2. Cilt)**

İSAM
TÜRKİYE DİYANET VAKFI
İSLAM ARAŞTIRMALARI MERKEZİ
مركز البحوث الإسلامية

# Tetimmetü'l-Keşşâf

## (Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf)

Fahreddin el-Çârperdî
(ö. 746 h. / 1346 m.)

Tahkik
Ziyâüddin el-Kaliş
Muhammed İmâd el-Nabulsî

Proje Yürütme
Mehmet Taha Boyalık

**İkinci Cilt**

TÜRKİYE DİYANET VAKFI YAYINLARI